مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّرَاثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فَخْر الدِّين أبو المكارِم أحمد بن الحسَن بن يُوسُف الجارْبَرْدِي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.د. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.د. محمد طه بويالق

المجلد التاسع

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٠
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي

المجلد التاسع

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ **مركز البحوث الإسلامية** (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بوياليق، عبد الرحمن رضوان خَرَش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَمِيرْآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)، علي حيدر أُولُوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سَارْسَانْبَايُوفْ (الإملاء)، (التركي) عيسى قايا أَلْبْ (الإملاء)، إسماعيل أَرْبَلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أُولُوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)، حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام/ İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد التاسع) 978-625-428-644-5

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي
تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف) / فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد التاسع (٦٩٢ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٠. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد التاسع) 978-625-428-644-5 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

نَشرِيَات وَقف الدِّيَانَة التُّركي
رقم النشر ١٤٣٠
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمّة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي

المجلد التاسع

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمّة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ **مركز البحوث الإسلامية** (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قَدير يِلْماز
المراجعة العلمية محمد طه بويالق، عبد الرحمن رضوان حَرَش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَمِيرْآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)، علي حيدر أُولُوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سارْسانْبايُوفْ (الإملاء)، (التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أُزِيلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أُولُوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)، حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١ .

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد التاسع) 978-625-428-644-5

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي
تتمّة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف) / فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤ .
المجلد التاسع (٦٩٢ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٠. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد التاسع) 978-625-428-644-5 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

سورة سبأ

مكيةٌ، وهي أربعٌ وخمسون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

ما في السَّماواتِ والأرضِ كلُّهُ نعمةٌ من الله، وهُو الحقيقُ بأن يُحْمَدَ ويُثْنَى عَليه من أَجْلِه، ولمَّا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ وصَفَ ذاتَه بالإنعام بجميع النِّعم الدُّنيويةِ كان مَعْناه: أنه المحمُود على نِعَم الدُّنيا؛ كما تقولُ: "احمَدْ أَخاكَ الَّذي كسَاك وحَمَلك" تُريد: احْمَدْهُ على كِسْوَتِهِ وحُملانِه.

ولمَّا قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ عُلم أنَّهُ المحمودُ على نِعَم الآخرة وهيِ الثوابُ.

/ سورة سبأ [٢٨٨و]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ قُدِّم الحمدُ أوّلًا على الأصل، وأُخِّر ثانيًا لِيفيد الحصر، فإنّ الحمد في الآخرة ليس إلّا له، وأمّا في الدنيا فقد يكون مِن غيره تعالى؛ لأنّه قد يصِل مِن غيره تعالى[٢] في الدنيا النعمة على العباد، وأمّا في الآخرة فليس الملك والنعمة إلّا له.

قوله: (وحُمْلَانه)[٣] "الحُمْلان" مصدر بمعنى الحَمل.

---

١ ن ف - وبه نستعين.
٢ ف - لأنّه قد يصل مِن غيره تعالى.
٣ ن: وحُمْلانه.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينَ الحمدَيْن؟

قلتُ: أمَّا الحمْدُ في الدُّنيا فوَاجبٌ لأنَّه على نعمَةٍ مُتفضَّلٍ بها، وهُو الطَّريقُ إلى تَحْصيل نعمة الآخرة وهي الثواب، وأما الحمدُ في الآخرة فليس بواجبٍ؛ لأنه على نعمةٍ واجبةِ الإيصَالِ إلى مُستَحِقِّها، إنَّما هو تِتِمَّةُ سرُور المؤمنين وَتكْمِلةُ اغتبَاطِهم: يَلْتَذُّون به كما يلتَذُّ مَن به العُطاشُ بالماء البَارد.

قوله: **(وهو الطريق)** عطفٌ على قوله: **(على نِعمة)**، فذكَر للوجوب سَببَين.

قوله: **(على نعمة واجبة الإيصال)** لأنّه وجب عليه تعالى -بناء على مذهب المعتزلة- أن يُنعِم على العباد بتلك النِّعم؛ لأنّها جزاء على الطاعات. وهذا الذي ذكره تقرير لِمَذهبه، وأمّا عند أهل السنّة فالفرق بين الحَمدَين أنّ الحمد في الدنيا واجب لأنّها دار التكليف، وأمّا في الآخرة فلا يجب لانقطاع التكليف؛ بل يحمَدون الله تعالى تلذّذًا بذلك، ويقولون: إذا دخلوا الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر ٣٩/٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف ٧/٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر ٣٥/٣٤]، إلى غير ذلك.

ثمّ إنّ قوله: "لأنّه على نعمةٍ واجبة الإيصال" ليس على إطلاقه على مذهبه أيضًا؛ لأنّه ما يُعطِي الله تعالى العباد في الآخرة ليس مقصورًا على الجزاء عندهم؛ بل بعض ذلك بفضل، وبعضه أجْرٌ، والأجْرُ هو الواجب عندهم، فما[1] ذكره ليس مستقيمًا على مذهبه أيضًا.

قوله: **(يَلْتذّون به)** أي: يحمدونه سرورًا به لا تعبُّدًا، كقوله:[2] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر ٣٩/٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر ٣٥/٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس ١٠/١٠].

قوله:[3] **(العُطاشُ)** "العُطاشُ":[4] داء يُصيب الإنسان؛ يَشرب الماءَ فلا يَرْوَى.[5]

---

[1] ف: ممّا.

[2] ن: لقوله.

[3] وقعت هذه الحاشية في النسخ الخطّيّة قبل سابقتها. وأخّرتها لتوافق ورودها في **الكشّاف**.

[4] ف: العُطاس.

[5] **الصحاح** للجوهري، «عطش».

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذي أَحْكَمَ أُمُورَ الدَّارَيْنِ ودبَّرهَا بحكمتِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بكلِّ كائنٍ يكونُ.

ثمَّ ذَكر ممَّا يُحيط به عِلمًا ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الغيْثِ كقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر ٢١/٣٩] ومِن الكنُوز والدَّفائنِ والأَموَاتِ وجَميعِ ما هيَ لهُ كِفَاتٌ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشَّجر والنَّباتِ وماء العُيون والفِلِزِّ والدَّوابِّ وغيرِ ذلك.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطارِ والثُّلُوجِ والبَرَدِ والصَّواعقِ والأَرْزَاقِ والمَلائكةِ وأَنْواعِ البرَكاتِ والمَقَادِير؛ كمَا قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات ٢٢/٥١].

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من المَلائكة وأعمَالِ العبَاد.

﴿وَهُوَ﴾ مَع كثْرةِ نِعَمه وسُبُوغ فضْلِه ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ للمُفرِّطينَ في أداء مَواجِب شُكرهَا.

وقَرأَ عَليُّ بن أبي طَالبٍ: "نُنزِّلُ" بالنُّون والتَّشديد.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

قولهم: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ نفيٌ للبَعثِ وإِنْكارٌ لمجيءِ السَّاعةِ، ....

قوله: (كِفات) "الكِفات": كلّ ما ضَمَّ شيئًا واحتوى عليه، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات ٢٥/٧٧].[1]

قوله: (والفِلِزُّ)[2] "الفِلِزُّ": اسم جامع للجواهر كلّها.[3]

[1] وفي هامش د ف: "الكِفات": الموضع الذي يُكفَتُ فيه شيء، أي: يُضمُّ. | الصحاح للجوهري، «كفت».

[2] في بعض مطبوعات الكشّاف: "والغلّة".

[3] وفي الصحاح للجوهري، «فلز»: «الفِلِزُّ -بالكسر وتشديد الزاي-: ما يَنْفيه الكِير ممّا يُذاب من جواهر الارض».

أَو استبْطَاءً لِمَا وُعِدُوه من قِيَامِهَا على سَبيل الهُزء والسُّخريَةِ كقَولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [سبأ ٣٤/٢٩].

أُوجِبَ ما بَعْد النَّفي بـ﴿بَلَىٰ﴾ على مَعْنى: أَنْ لَيْسَ الأمرُ إلَّا إتْيانُها، ثمَّ أُعيد إيجَابُه مُؤكَّدًا بما هُو الغايةُ في التوكيد والتشديدِ وهو التَّوكيدُ باليمينِ بالله عزَّ وجلَّ، ثمَّ أُمدَّ التَّوكيدُ القَسَميُّ إمْدادًا بما أُتْبِعَ المُقسَمُ به من الوَصْف بما وُصِف به إلى قَوله: ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ لأنَّ عظَمةَ حالِ المُقسَم به تُؤذِن بقُوَّةِ حال المُقسَم عليه وشِدَّةِ ثَباتِه واستِقامَتِه؛ لأنَّه بمَنزلَةِ الاستشهاد على الأَمْر، وكُلَّما كان المستشهَدُ به أَعْلى كَعْبًا وأَبيَنَ فضْلًا وأرْفعَ منزِلةً كانت الشَّهادةُ أقوَى وآكَدَ والمُستَشهَدُ عَليه أثبَتَ وأَرْسَخَ.

فإن قلتَ: هل للوصْفِ الَّذي وُصِف بهِ المُقسَمُ به وَجْهُ اختِصَاصٍ بهذا المعنى؟

قلتُ: نعَم، وذلك أنَّ قيامَ السَّاعَةِ من مشاهير الغُيُوب، وأَدْخَلِها في الخُفيَة، وأوَّلِها مُسَارعَةً إلى القَلْب إذا قيل: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾ فحِين أُقسمَ باسْمِه على إثبَاتِ قيَام السَّاعةِ وأنَّه كائنٌ لا مَحالةَ، ثُمَّ وُصِف بما يَرْجِعُ إلى عِلم الغيب وأنَّه لا يفُوتُ عِلمَهُ شيءٌ من الخَفيَّاتِ، اندَرجَ تحتَه إحَاطتُه بوَقْت قيَام السَّاعة، فجاء ما تطْلبهُ مِن وَجْه الاختصاص مَجيئًا واضحًا.

قوله: (**على معنى: أن ليس**) وذلك أنّه لمّا أوجب النفي -أي: أثبتَه- كان فيه تأكيد للإثبات،[١] فأفاد ما ذكره.

قوله: (**لأنّه بمنزلة**) أي: لأنّ القسَم.

قوله: (**فحين**) جواب شرط محذوف، أي: إذا كان كذلك فحين أقسم اندرج. فقوله: (**اندرَج**) عامل في "حين". وقوله: (**فجاء**) عطفٌ على قوله: "اندرج".

قوله: (**مَجيئًا واضحًا**) فكأنّه قيل: والربِّ العالِمِ بالقيامة لَتأتيَنّكم القيامة.[٢]

---

[١] ن: الإثبات.

[٢] ن - قوله: (مَجيئًا واضحًا) فكأنّه قيل: والربِّ العالِمِ بالقيامة لَتأتيَنّكم القيامة.

فإن قلتَ: النَّاسُ قد أنكروا إتيانَ السَّاعَة وجَحَدُوه، فهَبْ أنَّه حَلَف لهُم بأغلظ الأَيْمانِ وأقسَم عليه جَهْدَ القَسَمِ، فيَمينُ مَن هُو في مُعتقَدِهم مُفتَرٍ على الله كَذِبًا كيف تكُونُ مُصَحِّحةً لِمَا أنكرُوه؟

قلتُ: هذا لو اقتصرَ على اليمين ولم يُتبِعْها الحُجَّةَ القاطِعَةَ والبَيِّنَةَ السَّاطِعةَ وهو قَولُه: ﴿لِيَجْزِيَ﴾، فقَد وَضَع اللهُ في العقُول ورَكَّب في الغَرائزِ وجُوبَ الجزاءِ، وأنَّ المُحسِنَ لا بُدَّ له من ثَوابٍ والمُسيءَ لا بدَّ له مِن عقابٍ.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَّصِلٌ بقَوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تَعليلًا له.

قرئ: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالتاء والياء، ووَجْهُ مَن قرأ بالياء: أن يكونَ ضميرُه للسَّاعةِ بمَعْنى اليَومِ، أو يُسْنَدَ إلى ﴿عالِمُ الغَيْب﴾؛ أي: ليأتِيَنَّكُم أَمْرُه كما قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام ١٥٨/٦] وقال: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل ٣٣/١٦].

وقرئ: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ و: ﴿عَلَّامِ الغيْبِ﴾: بالجرِّ صفةً لـ"رَبِّي"، و: ﴿عالِمُ الغَيْب﴾ و: "عالمُ الغيُوب" بالرَّفعِ عَلى المَدْح.

و: ﴿لا يَعْـزُبُ﴾: بالضم والكسر مِن العُزوب وهو البُعْد، يُقال: رَوْضٌ عَزِيبٌ: بَعيدٌ من النَّاس.

﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: مِقْدارُ أَصْغَرِ نَمْلَةٍ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾.

وقرئ: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ بالرفع على أصْلِ الابتداءِ، ....

قوله: (**أو يُسند إلى ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾**) هذا على قراءة الرفع في ﴿عَـٰلِمِ﴾.[1]

قوله: (**وقال: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل ٣٣/١٦]**) فدلَّ هذه الآية على أنَّ المراد بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام ١٥٨/٦]: **أو يأتي أمرُ ربّك**.

---

[1] قرأ ﴿عَـٰلِمِ﴾ بالرفع نافع وأبو جعفر وابن عامر ورُوَيس. وقرأ باقي العشرة بالجر، لكن قرأ منهم حمزة والكسائي: ﴿عَلَّـٰمِ﴾. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٤٩/٢.

وقرئ: ﴿مُعَجِّزين﴾، و: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع والجر.

وعن قتادَة: الرِّجزُ: سُوءُ العذاب.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾

و"يرى" في مَوضع الرَّفع؛ أي: وَيَعْلمُ أُولُو العِلم، يَعْني: أصحَابَ رسُول الله ومَن يطَأُ أَعقابَهُم مِن أُمَّتِه، أو عُلمَاءَ أَهْل الكِتاب الَّذين أَسْلَمُوا مثلَ كعْبِ الأَحْبارِ وعَبْدِ الله بن سَلَامٍ.

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ... هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ وهُما مَفعولان لـ"يَرَى"، و﴿هُوَ﴾ فصْلٌ، ومَن قَرأ بالرفع جَعَلهُ مُبتَدأً و"الحقُّ" خبرًا، والجُملةَ في مَوضِع المفعول الثَّانِي.

وقيل: "يرى" في مَوضع النَّصب مَعْطوفٌ عَلى ﴿لِيَجْزِىَ﴾؛ أي: وليَعْلمَ أُولُو العلم عِند مَجيءِ السَّاعةِ أَنَّه الحقُّ علمًا لا يُزادُ عَليه في الإِيقَانِ، ويَحتجُّوا به على الَّذِينَ كَذَّبوا وتَولَّوا.

ويجوز أَن يُرِيدَ: وليَعلم مَن لم يُؤمِن من الأَحْبارِ أَنَّه هُو الحقُّ فيَزدادُوا حَسْرةً وغَمًّا.

قوله: (وقُرئ: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾)[1] أي: مُثبِّطِين عن الإيمان مَن أراده.[2] و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، أي: مسابقين.

قوله: (﴿وَيَرَى﴾ في موضع الرفع) لأنّه خالٍ عن الناصب والجازم.

قوله: (ومَن قرأ بالرفع)[3] أي: قرأ: "الحَقُّ".

قوله: (عِلمًا لا يُزاد عليه) هو معنى ﴿يَرَى﴾.

قوله: (وليَعلم مَن لم يؤمن) فيكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: أهلَ الكتاب.

---

١ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ باقي العشرة بالتخفيف والألف. النشر لابن الجزري، ٣٢٧/٢.

٢ ن: أراد. ف: إرادة.

٣ في بعض مطبوعات الكشّاف: "من قرأ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بالرفع". | قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٨.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قُريشٌ، قال بعضُهم لبَعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ -يَعنُونَ مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم- يُحَدِّثُكُم بأُعجُوبةٍ من الأعَاجِيب: أنَّكُم تُبعَثُون وتُنشَؤُونَ خَلقًا جَديدًا بَعْدَ أن تكُونوا رُفَاتًا وتُرابًا ويُمزِّقَ أجْسَادَكُم البِلَى ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: يُفرِّقَكُم ويُبَدِّدَ أجزاءكم كُلَّ تَبْدِيدٍ.

أهُوَ مُفْترٍ عَلى الله كذِبًا فيمَا يَنْسُبُ إلَيه مِنْ ذلك، أمْ به جُنُونٌ يُوهِمُه ذلك ويُلْقيهِ على لسَانِهِ؟

ثمَّ قال سُبْحانه: ليسَ محمدٌ من الافتراء والجُنُون في شَيءٍ، وهُو مُبرَّأٌ مِنهما، بَل هؤلاء القَائلُون الكافِرُون بالبَعْث واقِعُونَ في عَذاب النَّارِ وفيما يُؤدِّيهم إليه من الضَّلال عن الحقِّ وهُم غافِلُون عن ذلك، وذلك أجَنُّ الجُنُون وأشَدُّهُ إطْبَاقًا على عقُولهم، جُعِل وُقوعُهم في العَذاب رَسيلًا لِوقُوعهِم في الضَّلال كأنَّهما كائنَانِ في وَقْتٍ وَاحِدٍ؛ لأنَّ الضَّلالَ لمَّا كان العقَابُ من لَوازمه ومُوجباتِه جُعِلَا كأنَّهما في الحَقيقة مُقْتَرِنانِ.

وقرأ زيدُ بن عليٍّ رضي الله عنه: "يُنبِئُكُم".

قوله: (ويُمَزِّقُ أجسادَكم البِلى) "البِلى" مصدر، وهو فاعل يُمزِّق، يقال: "بَلِيَ الثوب يَبلى بِلًى" بكسر الباء مقصورًا، فإذا فتحت الباء مددتَ وقلتَ: بَلاءً، قال العجّاج:

والـمـرء يُبلـيـه بَـلاءَ الـسِّـربـالْ مَـرُّ الـلـيـالي واخـتـلافُ الأحـوالْ[1]

قوله: (﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾) يشير به إلى أنّ "المُمزَّق" بمعنى المصدر.[2]

قوله: (فيما يَنسُب) أي: في الذي يَنسُب إلى الله تعالى مِن البَعث.

قوله: (رَسِيلًا) رَسَيلُ الرجلِ: هو الذي / يراسله في نضال أو غيره.[3] [٢٨٩و]

---

١ ديوان العجّاج، ٣٢٣/٢. وانظر: الصحاح للجوهري، «بلا».

٢ وقعت هذه الحاشية في ن متأخرة عن تاليتها.

٣ الصحاح للجوهري، «رسل».

فإن قلتَ: قد جعَلْتَ الممزَّق مَصْدرًا كبَيْتِ الكِتاب:

أَلــم تَـعْـلـمْ مُـسَـرَّحـيَ الـقَـوافِـي فَـــلا غيًّـــا بِهـــنَّ ولَا اجتِلَابـــا

فهَلْ يجُوز أَن يكُون مكانًا؟

قلتُ: نعَم، ومَعْناه: ما حصَل من الأموات في بُطون الطَّير والسِّباع، وما مرَّت به السُّيُولُ فذهَبَتَ بهِ كُلَّ مذْهَبٍ، وما سَفَتْه الرِّياح فطَرَحَتْه كُلَّ مَطرَحٍ.

فإن قلتَ: ما العاملُ في ﴿إِذَا﴾؟

قلتُ: ما دلَّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد سَبقَ نظيرُه.

فإن قلتَ: "الجديد" فعيلٌ بمَعْنى فاعلٍ أم مفعولٍ؟

قلتُ: هُو عند البصريينَ بمَعْنى فاعلٍ، تقُولُ: "جَدَّ فهو جَدِيدٌ"؛ كحَدَّ فهو حَديدٌ، وقَلَّ فهو قليلٌ، وعِند الكوفيين بمَعنى مفعُولٍ من جَدَّه: إذا قَطَعه، وقالوا: هو الذي جدَّهُ الناسجُ السَّاعةَ في الثَّوب ثمَّ شاع، ويَقُولُونَ: ولهذا قالُوا: "مِلحفةٌ جَدِيدٌ"، وهي عند البصريين كقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف ٥٦/٧] ونحوِ ذلك.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

قوله:

(أَلـم تَعلـمْ مُسَـرَّحي القَوافـي)... البيـتَ[١]

أي: تَسريحي القوافي، فلا أَعْيا بهنّ عِيًّا، ولا أَجْتَلِبُهُنّ اجْتلابًا، أي: انْتحالًا.[٢]

قوله: **(ويقولون:[٣] ولهذا)** يعني يستدلّ الكوفيّون على أنّه بمعنى "مفعول" بقولهم: "مِلحَفة جَديد" بلا تاء. وأجابهم البصريّون: بأنّه قد يستوي المذكّر والمؤنّث في "الفعيل" بمعنى "فاعل" حَمْلًا على "ما" بمعنى المفعول، كما في الآية.

---

١ لجرير في **الكتاب** لسيبويه، ٢٣٣/١. وهو في **ديوان جرير**، ص ٦٥١، بلفظ:
أَلَــم تُـخبَـر بِـمَـسْـرَحي الـقَـوافـي

٢ انظر: **شرح أبيات سيبويه** للسيرافي، ٧٠/١.

٣ ف + أي: الكوفيّون؛ وفي هامش د: أي: الكوفيّون.

فإن قلتَ: لِمَ أُسقطَت الهمزةُ في قوله: ﴿أَفۡتَرَىٰ﴾ دون قوله: ﴿آلسِّحۡرُ﴾ [يونس ٨١/١٠] وكِلتاهُما همزَةُ وَصْلٍ؟

قلتُ: القياسُ الطَّرْحُ، ولكنَّ أَمْرًا اضطَرَّهُم إلى ترك إسقَاطِها في نَحو ﴿آلسِّحۡر﴾ وهو خوفُ التبَاسِ الاستفهام بالخبَر؛ لكون همزة الوصل مفتوحةً كهمزة الاستفهام.

فإن قلتَ: ما معنى وَصْفِ الضَّلال بالبُعْد؟

قلتُ: هو من الإسناد المجازيِّ؛ لأن البعيد صِفةُ الضَّالِّ إذا بَعُد عن الجَادَّةِ، وكُلَّما ازدادَ عَنْها بُعدًا كان أضَلَّ.

فإن قلتَ: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مشهورًا عَلَمًا في قُريشٍ، وكان إنباؤه بالبَعث شائعًا عِندهم، فما مَعْنى قولهم: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ فنَكَّرُوه لهم، وعرَضُوا عَلَيْهم الدَّلالةَ عليه كما يُدَلُّ على مجهُولٍ في أَمْرٍ مجهُول؟

قلتُ: كانوا يقْصِدُون بذلك الطَّنْز والسُّخْرِية، فأَخرَجُوهُ مَخرَجَ التَّحكِّي ببعضِ الأَحَاجِي التي يُتحاجَى بهَا لِلضَّحِكِ والتَّلهِّي مُتجاهلينَ به وبأَمْرِه.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾

قوله: (﴿ءَآلسِّحۡرُ﴾)[1] يريد قوله تعالى: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ﴾ [يونس ٨١/١٠].

قوله: **(مفتوحةً)** في ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ [يونس ٨١/١٠].[2]

قوله: **(وعَرضُوا)** المراد بـ"العَرْض" هو الاستفهام في قولهم: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾.

---

[1] في قراءة أبي عمرو وأبي جعفر، بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل، فيكون فيها وجهان: الأوّل: إبدال همزة الوصل ألفًا مع المدّ المشبَع. والثاني: تسهيلها بينَ بينَ. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٧٨/١.

[2] وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: مِن الإسناد المجازي) مِن قَبيل الإسناد إلى السبب؛ لأنّ الضلال سبب بُعد الضالّ عن الجادّة، نحو: بنى الأميرُ المدينة. الضلال ليس ببعيد؛ بل سبب لِبُعد البعيد.

أَعَمُوا فلَم ينظُرُوا إلى السَّماء والأرضِ وأَنَّهما حيْثُما كانوا وأينَما سَارُوا أمَامَهُم وخلفَهُم مُحيطَتانِ بهِمْ لا يَقْدِرُونَ أَن يَنفُذُوا من أَقْطَارهما وأن يخرُجُوا عَمَّا هُم فيهِ مِن مَلكُوت الله، ولم يخافُوا أن يخسفَ اللهُ بهم أو يُسقِط عَليهم كِسفًا لتَكذِيبهم الآياتِ وَكُفرهم بالرَّسُول وبما جَاءَ به كما فَعَل بقارُونَ وأصْحَابِ الأَيْكةِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النَّظرِ إلى السَّماء والأرض ....

قوله: **(أعَمُوا)** يريد أنّ همزة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ مِن حيث[1] التقدير داخل على فعل محذوف. وقوله: ﴿فَلَمْ يَرَوْا﴾ معطوف على ذلك المحذوف، والتقدير كما ذكره.

قوله: **(أمامَهم)** خبر "إنّ". وقوله: **(مُحِيطتان)** خبر آخَر.

قوله: **(مِن مَلَكوت الله)** اعلم أنّ المَلَكوت هو المُلْك العظيم الذي يدلّ عليه المخلوقات العِظام كالسماوات والأرض، فقد يُضاف المَلَكوت إلى السماوات والأرض وأمثالِهما كما في قوله تعالى: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٦/٧٥]؛ لأنّهما يدلّان عليه، وقد يُضاف إلى الله تعالى فيقال: "ملكوت الله" لأنّه صفة الله؛ لأنّه المالك للمُلْك العظيم، فكأنّه قيل: مُلكُ الله العظيم، أو عظمةُ الله، إلى غير ذلك. وأمّا قول المصنّف ههنا: "مَلَكوت الله" فالمراد به السماوات والأرض؛ لأنّه بيان "ما" في قوله: **(عمّا هم فيه)**، فقد أطلق المَلَكوت على السماوات والأرض، وذلك يكون مجازًا.

قوله: **(كما فعَل بقارون)**... إلخ فيه لفّ ونَشر.

قوله: **(في ذلك النظر)** والمراد بـ"النظر": النظر بالبَصر، فلِذا عطف عليه "الفكر"[2] تتمّةً له، أي: إذا[3] نظروا[4] بالبَصر وتفكّروا[5] تبيَّن لهم الآيات. يقال: "نظر إليه"

---

[1] ن – حيث.
[2] ن: العكر.
[3] ن – إذا.
[4] ن: انظروا.
[5] ن: وتفكّرو.

والفِكْرِ فيهما وما تدُلَّانِ عَليه من قُدْرة اللهِ ﴿لَآيَةً﴾ ودلالةً ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ وهو الرَّاجعُ إلى ربِّه المُطيعُ له؛ لأنَّ المُنيبَ لا يَخْلُو من النَّظر في آياتِ الله على أنَّه قادرٌ على كُلِّ شيءٍ من البَعْث ومِن عقَابِ مَن يَكفُرُ به.

قرئ: ﴿يَشَأْ﴾ و﴿يَخْسِفْ﴾ و﴿يُسقِطْ﴾ بالياء لِقَوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، وبالنُّون لقَوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾.

و﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين وسُكُونِهِ.

وقرأ الكسَائيُّ: ﴿يخسِف بهم﴾ بالإدغام، وليسَتْ بقويَّةٍ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠﴾

﴿يَٰجِبَالُ﴾ إمَّا أن يكُونَ بَدلًا من ﴿فَضْلًا﴾ وإمَّا مِن ﴿ءَاتَيْنَا﴾، بتَقْدير: "قَولَنا يا جِبَالُ"، أو: "قُلنَا يا جبَالُ".

إذا كان بالبصر، و"نظر فيه" إذا كان بالبَصيرة. وقوله: **(والفِكْرِ)** عطفٌ على "النظر"، وهو كالتفسير للنظر إليهما بالفِكر فيهما. وقوله: **(وما تَدلّان)**[1] عطفٌ على الضمير المجرور؛ إذ المعنى: والفِكرِ فيما تدُلّان -أي: السماء والأرض- عليه. والأَولى أن نقول: هو عطفٌ على "السماء والأرض"؛ لأنّ قوله: "والفِكرِ" كالبيان، والأوّلُ هو المقصود، فيكون العطف عليه، وهذا أصوب لفظًا ومعنًى. في هذا البيان نظرٌ.

وقوله: **(مِن قدرة الله)** بيان "ما". وقوله: **(لأنّ المُنيبَ لا يخلو)**[2] فكأنّه قال: لَآياتٍ[3] لكلِّ مَن ينظرُ.

قوله: **(بتقدير: قولَنا)**... إلخ أي: آتينا داود قولَنا: يا جبالُ، أو لقد قلنا: يا جبالُ، فيكون تقدير قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾: قلنا: يا جبالُ،[4] أي: بحذف "قُلنا". وقوله: **(قلنا: يا جبالُ)** بدل مِن قوله: ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾، أي: ولقد قُلنا: يا جبالُ.

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: "يدلّان".
[2] ن: لا يخلوا.
[3] ن: لآت.
[4] ن - قلنا: يا جبال.

وقرئ: ﴿أَوِّبِي﴾ و: "أُوبِي"، من التَّأوِيب والأَوْبِ؛ أي: رَجِّعِي معَه التَّسبيحَ، أو: ارجِعي معه في التَّسبيح كُلَّما رَجَع فيه؛ لأنَّه إذا رجَّعَه فقد رجَع فيه.

ومعنى تَسبيحِ الجبَال: أنَّ الله يَخْلُقُ فيهَا تسبيحًا كما خلقَ الكلامَ في الشَّجرةِ، فيُسمَعُ منها ما يُسْمَعُ مِنَ المُسَبّحِ معجزةً لدَاوُدَ.

وقيل: كان ينُوحُ عَلى ذَنْبِه بتَرْجيعٍ وتحزينٍ، وكانت الجبالُ تُسْعِدهُ على نَوْحِهِ بأَصْدائها والطَّيْرُ بأَصْواتِها.

وقرئ ﴿والطير﴾ رفعًا ونصبًا، عطفًا على لفظ الجبَالِ ومَحلِّها، وجَوَّزُوا أَن ينتَصِبَ مفعولًا معَه، وأَنْ يُعْطَف على ﴿فَضْلًا﴾ بمَعنى: وسَخَّرنَا له الطَّيْرَ.

فإن قلتَ: أَيُّ فرْقٍ بينَ هذا النَّظْم وبين أَن يُقال: "وآتينا داود منا فضلًا تَأوِيبَ الجبَال معَه والطَّيْرِ"؟

قلتُ: كَمْ بينَهُما، ألا تَرى إلى ما فيهِ من الفخَامة التي لا تَخفَى، ومِن الدَّلالة عَلى عزَّة الرُّبُوبيَّةِ وكِبريَاءِ الإلهيَّةِ، حيث جُعِلت الجبَالُ مُنزَّلَةً مَنْزِلةَ العُقلاء الَّذِين إذا أمَرهُم أطَاعُوا وأذعَنُوا، وإذا دعَاهُم سَمِعُوا وأجَابُوا؛ إِشْعَارًا بأنَّه ما مِن حيَوانٍ وجمادٍ وناطقٍ وصَامِتٍ إلَّا وهو منقادٌ لمَشيَّتِهِ غيرُ ممتَنعٍ على إرَادتِه.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: وجَعلناه له لَيِّنًا كالطِّين والعَجِين والشَّمْعِ يُصَرِّفهُ بيَدِه كيْفَ شَاء من غيْرِ نارٍ ولا ضَرْبٍ بمطْرَقَةٍ.

وقيل: لانَ الحَديدُ في يَده لِمَا أُوتي من شِدَّة القُوَّة.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

وقرئ: "صَابغاتٍ".

[٢٨٩ظ] وقوله: (ما يُسْمَع) أي: مثلُ ما يُسمع؛ لأنّ عين / ما يُسْمَع مِن المُسبّح يستحيل أن يُسمَع منه؛ لأنّ الصوت الواحد في الآنِ الواحدِ لا يكون في محلَّين، وهو ظاهر. وقوله: (**معجزةً**) حال مِن "ما"، وهو فاعل (**فيُسمَع**).[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ "أن" مفسِّرة. وقيل: مصدريّة.

وهي الدُّرُوعُ الواسِعةُ الضَّافِيَةُ، وهُو أَوَّلُ مَن اتَّخذهَا، وكانَت قَبلُ صَفَائحَ.

وقيل: كان يَبيعُ الدِّرعَ بأَرْبعَة آلافٍ فيُنفِقُ منها على نفسِه وعيَاله ويتصَدَّقُ على الفُقراء.

وقيل: كان يَخْرُجُ حِين مَلَكَ بني إسرائيل مُتنكِّرًا فيَسْأَلُ النَّاسَ عن نفْسِه ويقُول لَهُم: ما تقُولُونَ في داوُدَ؟ فَيُثنُون عَليه، فقَيَّضَ اللهُ لهُ مَلَكًا في صُورَة آدَميٍّ، فسَأله عَلى عَادَتِه، فقال: نِعْمَ الرَّجلُ لولَا خَصْلةٌ فيه، فرِيعَ داودُ فسَأله، فقال: لولا أنَّه يُطعِمُ عِيَاله من بَيْت المال، فسأَلَ عند ذلك رَبَّهُ أن يُسبِّبَ له ما يَستَغنِي به عن بيْتِ المالِ، فعَلَّمه صنْعَة الدُّرُوع.

﴿وَقَدِّرْ﴾: لا تجعَلِ المسَامِيرَ دِقَاقًا فَتقلَقَ، ولا غِلَاظًا فتفْصِمَ الحَلَقَ. و"السَّرْدُ": نَسْجُ الدُّروعَ.

﴿وَٱعۡمَلُواْ﴾ الضَّميرُ لدَاوُد وأهْلِه.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾

﴿و﴾سخرنا ﴿لِسليمان الرِّيحَ﴾ فيمَن نصَبَ، و: ﴿لِسُليمان الرِّيحُ﴾ مُسَخَّرَةٌ، فيمَن رَفع، وكذلك فيمَن قَرأ: ﴿الرِّياحُ﴾ بالرفع.

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾: جَرْيُهَا بالغَداةِ مَسيرةُ شَهْرٍ، وجَرْيُهَا بالعَشيِّ كذلك.

وقُرِئَ: "غَدْوَتُها ورَوْحَتُها".

وعن الحسن: كان يَغْدُو فيَقيلُ بإصْطَخرَ ثمَّ يَرُوحُ فيَكُونُ رواحُه بكابُل.

قولـه: (الضافيـةُ)[١] الضَّفْـوُ: السُّبُوغ. وضَفـا الشـيءُ يَضفـو. وثَـوبٌ ضـافٍ، أي: سـابغٌ.[٢]

قوله: (مسيرةُ شَهْرٍ) أي: سَيْرُ شهر. فهي مصدر ليصحَّ حملُها على جَرْيِها، ولو جعلتَها مكانًا أو زمانًا لا يصحّ.

---

[١] ن: الضيافية.

[٢] الصحاح للجوهري، «ضفا».

ويُحكى: أنَّ بعضَهُم رأى مكتُوبًا في منزلٍ بناحيةِ دجلةَ كَتبهُ بعضُ أصحَابِ سُليمانَ عليه السَّلام: نحنُ نزلنَاهُ وما بنينَاه، ومبنيًّا وجدناهُ، غدونَا من إصْطَخْرَ فقُلنَاه، ونحنُ رائحونَ منه فبائتُونَ بالشَّامِ إن شاءَ الله تعالى.

"القِطْرُ" النُّحاسُ المذابُ من القَطِرَانِ.

فإن قلتَ: ماذا أرَادَ بـ"عينِ القطرِ"؟

قلتُ: أرادَ بها معدنَ النُّحاسِ، ولكنَّهُ أسالهُ كما آلانَ الحديدَ لداودَ عليه السلام فنبعَ كما ينبعُ الماءُ من العينِ، فلذلكَ سمَّاهُ عينَ القِطْرِ باسمِ ما آلَ إليهِ؛ كما قَالَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف ١٢/٣٦].

وقيلَ: كان يَسيلُ في الشَّهرِ ثلاثَةَ أيَّامٍ بإذنِ ربِّهِ بأمْرِهِ.

قوله: (﴿ٱلۡقِطۡرِ﴾[١] النُّحاس المُذاب) قال المطرّزي في **المُغرب**: «القِطْر -بالكسر-: النحاس، وقيل: الحديد المُذاب، وكلُّ ما يُقطر بالذَّوب كالماء، يقال: قَطَر الماء؛ سالَ، قَطْرًا وقَطَرانًا بفتحتين، وقطَّرَ الماءَ؛ صَبَّه، تقطيرًا، وقَطَره مثله، قَطْرًا،[٢] وأقطَرَه[٣] لغةٌ فيه».[٤]

قوله: (مِن القَطِران) أي: هو مأخوذ مِن معنى القطران.[٥]

قوله: (ولكنّه أسالَه) الضمير مِن "أسالَه" يجوز أن يعود إلى "النُّحاس"، ويجوز أن يعود إلى "المَعدِن"، كقولهم: سالَ الوادي، وجرى المِيزابُ. وكذا الضمير في "نَبعَ".[٦] يعني: أسالَ الله النحاسَ في المَعدِن فنبع النحاس، فصار المَعدِن مَنبعًا، أي: عينًا، فلذلك قال الله[٧] تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ تسميةً بما يئول إليه؛ لأنّه أساله[٨] فصار عينًا، كما أنّه عصَره فصار خمرًا. أو نقول: أسالَ النُّحاس فيه فصار عينًا، كما أنّه عصَره فصار خَمرًا.

---

١ ن: **القِطر**.

٢ ن - قَطْرًا.

٣ ن: أو أقطره.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «قطر».

٥ ن - قوله: (مِن القَطِران) أي: هو مأخوذ مِن معنى القطِران.

٦ وفي هامش د ف: نَبع الماءُ يَنبُعُ ويَنْبَعُ. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «نبع».

٧ ن ف - الله.

٨ ن: أمثاله.

﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ﴾: ومَن يَعدِلُ ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ الَّذِي أمرناه به من طاعَةِ سُلَيمانَ عليه السَّلام.

وقُرِئ: "يُزِغ" من أزاغَهُ.

و﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: عَذابُ الآخرَةِ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه.

وعَن السُّدِّي: كانَ معَهُ ملكٌ بيدِهِ سَوطٌ من نارٍ كُلَّما استَعْصَى علَيهِ ضَربهُ من حَيثُ لا يراهُ الجِنِّيُّ.

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾

"المحاريبُ": المسَاكِنُ والمجالِسُ الشَّريفَةُ المصُونَةُ عنِ الابتِذَالِ، سُمِّيت محَارِيبَ لأَنَّهُ يُحَامَى عليها ويُذَبُّ عنها. وقيلَ: هي المساجِدُ.

و"التَّماثِيلُ": صُورُ الملائكةِ والنَّبِيِّينَ والصَّالحِينَ، كانَتْ تُعمل في المسَاجِدِ من نُحَاسٍ وصُفرٍ وزُجَاجٍ ورُخَامٍ ليراها النَّاسُ فيعبُدُوا نحو عبادَتِهم.

فإن قلتَ: كيفَ استجازَ سُليمَانُ عليهِ السَّلام عمَلَ التَّصاوِيرِ؟

قلتُ: هذا ممَّا يجُوزُ أن تختلفَ فيهِ الشَّرائعُ؛ لأَنَّهُ ليس من مقبَّحاتِ العقلِ كالظُّلمِ والكَذبِ.

وعن أبي العَاليةِ: لم يكُنِ اتِّخَاذُ الصُّورِ إذ ذاك مُحرَّمًا.

ويجُوزُ أن يكُونَ غيرَ صُورِ الحيوانِ، كصُوَرِ الأشجَارِ وغيرِها؛ لأَنَّ التمثال كلُّ ما صُوِّر على مثلِ صُورَةِ غيرِه من حيوانٍ وغيرِ حيَوَانٍ، أو تصوَّرُ محذُوفَةَ الرُّؤُوسِ.

قوله: **(عن الابتذال)** ابتذال[1] الثوب وغيره: امتهانه.

قوله: **(مِن مُقبِّحات العقل)** عند المعتزلة إنّ ما يكون مِن مُقبِّحات العقول لا يجوز أن يختلف فيه الشرائع، وأمّا غير ذلك فيجوز. وعند أهل السنّة يجوز في الجميع؛[2] إذ التقبيح العقليّ باطل عندهم.

---

[1] ن: الابتذال.

[2] ن: الجمع.

ورُويَ أنَّهُم عَمِلُوا لهُ أسدَين في أَسْفل كرسِيّهِ ونَسْرَين فَوقَهُ، فإذا أرَادَ أن يصعَدَ بسطَ الأَسدَانِ لهُ ذرَاعَيهِمَا، وإذَا قعَدَ أظَلَّه النَّسران بأجنِحَتِهِمَا.

و"الجَوَابِي": الحياضُ الكِبَارُ، قال:

تَـرُوحُ على آلِ الـمُحَلَّقِ جَفنةٌ كـجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقيِّ تَفْهَقُ

لأنَّ الماءَ يُجبَى فيها؛ أي: يُجمَعُ، جُعِل الفِعْلُ لها مجَازًا، وهي منَ الصِّفَاتِ الغَالِبةِ كالدَّابَّةِ.

وقيلَ: كانَ يَقعدُ على الجَفْنَةِ ألفُ رَجُلٍ.

وقُرِئَ بحَذفِ الياءِ اكتِفَاءً بالكسرةِ، كقَولِه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر ٥٤/٦].

﴿رَاسِيَٰتٍ﴾: ثابِتَاتٍ على الأَثَافِي لا تُنْزَلُ عنها لِعِظَمِهَا.

﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ حكايَةُ ما قِيلَ لآلِ داوُدَ، وانتَصَبَ: ﴿شُكْرًا﴾ عَلى أنَّهُ مفعُولٌ لهُ؛ أي: اعْمَلُوا للهِ واعبُدُوهُ على وَجهِ الشُّكرِ لنَعْمَائِهِ، وفيهِ دَلِيلٌ على أنَّ العِبَادةَ يجبُ أن تُؤدَّى على طرِيقِ الشُّكْرِ. أو على الحالِ؛ أي: شَاكِرِينَ. أو على تقديرِ:

قوله:

(تـــروح علـــى آل).... البيـــتَ[١]

فَهِقَ الإناء -بالكسر- يَفْهَقُ فَهْقًا وفَهَقًا إذا امتلأ حتّى تصبَّبَ.[٢] والبيت[٣] للأعشى. وقوله: **(لها)**[٤] أي: للجابية. يقال: جَبَيتُ الماء وجَبَوتُه، أي: جمعتُه.[٥]

قوله: **(على الأثافي)** الأُثفيّة للقِدْر، تقديره: أُفعُولة، والجمع الأثافيّ، وإن شئتَ خفّفتَ. **صحاح**.[٦]

قوله: **(أو على تقدير: اشكروا)** يعني: يكون منصوبًا بـ"اشكروا" مقدَّرًا، وإنّما حُذف لدلالة ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ عليه.

---

١ للأعشى في **ديوانه**، ص ٢٢٥، بلفظ:
نفى الـذمَّ عن آلِ الـمُحلِّقِ جَفنَةٌ

٢ ن: تصبّ. | **الصحاح** للجوهري، «فهق».

٣ ف - والبيت.

٤ وفي هامش د ف: أي: للحِياض الكبار.

٥ **الصحاح** للجوهري، «جبا».

٦ ن - قوله: (على الأثافي) الأُثفيّة للقِدْر، تقديره: أُفعُولة، والجمع الأثافيّ، وإن شئتَ خفّفتَ. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «ثفي».

اشكُروا شكرًا؛ لأنَّ ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ فيه مَعنَى: اشكُرُوا، من حَيثُ إنَّ العملَ للمُنعِمِ شُكرٌ له.

ويجُوزُ أن ينتَصِبَ بـ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ مَفعُولًا بهِ، ومَعناهُ: إنَّا سخَّرنَا لكُم الجنَّ يَعملُون لكُم ما شِئتُم، فاعْمَلُوا أنتُم شكرًا، على طَرِيقِ المشاكلةِ.

و"الشَّكورُ": المتوفِّرُ عَلى أدَاءِ الشُّكرِ، البَاذلُ وُسْعَهُ فيه، قَد شَغَلَ به قلبَهُ ولِسَانَهُ وجَوَارِحَهُ -اعتِقَادًا واعتِرَافًا وكَدحًا- وأكثرَ أوقَاتِه.

وعَنِ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: مَن يَشكُرُ على أحوَالِه كُلِّها.

وعن السُّدِّي: مَن يَشكُرُ على الشُّكر.

وقيل: مَن يَرى عَجْزه عن الشُّكرِ.

وعن داوُد: أنَّه جَزَّأَ سَاعَاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ على أَهْلِه، فلم تكُنْ تَأتِي سَاعَةٌ من السَّاعَاتِ إلَّا وإنسَانٌ من آلِ داوُد قائمٌ يُصَلِّي.

وعن عُمرَ رضي الله عنه أنَّه سمِعَ رجُلًا يقُول: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي من القَليلِ، فقَال عُمرُ: ما هذا الدُّعَاء؟ فقال الرَّجُلُ: إنِّي سمِعْتُ اللهَ يقولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فأنا أَدْعُوه أَنْ يجعَلَنِي من ذلك القليل، فقال عُمَرُ: كُلُّ النَّاسِ أَعْلم مِن عُمَر.

قوله: (مفعولًا به) فلا يحتاج إلى تقدير "اشكروا"، فيكون قوله: "اعملوا شُكرًا" مِن باب المشاكلة لقوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ﴾ كما ذكره.

قوله: (قلبَه[1] ولسانَه)... إلخ فيه لفّ ونشر، أي: قلبَه اعتقادًا، ولسانَه اعترافًا، وجوارِحَه كَدْحًا. وإنّما خصّ الكَدْح بالجوارح لأنّ المشقّة العظيمة في أعمال الجوارح أشدّ مِن الاعتقاد بالقلب والاعتراف باللسان. والكَدْح: الكَدُّ، يقال: هو يَكدَح في كذا، أي: يَكُدُّ.[2]

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[3] «مَن يَشكر») أي: الشّكور مَن يَشكر.

قوله: (وعن السُّدّي: «مَن يَشكر») أي: الشّكور مَن...

[1] ن: وقلبه.
[2] الصحاح للجوهري، «كدح».
[3] د - رضي الله عنهما.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قُرئ: "فلمَّا قُضِي عليه المَوْتُ".

و"دَابَّةُ الأَرضِ": الأَرَضَةُ، وهيَ الدُّويْبَّةُ التي يُقال لَهَا: السُّرفَةُ، والأَرْض فِعْلُها فأُضِيفَت إليه، يُقال: أُرِضَت الخَشبةُ أَرْضًا: إذَا أكَلَتْهَا الأرَضَةُ.

وقرئ بفَتْحِ الراء مِن أَرِضَتِ الخشبَةُ أَرَضًا، وهُو من بَاب فَعَلْتُه ففَعِلَ؛ كقولك: أَكَلَتِ القَوادحُ الأسنَانَ أكْلًا، فأكِلَتْ أَكَلًا.

و"المِنْسَأَةُ": العصَا، لأنَّه يُنسَأ بها؛ أي: يُطرَدُ ويُؤخَّرُ، وقرئ بفتح المِيم وبتَخفيفِ الهَمزة قلبًا وحَذْفًا، وكلاهُما لَيْس بقيَاسٍ، ولكنْ إخراجُ الهَمزة بيْنَ بَينَ هو التخفيفُ القِيَاسيُّ.

قوله: (**يقال لها: السُّرْفَةُ**) السُّرْفة: دُوَيبّةٌ[١] تتّخذ لنفسه[٢] بيتًا مربَّعًا مِن دُقاقِ العِيدان، تَضُمُّ بعضها إلى بعض بلُعابها على مثال الناووس،[٣] ثمّ تَدخُل فيه وتموت، / ويقال في المَثل: «هو أصنَعُ مِن سُرْفة»،[٤] وقد سَرَفت السُّرْفةُ الشجرة تَسْرُفُها سَرْفًا إذا أكلَت ورقها.[٥] [٢٩٠و]

قوله: (**والأَرْضُ فِعلُها**) أي: أَكلُها[٦] الخشبَ. يشير إلى أنّ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر.

قوله: (**القوادح**) القادحة: الدودة.

قوله: (**و"المِنسأة" العصا**) قرأ أبو عمرو: ﴿مِنسَاتَهُۥ﴾ بغير همز.[٧] قال المُبرّد: «بعضُ العرب تُبدِل مِن همزتها ألفًا، يقولون: مِنساة»، وأنشد:

إذا دَبَبْتَ على المِنْساةِ مِن كِبَرٍ فقد تباعدَ عنك اللّهو والغَزَلُ[٨]

---

١ ف: دُوَيْبَة.

٢ كذا في النسخ الخطّيّة، وفي **الصحاح**: "لنفسها".

٣ الناووس: مقبرة النصارى. انظر: **المُغرب** للمطرّزي، «نوس».

٤ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٤١١/١.

٥ **الصحاح** للجوهري، «سرف».

٦ ن: أدلها.

٧ وكذا نافع وأبو جعفر. وقرأ ابن عامر بخُلف عن هشام بهمزة ساكنة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٤٩/٢.

٨ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤٨٩/٣ (سبأ، ١٤/٣٤). والبيت بغير نسبة كذلك في **الصحاح** للجوهري، ←

و: "مِنسَاءَتَه" عَلى مِفعَالةٍ، كما يُقال في المِيضَأَةِ: مِيضَاءةٌ.

و: "مِن سَأتِهِ"؛ أي: من طَرف عصَاه، سُمِّيت بسَأةِ القَوْسِ على الاستعارة، وفيها لُغتَانِ كقَولهم: قَحَةٌ وقِحَةٌ.

وقرئَ: "أكَلَتْ مِنسَأتَه".

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من تَبيَّن الشيءُ: إذا ظَهر وتجَلَّى، و﴿أَن﴾ مَع صِلَتها بدَلٌ من ﴿ٱلْجِنُّ﴾ بدَل الاشتمال؛ كقَولك: "تبيَّنَ زيْدٌ جَهْلُه" والظُّهُور له في المَعنى؛ أي: ظهَر أنَّ الجنَّ ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ﴾، أو: عَلِمَ الجِنُّ كُلُّهم

قوله: (و"مِنْسَاءَتَهُ") أي: وقُرِئَ.[1]

قوله: (في المِيضأة: المِيضاءةُ) و"المِيضاءة" على مِفْعَلة ومِفْعَالة: المِطْهَرة التي يُتوضّأ منها.[2]

وقوله: (و"مِن سَأَتِهِ")[3] أي: وقُرِئَ.[4]

قوله: (بِسَأة القَوس) "سَأةُ القوس" ما عُطف عليه مِن طرفَيه. قال أبو عُبَيد:[5] «كان رؤبة يهمِز 'سأة القوس'، وسائر العرب لا تهمِز».[6] و"حافرٌ وَقَاحٌ": صُلْبٌ، والجمع وُقُحٌ، مثل: قَذال وقُذُل، وقد وَقُحَ -بالضمّ- يَوقحُ وَقاحة[7] ووُقُوحة وَوُقْحًا بالضمّ، يُخفَّف ويُثقَّلُ، وقِحة وقَحة،[8] والهاء عوض مِن الواو.[9]

قوله: (أو عَلِمَ الجِنُّ) عطفٌ على قوله: (﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ مِن "تبيّن" إذا ظهر)،

← «نسأ»؛ ولسان العرب لابن منظور، «نسأ». | وفي هامش د ف: قال في الكواشي: «قُرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبًا وحذفًا». | تفسير الكواشي، ٤٢٥و. وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٩.

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة وعيسى البصرة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٩.

٢ المُغرب للمطرّزي، «وضأ».

٣ ن: ساءته.

٤ د - وقوله: (و"مِن سَأَتِهِ") أي: وقرئ. | وقعت هذه الحاشية في ف متقدّمة على سابقتها، وكتب فوقها: "مقدّم". | قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٩.

٥ في مطبوع الصحاح: "أبو عبيدة".

٦ الصحاح للجوهري، «ثدا».

٧ ن: وَقاحة.

٨ ن: وقُحه.

٩ الصحاح للجوهري، «وقح».

عِلمًا بَيِّنًا بعدَ التِباسِ الأَمْرِ على عَامَّتِهم وضَعَفَتِهِم وتَوهُّمِهِم أنَّ كبارَهُم يَصْدُقُونَ في ادِّعائهم علمَ الغَيْب، أو: عَلِمَ المُدَّعُون عِلمَ الغَيْب منهُم عَجْزَهُم وأَنَّهُم لا يَعلمونَ الغَيْبَ وإن كانوا عَالِمِين قبْلَ ذلك بحَالهم، وإنَّما أُرِيدُ التَّهكُّمُ بهم كما تَتهَكَّمُ بمُدَّعِي البَاطِلِ إذا دَحَضَتْ حُجَّتُه وظَهر إبْطالُه بقَولك: "هَلْ تَبَيَّنْتَ أنَّكَ مُبْطِلٌ؟"، وأنتَ تعْلم أنَّه لم يَزلْ لذلك مُتبَيِّنًا.

وقرئ: ﴿تُبُيِّنتِ الجِنُّ﴾ على البناء للمفعول على أن المتبيَّنَ في المَعنى هو ﴿أن﴾ معَ ما في صِلَتها لأنَّه بدَلٌ.

وفي قراءة أُبَيّ: "تَبيَّنتِ الإنسُ".

وعن الضحاك: "تبَاينَتِ الإنسُ" بمعنى: تعَارَفتْ وتعَالَمَتْ.

والضَّميرُ في ﴿كَانُوا۟﴾ للجنِّ في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: عَلِمتِ الإنسُ أَنْ لو كان الجِنُّ يَصْدُقُونَ فيما يُوهِمُونَهُم مِن عِلمِهم الغَيْبَ ما لبِثُوا.

وفي قراءة ابن مَسعُود: "تبيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجِنَّ لو كانُوا يَعلمُون الغَيْب".

يعني: يجوز أن يكون "تبيّن" بمعنى عَلِمَ، فيكون ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾... إلخ في محلّ النصب على أنّه مفعوله. يقال: تبيّنَ الشيء وتبيَّنه، يتعدّى ولا يتعدّى.

قوله: **(وتوهّمِهم)** أي: توهّم عامّتهم وضَعَفتهم.

قوله: **(عَجْزَهم)** تنازع فيه "عَلِمَ الجِنُّ" و"عَلِمَ المُدَّعون". أو نقول: هو[١] معمول للثاني، وحُذف مفعول الأوّل[٢] لدلالة هذا عليه، ويؤيّد الوجهَ الأخير قولُه: **(وإن كانوا عالِمين)**... إلخ، فتأمّل. ثمّ إنّ قوله: "وإن كانوا عالِمين" متعلّق بمحذوف، كأنّه قال: قبل ذلك وإن كانوا عالِمين، وأريدَ التهكّم.

قوله: **(التهكّمُ بهم)** التهكّم على هذا الوجه الأخير. وكذا قوله: "وإن كانوا".

قوله: **(والضمير)**... إلخ هذا على قراءة الضحّاك وأُبيّ رضي الله عنهما.[٣]

---

١ ف: هم.

٢ ف: للأوّل.

٣ د – رضي الله عنهما. | أي: "تَبَيَّنَتِ الإِنسُ"، و"تَبَايَنَتِ الإِنْسُ"، وهما قراءتان شاذّتان. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/١٨٨؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٨٩.

رُوِيَ أَنَّه كان من عَادة سُليمان أن يَعتكِفَ في مَسْجدِ بيت المَقْدِس المُدَدَ الطِّوالَ، فلمَّا دَنا أجَلُهُ لم يُصْبِحْ إلّا رَأى في مِحرابهِ شجَرةً نابتةً قد أَنْطقَها اللهُ، فيَسألُهَا: لأيِّ شَيْءٍ أنتِ؟ فتَقولُ: لِكذا، حتَّى أَصْبَح ذاتَ يَوْمٍ فرَأى الخَرُوبةَ فسَألَهَا فقَالتْ: نَبتٌ لخَراب هذا المسجد. فقال: ما كان الله ليُخَرِّبَه وأنَا حيٌّ، أنْتِ الَّتي عَلى وَجْهكِ هَلاكِي وخرابُ بيتِ المَقْدسِ، فنَزعَها وغرسَها في حَائِطٍ له، وقال: «اللّٰهم عَمِّ عَلى الجنِّ مَوْتي حَتَّى يَعْلمَ النَّاسُ أنّهم لا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ»، لِأَنَّهم كانوا يَسْترِقُون السَّمع ويُمَوِّهُونَ على الإِنسان أنَّهم يَعْلمُون الغيْبَ، وقال لملَكِ الموت: «إذا أُمِرتَ بي فأَعْلمْنِي»، فقَال: أُمِرْتُ بكَ وقَد بَقِيَتْ مِن عمُرك ساعَةٌ، فَدعَا الشَّياطِينَ فبَنوا عَليه صَرْحًا مِن قَواريرَ ليس له بابٌ، فقَام يُصَلِّي مُتَّكِئًا على عصَاهُ فقُبِضَ رُوحُه وهو مُتَّكِئٌ عَليهَا، وكانَت الشَّياطِين تَجتمِعُ حولَ محْرابه أَينمَا صَلَّى، فلم يكُن شَيْطَانٌ يَنظُر إليه في صَلاتهِ إلَّا احتَرقَ، فمرَّ به شيطَانٌ فلم يَسْمَع صَوْتَه ثمَّ رجَع فلم يَسْمَع، فنَظرَ فإذا سُليمانُ قد خَرَّ مَيّتًا، ففَتحُوا عَنه فإذا العَصَا قَدْ أكَلتْهَا الأرَضَةُ، فأَرَادُوا أن يَعْرِفُوا وَقْتَ مَوتهِ فوَضعُوا الأَرضَة على العَصا فَأكَلت منْها في يَومٍ ولَيْلةٍ مِقْدارًا، فحَسَبُوا عَلى ذلك النَّحو فوَجَدُوه قَدْ ماتَ مُنذ سَنَةٍ، وكانُوا يَعْمَلُونَ بين يَدَيْه ويحسبُونَه حَيًّا، فأَيْقَن النَّاسُ أَنَّهم لو عَلِمُوا الغيْبَ لمَا لَبِثُوا في العَذاب سَنةً.

ورُوي أنَّ داوُد أَسَّسَ بنَاء بيْتِ المَقْدِس في مَوْضِع فُسْطَاطِ مُوسَى عليه السلام، فماتَ قبْلَ أن يُتِمَّهُ، فوَصَّى به إلى سُليمانَ، فأمَر الشياطينَ بإتمامِه، فلمَّا بَقِي مِن عُمره سَنةٌ سألَ أن يُعَمَّى عَليهم مَوْتُه حَتَّى يَفرغُوا مِنْه، ولتَبطُلَ دَعْواهم عِلمَ الغيب.

قوله: (**الخرَوبةَ**) الخَرُوب: نَبْتٌ، وقيل: شجر الخَشْخاش، وهو الذي تشاءَمَ به سليمان عليه السلام.[1]

قوله: (**عَمِّ**) مِن التَّعْمِية.

قوله: (**فُسْطاط**) الفُسْطاط: الخَيمة. و"**فُسطاط**": مدينةُ مِصر.[2]

---

١ **المُغرب** للمطرّزي، «خرب».

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فسط».

وروي: أن أفريدُونَ جاء ليَصْعَد كُرسيَّهُ، فلمَّا دَنا ضرَبَ الأسَدانِ سَاقَه فكسَراهَا فَلم يَجسُر أحَدٌ بَعدُ أَن يَدنُوَ مِنه.

وكان عُمرُ سُليمان ثلاثًا وخمسين سنةً: ملَكَ وهو ابنُ ثلاثَ عَشْرةَ سنةً، فبَقي في مُلكِه أربعين سنةً، وابتدَأ بِناء بيت المَقْدِسِ لأَرْبعِ مَضَيْنَ من مُلْكِه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

قرئ ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصَّرف ومَنْعِهِ، وقلْبِ الهَمزة ألِفًا. و﴿مَسْكنهم﴾ بفتح الكاف وكسْرهَا، وهو مَوضِع سكناهُم، وهُوَ بلَدُهمْ وأَرْضُهم التي كانوا مُقِيمينَ فيها، أو مَسْكنُ كلِّ واحدٍ منهم، وقرئ: ﴿مسَاكنِهم﴾.

و﴿جَنَّتَانِ﴾ بَدَلٌ من ﴿ءَايَةٌ﴾، أو خَبرُ مُبتدإٍ محذُوفٍ تَقْديرُه: الآيةُ جنَّتانِ، وفي الرَّفع معْنَى المَدْح تَدُلُّ عَليه قراءةُ مَنْ قَرأ: "جنَّتيْنِ" بالنَّصب عَلى المَدح.

فإن قلتَ: ما مَعْنى كَوْنهما آيةً؟

قلتُ: لم يَجعَل الجَنَّتيْنِ في أَنفُسِهما آيةً، وإنَّما جعَل قصَّتَهُما وأَنَّ أَهْلَهُمَا أَعرَضُوا عَن شُكر اللهِ عَليهما فخَرَّبهُما وَأبْدَلَهُم عَنهما الخَمْطَ والأَثْلَ آيةً وعِبْرةً لهُم ليَعْتَبِرُوا ويَتَّعِظُوا فلا يَعُودُوا إلى ما كانوا عَليْه مِن الكُفْر وغَمْطِ النِّعَم.

ويجوز أن تجعَلهما آيةً؛ أي: عَلامةً دالَّةً على الله وعلى قُدْرتِه وإحسَانِه ووُجوبِ شُكرِهِ.

قوله: (**أو مَسْكَنُ كُلِّ واحد**) هذا بيان أفراد المَسكن، كانت مساكنُهم بمَأْرِبَ[1] مِن اليمن.

قوله: (**الخَمْطَ**) ضرب مِن الأراك له حَمْلٌ يُؤكل. وقوله: (**آيةً**) مفعول ثانٍ لـ(**جعل**).

قوله: (**ويجوز أن يجعلهما**[2] **آيةً**) لكونهما جَنَّتيْنِ كثيرتَي النِّعَم، مشتملتَين

---

[1] وفي هامش د ف: و"مَأْرِبُ" موضع، ومنه مِلْحُ مَأْرِبَ. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «أرب».

[2] في مطبوع **الكشّاف**: "تجعلهما".

فإن قلتَ: كيف عَظَّم الله جَنَّتي أَهْلِ سَبأٍ وجَعلهما آيةً ورُبَّ قريةٍ من قرياتِ العِراق يَحْتَفُّ بها من الجِنَانِ ما شِئْتَ؟

قلتُ: لم يُرِدْ بُستَانَيْنِ اثنَيْن فحسبُ، وإنَّما أرَادَ: جَماعتين منَ البَساتينِ: جَماعةً عن يمينِ بَلَدهم، وَأُخرَى عن شِمالهَا، وكلُّ واحدَةٍ من الجَماعتيْنِ في تَقارُبهَا وتضَامِّها كأنَّها جَنَّةٌ واحِدةٌ، كما تكُون بلادُ الرِّيفِ العَامرةُ وبَساتينُها.

أَو أراد: بُستَانَيْ كُلِّ رجُل منهم عن يمينِ مَسْكنِه وشِماله؛ كما قال: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ﴾ [الكهف ٣٢/١٨].

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إمَّا حِكايةٌ لمَا قال لهم أنبيَاءُ الله المَبْعُوثُونَ إِلَيْهم، أو لِمَا قال لهُم لسَانُ الحَال، أو هُم أحقَّاءُ بأَنْ يُقالَ لهُم ذلك.

ولمَّا قال: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ أَتْبعَهُ قولَه: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يَعني: هذه البَلْدةُ التي فيهَا رِزقُكم بَلْدَةٌ طيِّبَةٌ وربُّكم الَّذِي رزَقكم وطَلَبَ شُكرَكُم رَبٌّ غَفُورٌ لمَن شَكَرَهُ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت أخصَبَ البلادِ وأطيَبَها، تخرُج المرأةُ وعَلى رَأسِهَا المِكتَلُ فتَعملُ بيَدَيْها وتَسيرُ بيْنَ تِلك الشَّجر فيَمتَلِئ المِكتَلُ ممَّا يتسَاقَط فيه مِن الثَّمر.

﴿طَيِّبَةٌ﴾: لم تكُن بسَبِخَةٍ، وقيل: لم يكن فيها بَعُوضٌ ولا ذبابٌ ولا بُرْغُوثٌ ولا عَقْربٌ ولا حَيَّةٌ.

على أصناف الأشجار وأنواعِ الثمار، فتدلَّان على قدرة صانِعهما، وعلى إنعامه وإحسانه.

قوله: (**الريف**) الريف: أرض فيها زَرعٌ وخِصْب.[1]

قوله: (**المِكْتَلُ**) شِبه الزَّبيل يسع خمسة عشر صاعًا. والزَّبيل معروف، فإذا كسرتَه شددتَ وقلتَ: زِبِّيل أو زِنْبِيل؛ لأنّه ليس في الكلام "فَعْلِيل" بالفتح.[2]

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «ريف».

[2] **الصحاح** للجوهري، «زبل». | وفي هامش د ف: قوله: (لم تكن بسَبِخة)[(1)] أرض سَبِخة -بكسر الباء- ذات سِباخ. و"حفروا فأسبَخوا" بلغوا السِّباخ. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «سبخ». | [(1)] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "سَبِخة".

وقرئ: "بَلْدةً طيّبَةً وربًّا غفورًا" بالنَّصْبِ على المَدْح، وعن ثعْلَب: مَعناهُ: اسْكُن واعْبُد.

﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿ٱلْعَرِمِ﴾: الجُرَذُ الّذي نَقَب عَليْهم السِّكْرَ، ضَرَبتْ لَهُم بلقيسُ المَلكةُ بسَدٍّ ما بين الجَبلَيْنِ بالصَّخْر والقَار، فحقَنْت به ماء العُيُون والأَمْطار وَتركَتْ فيهِ خُروقًا على مِقْدارِ ما يحتَاجُون إليه في سِقيهِم، فلمّا طَغَوا -وقيل: بعَثَ اللهُ إلَيْهم ثلاثة عَشر نَبيًّا يدْعُونَهُم إلى الله وَيُذكِّرُونَهم نِعمَته عَليهم، فكَذَّبُوهم وقالوا: ما نَعرِفُ للهِ نعمةً- سَلَّط اللهُ على سَدِّهم الخُلْدَ فَنقَبَه من أَسْفَلِه فغَرَّقهُم.

وقيل: "العَرِمُ": جَمْع عَرِمَةٍ، ....

قوله: (وعن ثعلب:[1] معناه) أي: معنى النصب. فلا يكون نَصْبًا على المدح على قول ثعلب.[2]

[٢٩٠ظ] قوله: (الجُرَذُ) ضرب / مِن الفأرة، والجمع الجِرذان. وقوله: (السِّكْرَ) سَكَرَ النهرَ؛ سَدَّه، سَكْرًا، و"السِّكْرُ" -بالكسر- الاسم، وقد جاء فيه الفتح على تسميته بالمصدر.[3]

قوله: (سَلَّط الله) جواب "لمّا"، والتقدير: فلمّا طَغَوا سلّط الله. وتعلّق أيضًا بقوله: (وقيل:[4] بعَثَ)، والتقدير: ولمّا بعَثَ فكذّبوا سلّط الله.

قوله: (الخُلْدَ) "الخُلْدَ": ضرب مِن الجِرذان أعمى، سُمِّي خُلْدًا لإقامته عند جُحره.[5]

---

١ ن: ثلعب.

٢ ن: ثلعب.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «سكر».

٤ في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "قيل".

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خلد».

وهي الحجارةُ المَرْكُومةُ، ويُقالُ للكُدْسِ من الطَّعام: عَرِمَةٌ، والمرادُ: المُسنَّاةُ التي عَقَدُوهَا سِكْرًا.

وقيل: "العَرِمُ" اسمُ الوادي. وقيل: "العَرِمُ" المَطر الشديدُ.

وقرئ: "العَرْمِ" بسُكونِ الراء.

وعن الضَّحَّاك: كانوا في الفتْرَةِ التي بيْنَ عيسى ومحمَّدٍ عليهما السلام.

وَقرئ ﴿أُكل﴾ بالضَّم والسُّكُونِ، وبالتَّنوين والإضافَةِ.

و"الأُكلُ": الثَّمرُ، و"الخَمْطُ": شجرُ الأرَاكِ، وعن أبي عُبيْدَة: كلُّ شجَرٍ ذِي شَوْكٍ، وقال الزَّجَّاجُ: كُلُّ نبتٍ أَخَذَ طعْمًا من مَرارةٍ حَتَّى لا يُمكِنُ أَكْلُه.

و"الأَثْلُ": شَجرٌ يُشْبِهُ الطَّرْفَاء أَعْظمُ مِنه وأَجْوَدُ عُودًا.

ووجْهُ مَن نَوَّنَ: أَنَّ أَصْلهُ: ذوَاتَي أُكلٍ أُكلِ خَمْطٍ، فحُذف المضافُ وأُقيم المضافُ إليه مقَامَهُ، أو وُصِفُ الأُكْل بالخَمْطِ كأنَّه قيلَ: ذَواتَي أُكْلٍ بشعٍ.

ومَن أضَاف -وهو أبو عَمرٍو وَحْده- فلِأنَّ أُكْلَ الخَمْطِ في مَعْنى البَرِير، فكَأنَّه قيل: ذوَاتَي بَرِيرٍ.

والأَثلُ وَالسِّدر معْطُوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا عَلى ﴿خَمْطٍ﴾ لأنَّ الأَثْلَ لا أُكْلَ له.

وقرئ: "وأَثْلًا وشيئًا" بالنَّصْبِ عَطفًا على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾.

قوله: (المَرْكومة) ركَمَ[١] الشيء يَرْكُمهُ إذا جمَعه وألْقى بعضه على بعض، وارْتَكَم الشيءُ وتَراكَم إذا اجتمع.[٢]

قوله: (للكُدْسِ) "الكُدْس" -بالضمّ- واحدُ أَكْداسِ الطعام.[٣]

قوله: (والمراد: المُسَنّاة) "المُسَنّاة": ما يُبنى للسَّيلِ ليَرُدَّ الماء.[٤]

قوله: (بَرِيرٍ) "البَرِير": ثَمَر الأراك إذا كان غضًّا.[٥]

---

٦ ن: رَاكَم.

٧ **الصحاح** للجوهري، «ركم».

٨ **الصحاح** للجوهري، «كدس».

٩ **المُغرب** للمطرّزي، «سنو».

١٠ انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «برر».

وتَسميَةُ البدل جَنَّتينِ لأجْل المشاكلة، وفيه ضَرْبٌ من التَّهَكُّم.

وعن الحسن رحمه الله: قَلَّلَ السِّدرَ لأنَّه أكْرَمُ ما بُدِّلُوا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾

وقرئ: ﴿وَهَل يُجَازَى﴾ ﴿وَهَلْ نُجَٰزِي﴾ بالنُّون، "وهَل يُجَازِي" والفاعِلُ الله وَحْدَهُ، "وهل يُجزَى".

والمَعْنى: أَنَّ مِثلَ هذا الجزاءِ لا يَسْتحِقُّه إلَّا الكافِرُ وهو العِقابُ العاجِلُ.

وقيل: المُؤمنُ تكفَّرُ سيِّئاتُه بحَسناتِه، والكافر يُحْبَطُ عَملُه فيُجازَى بجَميعِ ما يَفْعَلُه مِن السُّوءِ.

ووجهٌ آخر: وهو أَنَّ الجزاء عَامٌّ لكُلِّ مُكافأةٍ، يُستَعْملُ تَارةً في مَعْنى المُعَاقَبةِ وأُخرَى في مَعْنى الإثَابة، فلمَّا استُعمِل في مَعْنى المُعَاقَبةِ في قولهِ: ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ -بمَعْنى: عَاقبنَاهُم بكُفْرهم- قيل: ﴿وهل يُجازَى إلا الكفورُ﴾ بمَعنى: وهَل يُعَاقَبُ؟ وهُو الوَجْه الصَّحيحُ.

وليْسَ لقائلٍ أنْ يقُولَ: لِمَ قِيل: ﴿وهَل يُجازَى إلَّا الكفُورُ﴾ على اختصَاصِ الكَفُورِ بالجزاءِ، والجزاءُ عَامٌّ لِلكافِر والمؤمِن؟ لأَنَّه لم يُرِدِ الجزاءَ العَامَّ، وإنَّما أرَادَ الخاصَّ وهُو العقَابُ، بل لا يجُوز أَنْ يُراد العُمُومُ وليس بمَوضعِه، أَلَا ترى أَنَّكَ لو قُلْتَ: "جَزيْنَاهُم بما كفَرُوا وهل يُجَازَى إلَّا الكافِرُ والمؤمِنُ" لم يَصِحَّ ولم يَسِدَّ كلامًا، فتَبيَّن أنَّ ما يُتخيَّلُ من السؤال مُضمَحِلٌّ، وأنَّ الصَّحِيحَ الَّذي لا يجُوزُ غيْرُه ما جَاء عَليه كلامُ الله الَّذي لا يَأتِيه البَاطِلُ منْ بيْنِ يَديْهِ ولا مِن خَلْفِه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾

﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هيَ قرى الشَّامِ ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: مُتواصِلةً يُرَى بَعضُها مِن بَعْضٍ لتقَارُبهَا، فهي ظاهِرَةٌ لأعْيُنِ النَّاظرينَ، أو: راكبَةٌ مَتْنَ الطَّريقِ ظاهِرةٌ للسَّابلةِ لم تَبْعُدْ عن مَسَالِكهم حَتَّى تَخفَى عَليهم.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ قيل: كان الغادي منهم يَقِيلُ في قَرْيةٍ والرَّائحُ يَبِيتُ في قَريةٍ إلى أنْ يَبْلُغَ الشَّام، لا يخَافُ جُوعًا ولا عطَشًا ولا عَدُوًّا، ولا يَحتاج إلى حَمْلِ زادٍ ولا مَاءٍ.

﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ وقُلْنَا لهُم: ﴿سِيرُواْ﴾، ولا قَولَ ثَمَّ ولكنَّهُم لمَّا مُكِّنُوا من السَّير وسُوِّيَتْ لهم أسبَابُه فكأنَّهم أُمِرُوا بذلك وأُذِن لهُم فيه.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾؟

قلتُ: معناه: سِيرُوا فيها إن شئتُم باللَّيل وإن شئتُم بالنَّهار، فإنَّ الأَمْن فيهَا لا يختلِفُ باختِلافِ الأوْقاتِ.

أَو: سيرُوا فيها آمِنينَ لا تخَافُونَ وإن تطَاولتْ مُدَّةُ سَفركُم فيهَا وامتَدَّتْ أيَّامًا ولَيَالي.

أو: سيرُوا فيها ليَاليَكُم وأيَّامَكُم مُدَّةَ أعْمَاركُم، فإنَّكم في كلِّ حِينٍ وزَمانٍ لا تَلْقَونَ فيهَا إلَّا الأمْنَ.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾

قرئ: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ و: ﴿بَعِّدْ﴾، و: "يَا رَبنا" على الدُّعاء.

بَطِرُوا النِّعمةَ، وبَشِمُوا مِن طِيب العَيْش، ومَلُّوا العَافِيَةَ، فَطلبُوا الكَدَّ والتَّعبَ

قوله: (بَطِروا) البَطَر: الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة.[١] ويقال: البَطَر: تجاوُز الحدِّ في المرَح.[٢] وقد بَطِرَ يَبْطَرُ[٣] بكسر الأوّل وفتح الثاني،[٤] وأبطَرَه المالُ، يقال: بَطِرتَ عَيشَك،[٥] أي: في عَيشِكَ.[٦]

قوله: (وبَشِموا) البَشَم: التُّخَمة، يقال: بَشِمْتُ مِن الطعام، وبَشِمْتُ منه بَشَمًا إذا سئِمتَ منه.[٧]

١ انظر: **معاني القرآن** للزجّاج، ١٥٠/٤.
٢ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، «بطر».
٣ ن: يبطِر.
٤ ف: المال.
٥ ن: عِيشك.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بطر».
٧ **الصحاح** للجوهري، «بشم».

كما طَلَبَ بنو إسرائيلَ البَصَل والثُّومَ مكانَ المَنِّ والسَّلوَى، وقالُوا: لو كان جَنْيُ جِنَانِنَا أبعَدَ كان أَجْدَرَ أَن نَشتَهِيَهُ، وتَمنَّوا أَنْ يَجعَلَ اللهُ بيْنَهُم وبيْن الشَّأم مَفَاوِزَ لِيَركبُوا الرَّواحِل فيها ويتَزوَّدُوا الأَزْوَادَ، فعجَّلَ اللهُ لَهُم الإجَابَة.

وقرئ: "ربَّنا بَعُد بَيْنُ أَسفارِنَا" و: "بُعِّد بينُ أَسفَارِنَا" على النداء وإسنادِ الفِعْل إلى "بَيْنُ" ورَفْعِه به، كما تقُول: "سِيرَ فرسخَان"، و: "بُوعِد بيْن أسفَارِنا"، وقرئ: ﴿ربُّنا باعَدَ بين أسَفارِنا﴾ و: "بينَ سَفَرِنَا"، و: "بَعَّدَ"، برَفْع "رَبُّنا" على الابتداء، والمعْنَى خِلافُ الأوَّلِ، وهو استبْعَادُ مسَايرهمْ على قِصَرِهَا ودُنُوِّهَا لِفَرْطِ تَنعُّمهِم وتَرفُّهِهِمْ كأنَّهم يَتشَاجَوْنَ على ربِّهم ويتَحَازَنُون عليه.

﴿أَحَادِيثَ﴾ يتحَدَّثُ الناسُ بهم ويتعَجَّبُونَ من أحوالِهِم، وفرَّقنَاهُم تَفْرِيقًا اتَّخذَهُ النَّاسُ مَثلًا مَضروبًا، يقولُونَ: "ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا" و: "تَفرَّقُوا أَيَادِي سَبَا"، قال كُثيِّر:

أيَـادِي سَبَا يَا عَـزَّ ما كنْتُ بَعْدكُم   فَلَـم يَحْـلَ بـالعَيْنَيـنِ بَـعْـدَكِ مَنْظَرُ

قوله: (جنَى جِنانِنا) الجَنَى: ما يُجتنَى مِن الشجر، والجَناة واحِده، يقال: أتانا بجَناةٍ طيِّبةٍ.[١] والجِنان: جمع جَنّة؛ وهي البستان. فقوله: "جَنَى جِنانِنا" أي: ثمرُ بُستانِنا.

قوله: (ورفعِه به) أي: بَعُدَت مسافة سَفَرنا.

قوله: (كانوا يتشاجَون) الشَّجْوُ: الحُزْن والهمُّ، وشجاه يَشجُوه، والتشاجي: إظهار الشَّجْو.[٢]

قوله: (وفرَّقْناهم تفريقًا) يشير إلى أنّ[٣] "ممزَّقًا" مصدر.

قوله: (أيادي سَبَا)... البيتَ.[٤] تقديره: يا عَزَّ كنتُ بعدكم أيادي سَبَا. و"ما" مزيدة.[٥] ويقال: حَلَى الشيء في فمي يَحلو، وحَلِيَ بعيني وقلبي يَحْلَى.[٦]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «جني».

٢ وفي هامش د ف: رجل شجٍ، أي: حزين. | **الصحاح** للجوهري، «شجا».

٣ ف - أنّ.

٤ لكُثيّر عزّة في **ديوانه**، ص ٢٥٤.

٥ ف: مريدة.

٦ **مجمل اللغة** لابن فارس، «حلا».

لَحِقَ غَسَّانُ بالشَّأمِ، وأَنمارُ بيَثْرِبَ، وجُذَامُ بتِهَامةَ، والأَزْدُ بعُمَانَ.

﴿صَبَّارٍ﴾ عن المعَاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنِّعَم.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾

قرئ ﴿صَدَّقَ﴾ بالتَّشديد والتخفيف ورَفْعِ ﴿إِبْلِيسُ﴾ ونصْبِ الظَّنِّ، فمَن شَدَّد فعَلى: حَقَّق عَلَيْهم ظَنَّه، أو: وَجَدهُ صَادِقًا. ومَن خفَّفَ فعَلى: صَدَق في ظنِّه، أو: صَدقَ يَظُنُّ ظَنًّا، نحو: فعَلْتَه جَهْدَك.

قولـه: (قُرئ: ﴿صَدَّقَ﴾)... إلخ هاتان القراءتان المذكورتان أوّلًا مِن السبعة،[1] والبواقي شاذّة.[2]

قولـه: (فعلى: حَقَّق عليهم ظنَّه) أي: مَظْنُونَه؛ لأنّه ظنَّ أوّلًا أنّه يُغْويهم،[3] فلمّا اتّبعوه صار مظنُونه معلومًا له.

قوله: (أو وَجدَه) أي: وجد ظنَّه صادقًا، كقوله:

فـإن يـكُ ظنّـي صـادقًـا وهـو صـادقـي[4]

قوله: (فعلى: صَدَق في ظنّه) قال الزجّاج: «صِدْقه في ظنِّه أنّه ظَنَّ بهم أنّه إذا أغواهم اتّبعوه، فوجدهم كذلك. فمَن شدَّد نصب "الظنَّ"؛ لأنّه مفعول به، ومَن خفَّف نصبه على معنى: صدَقَ عليهم في ظنّه».[5] وقال ابن قُتيبة:

---

[1] قرأ بتشديد الدال عاصم وحمزة والكسائي وخَلف، وقرأ باقي العشرة بتخفيفها. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٠/٢.

[2] أمّا "صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ" فمرويّة عن ابن يَعمر ويعقوب. وأمّا "صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ" فمرويّة عن الزهري وأبي الهجهاج والعلاء بن سيّابة. وأمّا "صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ" فمرويّة عن عبد الوارث عن أبي عمرو. وأمّا "صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ" فلم يظهر لي نسبتها. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١٩١/٢؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٠؛ **ومختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢٢؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٥٤٠/٨ (سبأ، ٢٠/٣٤).

[3] ن: يُقويهم.

[4] تمامه:

بشَـملةَ يحبِسـهم بهـا مَحبِسًـا وعِـرا

وهو لكنزة أمّ شملة بن برد المنقري. انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٠.

[5] انظر: **معاني القرآن** للزجّاج، ٢٥١/٤.

وبنَصْب "إبليسَ" ورَفْعِ الظَّنِّ، فمَن شدَّد فعَلى: وجَدَه ظنُّه صَادقًا، ومَن خَفَّف فعَلى: قال له ظَنُّهُ الصِّدقَ حِينَ خَيَّلَه إغواءَهُم، يقُولُونَ: "صَدَقكَ ظَنُّكَ".

وبالتَّخفيف ورفعِهمَا على: صَدَق عليهم ظنُّ إبليسَ، ولو قرئَ بالتَّشديد معَ رفعهمَا لكان على المُبَالغَة في "صَدَق" كقَوله:

صَـــدَّقَـــتْ فـيـهـم ظُـنُـونـي

ومَعْناه: أَنَّه حينَ وَجد آدمَ ضعيفَ العَزْم قَد أَصْغَى إلى وَسْوَستِه قال: إنَّ ذُرِيَّته أَضعَفُ عزمًا منهُ، فظَنَّ بهم اتِّباعَهُ وقال: لأُضِلَّنَّهم لأُغوِيَنَّهُم.

«إنّ إبليسَ لمّا سأل النَّظِرة فأُنظِرَ قال: لأُغوِينَّهم، ولم يكن مستيقِنًا، وإنّما قاله ظانًّا، فلمّا اتّبعوه وأطاعوه صدَّق عليهم ما[1] ظنّه فيهم».[2]

قوله: (**فعلى: وجَدَه ظنُّه صادقًا**) فكأنّ إبليس قال لِظنّه: إنّي أُغوِيهم، فلمّا أَغواهم كما قال إبليس[3] وجدَه ظنُّه صادقًا.

قوله: (**حين خيَّلَه**) أي: خيَّل الظنُّ إبليسَ.

قوله: (**يقولون: صدَقَ ظنُّك**) ابتداء كلام لبيان ما تقدّم. قال:

[٢٩١و] فإن يَكُ ظنِّي صادقًا وهو صادِقِي بِشَمْلةَ / تَحْبِسْهم[4] بها مَحْبِسًا أن لا[5]

قوله: (**وبالتخفيف ورفعِهما**) فـ"ظنُّه" بدل اشتمال.

قوله: (**كقوله**:

صـــدَّقَـــتْ فـيـهـم ظُـنُـونـي)

فَـدَتْ نفسي ومـا مـلكَتْ يميني فـــوارسَ صـدَّقـوا فيهم ظُنـونـي[6]

قوله: (**ومعناه**) أي: معنى قوله: ﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ﴾ على جميع القراءات.

قوله: (**قد أصغى**) خبر بعد خبر لـ"وَجَدَ"، أو حال مِن "آدم".

---

١ ن: يا.
٢ انظر: **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة، ص ٣١١.
٣ ن – إبليس.
٤ ن: تجسبهم.
٥ تقدّم قريبًا.
٦ لأبي الغَول الطُّهَوي. وهو في **الأمالي** لأبي علي القالي، ١/٢٦٠، بلفظ: "صدّقوا". ورواه غيره بلفظ: "صدَّقت". انظر: **سمط اللآلي** لأبي عبيد البكري، ١/٥٨٠؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٦/٤٣٥.

وقيل: ظَنَّ ذلك عنْدَ إخبارِ الله المَلائكةَ أنّه يَجعَل فيها من يُفسِدُ فيها.

والضَّميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿اتَّبَعوه﴾ إمَّا لِأَهْلِ سَبَأ أو لبَنِي آدمَ.

وقَلَّل المُؤمِنينَ بقَوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ لأنَّهُم قليلٌ بالإضَافةِ إلى الكفَّار؛ كما قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء ٦٢/١٧] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٧/٧].

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: من تَسلُّطٍ واستيلاءٍ بالوسوسَةِ والاستِغْواء، إلَّا لغَرضٍ صَحيحٍ وحِكمةٍ بيِّنَةٍ، وذلك أن يَتميَّز المُؤمِنُ بالآخرة مِن الشَّاكِّ فيها، وعُلِّل التَّسليطُ بالعِلْم والمُرادُ ما تَعلَّقَ به العِلمُ.

وقرئ: "ليُعْلَم" على البناء للمفعول.

﴿حَفِيظٌ﴾: مُحَافِظٌ عَليْه، وفَعيلٌ ومُفاعِلٌ مُتَآخِيَان.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله: **(وقَلَّل)** يشير به إلى أنّ ﴿مِن﴾ في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان.

قوله: **(ما تعلّق به العِلم)** وهو التميّز.[1]

قوله: **(و"فَعِيل" و"مُفاعِل" متآخِيان)** نحو: ضَجيع ومُضاجع، وعَوِين ومُعاون. وإنّما فسَّر المصنِّف "الحَفيظ" بـ"المُحافظ"[2] لأنّ "الحفيظ" هنا مِن معنى المحافظة، لا مِن معنى الحِفظ. يقال: حَفِظت الشيءَ حِفْظًا: حَرَسته، وحَفِظته أيضًا: استَظْهَرْتُه. والمحافظة:[3] المراقبة.[4] وهو المراد هنا.

---

[1] وفي هامش د ف: فيكون مِن قَبيل الكناية؛ لأنّ حصول العِلم مِن توابع حصول التميّز.

[2] ن: بالمحافظة.

[3] ن: المخافظة.

[4] **الصحاح** للجوهري، «حفظ».

﴿قُلِ﴾ لمُشركِي قَومِك: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ﴾ عَبَدْتمُوهُم من دُون الله من الأَصْنام والمَلائكةِ وسَمَّيتموهُم باسْمِه كما تَدْعُون اللهَ، والتَجِئُوا إليهم فيما يَعْرُوكم كما تَلتجِؤُونَ إلَيْه، وانتَظِرُوا استجَابَتَهُم لدُعَائكُم ورَحمتَهم كما تنتَظِرُون أَن يَستَجِيبَ لكم ويَرْحَمَكم.

ثمَّ أجَابَ عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خَيرٍ أو شَرٍّ أو نَفْعٍ أو ضَرٍّ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ﴾ في هذَينِ الجِنْسينِ مِن شِرْكةٍ في الخَلْقِ ولا في المُلكِ؛ كقَوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف ٥١/١٨] ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن﴾ عَوينٍ يُعِينُه عَلى تَدبير خَلقِه، يُريدُ: أَنَّهم عَلى هذه الصِّفة من العَجْز والبُعْد عن أحوالِ الرُّبوبيَّة، فكيف يَصِحُّ أَنْ يُدْعَوا كمَا يُدْعَى ويُرْجَوا كمَا يُرْجَى؟!

فإن قلتَ: أينَ مفْعُولَا "زَعَم"؟

قوله: **(الذين عبَدتُّموهم)** فسّر قوله تعالى: ﴿زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بقوله:[١] "عبدتُموهم"؛ لأنّ عِبادتهم إيّاها إنّما لزِمت مِن زُعمهم أنّها آلهة، فيكون هذا مِن قَبيل الكناية.[٢] وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: مجاوزين عبادةَ الله إلى عبادتهم.

قوله: **(ثمّ أجاب)** عطفٌ على محذوف؛ لأنّ قوله: **(قُل لمشركي قومِكَ)**... إلخ في معنى قوله: "قال: قل"، فكأنّ المصنّف قال: قال تعالى: قل لمشركي قومك... إلخ، ثمّ أجاب تعالى عنهم. ومعنى "عنهم"، أي: مِن قِبَلهم وجِهتهم، كما سُئل زيد مسألة، فتقول لزيد: أنا أُجيب عنك، أي: أنا أقوم مَقامك في الجواب.

وقوله: **(في الخلق)** بدل مِن قوله: **(في هذين الجنسين)** بدل الاشتمال، و"اللام" بدل مِن الضمير، كأنّه[٣] قال: ما لهم مِن شِرْكةٍ في خَلق هذَين الجنسين، ولا في[٤] مِلكِهما.

---

[١] ن - بقوله.

[٢] وفي هامش د ف: هذا إنّما يصحّ على مذهب صاحب **التلخيص**؛ فإنّه ما شرط أن يكون مِن توابعه، فإنّه لا فرقَ عنده بين المجاز والكناية في أنّ في كلّ منهما انتقالًا مِن المَلزوم إلى اللازم إلّا بالقرينة المانعة وعدمها. والحقّ أنّ قوله: "عبدتم" ليس بتفسير ﴿زَعَمْتُم﴾ حتّى نقول: إنّه كناية أو لا؛ بل نبيّن المعنى. | انظر: **تلخيص المفتاح** مع شرحه **عروس الأفراح** للسبكي، ١٣/٢.

[٣] ف: فكأنّه.

[٤] ن - في.

قلتُ: أحَدُهما الضَّميرُ المحْذُوف الرَّاجِعُ مِنه إلى المَوصُول، وأمَّا الثَّاني فلا يخلُو: إمَّا أن يكونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو مَحْذُوفًا، فلا يصِحُّ الأوَّلُ لأنَّ قولكَ: "هُم مِن دُونِ الله" لا يَلْتَئِمُ كَلامًا، ولا الثَّاني لأنَّهم ما كانوا يَزعمُونَ ذلك، وكيْفَ يتكلَّمُونَ بما هو حُجَّةٌ عليهم، وبما لَو قَالُوه قالُوا مَا هُوَ حَقٌّ وتَوحِيدٌ؟ فَبقِي أَنْ يكُونَ مَحْذُوفًا تقديرَهُ: "زَعمْتُموهُم آلِهةً من دُون الله"، فحُذِف الرَّاجِعُ إلى الموصُول كما حُذِف في قَوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ﴾ [الفرقان ٢٥/٤١] استخفَافًا لِطُول المَوصُول بصِلَتِه، وحُذِف "آلِهةً" لأنَّه موْصُوفٌ صفتُه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والموصوفُ يجُوز حَذفُه وإقامَةُ الصِّفَةِ مقَامَه إذا كان مَفهُومًا، فإذَنْ مَفعُولَا "زعَم" مَحْذُوفَان جَميعًا بسَبَبينِ مُختَلِفينِ.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

تقول: "الشَّفَاعَةُ لِزَيْد" على مَعْنى: أَنَّه الشَّافعُ، كمَا تقول: "الكَرَم لزَيْدٍ"، وعَلى مَعنى: أنَّه المَشفُوع له؛ كمَا تقولُ: "القِيَامُ لزَيْدٍ"، فاحْتَملَ قَولُه: ﴿ولا تَنْفَعُ الشفاعةُ عنده إلا لمَن أُذِن له﴾ أن يكُون على أَحد هذيْن الوَجهيْن؛ أي: لا تَنفعُ الشَّفَاعَةُ إلَّا كائِنةً لِمَن أُذِنَ له من الشَّافِعينَ ومُطْلَقةً له، أو: لا تَنفع الشَّفاعَةُ إلَّا كَائنةً لمَن أُذِن له؛ أي: لِشَفيعه، ....

قوله: **(محذوفان جميعًا)** والمفعولان وإن حُذفا لفظًا لكنّهما باقيان تقديرًا، أمّا **الأوّل** فلأنّ الضمير العائد إلى الموصول إذا حُذف فهو في حكم الباقي. وأمّا **الثاني** فلِقيام صِفته مَقامه.

قوله: **(الكرم لزيد)** بمعنى: أنّه الكريم.

قوله: **(القيام لزيد)** أي: قام الناس لأجله ولإكرامه.

قوله: **(أي: لشفيعه)** هذا إشارة إلى ما هو المقدّر، فكأنّه قيل: إلّا لمَن أُذِن له لشفيعه، ويئول المعنى إلى قولك: أَذِنَ الله لشفيعه لأن يشفعَ له، فلا ضميرَ في "أُذِن"؛ لأنّه يتعدّى باللام، فيكون "أُذِن" مسنَد إلى "له".

أَو هيَ اللَّامُ الثَّانيةُ في قَولك: "أُذِنَ لزَيدٍ لعَمرٍو"؛ أي: لأَجْلِه، **فكَأنّه قِيل**: إلّا لِمَن وَقعَ الإِذْنُ للشَّفِيع لأَجْلِه، وهَذا وَجْهٌ لطِيفٌ وهُو الوجْهُ.

وهَذا تكْذِيبٌ لقَولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/١٨].

فإن قلتَ: بمَ اتَّصل قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ ولأيِّ شيءٍ وقعَتْ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً؟

قلتُ: بما فُهِم من هذا الكلام ....

قوله: (**أو هي اللام الثانية**) إشارة إلى تقريرٍ آخَر لهذا الوجه، وهو أن يكون اللام في "له" في مرتبة اللام الثانية مِن قوله: (**أُذِن لزيد لعمرو**)، فكأنّه[1] قيل: لا تنفع الشفاعة إلّا لمشفوع له وقَعَ إذن الشفيع في الشفاعة لأجله.

وتحقيق هذا أنّهم قد يُجرُون الفعل المتعدّي مُجرى اللازم، فيقولون: فلان يُعطي ويمنع، ويَصِل ويقطع، أي: يوجِد هذه الحقيقة، ويَجعلونه كأنّه لا يحتاج إلى مفعول به، فكذا ههنا جُعل الإذن بالنسبة إلى المأذون له الذي هو الشفيع كالفعل الذي لا يقتضي المأذون له، فقيل: أُذن له، أي: حصَل هذه الحقيقةُ
[٢٩١ظ] وهذا المعنى له، فالذي حصَّل هذا المعنى / -وهو الإذن له- هو المشفوع له.

واعلم أنّ هذا المعنى الذي بيّنّاه فيما إذا كان "أُذِن" مبنيًّا للمفعول، وإذا تحقّق لك هذا وتأمّلت فيه لا يخفى عليك إجراء مثله في المبني للفاعل منه، وقد قُرئ بهما في السبعة.[2]

ويجوز أن يكون قوله: "أي: لشفيعه" تفسيرًا لقوله: ﴿له﴾ بأنّ المضاف محذوف، أي: لا تنفع الشفاعة إلّا لِمَن أُذِن لشفيعه، ويكون قوله: (**أو هي اللام الثانية**) إشارة إلى وجه آخر لهذا المعنى، وهذا أقرب تناوُلًا،[3] والذي ذكرنا أكثر فائدة.

---

١ ن: وكأنّه.

٢ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخَلف بضمّ الهمزة، وقرأ باقي العشرة بفتحها. **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٥٠.

٣ ن - تناوُلًا.

مِن أنَّ ثَمَّ انتِظَارًا للإِذْنِ وتَوقُّفًا وتَمهُّلًا، وفَزَعًا من الرَّاجِينَ للشَّفاعة والشُّفعَاءِ: هَل يُؤْذَنُ لَهُم أو لا يُؤْذَنُ؟ وأَنَّه لا يُطْلَقُ الإِذنُ إلَّا بَعْدَ مَليٍّ مِن الزَّمان وطُولٍ من التَّربُّصِ، ومثلُ هذه الحالِ دَلَّ عَليه قَولُه عَزَّ مِن قائلٍ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ ٧٨/٣٧-٣٨] كَأَنَّه قِيل: يَتربَّصُونَ ويَتَوقَّفُونَ مَليًّا فَزِعين وهِلِينَ حَتَّى إذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِم -أي: كُشِفَ الفَزعُ عن قُلُوبِ الشَّافِعين والمَشْفُوعِ لَهُم بكَلمةٍ يَتكَلَّم بها رَبُّ العِزَّة في إِطْلاقِ الإِذن- تَباشَرُوا بذلك وسَأل بَعضُهم بَعْضًا.

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ﴾: قال ﴿ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: القَوْلَ الحقَّ، وهُو الإِذْنُ بالشَّفَاعةِ لمَن ارْتضَى، وعن ابنِ عبَّاسٍ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «فإذا أَذِنَ لِمَن أَذِنَ أن يَشفَعَ فَزَّعَتْهُ الشَّفاعةُ».

قوله: **(هل يُؤذَن لهم)** متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: "راجين"؛ **لأنّ في** الرجاء طرفًا مِن العِلم، كما في الخوف؛ **لأنّه إنّما يخاف ويرجو**[١] مَن يعلم أو يظنّ، وإذا كان فيه معنى العلم أو الظنّ جاز أن يُعلّق كأفعال القلوب. أو نقول: هو متعلِّق بالمحذوف الذي دلّ عليه "الراجين"، فكأنّه قال: مُستعلِمين هل يؤذن لهم؟ والأَولى أن نقول: تعلّق مِن حيث المعنى بأحد المصادر المذكورة مِن قوله: **(انتظارًا)** إلى قوله: **(فَزَعًا)** بطريق التنازع، فكأنّه[٢] قيل: يتنظرون هل يُؤذن لهم؟ وكذا قوله: **(مِن الراجين)** تعلّق بهذه المذكورات تعلُّقَ الصفة بالموصوف، أي: انتظارًا كائنًا مِن الراجين ومِن الشفعاء.

قوله: **(بعد مَلِيّ)** المَلِيُّ مِن النهار: الساعة الطويلة.[٣]

قوله: **(وَهِلينَ)** أي: خائفين.

قوله: **(فزَّعَتْهُ الشفاعة)** التفزيع: إزالة الفَزَع، كالتَّمريضِ والتقريدِ. يقال: قَرِّدْ بعيرك، أي: انزعْ منه القِرْدانَ.[٤] فمعنى "فزَّعَتْه الشفاعة": أزالت الشفاعةُ الفَزَعَ عنه.

---

١ ف: ويرجوا.
٢ ن: وكأنّه.
٣ **المُغرب للمطرّزي**، «ملو».
٤ **الصحاح للجوهري**، «قرد».

وقرئ: ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾، أي: أَذِنَ له اللهُ، و: ﴿أُذِنَ له﴾ على البناء للمفعُول.

وقرأ الحسَنُ: "فُرِغَ" مُخففًا بمَعْنى فُزِّعَ.

وقرئ: ﴿فَزَّعَ﴾ على البناءِ للفاعِل، وهو الله وَحْدهُ.

و: "فُرِّغَ"، أي: نُفي الوَجَلُ عَنها وأُفْنيَ، مِن قولهم: "فرِغَ الزَّادُ" إذا لم يبق منه شيءٌ، ثمّ تُرِكَ ذكر الوَجَلِ وأُسْنِد إلى الجارِّ والمجرُور؛ كما تقُولُ: "دُفِعَ إلى زَيدٍ" إذا عُلِم ما المَدْفُوعُ.

وقد يُخفَّفُ، وأصْله: فَرِغَ الوَجَلُ عنها؛ أي: انتفَى عنها وفَنِيَ، ثمّ حُذِف الفاعِلُ وأُسْنِد إلى الجَارِّ والمجرُور.

وقُرئ: "افْرَنْقِعَ عن قلُوبهم" بمعنى: انكُشِفَ عنها، وعن أبي عَلقمَة أنَّه هَاجَ بهِ المُرَارُ فالتَفَّ عليه النَّاسُ، فلمَّا أفاق قال: ما لكُم تكَأكأتُم عَليَّ تكَأكُؤكُم على ذِي جِنَّةٍ؟! افْرَنقِعُوا عَنِّي.

والكلِمةُ مُركَّبةٌ من حُروف المُفارَقةِ معَ زيَادة العَيْن كمَا رُكِّبَ "اقْمطرَّ" مِن حرُوف القَمْطِ مَع زيادة الرَّاء.

قوله: (مِن قولهم: فَرِغ الزاد) فَرِغ الماءُ -بالكسر- يَفْرَغُ فَراغًا، أي: انصَبَّ، وأفرَغتُه أنا، وكذا فَرَّغْتُهُ تَفريغًا؛ صبَبْتُه.[١]

قوله: (وقد يُخفَّفُ) أي: قُرِئ بالتخفيف مبنيًّا للمفعول.[٢]

قوله: (المُرَارُ) أي: الصفراء.

قوله: (ما لكم تكَأْكَأْتُم) التَّكَأْكُؤ: التجمُّع. وسقط عيسى بن عمر عن حِمارٍ له، فاجتمع عليه الناس، فقال: «ما لكم تكأْكَأْتُم عليَّ تَكأْكُؤكم على ذي جِنّة؟ افرَنقِعوا عنِّي».[٣]

قوله: (اقمَطرَّ) أي: انقبَض. يقال: قَمَطَه[٤] إذا شدَّه، فاقمَطرَّ.

---

[١] الصحاح للجوهري، «فرغ».

[٢] أي: "فُرِغَ" و"فُرِّغَ". وهما قراءتان شاذّتان، مرويّتان عن الحسن. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٩١.

[٣] الصحاح للجوهري، «كأكأ».

[٤] وفي هامش د: اقمطرّ.

وقرئ: "الحقُّ" بالرَّفع؛ أي: مقُولُه الحقُّ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: ذو العُلوّ والكبرياء، ليس لمَلَكٍ ولا نبيّ أنْ يتكلّم ذلك اليوْمَ إلّا بإذْنه، وأَن يَشفَع إلّا لمَن ارتَضَى.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

أَمرَهُ بأَنْ يُقرِّرَهُم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ ثمّ أمَرَهُ بأَن يتوَلّى الإجابةَ والإقرارَ عنهم بقَولِهِ: يَرْزُقكُم ﴿ٱللَّهُ﴾، وذلك للإشْعَارِ بأنّهم مُقِرُّونَ به بِقُلوبهم إلّا أنّهم رُبَّما أَبَوا أنْ يتكلَّمُوا به؛ لأن الذي تَمكّن في صُدُورِهم من العِناد وَحُبِّ الشِّرْك قد أَلْجَمَ أَفْواهَهُم عن النُّطقِ بالحقّ مَع عِلمِهم بصِحَّتِه، ولأنّهم إنْ تَفوَّهُوا بأنَّ الله رازِقُهم لزِمَهُم أَن يُقَالَ لَهُم: فمَا لكُم لا تعبُدُونَ مَن يَرزُقكم وتُؤْثِرُون عليه مَن لا يَقْدِرُ على الرِّزقِ؟ ألا ترى إلى قَوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس ٣١/١٠] حتى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس ٣١/١٠] ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس ٣٢/١٠] فكأنّهم كانوا يُقِرُّونَ بألْسِنَتهِمْ مَرَّةً،

قوله: (**أمَرَه**) أي: أمَرَ الله تعالى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم.[1]

قوله: (**بأن يُقرِّرَهم**) أي: يجعلَهم مُقرِّين، ويَحمِلَهم على الإقرار.

قوله: (**ألا ترى[2] إلى قوله**) يعني: قوله تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس ٣١/١٠]، فإنّ تلك الآية تدلّ[3] على أنّهم كانوا مُقرِّين بذلك، لكنّهم في بعض الأوقات يُظهِرون ما هم مُقرّون به؛ لأنّ ذلك معتَقَدهم، ولا يُظهِرون ما هم مقرّون به في بعض الأوقات؛ بل يَتلَعْثَمون لئلّا يلزمهم[4] الحجّة، ولِعنادهم. (**ألا ترى[5] إلى قوله**) هذا بيان أنّهم أبَوا التكلّم به لئلّا يلزمهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون مَن يرزقكم؟

---

١ د: عليه السلام.
٢ د: يرى.
٣ ن: يدلّ.
٤ ف: تلزمهم.
٥ د: يرى.

وقرئ: ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ أي: أذِنَ له اللهُ، و: ﴿أُذِنَ له﴾ على البناء للمفعُول.

وقرأ الحسَنُ: "فُرِغَ" مُخفَّفًا بمَعْنى فُزِّعَ.

وقرئ: ﴿فَزَّعَ﴾ على البناءِ للفاعِلِ، وهو اللهُ وَحْدهُ.

و: "فُرِّغَ"؛ أي: نُفي الوَجَلُ عَنها وأُفْنِيَ، مِن قَولهم: "فرغَ الزَّادُ" إذا لم يبق منه شَيءٌ، ثمّ تُرِكَ ذكر الوَجَلِ وأُسْنِد إلى الجارِّ والمجْرُور؛ كما تقُولُ: "دُفِعَ إلى زَيدٍ" إذا عُلِم ما المَدْفُوعُ.

وقد يُخفَّفُ، وأَصْله: فَرِغَ الوَجَلُ عنها؛ أي: انتفَى عنها وفَنِيَ، ثمّ حُذِف الفاعِلُ وأُسْنِد إلى الجَارِّ والمجرُور.

وقُرئ: "افْرُنْقِعَ عن قلُوبهم" بمعنى: انكُشِفَ عنها، وعن أبي عَلقَمَة أنّه هَاجَ بهِ المُرَارُ فالتَفَّ عليه النَّاسُ، فلمّا أفاق قال: ما لكُم تكَأكَأتُم عَليّ تكَأكُؤكُم على ذِي جِنَّةٍ؟! افْرَنقِعُوا عَنّي.

والكلِمةُ مُركَّبةٌ من حُروف المُفارَقةِ معَ زِيادة العَيْن كمَا رُكِّبَ "اقْمطرَّ" مِن حرُوف القَمْطِ مَع زيادة الرَّاء.

قوله: (مِن قولهم: فَرِغَ الزاد) فَرِغ الماءُ -بالكسر- يَفْرَغُ فَراغًا، أي: انصَبَّ، وأفرَغتُه أنا، وكذا فَرَّغْتُهُ تَفريغًا؛ صبَبْتُه.[1]

قوله: (وقد يُخفَّفُ) أي: قُرِئ بالتخفيف مبنيًّا للمفعول.[2]

قوله: (المُرَارُ) أي: الصفراء.

قوله: (ما لكم تكَأكَأتُم) التَّكَأكُؤ: التجمُّع. وسقط عيسى بن عمر عن حِمارٍ له، فاجتمع عليه الناس، فقال: «ما لكم تكأكَأتُم عليَّ تكأكُؤَكم على ذي جِنّة؟ افْرَنقِعوا عنّي».[3]

قوله: (اقمَطرَّ) أي: انقبَض. يقال: قَمَطَه[4] إذا شدَّه، فاقمَطرَّ.

---

[1] الصحاح للجوهري، «فرغ».

[2] أي: "فُرِغَ" و"فُزِّغَ". وهما قراءتان شاذّتان، مرويّتان عن الحسن. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٩١.

[3] الصحاح للجوهري، «كأكأ».

[4] وفي هامش د: اقمطرَّ.

وقرئ: "الحقُّ" بالرّفع، أي: مقُولُه الحقُّ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: ذو العُلوّ والكبرياء، لَيس يتكلّف في أنْ يتكلّم ذلِك اليَوْمَ إلّا بإذْنِه، وأن يَشفَع إلّا لمَن ارتَضى.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝﴾

أمَرَهُ بأنْ يُقرِّرَهُم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ ثمّ لَمْ يَكُنْ عَنْدَهُ الإجابةَ والإقرارَ عنهم بقَولِه: يَرْزُقكُم ﴿ٱللَّهُ﴾، وذلِك للإشْعَارِ بأنّهم مُقِرُّونَ بذَلِك في لا أنّهم رُبّما أبَوا أنْ يتكلّمُوا به؛ لأن الذي تَمكّن في صُدُورِهِم مِنَ العِنادِ وحُبِّ الشِّرْك قدْ ألْجَمَ أفْواهَهُم عن النُّطقِ بالحقّ مَع عِلمِهم بصحّتِه، أمَرَهُم أحْوَطوا بأنّ الله رازِقُهم لزِمَهُم أن يُقَالَ لَهُم: فمَا لكُم لا تعبُدُونَ من خُنَاءِ يَتَزيَّنُون عليه مَن لا يَقْدِرُ على الرزقِ؟ ألا ترى إلى قَوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس ٣١/١٠] حتى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس ٣١/١٠] ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس ٣٢/١٠] فكأنّهم كانوا يَتَزيّنُونَ بألْسِنَتِهم مَرّةً،

قوله: (أمَرَه) أي: أمَرَ الله تعالى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم[1]

قوله: (بأن يُقَرِّرَهم) أي: يجعلَهم مُقرِّين، ويَحملَهم على الإقرار.

قوله: (ألا ترى[2] إلى قوله) يعني: قوله تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس ٣١/١٠]، فإنّ تلك الآية تدلّ[3] على أنّهم كانوا مُقرِّين بذلك، لكنّهم في بعض الأوقات يُظهِرون ما هم مُقرّون به؛ لأنّ ذلك معتَقَدهم، ولا يُظهِرون ما هم مقرّون به في بعض الأوقات؛ بل يَتلَعثَمون لئلّا يلزمهم[4] الحجّة، ولِعنادهم. (ألا ترى[5] إلى قوله) هذا بيان أنّهم أبَوا التكلّم به لئلّا يلزمهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون من يرزقكم؟

---

[1] د: عليه السلام.
[2] د: يرى.
[3] ن: يدلّ.
[4] ف: تلزمهم.
[5] د: يرى.

ومرّةً كانُوا يَتَلَعْثَمُونَ عِنادًا وضِرارًا وحِذارًا من إلزام الحُجَّةِ، ونحوُه قَولُه عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد ١٣/١٦].

وأَمَرهُ أن يقُول لهم بَعْدَ الإلزَام والإلْجَامِ الَّذي إن لم يَزِدْ على إقرَارِهم بألْسِنَتهم لم يتقَاصَرْ عنه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ومَعناه: إنَّ أحَد الفَريقينِ من الَّذينَ يتوَحَّدُون الرَّازقَ من السماوات والأرض بالعبَادَةِ ومِن الَّذين يُشركُون به الجمَادَ الَّذي لا يُوصَفُ بالقُدرة لَعَلَى أحَدِ الأَمْرين من الهُدَى والضَّلالِ، وهذا من الكلام المُنْصِف الَّذي كُلُّ مَن سَمِعَه مِن مُوَالٍ أو مُنافٍ قال لمَن خُوطِبَ بهِ: "قد أنصفَك صَاحِبُكَ".

وفي دَرْجِهِ بَعْد تَقْدِمَةِ ما قُدِّم مِن التَّقريرِ البَليغ دلَالةٌ غَيرُ خَفيَّةٍ على مَن هو من الفَريقَيْن على الهُدى ومَن هو في الضَّلال المُبينِ، ولكنَّ التَّعريضَ والتَّوريَةَ أَوْصَلُ بالمُجادِلِ إلى الغرَضِ وأَهْجمُ بهِ عَلى الغَلبة، مع قِلَّة شَغَبِ الخصم وفَلِّ شوْكَتِهِ بالهُوَينا، ونَحوُه قولُ الرَّجل لصَاحِبهِ: "قد عَلِم اللهُ الصَّادقَ منِّي ومِنْك وإنَّ أَحدَنَا لكاذِبٌ"، ومنه بيْتُ حسَّانَ:

أَتَــهْــجُــوهُ ولَــســتَ لَــهُ بــكُــفْءٍ   فــشَــرُّكُــمــا لِــخَــيْــرِكُــمَــا الــفِــداءُ

فإن قلتَ: كيفَ خُولِفَ بينَ حَرْفي الجرِّ الدَّاخلَيْنِ على الحقِّ والضَّلالِ؟

قوله: (**يَتلعثَمون**) تَلَعْثَمَ في الأمر إذا تمكّثَ فيه وتَأَنَّى.

قوله: (**ونحوُهُ قوله عزّ وجلّ**: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الرعد ١٣/١٦]) هذا في سورة الرعد.

قوله: (**وأمَره أن يقول**) عطفٌ على قوله: "أمَره".

[٢٩٢و] قوله: (**وفي دَرجه**)[١] خبر / قولِه: (**دلالةٌ**). يقال: أنفذتُه في دَرج الكتاب، أي: في طَيّه. وقوله: (**مِن التقرير**) بيان "ما".

---

[١] د: درجة.

قلتُ: لأنَّ صَاحِبَ الحقِّ كأنَّهُ مُستَعْلٍ على فَرسٍ جَوادٍ يَركضُهُ حيْثُ شاء، والضَّالُّ كأنَّه مُنغمِسٌ في ظَلامٍ مُرْتَبِكٌ فيه لا يَدْرِي أيْن يتوجَّهُ.

وفي قراءةِ أُبيٍّ: "وإنَّا أوْ إيَّاكُم إمَّا على هُدًى أو في ضَلالٍ مُبينٍ".

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ٢٦﴾

هَذا أدْخَلُ في الإنصَافِ وأَبْلغُ فيه من الأوَّل، حيْثُ أُسندَ الإجرامُ إلى المخاطِبين والعَملُ إلى المخاطَبين، وإن أراد بالإجْرام: الصَّغائرَ والزَّلَّاتِ التي لا يخلُو منها مُؤمِنٌ، وبالعَمل: الكُفرَ والمعَاصيَ العظامَ، وفتحُ اللهِ بيْنَهُم -وهو حُكْمُه وفَضْلُه-: أنَّه يُدخِلُ هؤلاء الجنَّة وأولئك النَّارَ.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾

فإن قلتَ: ما معنى قولِه: ﴿أَرُونِىَ﴾ وكان يَراهُم ويَعرفُهُم؟

قلتُ: أراد بذلك أن يُريَهُم الخطأَ العظيمَ في إلْحَاقِ الشُّركاءِ بالله، وأن يُقَايسَ على أَعيُنِهم بينَه وبين أصنَامهم ليُطْلِعَهم على إحَالةِ القياسِ إلَيْه والإِشراكِ به.

و﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهم عن مَذْهَبِهم بَعْد ما كسَرهُ بإبْطَالِ المُقايَسةِ كما قال إبرَاهيمُ: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء ٦٧/٢١] بَعْدَما حَجَّهُم، وقد نَبَّه على تفَاحُشِ غَلَطِهم وأَنْ لم يَقْدِرُوا اللهَ حقَّ قَدْره بقَوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

قوله: (**مُرْتَبِكٌ**) ارْتبَكَ الرجلُ في الأمرِ؛ نَشِبَ فيه، ولم يَكَدْ يتخلَّص منه.[1]

قوله: (**وإن أراد بالإجرام**) واوه إمّا للحال، وإمّا للعطف على محذوف. وهو مِن الشروط التي لا يُذكر جوابها، وتكون للمبالغة. والأوّل هو الوجه.

قوله: (**وكان يَراهم**) أي: كان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[2] يرى الشركاءَ ويَعرِفُهم.

---

[1] الصحاح للجوهري، «ربك». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أعلِموني الذين ألحقتم به، أي: بالله شركاء في العبادة معه، هل يَخلقون؟ وهل يَرزقون؟ كلّا، لا يخلقون، ولا يرزقون.

[2] د: عليه السلام.

كأنّه قيل: أينَ الّذين ألحقتُم به شُركَاءَ مِن هذه الصِّفات، و﴿هُوَ﴾ راجعٌ إلى اللهِ وَحْدهُ، أو هو ضميرُ الشّأنِ كما في قَوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١/١١٢].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾

﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: إلّا إرْسَالةً عَامّةً لهُم مُحيطَةً بهم؛ لأنّها إذَا شَمِلَتْهُم فقَد كَفَّتْهُم أن يَخرُجَ منها أحَدٌ مِنْهم.

وقال الزَّجّاجُ: المعْنى: أرْسَلنَاك جَامِعًا للنّاسِ في الإنْذارِ والإبْلاغ. فجَعلَه حَالًا من الكاف، وحَقُّ التّاء على هذا أنْ تَكُون للمُبَالَغة كتاءِ الراوِيَة والعَلّامَةِ.

ومَن جَعله حالًا من المجرُور مُتقَدِّمًا علَيْه فقَد أخطأ؛ لأنّ تَقدُّمَ حالِ المجرُورِ عليه في الإحَالة بمَنزلةِ تَقدُّمِ المجرور على الجارِّ، وكم تَرى ممّن يَرتكِبُ هذا الخطأ ثُمّ لا يَقنَعُ بهِ حَتّى يَضُمّ إليه أن يجعَل اللّامَ بمَعنى "إلى" لأنّه لا يَسْتَوِي له الخطَأُ الأوّلُ إلّا بالخَطأ الثّانِي، فلا بُدّ له مِن ارتكابِ الخَطَأين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ٣٠﴾

قرئ: ﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾، و: "ميعَادٌ يَومٌ"، و: "ميعادٌ يومًا".

قوله: (قال: أينَ الذين؟)...[1] إلخ "الذين"[2] مبتدأ، و"أين" خبره. و(مِن هذه الصفات) حال مِن الضمير المستتر في الخبر، و"مِن" للابتداء.

قوله: (و﴿هُوَ﴾ راجع إلى الله) وإذا كان الضمير راجعًا إلى الله تعالى كان المعتمَد بالخبر هو الصفة، كما في قولك: زيد رجل عالم.

قوله: (لأنّها إذا شَمِلَتْهم) تعليل لتفسير "الكافّة" بالعامّة المحيطة، فكأنّه[3] قيل: أريدَ بـ"الكافّة" العامّة؛ لأنّ الشمول والعموم يستلزم الكفّ، فيكون كناية.

قوله: (فجعله حالًا مِن "الكاف") وعلى الأوّل كان صفةَ مصدر محذوف.

---

[1] ن: ابن الدين؛ ف: الدين.
[2] ن: الدين.
[3] ن: وكأنّه.

والميعاد: ظَرْفُ الوَعْدِ من مكانٍ أو زَمانٍ، وهو هاهنا الزَّمانُ، والدَّليلُ عليه قراءةُ مَن قَرأ: "ميعَادٌ يومٌ" فأبدَل منه اليَومَ.

فإن قلتَ: فما تَأويلُ مَن أضَافَهُ إلى ﴿يَوْمٍ﴾ أو نصَبَ "يومًا"؟

قلتُ: أمَّا الإضافةُ فإضافةُ تَبيينٍ كما تَقُول: "سَحْقُ ثَوْبٍ" و: "بَعيرُ سَانيَةٍ".

وأمَّا نصْبُ اليوم فعَلى التَّعظيم بإضْمار فعلٍ تَقديرُه: "لكُم ميعَادٌ، أَعْني يَومًا وأُريدُ يومًا مِن صفَته كيْتَ وكيْتَ"، ويجوز أَن يكُون الرَّفعُ على هذا، أَعني: التعظيمَ.

فإن قلتَ: كيفَ انطَبَقَ هذا جَوابًا على سُؤالهم؟

قلتُ: ما سَألُوا عن ذلك وَهُم مُنْكِرونَ لهُ إلَّا تَعنُّتًا لا استِرْشَادًا، ....

قوله: **(وبعيرُ سانِيةٍ) يقال**: سنَت الناقة تَسْنُو،[1] أي: سقَت الأرضَ، والسحابةُ تَسْنُو الأرضَ، والسانية: الناضِحة، وهي الناقة التي يُستَقى عليها، وفي المَثل: «سَيرُ السواني سفر لا ينقطِع».[2]

قوله: **(أعني: التعظيم)** أي: يجوز أن يكون أيضًا على التعظيم، بأن يكون التقدير: ميعادٌ هو يوم، فيكون مِن قَبيل الرفع على المدح.

قوله: **(قلتُ:[3] ما سألوا عن ذلك وهم مُنكِرون)** "وهم مُنكِرون" حال. وقوله: **(إلّا تعنُّتًا)** استثناء مفرَّغ،[4] وهو أيضًا منصوب المحلّ على الحال. وحاصل معنى الجمع بين الحالين أن يقال: ما سألوا في حال الإنكار إلّا ومعهم حال أُخرى وهو التعنُّت، ويجوز أن يكون "إلّا تعنّتًا" مفعولًا له، أي: ما سألوه إلّا للتعنُّت، لا للاسْتِرشاد.[5] ثمّ اعلم أنّ في هذا التركيب بحثًا؛ لأنّ قوله: "ما سألوا إلّا تعنُّتًا، لا اسْتِرشادًا"[6] مثلُ قولك: "ما زيد إلّا قائم، لا قاعد"، و"ما يقوم إلّا زيد، لا عمرو"، ومثله غير جائز.

---

١ ن: تَسنو.

٢ الصحاح للجوهري، «سنا».

٣ ف: وقلت.

٤ ن ف: مفرع.

٥ ن: للاسترساد.

٦ ن: استرسادًا.

فجاء الجَوابُ على طريقِ التَّهديد مُطابِقًا لمجيءِ السُّؤال على سبيل الإنْكارِ والتَّعَنُّتِ، وأنَّهم مُرْصَدُونَ بيَومٍ يُفَاجِئهُم فلا يَستطِيعُون تأخُّرًا عَنه ولا تَقدُّمًا عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ما نَزلَ قبلَ القرآنِ من كتُب الله، يُروَى: أن كفَّار مكَّة سَألُوا أَهْلَ الكِتاب فأَخبَرُوهم أنهم يَجِدُونَ صِفةَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم في كُتبهِم، فأغضَبهُم ذلك وقَرَنُوا إلى القرآن جميعَ ما تَقدَّمهُ مِن كُتبِ الله في الكُفر فكَفرُوا بها جميعًا.

وقيل: ﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يومُ القيامةِ، والمعنَى: أنَّهم جحَدُوا أَن يكون القرآنُ من الله أو أن يكُونَ لِمَا دَلَّ عليه من الإعَادةِ للجزاء حقِيقةٌ.

قال صاحب المفتاح: «طريق الحَصر بالعطف لا يُجامِع طريقَ الحضْرِ بالاستثناء، فلا يقال: 'ما زيد إلّا قائم، لا قاعد'، و'لا ما يقوم إلّا زيد، لا عمرو'؛ لأنَّ 'لا' العاطفة مِن شرط مَنفيِّها أن لا يكون[1] منفِيًّا قبلها بغيرها مِن كلمات النفي، نحو: 'جاء زيد لا عمرو'، ونحو: 'زيد قائم لا قاعد'، ولا يتحقَّق هذا الشرط إذا قلت: 'ما يقوم إلّا زيد لا عمرو'».[2]

قوله: (والتعنّتِ) العَنَت: المشقّة والشِّدّة، ومنه: تعَنَّته في السؤال، إذا سأله على جهة التلبيس عليه.[3] وقوله: (وأنّهم مُرْصَدون) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (طريقِ) أي: على بيانٍ ووعيدِ أنّهم.

قوله: (أو أن يكون لِما دلّ) وفي بعض النُّسَخ: "وأن يكون". والصواب: "أو"؛ لأنّ "أو" في النفي يفيد نفيَ كلّ واحد مِن الأمرَين. وقوله: (وجَحدوا)[4]

---

[1] ف: تكون.
[2] مفتاح العلوم للسكّاكي، ٢٩٣/١.
[3] المُغرب للمطرّزي، «عنت».
[4] العبارة في مطبوع الكشّاف: "أنّهم جَحدوا" [بغير واو].

ثمَّ أَخْبَرَ عن عاقبةِ أَمْرِهم ومآلِهِمْ في الآخرة، فقال لرسُوله عليه السَّلام أو للمُخاطَبِ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ في الآخِرة مَوْقِفَهُم وهُم يتجَاذبُون أطراف المُحَاوَرة ويَتراجَعُونَها بَينهُم لرَأيتَ العجَبَ، فحُذِف الجَوابُ.

و"المُستضعَفُونَ": هُم الأَتْباعُ، و"المُستكبِرُون": الرُّؤوسَ والمُقَدَّمُون.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

أُولِيَ الاسمُ -أعني: "نَحْنُ"- حَرفَ الإِنْكار لأنَّ الغرضَ إِنْكارُ أَنْ يكُونوا هُم الصَّادِّينَ لهُم عن الإيمان، وإثبَاتُ أَنَّهُم هم الَّذين صَدُّوا بأنفسِهم عنه، وأَنَّهم أُتُوا مِن قِبَلِ اختيَارِهم؛ كأَنَّهم قالوا: ﴿أَنَحْنُ﴾ أَجْبرناكُم وحُلْنَا بينَكم وبينَ كَونِكم مُمَكَّنِين مُختَارِين ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾: بَعْد أَن صَمَّمتُم على الدُّخُولِ في الإيمانِ وصَحَّتْ نيَّاتُكم في اختيَاره، ﴿بَلْ﴾ أَنتُم مَنعْتُم أنفُسَكم حَظَّها، وآثَرْتُم الضَّلالَ على الهُدَى، وأطعْتُم آمِرَ الشَّهوة دُون آمِرِ النُّهَى، فكُنْتم مُجْرِمِينَ كافِرينَ لاختيَاركم لا لِقولنَا وتَسْوِيلنَا.

فإنْ قلتَ: "إِذْ" و"إذا" مِن الظُّروف اللَّازمةِ لِلظَّرفيَّة، فلِمَ وقعَتْ ﴿إِذْ﴾ مضافًا إليهَا؟

قلتُ: قد اتُّسِعَ في الزَّمان ما لم يُتَّسَعْ في غَيْره، فأُضِيف إليهَا الزَّمَانُ كما أُضِيف إلى الجُملِ في قَولك: "جِئتُك بَعْد إِذْ جاءَ زَيْدٌ"، وحَينئذٍ، ويَوْمئذٍ، و: "كان ذلك أَوَانَ الحجَّاجُ أَميرٌ"، و"حِين خَرجَ زيد".

في معنى النفي. وأمّا النسخة بالواو فصحيحٌ بالنظر إلى ظاهر اللفظ؛ لأنّ ظاهره الإثبات، / فيكون المعنى: جحدوا هذا وذاك. [٢٩٢ظ]

قوله: (**آمِرَ الشَّهوةِ**) أي: الآمر الذي هو الشهوة. وقوله: (**آمرِ النُّهَى**) أي: الآمر الذي هو النُّهَى، والنُّهَى: جمع النُّهْية، وهي العقل؛ لأنه يَنْهى عن القبيح.

قوله: (**فأُضيف إليها**) أي: إلى "إذ". وقوله: (**كما أُضيف**) أي: الزمان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٣٣﴾

لمَّا أنكر المُستكبِرُون بقَوْلِهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ أَن يكونُوا هُم السَّبَبَ في كُفر المُستضعَفينَ، وَأثبتُوا بقَولهمْ: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أنَّ ذلك بكَسبِهِم واختيَارهم، كَرَّ عَليهم المُستَضْعَفونَ بقَولهم: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فأَبْطَلُوا إضْرابَهُم بإضْرَابهم؛ كأنَّهم قالُوا: ما كان الإجْرامُ مِن جِهَتِنا بل من جهَة مَكْرِكم لنَا دَائبًا ليْلًا ونَهارًا، وحَمْلِكُم إيَّانَا على الشِّركِ واتِّخاذ الأَنْدادِ.

ومَعْنى ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: مَكرُكُم في اللَّيل والنَّهار، فاتُّسِعَ في الظَّرف بإجرائهِ مُجْرى المَفعُولِ به وإِضَافةِ المكر إليه، أو جُعِلَ لَيْلُهُم ونَهارُهُم ماكرَيْنِ على الإسنَاد المَجازيِّ.

وقُرئ: "بل مكرٌ اللَّيلَ والنَّهارَ" بالتَّنوين ونَصْبِ الظَّرفيْنِ، و: "بل مَكرَ اللَّيل والنهارِ" بالرَّفع والنَّصب؛ أي: تكرُّونَ الإغواءَ مكرًّا دَائبًا لا تَفْتُرُون عَنه.

فإن قلتَ: ما وجْهُ الرَّفع والنصب؟

قلتُ: هو مُبْتَدأٌ أو خَبرٌ على معْنَى: بَل سَبَبُ ذلك مَكرُكم أو مَكرُّكُم، أو: مَكرُكُم أو مَكَرُّكم سبَبُ ذلك، والنَّصب على: بلْ تكرُّونَ الإغواءَ مَكَرَّ اللَّيلِ والنَّهارِ.

فإن قلتَ: لِمَ قيل: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ بغيْرِ عَاطِفٍ، وقيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ مع العاطف؟

قلتُ: لأنَّ الَّذين استُضعِفُوا مَرَّ أوَّلًا كَلامُهم، فجيءَ بالجَوابِ محذُوفَ العاطِف على طريقَةِ الاستئْنافِ، ثمَّ جيءَ بكلامٍ آخَر للمُسْتضعَفِينَ فعُطفَ على كلامِهم الأوَّلِ.

قوله: **(دائبًا)** دأَبَ فلان في عمله؛ جَدَّ وتَعِبَ، دَأْبًا ودُئُوبًا، فهو دَئِبٌ.[1] والدائبان: الليل والنهار.[2]

---

[1] **في الصحاح**: «فهو دائب». وفي **لسان العرب**: «فهو دئب».

[2] **الصحاح** للجوهري، «دأب».

فإن قلتَ: مَن صَاحِبُ الضَّمير في ﴿وَأَسَرُّواْ﴾؟

قلتُ: الجِنسُ المُشتَمِلُ على النَّوعَيْنِ مِنَ المُستَكبرينَ والمُستَضعَفينَ، وهُم ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في قَوله: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ﴾ [سبأ ٣١/٣٤]، يَنْدَمُ المُستكْبِرُونَ على ضَلالِهم وإضلالهم، والمستضعَفونَ على ضَلالِهِمْ واتِّباعِهم المُضِلِّينَ.

﴿فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: في أعْناقِهم، فجاء بالتَّصْرِيح لِلتَّنْويه بذمِّهم وللدَّلالةِ على ما استَحَقُّوا بهِ الأَغْلالَ.

وعن قتادةَ: أسَرُّوا الكلامَ بذلك بينَهم.

وقيل: "أسَرُّوا النَّدامةَ": أظْهَروها، وهو مِن الأضداد.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾

هذه تَسْلِيةٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم مِمَّا مُنِيَ به من قوْمِه من التَّكذيب والكُفر بما جاءَ به، والمُنَافسَةِ بكَثْرة الأموال والأولادِ، والمُفَاخَرةِ بالدُّنيا وزَخارِفِهَا، والتَّكبُّرِ بذلِك على المؤمنينَ، والاستهَانةِ بهِمْ من أَجْلِه، وَقولِهم: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم ٧٣/١٩]، وأنَّه لم يُرْسِلْ قَطُّ

قوله: (**قلتُ: الجِنس**) أي: صاحب الضمير الجِنس.

قوله: (**للتَّنْويه**) ناهَ الشيء يَنوهُ إذا ارتفع، ونوَّهْتُهُ[1] تنويهًا إذا رفَعْتَه، ونوَّهْتُ باسمه إذا رفعتَ ذِكره.[2]

قوله: (**ممّا مُنِي به**)... إلخ يقال: مَنَوْتُهُ ومَنَيْتُه، أي: ابتَلَيْتُه. و"مِن" في (**مِن قومه**) للابتداء،[3] وفي (**مِن التكذيب**) للبيان.

قوله: (**وأنّه لم يُرسِل**) على[4] قوله: (**تسليةٌ**)، فكأنّه قال: هذه تسلية وبيانُ أنّه لم يُرسِل.

---

[1] ن: ونوّهَتُه.

[2] **الصحاح** للجوهري، «نوه».

[3] ن: لابتداء.

[4] أي: عطفٌ على...

إلى أَهْلِ قَرْيةٍ من نذيرٍ إلَّا قَالُوا لهُ مثْلَ ما قال لرسُول الله أَهْلُ مكَّةَ، وكادُوه بنحْو ما كادُوهُ به، وقَاسُوا أَمْرَ الآخِرة الموهُومةِ أو المفرُوضةِ عندهم على أمْرِ الدُّنيَا، واعتقَدُوا أنَّهم لو لم يَكرُموا على الله لَمَا رزَقهُم، ولولا أنَّ المؤمِنينَ هَانُوا عَليه لَمَا حرَمهُم، فعَلى قياسهِمْ ذلك قالُوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أرَادُوا أنَّهم أكرَمُ على اللهِ من أن يُعَذِّبَهُم نَظرًا إلى أحوالهِم في الدُّنيا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾

وقد أَبطَل اللهُ حسبَانَهم بأنَّ الرزْقَ فَضلٌ من الله يَقْسِمُه كما يَشاء على حَسَب ما يرَاه من المصَالحِ، فرُبَّما وسَّع على العَاصِي وضَيَّقَ على المُطِيع، وَرُبَّما عَكَسَ، ورُبَّما وَسَّع عَليْهما وضَيَّقَ عَليْهما، فلا يَنْقاسُ عليه أمْرُ الثَّواب الَّذي مَبْناهُ على الاستِحْقاقِ.

و"قَدْرُ الرِّزق": تَضْييقُه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق ٦٥/٧].

وقرئ: ﴿ويقدر﴾ بالتشديد والتخفيف.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝٣٨﴾

أرَاد: وما جَماعةُ أمْوالِكم ولا جَماعَةُ أَوْلادِكُم بالَّتي تُقرِّبُكُم، وذلك أنَّ الجَمْعَ المُكَسَّر عُقَلاؤه وغيرُ عُقَلائه سَواءٌ في حُكم التأنيثِ.

ويجوز أنْ يكون "الَّتي" هي التَّقوَى، ....

قوله: (وكادوه) كادَه يكِيدُه كيدًا، والكَيدُ: المَكْر.[1]

قوله: (أراد: وما جماعةُ) يعني: إنَّما قال: "التي"، ولم يقل: "اللاتي" على تأويل الجماعة.

قوله: (ويجوز أن يكون[2] "التي") أي: ﴿ٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ﴾.

---

[1] الصحاح للجوهري، «كيد».

[2] ن: نكون.

وهيَ المُقَرِّبةُ عنْدَ اللهِ زُلْفَى وحْدَها؛ أي: ليسَتْ أموَالُكُم بِتلك المَوضُوعَةِ للتَّقريبِ.

وقرأ الحَسنُ: "باللَّاتي تقرِّبكُم" لأنَّهَا جماعَاتٌ.

وقُرِئَ: "بالَّذي يُقرِّبُكم"؛ أي: بالشَّيء الَّذي يُقرِّبُكم.

و"الزُّلفَى والزُّلْفةُ": كالقُربَى والقُرْبةِ، ومَحَلُّها النَّصبُ، أي: تُقرِّبكم قُربةً؛ كقَوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح ١٧/٧١].

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثنَاءٌ مِن "كُمْ" في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾، والمَعنى: أنَّ الأموالَ لا تُقرِّبُ أحدًا إلَّا المُؤمنَ الصَّالِحَ الَّذي يُنفِقُهَا في سَبيلِ الله، والأَوْلادُ لا تُقرِّبُ أحَدًا إلَّا مَن عَلَّمهم الخيْرَ وفقَّههُم في الدِّين ورَشَّحهُم للصَّلاحِ والطَّاعَةِ.

﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ من إضافةِ المَصْدَر إلى المفعُول، أَصْلُه: فأولئك لهُم أن يُجَازَوا الضِّعفَ، ثمَّ: جزاءٌ الضِّعفَ، ثُمَّ: جزاءُ الضِّعفِ، ومَعْنَى جزاءِ الضِّعفِ: أَنْ تُضَاعَفَ لَهُم حسَناتهُم الوَاحِدةُ عَشْرًا.

وقرئ: ﴿جزاءً الضِّعْفُ﴾ على: فأولئكَ لهُم الضِّعْفُ جَزاءً.

و: "جزاءٌ الضِّعْفَ" عَلى: أَن يُجَازَوا الضِّعْفَ.

و: "جزاءٌ الضِّعْفُ" مَرْفُوعانِ، "الضِّعْفُ" بدَلٌ مِن "جَزاءٌ".

قرئ ﴿فى الغرفات﴾ بضمِّ الرَّاء وفتحِهَا وسُكونها، و: ﴿فى الغُرْفَةِ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾

قوله: (وحدها) حال مِن الضمير في (المُقرِّبة).

قوله: (ورشَّحَهم) الترشيح: التربية.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: في إبطال آياتنا، ﴿مُعَجِّزِينَ﴾[(١)] يحسبون أنّهم يُعجِّزوننا ويفوتوننا. | انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٤٠٢/٦ (سبأ ٣٨/٣٤). |

(١) كذا في الأصول الخطّيّة بالقصر وتشديد الجيم، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٧/٢.

﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ فهو يُعَوِّضه لا مُعَوِّض سوَاه: إمَّا عَاجِلًا بالمالِ، أو بالقَناعةِ الَّتي هيَ كَنزٌ لا يَنفَدُ. وإمَّا آجِلًا بالثَّواب الَّذي كُلُّ خَلَفٍ دُونَه.

وعن مجاهِدٍ: مَن كان عِندهُ مِن هذا المالِ ما يُقِيمُهُ فليَقتَصِدْ فإنَّ الرِّزْقَ مَقسُومٌ، وَلعَلَّ ما قُسِمَ له قَليلٌ وهُو يُنفِقُ نفقَة المُوسَّعِ عَليه، فيُنفِقُ جميع ما في يَدِه ثُمَّ يَبْقَى طولَ عُمْره في فَقْرٍ، ولا يَتأوَّلَنَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ فإنَّ هذا في الآخِرة.

ومَعنى الآية: ومَا كان مِن خَلَفٍ فهُو مِنه.

﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأَعْلاهُم رَبُّ العِزَّةِ؛ لِأنَّ كُلَّ ما رزَق غَيرُه: مِن سُلطانٍ يَرزُقُ جُنْدَهُ، أو سَيِّدٍ يَرزُقُ عبْدَه، أو رَجُلٍ يَرزُقُ عِيالَهُ، فهو مِن رزْقِ الله أَجْراهُ على أيْدِي هَؤلاء، وَهُو خالِقُ الرِّزْقِ وخَالِقُ الأسْبَاب الَّتي بها يَنتفِعُ المَرزُوقُ بالرِّزق.

قوله: **(وعن مجاهد)**... إلخ أورد قول مجاهد لتقرير أنّ المراد بقوله: ﴿يُخۡلِفُهُۥ﴾: هو ثواب الآخرة.

قوله: **(ولا يَتأوَّلَنَّ)** أي: ولا يَحمِلَنَّ صاحبُ المال هذه الآية على غير معناها، فإنّ معناها أنّ الله تعالى يُعطي عِوضَ ما أنفقه في الآخرة، وليس المعنى: أنّ الله يُعطي عِوضَه في الدنيا، فإنّ الآخرة هي دار الجزاء، لا الدنيا. ثمّ قال مجاهد: «حاصل معنى الآية: أنّ كلّ ما كان مِن عوض فهو منه، وليس المعنى: أنّ العِوض يكون في الدنيا».

قوله: **(﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾)**... إلخ ابتداء كلام مِن المصنّف لبيان معنى ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾. فقوله: **(﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾)** مبتدأ، وقوله: **(ربُّ العِزّة)** خبره.

قوله: **(لأنّ[1] كلّ ما رزق)** أي: كلّ شيء. وقوله: **(مِن سلطان)** بيان **(غير)**. وقوله: **(يَرزُق)** صفة **(سلطان)**.[2]

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: "بأنّ".

[2] ن – قوله: (لأنّ كلّ ما رزق) أي: كلّ شيء. وقوله: (مِن سلطان) بيان (غير). وقوله: (يَرزُق) صفة (سلطان).

وعَن بعْضِهم: الحمدُ للهِ الَّذِي أَوْجَدَني وجعَلني ممَّن يَشْتَهِي، فَكَمْ مِن مُشْتَهٍ لا يَجِدُ، وَوَاجِدٍ لا يَشْتَهِي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

هـذا الكلامُ خطابٌ للملائكةِ وتقريعٌ للكفَّار وارِدٌ عَلى المثَلِ السَّائر: "إِيَّاكِ أَعْنِي واسْمَعي يا جَارَهْ"، ونَحوُه قَولُه عزَّ وعَلا: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة ١١٦/٥] وقد عَلِم سُبْحَانه كونَ الملائكةِ وعيسَى مُنَزَّهِينَ بُرَآءَ ممَّا وُجِّه عليهم من السُّؤال الوَارِد على طريقِ التقرير، والغَرضُ أَنْ يقُولَ ويَقُولُوا ويَسْأَلَ ويُجِيبُوا، فيَكونَ تقرِيعهُم أَشَدَّ وتَعييرُهم أبلغَ وخَجلهُم أَعْظَمَ وهوانُهُم أَلْزَمَ، ويَكونُ اقتصَاصُ ذلك لُطفًا لمَن سمِعَه وزاجِرًا لمَن اقتُصَّ عَليه.

و"المُوالاةُ": خِلافُ المُعَادَاةِ، ....

قوله:

(إِيَّـاكِ أعْـنـي واسْـمَـعـي يـا جـارَه)

يـا أُخـتَ خيرِ البـدوِ والـحَضـاره كـيـف تَـرَيـنَ فـي فـتـى فَـزارَه[١]

حالُ فتى فَزارةَ أنّه أصبحَ يَهوى حُرّةً، والشاعر يُخاطب واحدةً ويريد أخرى.

---

[١] وفي هامش د ف: إيّاكِ... البيتَ. | قالها سَهل بن مالك الفَزاري، وذلك أنّه خرج يريد النعمان، فمرّ ببعض أحياء طيّء، فسأل عن سيّد الحيّ، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبه شاهدًا، فقالت له أخته: «انزل في الرَّحب والسَّعة»، فنزل فأكرمته ولاطَفته، ثمّ خرجت مِن خِبائها فرأى أجْملَ أهلِ دَهرها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْرِي كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها مِن ذلك، فجلس بِفِناء الخِباء يومًا وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول هذه الأبيات. وصار قوله: «إيّاكِ أعْني واسْمَعي يا جارَه» مثلًا؛ يضرب لمَن يتكلّم بكلام ويريد به شيئًا غيره. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٤٩/١.

ومنها: "اللّٰهُمّ والِ مَن وَالاهُ وعَادِ مَن عَاداهُ"، وهي مُفَاعَلةٌ مِن الوَلْيِ وهُو القُرْبُ، كما أنّ المُعَاداةَ من العُدْوَاء وهيَ البُعْدُ.

و"الوَلِيُّ": يقَعُ على المُوَالِي والمُوَالَى جَميعًا، والمعنَى: أنتَ الّذي نُوالِيه من دُونهم إذ لا مُوالاةَ بينَنا وبَيْنَهُم، فبَيَّنُوا بإثباتِ مُوالاةِ الله ومُعَادَاةِ الكُفّار بَراءَتَهُم من الرِّضَا بعبَادَتِهم لهم؛ لأنّ مَن كان على هذه الصِّفة كانَتْ حالُه مُنافيةً لذلك.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يُرِيدُونَ: الشَّيَاطينَ حيثُ أطَاعُوهُم في عبَادَةِ غَيْرِ الله.

وقيل: صَوَّرَتْ لهُم الشّياطينُ صُوَرَ قوْمٍ مِن الجنّ وقالوا: هذه صُوَرُ المَلائكةِ فاعبُدُوهَا.

وقيل: كانوا يَدْخُلُونَ في أَجْواف الأَصْنام إذا عُبِدَتْ فيُعبَدُونَ بِعبَادَتها.

وقرئ: ﴿نَحْشُرهُم﴾ و﴿نَقُولُ﴾ بالنُّون واليَاء.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الأمرُ في ذلك اليَومِ لله وحْدَهُ لا يَمْلِكُ فيه أَحَدٌ منفعةً ولا مَضرَّةً لأحَدٍ؛ لأنّ الدّارَ دَارُ ثَوابٍ وعِقَابٍ، والمُثيبُ والمُعَاقِبُ هو الله، فكانَتْ حَالُهَا

قوله: (ومنها «اللّهمَّ والِ») قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١] في حقّ عليّ رضي الله عنه:[٢] «اللّهمّ والِ»... إلخ.[٣]

قوله: (وقيل: صوّرت) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (حيث)... إلخ. يريد: أنّ المراد بعبادة الشياطين طاعتهم، أو أنّهم عبدوا صورَها، أو عبدوا مَن في جَوفِ الأصنام.

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] د - رضي الله عنه.

[٣] مسند أحمد، ٢٦٢/٢ (٩٥٠)؛ سنن ابن ماجه، ٨٤/١ (١١٦)؛ المستدرك للحاكم، ١١٨/٣ (٤٥٧٦).

خِلافَ حالِ الدُّنيا الَّتي هيَ دارُ تكليفٍ والنَّاسُ فيها مُخَلًّى بَيْنَهُم يتَضارُّونَ ويتنافعُونَ، والمرادُ: أنه لا ضَارَّ ولا نافِعَ يومئذٍ إلَّا هو، ثُمَّ ذكَر مُعَاقبتَه الظَّالِمينَ بقولِه: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مَعْطُوفًا على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

الإشارةُ الأُولى إلى رسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والثانيةُ إلى القرآنِ، والثَّالثةُ إلى الحَقِّ، والحقُّ: أَمْرُ النُّبوَّةِ كُلُّه، ودِينُ الإسْلام كمَا هُوَ.

وفي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وفي أَنْ لم يُقَلْ: وقالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وما في اللَّامَيْن من الإشارةِ إلى القَائلينَ والمقُولِ فيه، وما في ﴿لَمَّا﴾ مِن المُبَادَهة بالكُفْرِ= دليلٌ على صُدورِ الكلام عن إنْكارٍ عَظيمٍ وغضَبٍ شَديدٍ وتَعجيبٍ مِن أمْرِهم بليغٍ؛ كأنَّه قال: وقال أُولئك الكفَرةُ المُتَمرِّدُونَ بجراءَتِهم عَلى الله ومُكَابَرتِهِمْ لمِثل ذلك الحقِّ النَّيِّر قَبلَ أَنْ يَذُوقُوه: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فبَتُّوا القضَاءَ عَلى أنَّه سحْرٌ، ثمَّ بَتُّوهُ عَلى أنَّه بيِّنٌ ظَاهِرٌ كُلُّ عاقلٍ تأمَّلَهُ سمَّاهُ سِحرًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم﴾ كُتُبًا يَدْرُسُونَها فيها بُرْهَانٌ على صِحَّةِ الشِّرك، ولا ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ نَذِيرًا يُنْذِرُهم بالعقَاب إنْ لم يُشركُوا، كما قال عزَّ وعلا: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٥].

قوله: **(وما في اللامَين)**... إلخ بَدَلُ الاشتمال مِن قوله: **(وفي قوله)**... إلخ. وقوله: "اللامين" أي: في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ و﴿لِلْحَقِّ﴾. وقوله: **(المقولِ فيه)** أي: "الحقّ".

قوله: **(فيها برهان)** هذه الجملة صفة **(كتبًا)**.

أو وَصَفَهُم بأنّهم قومٌ أُمّيّونَ أهْلُ جاهِليّةٍ لا مِلّةَ لَهُم، ولَيسَ لهُم عَهْدٌ بإنْزالِ كتَابٍ ولا بِعْثةِ رسُولٍ؛ كما قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف ٢١/٤٣] فليسَ لِتَكْذِيبِهم وَجهُ مُتشبّثٍ ولا شُبْهَةُ مُتعلّقٍ؛ كما يقُول أَهْلُ الكتاب -وإنْ كانُوا مُبطِلينَ-: نحنُ أَهْلُ كُتُبٍ وشَرَائعَ ومُستنِدُون إلى رُسُلٍ من رسُل اللهِ.

ثم توَعَّدَهُم على تكْذِيبهم بقَوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ﴾ تقَدَّمُوهُم من الأُمَمِ الماضية والقُرونِ الخَاليةِ كما كَذَّبُوا ومَا بَلغَ هَؤلاء بعضَ ما آتينا أُولئكَ من طُول الأَعْمارِ وقُوّة الأَجْرام وكثْرَةِ الأَمْوال، فحين كَذَّبُوا رُسُلَهُم جَاءهم إنْكَاري بالتَّدمِير والاستِئْصَالِ، وَلم يُغْنِ عنْهُم استظهَارُهم بما هم به مُستَظهِرُونَ، فما بالُ هؤلاءِ.

وقرئ: "يُدَرِّسُونَها" من التَّدرِيس، وهو تكريرُ الدَّرْسِ، أو من دَرَّسَ الكتابَ ودرَّسَ الكُتُبَ، و: "يَدَّرِسُونها" بتشدِيد الدَّال يفتَعِلُونَ من الدَّرْس.

و"المِعشارُ": كالمِرباعِ، وهُما: العُشْرُ والرُّبُع.

فإن قلتَ: ما مَعنى ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ وهُو مُستغنًى عنه بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؟

قلتُ: لمّا كان مَعنَى قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وفَعَل الَّذِين من قَبْلِهم التَّكْذِيبَ وأَقْدَمُوا عَليهِ، جُعِلَ تكْذِيبُ الرُّسل مُسَبَّبًا عَنْه، ونظِيرُه أَنْ يقُولَ القائلُ: أَقدَم فُلانٌ عَلى الكُفر فكَفر بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ.

ويجُوز أَنْ ينْعَطِفَ على قَوله: ﴿ما بلَغُوا﴾ كقولك: ....

قولـه: (أو وصَفهُـم) عطـف مِـن حيـث المعنـى علـى جملـة قولـه: "فيهـا برهـان"... إلـخ.

قوله: (وفعَل الذين)... إلخ لم يُقدَّر[١] له مفعول؛ بل أجريَ مُجرى اللازم.

[٢٩٣و] قوله: (ويجوز / أن ينعطف)... إلخ، وعلى الوجه كان معطوفًا على ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.[٢]

---

[١] ن: تقدّر.

[٢] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مِعْشَارَ﴾ بمعنى العشر. قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري وتغييري عليهم. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٤٠٥/٦ (سبأ ٤٥/٣٤).

ما بَلغَ زَيْدٌ معشَارَ فَضْلِ عمرٍو فتَفَضَّلَ عَلَيْه.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: للمُكذِّبينَ الأوَّلِين فليَحْذَروا مِن مِثْله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٤٦﴾

﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾: بخَصْلةٍ وَاحدةٍ، وقد فسَّرهَا بقَوله: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ على أنَّه عطْفُ بيَانٍ لها، وَأَراد بقيَامِهم: إمَّا القيَامَ عن مجْلِسِ رسول الله وتفرُّقَهم عن مُجْتَمَعِهم عِنْده، وإمَّا القيَامَ الَّذي لا يُرادُ به المُثُولُ على القَدَميْنِ ولكنِ الانتِصَابُ في الأَمْر والنُّهُوضُ فيه بالهِمَّةِ.

والمعنَى: إنَّما أَعِظُكم بوَاحدةٍ إنْ فَعلْتُموها أصَبْتُم الحَقَّ وتَخلَّصْتُم، وهيَ: أَن تقومُوا لِوجْهِ الله خالصًا، مُتفرِّقِينَ اثنيْنِ اثنين وواحِدًا واحِدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أَمْرِ محمَّدٍ وما جَاء به:

أَمَّا الاثنَانِ: فيَتفكَّرانِ ويَعْرِضُ كُلُّ واحدٍ مِنهما مَحصُولَ فكْرِه على صاحبِهِ، ويَنظُرانِ فيه نَظَر مُتصَادِقَيْنِ مُتَنَاصِفَيْنِ لا يَميلُ بهِمَا اتِّبَاعُ هوًى ولا ينْبِضُ لهمَا عرْقُ عَصَبيَّةٍ، حتَّى يَهجُمَ بهِما الفِكرُ الصَّالحُ والنَّظرُ الصَّحيحُ على جَادَّة الحَقِّ وسَنَنِهِ.

وكذلك الفَرْدُ: يفكِّرُ في نفْسِه بعَدلٍ ونصَفَةٍ من غيْرِ أن يُكابِرَها، ويَعْرِضُ فِكرَهُ على عَقْله وذِهْنِه وما استَقرَّ عنْده مِن عاداتِ العُقَلاء ومجَاري أَحْوالِهم.

والَّذِي أَوجَب تَفرُّقَهُم مَثْنَى وفُرادَى: أنَّ الاجْتماعَ مِمَّا يُشوِّشُ الخواطرَ ويُعْمي البصَائرَ، ويَمْنع مِن الرَّوِيَّةِ، ويُخَلِّط القَولَ، ومَع ذلك يَقِلُّ الإنصَافُ ويَكثُر الاعتِسَافُ، ويثُور عَجاجُ التَّعصُّب، ولا يُسمَعُ إلَّا نُصْرةُ المَذْهَب.

وأرَاهُم بقَوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أنَّ هذا الأمْرَ العظيمَ الَّذي تحتَهُ مُلكُ الدُّنيَا والآخرَةِ جميعًا لا يَتصَدَّى لادِّعاء مِثله إلَّا رَجُلانِ: إمَّا مجْنُونٌ لا يُبالِي

قوله: **(عن مجتمعهم عنده)** "عنده" حال "عن مجتمعهم"، ولا يجوز أن يكون متعلّقًا به؛ لأنّ اسم المكان لا يعمل.

بافتِضَاحهِ إذا طُولِبَ بالبُرهَانِ فعجزَ، بل لا يَدْرِي ما الافتِضَاحُ وما رِقْبَةُ العَواقبِ، وإمَّا عَاقلٌ رَاجِحُ العَقل مُرشَّحٌ للنُّبوَّةِ مختَارٌ من أهْلِ الدُّنيا لا يَدَّعيهِ إلَّا بعْدَ صحَّتِه عنده بحجَّتِه وبُرهَانِه، وإلَّا فمَا يُجْدِي على العَاقل دعوَى شيءٍ لا بَيِّنَةَ لهُ عَليه، وقَد عَلِمْتُم أنَّ مُحمدًا مَا به مِن جِنَّةٍ، بل علِمْتُموه راجح العقل بل أَرْجَحَ قُريشٍ عَقْلًا، وأَرزَنهم حِلمًا، وأثقَبَهُم ذِهْنًا، وآصَلَهُم رَأيًا، وأَصْدَقَهم قولًا، وأنزَهَهُم نفسًا، وأجمَعَهُم لِمَا يُحمَدُ عَليه الرِّجالُ ويُمدَحُون به، فكَانَ مَظنَّةً لأَنْ تَظنُّوا بهِ الخيْرَ وتُرَجِّحُوا فيه جَانبَ الصِّدق على الكَذِب، وإذَا فعَلْتُم ذلك كفَاكُم أَنْ تُطَالِبُوه بأنْ يأتِيَكُم بآيةٍ فإذَا أَتَى بهَا تَبيَّنَ أنَّه نَذيرٌ مُبينٌ.

فإن قلتَ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ بِمَ يَتعلَّق؟

قلتُ: يجوز أن يكُونَ كلامًا مُستأنفًا تَنْبيهًا من اللهِ عزَّ وجلَّ على طريقَةِ النَّظر في أمْر رسُول الله، ويجوز أن يكُونَ المَعنى: ثُمَّ تَتفكَّرُوا فتَعْلَمُوا ما بصَاحبكُم من جِنَّةٍ.

وقد جوَّز بَعضُهم أن تكُون ﴿مَا﴾ استفهَاميَّةً.

﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه السَّلام: «بُعِثْتُ في نَسَم السَّاعَة».

قوله: (**وما رِقْبَةُ العواقب**) رَقَبَهُ[١] رِقْبَةً[٢] إذا انتظرَه، ومنه: الرِّقْبة؛ الخوف، وراقَب الله إذا خافَه؛ لأنَّ الخائف يَرْقُبُ العقاب ويتوقَّعه.[٣]

قوله: (**مرشَّحٌ**) أي: مُرَبًّى.

قوله: («**في نَسَمِ الساعة**»)[٤] النَسَم: النفَس، يقال: تنسَّمَ، أي: تنفَّسَ.[٥] وفي بعض الروايات: «بُعِثْتُ في نَفَسِ الساعات»،[٦] وهو عبارة عن القُرب؛ لأنَّ مَن قَرُبَ منك يَصِل إليك نَفَسُه.

---

١ ف: رقَبة.

٢ ف: رِقْبه.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «رقب».

٤ بهذا اللفظ في **كشف الأستار** للهيثمي، ٦٨/٤ (٣٢١٥)؛ **حلية الأولياء** لأبي نعيم، ١٦١/٤.

٥ **الصحاح** للجوهري، «نسم».

٦ كذا في النسخ الخطّيّة بالجمع. وفي **سنن الترمذي**، ٦٦/٤ (٢٢١٣)؛ و**مسند البزّار**، ٣٨٩/٨ (٣٤٦٢): "الساعة".

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جَزاءُ الشَّرط الذي هو قولُه: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ تَقْدِيرُه: أيَّ شيءٍ سَألتُكم من أجْرٍ كقوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر ٢/٣٥] وفيهِ مَعْنيَان:

أَحدُهما: نَفْيُ مَسألةِ الأجْرِ رَأسًا؛ كما يَقولُ الرَّجل لصَاحِبِهِ: "إن أَعْطَيتَني شَيئًا فخذْهُ"، وهُو يَعْلمُ أنَّه لم يُعْطِهِ شيئًا، ولكِنَّه يُريد به البَتَّ؛ لتَعْليقِه الأَخْذَ بما لم يكُن.

والثاني: أن يُريدَ بالأَجْر ما أرَادَ في قَوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان ٥٧/٢٥] وفي قَوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى ٢٣/٤٢]؛ لأنَّ اتِّخاذَ السَّبيلِ إلى الله نصِيبُهم وما فيه نفعُهم، وكذلك المَودَّةُ في القَرابة لأنَّ القرابَة قد انتَظمَتْه وإيَّاهُم.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: حفِيظٌ مُهَيْمِنٌ يَعلمُ أنِّي لا أَطْلُب الأَجْرَ على نَصيحَتِكُم ودُعَائكُم إلَيْه إلَّا مِنه، ولا أَطْمعُ مِنكم في شيءٍ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

"القَذفُ والرَّمي": تَزْجِيَة السَّهم ونحوِهِ ....

قوله: (**رأسًا**) حال، أي: في حال كون الأجر واحدًا منفردًا بحيث لا يَشُذُّ منه شيء، فلذلك يقال: هو بمعنى مَجمُوعًا. يقال: تركته أصلًا ورأسًا، أي: بالكلّيّة. ويجوز أن يكون مصدرًا، أي: نفيًا كُلّيًا.

قوله: (**يريد البَتَّ**) أي: يريد القَطْع بأنّه لم يُعْطِه شيئًا، ثمّ أشار إلى كيفيّة إفادته القطعَ بقوله: (**لتعليقه**)؛ وذلك لأنّه جعل الأخذ متعلّقًا بما لم يكن، حيث قال: فخُذْهُ، وليس هناك شيء، وإذا كان الأخذ محالًا وهو مِن لوازم الإعطاء كان الإعطاء منتفيًا قطعًا.

قوله: (**تَزجيةُ السَّهم**) ولو قال المصنّف بدل قوله: "تزجيةُ السَّهم":

بدَفْعٍ واعتِمادٍ، ويُستعَارَانِ من حَقِيقتِهما لِمَعنى الإلقاء، ومِنه قولُه تَعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الاحزاب ٢٦/٣٣] ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ [طه ٣٩/٢٠].

ومَعْنى ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يُلْقِيه ويُنْزِلُه إلى أنبيَائه، أو يَرْمي به البَاطلَ فيَدْمَغُه ويُزْهِقُه.

"دَفْعُ السهم" أو "طَرْحُ السهم" مثلًا كان أَولى؛ لأنّ التزجية هي الدفع برفق، ذكَره في **الصحاح**.[١] وقال في **المجمل**: «التَّزجية: دفع الشيء، كما تُزَجّي البقرةُ ولدَها تَسوقُه، والريحُ تُزجي السحابَ تسوقه سَوْقًا رِفْقًا».[٢] وإذا كان التزجية موضوعة[٣] لِما فيه رِفْق يكون استعماله فيما فيه عُنف واعتماد استعمالًا في ضِدِّه. والوجه أن نقول: إنّ المصنِّف لمَّا كان في بيان أنّ اللفظ الخاصّ قد يُجعل عامًّا جعل التَّزجية عامًّا، ثمّ قَيّده بقوله: **(بدفعٍ واعتماد)**.

قوله: **(لمعنى الإلقاء)** الإلقاء: الطَّرح، تقول منه: ألقِه مِن يَدِك، وألقِ به مِن يَدِك، وألقَيْتُ عليك المودّةَ، وألقيتُ إليه المَودّة، وبالمودّة.[٤] ويظهر لك مِن هذا أنّ القذف إذا استُعمل بمعنى الإلقاء يكون مجازًا لُغويًا راجعًا إلى معنى الكلمة غيرَ مفيد، وهو أن يكون الكلمة موضوعة لمعنى مِن المعاني[٥] مع قيد، فتَستَعمِلُها لذلك المعنى لا مع ذلك القيد، مثل أن يُستعمل الحافر -وأنّه موضوع للرِّجل مع قيد أن يكون رِجلَ فرس أو حِمار- استعمالَ الرِّجل بالإطلاق اعتمادًا على دلالة القرينة؛ لأنّ القذف موضوع للإلقاء مع قيد كما ذكر، فإذا استُعمل في الإلقاء مِن غير زيادةِ قَيد يكون مجازًا لُغويًا راجِعًا[٦] إلى معنى الكلمة[٧] غيرَ مفيد.[٨] وإنّما قيل لهذا القسم مِن المجاز: "غير مفيد"؛ لِقيامه مقامَ أحد المترادفين، كلَيْث وأسد، وحبَسَ ومنَعَ، عند المصير إلى المراد.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «زجا».

٢ **مجمل اللغة** لابن فارس، «زجى».

٣ ف: موضوعه.

٤ **الصحاح** للجوهري، «لقي».

٥ ن: لمعاني.

٦ ف + أي: بدفع واعتماد.

٧ وفي هامش د ف: أي: بدفع واعتماد.

٨ ف: مقيد.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ رَفعٌ محمُولٌ على محَلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسْمِهَا، أو عَلى المُستكِنِّ في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو هو خبَرُ مُبتدإٍ مَحذُوفٍ، وقرئَ بالنصب صِفَةً لـ﴿رَبِّي﴾ أو عَلى المَدْحِ.

وقرئَ: ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ بالحركَات الثلاثِ، فالغِيُوبُ كالبِيُوت، والغَيُوبُ كالصَّيود وهو الأمْرُ الذي غابَ وَخفِي جدًّا.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾

الحيُّ إمَّا أَنْ يُبْدِئَ فِعْلًا أو يُعِيدَه، فإذا هَلكَ لم يَبْقَ له إِبْداءٌ ولا إعَادةٌ، فجَعلُوا قولهم: "لا يُبْدئُ ولا يُعِيدُ" مَثَلًا في الهَلاك، ومِنْه قَولُ عَبيدٍ:

وليس هذا استعارة عند علماء البيان. وإنّما قال المصنّف: "يُستعار لمعنى الإلقاء" لا باصطلاح أهل البيان؛ بل بحسب اللغة. ثمّ أورد المصنّف مثالين، وشرَع بعده في معنى الآية، وذكر معنَيَين: فعلى **الأوّل**: يكون ﴿يَقْذِفُ﴾ بمعنى يُلقي، ويكون مجازًا لُغويًّا / مَعنويًّا غيرَ مفيد، وعلى **الثاني**: يكون مِن الاستعارة [٢٩٣ظ] المُصرّحة التحقيقيّة؛ لأنّه شبّه إيراد الحقّ على الباطل لإذهاب الباطل بالقذف، أي: بإلقاء الشيء على الشيء بدفعٍ واعتمادٍ، ثمّ ذُكرَ القَذفُ وأريدَ إيراد الحقّ على الباطل لإذهابه، فيكون مِن الاستعارة التي ذكرنا، ويكون تبعيّة؛ لأنّ الاستعارة في الفِعل تكون بتبعيّة المصدر، وهو استعارة محسوس لمعقول؛ لأنّ أصل استعمال القذف في الأجسام، وهو محسوس، فاستُعير لإيراد الحقّ على الباطل، وهو معقول، فالمستَعار منه حسّيّ، والمُستعار له عقليّ.

قوله: **(رفع محمول على محلّ "إنّ")** يعني يكون صفة لاسم "إنّ" تابعةً لِمَحلّه. وقوله: **(أو على المُستكِنّ)** فيكون بدلًا.

قوله: **(بالحركات الثلاث)**[١] فإذا كان ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ بالكسر أو بالضمّ فهو جمع غَيب، كالبيوت في جمع بَيت، وإذا كان بالفتح فهو للمبالغة، وهو مُفرد كالضَّروب.

---

[١] قرأ بكسر الغين مِن ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ حمزة وشعبة، وقرأ باقي العشرة بضمّها. وأمّا فتح الغين فقراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى الكوفة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٢٦؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٣.

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فاليَومَ لا يُبْدِي ولا يُعِيدُ

والمعْنَى: جاء الحقُّ وهَلك الباطِلُ؛ كقولِهِ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء ٨١/١٧].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: دخَل النَّبيُّ عليه السلام مَكَّةَ وَحوْلَ الكعْبةِ ثلاثُ مئة وسِتُّون صَنمًا، فجَعل يَطْعَنُها بعُودِ نَبْعَةٍ ويقولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء ٨١/١٧]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

و﴿ٱلْحَقُّ﴾: القرآنُ، وقيل: الإسْلامُ، وقيل: السَّيفُ.

قوله:

(أقفرَ مِن أهله عَبيدُ)... البيتَ[1]

"أَقْفَر"، أي: خلا عن أهله، أي: هَلَك. قصّة عَبيد أنّ المنذر بن ماءِ السماءِ كان ملِكًا، وكان له يوم في السَّنة يذبَح فيه أوّلَ مَن يَلقى، فبَينا هو يسيَر في ذلك اليوم إذ أشرف[2] له عَبيدُ بنُ الأبرص، فقال لِرَجُل ممّن كان معه: «مَن هذا الشَقيُّ؟»، فقال: «حالَ الجَرِيضُ[3] دون القَرِيضِ»،[4] فقال الملك: «أنشِدنا قولك:

أقفَرَ مِن أهلِه مَلحُوبُ فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ»[5]

فقال:

«أقفرَ مِن أهلِهِ عَبيدُ»... البيتَ[6]

و"مَلحُوبُ": اسم موضع.

قوله: (نبعة) النبع: شجر يُتّخذ منه القِسيّ، ويُتّخَذ مِن أغصانه السهام.[7]

---

١ ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٤٥.

٢ ن ف: إذا شرف.

٣ ن: لجَريض.

٤ "الجَرِيض": الغُصّة، مِن "الجَرَض"؛ وهو الريق يُغَصّ به، يقال: جَرِض بريقه يَجْرَضُ؛ وهو أن يبتلعَ ريقَه على هَمّ وحزن، يقال: مات فلان جَرِيضًا، أي: مغمومًا. والقَرِيض: الشِّعر، وأصله جِرّةُ البعيرِ. وحالَ: مَنَع. مَثَل يُضرب للأمر يقدر عليه أخيرًا حين لا ينفع. مجمع الأمثال للميداني، ١٩١/١.

٥ انظر: ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٠. و"مَلحُوب" و"القُطَبِيّات" و"الذَّنُوب": مواضع كلّها بديار بني أسد. انظر: سمط اللآلي للبكري، ٥٦٥/١.

٦ انظر: الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٩٤/٩؛ وديوان عبيد بن الأبرص، ص ٤٥.

٧ الصحاح للجوهري، «نبع».

وقيل: الباطِلُ إبليسُ؛ أي: ما يُنشِئ خَلْقًا ولا يُعِيدُه، المُنشئ والبَاعِثُ: هُو اللهُ.

وعن الحسَن: لا يُبْدِئ لأَهْله خيْرًا ولا يُعيدُهُ؛ أي: لا يَنفعُهم في الدُّنيَا والآخِرة.

وقال الزَّجَّاج: أَيَّ شيْءٍ يُنْشِئ إبليسُ ويُعيدُه؟ فجَعله للاستفهام.

وقيل للشَّيطَانِ: "البَاطِلُ"؛ لأنَّه صَاحبُ البَاطِل، أو لِأنَّه هَالِكٌ، كما قيل له: "الشيطَانُ" من شَاطَ: إذا هَلَكَ.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾

قرئ: ﴿ضَلَلْتُ...أَضِلُّ﴾ بفتح العين مَعَ كسْرِهَا، و: "ضَلِلْتُ أَضَلُّ" بكَسْرها مع فتحها، وهُمَا لُغتَان نَحْو: "ظَلَلْتُ أَظِلُّ، وظَلِلْتُ أَظَلُّ".

وقرئ: "إِضَلُّ" بكسر الهمزة مَع فتح العَين.

فإن قلتَ: أيْنَ التَّقَابُلُ بين قَولهِ: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ وإنَّما كان يَستقيمُ أن يقالَ: "فإنَّما أَضِلُّ على نَفْسي وَإن اهتَديْتُ فإنَّما أَهْتَدِي لهَا" كقَوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت ٤٦/٤١] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر ٤١/٣٩]، أو يُقَالَ: "فإنما أضِلُّ بنَفْسي"؟

قلتُ: هُما مُتَقابلانِ من جهةِ المَعنى؛ لأنَّ النَّفس كلُّ ما عليها فهُو بها، أَعني: أنَّ كلَّ ما هُو وبَالٌ عليها وضَارٌّ لها فهو بها وبسَببها؛ لأنَّها الأمَّارةُ بالسُّوء، وما لهَا ممَّا يَنفعُها فبِهداية رَبِّهَا وتوفيقهِ، وهذا حُكمٌ عَامٌّ لكُلِّ مكُلَّف،

قوله: **(وما لها ممّا ينفعها فبِهداية)**، فيكون قوله: ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ في قوله:[1] قولك: فلنَفسي، أو نقول فيكون قوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ في معنى:[2] فإنّما أضلّ بنفسي. وقوله: **(وما لها)** عطفٌ على قوله: **(ما عليها)**، فـ"ما" في محلّ الجرِّ لكونه معطوفًا على المجرور.

---

[1] في هامش د: في معنى قولك. "نسخة".

[2] ف: ومعنى.

وإنما أمر رسولَه أن يُسندَه إلى نفسِه لأنَّ الرسول إذا دَخل تحتَه مع جلالةِ مَحلِّه وسَدادِ طريقتِه كان غيرُه أولَى به.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يُدرِكُ قولَ كلِّ ضالٍّ ومُهتَدٍ وفِعلَهُ، لا يَخفى عليه مِنهما شيءٌ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جَوابُه محذوفٌ بمَعنى: لَرأيتَ أمرًا عظيمًا وحالًا هَائلةً، و﴿لو﴾ و﴿إِذْ﴾ والأفعالُ التي هي ﴿فَزِعُوا۟﴾ ﴿وَأُخِذُوا۟﴾ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ كُلُّها للمُضيِّ والمرادُ بها الاستقبالُ؛ لأنَّ ما اللهُ فاعِلُه في المُستقبَلِ بمنزلةِ ما قد كان ووُجِد لتحقُّقه.

ووقتُ الفَزَع: وقتُ البَعثِ وقيامِ السَّاعةِ. وقيل: وقتُ الموتِ. وقيل: يومُ بَدْرٍ.

وعن ابن عبّاس: نزَلتْ في خَسْفِ البَيْداء، وذلك أنَّ ثمانين ألفًا يَغزُونَ الكعبةَ ليُخرِّبُوهَا، فإذا دخلوا البَيْداء خُسِفَ بهم.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا يَفُوتونَ اللهَ ولا يَسْبِقُونَه، وقرئ: "فلا فوتٌ".

والأخذُ من مكانٍ قريبٍ: من المَوْقِف إلى النَّارِ إذا بُعِثُوا، أو من ظَهْر الأَرض

قوله: (منهما شيء)[1] أي: مِن القول والفِعل.

قوله: (والأخذُ مِن مكان)... إلخ "الأخذ" مبتدأ، خبره "مِن المَوقف"، فكأنّه[2] قال: والأخذ مِن مكان قريب هو الأخذ مِن المَوقف منتهيًا بهم إلى النار. وبيّن المصنّف في الأوّل القُرب بقوله: (إلى النار)، فإنّ الموقف قريب مِن نار جهنّم، وكذا البواقي؛ فإنّ ظهر الأرض قريب مِن بَطنِها، وصحراء البدر قريب مِن القَليبِ، ولم يذكر مثلَ ذلك في قولهم:[3] "مِن تحت أقدامهم" لظهور ذلك، وهو باطن ذلك الموضع، ففيه لفّ ونشر. فكلّ[4] واحد مِن قوله: (مِن المَوقِف إلى النار)... إلخ متعلّق بكلّ واحد مِن قوله: (وقتُ البعث)... إلخ.

---

[1] ن: سر.
[2] ن: وكأنّه.
[3] لعلّ الصواب: "في قوله".
[4] ن: وكلّ.

إلى بَطْنِها إذا ماتُوا، أو من صحراء بدرٍ إلى القَليبِ، أو من تحتِ أقدامهم إذا خُسِف بهم.

فإن قلتَ: علامَ عُطِفَ ﴿وَأُخِذُواْ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان: العَطْفُ على ﴿فَزِعُواْ﴾؛ أي: فَزِعُوا وأُخِذُوا فلا فوتَ لهُم، أو على "لا فَوْتَ" على مَعْنى: إذ فَزِعُوا فلم يَفُوتُوا وأُخِذُوا.

وقرئ: "وأَخْذٌ" وهُو معْطُوفٌ على محلِّ "لا فوْتَ"، ومعناه: فلا فوتَ هُنَاك وهُناك أَخْذٌ.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ عليه السلام؛ لَمُرورِ ذِكْرِه في قولِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ ٣٤/٤٦].

و"التَّناوُلُ" و"التَّنَاوُشُ" أَخوَانِ، إلَّا أَنَّ التَّناوُشَ تَناوُلٌ سَهْلٌ لِشيءٍ قريبٍ؛ يُقَال: نَاشَهُ يَنُوشُه، وتَنَاوشَهُ القومُ، ويُقَال: تَناوشُوا في الحَرْبِ: نَاشَ بَعضُهم بَعْضًا، وهذا تَمثِيلٌ لطَلَبهم ما لا يكُونُ، وهو: أَن يَنفعَهُم إيمانُهم في ذلك الوقت كما ينفَع المؤمنِينَ إيمانُهم في الدُّنيَا: مُثِّلَتْ حَالُهم بحالِ مَن يُريد أن يتناوَل الشَّيءَ من غَلْوَةٍ كما يتَناوَله الآخرُ من قِيسِ ذراعٍ تَناوُلًا سَهْلًا لا تعَبَ فيهِ.

وقرئ: ﴿التناؤش﴾ هُمِزَتْ الواوُ المضمُومَةُ كما هُمِزتْ في أُجُوهٍ وأَدْؤُرٍ،

قوله: (**أي: فَزِعوا وأُخِذوا**) ففيه تقديم وتأخير، فهو مِن القَلب.

قولـه: (**لمـرور ذكـره**) متعلّـق بمحذوف، أي: جـاز رجـوع الضميـر إليـه لِمرور ذِكره.

قوله: (**مِن غَلْوة**)[١] غَلَوتُ السهمَ غَلْوًا إذا رميتَ به بُعْدَ[٢] ما تقدِر عليه. والغَلْوة: الغاية مِقدار رَمية.[٣]

[١] ف: مِن غَلْوه.
[٢] في مطبوع **الصحاح**: "أبعدَ".
[٣] **الصحاح** للجوهري، «غلو».

وعن أبي عَمرو: ﴿ٱلتَّنَاؤُشُ﴾ بالهَمز: التّناوُلُ من بُعْدٍ، من قَولهم: نَأشتَ: إذا أبطأتَ وتأخّرتَ، ومنه البيتُ:

تَمَنَّـــى نَئِيشًـــا أن يكُـــونَ أطَاعَنِـــي

أي: أخِيرًا.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: كيف يمكن لهم التناول السّهْل مِن المكان البعيد؟[١] فإنّ ذلك ممّا يتعذّر.[٢]

قوله:

[٢٩٤و] (تمنّـــى نئيشًـــا أن يكـــون / أطاعنـــي)

تمامه:

وقـــد حـــدَثَـــتْ بـــعـــدَ الأمـــور أمـــورُ[٣]

يقول: إن صاحبي تمنّى[٤] أخيرًا[٥] أن يكونَ أطاعني فيما نصحتُه وأشرتُ إليه أوّلًا، والحال أن قد حدثَتْ أمورٌ بعد أمور[٦] دلّتْ على رَشادي وصِدْق رأيي.

قوله: (وهو قولهم) أي: التكلّم بالغيب.

---

١ وفي هامش د ف: أي: كيف لهم تناول ما بَعُد عنهم -وهو الإيمان والتوبة- وقد كان قريبًا في الدنيا فضيّعوه؟

٢ وفي هامش د ف: قوله: (وقُرئ: ﴿ٱلتَّنَاؤُشُ﴾ هُمِزت)... إلخ[١] قال ابن مالك في شرحه لضَروري التصريف: «ومَن قال في 'وُدّ': 'أُدّ' مُبدِلَ الهمزة مِن الواو للزوم ضمّتها فله أن يفعل ذلك بواو 'تصاون'[٢] ونحوه للزوم الضمّة». | انظر: إيجاز التعريف لابن مالك، ص ١١٠. | [١] قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم: ﴿ٱلتَّنَاؤُشُ﴾ بالمدّ والهمز، وقرأ باقي العشرة بالواو المحضة بعد الألف مِن غير مدّ. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٥١. [٢] في مطبوع إيجاز التعريف: "تصاول".

٣ لنهشل بن حَرّيّ. انظر: الجليس الصالح للنهرواني، ص ٣٤٠؛ والمستقصى للزمخشري، ١/٣٠٢؛ ولسان العرب لابن منظور، «نأش».

٤ ف: تمنّا.

٥ وفي هامش د ف: أي: في الأخير.

٦ ن - بعد أمور.

و﴿يقذفون﴾ مَعْطوفٌ على ﴿قد كفَرُوا﴾ على حِكاية الحال الماضيَةِ، يعني: وكانوا يَتكلَّمُونَ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ويَأتُون به ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ وهُو قولُهم في رسول الله: ساحرٌ، شاعرٌ، كذَّابٌ، وهذا تَكَلُّمٌ بالغَيْبِ والأمْرِ الخَفيِّ؛ لأنَّهم لم يُشَاهِدُوا مِنه سحرًا ولا شِعْرًا ولا كذبًا، وقَد أتوا بهذا الغَيْبِ من جهةٍ بعيدَةٍ من حَالِه؛ لأنَّ أبعَدَ شيءٍ ممَّا جَاء به الشِّعرُ والسِّحرُ، وأبعَدَ شيءٍ من عَادَتهِ الَّتي عُرِفَتْ بيْنَهم وجُرِّبَتْ: الكَذِبُ والزُّورُ.

وقرئ: "ويُقذَفون بالغَيْب" على البنَاء للمفعُول؛ أي: يَأتيهِم به شيَاطِينُهم ويُلَقِّنُونَهُم إيَّاه.

وإنْ شِئتَ فَعلِّقْهُ بقَوله: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ على أنَّه مَثَّلَهُم في طَلَبِهم تَحْصِيلَ ما عَطَّلُوه مِن الإيمان في الدُّنيا بقَولهم: "آمنَّا في الآخرَة" -وذَلك مَطْلَبٌ مُستبعَدٌ- بمَن يَقْذِفُ شَيئًا من مكانٍ بَعيدٍ لا مجَالَ للظَّنِّ في لُحُوقِهِ، حيثُ يُرِيدُ أنْ يقَعَ فيهِ لكَونه غائبًا عنه سَاخِطًا والغيْبُ: الشَّيء الغائبُ.

قوله: (**وإن شئتَ فعلِّقْه**) عطفٌ على قوله: (**﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾**)، أي: عَلِّق قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ بقوله[1] تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، لا بقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾.

قوله: (**بمَن يقذف شيئًا**) أي: يرمي شيئًا مثلَ السهم مثلًا.

قوله: (**لا مجالَ**) صفة (**مكانٍ**). وقوله: (**في لُحوقه**) الضمير يعود إلى (**شيئًا**)،[2] والجارّ متعلّق بقوله: "لا مجالَ". وقوله: (**حيث**) ظرف "لحُوقِه". والأصوبُ أن يكون مفعولًا به، و"اللُّحوق"[3] مصدر مضاف إلى الفاعل، والضمير في (**يقعَ**) يعود إلى "الشيء"، وفي (**فيه**) يعود إلى[4] "حيث"؛ لأنَّه بمعنى المكان، وقوله: (**لكونه**) تعليل لقوله: "لا مَجالَ للظنّ"، والضمير مِن "كونه" يعود إلى "شيئًا"، ومِن "عنه" إلى "حيث".

---

[1] ن: لقوله.
[2] ف: شيا.
[3] ن + واللحوق.
[4] ن - "الشيء"، وفي (فيه) يعود إلى.

ويجُوزُ أن يكون الضَّميرُ للعَذاب الشَّديد في قَوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ ٣٤/٤٦]، وكَانُوا يَقُولُون: وما نحْنُ بمُعَذَّبِينَ إنْ كانَ الأمْرُ كمَا تَصِفُونَ من قيَامِ السَّاعةِ والعِقَابِ والثَّوابِ، ونحن أكرَمُ عَلى الله من أن يُعَذِّبنَا، قَايِسينَ أمرَ الآخرة على أمْر الدُّنيا، فهذا كانَ قذفَهُم بالغَيْبِ، وهو غيْبٌ ومَقذُوفٌ به من جِهةٍ بَعيدةٍ؛ لأن دارَ الجزاء لا تَنْقَاسُ على دار التَّكْلِيف.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾

﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نَفْعِ الإيمانِ يَومئذٍ والنَّجَاةِ بهِ من النَّار والفَوْزِ بالجنَّةِ، أو منَ الرَّدِّ إلى الدُّنيَا كمَا حَكى عَنهم: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة ٣٢/١٢].

﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾: بأشبَاهِهم من كَفرة الأُمَمِ ومَن كان مذهَبُه مَذهبَهُم.

﴿مُرِيبٍ﴾: إمَّا مِن أرابَهُ: إذا أوْقَعَهُ في الرِّيبة والتُّهمةِ، أو من أرَابَ الرَّجُلُ: إذا صَار ذا رِيبَةٍ ودَخلَ فيها، وكِلاهُما مجَازٌ، إلَّا أنَّ بَينهما فُرِيقًا: وهُو أنَّ المُريبَ من الأوَّلِ مَنقُولٌ ممَّن يَصحُّ أن يكُون مُريبًا مِن الأعْيَان إلى المَعنى، والمُريبَ منَ الثَّانِي مَنقُولٌ من صَاحِب الشَّكِّ إلى الشَّكِّ؛ كما تَقُولُ: شِعرٌ شَاعرٌ.

قوله: (**ويجوز أن يكون الضمير**) أي: الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ مَرّتين، (**للعذاب الشديد**) لا[١] لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم،[٢] فقوله: "ويجوز" عطفٌ على قوله: (﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ **بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم**).[٣]

قوله: (**وكانوا يقولون**)... إلخ تقرير لِجواز كون الضمير للعذاب. وقوله: (**قائسين**)[٤] حال مِن واو "يقولون". وقوله: (**فهذا**) إشارة إلى قوله: (**وما**[٥] **نحن**)... إلخ. وقوله: (**وهو غَيْب**) أي: القياس غَيْب. وقوله: (**مجاز**) أي: في الإسناد.[٦]

---

١ ن - لا.

٢ د: عليه السلام.

٣ د: عليه السلام.

٤ ف: **مائسين**.

٥ ن - ما.

٦ وفي هامش د ف: على **الأوّل** أُسندَ إلى السبب؛ لأنّ الشكّ سبب للإيقاع في الشكّ. وعلى **الثاني** أُسندَ إلى المصدر.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة سَبَأ لم يبقَ رسُولٌ ولا نبيٌّ إلّا كان له يومَ القيامة رفِيقًا ومُصَافحًا».

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.[1]

---

١ ن - ومنّه وكرمه؛ ف - بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه.

سورة الملائكة

مكيَّةٌ، وهي خمسٌ وأربعُون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مُبْتدِئِهَا ومُبتَدِعِها.

وعن مُجاهدٍ عن ابن عبَّاسٍ: ما كُنْتُ أَدْرِي ما فَاطِرُ السَّماواتِ والأرْض حَتَّى اختصَم إليَّ أَعْرابيَّانِ في بئرٍ فقال أحَدُهَما: أنَا فطَرتُها. أي: ابتَدأتُها.

وقُرِئ: "الذي فَطر السَّماواتِ والأرض وجَعَل الملائكةَ".

وقرئ: "جاعِلُ الملائكةِ" بالرَّفع عَلى المَدْح.

﴿رُسُلًا﴾ بضَمِّ السِّين وسُكونه.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾: أصحابَ أجْنحَةٍ. و"أُولُو": اسمُ جمْعٍ لـ"ذُو" كما أنَّ "أُولاءِ" اسمُ جَمْعٍ لـ"ذَا"، ونَظِيرُهما في المُتمَكِّنَة: ....

سورة الملائكة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ نعت لـ﴿رُسُلًا﴾، أي: ملائكةً أولي أجنحةٍ.

قوله: (**اسم جمع لـ"ذو"**) بمعنى صاحب. وقوله: (**اسم جمع لـ"ذا"**) اسم الإشارة.

[1] وتسمّى سورة فاطر. انظر: **الإتقان** للسيوطي، ١/١٩٤.

المَخاضُ والخَلِفَةُ.

﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صِفاتٌ لـ﴿أَجۡنِحَةٖ﴾، وإنَّما لم تنصَرِفْ لتكرُّرِ العَدْلِ فيها، وذلك أنّها عُدِلَتْ عَن ألفاظِ الأَعدادِ عن صِيَغٍ إلى صِيَغٍ أُخَرَ كما عُدِلَ "عُمَرُ" عَن "عامرٍ"، و"حَذامُ" عن "حَاذِمَة"، وعن تكْريرٍ إلى غيرِ تكْريرٍ، وأمَّا الوصفِيَّةُ

قوله: (**المَخاضُ والخَلِفةُ**) "المَخاض": الحوامل مِن النُّوق، الواحدة "خَلِفَة"، لا واحدَ لها مِن لفظها.[1]

قوله: (**عن صِيَغ**) بدل مِن قوله: (**عن ألفاظ الأعداد**). وقوله: (**وعن تكريرٍ**) عطفٌ على قوله: "عن صِيَغ".

قوله: (**وإنّما لم تَنصرف[2] لِتكرُّر[3] العَدل**) "ثُلاث ومَثْلَث" غير منصرف للعَدل والصفة، هذا قول سيبويه. وقال غيره: إنّما لم تنصرف لتكرّر العدل فيه في اللفظ والمعنى؛ لأنّه عُدِل عن لفظ "اثنين" إلى لفظ "مَثْنَى" و"ثُناءَ"، وعن معنى "اثنين" إلى معنى "اثنين اثنين"؛ لأنّك إذا قلت: "جاءت الخيل مَثنى"، المعنى: اثنين اثنين، أي: جاءوا مُزدَوِجين، وكذلك "جميع"[4] معدول المعدود.[5]

ثمّ أشار المصنّف إلى تقوية القول الثاني بقوله: (**وأمّا الوصفيّة**)... إلخ، يريد أنّ الوصفيّة فيها عارضة، فلا يُعتدّ بها، كما لا يُعتدّ بها في قولك: مَررت بنسوة أربع، وبرجال ثلاثة. وهذا الذي ذكره ضعيف؛ لأنّ الوصفيّة لازمة لهذه الصيغ المعدولة، ولا تُستعمل هذه الصيغ إلّا بمعنى الصفة بخلاف المعدول عنها، فإنّ الصفة عارضة فيها، وأصلها أن تُستعمل غيرَ صفات، بمعنى أسماء / العدد. [٢٩٤ظ]

---

[1] الصحاح للجوهري، «مخض». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مَثۡنَىٰ﴾ نعتٌ لـ﴿أَجۡنِحَةٖ﴾، وقد ذكر الكلام في هذه الصفات المعدولة في أوّل النساء [النساء ٣/٤]. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١٠٧٢/٢.

[2] ن: يتصرّف.

[3] وفي هامش د: يعني: فيه العدل مِن وجهين كما ذكر.

[4] ن: جمع.

[5] الصحاح للجوهري، «ثلث».

فلا تَفترِقُ الحَالُ فيها بين المعْدُولةِ والمَعْدُولِ عنها، ألَا تَراكَ تقُولُ: "مَرَرْتُ بِنسوَةٍ أرْبَعٍ وبرجالٍ ثلاثَةٍ" فلا يُعرِّجُ عَليها.

والمَعنى: أنَّ من الملائكة خَلْقًا أَجْنِحتُهم اثنَانِ اثنَانِ؛ أي: لكلِّ واحِدٍ مِنهم جَناحَانِ، وخَلْقًا أجنحتُهم ثلاثةٌ ثلاثةٌ، وخلقًا أجنِحتُهم أربعةٌ أربَعةٌ.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: يزيدُ في خَلْقِ الأَجْنِحةِ وفي غيرِه ما تَقْتضِيه مَشيئَتُه وحِكمتُه، والأَصْلُ الجنَاحَانِ لأنَّهما بمَنزلةِ اليَديْن، ثُمَّ الثَّالِثُ والرَّابعُ زِيَادةٌ عَلى الأَصْل، وذلك أَقْوَى للطَّيرانِ وأعوَنُ عَليه.

فإن قلتَ: قياسُ الشَّفْعِ من الأَجْنِحةِ أَن يكُونَ في كُلِّ شقٍّ نصفُه، فما صُورَةُ الثَّلاثةِ؟

قلتُ: لعَلَّ الثَّالثَ يكونُ في وسَط الظَّهر بيْن الجنَاحَيْنِ يُمِدُّهما بقُوَّةٍ، أو لعَلَّه لِغير الطَّيران، فقَدْ مرَّ بِي في بعْضِ الكُتب أَنَّ صِنْفًا من المَلائكةِ لَهُم سِتَّةُ أَجْنحَةٍ: فجَناحَانِ يَلُفُّونَ بهما أجسَادَهُم، وجنَاحَان يَطِيرُونَ بهما في الأَمْر مِن أمُورِ الله، وجنَاحَان مُرْخَيَانِ على وُجوههم حيَاءً مِن الله.

وعن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: أَنَّه رَأى جبريل ليلةَ المِعْراج وَله ستُّ مئةِ جَنَاحٍ.

ورُوي: أنَّه سأل جبريلَ صلواتُ الله عليه أن يَتراءَى لَه في صُورَتِه فقال: إنك لن تُطِيقَ ذلك، قال: «إنِّي أُحِبُّ أن تفعَل» فخَرج رَسُولُ اللهِ في لَيْلةٍ مُقْمِرةٍ،

قوله: **(فلا يُعرِّجُ عليها)** عطفٌ على قوله: **(فلا يَفترق الحالُ)**. يقال: مررتُ به فما عرَّجْتُ عليه، أي: ما وقفتُ عنده،[1] ومنه: المعتكف يَمرُّ بمريض، فيسأل عنه، ولا يُعرِّجُ عليه.[2]

قوله: **(مُقْمِرةٍ)** أي: مضيئة، يقال: أقمَرت ليلتنا، أي: أضاءت.[3]

---

[1] ن: عنه.

[2] **المُغرب** للمطرِّزي، «عرج».

[3] **الصحاح** للجوهري، «قمر».

فأتاه جبريلُ في صُورَته، فغُشيَ عَلى رسُول الله ثُمّ أفاقَ وجبريلُ عليه السلام مُسْنِدُه وإحْدَى يَدَيه على صَدرِهِ والأُخرَى بينَ كتفَيْه، فقال: «سُبْحانَ اللهِ! ما كنتُ أُرَى أنَّ شَيئًا مِن الخَلْق هَكذا»، فقال جبريلُ: فكيفَ لو رأيتَ إسرافيل له اثنا عشرَ جَناحًا: جَناحٌ منها بالمَشْرِقِ وجَناحٌ بالمَغْرِب، وإنَّ العرْشَ على كاهِله، وإنّه ليتَضَاءلُ الأحايينَ لِعَظمةِ اللهِ حَتَّى يعُود مثْلَ الوَصْعِ، وهو العُصْفُور الصَّغيرُ.

ورُوي: عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: «هو الوَجْهُ الحَسنُ، والصَّوْتُ الحسَنُ، والشَّعرُ الحَسنُ».

وقيل: الخطُّ الحَسنُ.

وعن قتادة: المَلاحَةُ في العَيْنَين.

والآيةُ مُطْلَقَةٌ تتَناوَلُ كُلَّ زيَادةٍ في الخَلقِ: من طُولِ قَامَةٍ، واعتِدالِ صُورةٍ، وتمامٍ في الأعضَاءِ، وقُوّةٍ في البَطْشِ، وحَصَافَةٍ في العَقْلِ، وجَزالةٍ في الرَّأيِ، وجُرأةٍ في القَلْبِ، وسَماحَةٍ في النَّفْسِ، وذَلاقَةٍ في اللِّسَانِ، ولَبَاقَةٍ في التَّكلُّم، وحُسْنِ تأتٍّ في مُزاوَلَةِ الأمُور، وما أشبَهَ ذلك ممَّا لا يُحِيطُ بهِ الوصْفُ.

قوله: (وجبريل مُسْنِدُه) سَندتُ إلى الشيء أسنُدُ سُنُودًا، واستندتُ استنادًا؛ بمعنًى، وأسندتُ غيري.[1]

قوله: (وإنّه لَيتضاءلُ) أي: يصير ضَئيلًا ضعيفًا. وقوله: (الأحايِين) "الأحايِين": جمع "الأحيان"، و"الأحيان" جمع[2] "حين".

قوله: (وحَصافةٍ) الحَصيفُ: المُحكمُ العقلِ، وقد حَصُف -بالضمّ- حَصافة.[3]

قوله: (ولَباقةٍ) اللَّبِقُ واللَّبيقُ: الرجل الحاذق بما يعمله، وقد لَبِقَ -بالكسر- لَباقةً، قال الشاعر:

وكـــان بـتـصـريـف الـقـنـاة لَـبِـيـقَـا[4]

---

[1] مجمل اللغة لابن فارس، «سند».

[2] ن + جمع.

[3] الصحاح للجوهري، «حصف».

[4] الصحاح للجوهري، «لبق». والشطر كذلك بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «لبق»؛ وسمط اللآلي للبكري، ١/٤١٠.

﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾

استُعيرَ الفَتحُ للإطْلاقِ والإرْسَالِ، ألَا تَرى إلى قَولِه: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ مكانَ: "لا فَاتِحَ له"، يَعْنِي: أَيَّ شيءٍ يُطْلِقُ اللهُ من رَحْمةٍ؛ أي: مِن نعمَةِ رِزْقٍ، أو مَطرٍ، أو صِحَّةٍ، أو أَمْنٍ، أو غيْرِ ذلك مِن صُنُوفِ نعَمائهِ الَّتي لا يُحَاطُ بِعَدَدِهَا، وتَنكِيرُ الرَّحمةِ للإِشَاعَةِ والإِبْهامِ كأنَّه قال: مِن أيَّةِ رحْمَةٍ كانَتْ سَماويَّةٍ أو أَرْضِيَّةٍ= فلا أحَدَ يَقْدِرُ عَلى إِمسَاكِهَا وحَبْسِهَا، وأَيَّ شيءٍ يُمْسِك اللهُ فلا أحَدَ يقْدِرُ على إطْلاقِه.

فإن قلتَ: لِمَ أنَّث الضَّمِيرَ أوَّلًا ثم ذكَّرهُ وهو رَاجِعٌ في الحَالَيْنِ إلى الاسْمِ المُتَضَمِّن مَعْنَى الشَّرط؟

قلتُ: هُمَا لُغتَان: الحَمْلُ على المَعْنى وعَلى اللَّفظِ، والمُتَكلِّمُ على الخِيَرَة فيهما، فأُنِّثَ على مَعْنَى الرَّحْمةِ وذُكِّرَ عَلى أَنَّ لفْظَ المَرجُوع إليه لا تَأْنِيثَ فيه، ولأنَّ الأوَّلَ فُسِّر بالرَّحمَةِ فَحسُنَ إتْبَاعُ الضَّميرِ التَّفسيرَ، وَلم يُفسَّر الثَّاني فتُرِكَ على أَصْل التَّذكيرِ.

وقرئ: "فلا مُرْسِلَ لها".

فإن قلتَ: لا بُدَّ لِلثَّانِي مِنْ تَفسيرٍ فما تَفْسِيرُهُ؟

قلتُ: يَحتمِلُ أن يكونَ تفسيرُه مثلَ تفسير الأوَّل، ولكنَّهُ تُرِكَ لدلالَتِه عَليْه،

قوله: **(والإرْسالُ)** بالرفع عطفٌ على قوله: **(الفتحُ)**. يعني: استُعير الفتح للإطلاق، وكذا استُعير الإرْسال للإطلاق. واستدلّ على الثاني بقوله تعالى: ﴿فَلَا مُرْسِلَ﴾ في مقابلة ﴿فَلَا مُمْسِكَ﴾، فأورد الإرسال مكان الفتح، فيكون استعارة عمّا هو استعارة عنه. ويجوز الكسر في "الإرسال"، فيكون الإطلاق والإرسال بمعنى واحد. ثمّ قال: والدليل على أنّ الفتح مستعار للإطلاق -أي: الإرسالِ- ذِكرُ الإرسال مكان الفتح؛ فإنّه لمّا ذُكر الإرسال مكان الفتح عُلِم أنّه استعارة عنه، وهذا هو الصواب.

وأنْ يكُونَ مُطْلَقًا في كُلِّ ما يُمْسِكُه مِن غَضَبِهِ ورَحْمَتِهِ، وإنَّما فُسِّر الأوَّلُ دُون الثَّانِي لِلدَّلالَةِ عَلى أَنَّ رحمتَهُ سبَقَتْ غضَبَه.

فإن قلتَ: فمَا تَقُولُ فِيمَن فسَّر الرَّحْمةَ بالتَّوبةِ وعَزَاهُ إلى ابْن عبَّاسٍ؟

قلتُ: إن أرَادَ بالتَّوبةِ الهِدَايةَ لها والتَّوفِيقَ فيها وهُو الَّذي أرَادَهُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْه -إنْ قَالهُ- فمَقْبُولٌ، وإِن أرَادَ أنَّه إنْ شاءَ أَنْ يتُوبَ العاصِي تابَ وإنْ لم يَشَأ لم يَتُبْ فمَرْدُودٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يشَاء التَّوبَةَ أبدًا ولا يجُوزُ عليه أن لا يشَاءهَا.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بَعْد إمْسَاكِه؛ كقَوله: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية ٢٣/٤٥] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجاثية ٦/٤٥]؛ أي: من بعْدِ هِدَايته وبَعْدِ آياتِه.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ القَادرُ عَلى الإرْسَال والإمسَاك ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الذي يُرْسِلُ ويُمْسِكُ ما تَقتضِي الحِكمةُ إرسَالَه وإمْسَاكَه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾

ليس المرادُ بذِكْر النِّعمة ذكْرُهَا باللِّسانِ فقَط ولكِنْ بهِ وبالقَلْبِ، وحِفظُها من الكُفرانِ والغَمطِ، وشُكرُهَا بمَعرفةِ حَقِّهَا والاعتِرافِ بها وطاعةِ مُولِيها،

قوله: (ولا يجوز عليه أن لا يشاءَها) هذا مذهبه. وأمّا على مذهب أهل السنّة والجماعة فيشاء توبةَ الذين يتوبون، ولا يشاء توبةَ الذين[1] لا يتوبون.

قوله: (مِن بعد إمساكه) يريد أنّ الضمير مِن ﴿بَعۡدِهِۦ﴾ عائد إلى الله تعالى، والمضاف محذوف.

قوله: (أي: مِن بعد هدايته)... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله: (وحِفظُها) عطفٌ على متعلّق قوله: (به)، فكأنّه[2] قال: ذِكرُها به وبالقلب وحِفظُها.

---

[1] ن - يتوبون، ولا يشاء توبةَ الذين.

[2] ن: وكأنّه.

ومنه قولُ الرَّجُلِ لمَن أَنعَم عَليه: "اذكرْ أيَادِيَّ عِنْدَك"، يُرِيد حِفْظَها وشُكرَهَا والعَملَ علـى مُوجَبهـا، والخِطَـابُ عـامٌّ للجَميعِ؛ لأنَّ جميعَهـم مَغمُـورُونَ فـي نِعمـةِ اللهِ.

وعـن ابن عبَّاسٍ: يُريد: يَا أهلَ مكَّة، اذكرُوا نعْمةَ اللهِ عَليْكم حيْثُ أَسْكنَكُم حَرمَهُ، ومَنعَكم من جميع العَالَمِ والنَّاسُ يُتخَطَّفُونَ مِن حَوْلكُم.

وعنهُ: نعمةُ الله العَافيةُ.

وقرئ: ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالحركاتِ الثلاثِ، فَالجرُّ والرَّفعُ على الوَصْفِ لَفظًا ومَحلًّا، والنَّصبُ على الاستثنَاء.

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿يَرْزُقُكُم﴾؟

قلتُ: يَحتمِلُ أن يكُون له مَحلٌّ إذَا أَوقَعْتَه صِفَةً لـ﴿خَـٰلِقٍ﴾، وأَن لا يكُون لـه محَلٌّ إذا رفعْتَ مَحلَّ ﴿مِنْ خَـٰلِقٍ﴾ بإضْمارِ "يرزُقكم" وأوقعْتَ ﴿يَرْزُقُكُم﴾ تفسيرًا لـه، أو جَعلتَه كلامًا مُبتَدأً بعْدَ قولـه: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾.

قولـه: (**وقُرئ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالحركات الثلاث**)[١] قال في **الكواشي**: «﴿خَـٰلِقٍ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، و﴿مِن﴾ زائدة، تقديره: هل خالقٌ غيرُ الله لكم».[٢]

قولـه: (**بإضمار "يَرزقكم"**) وهذا الوجه ضعيف لا ينبغي أن يُحمل عليه؛ لأنّه يصير مثل قولك: "هل زيد خرج؟".[٣] قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**:

> ذكَر -أي: المصنّف في **المفصّل**- مِن الواجب حذف فِعله قوله: "هل زيد خرَج؟" وإن كان موهِمًا أنّ المسألة لا شذوذَ فيها، وأنّها سائغة،[٤] مثلها في "أزَيد خرَج؟" وليس الأمر كذلك؛ بل "هل زيد خرَج؟" شاذّ، وهو على شذوذه مقدَّر على ما ذكره. وإنّما لم يَحسُن عندهم "هل زيد خرج؟" وشبهه إمّا لأنّ "هل" بمعنى "قد" على ما يقوله سيبويه، فكانت[٥] بالفعل أولى،

---

١ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخَلَف بخفض الراء، وقرأ باقي العشرة برفعها. وأمّا النصب فقراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٥١؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٤.

٢ **تفسير الكواشي**، ٤٣١و.

٣ ف: خرح.

٤ ن: شائعة.

٥ ن: وكانت.

فإن قلتَ: هلْ فيه دليلٌ على أنَّ الخالقَ لا يُطْلَقُ على غير الله عزَّ وجلَّ؟

قلتُ: نعَمْ، إن جَعلتَ ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ كلامًا مُبْتدأً، وهُو الوَجْهُ الثَّالِثُ من الأَوْجُهِ الثَّلاثةِ، وأمَّا عَلى الوَجْهين الآخَرَيْنِ -وهُما الوصفُ والتَّفسِيرُ- فقَد تَقيَّدَ فيهما بالرِّزْقِ من السَّماء والأَرْضِ وخَرجَ من الإِطْلاق، فكيفَ يُسْتَشهَدُ بهِ على اختِصَاصِه بالإِطْلاقِ والرِّزقُ مِن السماء المَطرُ ومن الأَرض النَّباتُ؟

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جُملةٌ مَفصُولةٌ لا محَلَّ لها مِثل ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ في الوَجْهِ الثالثِ، ولو وصَلْتَها كما وصَلْتَ ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ لم يُساعدْ عليه المَعنى؛ لأنَّ قَولك: "هل من خَالقٍ آخَرَ سوَى اللهِ لا إلهَ إلا ذلك الخالقُ" غيرُ مُستقيمٍ؛ لأنَّ قولك: "هل من خالقٍ سوى اللهِ" إثبَاتٌ للهِ، فلو ذهَبْتَ تَقُولُ ذلك كُنْتَ مُنَاقِضًا بالنَّفي بعْدَ الإِثبَاتِ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: فمِن أيِّ وَجْهٍ تُصْرَفُونَ عنِ التَّوحيدِ إلى الشِّركِ؟

فإذا وقع بعدها الاسم كان كوقوعه بعد "قد"، ولا يَسُوغ ذلك، فلا يَسُوغ هذا، وإمّا لأنّ "هل" موضوع للاستفهام، والاستفهام[١] مقتضٍ[٢] للفعل في المعنى، فكان[٣] ذِكر الفعل بعده لفظًا هو القياس، ولا يَرِدُ "أزيد خرج؟" لِتصرّفهم / في الهمزة ما لم يتصرّفوا في "هل"، نحو: "أزيدًا ضربتَ؟" دون "هل زيدًا ضربتَ؟".[٤] [٢٩٥و]

جميع ذلك كلامُه في شرح المفصَّل.

قوله: (فقد تقيَّد)[٥] أي: الخالِقُ.

قوله: (والرِّزقُ مِن السماء: المطر) إن جعلت "الرزق" مصدر، فالمضاف محذوف مِن الخبر، أي: إنزالُ المطر، وإنباتُ النبات، وإن جعلتَه اسمًا بمعنى المرزوق فلا حاجةَ إلى التقدير.

قوله: (مُناقضًا) لأنّك إذا جعلتَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفةً لـ﴿خَٰلِقٍ﴾[٦] يكون الضمير عائدًا إليه، فيئول المعنى إلى قولك: "هل مِن خالقٍ لا إله إلّا ذلك الخالق؟"،

---

[١] ن: والاستفها.
[٢] ن: متقتض.
[٣] ن: وكان؛ ف: مكان.
[٤] الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١/١٥١.
[٥] ف: تعيَّد.
[٦] ن: الخالق.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ④﴾

نعَى به على قُرَيْشٍ سُوءَ تَلَقِّيهِم لآياتِ اللهِ وتكذيبَهُم بها، وسَلَّى رسُولَه بأنَّ لهُ في الأنبيَاءِ قَبْلهُ أُسْوَةً، ثُمَّ جَاءَ بما يَشتَمِلُ على الوَعْد والوَعيدِ: من رُجُوع الأمُور إلى حُكْمِهِ، ومُجَازاةِ المُكذِّبِ والمُكذَّب بما يَستَحِقَّانِهِ.

وقرئ ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتحها.

فيلزم نفي ما أثبته الكلام المتقدّم؛ لأنّ الاستفهام فيه للإنكار. هذا تقرير كلامه، وهو موضع تأمّل؛ إذ لا يظهر فساد المعنى ولا التناقض الذي ذكره؛ لأنّك إذا جعلتَ ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ صفتَه كما ذكر، وجعلتَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفةً أخرى؛ يكون المعنى إنكارَ وجود إلهٍ متّصف بأنّه غير الله وبأنّه لا إله إلّا هو، أي:[١] بهذين الوصفين، وهذا معنًى لا خفاءَ في استقامته؛[٢] إذ لا إله في الوجود متّصف بأنّه غير الله وبأنّه لا إله إلّا هو، أي:[٣] بهذين الوصفين، فإنّ الله تعالى هو إلهٌ متّصف بأنّه لا إله إلّا هو، وليس غيره متّصفًا بهذا الوصف.

واعلم أنّ هذا التقرير لكلام المصنّف والاعتراضَ عليه غير صحيح، فإنّ هذا المذكور في الحاشية ليس تقريرًا لكلام المصنّف، وكلام المصنّف صحيحٌ سَدِيدٌ؛[٤] وذلك لأنّ قولك: "هل مِن خالقٍ سِوى الله" إثباتٌ لوجود الله تعالى، ومع ثُبوتِهِ[٥] يمتنع وجود خالقٍ سواه لا إله إلّا ذلك الخالق، وإلّا لزِم نفي ما ثبت وجوده[٦] بالكلام[٧] الأوّل، وهذا معنى كلام المصنّف، والاعتراض المذكور مندفع عنه.

وتمام تقريره أن نقول: قولك: "هل مِن خالق سِوى الله؟" دلّ على أنّ ثبوت الله محقّق مفروض معلوم لا كلامَ فيه، وإنّما الكلام في توحيده ونفي الشرك عنه، وإذا كان كذلك فلا يمكن على هذا التقدير وجودُ خالق سوى الله لا إله إلّا ذلك الخالق الذي هو غيره، وإلّا لَما كان ثبوته تعالى مفروضًا، فهذا الاعتبار ينافي وجودَه،

---

١ ف – أي.
٢ ف: اسقامته.
٣ ف – أي.
٤ ن: شديد.
٥ ف: وجوده.
٦ ن: وجود.
٧ ن: بالكلام.

فإن قلتَ: ما وَجْهُ صِحَّةِ جزاء الشَّرط، ومِن حقِّ الجزاء أن يتعقَّب الشَّرط وهذا سَابقٌ له؟

قلت: مَعناه: وإنْ يُكذِّبُوك فتَأَسَّ بتَكْذِيب الرُّسُلِ من قبْلِكَ، فوضعَ ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾ مَوضِعَ "فتَأَسَّ" استِغنَاءً بالسَّببِ عن المُسبَّب، أَعْنِي: بالتَّكْذِيب عن التَّأَسِّي.

فإن قلتَ: ما مَعْنى التَّنكِير في ﴿رُسُلٌ﴾؟

قلتُ: معناه: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾؛ أَي: رُسُلٌ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ، وأُولُو آيَاتٍ ونُذُرٍ، وأَهْلُ أَعمارٍ طِوَالٍ، وأَصْحابُ صَبْرٍ وعَزْمٍ، وما أشبَهَ ذلك، وهذا أَسْلَى لهُ وأحَثُّ عَلى المُصَابَرةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾

"وعْدُ الله": الجَزاءُ بالثَّواب والعقاب.

والفرضُ وجودُه وثبوتُه. ومثالُه: قولك: "هل رجلٌ غير هذا العالِم موصوفٌ بأنه لا يكون عالم إلّا هذا الرجل الذي هو غير هذا العالِم؟"، فإنّه كلام غير صحيح متناقض؛ لأنّ الفرض أنّ هذا العالِمَ عالِمٌ، فكيف يُتصوّر وجود شخص غيرِه لا يكون العالِم موجودًا غيره؟ فيكون هذا الكلام متناقضًا، فتأمّل، فإنّه على وُضُوحه خفيّ؛ لأنّه معنى دقيق، يَجِلّ عن فهم غير المُدِقِّ،[١] فيُقلِّل ناصرُ الرجل المُحِقّ.

قوله: (**وهذا أَسْلَى**) لمّا ذكر أنّ التنكير أفاد هذا المعنى المذكور أشار بقوله: "هذا أَسْلَى" إلى أنّه إنّما أتى بالتنكير المفيد لهذا المعنى ليفيد السُّلوّ العظيم للنبيّ، والحَثَّ القويّ على المصابرة.

[٢٩٥ظ] قوله: ("**وَعْدُ الله**": **الجزاءُ**) وإذا كان / المراد بالوعد الجزاء، فيكون الوعد بمعنى الموعود.

---

١ ف: المُدَقّ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾: فلا تخدعنكم ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، ولا يُذهِلَنَّكم التمتُّعُ بها والتَّلذُّذُ بمنَافِعِهَا عن العَمل للآخِرة وطَلبِ ما عِنْدَ الله.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: لا يَقُولَنَّ لكم: "اعملُوا ما شئتُم فإنَّ اللهَ غفورٌ يَغْفِرُ كُلَّ كَبيرة ويَعفُو عَن كُلِّ خطِيئةٍ"، و﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطَانُ؛ لأنَّ ذلكَ دَيْدَنُه.

وقرئ بالضَّم، وهو مَصْدَرُ غرَّه كاللُّزُومِ والنُّهُوكِ، أو جَمْعُ غَارٍّ كقَاعِدٍ وقُعُودٍ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾

أخبَرنا عزَّ وجلَّ أنَّ الشَّيطَان لنَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، واقتصَّ عَلينا قصَّتهُ وما فَعل بأبِينَا آدمَ صلواتُ الله عليه، وكيفَ انتَدَب لعَداوةِ جِنْسِنَا من قَبْلِ وُجُودِه وبَعْدِه، ونحنُ على ذلك نَتولَّاهُ ونُطِيعُه فِيما يُرِيدُ منَّا مما فيه هَلاكُنا، فوَعَظَنَا عزَّ وجَلَّ: بأنَّه كما عَلِمْتُم عَدُوَّكُم الَّذِي لا عَدُوَّ أَعْرَقُ في العَداوَةِ مِنْه وأنْتُم تُعامِلُونَهُ مُعَامَلَةَ مَن لا عِلْم لهُ بحَالِه ﴿فاتخذوه عدوا﴾ في عقَائدكُم وأفْعَالِكم، ولا يُوجَدَنَّ مِنكُم ما يَدُلُّ إلَّا عَلى مُعَادَاتِه ومُنَاصَبَتِه في سِرِّكم وجَهْرِكُم.

ثمَّ لخَّصَ سرَّ أَمْرِه وخَطَأَ مَنِ اتَّبعَهُ: ....

قوله: (أخبَرنا الله عزّ وجلّ) أي: في غير هذه الآية مِن الآيات المتقدِّمة.

قوله: (وكيف انتدب) يقال: نَدبتُه فانتدَبَ، أي: دعوتُه فجاء. وأراد بقوله: (جِنْسِنا) أبناءَ جِنْسِنا، وأفرادَ الجِنس. وقوله: (مِن قبلِ وجودِه) أي: قبلَ وجود الجنس حيث قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ [الإسراء ٦٢/١٧]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص ٨٢/٣٨]. وقوله: (فوَعَظنا) أي: في هذه الآية.

قوله: (وأنتم تُعاملونَه)... إلخ إشارة إلى وجه الإتيان بـ"إنّ" في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾...[1] إلخ، يعني:[2] لمَا لم يعملوا على طريقة مَن عَلِمَ أنّه عدوّ جعلهم كأنّهم يُنكرون عداوته، فلذلك أتى بـ"إنّ".

---

[1] ف: السلطان.

[2] ن: معنى.

بأنْ غرضَهُ الَّذي يَؤمُّهُ في دَعْوَةِ شِيعَتِه ومُتَّبِعي خطواتِه هُو أَنْ يُورِدَهُم مَوْرِدَ الشِّقْوَةِ والهَلاكِ، وأن يكُونُوا ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾

ثمّ كشَف الغِطاءَ وقشَر اللِّحاءَ ليَقْطعَ الأَطْمَاعَ الفَارِغةَ والأَمَانيَّ الكَاذبَةَ، فبَنَى الأَمْرَ كُلَّه عَلى الإيمانِ والعَمل وتَركِهمَا.

لمَّا ذكَر الفَريقَين الَّذين كَفرُوا والَّذِين آمَنُوا قال لنَبيِّهِ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ يَعْني: أفمَن زُيِّن له سُوءُ عَملهِ مِن هَذيْنِ الفَريقيْنِ كمَن لم يُزيَّن له، فكَأنَّ رَسُولَ الله قال: لا، فقَالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ ومَعْنى تَزيينِ العَملِ والإِضْلالِ واحِدٌ، وهُو أن يكُونَ العَاصي عَلى صِفَةٍ لا تُجْدِي عَليه المَصالحُ حَتَّى يَستَوجِبَ بذلك خِذلَانَ اللهِ وتَخْليَتَه وشَأنَه، فعِنْد ذلك يَهِيمُ في الضَّلالِ ويُطَلِّقُ آمِرَ النُّهَى ويَعْتنِقُ طَاعَةَ الهَوى

قوله: (على صفة لا تُجدي) يعني: يكون العاصي على وجه[1] لا تُفيده المصالح شيئًا مِن الهداية، ولا ينتفع بالهداية والتوفيق بوجه مِن الوجوه. فقوله: "لا تُجدي"... إلخ صفةُ قولِه: "صفةٍ"، والعائدُ محذوف، أي: معها. وقوله: (حتّى يَسْتَوجب)[2] متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: "على صفةٍ"، فإنّ كونه على تلك الصفة اقتضى أن يستوجب الخِذْلان على مذهب المعتزلة. ثمّ إنّ المصنّف جعل التزيين عبارة عن كون العاصي على تلك الصفة الموجِبة للخِذْلان، ولو جعله عبارة عن الخِذْلان المسبَّب عن تلك الصفة لكان أنسبَ؛ لأنّ الخِذلان والتزيين كِلاهما مِن فعل الله تعالى.

قوله: (آمِر النُّهَى) النُهْيَة: العقلُ، والجمع "النُّهَى"، والإضافة للبيان، أي: الآمِر الذي هو النُّهَى.

---

[1] ن: وج.

[2] ن: نستوجب.

حَتَّى يَرى القَبِيحَ حَسَنًا والحَسَن قبِيحًا، كأنَّما غُلِبَ عَلى عقْلِه وسُلِبَ تَمييزَهُ ويَقْعُدَ تَحْتَ قَوْلِ أبي نواسٍ:

اسقِني حَتَّى تَراني   حَسنًا عِندِي القَبِيحُ

وإذا خَذل اللهُ المُصَمِّمينَ عَلى الكُفْرِ وخَلَّاهُم وشأنَهم فإنَّ على الرَّسُول أَنْ لا يَهتَمَّ بأمْرِهم، ولا يُلْقِيَ بالًا إلى ذِكْرِهم، ولا يَحْزَنَ ولا يتحسَّرَ عَلَيْهم، اقتِدَاءً بسُنَّةِ اللهِ في خِذْلَانِهم وتَخلِيَتِهم.

وذَكرَ الزَّجَّاجُ أنَّ المعْنَى: "أَفَمَنْ زُيِّن لهُ سُوءُ عَملِهِ ذهبَتْ نفسُك عليهم حَسْرَةً"، فحُذِف الجوابُ لدَلالةِ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ عليه، أو: "أَفَمَنْ زُيِّن له سُوءُ عَملِه كمَن هَدَاهُ اللهُ"، فحُذِفَ لدلالَة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ عليه.

﴿حَسَرَٰتٍ﴾ مَفعُولٌ له، يَعني: فلا تَهلك نفسُكَ للحَسراتِ، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ صِلةُ ﴿تَذْهَبْ﴾ كما تقُولُ: "هَلكَ عَليْه حُبًّا" و: "مَاتَ عَليه حُزْنًا"، أو هو بيَانٌ للمُتَحَسَّرِ عَليْه، ولا يجُوز أن يتعَلَّقَ بـ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ لأنَّ المَصْدَر لا تتقَدَّمُ عَليه صِلَتُه.

ويجوز أن يكونَ حَالًا كأنَّ كُلَّها صَارت حَسراتٍ لفَرْطِ التَّحسُّرِ؛ كمَا قال جَريرٌ:

مَشَقَ الهَواجرُ لَحمهُنَّ معَ السُّرَى   حَتَّى ذهَبْنَ كَلاكِلًا وصُدُورًا

قوله: (اسْقِني)... البيتَ.[1] "حَسَنًا" مفعول ثان لقوله: "تَراني"، و"القبيحُ" فاعل لقوله: "حَسَنًا". يقول: اسْقِني حتّى أكون سكران بحيث يكون القبيح عندي حسَنًا.

قوله: (أو هو بيان) يريد أنّه يكون التقدير: فلا تذهَبْ نفسُك حَسراتٍ عليهم، ومُتعلَّقُه محذوف. ولا[2] يجوز أن يكون متعلِّقًا بقوله: ﴿حَسَرَٰتٍ﴾؛ لأنّ المصدر لا يتقدّم معموله عليه.

قوله: (مشَق)... البيتَ.[3] المَشْقُ: المَشْطُ، والمُشاقة: ما سقط مع المَشْقِ

---

[1] ديوان أبي نواس، ١٥٢/١.

[2] ف: فلا.

[3] ديوان جرير، ص ٢٢٧.

يريد: رجَعْن كلاكلًا وصدورًا؛ أي: لم يَبْقَ إلَّا كَلاكِلُها وصُدورُها، ومنه قولُه:

فَعَلى إثْرِهِمْ تَساقَطُ نَفْسِي حَسَراتٍ وذِكْرُهم لي سَقامُ

وقرئ: ﴿فلا تُذْهِبْ نفسَكَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ وعِيدٌ لهُم بالعِقاب على سُوء صَنيعِهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾

وقرئ: ﴿أرسَلَ الرِّيحَ﴾.

فإن قلتَ: لمَ جاءَ ﴿فَتُثِيرُ﴾ عَلى المُضارَعة دُونَ ما قَبْله وما بَعْده؟

قلتُ: لِتُحكَى الحَالُ التي تَقعُ فيهَا إثارَةُ الرِّياح السَّحابَ، وتُستَحضَرَ تِلك الصُّورةُ البَدِيعَةُ الدَّالةُ عَلى القُدرة الرَّبانيةِ، وهكذا يفعَلُونَ بفِعْلٍ فيه نَوعُ تَميُّزٍ وخصُوصيَّةٍ بحَالٍ تُستَغرَبُ أو تُهِمُّ المُخاطِبَ أو غيرَ ذلك؛ كمَا قال تأبَّطَ شرًّا:

مِن الشَّعر، يقال: فرسٌ مَمشوق؛ فيه طول وقلّة لحم.[1] يريد: نقصَ وأزال الهواجر مع السُّرَى لَحمَهُنَ.

قوله: (**فعلى إثْرهم**)... البيتَ.[2] يريد: أنّ الأحبّة رحلوا ونفسي تتساقط حسراتٍ في إثْرِهم، أي: في عَقِبهم، وذكرُهم سقام، أي: مرضٌ لي؛ لأنّه يُضْعف بدني، ويُنْحِل جسمي.

قوله: (**أو تُهِمُّ المُخاطب**) أهمَّني الأمر إذا أقلقكَ وحَزَنكَ، يقال: "همُّك ما أهمَّك"، والمُهِمُّ: الأمر الشديد.[3]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مشق»؛ و**مجمل اللغة** لابن فارس، «مشق».

٢ لأبي دُواد، جارية بن الحجّاج. انظر: **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ١٨٨؛ و**شرح أبيات مغني اللبيب** للبغدادي، ٣/٥٦.

٣ **الصحاح** للجوهري، «همم».

بَـأَنِّـي قَـدْ لـقِـيتُ الـغُـول تَـهـوِي بِسَـهْـبٍ كالصَّحِيفةِ صَحْصَحانِ
فـأَضـرِبُـهـا بِـلا دَهَـشٍ فـخـرَّتْ صَـرِيـعًـا لـلـيَـدين ولـلـجِـرَانِ

لأنَّه قصَد أَن يُصوِّرَ لقَوْمِهِ الحَالةَ التي تشَجَّع فيهَا -بزُعْمِه- عَلى ضَرْب الغُول كأنَّه يَبَصِّرُهُم إيَّاهَا ويُطْلِعُهم على كُنْهِهَا مُشَاهَدةً؛ للتَّعجيبِ من جُرأتهِ على كلِّ هَوْلٍ، وثبَاتِه عند كُلِّ شِدَّةٍ.

وكذلك سَوْقُ السَّحَابِ إلى البَلدِ الميّتِ وإحيَاءُ الأَرض بالمَطرِ بعْدَ مَوْتِهَا لمَّا كانا من الدَّلائلِ عَلى القُدْرَةِ البَاهرة قِيل: "فسُقْنَا وأَحيَيْنَا" مَعْدُولًا بهما عن لَفْظِ الغيْبَةِ إلى ما هو أَدخَلُ في الاختِصَاصِ وأَدَلُّ عَلَيه.

والكافُ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في مَحلِّ الرَّفع؛ أي: مِثْلُ إحْيَاء المَواتِ نُشُورُ الأَمْواتِ، رُوِيَ: أنَّه قِيلَ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم: كيْفَ يُحْيي اللهُ المَوتَى، وما آيةُ ذلك في خَلْقِه؟ فقَال: «هَل مَرَرْتَ بوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا ثمَّ مرَرْتَ بهِ يهتَزُّ خَضِرًا؟» فقَالُوا: نعَم، فقال: «فَكذلك يُحْيي اللهُ المَوْتَى وتِلك آيتُه في خَلْقِه».

وقيل: يُحْيي اللهُ الخَلْقَ بماءٍ يُرْسِلُه مِن تحْتِ العَرْش كمَنيِّ الرِّجال تَنبُتُ مِنه أجسَادُ الخَلْقِ.

قوله: (بسَهْب)... إلخ[1] "السَهْبُ": الغلاة. و"الصحيفة": الكتاب، ومنه التصحيف؛ الخطأ في الصحيفة. و"الصَّحْصاحُ" و"الصَّحْصَحان": المكان المستوي. و"الجِران": مقدَّم العُنُق مِن المَذبحِ إلى المَنحر، والجمع الجُرُن.

قوله: (مشاهدةً) حال مِن "الحالة". وقوله: (للتعجيب) متعلّق / بـ(يُبصّرهم) [٢٩٦و]
أو (يُطلِعهم) على طريق التنازع.

قوله: (وكذلك سَوْق السحاب) لمَا ذكر الجواب عن ورود "تُثيرُ" مضارعًا معدولًا به عن سَنَن ما قبلَه وما بعده أشار إلى أنّ قوله: "سُقنا" و"أحْيَينا" معدول بهما عن سَنَنِهما مِن وجه آخر، أي: مِن الغيبة إلى التكلّم لمعنى ذكره.

---

[1] ديوان تأبّط شرًّا، ص ٢٢٤.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾

كان الكافِرُونَ يتَعَزَّزُونَ بالأصْنام كما قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم ٨١/١٩]، والَّذِين آمَنُوا بألسِنَتِهم من غَيْر مُواطأةِ قُلوبهِم كانُوا يتعزَّزُونَ بالمُشركينَ كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء ١٣٩/٤]، فبَيَّنَ أنْ لا عزَّةَ إلَّا لِلهِ ولأوليائهِ، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون ٨/٦٣] والمَعنى: فلْيَطْلُبها عِند الله، فوُضِعَ قولُه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ مَوْضِعَهُ استغناءً به عنه لدَلالتِه عليه؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يُطْلَبُ إلَّا عِند صَاحبِهِ ومَالكِه، ونَظيرُه قَولك: "مَن أرَادَ النَّصِيحَةَ فهيَ عنْدَ الأبْرارِ" تُرِيدُ: فليَطْلُبها عندَهُم، إلَّا أنَّكَ أقمْتَ ما يدُلُّ عَليه مَقَامَهُ.

ومَعْنى ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: أنَّ العزَّة كلَّها مُختصَّةٌ بالله: عِزَّةَ الدُّنيا وعزَّةَ الآخِرةِ.

ثمَّ عرَّف أنَّ ما تُطلَب بهِ العِزَّةُ هُو الإيمانُ والعملُ الصَّالح بقَوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: لا إله إلَّا اللهُ، عن ابن عبَّاسٍ؛ يَعْنِي: أنَّ هذه الكَلِمَ لا تُقبَلُ ولا تَصْعَدُ إلى السماءِ فَتُكتَبَ حَيثُ تُكتَبُ الأَعْمَالُ المقبُولةُ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين ١٨/٨٣] إلَّا إذا اقتَرنَ بها العَمَلُ الصَّالحُ الَّذِي يُحقِّقُهَا ويُصَدِّقُهَا فرَفعَها وأَصْعَدها.

وقيل: الرَّافِعُ الكَلِمُ والمَرفوعُ العَملُ؛ لأنَّه لا يُقبَلُ عَملٌ إلَّا مِن مُوحِّدٍ.

وقيل: الرافعُ هو اللهُ والمَرفوعُ العَملُ.

وقيل: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: كُلُّ ذِكْرٍ: من تكبيرٍ، وتَسبيحٍ، وتهْليلٍ، وقراءةِ قرآنٍ، ودُعَاءٍ، واستغفارٍ، وغيرِ ذلك.

قوله: (فبيَّنَ) أي: بيَّن الله تعالى.

قوله: (إلَّا أنَّك) استثناء منقطع.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «هو قَولُ الرَّجُل: سبحَانَ الله، والحَمدُ لله، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، إذا قَالهَا العَبْدُ عرَجَ بهَا المَلكُ إلى السَّماء فحيَّا بها وَجْهَ الرحمنِ، فإذَا لم يكُنْ عَملٌ صالِحٌ لم يُقبَلْ منه».

وفي الحديث: «لا يَقبَلُ اللهُ قولًا إلَّا بعَملٍ، ولا يَقْبَلُ قَوْلًا وعَمَلًا إلَّا بنيَّةٍ، ولا يقبَلُ قولًا وعَملًا ونيَّةً إلَّا بإصَابة السُّنَّةِ».

وعن ابن المُقَفَّعِ: قولٌ بلا عَملٍ كثَريدٍ بلا دَسَمٍ، وسَحَابٍ بلا مَطَرٍ، وقَوْسٍ بلا وَترٍ.

وقرئ: "إليه يُصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ" على البناءِ للمَفعُول.

و: "إليه يُصْعِدُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ" على تسميَةِ الفاعِل من "أصْعَدَ"، والمُصْعِدُ: هو الرَّجلُ؛ أي: يُصْعِدُ إلى الله عزَّ وجَلَّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ.

و: "إليه يَصْعَدُ الكلامُ الطَّيِّب".

وقرئ: "والعملَ الصالحَ يَرفعُه" بنَصْب "العَملَ" والرَّافِعُ "الكلِمُ" أو اللهُ عزَّ وجلَّ.

فإن قلتَ: "مَكَر" فِعْلٌ غيرُ مُتعَدٍّ، لا يُقالُ: مَكَر فُلانٌ عمَلَه، فبِمَ نصَبَ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؟

قلتُ: هذه صِفةٌ للمَصْدرِ أو لِمَا في حُكمِه؛ كقَوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر ٤٣/٣٥] أصْله: والَّذين مَكَرُوا المَكَراتِ السَّيِّئاتِ، أو: أصنافَ المَكْر السيِّئاتِ، وعُني بهنَّ مَكَراتُ قُرَيشٍ حينَ اجتمعُوا في دار النَّدْوَةِ وتَداوَرُوا الرَّأيَ في إحْدَى ثلاثِ مَكَراتٍ يَمكُرونَها برسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إمَّا إثْبَاتُه، أو قَتلُهُ، أو إخْراجُه، كما حَكى اللهُ سبحانه عنهُم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال ٣٠/٨].

قوله: (**أصله: والذين**)... إلخ فيه لفّ ونشر، فقوله: (**أصناف المَكْر**) على تقدير أن يكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صفة لِما في معنى المصدر. وقوله: (**المَكَراتِ السيّئات**) على تقدير أن يكون صفة المصدر.

قوله: (**إمّا إثباتُه أو قتلُه**) أثبتَ الجريح: أوْهَنَه حتّى لا يَقْدر على الحراك،

﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يعني: ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ﴾ الذين مَكَرُوا تلك المكَرَاتِ الثلاثَ ﴿هُوَ﴾ خاصّةً ﴿يَبُورُ﴾؛ أي: يَكسُدُ ويَفسُدُ دونَ مَكْرِ اللهِ بهم حينَ أخرَجَهُم مِن مَكَّةَ وقتَلَهُم وأثبَتَهُم في قليبِ بَدْرٍ، فجمَعَ عَليهم مَكَراتِهِم جميعًا، وحقَّقَ فيهِم قولَهُ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال ٣٠/٨] وقولَهُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر ٤٣/٣٥].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)﴾

﴿أَزْوَاجًا﴾: أَصْنَافًا، أو ذُكرانًا وإناثًا كقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى ٥٠/٤٢].

وعن قتادَةَ: زَوَّجَ بَعْضَكُم بَعْضًا.

﴿بِعِلْمِهِ﴾ في مَوضِعِ الحالِ؛ أي: إلَّا مَعْلُومةً لهُ.

فإن قلتَ: ما مَعنى قَولِهِ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟

قلتُ: مَعناه: ومَا يُعَمَّرُ من أحَدٍ، وإنَّما سمَّاهُ مُعَمَّرًا بِما هو صَائرٌ إلَيْه.

ومنه قول الفقهاء:[١] أثبَتَه الأوّل وذَفَّفَ[٢] عليه الثاني.[٣] وفي التنزيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال ٣٠/٨]؛ ليَجرحوك جراحةً[٤] لا تقوم معها.[٥] وقيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال ٣٠/٨]، أي: ليَسجُنوك،[٦] وهو مراد المصنّف بقوله: "إمّا إثباته"، بدليل قوله بعد ذلك: (**وأثبَتَهم في قَليب بدر**).

قوله: (**بما هو صائر إليه**) ومنه: «مَن قَتل قتيلًا فله سَلَبُه».[٧]

---

١ في **المُغرب**: "قول محمّد رحمه الله".

٢ ذَفَّفْتُ على الجريح تَذْفيفًا، إذا أسرعتَ قتله. **الصحاح** للجوهري، «ذفف».

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «ثبت».

٤ وفي هامش د ف: الجِراح جمع جِراحة بالكسر. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «جرح».

٥ قاله أبان بن تغلب وأبو حاتم. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨١/١٣ (الأنفال، ٣٠/٨).

٦ قاله عطاء وعبد الله بن كثير. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨١/١٣ (الأنفال، ٣٠/٨).

٧ انظر: **صحيح البخاري**، ٩٢/٤ (٣١٤٢)؛ وصحيح مسلم، ١٣٧٠/٣ (١٧٥١).

فإن قلتَ: الإنسانُ إمَّا مُعَمَّرٌ -أي: طويل العُمر- أو منقوصُ العُمْر؛ أي: قصِيرُه، فأمَّا أَنْ يتعَاقَب عليه التَّعمِيرُ وخِلافُه فمُحالٌ، فكَيفَ صَحَّ قولُه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾؟

قلتُ: هَذا مِن الكلام المُتسَامَح فيه ثِقَةً في تأويله بأَفْهَام السَّامِعِينَ، واتِّكالًا على تَسْديدِهم مَعْناهُ بعقُولِهم، وأنَّه لا يَلتَبِسُ عَليْهم إحَالةُ الطُّول والقِصَر في عُمْرٍ واحِدٍ، وعليه كلامُ النَّاسِ المُستفِيضُ، يقُولُون: "لا يُثِيب اللهُ عبْدًا ولا يُعَاقِبُه إلَّا بحَقٍّ"، و: "ما تَنعَّمْتُ بَلدًا ولا اجْتَويتُه إلَّا قَلَّ فيهِ ثَوَائِي".

وفيه تأويلٌ آخَرُ: وهُو أنَّه لا يُطوَّلُ عُمُرُ إنسَانٍ ولا يُقصَّرُ إلَّا في كِتابٍ، وصُورَتُه: أنْ يُكْتَب في اللَّوحِ: إنْ حَجَّ فُلانٌ أو غَزا فعُمرهُ أربَعُونَ سَنةً، وإن حجَّ وغَزا فعمرُه سِتُّون سنةً، فإذا جَمع بَيْنهما فبَلَغ السِّتِّينَ فقَد عُمِّرَ، وإذا أَفرَد أَحَدَهُما فَلم يُتَجاوَزْ بهِ الأربَعُونَ فقَد نُقِصَ من عُمرِه الَّذي هو الغَايةُ وهُو السِّتُّونَ، وإليه أشَارَ رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم في قولِه: «إِنَّ الصَّدقةَ والصِّلةَ تَعمُرانِ الدِّيارَ وتَزِيدَانِ في الأَعْمَار».

وعن كعْبٍ أنَّه قال حين طُعِنَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَو أَنَّ عُمرَ دعَا الله لأُخِّرَ في أجَلِهِ، فقيلَ لكعْبٍ: ألَيْسَ قد قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤/٧]؟ قال: فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾.

وقد استفَاضَ عَلى الأَلْسنةِ: "أطَالَ اللهُ بقَاءكَ" و: "فسَّحَ في مُدَّتِكَ"، وما أشبهَهُ.

قوله: (**وعن كعب**)... إلخ[1] يريد كعبٌ بقوله: لو دعا عمر[2] لأجل نفسه بطول العمر والسَّلامة مِن القتل وسأل الله تعالى لَأخَّر في أجله؛ لأنَّه كان عمر رضي الله عنه رفيعَ القدر عند الله تعالى مُجابَ[3] الدعوة.

---

١ تفسير عبد الرزّاق، ١٣٧/٢ (فاطر، ١١/٣٥).
٢ ن ف + أنّه لو دعا عمر.
٣ ن: حجاب.

وعن سَعيدِ بن جُبَيْرٍ: يُكتَبُ في الصَّحِيفةِ: عمْرُه كذا وكذا سَنةً، ثُمَّ يُكتَبُ في أسْفَلِ ذلك: ذهَبَ يَومٌ ذهبَ يَومان، حَتَّى يَأتِيَ على آخِره.

وعن قتادةَ: المُعمَّرُ مَن بَلَغ ستِّين سنةً، والمنقُوصُ مِن عُمرِه مَن يمُوتُ قبْلَ سِتِّين سنةً.

والكتابُ: اللَّوحُ، عن ابن عبَّاسٍ.

ويجوز أن يُراد بكتَابِ الله: عِلْمُ الله، أو صَحِيفةُ الإنسَان.

وقرئَ: ﴿ولا يَنْقُصُ﴾ على تسميَة الفاعِل. "من عُمْرِه" بالتخفِيف.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

ضَرَبَ البَحْرين -العَذْبَ والمِلْحَ- مَثَليْنِ للمؤمنِ والكافِر، ثمَّ قال على سَبيلِ الاسْتِطراد في صفَةِ البَحْرينِ وما عَلِّق بهما من نِعْمتِه وعَطائه: ﴿وَمِن كُلٍّ﴾؛ أي: ومِن كُلٍ واحدٍ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السَّمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وهيَ اللُّؤلؤُ والمرْجانُ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾: في كلٍّ ﴿مَوَاخِرَ﴾ شَوَاقَّ للماءِ بجَرْيِهَا، يُقالُ: مخَرت السَّفينةُ الماءَ، ويُقال للسَّحابِ: بَناتُ مَخْرٍ؛ لأنَّها تمْخُرُ الهَواءَ، والسَّفْنُ الَّذي اشتُقَّتْ منه السَّفِينةُ قريبٌ من المَخْرِ؛ لأنَّها تَسفِنُ المَاء كأنَّها تَقْشِرُه كما تَمْخُرُهُ.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: من فَضْل الله، ولـم يَجْرِ له ذِكرٌ في الآيَة ولكنْ فيما قبْلهَا، ولو لـم يَجْرِ لـم يُشْكِلْ لدلَالةِ المعنى عليه.

قوله: **(والسَّفْنُ الذي)**... إلخ "السَّفْنُ": القَشْرُ، يقال: سَفَنْتُ العود سَفْنًا، والسَّفَنُ: ما يُنحَت به الشيء كالمِسْفَنِ، والسَّفين جمع سفينة. قال ابن دُريد: «سفينة فَعِيله بمعنى فاعلة، يعني: تَسْفِن الماءَ كأنَّها تَقْشِره».[١]

---

[١] **جمهرة اللغة** لابن دريد، «سفن»؛ **الصحاح** للجوهري، «سفن».

وحَرْفُ الرَّجاء مُستعَارٌ لمَعنى الإرادة، ألا ترَى كيف سُلِكَ به مَسلكَ لامِ التَّعليلِ كأنَّما قيل: لتَبْتَغُوا ولتَشْكرُوا.

والفراتُ: الذي يَكسِرُ العَطشَ، والسَّائغُ: المَرِيءُ السَّهْلُ الانحدَار لعُذوبَتِه.

وقرئ: "سَيِّغٌ" بوَزنِ سَيِّدٍ، و: "سَيْغٌ" بالتَّخفيف، و: "مَلِحٌ" على فَعِلٍ.

و"الأُجَاجُ": الَّذِي يُحْرِقُ بمُلُوحَتِه.

ويَحْتمِلُ غيرَ طريقةِ الاستِطْرادِ: وهُو أن يُشبِّهَ الجِنْسين بالبَحْرينِ، ثُمَّ يُفضِّلَ البَحْرَ الأُجاجَ على الكافرِ بأنَّه قد شَارك العَذْبَ في مَنافعَ من السَّمكِ واللُّؤلؤِ وجَرْيِ الفُلك فيه، والكافِرُ خِلوٌ من النَّفعِ، فهو في طريقةِ قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة ٢/٧٤] ثمَّ قالَ: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٧٤].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مُبتَدأٌ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أخبارٌ مُترادِفةٌ.

أو "اللهُ ربُّكم" خبَرانِ، و﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جُملةٌ مُبتَدأةٌ واقِعةٌ في قِرانِ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

قوله: **(ألا ترى[1] كيف سُلك به مسلك لامِ التعليل)** حيث عُطف[2] عليه.

قوله: **(في قِران قوله)**[3] "القِرانُ": حَبْل يُقْرنُ به شيئان.[4]

---

[1] د: **ألا يرى**.

[2] د: عطفه.

[3] ن: **فوله**.

[4] ن: شان. | **مجمل اللغة لابن فارس**، «**قرن**»

ويجوز في حُكم الإعْرابِ إيقاعُ اسْمِ الله صِفةً لاسْمِ الإشَارةِ، أو عَطفَ بيَانٍ، و﴿رَبُّكُمْ﴾ خبرًا، لولَا أنَّ المغنَى يَأباهُ.

و"القطميرُ": لِفَافةُ النَّواةِ، وهي القِشْرةُ الرَّقيقَةُ المُلتَفَّةُ عليها.

﴿إن﴾ تَدعُوا الأوثَانَ ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ﴾ لأنَّهم جَمادٌ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ على سبيل الفَرْضِ والتمثيلِ لـ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يَدَّعُونَ ما تَدَّعُونَ لهُم مِن الإلهيَّةِ ويتبرَّؤُونَ مِنها.

وقيل: ما نَفَعُوكم.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾؛ أي: بإشْـراكِكُم لهُـم وعبَادَتِكُـم إيَّاهُـم، يقُولـونَ: ﴿مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس ١٠/٢٨].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: ولا يُخبِرُكَ بالأمْرِ مُخْبِرٌ هُو مِثْلُ خَبيرٍ عَالمٍ به، يُرِيدُ: أنَّ الخَبيرَ بالأمْرِ وَحْدهُ هو الذي يُخبِرُك بالحقيقة دون سَائر المُخْبرينَ به، والمَعنى: أنَّ هذا الذي أخبَرْتُكم به من حَالِ الأوْثانِ هو الحقُّ لأنِّي خبيرٌ بما أخبَرتُ بِهِ.

وقرئ: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

فإن قلتَ: لمَ عُرِّفَ ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾؟

قلتُ: قصدَ بذلك أنْ يُرِيَهُم أنَّهم لشدَّةِ افتقَارهم إليه هُم جِنسُ الفُقراء، وإنْ كانت الخَلائقُ كلُّهم مُفْتَقِرينَ إليه من النَّاس وغَيْرِهم؛ لأنَّ الفقر ممَّا يَتبَعُ الضَّعفَ، وكُلَّما كان الفَقِيرُ أضْعَفَ كان أفقرَ، وقَد شهِدَ الله سبحانه على الإنسَان بالضَّعْف في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٤/٢٨] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم ٣٠/٥٤] ولو نُكِّر لكان المَعنى: أنتُمْ بعضُ الفُقراء.

فإن قلتَ: قد قُوبِلَ ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ بـ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ فما فائدةُ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؟

قلتُ: لمَّا أثبتَ فقرَهُم إليْه وغِناه عَنْهم، ولَيْس كلُّ غَنيٍّ نافِعًا بغنَاهُ إلَّا إذا كان الغَنِيُّ جَوادًا مُنْعِمًا، وإذا جادَ وَأنعَم حَمِدَهُ المُنْعَمُ عَليهم واستَحَقَّ عَليهم الحمْدَ=

ذَكَر الحميدَ ليَدُلَّ بهِ على أنَّه الغنيُّ النَّافعُ بغناه خَلْقَهُ، الجَوادُ المُنْعِمُ عَليهم، المستحِقُّ بإنعامِه عَليْهم أن يَحمدُوه، الحَميدُ على ألسِنَةِ مُؤمِنيهِم.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿بِعَزِيزٍ﴾: بمُمْتنعٍ، وهَذا غَضَبٌ عَليهم لاتِّخاذِهم له أَنْدادًا وكُفْرِهم بآياتِه ومَعَاصِيهم؛ كما قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد ٤٧/٣٨].

وعن ابن عبَّاس: يَخلُقُ بَعدكُم مَن يَعبُدُه لا يُشرِكُ به شيئًا.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

"الوِزْرُ والوِقْر" أَخوانِ، وَوَزرَ الشَّيءَ: إذا حَملَه، والوازِرَةُ: صِفةٌ للنَّفس، والمَعنى: أنَّ كلَّ نفسٍ يومَ القيامة لا تَحمل إلَّا وِزرَها الَّذِي اقترَفَتْهُ، لا تُؤخَذُ نفسٌ بذنْبِ نفسٍ كمَا تأخُذ جبَابِرَةُ الدُّنيا الوَليَّ بالوَلِيِّ والجَارَ بالجارِ.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: ولا تَزرُ نَفسٌ وِزرَ أُخرَى، ولمَ قيل: ﴿وَازِرَةٌ﴾؟

قلتُ: لأن المعنى أنَّ النُّفوسَ الوَازِراتِ لا تَرى مِنهُنَّ وَاحِدةً إلَّا حَامِلةً وِزْرهَا لا وِزْرَ غيْرِها.

فإن قلتَ: كيفَ تُوفِّقُ بين هذا وبيْن قَوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٣]؟

قلتُ: تلك الآيةُ في الضَّالِّينَ المُضِلِّينَ، وأَنَّهم يَحْمِلُون أَثقَالَ إِضْلالِ النَّاسِ مع أَثقَالِ ضَلالهم، وذلك كُلُّه أَوزارُهم ما فِيها شَيءٌ من وِزْرِ غيْرِهم، أَلَا ترى كيف كذَّبَهُم اللهُ تعالى في قَولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٢] بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٢].

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين مَعنى قَوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ومعنى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾؟

قلتُ: الأوَّلُ في الدَّلَالةِ على عَدْلِ اللهِ في حُكْمِه وأنّه لا يُؤاخِذ نفسًا بغيْرِ ذَنْبِهَا، والثاني: في أنْ لا غِيَاثَ يومئذٍ لِمَن استغَاثَ، حَتّى إنَّ نفسًا قَد أثقَلَتْها الأوزارُ وبَهظَتْها لَو دَعَتْ إلى أن يُخفِّف بعْضَ وِقْرِهَا لم تُجَبْ ولم تُغَثْ، وإن كان المَدْعُوُّ بعضَ قَرَابَتِها من أبٍ أو وَلَدٍ أو أخٍ.

فإن قلتَ: إلامَ أُسنِدَ ﴿كَانَ﴾ في ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾؟

قلتُ: إلى المَدعُوِّ المَفهُومِ مِن قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾.

فإن قلتَ: فلِمَ تُرِك ذِكر المَدْعوِّ؟

قلتُ: لِيَعُمَّ ويَشمَلَ كُلَّ مَدعُوٍّ.

قوله: **(وبَهَظَتْها)** يقال: بهَظَه الحِمْلُ يَبْهَظُه بَهْظًا، أي: أثقَلَه وعجَز عنه، فهو مَبهوظ، وهذا أمر باهِظ، أي: شاقّ.[١]

قوله: **(بعضَ قَرابتِها)** أي: بعضَ ذِي قرابتها، قال المطرّزي في **المُغرب**:

> قَرُبَ خِلاف بَعُدَ، قُرْبًا وقُرْبة وقَرابة وقُربى ومَقرُبة. وقيل: القُرْب في المكان، والقُرْبة في المنزلة، والقَرابة والقُربَى في الرحِم. وقولُهم في الوقف: "لو قال: 'وقفتُ على قَرابتي' تناولَ الواحدَ والجمعَ" صحيحٌ؛ لأنّها في الأصل مصدر كما ذُكر آنفًا، يقال: هو قَرابتي، وهم قَرابتي، على أنّ الفصيح: "ذو قَرابتي" للواحد، و"ذَوَا قرابتي" للاثنين، و"ذَوُو قرابتي" للجمع.[٢]

قوله: **(فإن قلتَ: فلِمَ تُرِك ذكر المدعوّ؟)** يعني: لِمَ لَم يُذكر المدعوّ، وهو مفعول ﴿تَدْعُ﴾؟ فأجاب: بأنّه لم يذكره ليكون عامًّا شاملًا لكلّ[٣] مدعوّ. ثمّ اعترض على ذلك الجواب[٤] وقال: كيف يجوز أن يكون ذلك المقدَّر عامًّا؟ فإنّ الضمير مِن قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ عائد إليه، ولا يستقيم إضمار العامّ في ﴿كَانَ﴾؛ لأنّ خبره ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، ولا يصحّ[٥] أن يكون العامّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ للمُثْقَلة. / ثمّ أجاب عن هذا الاعتراض [٢٩٦ظ]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «بهظ».

٢ **المُغرب** للمطرزي، «قرب».

٣ ن: لكلا.

٤ ن - الجواب.

٥ وفي هامش د ف: لأنّ المفرد ما يصحّ أن يكون محمولًا على المتعدّد.

فإن قلتَ: فكيف استقامَ إضمارُ العامِّ ولا يَصِحُّ أن يكونَ العَامُّ ذا قُربى للمُثْقَلة؟

قلتُ: هو من العُموم الكائِن على طريقِ البَدل.

فإن قلتَ: ما تقُولُ فيمَن قَرأَ: "ولو كان ذو قُربَى" على "كان" التَّامَّةِ؛ كقَوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠]؟

قلتُ: نَظمُ الكلام أَحْسَنُ مُلاءَمةً لِلنَّاقصةِ؛ لأنَّ المعنى عَلى أنَّ المُثْقَلَة إنْ دَعَتْ أحَدًا إلى حِمْلِها لا يُحمَلْ منه شَيءٌ وإنْ كان مَدْعُوُّها ذا قُرْبَى، وهو مَعْنًى صَحِيحٌ مُلْتئِمٌ، ولَو قُلت: "ولو وُجِدَ ذُو قُربى" لتَفكَّكَ وخرجَ مِن اتِّسَاقِه والتِئامِه، على أَنَّ هاهُنا ما ساغ أن يَسْتَتِرَ له ضميرٌ في الفعل بخلافِ ما أوْردتُه.

بأنّ[1] المراد بـ"المُثقَلة" ليس مثقَلةً معيّنة؛ بل المراد جنس المُثقَلة، وهو يشمل الأفراد الكثيرة، فذلك[2] العام وإن لم يكن منطبقًا على قريب مُثْقلةٍ واحدةٍ، فهو منطبِق على أقارب الأفراد الكثيرة الداخلة تحت جنس المُثقَلة، بأن يكون البعضُ أقاربَ لهذا، وبعضُهم لذلك، وهو المراد بقوله: (**على طريق البدل**).

قوله: (**فيمَن قرأ: "وَلَو كانَ ذَا[3] قُربَى"**)[4] شاذّ.

قوله: (**على أنّ المُثقَلة**) خبر "أنّ".

قوله: (**ما ساغ**) "ما" في "ما ساغَ" يجوز أن يكون بمعنى "الذي"، والأحسن أن يكون بمعنى "شيء"، و"ساغَ" صفته. وقوله: (**بخلاف ما أوردتَه**) يخاطب بهذا الكلام السائلَ.[5]

---

[1] وفي هامش د ف: بل بأنّ عموم ذلك المقدّر العامّ عموم بدليّ لا شموليّ، فيصحّ حمل المفرد عليه، تقديره: ولو كان كلّ واحد ذا قربى، يعني: إمّا هذا ذا قُربى، وإمّا ذاك، وعلى هذا القياس.

[2] ن: فكذلك.

[3] كذا هي في الأصول الخطيّة وفي مطبوع **الكشّاف** "ذا" بالألف، وهي القراءة المتواترة. لكنّ الظاهر مِن السياق أنّ المراد هنا: "ذو قربى" بالواو، وهي التي عناها الجاربردي هنا بقوله: "شاذّ". وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني والضحّاك. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٥؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ٢٥/٩ (فاطر، ١٨/٣٥).

[4] ن: قربا.

[5] د: السابل.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حالٌ من الفاعِل أو المفعُول؛ أي: يَخشَونَ رَبَّهُم غَائِبين عن عَذَابه، أو: يَخشَوْن عَذابه غائبًا عَنهم. وقيل: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: في السِّرّ.

وهذه صِفةُ الذين كانوا معَ رسُولِ الله مِن أصحَابه، كانت عَادتهُم المُستمرَّةُ أَن يَخشَوا اللهَ، وهُم الَّذين أقَامُوا الصَّلاةَ وتركُوهَا مَنارًا منصُوبًا وعَلَمًا مرفُوعًا، يَعني: إنَّما تَقْدِرُ على إنذار هؤلاء وتَحْذِيرهم مِن قَوْمِكَ، وعلى تَحصيلِ منفعَةِ الإنذار فيهم، دُون مُتمرِّديهِم وأهلِ عِنادِهم.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: ومَن تطَهَّرَ بفِعل الطَّاعات وتركِ المعَاصي. ....

ثمّ اعلم أنّ فيما ذكره المصنّف نظرًا؛ لأنّ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٍ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠] أيضًا شيئًا كان يجوز أن يُضمَرَ له ويُقرأ بالنصب، كما ذكر المصنّف أنّه قرأ عثمان: "ذَا عُسْرَة" على: "وإن كان[1] الغَريم ذا عُسرة".[2] فإنّ سياق الكلام يدلّ على الغَريم؛ لأنّ الآية مَسوقة لذكر الغَريم، ولهذا فسّر المصنّف قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٍ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠] بقوله: "وإن وقع غريمٌ ذو عُسرة".[3] نعم يصحّ أن يقال: الإضمار والنصب ههنا أولى منهما ثمّة؛ لأنّ ﴿تَدۡعُ﴾ يدلّ على المدعوّ، وأيضًا فالمفعول المحذوف لِـ﴿تَدۡعُ﴾ في حُكم المذكور. وأمّا ثمّة فليس لفظ يدلّ على الغَريم، لا لفظ مذكور ولا لفظ مقدّر، فلذلك لم يقرأ أحد مِن القرّاء السبعة ههنا بالرفع، ولا هناك بالنصب، ولو قُرئ لكان سائغًا مِن جهة العربيّة، لكنّ القراءة سنّة متَّبعة، فما ثبتَ عند القرّاء السبعة ثبوتًا متواترًا قرءوا به، وما لا فلا.

قوله: (مِن قومك) أي: مِن جملة قومك ومِن بينهم، فـ"مِن" فيه للتبعيض. وهو حال؛ إمّا مِن قوله: (هؤلاء)، أو مِن "هم" في (تحذيرهم). والضمير في قوله: (فيهم) يعود -ومِن قوله: (مُتمرِّديهم وأهلِ عِنادهم)- إلى "قومِك".

---

[1] ن - كان.

[2] انظر: البقرة، ٢/٢٨٠. والقراءة بالنصب قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ وابن مسعود وعثمان وابن عبّاس رضي الله عنهم. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٢/٧١٦ (البقرة، ٢/٢٨٠).

[3] انظر: البقرة، ٢/٢٨٠.

وقرئ: "ومَن ازَّكَّى فإنَّما يزَّكَّى".

وهو اعتراضٌ مُؤَكِّدٌ لخَشيتِهم وإقَامَتِهم الصَّلاةَ لأنّهما من جُملةِ التَّزكي.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وعْدٌ للمُتزكِّينَ بالثوابِ.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل قَولُه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بمَا قَبله؟

قلتُ: لمَّا غَضِب عَليهم في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعَه الإنذارَ بيَوْم القيامةِ وذِكْرِ أَهْوالِهَا، ثـمَّ قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، كأنَّ رسولَ الله أَسْمَعهُم ذلك فلم يَنفَعْ فنزلَ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، أو أخبَرهُ اللهُ تعالى بعِلْمه فيهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: مَثَلٌ لِلكافِرِ والمؤمنِ كمَا ضَرب البَحْرين مثَلًا لهما، أو للصَّنم واللهِ عزَّ وعَلا.

و"الظُّلمات والنُّورُ والظِّلُّ والحَرُورُ": مَثَلانِ للحَقِّ والبَاطِل ومَا يُؤدِّيَانِ إليه من الثَّواب والعِقاب.

و"الأَحياءُ والأَمْواتُ": مَثَلٌ للَّذِين دَخلُوا في الإسلام والذين لم يَدْخُلوا فيه وأَصرُّوا على الكفرِ.

و"الحَرورُ": السَّمُومُ، إلَّا أنَّ السَّمُومَ يكون بالنَّهار والحَرُورَ باللَّيل والنهار، وقيل: بالليل.

فإن قلتَ: "لا" المقْرُونَةُ بوَاوِ العطف ما هي؟

قوله: (**قُرِئ: "وَمَنِ ازَّكَّى"**)[١] أصله: تَزكَّى، أدغم التاء في الزاي، ثـمّ أُتِيَ بهمزة الوصل، ثـمّ أُسقِطت في الدَّرج.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وطلحة. (فاطر، ١٨/٣٥).
انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٢٥/٩

قلتُ: إذا وقعَتِ الواوُ في النّفي قُرنتْ بها لِتأكيدِ مَغنى النّفي.

فإن قلتَ: هلْ مِن فرْقٍ بيْن هذه الوَاوَاتِ؟

قلتُ: بَعضُها ضَمّتْ شَفعًا إلى شفعٍ وبَعضُها وِترًا إلى وِترٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ يَعْني: إنّه قدْ عَلِم مَن يَدخُلُ في الإسلام مِمَّن لا يدْخُلُ فيه، فيَهْدِي الّذِي قد عَلِم أنّ الهِدايَة تَنفعُ فيه ويَخْذُلُ مَن علِم أنّها لا تَنفعُ فيه، وأمّا أنتَ فخفيٌّ عَليك أمرُهم، فلِذلك تَحرِصُ وتتَهالكُ على إسْلام قومٍ من المَخذولينَ، ومَثَلُكَ في ذلك مَثَلُ مَن يُريدُ أن يُسْمِعَ المَقْبُورينَ وينذر، وذلك ما لا سبيل إلَيه.

ثمّ قال: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾؛ أي: ما عليك إلّا أنْ تُبلّغَ وتُنذِرَ، فإن كان المُنْذَرُ ممّن يَسْمَعُ الإنذارَ نَفَع وإن كان من المُصرّينَ فلا عَليك.

ويَحتمِلُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾: إنّه قادِرٌ على أنْ يَهْديَ المطبُوعَ على قُلُوبِهم

قوله: (قلتُ: بعضها ضَمّتْ)... إلخ الواو في ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ ضمّتْ شفعًا -وهو "الظلمات والنور"- إلى شفعٍ، وهو ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾، وكذا الواو في ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ ضمّت الشفع الذي بعدها إلى الشفع الذي قبلها، وأمّا الواو التي في ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ ضمّت وِترًا -وهو ﴿ٱلنُّورُ﴾- إلى الوِتر الذي قبله، وكذا الواو في ﴿وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾ ضمّته إلى ﴿ٱلظِّلُّ﴾.

قوله: (فيهدي الذي قد علم)... إلخ فسّر قوله تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بقوله: (الذي قد علم أنّ الهداية تنفع فيه)، وهذا الذي ذكره موافق لمذهبه، وأمّا عند أهل السنّة فمعنى ﴿مَن﴾ على عمومه.

قوله: (ويحتمل) أي: يحتمل هذا الكلام معنى آخر، وهو أنّه قادر... إلخ، وهذا المعنى أيضًا ذكره للفِرار عن مذهب أهل السنّة. وقوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾) / فاعل "يحتمل"، وقوله: (إنّه قادر) مفعوله، فكأنّه[١] قال: يحتمل هذا الكلام [٢٩٧و]

---

[١] ن: وكأنّه.

عَلى وَجْه القَسْرِ والإلجَاء، وغيْرَهُـم على وَجْه الهِدَايةِ والتَّوفِيق، وأمَّا أنتَ فلا حيلةَ لك في المَطْبُوع على قلُوبِهم الَّذين هُم بمنْزِلة المَوتى.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ حالٌ من أحَدِ الضَّميرَين، يَعْني: مُحِقًّا، أو: مُحِقِّينَ، أو صِفَةٌ للمَصْدَرِ؛ أي: إرسالًا مَصْحُوبًا بالحقِّ، أو صِلَةٌ لـ"بَشيرٍ ونَذيرٍ" على: ﴿بَشِيرٗا﴾ بالوَعْدِ الحقِّ ﴿وَنَذِيرٗا﴾ بالوعيد الحقِّ.

و"الأمَّةُ": الجماعةُ الكَثيرةُ، قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [القصص ٢٣/٢٨]، ويُقال لأَهْلِ كلِّ عصْرٍ: أُمَّةٌ.

وفي حُدُودِ المتَكلِّمينَ: الأُمَّةُ: هُم المُصَدِّقُونَ بالرَّسول دُون المبعُوثِ إليهم، وهُم الَّذِين يُعتَبرُ إجْماعُهم، والمُرادُ هاهنا: أَهْلُ العَصْر.

فإن قلتَ: كَم مِن أمَّةٍ في الفَتْرة بينَ عيسَى ومُحمَّدٍ عليهما السلام ولـم يَخْلُ فيها نذِيرٌ؟

هذا المعنى. والوجه كسر "إنّ" في الموضعين؛ **أمّا في الأوّل فظاهر؛ لأنّه** حكاية لفظ **القرآن**، وأمّا في **الثاني** فلأنّه في معناه؛ لأنّه بيانه وتفسيره.

قوله: (**مُحِقًّا أو مُحِقّين**) فيه لفّ ونشر، لكن لا على الترتيب.

قوله: (**الأُمّة هم المُصَدِّقون**)... إلخ، والمشهور بين الأئمّة في معنى "الأُمّة": أنّ الأُمّة قسمان: أمّة دَعوة، وأمّة إجابة، أمّا أُمّة الإجابة فهم المصدِّقون، وأمّا أمّة الدعوة فهم[1] المبعوث إليهم.

قوله: (**ولم يَخْلُ فيها نذير**) وإذا كان كثير مِن الأُمّة لم يَخْلُ فيها نذير فكيف صحّ قوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾؟[2]

---

[1] ف: فيهم.

[2] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ﴾ أي: ما مِن أُمّة فيما مضى ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا﴾ سلَفَ فيها[(1)] ﴿نَذِيرٞ﴾ مُنذِر. **معالم**. | **معالم التنزيل للبغوي**، ٤١٨/٦ (فاطر، ٢٤/٣٥). |

(1) د - سلف فيها.

قلتُ: إذا كانَت آثارُ النِّذَارَة باقِيةً لـم تَخْلُ مِن نذير إلى أن تَنْدَرِسَ، وحِينَ اندَرَسَتْ آثارُ نِذارةِ عيسَى بعَث اللهُ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: كيف اكتُفِيَ بذكر النَّذِير عن البَشير في آخِرِ الآيَة بَعْدَ ذِكْرِهمَا؟

قلتُ: لمَّا كانت النِّذارةُ مشفُوعَةً بالبشارة لا مَحالةَ دَلَّ ذِكرُها عَلى ذِكرِها، لا سِيَّما وقد اشتَملَت الآيةُ عَلى ذِكرهمَا.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالشَّواهِد على صحَّةِ النُّبوَّةِ وهي المُعجزاتُ ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: وبالصُّحفِ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ نحوُ التَّوراة والإنجيل والزَّبُور، لمَّا كانت هذه الأشيَاءُ في جِنْسهم أُسنِدَ المجيءُ بها إليهم إسنَادًا مُطْلقًا، وإن كان بَعضُها في جميعهم: وهي البَيِّناتُ، وبَعضُها في بَعضهم: وهي الزُّبُرُ والكتابُ، وفيه مَسْلاةٌ لرسُول الله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: **(لا محالةَ)** متعلّق بقوله: **(دلّ)**، فكأنّه[١] قال: دلّ البتّة.

قوله: **(لمّا كانت هذه الأشياء)** أي: البيّنات والزُّبُر والكتاب. وقوله: **(في جنسهم)** أي: جنس الأنبياء.

قوله: **(بعضُها في جميعهم)** يعني: البيّنات، أي: المعجزات؛ لأنّ النبيّ عليه السلام[٢] لا بدّ له مِن معجزة.[٣]

---

[١] و: وكأنّه.

[٢] ن ف - عليه السلام.

[٣] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ حال، و"قد" مقدّرة. أبو البقاء. | **التبيان لأبي البقاء العكبري**، ١٠٧٤/٢.

﴿أَلْوَانُهَا﴾: أَجناسُها من الرُّمَّانِ والتُّفَّاحِ والتِّينِ والعِنَبِ وغيْرِهَا مِمَّا لا يُحْصَرُ، أو: هَيئاتُها من الحُمرة والصُّفْرةِ والخُضرة ونحْوِهَا.

و"الجُدَدُ": الخُطَطُ والطَّرائقُ، قال لَبيدٌ:

أو مُذهَبٌ جُدَدٌ على أَلْوَاحِهِ

ويُقالُ: "جُدَّةُ الحمَار" للخُطَّةِ السَّوداء على ظَهْرِه، وقَد يكُونُ للظَّبْيِ جُدَّتَانِ مِسْكيَّتَانِ تَفْصِلانِ بيْن لوْنَي ظهْرِه وبَطْنِه.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ معْطُوفٌ على ﴿بِيضٌ﴾، أو على ﴿جُدَدٌ﴾ كأنَّه قيل: وَمِن الجبالِ مُخطَّطٌ ذُو جُدَدٍ ومنها ما هُو على لَوْنٍ وَاحدٍ غرابِيبُ.

وعن عِكرمَة: هي الجبَالُ الطِّوالُ السُّودُ.

فإن قلتَ: الغِربيبُ تأكيدٌ للأسوَدِ، يُقال: أَسوَدُ غِرْبِيبٌ، وأسوَدُ حُلكُوكٌ،

قوله: (﴿أَلْوَانُهَا﴾ أجناسُها)... إلخ يعني: يجوز أن يكون "الألوان" جمع "لَون" بمعنى الجنس، وأن يكون جمع "لون" بمعنى الهيئة.

قوله: (و"الجُدَدُ": الخُطَطُ) "الجُدَد" جمع جُدَّة.

قوله:

(أو مُذْهَبٌ جُدَدٌ على ألواحه)[1]

"المُذْهَب": المطليّ بماء الذهب. أراد لوحًا مُذْهَبًا.

قوله: (كأنّه) متعلّق بقوله: (على ﴿جُدَدٌ﴾)، يعني: لو كان عطفًا على ﴿بِيضٌ﴾ لكان مِن تفاصيل الجُدَد كالبِيض والحُمْر. وأمّا لو كان عطفًا على ﴿جُدَدٌ﴾ فلا يكون داخلًا في تفصيله؛ بل يكون قَسيمه.

قوله: (وعن عِكرمة) يؤيّد الوجه الثاني.

قوله: (ومِن حقّ التأكيد) عطفٌ على قوله: ("الغِرْبيب" تأكيد).

---

[1] ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١١٩. وتمامه فيه:
أو مُذْهَبٌ جُدَدٌ على ألواحِهِنّ الناطقُ المَبروزُ والمَختومُ

وهُو الَّذِي أبْعَدَ في السَّوادِ وأَغْربَ فيه، ومِنه: الغرابُ، ومِن حقِّ التَّأكيدِ أن يَتْبَعَ المؤكَّدَ؛ كقَولك: "أصفَرُ فاقِعٌ" و: "أبيَضُ يَقَقٌ" وما أشبَه ذلك؟

قلتُ: وجْهُه: أن يُضمَر المؤكَّدُ قبلهُ ويكُونَ الَّذي بَعْده تَفسيرًا لِمَا أُضمِرَ؛ كقَول النَّابغةِ:

والـمُـؤمِـنِ العَـائـذاتِ الطَّـيـرَ تَـمْـسَـحُـها

وإنَّما يُفعَلُ ذلك لزيَادةِ التَّأكيد حيثُ يَدُلُّ عَلى المَعنى الواحِدِ من طَريقَي الإظْهار والإضمار جميعًا، ولا بُدَّ من تَقْديرِ حذفِ المضافِ في قَولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ بمَعنَى: ومِن الجبالِ ذُو جُدَدٍ بيْضٍ وحُمْرٍ وسُودٍ، حتَّى يَؤُولَ إلى قولِك: ومن الجِبالِ مُختلِفٌ ألْوانُه؛ كما قال: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر ٢٧/٣٥].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يَعني: ومنهم بَعْضٌ مختلفٌ ألْوانُه. وقرئ: "ألْوانُها"، وقَرأ الزُّهرِيُّ: "جُدُدٌ" بالضَّم: جَمْعُ جَديدةٍ، وهي الجُدَّةُ، يُقال: جَدِيدَةٌ وجُدُدٌ وجَدَائِدُ؛ كسَفِينَةٍ وسُفُنٍ وسَفَائِنَ، ....

قوله:

(والـمـؤمِـنِ الـعـائـذاتِ الـطَّـيـرَ)

تمامه:

يَمْسَحها رُكبانُ مكّةَ بين الغِيل والسَّنَدِ[1]

"الغِيلُ والسَّنَدُ": موضعان.

قوله: (يعني: ومنهم بعضٌ مختلف) يشير إلى أنَّ الضمير مِن ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يعود إلى المبتدأ المحذوف.

قوله: (وهي الجُدَّة) أي: هي بمعنى الجُدَّة.

---

[1] ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٥، بلفظ: "والسَّعْدِ" بدل "والسَّنَدِ".

وقد فُسِّر بها قولُ أَبي ذُؤَيْبٍ يَصفُ حمارَ وحشٍ:

جَــــوْنُ الــسَّــراةِ لــهُ جَــدَائِــدُ أَرْبَـــعُ

ورُوِي عنه: "جَدَدٌ" بفَتْحَتيْنِ، وهو الطَّريقُ الواضِحُ المُسفِرُ وضَعَه مَوضِعَ الطَّرائقِ والخطوطِ الوَاضحَةِ المُنفَصِلِ بَعضُها من بعْضٍ.

وقرئ: "وَالدَّوابِ" مُخفَّفًا، ونظيرُ هذا التَّخفيفِ قراءةُ مَن قَرأ: "ولا الضَّأْلِّينَ" لأنَّ كُلَّ واحدةٍ منهما فِرارٌ من التقَاء السَّاكِنين، فحَرَّكَ ذاكَ أَوَّلَهُما، وحَذَفَ هذا آخِرَهُما.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كاختِلاف الثَّمراتِ والجِبال.

قوله: (قولُ أبي ذؤَيب يصف حمار وحْشٍ:

جَـــوْنُ الـسَّــراة لــه جــدائــدُ أربـــع)

قال أبو ذُؤَيب يصف حمارَ وَحْشٍ:

والـدهـرُ لا يَـبـقَـى عـلـى حَـدَثـانـه   جَــوْنَ الـسَّــراةِ لـه جـدائـد أربـعُ[1]

"الجَون": الأسود. و"السَّراة": الظَّهر، وسَراة كلّ شيء أعلاه. و"الجدائد": الأُتُن اللواتي قد جفّت ألبانهنّ. يقول: لئن أهلك الدهر هؤلاء لشأن الدهر هكذا، فإنّ الدهر لا يبقي على حدثانه شيء، حتّى الحِمار مع الأُتُن ترعى في القِفار والجبال.[2] وأصل الجَدّ: القطع، يقال: جدّ النخلَ يَجُدُّه؛ صَرَمَه، والجَدود: النَعْجة التي قلّ لبنها مِن غير بائس، والجمع الجدائد، والجَدّاء التي ذهب لبنُها مِن عيب.[3] والمصنّف أشار إلى أنّ بعضهم فسّر "الجدائد" في البيت بجمع الجديدة بمعنى الجُدّة؛ وهي الخُطط، فيكون مناسبًا للآية، لا لمعنى الأُتُن.

قوله: (ورُوي عنه) أي: عن الزهري.

قوله: (آخرهما) أي: آخرَ الساكنين، وهو الباء الأولى.

---

١ انظر: ديوان الهذليّين، ١/٤. ص ١٧٩.

٢ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ٣ الصحاح للجوهري، «جدد».

المرادُ: ﴿ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ به، الذين عَلِمُوه بصِفاتِه وعَدْلِه وتوْحيدِه، وما يجُوز عَلَيْه وما لا يجُوز، فعَظَّمُوهُ وقَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِه وخَشُوهُ حقَّ خشيَتِه، ومَن ازْدَادَ بهِ علمًا ازْدَادَ مِنه خَوْفًا، ومَن كان عِلْمُه به أقَلَّ كان آمَنَ.

وفي الحَديث: «أَعلمُكُم بالله أَشَدُّكم له خشيَةً».

وعن مسْرُوقٍ: كفَى بالمَرْءِ عِلْمًا أن يَخشَى [الله]، وكفَى بالمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بعِلْمِه.

وقال رَجُلٌ للشَّعبيّ: أَفْتِني أيُّها العَالِمُ، فقَال: العالِمُ مَن خَشي اللهَ.

وقيل: نزلَتْ في أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه وقد ظهَرتْ عَليه الخَشيةُ حَتَّى عُرفَتْ فيه.

فإن قلتَ: هَل يَختلفُ المَعنى إذا قُدِّمَ المفعُولُ في هذا الكلام أو أُخِّر؟

قلتُ: لا بُدَّ مِن ذلك، فإنَّك إذا قَدَّمْتَ اسمَ الله وأَخَّرتَ ﴿ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ كانَ المعنى: إنَّ الَّذين يخشَوْن اللهَ من بين عبَاده هم العُلَمَاءُ دون غيْرِهم، وإذا عَمِلتَ على العَكسِ انقَلبَ المَعنى إلى أَنَّهم لا يَخْشونَ إلّا اللهَ؛ كقَوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب ٣٩/٣٣] وهُما مَعْنيانِ مُختلفَان.

فإن قلتَ: ما وَجهُ اتِّصالِ هذا الكلامِ بما قَبْلَه؟

قلتُ: لمَّا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمَعنى: أَلمْ تعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، وعَدَّدَ آياتِ الله وأَعْلامَ قُدْرَتِهِ وآثارَ صُنعِه، وما خَلقَ من الفِطَرِ المُختَلِفة الأَجناسِ، وما يُستَدلُّ به عَليه وعلى صِفاتهِ أَتْبَعَ ذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ كأنَّه قال: إنَّما يَخْشَاهُ مِثلُك ومَن على صِفتِك ممَّن عَرفه حَقَّ مَعْرفتِه وعَلِمَهُ كُنْهَ عِلْمه.

[٢٩٧ظ] قوله: / **(المراد: العلماء به)** أي: بالله تعالى.

قوله: **(قلتُ: لا بُدّ مِن ذلك)** أي: مِن اختلاف المعنى.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: الخَشْية) في هذه القراءة استعارة، المراد[(١)] استعارة لغويّة، مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ الخشية مستلزمة للتعظيم والإجلال. | [(١)] د - استعارة، المراد.

وعن النَّبيِّ عليه السلام: «أَنا أَرْجُو أَن أكُونَ أتْقَاكم للهِ وأَعْلَمَكم بِهِ».

فإن قلتَ: فما وَجْهُ قراءةِ مَن قَرأ: "إِنَّما يَخشَى اللهُ من عبَاده العُلَماءَ" وهُوَ عُمَرُ بن عَبْدِ العزيز، ويُحكى عن أبي حَنيفة رضي الله عنه؟

قلتُ: الخشيَةُ في هذه القراءةِ استعَارةٌ، والمَعنى: إنما يُجِلُّهم ويُعظِّمُهم كما يُجَلُّ المَهيبُ المَخشِيُّ من الرِّجالِ بين النَّاسِ من بين جميع عبَادِه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعْلِيلٌ لوجُوبِ الخشيَةِ؛ لدَلالتِه على عقُوبةِ العُصَاةِ وقَهْرِهم، وإِثابَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ والعَفْوِ عنهم، والمُعَاقِبُ المُثيبُ حَقُّهُ أَنْ يُخْشَى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: يُدَاوِمُونَ على تِلاوَتِه، وهي شَأنُهُم ودَيْدَنُهم.

وعن مُطَرِّفٍ رحمه الله: هيَ آيةُ القُرَّاء.

وعن الكلبيِّ: يأخُذُون بما فيهِ.

وقيل: يَعْلَمُون ما فيهِ ويعمَلُون بهِ.

وعن السُّدِّيِّ: هُم أصحَابُ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم.

وعن عَطَاءٍ: هُم المؤمنُونَ.

﴿يَرْجُونَ﴾ خَبرُ ﴿إِنَّ﴾، و"التِّجارةُ": طَلَب الثَّوابِ بالطَّاعَةِ، ....

قوله: **(وعن الكلبي يأخذون)** فسّر ﴿يَتْلُونَ﴾ بقوله: **(يأخذون بما فيه)**، أي: يتمسَّكون به، إمّا بأن جعله مِن "تلاه تِلْوًا"، أي: تَبِعه، وإمّا مِن "التِّلاوة"، لكن لمّا كان الغرض الأصليّ العمل به فسّره[1] بذلك.

قولـه: **(بالطاعـة)** أي: طلبهـم الثـواب بالطاعـة. شبّه بالتجـارة؛ وهـو البيـع والشِّـرَى للرِّبـح.

[1] د: فسّر.

و﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿لَّن تَبُورَ﴾؛ أي: تِجارَةً يَنتَفِي عنها الكَسادُ وتَنْفُقُ عِند الله ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بنَفاقِها عِندهُ ﴿أُجُورَهُمْ﴾ وهي ما استَحقُّوهُ من الثَّواب ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ من التَّفضُّلِ على المُستحِقِّ.

وإن شئتَ جعَلتَ ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضِع الحَالِ على: وأنفقُوا راجِينَ ليُوفِّيهُم؛ أي: فعَلُوا جميعَ ذلك من التِّلاوَة وإقامَةِ الصَّلاة والإنفاقِ في سبيل اللهِ لهذا الغَرضِ، وخَبرُ ﴿إِنَّ﴾ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ على معْنَى: غَفورٌ لهُم شَكورٌ لأَعْمَالِهم، والشُّكرُ مجَازٌ عن الإثابة.

قوله: (و﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾) "الواو" فيه واو الكشّاف. وقوله: (متعلّق بـ﴿لَّن تَبُورَ﴾) أي: على تقدير أن يكون ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، وذلك لأنّه لا يجوز أن يكون ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ حينئذٍ متعلّقًا بالأفعال المتقدّمة؛ لتخلّل خبر ﴿إِنَّ﴾ بين العامل والمعمول. وأمّا إن قلنا: ﴿يَرْجُونَ﴾ حال والخبر ﴿إِنَّهُۥ﴾، فيكون ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلّقًا بالأفعال المتقدّمة، فقوله: (وإن شئت) عطفٌ على قوله: (﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾).

قوله: (وعلى أنفِقوا[1] راجين) أراد أن يبيّن ويُصرّح بكونه حالًا، فذكر اللفظ الآخر[2] مِن الألفاظ الدالّة على طاعاتهم، ثمّ ذكر قوله: "راجين" لبيان كونه حالًا، لا لأنّه متعلّقٌ به فقط؛ بل هو مِن حيث المعنى متعلّق بالجميع، وأمّا مِن حيث اللفظ فإمّا بالأقرب أو الأوّل على ما هو المذكور في التنازع.

قوله:[3] (على معنى: غفورٌ لهم) ليكون الضمير هو الراجع مِن الخبر إلى الاسم.[4]

---

[1] في مطبوع الكشّاف: "على وأنفقوا".

[2] ن: الا.

[3] ن + قوله.

[4] وفي هامش د ف: قوله:(١) (والشُّكر مجاز) إمّا مِن قَبيل المَرْسِن،(٢) وإمّا مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم؛ أمّا الأوّل فلأنّ الشكر إثابة في مقابلة النعمة، وهنا استُعمل في مجرّد الإثابة، وأمّا الثاني فظاهر، فإنّ الشكر مستلزم للإثابة، فالحاصل أنّ الإثابة إمّا جزء مفهوم الشكر، أو لازم له، تأمّل. | (١) ف - قوله. (٢) المَرسِن -بكسر السين-: موضع الرَّسَنِ مِن أنف الفرس، ثمّ كثُر حتّى قيل: مَرْسِنُ الإنسان. **الصحاح** للجوهري، «رسن».

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾: القرآنِ و﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ، أو الجِنسِ و﴿مِنَ﴾ للتَّبعِيض.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ مُؤكِّدةٌ لأنَّ الحقَّ لا ينفكُّ عَن هذا التَّصديقِ.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لِمَا تقَدَّمهُ من الكُتبِ ﴿لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يَعني: أنَّه خَبَركَ وأبصَر أَحوالك فرآكَ أهلًا لأنْ يُوحَى إليْكَ مثلُ هذا الكِتَاب المُعجزِ الَّذي هو عِيَارٌ على سَائر الكُتُب.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

فإن قلتَ: ما مَعنى قَولهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾؟

قلتُ: فيه وجهانِ:

أحَدُهما: أنَّا أَوْحَينا إليك القرآنَ ثُمَّ أَوْرَثْنَاه مَن بَعدَك؛ أي: حَكَمْنا بتَورِيثه، أو قال: "أَوْرَثْنَاهُ" وهُو يُريدُ: نُورِثُه؛ لِمَا عَليه أَخبَارُ اللهِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾

قوله: (﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) معناه: بين الجهتين المُحَاذِيتين لليدين، فهو للمكان، ثمّ يُستعار للزمان المتقدّم تشبيهًا للزمان بالمكان.

قوله: (**هو عِيار**) العِيار: المِعيار الذي يُقاس به غيرُه ويُسوّى.[١]

قوله: (**أحدهما**)... إلخ فيكون متعلّقًا بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.

---

[١] ن: ويستوي؛ وفي هامش د: قوله: (ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾؟) يعني: الظاهر أنَّ قوله: ﴿أَوْرَثْنَا﴾ عطفٌ على ﴿أَوْحَيْنَا﴾، و﴿ثُمَّ﴾ يقتضي التراخي في الزمان، وأن يقال: "ثمّ نورثه بعدك المصطفَين"، فما معنى مجيء ﴿أَوْرَثْنَا﴾ ماضيًا؟ وأجاب بوجهين: أحدهما: أنّ المراد: ثمّ حكمنا بعدك بتوريثه، أو وضع الماضي موضع المستقبل تنزيلًا ما هو للكائن بمنزلة الكائن. وثانيهما: أنّ هذه الآية متّصلة بما سبق مِن قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾... الآيةَ [فاطر ٣٥/٢٤]. نقل مِن الإمام الطِّيبي. | **فتوح الغيب** للطِّيبي، ١٢/٦٥٤.

وهُم أُمّتُه مِن الصَّحابة والتَّابعينَ وتَابِعيهم ومَن بَعْدَهُم إلى يوم القيامة؛ لأنّ اللهَ اصْطَفاهُم على سائرِ الأُمَمِ وجَعلهم أُمّةً وسَطًا لِيَكُونوا شُهداءَ على النَّاس، واختَصَّهُم بكَرامة الانْتِماءِ إلى أفضَل رُسُلِ اللهِ، وحَمْلِ الكتاب الذي هو أفضَلُ كُتُبِ اللهِ، ثمّ قسمَهُم إلى ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ مُجْرِمٌ: وهُو المُرجَأُ لأمر الله، و﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: وهو الّذي خَلطَ عَمَلًا صَالحًا وآخَر سيّئًا، و﴿سَابِقٌ﴾ من السَّابِقين.

والوجهُ الثّاني: أنّه قَدَّمَ إرسالَه في كُلِّ أُمّةٍ رَسُولًا وأنّهم كَذَّبُوا رسُلَهُم وقد جاؤوهُم بالبيِّنات والزُّبر والكِتاب المُنير، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ فَأَثْنَى عَلى التَّالِينَ لِكُتبهِ العَامِلينَ بشرائعِه مِن بينِ المُكذِّبينَ بها مِن سَائرِ الأُمَمِ، واعتَرضَ بقَوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي: مِن بعْدِ أُولئك المذكُورِينَ، يُريد بالمُصْطَفينَ من عبَادِه: أهْلَ المِلّة الحَنيفيّةِ.

فإن قلتَ: فكيف جُعِلَتْ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بَدلًا من ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الّذي هُو السَّبْقُ بالخيْراتِ المُشارُ إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾؟

قلتُ: لمَّا كان السَّبَبُ في نيلِ الثَّواب نُزِّل مَنْزلةَ المُسبَّبِ كأنَّه هو الثَّوابُ،

قوله: **(لأنّ الله اصطفاهم)** أي: قال: ﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾ لأنّ.

قوله: **(والوجه الثاني: أنّه قدَّم)**... إلخ يعني: أنّ الله تعالى ذكر قبل ذلك أنّه أرسل في كلّ أمّة رسولًا حيث قال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ [فاطر ٢٤/٣٥]، وبيّن أنّهم كذّبوا وكذا وكذا، ثمّ قال: ﴿أَوْرَثْنَا﴾، فيكون هذا متعلّقًا بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾... إلخ [فاطر ٢٤/٣٥]، لا بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَا﴾؛ لأنّه جملة معترِضة، فعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل قوله: ﴿أَوْرَثْنَا﴾ بأن يقال: المعنى: حَكَمْنا، أو يقالَ: أراد نورِثه.

قوله: **(قلتُ: لمّا كان)** أي: السَّبق.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: سابق إلى الجنّة، أو إلى رحمة الله بالخيرات، أي: بالأعمال الصالحة. **معالم**. | معالم التنزيل للبغوي، ٤٢٣/٦ (فاطر، ٣٢/٣٥).

فأُبدِلت عَنْه ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾، وفي اختصَاص السَّابِقِينَ بعد التَّقْسِيم بذِكر ثوَابِهِم والسُّكوتِ عن الآخَرينَ ما فيه من وُجوب الحَذرِ، فلْيَحْذَرِ المُقتَصِدُ، ولْيَهْلِكِ الظَّالِمُ لنَفْسِه حَذَرًا، وعليهما بالتَّوبة النَّصُوح المُخلِّصَةِ من عَذاب الله، ولا يَغتَرَّا بما رَواه عُمرُ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَابِقُنا سَابِقٌ، ومُقتصِدُنا نَاجٍ، وظَالِمُنا مَغفُورٌ لَه» فإنَّ شَرْطَ ذلِك صِحَّةُ التَّوبةِ؛ لقَوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٠٢]، وقولِهِ: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٠٦] ولقد نطَقَ القرآنُ بذلك في مَواضِعَ مَن استَقرأهَا اطَّلع على حقيقة الأمْر، ولم يُعَلِّل نفسَهُ بالخُدَع.

وقرئ: "سَبَّاقٌ".

ومَعْنَى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بتيسيرهِ وتوفيقِه.

فإن قلتَ: لِم قُدِّم الظَّالِم ثمَّ المُقتَصِدُ ثم السَّابقُ؟

قلتُ: لِلإيذانِ بكثرة الفاسِقين منهم وغلَبتِهِم، وأَنَّ المقتَصِدِينَ قليلٌ بالإضافة إليْهم، والسَّابقُون أَقلُّ من القَليلِ.

قوله: (**حَذَرًا**) أي: ليَحذَر[١] حذَرًا، كأنّه يهلك مِن جهة الحذَر. فيجوز أن يكون "حذَرًا" مفعولًا له أو حالًا، كما قالوا في ﴿أَسَفًا﴾ مِن قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف ١٨/٦].

قوله: (**مِن وجوب الحذَر**) بيان "ما".

قوله: (**ولا يَغْتَرَّا**) يجوز أن يكون عطفًا على قوله: (**بالتوبة**)، فيكون نَفْيًا منصوبًا بتقدير "أنْ"، فكأنّه[٢] قال: فعليهما أن يتوبا ولا يَغْتَرَّا. ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: (**عليهما بالتوبة**)؛ لأنّه في معنى الأمر، فكأنّه قال: فليَتُوبا ولا يَغْتَرَّا، فيكون نَهْيًا معطوفًا على الأمر.[٣]

---

١ ف: ليَحذُرَ.

٢ ن: وكأنّه.

٣ وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: للإيذان بكثرة)... إلخ فإنَّ التقديم إنّما يكون لأجل الزيادة، إمّا في المرتبة، وإمّا في الكثرة، والأوّل هنا مُنتفٍ، فالثاني متعيّن. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾[١] قد ذكر في سورة الحجّ. | [١] ف - عدن.

وقرئ: "جَنَّةُ عَدْنٍ" على الإفراد كأنّها جَنَّةٌ مُختصَّةٌ بالسّابِقين.

و: "جنّاتِ عَدْنٍ" بالنَّصبِ على إضمار فعلٍ يُفسِّرُه الظّاهرُ؛ أيْ: يَدْخُلون جنّاتِ عَدْنٍ يدخُلونَها.

و: ﴿يُدْخَلُونها﴾ على البناءِ للمفعُول.

و: "يَحلَونَ" من حَلِيَتِ المرأةُ فهيَ حَالٍ.

و: ﴿لؤلؤًا﴾ مَعْطُوفًا على مَحلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ و﴿مِنْ﴾ داخِلَة للتَّبعيضِ؛ أي: يُحَلَّونَ بعْضَ أسَاوِرَ من ذهَبٍ؛ كأنّه بَعْضٌ سَابقٌ لِسَائرِ الأبْعَاضِ كما سَبق المُسَوَّرُون بهِ غيرَهُم، وقيل: إنَّ ذلك الذَّهبَ في صفَاء اللُّؤلؤ.

و: ﴿لُولؤًا﴾ بتخفيف الهَمزة الأولى.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

وقرئ: "الحُزْنَ".

والمرادُ: حُزْنُ المُتَّقِينَ، وهو ما أهمَّهُم مِن خَوف سُوءِ العَاقبةِ؛ كقَوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور ٥٢/٢٦-٢٧].

وعن ابنِ عبَّاسٍ: حُزْنُ الآفات والأعْراض. وعنه: حُزْنُ المَوت.

وعن الضَّحَّاك: حُزْنُ إبليسَ ووَسْوستِه.

وقيل: هَمُّ المعَاشِ. وقيل: حُزْنُ زَوالِ النِّعم.

قوله: (**كأنّه بعضٌ**) يريد: أنّ هذا التبعيض يفيد التعظيم، كما أنّ التنكير يُفيد التعظيم،[١] وقد مرّ مثله، أي: كأنّ ذلك البعض مِن الأساوِر سبق سائر أبعاض / الأساوِر، كما سبق المُسوَّرون بهذا البعض مِن الأساوِر غيرَهم. و"اللام" في [٢٩٨و] قوله: (**لِسائر**) صلة (**سابق**)، وهو مثل اللام في قولهم: أنا ضاربٌ لِزيد، لمّا لم يكن اسم الفاعل مثل الفعل في القوّة يُجوّزون إدخال اللام في معمولِه.

١ ف - كما أنّ التنكير يفيد التعظيم.

وقد أكثَرُوا حتى قال بَعضهُم: كِراءُ الدَّارِ. ومَعْناهُ: أنَّه يَعمُّ كُلَّ حُزْنٍ من أَحْزانِ الدِّين والدُّنيا، حَتَّى هذا.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسَ على أَهْلِ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْشَةٌ في قبُورِهم ولا في مَحْشرهم ولا في مَسِيرهم، وكأنِّي بأهْلِ لا إله إلا الله يَخْرُجونَ من قبُورِهِم وَهُم يَنفُضُونَ التُّرابَ عن وجُوههم ويقولُون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾».

وذِكرُ الشَّكُور دليلٌ على أَنَّ القَومَ كثيرُو الحسَناتِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

"المُقامَةُ" بمَعْنى: الإقَامةِ، يُقالُ: أقمْتُ إقَامةً ومُقَامًا ومُقَامةً.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: من عَطائهِ وإفْضاله، من قَولهم: "لفُلانٍ فُضُولٌ على قَوْمهِ"، و"فَواضِلُ" وليسَ مِن الفَضْلِ الَّذي هُو التَّفَضُّلُ؛ لأنَّ الثَّوابَ بمَنْزلةِ الأَجْرِ المُستحَقِّ والتَّفضُّلُ كالتَّبرُّع.

قوله: («على أهل لا إله إلّا الله»)[1] يَشمل صاحبَ الكبيرة وغيرَه، فيُرجَى مِن الله تعالى له العفو وإزالة الوحشة كما هو مذهب أهل السنّة والجماعة.

قوله: (وليس مِن الفَضْل)... إلخ هذا على مذهبه، وأمّا عند أهل السُّنّة هو مِن الفَضل الذي هو التفضّل.

---

[1] وفي هامش د ف: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر، قال: قال رسول الله عليه السلام: «ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في قبورهم ولا في مَنشَرهم»، وقال: «كأنّي بأهل لا إله إلّا الله ينفُضُون التراب عن وجوههم، ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾»، رواه ابن أبي حاتم مِن حديثه. وروى الطبراني بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في الموت، ولا في القبور، ولا في النشور، كأنّي أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم مِن التراب، يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾». | انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٣٤/٧؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٢١١/٢٢ (فاطر، ٣٤/٣٥)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٥٠٦/٣ (فاطر، ٣٤/٣٥)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١٧٧/١٣ (١٣٨٨٠).

وقرئ: "لَغُوب" بالفتح، وهو اسمُ ما يُلْغَبُ مِنه؛ أي: لا نَتَكَلَّفُ عَملًا يُلْغِبنَا، أو مَصْدرٌ كالقَبُول والوَلُوغ، أو صِفةٌ للمصْدَرِ كأنّه لُغُوبٌ لَغُوبٌ؛ كقولك: مَوْتٌ مائتٌ.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين النَّصبِ واللُّغُوبِ؟

قلتُ: النَّصَبُ: التَّعبُ والمشَقَّةُ الَّتي تُصِيبُ المُنتَصِبَ للأَمرِ المُزَاولَ لهُ، وأمَّا اللُّغُوبُ: فمَا يَلحَقُه من الفُتُور بسَببِ النَّصَب، فَالنَّصَبُ نَفْسُ المَشقَّةِ والكُلْفَةِ، واللُّغوبُ: نتيجَتُه ومَا يَحْدُثُ مِنه من الكَلال والفَتْرَة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾

﴿فَيَمُوتُواْ﴾ جوابُ النَّفي، ونَصْبُه بإضمار "أنْ"، وقُرِئ: "فَيمُوتُونَ" عَطْفًا على ﴿يُقْضَىٰ﴾ وإدْخَالًا له في حُكْمِ النَّفْي؛ أي: لا يُقضَى عَليهم الموْتُ فلا يمُوتُونَ؛ كقَوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات ٣٦/٧٧].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثلَ ذلك الجزاء ﴿يُجْزَىٰ﴾ وقرئ: "يُجَازَى"، و: ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ بالنُّونِ.

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾: يتصَارخُونَ، يفتَعِلُونَ من الصُّراخِ وهو الصِّيَاحُ بجَهْدٍ وشِدَّةٍ، قال:

كَصَرْخَةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا

واستُعمِلَ في الاستِغَاثَة لجَهْدِ المُستَغِيثِ صَوتَه.

قوله: (**قَبيلُها**)[١] القَبيلُ والقَبول: القابلة.

---

[١] تمام البيت:

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها
كصَرخة حُبلى أسلَمَتها قَبِيلُها

وهو للأعشى في ديوانه، ص ١٧٧، بلفظ: "يسَّرَتها قَبولُها".

فإن قلتَ: هَلَّا اكتُفِي بـ﴿صَٰلِحًا﴾ كما اكتُفِيَ بهِ في قَولِهِ: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السجدة ١٢/٣٢]، ومَا فائدةُ زِيَادَةِ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾ على أَنَّهُ يُوهِمُ أَنَّهُم يَعْملُونَ صَالحًا آخرَ غَيْرَ الصَّالحِ الَّذي عَمِلُوه؟

قلتُ: فائدةُ زيادتِه التَّحسُّرُ عَلى ما عَمِلُوه من غَيْرِ الصَّالحِ مع الاعتِرافِ بهِ، وأمَّا الوَهْمُ فَزائلٌ لظهُور حَالِهِمْ في الكُفر ورُكُوب المعَاصي، ولأَنَّهم كانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهم عَلى سِيرةٍ صَالحةٍ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف ١٠٤/١٨] فقَالُوا: ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا﴾ نحسبُهُ صَالحًا فنَعملُه.

﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ تَوبِيخٌ من الله، يَعْني: فَنقُول لَهُم.

وقرئَ: "ما يَذَّكَّرُ فيهِ منِ اذَّكَّر" على الإِدْغام، وهُو متَناوِلٌ لكُلِّ عُمْرٍ يتمَكَّنَ فيهِ المُكَلَّفُ مِن إِصْلاح شَأنِه وإِن قَصُر، إِلَّا أنَّ التَّوبِيخَ في المُتَطاوِل أَعْظَمُ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «العُمرُ الَّذي أَعْذَر اللهُ فِيه إلى ابْنِ آدمَ سِتُّون سنةً».

وعن مُجاهدٍ: ما بين العِشرينَ إلى السِّتينَ.

وقيل: ثمانيَ عَشرةَ وسبع عشرة.

قوله: **(مع الاعتراف به)** أي: بأنّهم عملوا غير الصالح.

قوله: **(ولأنّهم)** عطفٌ على قوله: **(فائدةُ)**... إلخ، فكأنّه[١] قيل: لم يكتف لإفادة زيادة التحسّر، ولأنّهم كانوا.

قوله: (**«أعْذَرَ الله فيه»**)[٢] يجوز أن تكون الهمزة للسَّلْب،[٣] كأنّ المعنى: سَلَبَ الله تعالى عُذرَ ذلك الشخص إليه، فلم يبق له عُذر، فكأنّه[٤] رماه إليه ولم يقبل[٥] منه. ويجوز أن يكون مِن قولهم: أعذرَ، أي: بالغ في العُذر. وقال في **المُجمل**:

---

[١] ن: وكأنّهم.

[٢] **جامع البيان** للطبري، ٣٨٥/١٩ (فاطر، ٣٧/٣٥).

[٣] وفي هامش د: كهمزة "أَشكيتُه".

[٤] ف: وكأنّه.

[٥] ن: تقبل.

و﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ الرَّسُولُ، وقيل: الشَّيْبُ. وقرئ: "وجاءتكُم النُّذُرُ".

فإن قلتَ: عَلامَ عُطِفَ ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؟

قلتُ: على مَعنى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ لأنَّ لَفظَهُ لَفظُ استخبَارٍ ومَعناه مَعْنَى إخبَارٍ؛ كأنه قيلَ: قَدْ عَمَّرنَاكُم وجَاءَكُم النَّذِيرُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ كالتَّعليلِ؛ لأنه إذا عَلِم ما في الصُّدُور -وهو أَخفَى ما يكُونُ- فقَد عَلِم كُلَّ غيبٍ في العَالَم، و"ذَاتُ الصُّدور": مُضمَراتُهَا، وهيَ تأنيثُ "ذُو" في نحو قولِ أبي بكرٍ رضي الله عنه: "ذُو بَطْنِ بنتِ خارجةَ جَاريةٌ" وقَولِهِ:

«قال أبو عبيد في قوله صلّى الله عليه وسلّم:[١] 'لن يَهلِك القومُ حتَّى يُعْذِروا مِن أنفسهم':[٢] ولا أُراه إلّا مِن العذر، يعني: أن يستوجبوا العقوبة،[٣] فيكون لِمن يعذِّبهم العذر».[٤] فكأنّ المُعذِّب ألقى العُذْر إليه، ويقول: هذا عذري في عذابك.

وقال في **المُغرب**: «أعذَرَ، أي: بالغَ في العُذر، يقال: أَعذَرَ مَن أَنذَرَ، ومنه: كان أبو يوسف رحمه الله[٥] يعمل بالإعذار،[٦] وذلك إذا كان قِبَلَ السلطان حقّ لإنسان وهو لا يُجيبه إلى القاضي، فإنّه رحمه الله كان يبعث إليه مِن قِبَله رسولًا ينادي على بابه: إنَّ القاضي يقول: أجبْ، يُنادي بذلك أيّامًا، فإن أجابَ، وإلّا جعل لذلك السلطان وكيلًا فيخاصمه[٧] هذا المدّعي».[٨]

قوله: (**في نحوِ قول أبي بكر رضي الله عنه: «ذو بَطنِ خارِجةَ[٩] جاريةٌ»**) أي: جَنينُها جاريةٌ، يُقال: ألقَتْ الدجاجةُ ذا بَطنِها، أي: باضَتْ أو سَلَحَتْ،

---

١ د: عليه السلام.

٢ **مسند أحمد**، ٢٢٢/٣٠ (١٨٢٨٩)؛ و**سنن أبي داود**، ٤٠٢/٦ (٤٣٤٧).

٣ ن: العقبوبة.

٤ **مجمل اللغة** لابن فارس، «عذر».

٥ د - رحمه الله.

٦ انظر: **المحيط البرهاني** لابن مازه، ٤٤/٨.

٧ ن: فخاصمه.

٨ **المُغرب** للمطرّزي، «عذر».

٩ وفي هامش د ف: كأنّه قال: "ولدَت خارجةُ جاريةً".

إذا قال قَدْني قُلتُ باللهِ حلفةً لَتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إنائكَ أجْمَعَا

المَعْنَى: "ما في بَطْنِهَا من الحَبَلِ" و: "مَا في إنَائكَ من الشَّرابِ" لأنَّ الحبَلَ والشرابَ يَصْحَبان البطنَ والإناءَ، ألَا تَرى إلى قوْلِهِمْ: "معَها حَبَلٌ"، وكذلك المُضْمَراتُ تصْحَبُ الصُّدُورَ وهي معها و"ذُو" مَوْضُوعٌ لمَعنى الصُّحْبَةِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

يُقال للمُستَخْلَفِ: خَلِيفةٌ وخَلِيفٌ، فَالخلِيفةُ تُجمع على: خَلائفَ، والخَلِيفُ: خُلفَاءُ.

والمَعنَى: أنَّه جعَلكُم خُلفَاءَهُ في أرْضِه قد مَلَّكَكُم مقَاليدَ التَّصرُّف فيها وسَلَّطَكُم على ما فيها وأبَاحَ لكُم مَنَافعها لِتَشْكرُوه بالتَّوحيد والطَّاعة

وهذا الكلام في **المُغرب** هكذا: «ذو بَطْنِ بِنتِ خارِجةَ جاريةٌ»،[١] وذُكِر في موضع آخر منه أيضًا: «الخروج معروف، وباسم الفاعلة منه سُمّي خارجة بن[٢] حُذافة العدوي راوي حديثِ الوِترِ،[٣] صحابي».[٤]

قوله: (لَتُغْني).

إذا قال: قَدني، قلت: بالله حَلْفة لَتُغْنِي... البيتَ[٥]

قوله: (مقاليدَ) الإقليد: المفتاح، والمِقْلَدُ: مفتاح، والجمع المقاليد.[٦]

---

١ **المُغرب** للمطرّزي، «ذو». والحديث في **الموطأ** لمالك، ٧٥٢/٢ (٤٠)؛ و**السنن الكبرى** للبيهقي، ٢٩٧/١٢ (١٢٠٧٠).

٢ ن: ابن.

٣ حديث الوتر ما رواه خارجة بن حُذافة، قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: «إنّ الله أمدّكم بصلاة هي خير لكم مِن حُمْر النَّعم؛ الوِتر، جعله الله لكم فيما بينَ صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر». **مسند أحمد**، ٤٤٢/٣٩ (٢٤٠٠٩)؛ **سنن أبي داود**، ٥٥٨/٢ (١٤١٨)؛ **سنن الترمذي**، ٥٧٤/١ (٤٥٢).

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «خرج».

٥ لحُرَيث بن عنّاب الطائي. انظر: **المقاصد النحويّة** للعيني، ٣٢٥/١.

٦ **الصحاح** للجوهري، «قلد».

﴿فَمَن كَفَرَ﴾ مِنكم وغَمِطَ مِثْلَ هذهِ النِّعمة السَّنيَّةِ فوَبالُ كُفْرِه راجِعٌ عَليه، وهو مَقْتُ الله الَّذي لَيس ورَاءهُ خِزْيٌ وصَغَارٌ، وخَسَارُ الآخِرة الذي ما بَعْده خسَارٌ.

و"المَقتُ": أَشَدُّ البُغضِ، ومنه قيل لمَن يَنكح امرَأةَ أَبيهِ: مَقتيٌّ؛ لكَونه مَمقُوتًا في كُلِّ قلبٍ.

وهو خِطابٌ للنَّاس، وقيل: هو خطابٌ لمَن بُعِثَ إلَيهم رسُول الله؛ أي: جَعَلكم أُمَّةً خَلَفَتْ مَن قَبْلَهَا ورأَتْ وشاهَدَتْ فيمَن سَلفَ ما يَنبَغِي أَنْ تَعتَبِرَ به، فمَن كفَر مِنكُم فعَليه جَزاءُ كُفرهِ مِن مَقت الله وخسَارِ الآخِرةِ كما أَنَّ ذلك حُكمُ مَن قَبْلَكم.

قوله: **(فمَن كفَر)**... إلخ الفاء في "فمَن" دالّ على هذا المحذوف.

قوله: **(الذي ما بعده)** "ما" نافية.

قوله: **(مِن مَقْتِ الله)** بيان "الجزاء".

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى "بل والهمزة"، فيكون قد أضرب عن الاستفهام الأوّل وشرَع في استفهام آخَر، فكأنّه بعد الإضراب عن الاستفهام الأوّل قال: أَلَهُمْ شِرك في السماوات أم لا، يعني: ليس لهم شِرك في السماوات، فلِمَ يدعونهم مِن دون الله؟ ثمّ أضربَ عن هذا الاستفهام وشرَع في استفهام / آخَر فقال: أآتيناهم[1] -يعني: الشركاء- كتابًا، [٢٩٨ظ] فهؤلاء الشركاء على بيّنات وحُجَج وبراهين مِن ذلك الكتاب؟ على أنّهم شركاؤه فلذلك يَعبدونها، يعني: ليس كذلك أيضًا فلِمَ يعبدونها؟ هذا إذا قلنا: الضمير في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعود إلى "الشركاء"، وأمّا إذا كان[2] عائدًا إلى "المشركين" ففيه التفات، فكأنّه[3] قيل: بل أآتيناكم[4] كتابًا فأنتم مستقرّون على حُجج متمسّكون[5] بها على آلهتها؟ يعني: ليس ذلك أيضًا فلِمَ تدعونهم؟

---

١ ن: آتيناهم.
٢ ف + إذا.
٣ ف: وكأنّه.
٤ ن: آتيناهم.
٥ ن: يتمسّكو.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَرُونِى﴾ بدَلٌ مِن ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ لأنَّ مَعنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أَخْبِرُوني؛ كأنَّه قال: أَخبِرُوني عَن هؤلاءِ الشُّركَاءِ وعَمَّا استَحقُّوا بهِ الإلهيَّةَ والشِّركةَ، أَرُوني أيَّ جُزْءٍ من أجزاء الأرض استَبَدُّوا بخَلقِه دُون اللهِ، أَمْ لَهُم معَ اللهِ شِركةٌ في خَلق السَّماواتِ، أَمْ معَهُم كتابٌ من عِندِ اللهِ يَنْطِقُ بأَنَّهُم شُركاؤهُ فَهُم على حُجَّةٍ وبُرْهَانٍ من ذلك الكتابِ.

أو يكون الضَّميرُ في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ للمُشركِينَ كقَوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الروم ٣٠/٣٥] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الزخرف ٤٣/٢١].

﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ بَعضُهمْ وَهُم الرُّؤوساء ﴿بَعْضًا﴾ وهُم الأَتْبَاعُ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وهُوَ قولُهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/١٨].

وقرئ: ﴿بَيِّناتٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَن تَزُولَا﴾: كراهَةَ أَنْ تزولَا، أو: يَمْنَعهُما مِن أَنْ تزُولَا؛ لأنَّ الإمْسَاك مَنْعٌ.

والحاصل مِن المعنى: أنّه ليس للذين تَدعون[١] مِن دون الله شِرْكة في شيء مِن مخلوقاته تعالى ليكون العقل دالًّا على كونهم شريكًا له تعالى، وليس معهم ولا معكم كتاب حتّى يكون لكم نقلٌ على صحّة ذلك، فكيف تَدّعون هذا الأمر العظيم مِن غير رِواية ولا دراية؟ ولمّا بيّن أنّه لا حجّةَ لهم ولا مُتمسَّكَ ومُتَشبَّثَ بوجهٍ ما أشار إلى وجوب الإعراض، وبيّن أنّ أمرَهم ليس إلّا أنّ شياطينهم ورؤساءهم غرُّوهم فاغترُّوا بذلك.

قوله: **(أم معهم كتاب)** يعني مع "الشركاء".

---

[١] وفي هامش د: يَدْعُونَ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: غيرَ مُعَاجِلٍ بالعُقُوبة حَيْث يُمْسِكُهُمَا وكانَتا جَديرَتَيْنِ بأن تُهَدَّا هَدًّا لِعظَم كَلمة الشِّرك؛ كمَا قالَ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ [مريم ١٩/٩٠].

وقرئ: "وَلو زالَتَا".

و﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: جَوابُ القَسمِ في ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ سَدَّ مسَدَّ الجَوابَيْنِ، و﴿مِنْ﴾ الأولَى مَزِيدةٌ لِتأكيدِ النَّفيِ، والثَّانيةُ للابتِداء.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعْدِ إمسَاكِه، وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال لرَجُلٍ مُقْبِلٍ من الشَّام: مَن لَقِيتَ به؟ قال: كعْبًا، قال: وما سَمِعتَهُ يقُول؟ قالَ: سَمعْتُه يقولُ: إنَّ السَّماواتِ على مَنكِبِ مَلَكٍ، قال: كذَبَ كَعْبٌ، أمَا ترك يَهُوديَّتَهُ بَعْدُ؟! ثُمَّ قَرأ هذه الآيةَ.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

بَلَغ قُرَيْشًا قَبلَ مَبْعَثِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ أهْلَ الكتاب كَذَّبُوا رسُلَهُم، فقَالُوا: لَعن اللهُ اليهُودَ والنَّصَارَى أَتَتْهُم الرُّسُلُ فكذَّبُوهم! فوَالله ﴿لَئِن﴾ أَتَانا ﴿رسُولٌ لنكُونَنَّ أَهْدَى مِن إِحْدَى الأُمم﴾، فلمَّا بُعِثَ رسُول الله كذَّبُوه.

وفي ﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وجْهانِ:

أَحَدُهمَا: من بَعْضِ الأُمَم، ومِن واحِدةٍ منَ الأُمَمِ، من اليهُود والنَّصَارى وغَيْرِهِم.

والثاني: مِن الأُمَّة الَّتي يُقَالُ فيها: هيَ إِحْدَى الأُمَم؛ تفضيلًا لهَا على غيْرِهَا في الهُدَى والاستِقامةِ.

﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إِسْنَادٌ مجَازيٌّ؛ لأنَّه هُو السَّببُ في أَنْ زادَوُا أنفُسَهُم نفُورًا عن الحَقِّ وابْتِعَادًا عَنه؛ كقَوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٥].

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بَدَلٌ من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعُولٌ له عَلى مَعْنَى: فمَا زادَهُم إلَّا أنْ نفَرُوا استِكبَارًا وعُلـوًّا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أو حـالٌ يَعْنِـي: مُستكْبرينَ ومَاكِرِيـنَ برسُول الله والمؤمنِينَ.

ويجُوز أن يكُونَ ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ مَعْطوفًا عَلى ﴿نُفُورًا﴾.

فإن قلتَ: ما وَجْهُ قَوله: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾؟

قلتُ: أَصْلهُ: وأَنْ مَكَرُوا السَّيِّئ؛ أي: المَكْرَ السَّيِّئَ، ثُمَّ: ومَكرًا السَّيِّئَ، ثم: ومَكْرَ السَّيِّئ، والدَّليلُ عَليه قولُه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ومَعْنى ﴿يَحِيقُ﴾: يُحِيطُ ويَنْزِلُ.

وقرئ: "ولَا يُحِيق المَكْرَ السَّيِّئَ"؛ أي: لا يُحِيق اللهُ. ولقَد حَاقَ بهِم يومَ بَدْرٍ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَمْكُروا ولا تُعِينُوا مَاكرًا فإنَّ الله تعالى يَقُول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، ولا تَبْغُوا ولا تُعِينُوا باغِيًا يقُولُ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس ١٠/٢٣]».

وعن كعْبٍ أنَّه قال لابن عبَّاسٍ: قَرأتُ في التَّوراةِ: مَن حفَر مُغوَّاةً وقَع فيهَا، قال: أَنا وَجَدْتُ ذلك في كتاب اللهِ تعالى، فقَرأَ الآيةَ.

وفِي أَمْثال العَربِ: "مَن حَفَر لِأَخِيهِ جُبًّا وقَع فيه مُنكبًّا".

قوله: **(أي: المكرَ)** أي: أنْ مَكَروا المكرَ السيِّءَ. وقوله: **(ثمَّ "ومَكْرًا[١] السَّيِّءَ")** يعني: ومَكرًا المَكْرَ السيّءَ. وقوله: **(ثمَّ "ومَكْرَ السيِّءِ")**[٢] بالإضافة إلى المفعول، أي: إلى صفة المفعول، وهو مفعول مطلق، لا مفعولٌ به.

قولـه: **(مُغَـوّاة)** المُغَوَّيـات -بفتـح الـواو مشـدّدة- جمـع المُغَـوّاة؛ وهـي حفـرة كالزُّبْيـة.[٣]

---

١ ن: ومكر.

٢ ف - يعني: ومَكْرًا المَكْرَ السيّءَ. وقوله: (ثمّ "ومَكْرَ السَّيّءِ").

٣ **الصحاح** للجوهري، «غوى». والزُّبْيَة: الرابية لا يعلوها الماء. وفي المَثَل: «قد بلغَ السَّيلُ الزُّبى». والزُّبْيَة: حُفرة تُحفَر للأسد، سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يَحفِرونها في موضع عالٍ. **الصحاح** للجوهري، «زبى».

وقرأ حمزةُ: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئْ﴾ بإسكانِ الهَمزةِ، وذلك لاستِثقالِهِ الحَركاتِ مع الياء والهَمزة، ولعلَّهُ اختَلسَ فظُنَّ سُكونًا، أوْ وَقَفَ وَقفةً خَفيفةً ثُمَّ ابتَدأَ: ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾.

وقرأ ابنُ مسْعُود: "ومَكْرًا سَيِّئًا".

"سُنَّةُ الأوَّلِينَ": إنْزالُ العَذاب على الّذين كَذَّبُوا برُسُلِهِم من الأُمَم قَبلَهُم، وجعَل استِقبالَهُم لذَلك انتِظَارًا له منهم، وبيَّنَ أنَّ عَادَتَه الّتي هي الانتِقامُ مِن مُكذِّبي الرُّسُلِ عَادةٌ لا يُبَدِّلُهَا ولا يُحوِّلُهَا؛ أي: لا يُغَيِّرُها، وأنَّ ذلك مَفعُولٌ لا مَحَالَة، واستَشْهَدَ عَليْهم بما كانوا يُشَاهِدُونهُ في مَسَايرِهم ومَتَاجِرهم في رِحَلِهم إلى الشام والعِراق واليَمنِ من آثارِ الماضِينَ وعَلاماتِ هَلاكِهِم ودَمارِهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

قوله: (**بإسكان الهمزة**)[١] ومثله: ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة ٥٤/٢] بإسكان الهمزة،[٢] قال أبو عليّ الفارسي: «هو على إجراء الوصل مُجرى الوقف»،[٣] كما حكى سيبويه مِن قولهم: "ثَلَثَهَرْبَعَهْ"،[٤] فأجرَوا الوصل مُجرى الوقف. وقال: «يَحتمل أنه خفَّف آخر الاسم لاجتماع الكسرتَين والياءَين، كما خفَّفوا الباء مِن "إبل" لتوالي الكسرتَين، ونزَّل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب».[٥]

وقوله: (**أو وقَف**) قال أبو جعفر النحّاس:[٦] «كان الأعمش يقِف على ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ فيترك الحركة»،[٧] وهو وقف حسن تامّ.[٨]

قوله: (**وأنّ ذلك مفعولٌ له**) أي: لله تعالى، أي: يفعلُه الله تعالى لا محالةَ.

---

١ انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٢/٢.

٢ في قراءة أبي عمرو البصري. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢١٢/٢.

٣ انظر: **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٣١/٦.

٤ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ٢٦٥/٣.

٥ انظر: **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٣٢/٦.

٦ ن: النحاش.

٧ انظر: **القطع والائتناف** للنحّاس، ص ٥٧٥.

٨ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٠٨/٣ (فاطر، ٤٣/٣٥).

﴿لِيُعْجِزَهُۥ﴾: ليَسْبِقَهُ ويَفُوتَه.

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾: بمَا اقترفُوا من معَاصِيهم.

﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: على ظهْرِ الأرْض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من نَسَمةٍ تَدِبُّ عَليها، يُريدُ بنِي آدمَ.

وقيل: ما تَرك بني آدَم وغيْرَهُم من سَائر الدَّوابِ بشُؤمِ ذُنوبهِم.

وعن ابن مسعُود رضي الله عنه: كادَ الجُعَلُ يُعَذَّبُ في جُحْرِه بذَنْبِ ابنِ آدَم، ثُمَّ تَلَا هذه الآيةَ.

وعن أنَس رضي الله عنه: إنَّ الضَّبَّ ليَمُوتُ هَزْلًا في جُحْره بذَنْبِ ابنِ آدم.

وقيل: يَحْبِسُ المَطر فيَهلِكُ كُلُّ شيءٍ.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى يَوْم القيامَة ﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ وعيْدٌ بالجزاءِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ المَلائكةِ دَعَتْهُ ثمانيَةُ أَبْوابِ الجَنَّةِ: أَن ادْخُلْ مِن أَيِّ بابٍ شئتَ»، والله أعلم.

قوله: («هَزْلًا»)[١] هُزِلَتِ الدابّةُ هُزالًا؛ على ما لم يُسمَّ فاعله، وهَزَلْتُها[٢] هَزْلًا فهو مَهْزول.[٣]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٤]

---

[١] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "هزالًا". والأثر في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٣٠/٢٢ (فاطر، ٤٥/٣٥).

[٢] ف: وهَزَلَتها.

[٣] **الصحاح** للجوهري، «هزل».

[٤] ف - السورة بحمد الله تعالى.

سورة يسٓ

مكيّة وهي ثلاثٌ وثمانون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ④ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ⑤﴾

قرئ: "ياسينَ" بالفَتح: كَأيْنَ وكيْفَ، أو بالنَّصب على: اتْلُ.

وبالكسر على الأصلِ: كجَيْرِ.

وبالرَّفع على: هذِه ياسِينُ، أو بالضَّم كحَيْثُ، وفُخِمتِ الألفُ وأُمِيلَت.

سورة يسٓ

بسم الله الرحمن الرحيم، رَبِّ تَمِّم[1]

قوله: **(أو بالنصب)** يعني: يجوز أن لا يكون الحركةُ حركةَ بناءٍ؛ بل تكون حركةَ إعرابٍ، ونصبُه بفعل مقدّر كما ذكر.[2] ومنعُ[3] الصرف للتعريف والتأنيث.

قوله: **(على الأصل)** أي: على أصل التقاء الساكنَين.

قوله: **(وفُخِّمَتْ)**... إلخ[4] أمّا الإمالة فلأجل الياء، وأمّا التفخيم فلِجواز تفخيم ما فيه سبب الإمالة؛ لأنّه مُجوِّز لا موجِب.

---

[1] ن ف - ربِّ تَمِّم.

[2] ن: ذكروا.

[3] ن: منع.

[4] يعني بالتفخيمِ الفتحَ المقابِلَ للإمالة. وقرأ بإمالة الألف مِن (يسٓ) الكسائي وخلف وشعبة عن عاصم ورَوح عن يعقوب، وهو أحد الوجهين عن حمزة، والوجه الثاني عنه التقليلُ بينَ بينَ. وصحّ عن نافع فيها وجهان؛ الفتح والتقليل. وقرأ باقي القرّاء العشر بالفتح. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٧٠.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: مَعناه: يا إنسانُ، في لُغةِ طَيِّئٍ.

والله أعلمُ بصحّتهِ، وإنْ صَحَّ فوَجْهُه أن يكون أصلُه: يا أُنَيسِينُ، فكَثُرَ النداءُ به على ألسِنَتهم حتّى اقتصَروا على شَطْرِه؛ كما قالوا في القَسَم: مُ اللهِ، في: أيْمُنُ اللهِ.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذِي الحِكمة، أو لأنّه دَليلٌ ناطقٌ بالحِكمةِ كالحيِّ، أو لأنّهُ كلامٌ حكيمٌ فوُصِف بصفةِ المتكلِّم به.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبرٌ بَعْد خبرٍ، أو صِلةٌ لـ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

فإن قلتَ: أيُّ حَاجَةٍ إليه خبرًا كان أو صِلةً على ما ذهبتَ، وقدْ عُلم أنَّ المُرسلينَ لا يكُونُونَ إلَّا على صِراطٍ مُستقيمٍ؟

قلتُ: ليس الغرضُ بذِكرهِ ما ذهبْتَ إليه مِن تَمييزِ مَن أُرسِل على صِراطٍ مُستقيم عن غَيره ممّن ليْسَ على صِفتِه، وإنّما الغَرضُ وَصْفُه ووَصْفُ ما جاء به من الشَّريعةِ، فجُمِع بين الوَصْفَين في نِظامٍ واحدٍ كأنّه قال: إنَّكَ لمنَ المُرسَلين الثَّابتينَ على طريقٍ ثابتٍ، وأيضًا فإنَّ التَّنكيرَ فيه دالٌّ على أنه أُرسِل من بَيْنِ الصُّرُطِ المُستقيمة على صِراطٍ مُستقيمٍ لا يُكتَنَهُ وَصفُه.

قوله: (بصحّتِه) أي: بصحّةِ أنّه قد قاله، أي: بصحّة الرواية عنه، ثمّ قال: (وإن صحّ) أنّه قد قال / ذلك. [٢٩٩و]

قوله: (فوجهه)... إلخ وهنا وجه آخر لم يذكره المصنّف، وهو أنّه اكتفى مِن الكلمة بحرف منها، كما قال الشاعر:

قلتُ لها: قِفِي لنا[١] قالت قاف[٢]

قوله: (أو لأنّه) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (ذي الحكمة) أي: وُصِف القرآن بالحكيم[٣] لأنّه ذو الحكمة، أو لأنّه دليل.

---

١ ف – لنا.

٢ للوليد بن عُقبة بن أبي معيط. انظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي، ٢٧١/٤.

٣ ن: بالحكم.

وقرئ ﴿تنزيلُ العزيزِ الرحيم﴾ بالرَّفع على أنَّه خبَرُ مُبتدَأ محْذوفٍ، وبالنَّصبِ على: أَعْنِي، وبالجرِّ على البَدلِ من ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

﴿قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: قومًا غيرَ مُنْذَرٍ آباؤُهم، على الوصْف، ونحوُه قولهُ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص ٢٨/٤٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ ٣٤/٤٤].

وقد فُسِّر ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ على إِثْبَاتِ الإِنْذار، وَوجْهُ ذلك: أَنْ تُجعَلَ ﴿مَا﴾ مَصْدريَّةً: لتُنذِرَ قومًا إِنذارَ آبائهم، أو موصولة منصوبةً على المفعول الثاني: لتُنذِرَ قومًا ما أُنْذِره آباؤهم من العذابِ؛ كقولِهِ: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ ٧٨/٤٠].

فإن قلتَ: أَيُّ فرْقٍ بين تَعلُّقَي قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسيرين؟

قلتُ: هو على الأوَّلِ متعلِّقٌ بالنَّفي؛ أي: لم يُنذَرُوا فهُم غَافِلُون، على أَنَّ عَدم إِنْذارِهم هو سببُ غَفْلَتِهم، وعلى الثَّاني بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ... لِتُنذِرَ﴾ كما تقُولُ: "أَرْسَلتُكَ إلى فُلانٍ لتُنْذِرَهُ فإنه غافلٌ"، أو: "فهُو غافِلٌ".

قوله: **(قومًا غيرَ مُنذَر)** يعني يكون "ما" نافية.

قوله: **(لِتنذر قومًا إنذارَ[1] آبائهم)** أي: تقديره: لتنذر[2] قومًا إنذارَ آبائهم، فحذف المصنّف المبتدأ ههنا، وكذا بعد[3] ذلك في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ[4] ءَابَآؤُهُمْ﴾.

قوله: **(قلتُ: هو على الأوّل)** تحقيق هذا الجواب ما ذكر أئمّة أصول الفقه[5] مِن أنّه يجوز أن يدخل الفاء في الحكم، والسببُ مقدَّم، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة ٥/٣٨]. ويجوز أن يدخل في السببِ،

---

١ ف: **ما أُنذرَ**.

٢ ن: لتنذ.

٣ ن: يعدّ.

٤ كذا في النسخ الخطّيّة، وأظنّ أنّ مراده قولُ المصنّف في تقدير معنى الآية على اعتبار "ما" موصولةً: "لِتنذر قومًا ما أنذرَه آباؤُهم".

٥ انظر: **المعتمد** لأبي الحسين البصري، ٢/٢٥١.

فإن قلتَ: فكيف يكُونونَ مُنذَرِينَ غيرَ مُنْذَرِينَ؛ لمُناقضةِ هذا ما في الآيِ الأُخَر؟

قلتُ: لا مُنَاقضَةَ؛ لأنَّ الآيَ في نفْيِ إنْذارِهم لا في نفيِ إنْذارِ آبائهم، وآباؤهم القُدماءُ مِن وَلَدِ إسماعيل عليه السلام، وكانتِ النِّذَارةُ فيهم.

فإن قلتَ: ففي أحَدِ التفسيرَينِ أنَّ آباءَهُم لَم يُنْذَروا -وهو الظَّاهِرُ- فما تَصْنَعُ بهِ؟

قلتُ: أُرِيدَ آباؤُهم الأَدْنونَ دُون الأَبَاعِد.

والحكمُ مقدَّم، كقوله صلّى الله عليه وسلّم[1] في المُحرِم الذي وَقَصَتْهُ ناقتُه: «لا تُقَرِّبوه طِيبًا، فإنّه يُبعث يوم القيامة ملبِّيًا».[2]

قوله: (**فإن قلتَ: فكيف**)... إلخ يعني: أنَّ هذه الآية دلَّت على أنّهم مُنذَرون؛ لأنّه[3] إذا كان المعنى: لتُنذر قومًا إنذارًا مثلَ إنذارِ آبائهم، أو يكون المعنى: لتُنذرَ قومًا ما أُنذِرَه[4] آباؤهم مِن[5] العذاب؛ كانت الآية دالّة على أنَّ آباءهم أُنذِروا، وإذا كان آباؤهم أُنذِروا فهم قد أُنذِروا، لِما مرّ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر ٣٥/٢٤]، فثبَت أنَّ هذه الآية دلَّت على أنّهم مُنذَرون، وغيرُ هذه الآية مِن الآيات تدلّ على أنّهم غير مُنذَرين، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ [فاطر ٣٥/٤٢]، فيلزم المنافاة بين مَعنَيَيهما.

ثمّ قال المصنّف: (**لِمناقضة**)[6] وهذا إشارة مِن حيث المعنى إلى التنافي بين مَعْنَيَيهما، فكأنّه قيل: لا يمكن الجمع بين هذه الآية والآيات الأُخَر لمناقَضة[7] هذا ما في الآيِ الأُخَر. ثمّ أجاب المصنّف بأنْ لا مناقضةَ؛[8] لأنّ تلك الآيَ في بيان نفي إنذارهم، لا في بيان نفي إنذار آبائهم، فإنّ آباءهم قد أُنذِروا كما دلّت هذه الآية،

---

[1] د: عليه السلام.

[2] صحيح البخاري، ٣/١٧ (١٨٥١)؛ صحيح مسلم، ٢/٨٦٦ (١٢٠٦).

[3] د: لأنّهم.

[4] ن: ما أنذر.

[5] وفي هامش د ف: بيان "ما".

[6] د ف: لمناقضه.

[7] ن ف: لمناقضه.

[8] ن ف: مناقضه.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

﴿ٱلْقَوْلُ﴾ قَولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود ١١/١١٩] يَعْنِي: تعَلَّق بهم هذا القولُ وثبَت عَليهم ووَجَب؛ لأنَّهُم ممَّن عَلِمَ أنَّهم يَموتُونَ على الكُفرِ.

ثمَّ مثَّلَ تَصْمِيمَهم على الكُفر وأنَّه لا سبيلَ إلى ارْعوائهم بأنْ جعَلَهم كالمَغْلُولينَ المُقْمَحِينَ في أنَّهم لا يَلتَفِتونَ إلى الحقِّ، ولا يَعْطِفُونَ أَعْناقَهم نحوَهُ،

ولا يلزم مِن كون آبائهم مُنذَرين كونُهم مُنذَرين؛ لأنّ المراد بآبائهم المُنذَرين هم القدماء مِن وُلد[1] إسماعيلَ، ولم يبقَ آثارُ نِذارتهم إلى وقت هؤلاء. ثمّ اعترض على هذا الجواب بأنّ ما ذكرتم يدلّ على أنّ آباءهم قد أُنذِروا، وأحد التفسيرين لهذه الآية يدلّ على أنّهم ما أُنذِروا. فأجاب عنه بأنّ المراد بالآباء على هذا التفسير الآباءُ الأقربون، لا آباؤهم الأباعد.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ مِن قولهم: حَقَّ يَحِقّ، أي: ثَبَتَ.

قوله: (ثمّ مَثّلَ)... إلخ يجوز أن يكون "مَثّلَ" مِن قولهم: "مَثّلتُ له تمثيلًا" إذا صوّرتَ له مِثاله بالكتابة وغيرها، ويقال: مَثَل بين يديه مُثولًا، أي: انتصب قائمًا. وعلى هذا يكون "الباء" في (بأن جعلهم) كالباء في قولك: كتبتُ بالقلم، وضربتُ بالسَّوط، أي: جعل تصميمهم كالشيء الحاضر المحسوس القائم بين يدي الشخص بأن جعلهم كالمَغلولين، أي: بأن شبَّههم بهم، فإنّه لمّا شبّههم بالمَغلولين جعلهم كالمَحسوسين الحاضرين، لِما مرّ أنّ التشبيه / يُخرِج الشيء عن كونه معقولًا إلى كونه محسوسًا. [٢٩٩ظ]

ويجوز أن يكون معنى "مَثّل": شبَّهَ، ويكون الباء صلةَ "مَثَّلَ"، أي: شبّه تصميمَهم بجعلهم كالمغلولين، ويكون المشبّه به محذوفًا، فكأنّه قال: شبّه تصميمهم بكونهم مغلولين، ثمّ بيّن أنّه كيف شُبّه فقال: "بأن جعلهم".

وقوله: (المُقْمَحين) الإقْماح: رفع الرأس وغضُّ البصر، يقال: أقْمَحه الغُلّ إذا ترك رأسَه مرفوعًا مِن ضِيقه.[2]

---

[1] كذا الضبط في د.

[2] الصحاح للجوهري، «قمح».

ولا يُطَأْطِئُون رُؤوسَهُم لهُ، وكالحَاصِلين بين سَدَّينِ لا يُبْصِرُون ما قُدَّامَهُم ولا ما خَلْفَهُم في أَنْ لا تأمُّلَ لهُم ولا تَبَصُّرَ، وأنَّهم مُتعَامُونَ عن النَّظرِ في آيات الله.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قوله: ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾؟

قلتُ: معْناه: فالأَغْلالُ وَاصِلةٌ إلى الأذقانِ مَلزُوزةٌ إلَيْها، وذلك أنَّ طَوْق الغُلِّ الَّذِي في عُنُقِ المغْلُولِ يكُونُ في مُلْتَقى طَرفيْهِ تحتَ الذَّقَنِ حَلْقَةٌ فيهَا رأسُ العَمُود نادرًا مِن الحَلقَةِ إلى الذَّقَن، فلا تُخَلِّيه يطَأْطِئُ رَأسَهُ ويُوطِئُ قَذالَهُ، فلا يَزالُ مُقمَحًا.

والمُقمَحُ: الَّذِي يَرْفعُ رأسهُ ويَغُضُّ بَصرَهُ، يُقَالُ: قمحَ البَعيرُ فهُو قامِحٌ: إذا رَوِيَ فرَفعَ رَأسَهُ، ومنه: "شَهْرَا قِمَاحٍ" لأنَّ الإبلَ تَرفعُ رُؤوسَها عن المَاءِ لبَرْدِه فيهما، وهما: الكَانُونانِ، ومنه: اقتمَحْتُ السَّوِيقَ.

فإن قلتَ: فما قولُكَ فيمَن جعَل الضَّميرَ للأيْدِي، وزَعَم أَنَّ الغُلَّ لمَّا كان جَامعًا لليَدِ والعُنُقِ -وبِذلك سُمِّي جَامعةً- كان ذِكرُ الأعْناقِ دَالًّا على ذِكْر الأَيْدِي؟

قوله: **(نادرًا)** أي: خارجًا.

قوله: **(ويُوطِئ قَذالهُ)** يقال: وَطُؤ الموضع يَوْطَؤ وَطاءةً؛ صار وَطيئًا، ووَطَّأْتُه أنا تَوطِئةً.[١]

قوله: **(قَمَحَ البعير)**... إلخ "قَمَحَ البعيرُ قُمُوحًا" إذا رفع رأسَه عند الحَوض وامتنع مِن الشرب، فهو بعير قامِح، والجمع قُمَّحٌ، و"قد قامحَتْ إبِلُكَ" إذا وردَتْ ولم تشربْ، ورفعتْ رأسَها مِن داءٍ يكون بها مِن بَرْد، وهي إبل مُقامِحة، وبعيرٌ مُقامِحٌ أيضًا، والجمع "قِماح" على غير قياس.[٢]

قوله: **(ومنه: "اقتَمَحْتُ السَّوِيق")** اقتَمَحْتُ السَّوِيق وقَمَحْتُهُ؛ إذا ألقَيْتَه في فَمك براحتك غيرَ مَلتوت.[٣]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «وطأ».

٢ **الصحاح** للجوهري، «قمح».

٣ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، «قمح».

قلتُ: الوجْهُ ما ذكرتُ لك، والدَّليلُ عليه قَولُه: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ألا تَرى كيف جَعل الإقمَاحَ نتيجةَ قولِهِ: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ ولو كان الضميرُ للأَيْدِي لم يكُن مَعْنى التَّسبُّب في الإقماحِ ظاهِرًا، على أن هذا الإضمارَ فيه ضربٌ من التَّعسُّفِ، وتركُ الظَّاهر الَّذِي يَدْعُوهُ المَعنى إلى نفْسِه إلى البَاطِنِ الَّذي يَجْفُو عنه تَركٌ للحقِّ الأَبْلَجِ إلى البَاطِلِ اللَّجْلَجِ.

فإن قلتَ: فقَد قَرأ ابنُ عبَّاس رضي الله عنه: "في أيديهم" وابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "في أيمانهم" فهَل تُجوِّزُ على هَاتين القراءتينِ أن يُجعَل الضَّميرُ للأَيْدِي أو للأَيْمانِ؟

قلتُ: يَأبى ذلك -وإن ذهبَ الإضمارُ المتعسِّفُ- ظهُورُ كَوْن الضَّمير للأَغْلالِ، وسَدادُ المَعنى عَليه كما ذكرْتُ.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

وقرئ ﴿سَدًّا﴾ بالفتح والضم، وقيل: ما كان من عَملِ النَّاسِ فبالفَتْح، وما كان مِن خلْقِ الله فبالضَّمِ.

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: فأغشيْنَا أبْصَارَهُم؛ أي: غَطَّيناهَا وجَعَلنا عَليها غِشاوَةً عن أَنْ تَطْمَح إلى مَرْئيٍّ، وعن مجاهد: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: فألبَسْنا أبصَارَهُم غِشاوةً. وقُرئ بالعَيْنِ من العَشَا.

وقيل: نزلَتْ في بَنِي مَخْزُوم، وذلك: أن أبا جهْلٍ حَلفَ لَئِنْ رأَى مُحمَّدًا يُصَلِّي ليَرْضخَنَّ رأسَهُ، فأتَاهُ وهُو يُصَلي ومعَه حَجَرٌ ليَدْمَغَهُ به، فلمَّا رفَع يَدهُ أُثبِتَت إلى عُنُقه ولَزِقَ الحَجَرُ بيَدِه حتَّى فَكُّوهُ عَنها بجَهدٍ، فرجِعَ إلى قوْمِه فأخبَرهم، فقال مَخْزوميٌّ آخرُ: أَنا أَقْتُلُه بهذا الحَجر، فذهَبَ فَأَعْمى اللهُ بصَرهُ.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾

فإن قلتَ: قَدْ ذكَر ما دَلَّ عَلى انتِفاء إيمانِهم مع ثُبوتِ الإنذار ثم قفَّاهُ بقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، وإنَّما كانت تَصِحُّ هذه التَّقفِيَةُ لو كانَ الإنْذارُ مَنفِيًّا.

قلتُ: هُو كما قُلتَ، ولكنْ لمَّا كان ذلك نفْيًا للإيمان مع وُجُود الإنْذارِ، وكان معناه أنَّ البِغْيَة المَرومَة بالإنْذار غيرُ حاصِلةٍ وهي الإيمان، نُفِيَ بقَوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ على مَعْنى: إنَّما تَحصُل البِغيَةُ بإنْذارِكَ مِن غَيْرِ هؤلاء المُنذَرِينَ، وهُم المُتَّبِعُونَ للذِّكر -وهُو القُرآن، أو الوعْظُ- الخَاشُونَ ربَّهُم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: نَبعَثُهم بعد مَماتِهم، وعن الحسَن: إحْيَاؤُهم: أن يُخرِجَهم من الشِّرك إلى الإيمانِ.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾: ما أسْلفُوه من الأعمالِ الصَّالحةِ وغيرِها، وما هَلكُوا عَنْه من أثَرٍ حَسَنٍ: كعِلْمٍ عَلَّمُوه، أو كِتابٍ صَنَّفُوه، أو حَبِيسٍ أحبَسُوهُ، أو بِنَاءٍ بنَوهُ من مسْجدٍ أو رِبَاطٍ أو قَنْطرةٍ أو نحوِ ذلك.

أو سيِّئٍ: كوَظيفَةٍ وظَّفَها بعضُ الظُّلَّامِ على المُسْلِمين، وسِكَّةٍ أَحْدَثها فِيها تَخسيرُهُم، وشيءٍ أُحدِثَ فيه صَدٌّ عن ذكرِ الله: من ألْحَانٍ ومَلَاهٍ.

قوله: (**أو حَبِيسٍ أحْبَسُوه**)[١] أحْبَسْتُ فرسًا في سبيل الله، أي: وقَفتُ، فهو مُحْبَسٌ وحَبيسٌ.[٢]

قوله: (**وسِكَّةٍ**) السِّكَّةُ: الزُّقاق الواسع، والسِّكَّة أيضًا: دار البريد. و"أصحاب السِّكك" في كتاب عمرَ بن عبد العزيز هم البُرُد المرتَّبون.[٣] وقوله: (**تخْسيرهم**) أي: ذهاب مالِهم، مبتدأ، (**فيها**) خبره، والجملة صفة "سِكّة"، وكذا (**أحدَثها**) صفة، وفاعله ضمير (**بعض**). ويجوز أن يكون "فيها تخسيرهم" حالًا مِن الضمير المستتر في "أحدَثها"، وكذا قوله: (**أُحدِثَ**) صفة "شيء". وفي قوله: (**فيه صَدٌّ**) الوجهان. وقوله: (**وشيءٍ**) عطفٌ على قوله: "سِكَّةٍ". وقوله: (**مِن ألْحانٍ**) بيان "شيء".

---

[١] في بعض مطبوعات الكشّاف: "حَبَسوه".

[٢] **الصحاح** للجوهري، «حبس».

[٣] **المُغرب** للمطرّزي، «سكك».

وكذلك كلُ سُنَّةٍ حَسنةٍ أو سَيِّئةٍ يُستَنُّ بهَا، ونحوُه قولُه عز وجل: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة ١٣/٧٥]؛ أي: قَدَّم من أعمَالِه وأخَّر مِن آثارِه.

وقيل: هيَ آثارُ المشَّائين إلى المسَاجِد، وعن جَابر: أرَدنَا النُّقلَة إلى المَسْجِدِ والبقَاعُ حَوْلَه خَاليةٌ، فبَلغ ذلك رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأتَانَا في دِيَارِنَا وقال: «يا بَني سَلِمَةَ، بَلغَني أنَّكم تُرِيدونَ النُّقلةَ إلى المسجد» فقُلنا: نَعم، بَعُدَ علَينا المَسْجِدُ والبقاعُ حَولَه خَالِيةٌ، فقال: «عَلَيْكم دِيارَكم، فإنما تَكتُبُ آثارَكم»، قال: فمَا وَدِدْنَا حَضْرةَ المسْجِد لِمَا قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن عُمرَ بن عبْدِ العزيز: لو كان اللهُ مُغْفِلًا شَيئًا لأغفلَ هذه الآثارَ التي تُعَفِّيهَا الرِّياحُ.

و"الإمام": اللَّوح.

وقرئ: "ويُكتَبُ ما قدَّموا وآثارُهم" على البناء للمفعُولِ، "وكلُّ شيء" بالرفع.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾: ومَثِّلْ لهُم مَثَلًا، من قولهم: "عِندِي من هذا الضَّربِ كذَا"؛ أي: مِن هذا المِثالِ، و: "هذه الأشياءُ على ضَرْبٍ واحدٍ"؛ أي: على مِثالٍ واحِدٍ.

قوله: **(والبِقاعُ حولَه)** "الواو" للحال.

قوله: **(بني سَلِمة)** سَلِمة -بكسر اللام- اسم رجل، وبنو سَلِمة بَطْن مِن الأنصار.

قوله: **(لو كان الله مُغْفِلًا)** أغْفَلْتُ الشيءَ؛ تركتَهُ على ذكرٍ منك.[1]

قوله: **(على ضربٍ واحدٍ)** الضَّرب: الصِّنف مِن الأشياء، وضَرِيبُ[2] الشيء: مِثْله وشكله، والضرائب:[3] الأشكال.[4]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ مثلُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ﴾ [الإسراء ١٣/١٧] وقد ذكر. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء، ١٠٧٩/٢.

[2] ن: وضربت.

[3] ن: والضراب.

[4] **الصحاح** للجوهري، «ضرب».

والمَعنَى: واضرِب لهُم مَثَلًا مَثَلَ أصحَاب القَرية؛ أي: أُذكُر لَهُم قِصَّةً عجيبةً قصةَ أصحَابِ القَرية، والمثَلُ الثَّاني بيَانٌ للأوَّلِ.

وانتصَابُ ﴿إِذْ﴾ بأنَّهُ بدَلٌ من ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾، والقَريَةُ: أنطَاكِيَة، و﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: رُسُلُ عيسَى صلواتُ الله وسلامُه عليه إلى أَهْلِها، بَعثَهُم دُعَاةً إلى الحَقِّ وكانوا عبَدةَ أوثانٍ، أرسَلَ إليهم اثنَينِ فلمَّا قَرُبا من المَدينة رَأَيا شَيخًا يَرْعَى غُنيمَاتٍ لهُ وهو حَبيبٌ النَّجَّارُ صَاحبُ ياسين، فسَألهُما فأخبَراهُ، فقال: أمَعَكُما آيةٌ؟ فقَالَا: نَشْفِي المَرِيضَ ونُبرِئُ الأكمَهَ والأَبرَصَ، وكان له وَلدٌ مَريضٌ سَنتَينِ فمسَحاهُ فقَام، فآمَنَ حَبيبٌ وفشَا الخبرُ، فشُفِيَ على أَيْدِيهِمَا خَلقٌ كثير، ورُقِّيَ حَديثُهما إلى المَلِكِ، وقال لَهُما: أَلَنا إلهٌ سِوَى آلهتِنَا؟ قالا: نَعم، مَن أَوْجَدكَ وَآلِهتَك، فقال: حَتَّى أَنْظُرَ في أمرِكُمَا، فتَبِعَهُما النَّاسُ وضَربُوهُما. وقيل: حُبِسَا.

ثـمَّ بعثَ عيسَى عليه السلام شَمعُونَ، فدَخلَ مُتنكِّرًا وعَاشرَ حَاشِيَة الملِك حتَّى استَأنَسُوا به ورَفعُوا خبرَهُ إلى الملِك فأَنِسَ به، فقال له ذاتَ يومٍ: بلغَنِي أنَّك حبَسْتَ رجُلَيْنِ، فهَل سَمِعْتَ ما يقُولَانِه؟ قال: لَا، حَالَ الغَضَبُ بَيْنِي وبينَ ذلك، فدعَاهُما، فقال شَمعُونُ: مَن أَرْسَلكُما؟ قالا: اللهُ الَّذي خلقَ كُلَّ شَيءٍ وليْس له شرِيكٌ، فقال: صِفَاهُ وأَوْجِزَا، قالا: يَفْعَل ما يشَاء ويَحْكُم ما يُريد، قَال: ومَا آيتُكُمَا؟ قالَا: ما يَتَمنَّى المَلِكُ، فدعَا بغُلامٍ مَطمُوسِ العَيْنَيْنِ فدَعَوَا اللهَ حَتَّى انشَقَّ له بَصرٌ، وأَخذا بُندُقَتيْنِ فَوضعَاهُما في حَدقتَيه فكانتَا مُقلَتَيْنِ يَنْظُر بهما، فقال له شَمعُونُ: أرَأيتَ لو سَألتَ إلهكَ حَتَّى يَصْنَع مِثْلَ هذا فيكونَ لكَ وله الشَّرفُ، فقال: لَيسَ لي عَنك سِرٌّ، إنَّ إلهنَا لا يُبْصِرُ ولا يَسْمَعُ ولا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ، وكان شمْعُونُ يدخُلُ مَعهُم على الصَّنم فيُصلِّي ويَتَضَرَّعُ ويَحْسِبُونَ أنَّه مِنْهُم، ثـمَّ قال: إنْ قدَرَ إلهُكُما عَلى إحْياء مَيِّتٍ آمَنَّا به، فَدَعَوْا بغُلام مَاتَ من سَبْعة أيَّامٍ، فقامَ وقال: إنِّي أُدْخِلْتُ في سَبْعَةِ أَوْدِيةٍ من النَّار، وَأَنا أُحذِّرُكُم مَا أَنتُم فيه فآمِنُوا، وقال:

قوله: (وانتصابُ "إذ" بـ"أنَّه") و"إذ" الثانية بدل من الأولى.

قوله: (شيخًا يرعى) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾.

قوله: (شَمْعُون، فدخل) وهو الذي أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

فُتِحَت أبوَابُ السَّماءِ فَرأيتُ شَابًّا حسَنَ الوَجْه يَشفَع لهؤلاء الثَّلاثةِ، قال الملِكُ: ومَن هُم؟ قال: شمعُونُ وهَذانِ، فتعجَّب المَلِكُ، فلمَّا رأى شمعُونُ أَنَّ قولَهُ قَد أثَّرَ فيه نَصَحَهُ فآمنَ وآمنَ مَعهُ قَومٌ، ومَن لم يُؤْمِن صَاح عليهم جبريلُ فهَلَكُوا.

﴿فَعَزَّزْنَا﴾: فقَوَّينَا، يُقالُ: "المَطرُ يُعَزِّزُ الأرضَ": إذا لَبَّدَهَا وشَدَّهَا، و: "تعزَّز لَحْم النَّاقة".

وقرئ بالتَّخفِيف من عَزَّه يَعُزُّه: إذا غَلَبَه.

أي: فغَلَبْنا وقهَرْنا ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهُو شمْعُونُ.

فإن قلتَ: لم تُرِكَ ذكرُ المَفعُول به؟

قلتُ: لأنَّ الغَرضَ ذِكرُ المُعَزَّز بهِ وهو شَمعُون، وما تلَطَّفَ فيه من التَّدبير حَتَّى عَزَّ الحَقُّ وذلَّ البَاطِلُ، وإذا كان الكلامُ مُنصَبًّا إلى غرضٍ من الأَغراض جُعِل سيَاقُه لَهُ وتَوجُّهُهُ إلَيه كأنَّ ما سِواهُ مَرفُوضٌ مُطَّرَحٌ، ونظيرُه قولُكَ: "حَكَم السُّلْطَانُ اليَوم بالحقِّ"، الغَرضُ المَسُوق إليْه قولك: "بالحقِّ"، فلذلِك رفضْتَ ذكرَ المحْكُوم له والمحكوم عَليه.

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

إنما رُفِعَ ﴿بَشَرٞ﴾ ونُصِبَ في قَولِهِ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف ٣١/١٢] ....

قوله: (﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فقوَّيْنا) قال في الكواشي: «القراءة ﴿فَعَزَزْنَا﴾ مُخفَّفًا[١] مِن عَزَّهُ؛ غَلَبَه، فالمفعول محذوف، أي: غَلَبْنا[٢] أهلَ المدينة بثالث، و"عزَّزْنا" مُشدَّدًا مِن القُوّة، والمفعولُ محذوف أيضًا، أي: قوَّينا المرسَلَين برسول ثالث؛ لأنَّ عيسى عليه السلام بعد بعث الرسولَين بعث شَمعون تقويةً لهما، فتوصَّل إلى أنْ أنِسَ به المَلِك».[٣]

---

١ قرأ بالتخفيف شعبة في روايته عن عاصم. وقرأ باقي العشرة بالتشديد. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٣/٢.

٢ ن: علينا.

٣ **تفسير الكواشي**، ٢٣٧و.

لأنَّ ﴿إِلَّا﴾ تَنقُض النَّفي فلا يَبْقَى لِـ﴿مَا﴾ المُشَبَّهةِ بـ"لَيس" شَبَهٌ، فلا يَبْقَى له عَمَلٌ.

فإن قلتَ: لِمَ قِيل: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ أوَّلًا، و: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ آخِرًا؟

قلتُ: لأنَّ الأوَّل ابتداءُ إخبَارٍ، والثاني جوابٌ عن إنكار.

وقَوله: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ جَارٍ مَجْرَى القَسَم في التَّوكيد، وكذلك قَوْلُهم: "شَهِدَ اللهُ" و"عَلِمَ اللهُ".

وإنَّما حَسُنَ مِنهُم هذا الجوابُ الواردُ على طريقِ التَّوكيدِ والتَّحقِيق مع قَولِهم: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾، أي: الظَّاهِرُ المكشُوفُ بالآياتِ الشَّاهِدةِ لِصِحَّتِهِ، وإلَّا فلَو قال المُدَّعِي: "واللهِ إنِّي لصَادِقٌ فِيما أَدَّعِي" ولم يُحْضِرِ البَيِّنَة كانَ قبيحًا.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨﴾

﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾: تَشَاءمنَا بكُم، وذلك أنَّهم كَرِهُوا دينَهُم ونَفَرَتْ منه نفوسُهم، وعَادةُ الجُهَّال أن يتَيمنُّوا بكُلِّ شَيءٍ مالُوا إليه واشتَهَوْهُ وآثَروهُ وقَبِلَتْه طِبَاعُهم، ويَتَشاءمُوا بِمَا نَفَرُوا عنه وكرِهُوه، فإن أصَابَهُم نِعمةٌ أو بلاءٌ قالُوا: بِبَركةِ هذا وبِشُؤم هذا، كمَا حَكى اللهُ عن القِبْطِ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف ١٣١/٧]، وعن مُشْرِكي مكَّةَ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ﴾ [النساء ٧٨/٤].

وقيل: حُبِسَ عنهم القَطْرُ فقالُوا ذلك.

وعن قتَادة: إن أصَابَنا شَيءٌ كانَ من أَجْلِكم.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾

﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ وقرئ: "طيرُكم"؛ ....

قوله: (وإلَّا فلو قال) أي: وإن لم يكن مع قولهم: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ لم يَحْسُن؛ لأنَّه لو قال.

أي: سبَبُ شُؤْمِكُم ﴿مَعَكُمْ﴾ وهُو كُفْرُهم، أو: أسبَابُ شُؤْمكُم مَعَكم، وهيَ كُفرُهُم ومعَاصِيهم.

وقرأ الحَسن: "اطَّيُّرُكم"؛ أي: تطَيُّرُكُم.

وقرئ: ﴿أَيِن ذُكِّرْتُم﴾ بهَمْزة الاستفهامِ وحَرْفِ الشَّرط، و﴿آئن ذُكِّرتُم﴾ بألِفٍ بينَهما، بمَعْنى: أتَطَيَّرُونَ إن ذُكِّرتُم.

وقُـرِئ: "أأن ذكرتـم" بهَمـزة الاستِفْهامِ و"أَن" النَّاصِبـةِ، بمَعنـى: أتطيَّرتُـم لِأَنْ ذُكِّرتُـم.

وقرئ: "أَنْ" و: "إن" بغَير استِفهامٍ بمعنى الإخبار؛ أي: تَطيَّرتُم لِأن ذُكِّرتُـم، أو: إنْ ذُكِّرتُم تَطيَّرتُم.

وقرئ: "أَيْنَ ذُكِرْتُم" على التَّخفِيف؛ أي: شُؤمُكم مَعَكم حَيثُ جَرى ذِكْرُكُم، وإذا شُئِّمَ المكانُ بذِكرهم كان بحُلُولِهم فيه أشأمَ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فـي العِصْيَـانِ، فمِـن ثـمَّ أتاكُـم الشُّـؤمُ، لا مِـن قبَـلِ رُسُلِ اللهِ وتَذكيرِهم.

أَو: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في ضَلالِكُم مُتمادُونَ في غَيِّكُم، حَيثُ تَتَشَاءَمُونَ بمَن يَجِبُ التَّبرُّكُ به مِن رُسُلِ اللهِ.

قوله: (سبب شؤمكم) هذا / على القراءة الأولى،[١] وقوله: (أسبابُ) على القراءة الثانية؛[٢] وذلك لأنّ "الطائر" مفرد، و"الطير" جنس.[٣] [٣٠٠و]

قولـه: (وإذا شُـئِم المـكانُ)... إلـخ أي: إذا كان المـكان بسـبب ذكرهـم شؤمًا كان المكان بسبب حُلولهم فيه أشأم، وهذا الكلام لبيان القراءة بلفظ "أينَ" المكاني.[٤]

---

١ أي: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾، وهي القراءة المتواترة.

٢ أي: "طَيْرُكُم". وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج والحسن وابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٩.

٣ وفي هامش ف: قوله تعالى: ﴿أَيِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: وُعِظتم.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٩.

لأنَّ ﴿إِلَّا﴾ تَنقُض النَّفي فلا يَبْقى لِـ﴿مَا﴾ المُشبَّهةِ بـ"لَيس" شَبَهٌ، فلا يَبْقى له عَمَلٌ.

فإن قلتَ: لِمَ قِيل: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أوَّلًا، و: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آخِرًا؟

قلتُ: لأنَّ الأوَّل ابتداءُ إِخْبَارٍ، والثاني جوابٌ عن إنكار.

وقَولُه: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جَارٍ مَجرَى القَسَم في التَّوكيد، وكذلك قَولُهم: "شَهِدَ اللهُ" و"عَلِم اللهُ".

وإنَّما حَسُنَ مِنهُم هذا الجوابُ الواردُ على طريقِ التَّوكيدِ والتَّحقِيق مع قَولِهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الظَّاهِرُ المكشُوفُ بالآياتِ الشَّاهِدةِ لِصِحَّتِهِ، وإلَّا فلَو قال المُدَّعِي: "واللهِ إنِّي لصَادِقٌ فِيما أَدَّعي" ولـم يُحضِـرِ البَيِّنَة كانَ قبيحًا.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تَشاءمنَا بكُم، وذلك أنَّهم كَرِهُوا دينَهُم ونَفَرَتْ منه نفوسُهم، وعَادةُ الجُهَّال أن يَتيمنُّوا بكُلِّ شَيءٍ مالُوا إليه واشتَهَوْهُ وآثَروهُ وقَبِلَتْه طِبَاعُهم، ويَتَشاءمُوا بِمَا نَفَرُوا عنه وكرِهُوه، فإن أَصَابَهُم نِعمةٌ أو بلاءٌ قالُوا: ببَركةِ هذا وبِشُؤم هذا، كمَا حَكى اللهُ عن القِبْطِ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف ١٣١/٧]، وعن مُشْرِكي مكَّةَ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء ٧٨/٤].

وقيل: حُبِسَ عنهم القَطْرُ فقالُوا ذلك.

وعن قَتَادة: إن أَصَابَنا شَيءٌ كانَ من أَجْلِكم.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ وقرئ: "طيرُكم"؛ ....

قوله: (وإلَّا فلو قال) أي: وإن لم يكن مع قولهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ لم يَحْسُن؛ لأنَّه لو قال.

أي: سبَبُ شُؤْمِكُم ﴿مَعَكُمْ﴾ وهُو كُفْرُهم، أو: أسبَابُ شُؤْمكُم مَعَكم، وهيَ كُفرُهُم ومعَاصِيهم.

وقرأ الحَسن: "اطَّيُّرُكم"؛ أي: تطَيُّرُكُم.

وقرئ: ﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾ بهَمْزة الاستفهامِ وحَرْفِ الشَّرط، و﴿آئن ذُكِّرتُم﴾ بألِفٍ بينَهما، بمَعْنى: أَتَطَيَّرُونَ إن ذُكِّرتُم.

وقُرِئ: "أأن ذكرتم" بهَمزة الاستِفْهامِ و"أَن" النَّاصِبةِ، بمَعنى: أَتطيَّرتُم لِأَنْ ذُكِّرتُم.

وقرئ: "أَنْ" و: "إِن" بغَير استِفهامٍ بمعنى الإِخبار؛ أي: تَطيَّرتُم لِأن ذُكِّرتُم، أو: إِنْ ذُكِّرتُم تَطيَّرتُم.

وقرئ: "أَينَ ذُكِرْتُم" على التَّخفِيف؛ أي: شُؤمُكم مَعَكم حَيْثُ جَرى ذِكْرُكُم، وإِذا شُئِّمَ المكانُ بذِكرهم كان بحُلُولِهم فيه أَشأَمَ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في العِصْيَانِ، فمِن ثَمَّ أَتاكُم الشُّؤمُ، لا مِن قبَلِ رُسُلِ اللهِ وتَذكيرِهم.

أَو: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في ضَلالِكُم مُتمادُونَ في غَيِّكُم، حَيْثُ تَتَشاءَمُونَ بمَن يَجِبُ التَّبرُّكُ به مِن رُسُلِ اللهِ.

قوله: (**سبب شؤمكم**) هذا / على القراءة الأولى،[١] وقوله: (**أسبابُ**) على القراءة الثانية؛[٢] وذلك لأنّ "الطائر" مفرد، و"الطير" جنس.[٣] [٣٠٠و]

قوله: (**وإذا شُئِم المكانُ**)... إلخ أي: إذا كان المكان بسبب ذكرهم شؤمًا كان المكان بسبب حُلولهم فيه أشأم، وهذا الكلام لبيان القراءة بلفظ "أينَ" المكاني.[٤]

---

١ أي: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾، وهي القراءة المتواترة.

٢ أي: "طَيْرُكُم". وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج والحسن وابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٩.

٣ وفي هامش ف: قوله تعالى: ﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: وُعِظتم.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٩٩.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حَبيبُ بنُ إسرائيل النَّجّارُ، وكان يَنحتُ الأَصْنامَ، وهُو ممَّن آمنَ برسُول الله صلى الله عليه وسلم وبَينَهُما ستُّ مئة سنَةٍ؛ كما آمنَ بهِ تُبّعٌ الأكبَرُ وَوَرَقَةُ بن نَوفَلٍ وغيرُهما، ولم يُؤمِن بنَبيّ أَحَدٌ إلّا بعد ظهُوره.

وقيل: كان في غارٍ يَعبُد الله، فلمّا بلغَهُ خبَرُ الرُّسُلِ أتَاهُم وَأظهَرَ دِينَهُم وقاوَلَ الكفَرةَ، فقَالُوا: أَوَأَنْتَ تُخالِف دينَنا؟! فوَثبُوا عَليه فقتَلُوه.

وقيل: تَوَطَّؤوه بأَرْجُلِهم حَتّى خَرج قُصْبُه من دُبُره.

وقيل: رَجَمُوهُ وهُو يَقُولُ: اللّهُم اهْدِ قَوْمي، وقَبرُهُ في سُوقِ أَنْطَاكِيَة.

فلمّا قُتِل غضِب الله عَليْهِم فأُهْلِكُوا بصَيْحة جبريل.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سُبَّاقُ الأُمَمِ ثلاثةٌ لم يَكفُرُوا بالله طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَليُّ بنُ أبي طالبٍ، وصَاحبُ ياسينَ، ومُؤمنُ آل فِرعوْنَ».

﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ كَلِمةٌ جَامِعَةٌ في التَّرغيبِ فيهم؛ أي: لا تَخسَرُونَ معَهم شَيئًا مِن دُنيَاكم وتَربَحُونَ صِحّةَ دِينِكم، فيَنتَظِمُ لكُم خَيْرُ الدُّنيا وخَيرُ الآخِرة.

ثم أبرَزَ الكلامَ في معْرِضِ المُنَاصَحةِ لنَفْسهِ وهُو يُريدُ مُنَاصَحَتَهُم؛ ليتَلَطَّفَ لهُم ويُدَارِيَهُم، ولأَنّهُ أَدْخلُ في إمْحَاضِ النُّصْح حيث لا يُريدُ لهم إلّا ما يُريدُ لرُوحهِ،

قوله: **(وقيل: كان في غار)** وإنّما قال: "وقيل: كان"... إلخ لأنّ هنا قولًا آخر ذكره قبلُ؛ وهو أنّهما لمّا قرُبا مِن المدينة رأيا شيخًا يرعى غُنيماتٍ له، وهو حبيبُ النجّار.

قوله: **(قُصْبُهُ)** القُصْبُ -بالضمّ-: المِعا.[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «قصب».

ولقد وضَع قَولَه: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكانَ قولِهِ: "وما لكم لا تعبُدُونَ الَّذِي فطَرَكُم"، ألا تَرى إلى قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ولولا أنَّه قصَد ذلك لقَال: "الَّذِي فطَرَني وإلَيْه أُرْجَعُ"، وقَد سَاقَهُ ذلك المسَاقَ إلى أَنْ قال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ يُرِيدُ: فاسمَعُوا قَوْلِي وأطِيعُونِي، فقد نبَّهتُكُم عَلى الصَّحيحِ الَّذِي لا مَعْدِلَ عنه: أنَّ العبَادةَ لا تصِحُّ إلَّا لِمَن منْه مُبْتَدَؤكُم وإلَيه مَرْجِعُكم، وما أَدْفعَ العقُولَ وَأنكرَهَا لأَنْ تَستَحِبُّوا على عبادتهِ عبادةَ أشياءَ إنْ أرَادَكُم هو بضُرٍّ وشَفَع لكم هؤلاء لم تنفَعْ شفَاعَتُهم، ولم يُمَكَّنُوا من أَن يكُونوا شفعَاءَ عندَه، ولم يَقْدِرُوا على إِنْقَاذِكُم مِنه بوجْهٍ من الوُجوه، إنَّكم في هَذا الاستحبَاب لوَاقِعُونَ في ضَلالٍ ظاهِرٍ بيّنٍ لا يَخفَى على ذِي عَقْلٍ وتَمييزٍ.

وقيل: لمَّا نصَح قومَهُ أخَذوا يَرجمُونَهُ، فأسرَع نحوَ الرُّسُلِ قَبْل أن يُقتَلَ فقال لهُم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾؛ أي: اسمَعُوا إيماني تشهَدُوا لي به.

قوله: **(قصَدَ ذلك)** أي: مناصحتَهم، أي: التعريض.

قوله: **(ذلك المَساقَ)** أي: ساق الكلام مساقَ[1] التعريض. وقوله: **(أنّ العبادة)** بدل عن **(الصحيحِ الذي)**... إلخ.

قوله: **(وما أدْفعَ[2] العقولَ)** "ما" فيه للتعجّب. يتعجّب مِن دفع العقول وإنكارها لاختيار عبادة غير الله تعالى[3] على عبادته، يريد أنّه تدفع العقولُ ذلك دفعًا عظيمًا، وتُنْكِر إنكارًا قويًا، وهذا شروع في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾... إلخ، فإنّ الاستفهام فيه ليس على أصله؛ بل المراد منه إنكار اتّخاذ آلهة سواه والتعجّب منه. وقوله: **(لِأَن تَستحِبُّوا)** أي: تختاروا.

قوله: **(في هذا الاستحباب)** أي: الاختيار.

قوله: **(ظاهرٍ بيّنٍ)** فقوله: ﴿مُبِينٍ﴾ مِن "أبان" بمعنى ظهَر.

قوله: **(وقيل: لمّا نصح)** عطفٌ على قوله: **(وقد ساقه)**... إلخ؛ لأنّه كان إشارة

---

١ ف: مكان.

٢ وفي هامش د ف: تعجّب.

٣ د ن - تعالى.

وقرئ: "إنْ يَرِدْني الرحمنُ بضرّ"، بمَعنى: إنْ يُورِدنِي ضُرًّا؛ أي: يَجعَلْنِي مَوْرِدًا للضُّرِّ.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾

أي: لمّا قُتِل ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وعن قتادةَ: أَدخلهُ اللهُ الجنّةَ وهو فيها حَيٌّ يُرزَقُ. أراد قَولَهُ تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران ٣/١٦٩-١٧٠].

وقيل: مَعْناه: البُشْرَى بدُخول الجنّةِ وأنّه مِن أَهْلِها.

فإن قلتَ: كيْفَ مَخْرجُ هَذا القَول في عِلْم البيَانِ؟

قلتُ: مَخرَجُه مَخرجُ الاستِئنافِ؛ لأنَّ هذا مِن مظانّ المَسْألة عن حالِه عِند لقَاء رَبّه؛ كأنَّ قائلًا قال: كيف كان لقاءُ رَبّهِ بعد ذلك التَّصلُّبِ في نُصْرة دينه والتَّسخِّي لِوَجْههِ برُوحِهِ؟ فَقِيل: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ ولـم يُقَلْ: قِيل لهُ؛ لانْصِبابِ الغَرض إلى المقُول وعِظَمِه، لا إلى المَقُولِ له مَع كوْنه مَعْلومًا.

وكذلك ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ مرتَّبٌ على تقديرِ سؤالِ سَائلٍ عمَّا وُجد مِن قَوله عِند ذلك القَولِ العَظِيم، وإنَّما تَمنَّى عِلْمَ قَوْمِهِ بحَالِه ليَكُونَ عِلْمُهم بها سَببًا في اكتِسَابِ مِثْلِهَا لأنفُسِهم بالتَّوبة عن الكُفر والدُّخولِ في الإِيمانِ والعَملِ الصَّالِح المُفْضِيَيْنِ بأَهْلِهِمَا إلى الجنَّةِ، وفي حَديثٍ مَرْفُوعٍ: «نصَحَ قوْمَه حَيًّا ومَيِّتًا».

وفيه تَنْبيهٌ عَظِيمٌ على وُجُوب كظْم الغَيظ، والحِلْم عن أهل الجَهْل، والتَّرؤُّف على مَن أَدْخَلَ نفسَه ....

إلى أنَّ قوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ داخل في التعريض، وهذا إشارة إلى أنّه غير داخل فيه؛ بل ابتداء كلام منه مع الرسل.

قوله: **(في نصرة دينه)** أي: دين ربّه. وقوله: **(لوجهه)** أي: لذات ربّه.

في غُمار الأَشْرار وأَهْلِ البَغْيِ، والتَّشَمُّرِ في تخليصِه، والتَّلَطُّفِ في افتِدَائِه، والاشتِغَالِ بذلك عن الشَّماتَةِ به والدُّعَاءِ عَلَيه، ألا تَرى كيف تَمنَّى الخَيْرَ لقَتَلَتِه والبَاغِينَ له الغَوائِلَ وهُم كفَرةٌ عبَدَةُ أصْنَامٍ.

ويجوز أن يَتَمَنَّى ذلك ليَعْلَمُوا أنَّهم كانُوا على خَطَأٍ عَظِيم في أَمْرِه، وأنَّه كان على صَوابٍ ونَصيحةٍ وشفَقَةٍ، وأنَّ عَداوَتَهُم لم تَكْسِبْهُ إلَّا فَوْزًا، ولم تُعقِبْهُ إلَّا سَعَادةً؛ لأنَّ في ذلك زيادةَ غِبْطَةٍ لهُ وتَضاعُفَ لَذَّةٍ وسُرورٍ، والأوَّلُ أَوْجَهُ.

وقرئ: "المكرَّمين".

فإن قلتَ: "ما" في قَوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أيُّ المَاءَاتِ هيَ؟

قلتُ: المَصْدَرِيَّةُ، أو الموصُولةُ؛ أَي: بالَّذِي غَفَرهُ لي من الذُّنُوبِ.

ويحتملُ أن تكُون استفهَامِيَّة، يَعنِي: بأيِّ شيءٍ غَفَر لي رَبِّي؟ يُرِيدُ به ما كان منه معهم من المُصَابَرةِ لإِعْزَاز الدِّين حتى قُتِلَ، إلَّا أنَّ قولكَ: "بِمَ غفر لي" -بطَرْحِ الأَلِفِ- أجوَدُ، ....

قوله: (**في غُمارِ الأشرار**) دخلت في غُمار الناس، وغَمار الناس، يُضمّ ويُفتح،[1] أي: في زَحمتهم وكثرتهم.[2]

قوله: (**والباغين**)... إلخ أي: الذين يَطلبون له المهلِكات.

قوله: (**ويجوز أن يتمنّى**) عطفٌ على قوله: (**وإنّما تمنَّى**).

قوله: (**أي: بالذي غفره**)... إلخ وأظنّ أنّ الأولى إذا جعلت "ما" موصولة أن تكون عبارة عن المصدر، أي: بالغفران الذي غفره لي بمعنى تعظيم الغفران، وأنّه مشتمل على تعظيم عظيمٍ وإثابة عجيب.

قوله: (**بطرح الألِف أجودُ**) يريد: أنّها لو كانت استفهاميّة لَطَرحَ الألِف؛ لأنّ الحذف أجود.[3]

---

١ ف: وبفتح.

٢ **الصحاح** للجوهري، «غمر».

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: على قوم حبيب مِن بعد قتله. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ١٥/٧ (يس، ٣٦/٢٨).

وإن كان إثباتُها جائزًا، يقَال: "قَدْ عَلِمتُ بما صَنَعْتَ هذا؟"؛ أي: بأيّ شيء قد صنعتَ؟ و: "بِمَ صَنعتَ"؟

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾

المعنى: أنَّ الله كفى أمرهُم بصَيْحَةِ ملَكٍ، ولم يُنزِلْ لإهْلاكِهم جُنْدًا من جُنُودِ السَّماءِ كما فَعلَ يَوْمَ بَدْرٍ والخَنْدقِ.

فإن قلتَ: وما مَعْنَى قَوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؟

قلتُ: مَعناه: وما كان يَصحُّ في حِكمتنا أن نُنزِلَ في إهْلاك قوْمِ حبيبٍ جُنْدًا من السماء، وذلك لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أجْرَى هَلاكَ كُلِّ قومٍ على بَعْضِ الوُجُوهِ دُون بَعْضٍ، ومَا ذاك إلَّا بنَاءً على مَا اقتضَتهُ الحِكمةُ وأوجَبَتْه المَصْلحةُ، ألا ترى إلى قَوله: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا﴾ [العنكبوت ٢٩/٤٠].

فإن قلتَ: فلِمَ أنزَلَ الجُنُودَ من السَّماء يومَ بَدْرٍ والخَندق، قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب ٣٣/٩] ﴿بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال ٨/٩] ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران ٣/١٢٤] ﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران ٣/١٢٥]؟

قلتُ: إنَّما كان يَكْفي مَلَكٌ واحدٌ، فقد أُهْلِكَتْ مدائنُ قوم لُوطٍ بريشَةٍ من جَناح جبريلَ، وبِلادُ ثمُود وقومُ صَالحٍ بصَيْحةٍ منه، ولكنَّ الله فضَّلَ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم بكُلِّ شيءٍ على كبارِ الأنبيَاء وأُولِي العَزْم من الرُّسُل فضْلًا على حَبيبِ النَّجارِ، وأوْلَاه من أسبَابِ الكَرامةِ والإعزازِ ما لم يُولِه أحَدًا،

قوله: (﴿بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال ٨/٩]) آية أخرى. وقوله: (﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ﴾ [آل عمران ٣/١٢٤]) آية أخرى. وقوله: (﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ﴾ [آل عمران ٣/١٢٥]) آية أخرى.

قوله: (وأولاه) أي: أعطاه.

فمِن ذلك أنَّه أنزَل له جُنُودًا من السماء، وكأنه أشَارَ بقَوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلى أنَّ إنزال الجُنُود من عَظَائم الأمُور الَّتي لا يُؤَهَّلُ لهَا إلَّا مِثلُكَ وما كُنَّا نفعَلُه بغَيرِكَ.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: إن كانت الأَخْذَةُ أو العقُوبةُ إلَّا صَيْحةٌ.

وقرأ أبو جَعْفرٍ المَدَنيُّ بالرَّفع على "كانَ" التَّامَّةِ؛ أي: ما وقَعتْ إلَّا صَيْحَةٌ، والقيَاسُ والاسْتِعمالُ على تَذْكيرِ الفِعْل؛ لأنَّ المَعْنَى: ما وقَعَ شيءٌ إلَّا صَيْحَةٌ، ولكِنَّه نَظَر إلى ظَاهِر اللَّفظِ، وأَنَّ الصَّيحَة في حُكم فاعِلِ الفِعل، ومِثْلُهَا قراءةُ الحسَن: "فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنُهم"، وبيتُ ذي الرُّمَّةِ:

ومَا بَقِيَتْ إلَّا الضُّلُوعُ الجَراشِعُ

قوله:

(ومـا بقيـتْ إلّا الضُّلـوع الجَراشِـعُ)

أوّله:

برى النَّحْزُ والأجْـرال[1] ما في غُروضها[2]

البَرْيُ: النَّحْت، يقال: بَرَيتُ القلمَ بَرْيًا.[3] و"النَحْزُ": الدفع والنَخْسُ، وقد نَحَزْتُه برِجلي، أي: رَكَلْتُه.[4] و"النَحز": الدَّقُّ بالمِنْحاز،[5] يقال: الراكب يَنحَزُ بصدره واسِطة الرَّحْلِ، أي: يَدُقُّ. والناحِز أيضًا: أن يصيب مَرفِقُ البعير كِرْكِرَتَهُ،[6] فيُقال: به ناحِز. أبو زيد: نَحَزَه في صدره مثلُ نهَزَه، إذا ضَرَبه بجُمْعٍ.[7]

---

١ ف: والأرجالُ.

٢ ديوان ذي الرمّة، ١٢٩٦/٢، بلفظ:
طوى النَحْزُ والأجْرازُ ما في غُروضها
وما بقيَتْ إلّا الصدورُ الجَراشِعُ
و"الأجراز": الأمحال، والواحد: جُرْز.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «برا».

٤ ن: دَكلتُه

٥ في **الصحاح**: "وهو الهاون".

٦ ف: كَرْكَرْتَه. | والكِرْكِرة: رَحَى زَورِ البعير، وهي إحدى الثفِنات الخمس. **الصحاح** للجوهري، «كرر».

٧ **الصحاح** للجوهري، «نحز».

وقرأ ابنُ مسْعُودٍ رضي الله عنه: "إلا زقيةً واحدةً" من زقَا الطائرُ يَزْقُو ويَزقَى: إذا صَاحَ، ومِنه المَثَلُ: "أَثقَلُ من الزَّواقِي".

﴿خَٰمِدُونَ﴾: خَمَدُوا كما تَخمدُ النَّارُ فتَعُودُ رَمادًا؛ كما قال لَبيدٌ:

وَمَا الـمَرءُ إلّا كـالشِّهَاب وضَوئه يَـحُورُ رمَـادًا بَـعْد إِذْ هُـو سَـاطِعُ

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾

والجَرَلُ -بالتحريك-: الحجارة، وكذلك الجَرْوَل، والواو للإلْحاق بجَعفر.[١]

[٣٠٠ظ] / والغَرْضُ: غَرْضُ الدابّة،[٢] يقال: غَرَضتُ البعير شَدَدْتُ عليه الغَرْضَ.[٣]

قولـه: (مِن الزَّواقي) هي الدُّيُوك؛ لأنّهم كانوا يَسْمُرُون، فإذا صاح الديك تَفَرَّقوا.[٤]

قوله:

(وما المـرء إلّا كالشِّـهابِ)... البيتَ[٥]

"الشِّهاب": شُعلة نار ساطع. "يَحور"، أي: يرجع. سَطَع[٦] النور سطوعًا؛ ارتفع وانتشر. يعني: ليس المرء في حالة الشباب إلّا كمثل الشهاب الساطع، وكما أنّ آخر النار الرماد كذلك عاقبة الإنسان يَرجع بالموت رمادًا.[٧]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «جرل».

٢ الغَرْضُ والغُرْضة: حِزام الرَّحْل. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «غرض».

٣ **الصحاح** للجوهري، «غرض».

٤ **الصحاح** للجوهري، «زقا». وانظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١٥٦/١. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ استعارة تبعيّة؛ شبّه زوال الحياة بزوال النار، والجامع الزوال والفناء.

٥ **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص ١٦٩.

٦ ن: لسَطع.

٧ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ شبّه "الحسرة" بالمنادَى المدعو في كون حقّ كلّ منهما حاضرًا موجودًا، فيكون استعارة بالكناية، أو شبّه إرادة وجود الحسرة بدعاء المدعوّ في كون كلّ منهما سببًا للحضور والوجود عند المريد والطالب، فيكون استعارة تبعيّة في "يا" القائمِ مَقام "أدعو". قوله: (على سبيل الاستعارة)... إلخ الظاهر أنّه استعارة تمثيليّة، شُبّه حالُ الله تعالى بحال المتحسِّر، والجامعُ التعظيم، فإنّ المتحسِّر ما يَتحسّر إلّا لأمرٍ عظيم. ويحتمل أن يكون مِن قَبيل المجاز المرسل، مِن قَبيل ذكر المُسبَّب وإرادة السبب، فإنّ الأمر العظيم سبب للتحسّر على فوته.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نِداءٌ للحَسْرةِ عَلَيْهِم؛ كأنَّما قِيل لها: تعَالِي يَا حَسْرةُ فهَذه مِن أَحْوالِكِ الَّتي حَقُّكِ أن تَحضُرِي فيها، وهي حَالُ استِهْزائهم بالرُّسلِ.

والمَعنى: إنَّهم أَحِقَّاءُ بأنْ يَتحسَّر عَليهم المُتحسِّرُون، ويتَلهَّفَ على حَالِهِم المُتلَهِّفُونَ، أو هُم مُتَحسَّرٌ عَليهم من جهَة الملائكة والمؤمِنين من الثَّقلَين.

ويجوز أن يكُون من الله عزَّ وجلَّ على سَبيلِ الاستِعَارة في معنى تَعظِيم ما جَنَوْهُ على أنفُسهم ومَجنُوهَا به، وفَرْطِ إنْكارِه له وتَعْجيبِهِ منه، وقِراءةُ مَن قَرأ: "يا حسرتا" تَعضُدُ هذا الوَجْهَ؛ لأنَّ المَعْنَى: يا حَسْرتِي.

وقرئ: "يا حسرةَ العِبَادِ" على الإضَافةِ إليهم لاختِصَاصِها بهم من حيثُ إنَّها مُوجَّهةٌ إليهم.

و: "يا حَسْرَهْ على العِبَاد" على إجْرَاء الوَصْلِ مُجْرَى الوَقْفِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: ألم يعلمُوا، وهُوَ مُعَلَّقٌ عن العَمل في ﴿كَمْ﴾ لأنَّ "كم" لا يَعملُ فيها عَاملٌ قبلَها سواءٌ كانَت للاستفهامِ أَو للخبر لأنَّ أصْلَها الاستِفهامُ، إلَّا أَنَّ معْناه نَافِذٌ في الجُملة كما نَفَذَ في قولك: "أَلَم يرَوا إنَّ زيدًا لمُنطَلِقٌ" وإنْ لم يَعمل في لَفْظِه.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بَدَلٌ مِن ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ على المَعنى لا عَلى اللَّفظِ، تَقديرُه: أَلَم يَرَوا كثْرةَ إهْلاكِنَا القُرونَ مِن قبْلهم كونَهُم غيرَ رَاجِعِينَ إلَيْهم.

قوله: (**في معنى تعظيم ما جَنَوهُ**) "تعظيم"[١] مصدر مضاف إلى المفعول، أي: تعظيم الله. وقوله: (**وتَعْجيبِه**) مصدر مضاف إلى الفاعل، والمفعول محذوف، أي: تعجيبِ اللهِ الناسَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ﴾ قد ذكر في آخر هود.[٢]

قوله: (**بَدلٌ**) أي: بدلُ اشتمال.

---

[١] ن - تعظيم.

[٢] هود، ١١/١١١. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ﴾ قد ذكر في آخر هود. قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ "مِن" على قول الأخفش زائدة.

وعن الحسن: كسرُ "إنَّ" على الاستئناف.

وفي قراءة ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: "ألم يروا مَن أهلكنا"، والبَدَلُ على هذه القراءةِ بدَلُ اشتمال، وهذا ممَّا يَرُدُّ قولَ أهْلِ الرَّجْعَةِ.

ويُحكَى عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قِيل له: إنَّ قومًا يَزعمُونَ أنَّ عَليًّا رضي الله عنه مَبعُوثٌ قَبل يوم القيامة! فقال: بئْسَ القومُ نحنُ إذَنْ، نكَحْنَا نِسَاءه وقَسَمْنَا مِيراثه.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝﴾

قرئ: ﴿لَمَا﴾ بالتخفيف على أنَّ "ما" صِلَةٌ للتَّأكيدِ و"إنْ" مُخَفَّفةٌ من الثَّقِيلةِ، وهي مُتلقَّاةٌ باللَّام لا محَالَة.

و: ﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديد بمَعنَى: إلَّا، كالَّتي في مَسألةِ الكتابِ: "نَشَدْتُكَ بالله لمَّا فعَلْتَ"، و"إنْ" نافيةٌ.

والتنوينُ في ﴿كُلٌّ﴾ هُو الَّذي يقَعُ عِوَضًا من المُضافِ إليْه؛ كقَولك: "مرَرْتُ بكُلٍّ قائمًا"، والمعنى: أنَّ كُلَّهُم مَحشُورُونَ مجمُوعُون مُحضَرُونَ للحسَاب يوم القيَامة.

وقيل: ﴿مُحْضَرُونَ﴾: مُعَذَّبُونَ.

فإن قلتَ: كيف أُخْبِرَ عن ﴿كُلٌّ﴾ بـ﴿جَمِيعٌ﴾ ومعْنَاهُما وَاحدٌ؟

قوله: (والبدَل على هذه القراءة)[١] وإنَّما قال: "على هذه القراءة" لأنَّه على القراءة الأولى لم يكن بدلًا مِن حيث اللفظ.

قوله: (نحن) هو المخصوص بالذمّ. وقوله: (نكَحْنا)... إلخ جملة مُبيِّنة للذمّ المفهوم مِن الجملة المتقدّمة. يعني: لو كان كما ذكروا لكان حُكمُنا بجواز نكاح نسائه وقِسمة ميراثه خطأً، ولَكُنَّا شرَّ أمّةٍ وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران ٣/١١٠].

---

[١] يعني: قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "أَلَمْ يَرَوا مَنْ أَهْلَكْنَا". وهي قراءة شاذة. وهي عنه في جامع البيان للطبري، ٤٣٠/١٩ (يس، ٣١/٣٦)؛ والمحرّر الوجيز لابن عطيّة، ٣٥٢/٤ (يس، ٣١/٣٦).

قلتُ: ليسَ بواحدٍ؛ لأنَّ "كُلًّا" تُفِيدُ مَعْنَى الإحَاطة وأَنْ لا يَنفَلِتَ منهم أحَدٌ، والجميعُ مَعْنَاه الاجْتِماعُ وأَنَّ المَحْشَرَ يَجْمَعُهمْ، و"الجَميعُ": فَعِيلٌ بمَعْنى مَفعُولٍ؛ يُقالُ: "حَيٌّ جَميعٌ" و: "جَاؤوا جميعًا".

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

القراءةُ بـ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ على الخِفَّة أَشيَعُ لِسَلسِها على اللِّسَانِ.

و﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ استِئنافٌ، بيَانٌ لكوْن الأَرْض المَيْتةِ آيةً، وكذلك ﴿نَسْلَخُ﴾ [يس ٣٧/٣٦]، ويجوز أن تُوصَفَ الأرضُ واللَّيلُ بالفعلِ؛ لأنَّهُ أُرِيدَ بهمَا الجِنسَان مُطلَقيْن لا أَرضٌ ولَيلٌ بأعْيَانهما، فعُومِلَا معَاملةَ النَّكراتِ في وَصْفِها بالأَفعالِ، ونحوُهُ:

ولَقَد أَمُرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّنِي

وقَولُه: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ بتَقديمِ الظَّرف للدَّلالة عَلى أنَّ الحَبَّ هُو الشَّيءُ الَّذي يَتعَلَّق به مُعْظم العَيْش، ويَقُوم بالارتزَاقِ مِنه صَلاحُ الإنس، وإذا قَلَّ جاء القَحْطُ ووَقعَ الضُّرُّ، وإذَا فُقِدَ حضَر الهَلاكُ ونَزلَ البلاء.

قولـه: **(والجميع معناه: الاجتماع)** كما ذكروا في قولهم: جاء القومُ كلُّهم أجمعون.

قوله: **(يقال: حيٌّ جميعٌ)** الحيُّ: القبيلة.

قوله: **(وكذلك ﴿نَسْلَخُ﴾)** بعد قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾.

قوله: **(بالفعل)** أي: بالجملة الفعليّة التي هي ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ و﴿نَسْلَخُ﴾.

قوله:

(ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبُّني)

تمامه:

فمضيتُ ثمَّة قلتُ: لا يَعنيني[1]

---

[1] قاله رجل مِن بني سلول. انظر: **شرح شواهد المغني** للسيوطي، ٣١٠/١.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾

قرئ ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بالتّثقيل والتخفيف، والفجْرُ والتّفجِير كالفتْح والتّفتِيح لفظًا ومَعْنًى.

وقرئ ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ بفَتحتينِ، وضَمَّتَين، وضمَّةٍ وسُكونٍ.

والضميرُ للهِ تعالى، والمعنَى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟﴾ ممَّا خَلقهُ اللهُ تعالى من الثَّمرِ ومما ﴿عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ من الغَرْس والسَّقْي والإبارِ وغيْرِ ذلك من الأعْمال إلى أنْ بَلغَ الثَّمرُ مُنتهَاهُ وإبَّانَ أكْلِه، يَعْني: أنَّ الثَّمر في نَفْسِه فِعْلُ الله وخَلقُه، وفيه آثارٌ من كَدِّ بَنِي آدم، وأصْلُه: مِن ثمَرِنَا؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا... وَفَجَّرْنَا﴾ فنُقِل الكلامُ مِن التَّكلُّم إلى الغَيْبَةِ على طريقَة الالتِفاتِ.

ويجوز أن يَرْجع إلى النَّخِيل وتُتْرَكَ الأعنابُ غيْرَ مَرْجوعٍ إليها؛ لأنَّه عُلِم أنَّها في حُكم النَّخِيل فِيما عُلِّق به من أكْلِ ثمره.

قوله: (والضمير) أي: في ثَمَره.

قوله: (والإبار) أبَرَ النخلَ: أصلحَه وألْقَحَهُ، إبارًا.[١]

قوله: (وإبَّانَ) أي: وقتَ.

قوله: (وتُترك الأعناب) يجوز أن يكون "تُترك" بمعنى: تُصيَّر، كما في قول الشاعر:

فتَركتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ يَقضِمن حُسْنَ بَنانه والمِعْصَمِ[٢]

وقوله: (مرجوعٍ إليها) ليس في "مرجوع" ضمير؛ لأنّه عُدّي بـ"إلى".

---

[١] المُغرب للمطرّزي، «أبر».

[٢] وفي هامش د ف: "المِعصَم": موضع السِّوار مِن الساعد. | الصحاح للجوهري، «عصم». والبيت لعنترة بن شداد في ديوانه، ص ٢١٠، بلفظ: ما بينَ قُلّةِ رَأسِه والمِعصَمِ "الجزَر": جمع جَزَرة. والجَزَرة: الشاة والناقة تُذبح وتُنحر. فيقول: صار للسِّباع جَزَرة، ضَربَه مثلًا. وقوله: "يَنُشْنَه"، أي: يَتناولْنَه بالأكل. و"يَقضِمن" معناه: يأكُلن. يقال: قضَمَت الدابّة شعيرَها. شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٣٤٨.

ويجوز أن يُرادَ: مِن ثمَرِ المذكُور وهُو الجَنَّاتُ؛ كما قال رُؤْبَةُ:

فِـيهَـا خُـطُـوطٌ مِـن بَـيـاضٍ وبَـلَـقْ كـأنَّـهُ فـي الـجِـلـد تَـوْلِـيـعُ الـبَـهَـقْ

فقِيلَ له؟ فقَال: أرَدْتُ: كأنَّ ذاكَ.

وَلك أن تجعَل "ما" نافيةً على أنَّ الثَّمر خَلْقُ اللهِ ولم تعمَلهُ أيْدِي النَّاسِ ولا يَقْدِرون عليه.

وقرئ على الوَجْه الأوَّل: ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ من غير رَاجعٍ، وهي في مَصَاحِفِ أهْلِ الكُوفة كذلك، وفي مصاحِفِ أهل الحرمَيْنِ والبَصْرة والشَّام مَع الضَّمير.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأجْنَاسَ والأَصْناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: ومِن أزْوَاجٍ لم يُطْلِعْهُم اللهُ عليها، ولا توصَّلُوا إلى مَعْرِفتهَا بطَريقٍ من طُرقِ العِلْم، ولا يَبْعُدُ أن يَخلُق اللهُ تعالى مِن الخَلائق -الحَيوانِ والجمادِ- ما لم يجعَلْ للبَشر طريقًا إلى العِلْم بهِ؛ لأنَّه لا حاجةَ بهم في دِينهم ودُنيَاهُم إلى ذلك العِلْم، ولو كانت بهم إليه حاجَةٌ لأَعْلَمهُم بما لا يَعلمُونَ كما أعْلَمَهُم بوُجُودِ ما لا يَعلمُونَ.

قوله:

(فـيـهـا خُـطـوط)... الـبـيـتَ[1]

المُوَلَّع كالمُلَمَّع، إلّا أنّ التَّوليع استطالةُ البَلَق، قال أبو عبيدة: «قلتُ لِرُؤبة: 'إن أردتَ الخطوطَ فقُل:[2] كأنّها، وإن أردتَ السوادَ والبَلَقَ فقُل:[3] كأنّهما'، فقال: 'كأنّ ذلك وتلك توليعُ البَهَق'».[4]

---

[1] ديوان رُؤبة بن العجّاج، ص ١٠٤.

[2] ن: فعل.

[3] ن: فعل.

[4] الصحاح للجوهري، «ولع». والبَلَقُ: سوادٌ وبياضٌ، وكذلك البُلْقَة بالضمّ. وفرسٌ أبْلَقُ، وفرسٌ بَلْقاء. والبَهَق: بياض يَعترى الجِلد يخالف لونَه، ليس مِن البَرَص. انظر: الصحاح للجوهري، «بلق» «بهق». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ﴾ أي: الأصناف ممّا تُنبِت ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ مِن الثمار والحبوب، ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: الذكور والإناث، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ممّا خَلق مِن الأشياء مِن دوابّ البَرّ والبحر.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَم يُسمِّهم.

وفي الحَدِيثِ: «ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطر على قَلبِ بَشَرٍ، بَلهَ ما أَطْلَعْتُهم عَلَيْه». فأَعْلَمَنا بوجُودِه وإِعْدَاده ولم يُعْلِمْنا به ما هو، وَنحوُه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة ١٧/٣٢].

قوله: (وفي الحديث: «ما لا عينٌ») أوّل الحديث: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ».[١] وقوله: (وإعدادِه) حيث قال: «أعددتُ».[٢]

---

[١] صحيح البخاري، ١١٨/٤ (٣٢٤٤)؛ صحيح مسلم، ٢١٧٤/٤ (٢٨٢٤).

[٢] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ فإن قيل: كيف خفي عليه وعلى الإمام عبد القاهر أنّ المستعار له ظهور النهار، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾؟ وينصره قول صاحب الكشّاف: «سلخ جلدَ الشاة؛ كشطَه، فاستعير لإزالة الضوء وكشفِه عن مكان الليل وملقى ظلّه». ويؤيّده قول صاحب المَثل السائر: «لمّا كان هوادي الصبح ملتحمةً بأعجاز الليل أُجري عليها اسم السّلخ، وكان ذلك أولى مِن أن يقال: نُخرج؛ لأنّ السّلخ أدلّ على الالتحام مِن الإخراج، وهذا تشبيه في غاية المناسبة». ويؤكّده قول الواحدي: «﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: نُخرج منه النهار إخراجًا لا يبقى معه شيء مِن ضوء النهار، والمعنى: ننزع منه النهار فنذهب به ونأتي بالليل». وقوله أيضًا في البسيط: «وتحقيق معنى ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أنّ الظلمة هي الأصل، والنور داخل عليها طارٍ يسترها بضوءه»، وإذا غربت الشمس سُلِخ النهار مِن الليل، أي: كُشِطَ وأُزيلَ كما يُكشف الشيء الطارئ عن الشيء، فجعل ذهاب الضوء وظهورَ الظلمة كالسّلخ مِن الشيء، فيظهر المسلوخ بعد سَلخ إهابه». فهل وجهُ تصحيحٍ لقول الإمامَين؛ لأنّ المستعار له ظهور النهار مِن ظلمة الليل سوى القلب، أم لا؟ قلنا: نعم له وجه تصحيح سوى القلب؛ وهو أنّ السّلخ يستعمل بمعنيَين: أحدهما: بمعنى النزع، تقول: سَلَختُ الإهاب عن الشاة؛ نزعته عنها. وثانيهما: بمعنى الإخراج، تقول: سَلَختُ الشاة مِن الإهاب، والشاة مسلوخة. وتقدير الآية على الأوّل: نزعنا الضوء -الذي هو شعاع الشمس، وكان كاللباس للهواء- عن الهواء، فصار ليلًا، كما يُنزع اللباس عن الشيء، ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام مِن غير مهلة زمانيّة بين النزع والدخول، كما هو موضوع الفاء. وتقدير الآية على الثاني: أخرجنا النهار مِن الليل إخراجًا لم يبقَ معه شيء مِن الليل. فإن قيل: هذا ينافي قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾؛ لأنّ الفاء موضوعة للترتيب بلا مُهلة، وبين طلوع الشمس المعبَّر عنه بإخراج النهار عن الليل للإخراج المذكور وبين غروبها المعبّر عنه بإظلامهم مهلةٌ زمانيّة هي زمان النهار، فلا يجوز استعمال الفاء على هذا التقدير؛ لأنّ هذا المعنى يقتضي المُهلة بين الإخراج والإظلام، والفاء تقتضي عدم المهلة بينهما. قلنا: هذا الذي نقل عن غير الإمامَين، حتّى ذهبوا إلى أنّ السّلخ بمعنى النزع، لا الإخراج، وهو وَهْم. وتحقيقه أنّه لا تنافيَ بينهما، وذلك لأنّ الفاء موضوعة لِما يُعدّ في العادة مرتّبًا مِن غير مهلة، فقد يطول الزمان، والعادة تقتضي في مثله عدم اعتبار المهلة، وقد تقتصر، والعادة تقتضي بالعكس. شرح قطب الدين الشيرازي للمفتاح. | انظر: المثل السائر لابن الأثير، ٣٧٣/١؛ والتفسير الوجيز للواحدي، ص ٩٠٠ (يس، ٣٧/٣٦)؛ والتفسير البسيط للواحدي، ٤٨٢/١٨ (يس، ٣٧/٣٦).

وفي الإِعْلام بكَثْرةِ ما خَلَق ممَّا عَلِمُوهُ وممَّا جَهِلُوه ما دَلَّ على عِظَمِ قُدْرَتِه واتِّسَاعِ مُلكِه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧﴾

"سَلَخ جِلْدَ الشَّاةِ": إذا كشَطه عَنها وأَزَاله، ومنه: "سِلْخُ الحَيَّةِ" لخِرْشَائِها، فاستُعير لإِزَالة الضَّوء وكَشْفِه عَن مكان اللَّيل ومُلْقَى ظِلِّه.

﴿مُّظۡلِمُونَ﴾: دَاخِلُون في الظَّلام؛ يُقَال: أَظلَمْنا، كما تقُول: أَعتَمْنَا وأَدْجَيْنا.

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨﴾

﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾: لحَدٍّ لهَا مؤقَّتٍ مُقَدَّرٍ تَنْتَهِي إلَيْه من فَلَكِهَا في آخِر السَّنةِ، شُبِّهَ بمُستقَرِّ المُسَافِر إذا قَطع مَسِيرَهُ.

أو: لمُنتهًى لها من المشَارق والمَغارِبِ؛ ....

قوله: (إذا كَشَطه عنها وأزاله) قال الفرّاء:[١] «نرمي بالنهار عن الليل[٢] فنأتي بالظلمة»؛[٣] وذلك لأنّ الأصل هي الظلمة، والنهارُ داخل عليها، فإذا غربت الشمس سُلخ النهار مِن الليل، أي: كُشِط وأُزيل، فتظهر الظلمة.[٤] قالوا: لأنّ ضوء النهار متداخل في الهواء، فإذا خرج منه أظلَم.

قوله: (لِخِرْشائِها) أي: جِلدِها.

قوله: (مؤقَّتٍ) أصل التوقيت: التحديد في الزمان، فاستُعمل هنا للمكان.[٥]

قوله: (أو لِمنتهًى لها) الأوّل: باعتبار الفلَك وحركتِها[٦] فيه وسَيرِها كما هو الواقع في الواقع. / والثاني: باعتبار الأُفق الشرقيّ والغربيّ في المَرأى. [٣٠١و]

---

١ د – الفرّاء.

٢ ن: النهار.

٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٥١٤/٣ (يس، ٣٧/٣٦).

٤ التفسير الوسيط للواحدي، ٥١٤/٣ (يس، ٣٧/٣٦).

٥ وفي هامش د ف: قوله: (شُبّه بمُستَقَرّ المسافر) شُبّه الحدّ الذي تتحرّك إليه الشمس في مدّة مُعيّنة بمستقرّ المسافر، والجامع كون كلّ منهما متوجّهًا إليه الحركة، المتحرّك يصل إليه المتحرّك في مدّة معيّنة.

٦ ن: وحركها.

لأنّها تتقصّاهَا مَشرِقًا مشرِقًا ومَغرِبًا مَغرِبًا مَغرِبًا حَتّى تَبلُغَ أقصاهَا ثمَّ تَرْجِعُ، فذلك حَدُّهَا ومُسْتَقرُّهَا لأنّها لا تَعْدُوهُ.

أَو: لحَدٍّ لهَا من مَسيرهَا كُلَّ يَوْم في مَرأى عُيُونِنا وهُو المَغربُ.

وقيل: مُسْتقرُّهَا: أجَلُها الَّذي أقَرَّ اللهُ عَليه أمْرَها في جَرْيِهَا فاستَقرَّتْ عَليه وهُو آخِر السَّنةِ.

وقيل: الوقْتُ الَّذي تَستَقِرُّ فيه وينقَطِعُ جَرْيُها وهو يَومُ القيامة.

وقرئ: "تَجْرِي إلى مُسْتَقَرٍّ لها".

وقرأ ابنُ مسعُودٍ: "لا مستقر لها"؛ أي: لا تزَالُ تجْرِي لا تَستقِرُّ.

وقرئ: "لا مستَقَرٌّ لها" عَلى أنَّ "لا" بمعْنَى "ليس".

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَرْيُ على ذلك التَّقْدِيرِ والحسَابِ الدقيقِ الَّذي تَكِلُّ الفِطَنُ عن استخرَاجهِ وتتَحيَّرُ الأفهامُ في استنباطهِ ما هُو إلَّا ﴿تَقْدِيرُ﴾ الغَالبِ بقُدْرَتِه على كُلِّ مَقْدُور، المُحيطِ عِلْمًا بكُلِّ مَعْلُومٍ.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾

قرئ: ﴿والقمرُ﴾ رَفعًا عَلى الابتِداء، أوْ عَطفًا على ﴿ٱلَّيْلُ﴾ يُرِيد: ومن آياتهِ القَمرُ، ونصْبًا بفعْلٍ يُفسِّرهُ ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾، ولا بُدَّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ من تقديرِ مضافٍ؛ لأنَّه لا مَعْنى لتَقدِير نفسِ القمرِ مَنازِلَ، والمعنَى: قدَّرنا مَسِيرَهُ مَنازِلَ، وهي ثمانيةٌ وعشرُونَ مَنْزِلًا، يَنْزِلُ القَمرُ كُلَّ لَيْلَةٍ في وَاحِدٍ مِنْها لا يَتخَطَّاهُ ولا يَتقاصَرُ عنه

قوله: (**تتقصَّاها**) يقال: تقَصَّيْتُ[١] الشيءَ، أي: أتيتُ على أقصاها.

قوله: (**وقيل: "مستَقرُّها": أجلُها**)... إلخ على هذا الوجهِ والوجهِ الذي بعده يكون "المستقرُّ" اسمَ الزمان، وعلى ما تقدّم مِن الوجوه كان اسمَ مكان.

قوله: (**والمعنى: قدَّرنا مسيرَه**)[٢] أي: موضعَ سَيرِه.

[١] ف ن: تقصّت.

[٢] ف ن: مسيرة.

على تَقْدِيرٍ مُسْتَوٍ لا يتفاوَتُ، يَسيرُ فيها من لَيلةِ المُستَهَلِّ إلى الثَّامنَةِ والعِشْرين، ثمَّ يَستَسِرُّ لَيلَتينِ أو ليلةً إذا نقصَ الشَّهرُ، وهذه المنازلُ هي مَواقعُ النُّجُوم التي نَسبَتْ إلَيْها العَربُ الأَنواءَ المُستَمطَرة، وهي: الشَّرطَان، البُطَينُ، الثُّريَّا، الدَّبَرانُ، الهَقْعَةُ، الهَنعَةُ، الذِّراعُ، النَّثْرَةُ، الطَّرْفُ، الجَبهةُ، الزُّبْرةُ، الصَّرْفةُ، العَوَّاء، السِّمَاكُ، الغَفْرُ، الزُّبَانَى، الإكليلُ، القَلْبُ، الشَّولَةُ، النَّعائمُ، البَلْدَةُ، سَعْدُ الذَّابِح، سَعْدُ بُلَعَ، سَعْدُ السُّعُودِ، سَعْدُ الأَخْبِيَةِ، فَرْغُ الدَّلو المُقَدَّمُ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرُ، الرِّشاء.

فإذا كانَ في آخِرِ مَنازله دَقَّ واستَقوَسَ و﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وهو عُودُ العِذْق ما بينَ شَماريخِهِ إلى مَنْبِتِه من النَّخلة.

وقال الزجَّاج: هو فُعْلُونٌ من الانعراجِ وهُوَ الانعطافُ.

وقرئ: "العِرْجَون" بوزن الفِرْجَونِ، وهما لغتَان كالبُزْيُونِ والبِزْيَوْنِ.

قوله: (واستقوَس) يقال: استقوَسَ الشيخُ، أي: انحنَى.[١]

قوله: (عود العِذْق) "العِذْق" -بالكسر- هو مِن التمر بمنزلة العُنقود مِن العنب.[٢] و"الشِّمراخ" ما عليه التمر مِن عيدان الكِباسة.[٣]

قوله: (ما بين شَماريخه) بدل مِن "عود".

قوله: (مِن النخلة) حال مِن (مَنْبِته)، ولا يجوز أن يكون متعلّقًا بـ"مَنبِته"؛ لأنّ اسم المكان لا يعمل.[٤]

قوله: (بوزن الفِرْجَون) الفِرْجَون: مُشطُ الفَرَس.

قوله: (كالبُزْيُونِ) البِزْيَون والبُزْيُون: مِن ثياب الروم، وقيل: السندس.[٥]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «قوس».

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كبس».

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عثكل».

٤ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ﴾ "العُرجون": أصل العِذق الذي يَعوَجّ وتُقطع منه الشَّماريخ، فيبقى على النخل يابسًا. وعَرَجْنه ضربه بالعُرجُون. | **الصحاح** للجوهري، «عرجن».

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «بزن».

و"القَديمُ": المُحوِلُ، وإذا قَدُم دقَّ وانحَنَى واصفرَّ فشُبِّهَ بِهِ من ثلاثةِ أَوْجُه.

وقيل: أَقَلُّ مدَّةِ المَوصُوف بالقدَم الحَوْلُ، فلَو أنَّ رجُلًا قال: "كُلُّ مملُوكٍ لي قَديمٌ فهُو حُرٌّ"، أو كتَبَ ذلك في وصِيَّتِهِ، عَتقَ مِنْهم مَن مَضَى له حَوْلٌ وَأكثرُ.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾

وقُرِئ: "سابقُ النهارَ" على الأَصْل.

والمَعنى: إنَّ الله تعالى قسَم لكلِّ واحِدٍ من اللَّيل والنَّهار وآيَتَيْهِما قِسْمًا من الزَّمان، وضَربَ له حَدًّا مَعْلُومًا، ودَبَّر أمرَهُمَا على التَّعَاقُبِ، فلا ينبَغِي للشَّمسِ؛

قوله: (و﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ المُحْوِلُ) و"المُحْوِل": الذي عليه أتى[1] الحَول. يقال: أحال عليه الحَوْل، وأحالت الدار، وأحولت؛ أتى عليها حولٌ، وكذلك الطعام وغيره، فهو مُحيل ومُحْوِل، قال الكُميت:

ألَم تُلْمِمْ على الطلَلِ المُحِيلِ[2]

وقال:

أأبكاك بالعُرُفِ المَنْزِلُ   وما أنت[3] والطلَلُ المُحْوِلُ[4]

و"العُرْف" و"العُرُف": الرَّمْل المرتفع.[5] ويقال أيضًا: حالَ عليه الحول، أي: مرَّ، وحالت الدار، وحال الغلام؛ أتى عليه حول.[6]

قوله: (وآيتَيهما) يريد بـ"آيَتَيهِما": الشمسَ والقمر.

---

[1] ف: أتى عليه.

[2] تمامه:

بِفَيدَ وما بُكاؤكَ بالطلولِ

ديوان الكميت بن زيد، ص ٣٥٠، مِن قصيدة له يدعو فيها ربيعة إلى قطع حِلفها مع اليمن.

[3] ن: لنت.

[4] **ديوان الكميت بن زيد**، ص ٣١٥، مِن قصيدة يمدح فيها عبدَ الرحمن بن عنبسة. وانظر: **الصحاح للجوهري**، «حول».

[5] **الصحاح للجوهري**، «عرف».

[6] **الصحاح للجوهري**، «حول».

أي: لا يَتسهَّل لهَا ولا يَصِحُّ ولا يَستقِيمُ -لِوُقُوع التَّدبيرِ على المُعَاقبَةِ وإن جُعِلَ لكلِّ واحدٍ من النَّيِّرينِ سُلطانٌ على حِيَالِهِ- ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فتَجتمِعَ معَه في وقْتٍ واحِدٍ، وتُدَاخِلَه في سُلطانِه فتَطْمِسَ نُورَهُ، ولا يسبق الليلُ النهارَ، يعْني: آيَةُ اللَّيْل آيةَ النَّهار وهُما النَّيِّرانِ، ولا يزَالُ الأمْرُ على هذا التَّرتيبِ إلى أن يُبْطِل اللهُ ما دبَّر من ذلك ويَنقُضَ ما ألَّفَ، فيَجْمَعَ بين الشَّمْسِ والقَمرِ ويُطلِعَ الشَّمسَ مِن مغرِبهَا.

فإن قلتَ: لِمَ جُعِلَتِ الشَّمسُ غَيرَ مُدْركةٍ والقَمرُ غيرَ سَابقٍ؟

قلتُ: لأنَّ الشَّمس لا تَقطَعُ فَلَكهَا إلَّا في سَنةٍ، والقَمرَ يَقطَعُ فلكَه في شَهْرٍ، فكانَت الشَّمسُ جَدِيرةً أنْ تُوصَفَ بالإدْراك لتَباطُؤ سَيْرهَا عن سَيْر القَمر، والقَمرُ خَلِيقًا بأن يُوصَفَ بالسَّبقِ لسُرعَةِ سَيْره.

﴿وَكُلٌّ﴾ التَّنوِينُ فيه عوَضٌ من المضَاف إليه، والمَعْنى: وكُلُّهُم، والضَّميرُ للشمُوسِ والأقمَارِ على ما سَبق ذِكرُه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادَهُم ومَن يُهِمُّهُم حَملُه، وقيل: اسمُ الذُّرِّيَّة يقعُ على النِّسَاء لأنَّهنَ مَزارِعُهَا، وفي الحَديث: أنَّه نهَى عن قَتْلِ الذَّرَارِيِّ، يعْنِي: النِّسَاء.

قوله: (**فلا ينبغي للشمس**) يقال: بَغَيْتُه فانبغَى، أي: طلبتُه فحصلَ وتيسَّر.[١]

قوله: (**وقيل: اسم الذرّيّة**)[٢]... إلخ هذا مِن باب المجاز، تسميةً للمحلّ باسم الحال.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي: لا يدخلُ النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخلُ الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾، أي: هما يتعاقبان بحساب معلوم، لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا تطلع الشمس بالليل، ولا يطلع القمر بالنهار، وله ضوء، فإذا اجتمعا وأدرك كلّ واحد منهما صاحبه قامت القيامة. وقيل: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي: لا تجتمع معه في فلك واحد، ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: لا يتّصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ١٩/٧ (يس، ٣٦/٤٠).

[٢] ن: الدريه.

﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾: من مثلِ الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبلِ، وهيَ سَفَائنُ البَرِّ.

وقيل: "الفلكُ المشحونُ" سَفينةُ نُوحٍ، ومَعْنَى حَمْلِ الله ذُرِّيَّاتِهم فيها: أنَّه حَملَ فِيهَا آبَاءهُم الأقْدَمِينَ وفي أصْلابهم هُم وذُرِّيَّاتُهم، وإنَّما ذكرَ ذُرِّيَاتِهِمْ دُونَهُم لأنَّه أبْلَغُ في الامْتِنَانِ عَليْهم، وأدْخَلُ في التَّعْجِيب من قُدْرَتهِ في حَمْل أعْقَابهِم إلى يَوْمِ القيَامةِ في سَفِينَةِ نُوحٍ عليه السلام، و﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾: مِن مِثْلِ ذلك الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من السُّفْنِ والزَّوَارِقِ.

"لا صريخَ": لا مُغِيثَ، أو: لا إغَاثَةَ، يُقال: أتَاهُم الصَّرِيخُ.

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: لا يُنجَونَ من الموْتِ بالغرقِ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾: إلَّا لِرَحْمةٍ مِنَّا ولِتَمتيعٍ بالحيَاة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجَلٍ يَمُوتُونَ فيهِ لا بُدَّ لهُم مِنْهُ بَعْدَ النَّجَاة مِن مَوْتِ الغَرَقِ، ولقَد أحسَنَ مَن قال:

ولَـمْ أَسْـلَـمْ لِكـي أبْـقَـى ولكـنْ   سَلِمتُ من الحِمَامِ إلى الحِمَامِ

وقرأ الحَسنُ: "نُغَرِّقْهم".

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (﴿لَا صَرِيخَ﴾ لا مغيثَ)[١] الصريخُ: صوتُ المُستصرِخ، والصريخ أيضًا: الصارِخ، وهو المُغيث والمستَغيث أيضًا، وهو مِن الأضداد.[٢]

قوله: (إلّا لِرحمةٍ)[٣] هذا راجع إلى الاستثناء المفرَّغ باعتبار المفعول له، أي: لا يُنجَونَ لأمرٍ مِن الأمور إلّا لرحمةٍ.[٤]

قوله: (مِن موت الغرَق) أي: مِن الموت الذي بالغرَق.

قوله: (﴿اتَّقُوا﴾)... إلخ في محلّ المبتدأ. وقوله: (كقوله تعالى) خبره، يريد: أنّ معناه مثله في أنّ المراد التخويف بالخَسْف أو بإسقاط الكِسْف. وقوله:

---

١ ن: لا مُعيث.

٢ الصحاح للجوهري، «صرخ».

٣ ن: إلّا رحمة.

٤ ف: لرحمته.

﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ ٣٤/٩].

وعن مُجاهِدٍ: ما تقدَّم من ذُنُوبكُم ومَا تأخَّرَ.

وعن قتَادَة: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ مِن الوقَائعِ الَّتي خلَتْ؛ يَعْني: مِن مِثْلِ الوَقَائعِ الَّتي ابتُلِيَتْ بها الأُمَمُ المُكَذِّبَةُ بأنبيَائِهَا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مِن أَمْرِ السَّاعةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونُوا على رَجَاءِ رَحْمة الله.

وجَوابُ ﴿وَإِذَا﴾ مَحْذُوفٌ مَدْلُولٌ عَليه بقَوله: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ كأنَّه قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ﴾ أَعرَضُوا، ثمَّ قال: وَدَأْبهُم الإِعْرَاضُ عند كُلِّ آيةٍ ومَوْعِظةٍ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

كانت الزَّنادِقَةُ مِنهُم يَسمَعُونَ المُؤمِنينَ يُعَلِّقُونَ أفعَالَ اللهِ بمَشيئتِه فيقُولُونَ: لو شَاءَ اللهُ لأَغْنَى فُلَانًا، ولو شاء لأَعزَّهُ، ولو شَاء لكانَ كَذا، فأَخرَجُوا هذا الجوابَ مَخرَجَ الاستِهزاء بالمؤمنين وبما كانُوا يَقُولُونه مِن تَعْلِيق الأمُور بمشيئةِ اللهِ.

ومَعْناه: أَنُطعِمُ المَقُولَ فيهِ هذا القَولُ بَينكُم، وذلك أَنَّهُم كانُوا دَافِعِينَ أَنْ يكُونَ الغِنَى والفَقْرُ مِن اللهِ؛ لأَنَّهُم مُعَطِّلَةٌ لا يُؤمِنُونَ بالصَّانِعِ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: كان بمَكَّةَ زنَادِقَةٌ، فإِذَا أُمِرُوا بالصَّدقةِ على المسَاكين قالُوا: لا واللهِ، أيُفقِرُه اللهُ ونُطْعِمُه نَحنُ؟!

وقيل: كانُوا يُوهِمُونَ أنَّ الله تعالى لمَّا كان قادرًا على إطعامه ولا يَشَاءُ إطعَامَه فنَحنُ أَحَقُّ بذلك.

(كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾) ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ ٣٤/٩].

قوله: (فأخرجوا هذا الجواب) أي: قولهم: ﴿أَنُطْعِمُ﴾ في جواب المؤمنين عن قولهم: ﴿أَنفِقُواْ﴾.

نزلَتْ في مُشركي قُرَيْشٍ حينَ قال فُقراء أصْحَابِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: أعْطُونَا مِمَّا زعَمتُم مِن أموَالِكُم أنَّها لله -يعنُون قولَه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام ١٣٦/٦]- فحرَمُوهُم وقالُوا: لو شاء الله لأطعَمكُم.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قوْلُ الله لهُم، أو حِكايةُ قَولِ المؤمنِين لَهُم، أو هُو من جُملة جَوابهم لِلمُؤمِنين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قرئ ﴿وَهُمْ يخصِّمُون﴾ بإدْغام التاءِ في الصَّاد مَع فَتْح الخاء وَكسْرِهَا وإتْبَاعِ اليَاء الخاءَ في الكَسْر، و: "يَخْتَصِمُونَ" على الأَصْلِ، و: ﴿يَخْصِمُونَ﴾ من خَصَمَهُ.

والمَعْنى: أنَّها تَبغَتُهُم وهُم في أمْنِهم وغَفلتِهم عنها لا يُخْطِرونَها ببَالِهِمْ مُشتَغِلين بخصُومَاتهِمْ في مَتَاجِرهِمْ ومُعَامَلاتهِم وسَائرِ ما يتخَاصَمُون فيه ويَتَشاجَرُونَ.

ومَعنى ﴿يَخْصِمُونَ﴾: يَخصِمُ بَعضُهُم بَعضًا، وقيل: تأخذُهم وهُم عِند أنفُسِهم يَخْصِمُونَ في الحُجَّةِ في أنَّهم لا يُبْعَثُونَ.

قوله: (**والمعنى: أنَّها**) هذا معنى "يَخْتَصِمُونَ" بالتاء،[١] و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بادّغام التاء في الصاد. و(**تبغَتُهم**) مِن قوله: بغَتَه: فاجَأه. وهذه أصحّ النسخ؛ بل هي متعيّنة. وفي بعض النسخ: "تَبعَتهم". وفي بعضها: "تَبْغِيهم".

قوله: (**ومعنى ﴿يَخْصِمُونَ﴾**)[٢] عطفٌ على قوله: "والمعنى"، وهذا تفسير ﴿يَخْصِمُونَ﴾ بسكون الخاء.[٣] وقوله: (**وقيل**) عطفٌ على قوله: (**يَخْصِمُ**)... إلخ. وذَكر لقوله: "يَخْصِمُ" -بإسكان الخاء- معنيَين: / **الأوّل**: قوله: (**يَخْصِم بعضُهم بعضًا**) وهو قريبٌ مِن معنى "يَخْتَصِمُونَ" و﴿يَخِصِّمُونَ﴾[٤] بالتشديد. [٣٠١ظ]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ رضي الله عنه واليماني. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٠؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٧٣/٩ (يس، ٤٩/٣٦).

[٢] ن: تخصمون.

[٣] قرأ بها حمزة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٥٤/٢.

[٤] ف: ويُخصّمُون.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾

﴿لا يَسْتَطِيعون﴾ أَنْ يُوَصُّوا في شَيءٍ من أُمورهم ﴿تَوْصِيَةً﴾، ولا يَقْدِرُونَ على الرُّجُوعِ إلى منَازِلهم وأَهَالِيهِم، بَلْ يمُوتُونَ بحَيْث تفجَؤهُم الصَّيْحَةُ.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾

قرئ: ﴿ٱلصُّورِ﴾ بسُكُون الواوِ وَهُو القَرْن أَو جمع صُورَةٍ، وحَرَّكهَا بَعضُهمْ.

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبُورُ، وقرئ بالفاء.

و﴿يَنسِلُونَ﴾: يَعْدُونَ، بكسر السِّين وضَمِّهَا، وهيَ النَّفخَةُ الثَّانيةُ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾

قرئ: "يا ويلتنا".

وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: "مَن أهَبَّنا" مِن هَبَّ مِن نوْمِه: إذَا انتَبَهَ، وأهَبَّهُ غيره.

وقرئ: "مَن هَبَّنا" بمعْنَى: أَهبَّنَا، وعن بعْضِهم: أرَادَ: هَبَّ بِنَا، فحَذفَ الجَارَّ وأوْصَل الفِعلَ.

وقرئ: "مِن بَعْثِنا"، و: "مِن هَبِّنَا" ....

والثاني: أن يكون مِن قولهم: خصَمتُه، أي: غلبتُه بالحجّة، ولذلك قال: **(عند أنفسهم)**، فإنّهم لا يغلبون في الحجّة في عدم البعث في الواقع؛ بل هم في الواقع مَغلوبون مَحجوجون في هذا المعنى.[١]

قوله: **(وحرَّكها بعضهم)** أي: قرأ بعضهم بحركة الواو.[٢]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ مثل قوله: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ [يونس ١٠/٣٥]، وقد ذكر في يونس. أبو البقاء | **التبيان** لأبي البقاء العكبري، ٢/١٠٧٤.

[٢] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ استُعير الرقاد للموت، وفائدة الاستعارة التنبيه والإشعار بأنّ الأحياء مِن الله بمَنزلة التنبيه في السهولة، وأيضًا فائدتها تعليل الزمان.

على "مِن" الجَارَّةِ والمَصْدَرِ.

و﴿هَٰذَا﴾ مُبتدأٌ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبَرُه، و﴿مَا﴾ مَصْدَرِيَّةٌ أو مَوصُولةٌ.

ويجوز أن يكُون ﴿هَٰذَا﴾ صِفةً للمَرقدِ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبرُ مُبتَدأ محْذُوف؛ أي: هذا وَعْدُ الرَّحمَنِ، أو: مُبتَدأٌ محذُوفُ الخَبرِ؛ أي: ما وعَد الرَّحمنُ وصَدَق المرسلُونَ حَقٌّ عليْكُم.

وعَن مجَاهِدٍ: للكُفَّار هَجْعَةٌ يَجِدُونَ فيهَا طَعْمَ النَّوم فإذا صيحَ بأَهْلِ القبُور قالُوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾.

وأمَّا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فكلامُ الملائكةِ، عن ابن عباس، وعن الحَسن: كلامُ المُتَّقِينَ.

وقيل: كلامُ الكافِرين يَتَذكَّرُون ما سَمِعُوهُ من الرُّسُل فيُجِيبُونَ به أنفسَهُم، أو بَعْضُهُم بَعْضًا.

قوله: (على "مِن" الجارّة) فـ"مِن" الجارّة في القراءتَين متعلّقة بـ"وَيْلَنا"؛ لأنّ فيه معنى الفعل.

قوله: (و﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ) أي: لفظه هذا.

قوله: (وعن مجاهد)[1] بيَّن فيما مرّ[2] القراءةَ والإعراب، فشرَع آنِفًا في معناه وبيانِ أنّه مِن كلام مَن، فذكر عن مجاهد أنّ قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ كلام الكفّار، وليس فيه خلاف. ثمّ ذكر الاختلاف في قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ عن ابن عبّاس والحسن وغيرهما[3] رضوان الله[4] عليهم أجمعين.[5]

قوله: (ما سَمِعوه) أي: في الدنيا.

قوله: (فيُجيبون)... إلخ يعني: يقول الكفّار بطريق السؤال: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾؟

---

١ تفسير مجاهد، ص ٥٦٠ (يس، ٥٢/٣٦)؛ جامع البيان للطبري، ٤٥٧/١٩ (يس، ٥٢/٣٦).
٢ ف: من.
٣ ن: وغيرها.
٤ ن – الله.
٥ انظر: التفسير البسيط للواحدي، ٥٠١/١٨ (يس، ٥٢/٣٦)؛ وتنوير المقباس للفيروزآبادي، ص ٣٧٢ (يس، ٥٢/٣٦).

فإن قلتَ: إذا جعَلْتَ ﴿مَا﴾ مَصْدريَّةً كان المَعْنى: هذا وعْدُ الرَّحمن وصِدْقُ المُرسَلِين، على تسميَةِ المَوعُود والمَصْدُوقِ فيهِ بالوَعْدِ والصِّدق، فما وَجْهُ قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إذَا جعَلْتَها مَوصُولةً؟

قلتُ: تَقديرُه: هذا الَّذي وَعَدهُ الرَّحمنُ والَّذِي صَدَقَهُ المُرسَلُون، بمَعْنَى: والَّذي صَدَق فيه المُرسَلُون، مِن قولهم: صَدَقوهُم الحَدِيثَ والقتالَ، ومنه: "صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ".

فإن قلتَ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ سُؤالٌ عن البَاعثِ، فكيْفَ طَابقَهُ ذلك جَوابًا؟

قلتُ: مَعْناه: بَعثكم الرَّحمَنُ الَّذي وَعَدكُم البَعْثَ وأَنبأكُم بهِ الرُّسُلُ، إلَّا أنَّهُ جيءَ بهِ على طريقَةِ: "سِيئَتْ بهَا قُلوبُهم" و: "نُعِيَتْ إليهم أحْوالُهم" و: "ذُكِّرُوا كفرَهُم وتكْذِيبَهُم" و: "أُخبِرُوا بوُقُوع ما أُنذِرُوا به"، وكَأنَّه قِيل لهم: ليْسَ بالبَعثِ الَّذي عَرفْتُمُوهُ -وهُو بَعْثُ النَّائم مِن مَرْقَدِه- حَتَّى يُهمَّكُم السُّؤالُ عن البَاعثِ، إنَّ هذا هو البَعْثُ الأكبَرُ ذُو الأَهْوالِ والأَفزَاعِ، وهُو الَّذِي وعَدَه اللهُ في كُتبِهِ المُنْزَلةِ على أَلْسِنَة رُسُلِه الصَّادِقين.

ثمّ يُجيبون أنفسهم بقولهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أو يُجيب بعضُهم بعضًا.

قوله: **(على تسمية الموعود)**... إلخ الضمير مِن "الموعود" يعود إلى اللام، ومِن "فيه" يعود إلى اللام في (المَصدوق). وليس في "المَصدوق" ضمير بخلاف "المَوعود".

قوله: **(إذا جَعلتها موصولة)**[1] يعني: حينئذٍ لا يكون ضميرٌ يعود إلى "ما".

قوله: **(جيء به)** أي: بالجواب.

قوله: **(ونُعِيَتْ)** يجوز أن يكون عطفًا على (سيئتْ)، وكذا قوله: **(ذُكِّروا)** و**(أُخبِروا)**. والعائد إلى الموصوف -وهو قوله: **(طريقةِ)**- محذوفٌ، أي: نُعِيَتْ بها. ويجوز أن يكون هذه الأفعال[2] عطفًا على قوله: "جيء".[3]

---

[1] وفي هامش د: ما.

[2] ف: الأحوال.

[3] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني: النفخة الأخيرة. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٧/٢١.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قرئتْ مَنصُوبَةً ومَرفُوعةً.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ حِكايةُ ما يُقالُ لهُم في ذلك اليَوْم.

وفي مِثْلِ هذِه الحِكايةِ زِيَادَةُ تَصْوِيرٍ للمَوعُود، وتَمكينٍ له في النُّفُوسِ، وتَرْغِيبٍ في الحِرْص عَليه وعَلى ما يُثْمِرُه.

﴿فِي شُغُلٍ﴾: في أيِّ شُغْلٍ، وفي شُغْلٍ لا يُوصَفُ، وما ظَنُّكَ بِشُغلِ مَن سَعِدَ بدُخول الجنَّة التي هيَ دارُ المتَّقِين، ووَصَل إلى نَيْلِ تِلك الغِبْطَةِ وذلك المُلْكِ الكَبِيرِ والنَّعيمِ المُقيمِ، ووَقَعَ في تِلك المَلاذِّ الَّتِي أَعدَّهَا الله للمُرتَضَيْنَ من عبَادِه ثَوابًا لَهُم على أعْمَالِهِم مع كرامَةٍ وتعظِيمٍ، وذلك بعْد الوَلَهِ والصَّبابةِ،

قوله: (﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾) في كلام المصنّف في محلّ المبتدأ.[1] وقوله: (﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾) مرتبط به وفي حكمه، وقوله: **(حكايةُ)** خبره، كأنّه قال: هذان القولان حكايةُ ما يقال لهم. ويشير المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ القول مقدّر فيه، كأنّه قال: فيقال: "اليومَ لا تُظلَم".

قوله: **(في الحِرْص عليه)** أي: على الموعود، أي: يُرغّبهم في الحِرص على مفهوم ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾... إلخ. وقوله: **(وعلى ما يُثْمِرُه)** أي: على ما يُثمِر الموعودَ مِن الطاعات.

قوله: **(في أيِّ شُغل)** هذا فائدة تنكير[2] ﴿شُغُلٍ﴾.

قوله: **(وما ظَنُّك)**... إلخ بيان عِظَمِ شأن الشُّغل.

قوله: **(وذلك بعد الوَلَهِ)**... إلخ "ذلك" إشارة إلى مصدر "سَعِد" و"وصَل" و"وقَع"، يعني: والحال أنّ السعادة بدخول الجنّة، والوصولَ والوقوعَ في الملاذّ

---

[1] ف: الابتداء.
[2] ف: تنيكير.

والتَّفَصِّي من مَشَاقِّ التَّكليفِ ومَضَائق التَّقوَى والخشيَةِ، وتَخطِّي الأَهْوالِ، وتجَاوُز الأَخْطَارِ، وجَوازِ الصِّراطِ، ومُعَايَنةِ ما لَقِيَ العُصَاةُ من العذابِ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: في افتِضَاضِ الأَبكار. وعنه: في ضرْبِ الأَوتارِ.

وعن ابن كَيْسانَ: في التَّزاوُرِ، وقيل: في ضِيَافة الله.

وعن الحسن: شَغَلَهُم عمَّا فيه أَهْلُ النَّارِ التَّنعُّمُ بمَا هُم فيه.

وعن الكلبيِّ: هُم في شُغُلٍ عن أهَالِيهم مِن أهْل النَّارِ، لا يُهمُّهُم أمرُهمْ ولا يَذكُرونَهُم؛ لئلَّا يَدْخُلَ عَليهم تَنغِيصٌ في نَعِيمهم.

قرئ ﴿فِي شُغُلٍ﴾ بضمَّتين، وضَمَّةٍ وسُكُونٍ، وفتحَتين، وفَتحَةٍ وسُكُونٍ.

و"الفَاكهُ والفَكِهُ": المُتَنعِّمُ المُتَلذِّذُ، ومِنه: الفَاكهَةُ؛ لأَنَّه ممَّا يُتلذَّذُ به، وكذلك الفُكاهةُ وهي المُزَاحةُ.

وقرئ: ﴿فَٰكِهُونَ﴾، و: ﴿فَكِهون﴾ بكسر الكافِ وضَمِّهَا، كقَولهم: رَجُلٌ حَدِثٌ وحَدُثٌ ونَطِسٌ ونَطُسٌ.

حصلت بعد الوَلَه وباقي الأمور، وإنّما ذكره إشارةً إلى حصول زيادة الغِبطة والسرور بها، فإنّ المحصول بعد السَّعي والطلب أعزّ وأكرم مِن المُنساق بلا كدٍّ ولا تعَب.

قوله: (**في ضرب الأوتار**) "الأوتار" جمع الوَتَرِ بالتحريك، وهو في الأصل وَتَرُ القوس، ويريد به: الذي يُضرَب في اللّهو، كالعود وغيره.

قوله: (**في التزاوُر**) أي: زيارة بعضهم بعضًا.

قوله: (**رجل حدِثٌ وحَدُثٌ**) بضمّ الدال وكسرها: حَسَنُ / الحديث. [٣٠٢و]

قوله: (**ونَطِسٌ ونَطُسٌ**) اعلم أنّ المشهور في "النَّطِس" ضمّ الطاء، ولم أسمَع فيه الكسر، ولا آمَن أن يكون تصحيفًا، ويكون الصواب "النَدُس" بالدال، والله أعلم. قال في **الصحاح**: «التَنطُّس: المبالَغة في الطُّهْر، وكلُّ مَن أدقَّ النظر في الأمور واستقصى علمها فهو مُتَنطِّس. يقال منه: رجلٌ نَطُسٌ،

وقرئ: "فاكهين"، و: "فَكِهِينَ" على أنّه حَالٌ والظَّرفُ مُستَقِرٌّ.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿هُمْ﴾ يَحتَمِلُ أن يكون مبتدأ، وأن يكون تأكيدًا للضّمير في ﴿فِى شُغُلٍ﴾ وفي ﴿فَٰكِهُونَ﴾ على أنّ أزوَاجَهُم يُشَارِكْنهم في ذلك الشُّغْل والتَّفَكُّهِ والاتِّكاءِ على الأرَائكِ تحتَ الظِّلال.

وقرئ: ﴿فِى ظُلَلٍ﴾.

والأَرِيكَةُ: السَّريرُ في الحَجَلَة، وقيل: الفِراشُ فيهَا.

وقرأ ابنُ مسعُود رضي الله عنه: "متكئين".

وقد نَطِسَ -بالكسر- نَطَسًا، ومنه قيل للطبيب: نِطِّيسٌ، مثال: فِسِّيق، ونِطَاسِيٌّ أيضًا،[١] ويُروى نَطاسيٌّ بفتح النون».[٢] وقال أيضًا: «رجل نَدِسٌ ونَدُسٌ، أي: فَهِمٌ، وقد نَدِسَ بالكسر».[٣]

قوله: (**وقُرئ: "فَاكِهِينَ" و"فَكِهِينَ"**) أي: بالنصب.[٤]

قوله: (**والظرف مستقرّ**) يعني: يكون قوله: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

قوله: (**في[٥] ﴿فِى شُغُلٍ﴾**) أي: في الجارّ والمجرور، وإلّا فليس في ﴿شُغُلٍ﴾ ضمير.

قوله: (**على أنّ الأزواج[٦] يُشارِكْنَهم**) يعني: إذا كان ﴿هُمْ﴾ تأكيدًا للضمير يلزم الاشتراك في المذكورات، بخلاف ما إذا كان مبتدأ، فإنّه لا يلزم.

قوله: (**وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه:[٧] "مُتَّكِئِينَ"**) يعني قرأ ابن مسعود رضي الله عنه[٨] بنصب[٩] "مُتَّكِئِينَ".[١٠]

---

١ ن - أيضًا.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نطس».

٣ **الصحاح** للجوهري، «ندس».

٤ قراءتان شاذّتان، أمّا "فَاكِهِينَ" فمرويّة عن الأعمش وطلحة. وأمّا "فَكِهِينَ" فغير منسوبة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠١؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ٩/٧٥ (يس، ٥٥/٣٦).

٥ ف - في.

٦ في مطبوع **الكشّاف**: "أزواجَهم".

٧ د - رضي الله عنه.

٨ د - رضي الله عنه.

٩ ن - بنصب.

١٠ وهي قراءة شاذّة. وهي عنه كذلك في **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٩/٧٦ (يس، ٥٦/٣٦).

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾

﴿يَدَّعُونَ﴾: يَفتَعِلُون من الدُّعَاءِ؛ أي: يَدْعُونَ بهِ لأنفسهم؛ كقَولك: "اشْتَوى واجتَمَلَ": إذَا شَوى وجمَل لنَفسه؛ قال لبيدُ:

فـاشـتَـوَى لـيْـلـةَ ريـحٍ وَاجْـتَـمـلْ

ويجوز أن يكون بمعْنَى: يتَداعَوْنَه؛ كقولك: ارتَموْه وتَرامَوْهُ.

وقيل: يتَمنَّون، من قَولهم: "ادَّعِ عَليَّ ما شِئْتَ" بمعْنَى: تمَنَّهُ عَليَّ، وفُلانٌ في خَيْرِ ما ادَّعَى؛ أي: في خيْرِ ما تمنَّى. قال الزَّجاجُ: وهُو مِن الدُّعاء؛ أي: ما يدْعُو به أَهْلُ الجَنَّةِ يأتيهِم.

قوله:

(فـاشـتَـوى لـيـلـةَ ريـحٍ واجـتـمَـلْ)

وغـلامٍ أرسَـلَـتْـهُ أمُّـه بـأَلُـوكٍ فـبـذَلْـنـا مـا سـأَلْ
أرسـلـتْـه فـأتـاه[1] رزقـه فاشتـوى ليـلـةَ ريـحٍ واجـتـمَـلْ[2]

الأَلُوكُ: الرسالة.[3] والجميل: الشحم المُذاب، وتجمَّلَ إذا أكل الجميل، قالت امرأة لابنتها: "تَجمَّلي وتعفَّفي"، أي: كُلِي الشحم، واشربي العُفافةَ، وهي ما يبقى في الضَّرْع مِن اللبن.[4]

قوله: (بمعنى: يَتَداعونَه)[5] تداعَوا الشيءَ إذا دَعَوه،[6] ومثله: تبايَعاه، وتراءَوا الهلالَ.[7]

قوله: (وترامَوه) مِن: الرَّمْي.

قوله: (قال الزجّاج: «وهو مِن الدعاء»)[8] يعني: قال الزجّاج: "إنّ الادّعاء بمعنى التمنّي مِن الدعاء".[9] ثمّ شرع المصنّف في تفسير الآية بقوله: (أي: ما يدعو به).

---

[1] ن: فأثاه؛ ف: فآتاه.

[2] ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٧٨.

[3] الصحاح للجوهري، «ألك».

[4] الصحاح للجوهري، «جمل».

[5] وفي هامش د ف: فعلى الأوّل: "افتعل" يكون بمعنى الاتّخاذ، وعلى الثاني: بمعنى التفاعل، نحو: اجتَورُوا بمعنى تجاوَروا، أي: بمعنى المشاركة.

[6] في مطبوع المُغرب: "إذا ادَّعَوه".

[7] المُغرب للمطرّزي، «دعو».

[8] معاني القرآن للزجّاج، ٢٩٢/٤.

[9] وفي هامش د ف: أي: لهم ما يتّخذونه دعاء لأنفسهم مثل الرضوان مثلًا، أي: لهم ما يدعون الله به لأنفسهم.

﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾

و﴿سَلَٰمٞ﴾ بدَلٌ من ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾، كأنّه قال: لَهُم ﴿سَلَٰمٞ﴾ يُقالُ لَهُم ﴿قَوۡلٗا مِّن﴾ جهةِ ﴿رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾، والمعنى: أنّ الله يُسَلِّمُ عَلَيهم بوَاسِطَةِ المَلائكة -أو بغَيرِ واسطةٍ- مُبَالغةً في تعظِيمهم، وذلك مُتمنّاهُمْ ولهُم ذلك لا يُمنَعُونَه.

قال ابن عبّاسٍ: والمَلائكةُ يَدْخُلون عليهم بالتَّحيَّةِ من ربِّ العَالَمين.

وقيل: ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ مبتدأٌ وخَبَرهُ ﴿سَلَٰمٞ﴾ بمَعْنى: ولهُم ما يَدَّعُونَ سَالمٌ خَالصٌ لا شَوْبَ فيهِ.

و﴿قَوۡلٗا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لقَوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٞ﴾، أي: عِدَةً من رَبٍّ رَحِيمٍ.

والأوْجَهُ: أن ينتَصِبَ على الاختِصاص وهو من مَجَازِه.

وقرئ: "سِلْمٌ" وهو بمَعنى السَّلام في المَعنيين.

قوله: (﴿قَوۡلٗا﴾) مفعول مطلق لفعل محذوف، وذلك الفعل "يقال"، والضمير فيه يعود إلى ﴿سَلَٰمٞ﴾، والجملة صفة ﴿سَلَٰمٞ﴾.

قوله: (وذلك مُتَمنّاهم) أي: ذلك السلام مِن الله مُتمنّاهم؛ لأنّ ﴿سَلَٰمٞ﴾ بدل مِن ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾. وقوله: (ولهم ذلك) أي: السلام.

قوله: (سلامٌ[١] خالِصٌ) فيكون ﴿لَهُمۡ﴾ متعلّقًا بـ﴿سَلَٰمٞ﴾، أي: سالم.

قوله: (و﴿قَوۡلٗا﴾ مصدر مؤكِّد) أي: على هذا كأنّه قيل: وَعَدهم ذلك وَعْدًا.

قوله: (على الاختصاص) كأنّه قيل: أعني قولًا.

قوله: (وهو مِن مَحازِّه)[٢] أي: والنصب على الاختصاص مِن مَحازِّ[٣] هذا اللفظ.

قوله: (وهو بمعنى السلام) أي: "السِّلْم" في هذه القراءة[٤] بمعنى السلام

---

١ ف: سالم؛ وفي هامش د ن: سالم "نسخة"؛ وفي هامش ف: سلام "نسخة".

٢ ف: مَجازِه.

٣ ف: مَجازِ

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن محمّد بن كعب القرظي. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٢.

وعن ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: "سَلامًا" نصْبٌ على الحَالِ؛ أي: لهُم مُرادُهمْ خَالصًا.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾: وانفرِدُوا عن المؤمِنِينَ وكُونوا على حدَةٍ، وذلك حِينَ يُحشرُ المُؤمِنُونَ ويُسَارُ بهِم إلى الجَنَّة، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [الروم ٣٠/١٤-١٦].

يُقَالُ: مَازَهُ فانمَازَ وامتَازَ.

وعن قتادَة: اعتزِلُوا عن كلِّ خَيْرٍ.

وعن الضَّحَّاك: لكُلِّ كافرٍ بَيْتٌ منَ النَّارِ يَكُون فيه لا يَرَى ولا يُرَى. ومَعْناه: أنَّ بعْضَهُم يمتَاز مِن بعْضٍ.

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾﴾

"العهدُ": الوَصِيَّةُ، وعَهِدَ إليْه: إذا وصَّاهُ، وعَهْدُ الله إليْهِم: ما رَكَز فيهِم من أَدلَّة العَقْلِ، وأنْزَلَ عَليْهم مِن دلائِل السَّمْعِ، وعبَادَةُ الشَّيْطَانِ: طَاعَتُه فيما يُوَسْوِسُ به إليهم ويُزَيِّنُه لهم.

وقرئ: "إعْهَد" بكَسْر الهَمْزة، وبَابُ فَعِلَ كلُّهُ يجُوزُ في حُروفِ مُضَارعَتهِ الكَسرُ إلَّا في اليَاء، ....

في المعنيَين المذكورين للسلام. وقوله: **(وعن ابن مسعود: "سَلَامًا")**[١] يعني: في قراءته جاء النصب.

قوله: **(وذلك حين يُحْشر)** أي: يقال ذلك حين.

قوله: **(يقال: مازَهُ)**... إلخ يعني: أنّ ﴿ٱمۡتَٰزُواْ﴾ مُطاوِع "مازَهُ".

[١] قراءة شاذّة. انظر: **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٤٠٢.

و: "أَعهِد" بكسر الهَاء.

وقَد جَوَّز الزَّجَّاجُ أَنْ يكُونَ من باب ضَرَبَ يَضْرِبُ ونَعِم يَنْعِمُ.

و: "أَحْهَدْ" بالحاءِ و: "أَحُدْ" وهي لُغَةُ تَميمٍ، ومِنه قَولُهم: دَحًّا محًّا.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشَارةٌ إلى ما عُهِد إلَيْهِم مِن مَعْصِيَةِ الشَّيطَانِ وطَاعةِ الرَّحمنِ؛ إذ لا صِرَاطَ أَقْوَمُ مِنْه، ونحوُ التَّنكِيرِ فيه ما في قَول كُثَيِّرٍ:

لئِنْ كان يُهْدَى بَرْدُ أنيَابِهَا العُلَا لِأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ

قوله: (و"أَعْهِدْ" بكسر الهاء) أي: وقُرئ: "أَعْهِدْ".[1]

قوله: (ومنه قولهم: "دَحًّا مَحًّا") أي: "دَعْها مَعْها" بقلب العين والهاء حاءً،[2] كما في "أَحُدْ".[3]

قوله: (﴿هَٰذَا﴾ إشارة) أي: هذا العهد المذكور في قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾... إلخ صراط مستقيم. وقوله: (مِن معصيةِ الشيطان) مصدر[4] مضاف إلى المفعول.

قوله: (ونحوُ التنكير فيه)[5] أي: في ﴿صِرَٰطٌ﴾.

قوله:

[٣٠٢ظ] (لَئِن كان يُهْدَى)... / البيتَ[6]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن وثّاب. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٢؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ٧٧/٩ (يس، ٦٠/٣٦).

٢ ف: جاء.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن وثّاب. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٧٧/٩ (يس، ٦٠/٣٦)؛ و**الدرّ المصون** للسمين الحلبي، ٢٨٠/٩ (يس، ٦٠/٣٦).

٤ ن: بمصدر.

٥ وفي هامش د ف: على الوجه **الأوّل**: التنكير للتعظيم، مثل:

لـه حاجبٌ في كلّ عيب...(١)

وعلى **الثاني**: للتوحيد، مثل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور ٤٥/٢٤]. | (١) مِن بيت لابن أبي السَّمط في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ١٩٣/١، بلفظ:

لـه حاجبٌ في كلّ أمرٍ يَشينه
وليس له عن طالب العُرف حاجِبُ

٦ هو لعبد الله بن الدمينة في **ديوانه**، ص ٤٩.

أرَادَ: إِنَّنِي لَفقيرٌ بَليغُ الفَقرِ حَقِيقٌ بأن أُوصَفَ به لكمالِ شَرائطهِ فيَّ، وإلَّا لم يَستَقِم مَعنى البيْتِ، وكذلك قَولُه: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يُريدُ: صِرَاطٌ بليغٌ في بابِه بَليغٌ في استِقَامتهِ جَامِعٌ لكلِّ شَرْطٍ يجبُ أَنْ يكُونَ عليه.

ويجوز أَن يُرادَ: هذا بعْضُ الصُّرُط المُستَقِيمَةِ، تَوبيخًا لَهُم على العُدول عنه والتَّفَادِي عَن سُلوكه كما يَتفادَى النَّاسُ عن الطَّريقِ المُعوجِّ الَّذي يُؤدِّي إلى الضَّلالة والتَّهلُكةِ؛ كأنه قيل: أقَلُّ أَحْوالِ الطَّريق الَّذِي هُوَ أَقوَمُ الطُّرُقِ أَنْ يُعتَقدَ فيه كما يُعتقَدُ في الطَّريقِ الَّذِي لا يُضِلُّ السَّالِكَ؛ كما يَقُول الرَّجُلُ لوَلَدِه وقَد نصحَه النُّصْحَ البَالِغَ الَّذي لَيس بَعْدَه: "هذا فيما أَظُنُّ قَولٌ نافعٌ غيرُ ضارٍّ" تَوْبيخًا لَهُ عَلى الإِعرَاضِ عن نصَائحِه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قرئ ﴿جبلًا﴾ بضَمَّتين، وضمَّةٍ وسُكُونٍ، وضَمَّتَيْنِ وتَشْدِيدةٍ، ....

كأنّه قال: لَئن كان يُهدى لِأفقر منّي لا يتصوّر ذلك؛ لأنّه لا أفقرَ منّي، فإنّي الفقير على الإطلاق.

قوله: (**وكذلك قوله: ﴿هَٰذَا﴾**) أي: مثلُ البيت.

قوله:[1] (**ليس بعده**) أي: ليس بعده نُصحٌ.

قوله: (**توبيخًا**)... إلخ يعني: يُوبّخهم على العدول[2] عنه، ويقول: هذا طريق مِن الطرق المستقيمة، فلِمَ تَعدِلون عنه كما يُعدَل عن الطريق المُعوَجِّ؟

قوله: (**بضمّتين**) بغير التشديد.[3]

---

[1] وقعت هذه الحاشية في الأصول الخطيّة بعد تاليتها، وقدّمتها لتوافق ورودها في **الكشّاف**.

[2] ف: العذول.

[3] ن: التسديد. | قرأ بضمّتين وتخفيف اللام ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورُوَيس عن يعقوب، وروى رَوح عنه بضمّتين وتشديد اللام. وقرأ أبو عمرو وابن عامر بضمّ الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٥٥.

وكَسْرتَيْنِ، وكَسْرةٍ وسُكُونٍ، وكسرَتَيْنِ وتشدِيدَةٍ، وهذه لُغَاتٌ في معنى الخَلْقِ.

وقرئ: "جِبْلًا" جَمْعُ جِبْلَةٍ كفِطَرٍ وخِلَقٍ.

وفي قراءة عليّ رضي الله عنه: "جِيلًا" واحدُ الأَجْيالِ.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾

يُروَى أَنَّهم يَجْحَدُونَ ويُخاصِمُونَ فتَشهَدُ عَليهم جيرَانهُم وأهَالِيهِم وعَشائرُهم، فيَحلفُونَ ما كانُوا مُشْرِكين، فحينئذٍ يُخْتَمُ على أَفْوَاهِهِم وتُكَلِّمُ أَيْدِيهِم وأرْجُلهُمْ.

وفي الحَديثِ: «يَقُول العَبْد يومَ القِيامة إنِّي لا أُجِيزُ عَليَّ شَاهِدًا إلَّا مِنْ نَفْسِي، فيُختَمُ عَلَى فيهِ ويُقَالُ لأركانهِ: انْطقِي، فتَنْطِقُ بأعْمالِه، ثمَّ يُخَلَّى بَيْنهُ وبينَ الكلام فيَقُولُ: بعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا فعَنكُنَّ كنتُ أناضِلُ».

وقرئ: "يُخْتَمُ عَلى أَفْواهِهم وتَتَكَلَّمُ أيْدِيهم".

وقرئ: "ولِتُكلِّمَنا أيْديهم وتَشهَدَ" بلام كي والنَّصبِ على مَعْنَى: ولذلك نَخْتِمُ على أفواهِهم.

قوله: (وكسرتَين) بغير تشديد.[١]

قوله: (في معنى الخلْق) بمعنى المخلوق.

قوله: («كنت أُناضلُ»)[٢] ناضَله، أي: راماه، يقال: ناضَلتُ فلانًا فنَضَلْتُه، أي: غلبتُه، وانتَضَل القومُ وتَناضلوا، أي: رَمَوا للسَّبْق، ومنه قيل: انتضَلوا بالكلام والأشعار، وفلان[٣] يناضلُ عن فلانٍ؛ إذا تكلَّم عنه بعُذره ودفعَ عنه.[٤]

---

[١] ن: تسديد. | قرأ بكسرتين وتشديد اللام نافع وأبو جعفر وعاصم. وأمّا بكسرتين وتخفيف اللام فقراءة شاذّة، مرويّة عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٥٥؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٢.

[٢] صحيح مسلم، ٢/٣٥٥ (٢٩٦٩)؛ صحيح ابن حِبّان، ١٦/٣٥٨ (٧٣٥٨).

[٣] ن: فلان.

[٤] الصحاح للجوهري، «نضل».

وقرئ: "ولْتُكلِّمْنَا أيديهم ولْتَشْهَدْ" بلام الأمْرِ والجَزْم على أن الله يأمُرُ الأَعْضاء بالكلام والشَّهادةِ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦﴾

"الطَّمسُ": تعفيَةُ شَقِّ العَيْنِ حتى تعُودَ ممسُوحَةً.

﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ لا يخلُو من أن يكون على حذف الجارّ وإيصَال الفعل، والأصْلُ: فاستَبَقُوا إلى الصِّراط، أو يُضَمَّنَ مَعْنَى: ابتَدرُوا، أو يُجعَلَ الصِّراطُ مَسبُوقًا لا مَسبُوقًا إليهِ، أو ينتَصِبَ على الظَّرفِ.

والمعْنَى: على أنَّه لو شاء لمسَحَ أعيُنَهُم، فلو رَامُوا أن يَستَبِقُوا إلى الطَّريق المَهيعِ الذي اعتَادُوا سُلوكَه إلى مساكِنهم وإلى مَقاصِدِهم المَألُوفَة الَّتي تَردَّدُوا إلَيْها كثِيرًا كما كانوا يَسْتَبِقُون إليْه سَاعِينَ في مُتصرَّفَاتِهم مُوضِعين في أمُورِ دُنيَاهُم، لم يَقْدِرُوا وتعَايا عَلَيْهم أن يُبْصِرُوا ويَعْلمُوا جهَةَ السُّلوك فَضْلًا عن غيْره.

أَو: لو شَاء لأَعْمَاهُم فلو أرَادُوا أن يَمْشُوا مُستبِقينَ في الطَّرِيقِ المألُوفِ كما كان ذلك هجِّيراهُم لم يَسْتَطِيعُوا.

قوله: (**الطَّمْسُ: تَعفيةُ**) تَعَفَّتِ الدار: دَرَستْ. يقال: عَفَتِ الريحُ المنزلَ؛[1] دَرَسَتْه،[2] وعَفا المَنزِلُ[3] يعفو؛ دَرَس، يَتعدّى ولا يَتعدّى، وعَفَّتْها الرياح، شُدِّد للمبالغة.[4]

قوله: (**والمعنى: أنّه لو شاء**) هذا على حذف الجارّ والإيصال، أو على التضمين.

قوله: (**مُوضِعِين**) وضَعَ البعيرُ وغيره؛ أسرعَ في السير، وأوضَعَه راكبُه.[5]

قوله: (**وتعايا عليهم**) أعيا عليه الأمر وتَعَيَّا وتَعَايا.

قوله: (**أو لو شاء[6] لأَعماهم، فلو أرادوا**) هذا المعنى على تقدير النصب على الظرف.[7] و"الهِجِّيرَى": العادة.

---

١ د: المزل.

٢ ن - درسته.

٣ د: المزل.

٤ **الصحاح** للجوهري، «عفا».

٥ **الصحاح** للجوهري، «وضع».

٦ ن: ساء.

٧ ن: الطرف.

أو: لو شاءَ لأعمَاهُم فلو طَلبُوا أن يُخَلِّفُوا الصِراطَ الَّذي اعتَادُوا المَشيَ فيه لعَجزُوا ولم يَعرِفُوا طريقًا، يَعني: أنَّهم لا يَقدِرُونَ إلَّا عَلى سُلُوكِ الطَّريقِ المُعتَادِ دُون ما وَراءهُ مِن سَائر الطُّرُق والمَسَالكِ؛ كما تَرى العُميَانَ يَهْتَدُون فِيمَا أَلِفُوا وضَرُوا به من المقَاصد دونَ غَيْرِها.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝٦٧﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وقرئ: ﴿مكانَاتِهم﴾ والمكانةُ والمَكانُ واحدٌ كالمَقَامَة والمَقَام.

أَيْ: لمَسخْنَاهُم مَسْخًا يُجْمِدُهم مكانَهُم لا يَقدِرُون أَنْ يَبْرَحُوه بإقبَالٍ ولا إدْبارٍ ولا مُضيٍّ ولا رُجُوعٍ. واختُلِف في المسْخِ:

فعَن ابن عبَّاس رضي الله عنه: لمَسَخْناهُم قِردةً وخَنازيرَ، وقيل: حجَارةً.

وعن قتادة: لأقعَدْناهُم على أرْجُلِهم وأزْمَنَّاهُم.

وقرئ ﴿مُضِيًّا﴾ بالحركاتِ الثلاثِ، فالمُضِيُّ والمِضيُّ كالعُتيِّ والعِتيِّ، والمَضيُّ كالصَّبيِّ.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨﴾

﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾: نَقْلِبْهُ فيه فنَخلُقْه على عَكسِ ما خلقْناه قَبْلًا، وذلك أنَّا خلقنَاهُ على ضَعْفٍ في جسَدٍ وخُلوٍّ من عَقلٍ وعِلْم، ثمَّ جعَلناه يَتَزايَدُ ويَنتَقِلُ من حالٍ إلى حالٍ، ويَرْتقي من درجَةٍ إلى درجَةٍ إلى أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّه ويَسْتَكمِلَ قُوَّتَه،

قوله: (**أو لو شاء لأعماهم، فلو طلبوا**) هذا المعنى على أن يُجعل "الصراط" مَسبوقًا لا مَسبوقًا إليه، أي: تركوه كما يترك السابق المسبوق.

قوله: (**وضَرُوا به**) مِن ضَرِيَ بالشيء، أي: أُولِع به.

قوله: (**بالحركات الثلاث**) أي: في الميم.[1]

---

[1] القراءة بضمّ الميم في القراءة المتواترة التي عليها جمهور القرّاء، وأمّا كسر الميم فيها فهي قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيوة، والأنطاكي عن الكسائي، وكذلك فتح الميم قراءة شاذّة غيرُ منسوبة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٢؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٧٩/٩ (يس، ٦٧/٣٦).

ويَعْقِلَ ويَعْلَم ما لَهُ وما عَليه، فإذا انتهَى نكَسْنَاه في الخلْقِ فجَعَلْناه يَتناقصُ حتى يرْجِعَ في حالٍ شبيهَةٍ بحال الصَّبيّ في ضَعْفِ جسَدِه وقِلَّةِ عقْلِهِ وخُلوِّهِ من العِلْم، كما يُنكَسُ السَّهمُ فيُجعَلُ أعْلَاهُ أسْفَلَهُ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل ١٦/٧٠] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين ٩٥/٥] وهذه دِلالةٌ على أنَّ مَن يَنقُلُهم من الشَّبابِ إلى الهَرَمِ، ومِن القُوَّةِ إلى الضَّعْفِ، ومِن رَجَاحَة العقل إلى الخَرَف وقِلَّة التَّمييزِ، ومِن العِلم إلى الجهْلِ، بَعْد ما نَقَلهُم خِلافَ هذا النَّقلِ وعَكْسَه، قَادِرٌ على أن يَطْمسَ على أعيُنِهم ويَمْسَخَهُم عَلى مَكانتِهم ويَفعَلَ بهم ما شَاءَ وأرَادَ.

وقرئ بكسر الكاف، و: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ و: "نُنْكِسْه" من التَّنْكيس والإنكاسِ.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

كانوا يقُولُونَ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم: شاعِرٌ، ورُوِيَ أنَّ القَائل: عُقْبَةُ بنُ أبِي مُعَيْطٍ، فقيلَ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾؛ أي: وما عَلَّمناه بتَعْلِيم القرآنِ الشِّعْرَ، على مَعْنى: أنَّ القُرآن ليس بشعْرٍ وما هو مِن الشِّعْر في شيءٍ، وأيْنَ هُو عن الشِّعر؟

والشِّعْرُ إنما هو كلامٌ مَوزُونٌ مُقفًّى يَدُلُّ على مَعْنًى، فأينَ الوَزْنُ وأينَ التَّقفِيَةُ وأينَ المعَاني التي ينتحيهَا الشُّعَراءُ عن معَانِيه؟ وأين نظْمُ كلامهم عن نظمهِ وأسَاليبِهِ؟ فإذَنْ لا مُنَاسَبة بينه وبين الشِّعر إذا حَقَّقتَ، اللّٰهم إلَّا أن هذا لفظُه عَربيٌّ كما أنَّ ذاك كذلك.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾: وما يصِحُّ له ولا يَنْطَلِبُ لو طَلَبهُ؛ أي: جعَلْناه بحَيْث لو أراد قَرْضَ الشِّعْر لم يتأتَّ له ولم يتسهَّلْ، كما جعَلناه أُمِّيًّا لا يَتَهدَّى للخَطِّ ولا يُحْسِنُه؛ لتَكُون الحُجَّة أثبَتَ والشُّبهَةُ أَدْحضَ.

قوله: (﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ وما يصحّ) يقال: بَغَيْتُه فانبغى، أي: طلبتُه فحصل.

وعن الخليل: كان الشِّعر أحبَّ إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم مِن كثيرٍ من الكلام، ولكن كان لا يَتأتّى له.

فإن قلتَ: فقَوله:

أَنَـا الـنَّـبِـيُّ لا كَـذِبْ   أنـا ابـنُ عَـبْـد الـمُـطَّـلِـبْ

وقوله:

هَـل أنـتِ إلّا إِصْـبـعٌ دَمِـيْـتِ   وفـي سـبـيـلِ الله مـا لَـقِـيْـتِ

قلتُ: ما هُو إلّا كلامٌ من جنسِ كلامهِ الّذي كان يَرْمِي به على السَّلِيقة من غيْر صَنعةٍ فيهِ ولا تكلُّفٍ، إلّا أنّه اتَّفقَ من غَيْر قصْدٍ إلى ذلك ولا التِفاتٍ مِنه إليه أَنْ جَاء مَوزُونًا كما يتَّفِقُ في كثيرٍ من إنشاءَاتِ النَّاسِ في خُطَبهم ورسَائِلهم ومُحَاورَاتهم أَشْيَاءُ مَوْزُونَةٌ ولا يُسمِّيها أحَدٌ شِعرًا ولا يخطُر ببالِ المتكلِّم ولا السَّامعِ أنّه شِعرٌ، وإذا فتَّشتَ في كُلِّ كلامٍ عن نحْوِ ذلك وَجَدْتَ الواقعَ في أَوزان البُحُور غيرَ عزيزٍ، على أَنَّ الخلِيل ما كان يَعُدُّ المَشطُورَ من الرَّجَز شِعْرًا.

قوله: (**على السَّليقة**) أي: العادة.[1]

قوله: (**المشطورَ مِن الرَّجَز**) الرَّجَز "مُسْتَفْعِلُنْ" سِتَّ مرّات، والمشطور هو ما حُذف شطره، أي: نِصْفه، فيبقى ثلاثَ مرّات "مُسْتَفْعِلُن"، نحو: «هل أنتِ إلْ» مُستَفْعِلُن، «لا إصْبَعٌ» مُستَفْعِلُن، «دَمِيتِ»[2] فعولن، هو مقطوع مَخبون، والقطع أن يُحذف ساكن الوتَد، ويُسكّن ما قبله، والخَبْن أن يسقط الساكن الثاني. وقوله: (**على أنّ الخليل**)[3] يتعلّق بقوله: «هل أنتِ» كما ذكرنا، وأمّا «أنا النبيُّ»[4] فَرجَزٌ مَجزُوّ، والجَزْءُ أن يُحذف العَروضُ والضَرْب.

---

١ وفي هامش د ف: قوله: (وإذا فتَّشت في كلّ كلام عن نحو ذلك) أي: عن الكلام الموزون، فقوله: (وجدت الواقع) مِن قَبيل وضع الظاهر موضع المضمَر، فإنّ حقّه أن يقول: وجدتَه غيرَ عزيزٍ.

٢ مِن حديث عن جُندُب بن سفيان رضي الله عنه، قال: دَمِيَت إصبعُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بعض تلك المشاهد، فقال: «هل أنتِ إلّا إصبَعٌ دَمِيتِ، وفي سبيل الله ما لَقِيتِ». **صحيح البخاري**، ١٨/٤ (٢٨٠٢)؛ **صحيح مسلم**، ١٤٢١/٣ (١٧٩٦).

٣ انظر: **العين** للخليل، «رجز»، ٥٦/٦.

٤ مِن حديث عن البَراء رضي الله عنه، أنّ رجلًا جاء إليه فقال: أكُنتم ولَّيتم يومَ حُنين يا أبا عُمارة؟ فقال: أشهد على نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم ما ولّى... وفيه: فنَزَل ودَعا واستَنصر، وهو يقول: «أنا النبيّ لا كَذِب، أنا ابن عبد المطّلِب». انظر: **صحيح البخاري**، ٤٣/٤ (٢٩٣٠)؛ **صحيح مسلم**، ١٤٠١/٣ (١٧٧٦).

ولمَّا نَفى أن يكون القرآنُ من جِنْس الشِّعر قال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ يعني: ما هو إلَّا ذكرٌ من الله يُوعَظُ به الإنسُ والجنُّ كما قال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف ١٢/١٠٤] وما هُو إلَّا قرآنٌ كِتابٌ سَماوِيٌّ يُقرأُ في المَحارِيب ويُتْلَى في المُتَعبَّداتِ، ويُنالُ بتِلاوَتِه والعَملِ بما فيه فَوْزُ الدَّارَيْنِ، فكم بَيْنه وبَيْن الشِّعْر الَّذي هُو مِن همَزاتِ الشَّياطين.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾

﴿لِّيُنذِرَ﴾ القُرآنُ أو الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، وقرئ: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتاء، و: "لِيَنْذَرَ" بالياء مِن نَذِرَ به: إذا عَلِمهُ.

﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾؛ أي: عاقِلًا مُتَأمِّلًا؛ لأن الغافِل كالميِّتِ، أو: مَعْلُومًا منه أنَّه يُؤْمِنُ فيَحْيَى بالإيمان.

﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾: وتَجِبَ كلِمَةُ العَذابِ ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الَّذينَ لا يتَأمَّلُون ولا يُتوقَّعُ مِنْهم الإيمانُ.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾

﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾: مما تَوَلَّينَا نَحنُ إِحدَاثَهُ ولم يَقْدِر على تَوَلِّيهِ غيرُنَا، وإنَّما قال ذلك لبَدائع الفِطرةِ والحِكمة فيها الَّتي لا يَصِحُّ أن يَقْدِر عَليْها إلَّا هُو، وعَملُ الأَيْدِي اسْتعَارَةٌ من عَملِ مَن يعمَلون بالأيْدِي.

قوله: (مِن "نَذِرَ به" إذا عَلِمه) نَذِر القوم بالعدوّ -بكسر الذال- إذا علموا.[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «نذر». | وفي هامش د ف: قوله: (أي: عاقلًا متأمِّلًا) مِن قَبيل تخصيص العامّ، ومثل هذا يرجع إلى استعمال اسم الجزء في الكلّ. وقوله: (أو معلومًا منه)... إلخ أي: مَن كان حيًّا في علم الله تعالى، فإطلاق الحيّ على المؤمِن مِن قَبيل الاستعارة، والجامع بين الحيّ والمؤمِن هو صدور الأفعال مِن كلّ منهما على وجه الأصوب والأليق. وقوله: (وعَملُ الأيدي استعارة) أي: استعارة تمثيليّة، شُبّه حال الله في تَولّيه إحداثَ الإنعام بحال مَن يعمل الشيء بيده، كما أنّ ذلك المعمول يكون مختصًّا به، لا يكون غيره مشاركًا له فيه، فكذلك إحداث الإنعام مختصّ بالله تعالى، ولا يكون غيرُه مشاركًا له فيه، هذا تشبيه الغائب بالشاهد للبيان.

﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾، أي: خلقناها لأجلهم فملّكناها إيّاهم، فهم متصرِّفون فيها تصرُّف المُلّاك، مختصّون بالانتفاع بها لا يُزاحَمون، أو فهم لها ضابطون قاهِرون، مِن قوله:

أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا أملِكُ رأسَ البَعِير إنْ نَفَرا

أي: لا أضبِطُه.

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ٧٢﴾

وهو مِن جُملة النِّعم الظّاهِرة، وإلّا فمَن كان يَقدِرُ عَليْها لولا تَذليلُهُ وتَسخِيرُه لهَا؟ كمَا قال القائلُ:

يُصَرِّفُه الصَّبِيُّ بكُلِّ وَجْهٍ ويَحبِسُه على الخَسْفِ الجَريرُ
وتَضرِبُه الوَلِيدَةُ بالهَراوَى فَلا غِيَرٌ لَدَيْهِ ولا نَكِيرُ

قوله: (وهو مِن جملة)[1] هو عائد إلى "الضبط" الذي يدلّ عليه قوله: (هم لها ضابطون).

قوله: (كما قال القائل:

يُصَرِّفه الصبيُّ)... البيتين

قبله:

لقد عَظُمَ البعير بغير لُبٍّ فلم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ[2]

"الخَسْفُ": الذلّ والهَضْم. و"الجَرير": الخِطام المضفور مِن الأَدَم. و"الهَراوَى": جمع هِراوة، وهي العصا.[3] والمعنى: ترى البعير مع عِظَمِه وقوّته لمّا لم يَصحب عِظَمَه اللُّبُّ وقوّتَه التمييزُ لم يستغنِ بما أُعطيَ مِن ذلك؛ بل تراه مسخَّرًا للصبيّ على وجه التذليل،[4] والوليدة تضربه أوجعَ الضرب، فلا إنكارَ / منه ولا تغييرَ. [٣٠٣و]

---

[1] ف: حمله.

[2] ينسب إلى كثير عزّة، وهو في قسم الشعر المنسوب إليه مِن ديوانه، ص ٥٣٠.

[3] وفي هامش د ف: الهِراوة: العصا الضَّخمة، والجمع الهَراوَى بفتح الواو. صحاح. | الصحاح للجوهري، «هرا».

[4] ف: الذليل.

ولهَذا ألزمَ الله سبحانه الرَّاكبَ أن يَشكُرَ هذِه النِّعمَة ويُسبِّح بقَوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف ١٣/٤٣].

وقرئ: ﴿رَكُوبُهُمْ﴾ و: "رَكُوبَتُهُم"، وهُما ما يُركَبُ كالحَلُوب والحَلُوبةِ، وقيل: الرَّكُوبةُ جَمعٌ.

وقرئ: "رُكُوبُهم"؛ أي: ذُو ركُوبهم، أو: فمِن مَنافِعهَا رُكوبُهم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿مَنَٰفِعُ﴾ من الجُلُودِ والأَوْبارِ والأَصوَاف وغيرِ ذلك، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللَّبَنِ، ذكرَهَا مُجْمَلة وقد فصَّلهَا في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ الآية [النحل ٨٠/١٦].

والمشارِبُ: جمعُ مَشرَبٍ، وهُو مَوضعُ الشُّرْب، أو الشُّرْبُ.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اتَّخذُوا الآلهة طمعًا في أَنْ يَتقوَّوا بهم ويَعتَضِدُوا بمَكانهم، والأمْرُ على عكسِ ما قَدَّرُوا حيثُ هُم ﴿جُندٌ﴾ لآلهتِهم مُعَدُّونَ ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ يَخدُمُونهم ويَذُبُّونَ عَنهُم ويَغْضبُونَ لَهُم، والآلهةُ لا استِطاعةَ بهِم ولا قُدْرَةَ على النَّصْر.

أو: اتَّخذُوهُم لِينصُروهم عِند الله ويَشفعُوا لَهُم، والأمرُ على خِلافِ ما تَوَهَّمُوا، حيث هُم يومَ القِيامة ﴿جُندٌ﴾ مُعَدُّون لهُم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ لعَذابهم لأَنَّهم يُجعَلُون وَقُودًا للنَّار.

قوله: **(ولهذا)** أي: لكونه مِن النِّعَم العظيمة.

قوله: **(وغيرِ ذلك)** كالأشعار.[١]

قوله: **(ذَكَرها مُجْملةً)** أي: ههنا.

---

[١] وفي هامش د ف: جمع "شَعَر".

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ٧٦﴾

قُرِئَ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ بفتح الياء وضمِّهَا من حَزَنهُ وأَحْزَنه.

والمعنى: فلا يُهِمَّنك تكْذِيبُهم وأَذَاهُم وجفَاؤُهم فإنَّا عالِمُونَ بـ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ من عَداوَتِهم، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وإنَّا مُجَازُوهم عليه، فحقُّ مِثلِك أَنْ يَتسلَّى بهذا الوَعيدِ ويَستحضِرَ في نفْسِه صُورةَ حَالِه وحَالِهم في الآخِرة حَتَّى يَنقَشِعَ عَنْه الهَمُّ ولا يَرْهَقَهُ الحُزْنُ.

فإن قلتَ: ما تقُول فيمَنْ يقُول: إنْ قرأ قَارئٌ: "أَنَّا نعلمُ" بالفتحِ انتقَضتْ صلاتُه، وإن اعتقَد ما يُعْطِيه من المَعنى: كفَر.

قلتُ: فيه وَجْهان:

أحدُهما: أَن يكون على حَذف لام التَّعْليل، وهو كَثيرٌ في القرآنِ والشِّعْرِ وفي كُلِّ كلامٍ، وقياسٌ مُطَّرِدٌ، وهذا معناه ومَعْنى الكَسْر سَواءٌ، وعليه تَلْبِيَةُ رَسُول الله: ....

قوله: (**انتقضَت صلاتُه**) لأنّه يلزم أن يكون حزْنُه متعلِّقًا بكون الله تعالى عالِمًا بما يُسرُّون وما يعلنون.

قوله: (**قلتُ: فيه وجهان**) أي: في الفتح وجهان. وحاصل المعنى: أنّه لا يلزم مِن الفتح فساد المعنى؛ لأنّ للفتح وجهين؛ التعليل والبدل، فيُحمل على التعليل -لا على البدل- ليستقيم المعنى. وكذا للكسر وجهان؛ التعليل وأن يكون مَقُولًا[١] للقول، فيحمل على الأوّل -لا الثاني- ليستقيم المعنى، ثمّ أشار إلى أنّه لو حُمل الفتح على البدل والكسرُ على أنّه مقول لا يَفسُد المعنى بقوله: (**ثمّ إن قدَّرتَه**)... إلخ.

قوله: (**على حذف لام التعليل**) فيكون المعنى: تعليل النَّهي بذلك، كما كان المعنى في الكسر كذلك على ما مرّ.

---

١ ف: معتما.

"إنَّ الحمْدَ والنِّعْمةَ لك" كسَر أبو حَنِيفةَ وفَتَح الشَّافعيُّ وكلاهُما تغْلِيلُ.

والثاني: أن يَكُون بَدَلًا مِن ﴿قَوْلُهُمْ﴾ كأنَّه قِيل: فلا يحزنك أنَّا نعلَمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلنون، وهذا المَعْنى قَائِمٌ معَ المَكسُورة إذا جعَلْتَها مَفعُولةً للقَول.

فقد تبَيَّنَ أَنَّ تعَلُّقَ الحُزْن بكَونِ الله عَالمًا وعَدَمَ تعَلُّقِه لا يَدُورَانِ على كَسْر "إنَّ" وفتحِها، وإنَّما يَدُورانِ على تَقْدِيرك فتَفصَّلْ إن فتَحْتَ بأن تُقَدِّرَ مَعْنَى التَّعْليل ولا تُقَدِّرَ البَدَل، كما أَنَّكَ تتفَصَّلُ بتقْدِير مَعْنَى التَّعْلِيلِ إذا كسَرْتَ ولا تُقَدِّرُ مَعْنَى المَفعُوليَّةِ، ثمَّ إِنْ قدَّرتَهُ كاسِرًا أو فَاتِحًا على ما عَظَّم فيهِ الخَطْبَ ذلك القائلُ فما فيه إِلَّا نَهْيُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم عن الحُزْنِ على كَوْنِ الله عَالِمًا بسِرِّهم وعَلانِيَتِهم، ....

قولـه:[١] («**إنّ الحمـدَ والنعمـةَ**») «لبّيـك، لبّيـك[٢] اللّٰهـمّ لبّيـك، إنّ الحمـدَ والنعمةَ لك».

قوله: (**فتَفْصِل**)[٣] أي: تخرُج مِن عُهْدة[٤] المعنى، أو مِن لزوم فساد المعنى، وهو مِن قولهم: فصل مِن الناحية، أي: خرج.

قوله: (**بأن تُقدِّر معنى التعليل**) ليَستقيم المعنى. وقوله: (**ولا تُقدِّرَ[٥] البدل**) لئلّا يَفسُدَ المعنى. وقوله: (**كما[٦] أنّك تَفْصِل**)[٧] أي: كما تفصل بأن تقدّرَ معنى التعليل إذا كسرتَ ليستقيم المعنى.

قوله: (**ولا تُقدِّر معنى المفعوليّة**) وإلّا لفسَد كما ذكرتُ.

قوله: (**كاسِرًا**) حال، وكذلك قوله:[٨] (**فاتِحًا**).

---

١ ن + قوله.

٢ كذا في النسخ الخطّيّة بتكرير كلمة "لَبّيك"، وقد جاء ذلك في رواية عند الإمام أحمد. انظر: **مسند الإمام أحمد**، ٤٨١/٤ (٢٧٥٤)؛ **والفتح الربّاني** للساعاتي، ١٨٦/١١. وهو بغير تكرير في **صحيح البخاري**، ١٣٨/٢ (١٥٤٩)؛ **وصحيح مسلم**، ٨٤١/٢ (١١٨٤).

٣ في مطبوع الكشّاف: "فتفضل".

٤ ف: عُهده.

٥ ن: ولا تقدَّر.

٦ ن: كلما.

٧ في مطبوع الكشّاف: "تتفضل".

٨ ف - قوله.

وليس النَّهيُ عن ذلك ما يُوجِبُ شيئًا، ألا تَرى إلى قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص ٢٨/٨٦] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص ٢٨/٨٧] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢١٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾

قَبَّح اللهُ عزَّ وجل إنكارَهم البَعْثَ تقبيحًا لا تَرى أَعْجَبَ مِنه وأَبلغَ، وأَدَلَّ على تمَادِي كُفْرِ الإنسَان وإفراطِهِ في جُحُود النِّعم وعُقُوقِ الأَيادي، وتوغُّلِهِ في الخِسَّة وتَغَلْغُلِهِ في القِحَةِ، حيثُ قرَّره بأنَّ عُنصُرَه الَّذي خَلقَه منهُ هُو أخَسُّ شيءٍ وأمهَنُه، وهو النُّطفة المُذِرَةُ الخارِجَةُ من الإحْليلِ الَّذي هو قَناةُ النَّجَاسَة، ثمَّ عجَّب من حالِه بأنْ يَتَصَدَّى مِثلُه على مَهَانةِ أَصْلِه ودَناءَةِ أوَّلِه لمُخَاصَمة الجبَّار، ويُبْرِزَ صَفْحَتَه لمُجادَلتِه، ويَركبَ متْنَ الباطِلِ، ويَلِجَّ ويَمحكَ ويقُولَ: مَن يقْدِرُ على إحياءِ الميِّتِ بعدما رمَّتْ عِظامُه؟! ثم يَكونَ خصَامُه في أَلْزَمِ وصْفٍ له وأَلْصَقِهِ به، وهو كونُه مُنْشَأً من مواتٍ وهو يُنكر إنشَاءَهُ من موَاتٍ، وهي المكابرةُ الَّتي لا مَطْمَحَ وَراءهَا.

ورُوِي: أنَّ جمَاعةً من كُفَّار قُريْشٍ منهم أبيُّ بنُ خَلفِ الجُمحيُّ وأبو جَهلٍ والعَاصُ بنُ وَائلٍ والوَليدُ بن المُغيرة تَكلَّموا في ذلك، فقال لهُم أُبيٌّ: ألا تَرونَ إلى ما يقولُ محمَّدٌ: إنَّ الله يَبْعَثُ الأمواتَ! ....

قوله: (ما[١] يوجب شيئًا) أي: شيئًا مُفسِدًا للمعنى.

قوله: (في القِحَة) وَقُحَ الرجلُ؛ إذا صار قليلَ الحياءِ، فهو وَقِحٌ ووَقاحٌ، بيِّنُ القِحةِ والقَحةِ والوَقاحة.[٢]

قوله: (ويَمْحَكَ) المَحْكُ: اللَّجاج.[٣]

---

[١] في بعض مطبوعات الكشّاف: "ممّا".

[٢] الصحاح للجوهري، «وقح».

[٣] **الصحاح** للجوهري، «محك».

ثم قال: واللاتِ والعُزَّى لأَصِيرَنَّ إليه ولأَخْصِمَنَّهُ، وأَخَذ عَظْمًا بَالِيًا فجَعل يَفُتُّهُ بيَدِه ويقُولُ: يا محمَّدُ! أتَرَى اللهَ يُحْيِي هذا بعْدَما رمَّ؟! قال صلى الله عليه وسلم: «نعَم، ويَبْعَثكَ ويُدخلكَ جَهنَّم».

وقيل: مَعنى قَولِهِ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: فإذا هو بَعْدَما كان ماءً مَهِينًا رَجُلٌ مُميِّزٌ مِنْطِيقٌ قَادِرٌ على الخِصَام ﴿مُبِينٌ﴾: مُعْرِبٌ عمَّا في نفسِه فصِيحٌ كما قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف ١٨/٤٣].

فإن قلتَ: لمَ سَمَّى قَولَه: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ مَثَلًا؟

قلتُ: لِمَا دَلَّ عليه مِن قصَّةٍ عجيبَةٍ شَبيهَةٍ بالمثَل، وهي إِنْكارُ قُدْرة الله على إحيَاء المَوتى.

أو لِمَا فيه من التَّشْبِيهِ؛ لأنَّ ما أُنكِر من قَبِيلِ ما يُوصَفُ الله تعالى بالقُدْرة عليه بدليلِ النَّشأَة الأُولى، فإذا قِيلَ: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾؟ على طريقِ الإِنْكار لأَنْ يكُون ذلك ممَّا يُوصَف الله تعالى بكَونه قادرًا عليه، كان تعجيزًا للهِ وتشبيهًا له بخَلْقِه في أنَّهم غيرُ مَوصُوفينَ بالقُدْرةِ عليه.

و"الرَّمِيمُ": اسمٌ لِمَا بَلِيَ من العِظَام غَيْرُ صِفةٍ كالرِّمَّةِ والرُّفاتِ، فلا يُقالُ: لِمَ لَم يُؤنِّثْ وقد وَقع خبرًا لمؤنَّثٍ، ولا: هو فَعِيلٌ بمَعنى فاعلٍ أو مفعُولٍ؟

قوله: **(ولأَخْصِمَنَّه)** أي: لأغلِبنَّه في الخصومة، وهو بكسر الصاد كما ذكرنا في الحاشية، تقريرها عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس ٤٩/٣٦].

قوله: **(مِن قَبِيل)** خبر "أنّ"، أي: هذا الذي أنكره هو مِن جملة الأشياء التي يُوصَف الله تعالى بالقدرة عليه. وقوله: **(بدليل)** متعلّق بقوله: "مِن قَبِيل"، أي: كائنٌ مِن جملته، بدليل أنّه قادر على النشأة الأولى، فيجب أن يكون قادرًا على النشأة الثانية.

قوله: **(ولا هو فعيل)** عطفٌ على قوله: **(لِمَ لَم يؤنَّث؟)** أي: فلا يقال: لِم لَم يؤنَّث؟ لأنّه اسم غير صفة، ليس فيه ضمير فلا يُؤنَّث، ولا يقال أيضًا: هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأنّه اسم غير صفة، فليس بمعنى فاعل ولا مفعول.

ولَقَد استَشهَد بهذه الآية مَن يُثبِت الحيَاةَ في العظامِ، ويقُول: إنَّ عظامَ الميْتَةِ نجِسَةٌ لأنَّ الموتَ يُؤثِّر فيها من قِبَلِ أنَّ الحيَاةَ تَحُلُّها.

وأمَّا أصحابُ أبي حنيفة رحمهم الله فهي عِندهم طاهِرةٌ، وَكذلك الشَّعَرُ والعَصَبُ، ويزعُمونَ أنَّ الحيَاة لا تحُلُّهَا فلا يُؤثِّرُ فيها الموتُ، ويقُولُون: المرادُ بإحياءِ العظام في الآية: رَدُّهَا إلى ما كانَتْ عَليه غَضَّةً رَطبَةً في بَدَنٍ حيٍّ حسَّاسٍ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: يَعلم كيف يَخلُقُ، لا يتعَاظمُه شيءٌ من خلقِ المُنشَآتِ والمُعَادَاتِ، ومِن أجْنَاسِها وأنواعِها وجَلائِلها ودَقائِقها.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾

ثم ذكَر من بدائع خَلْقِه انقِداحَ النَّارِ من الشَّجرِ الأَخْضَرِ مَع مُضَادَّةِ النَّار المَاءَ وانْطِفَائها به، وهي الزِّنَادُ التي يُورِي بها الأَعْرابُ وأكثَرُهَا مِن المَرْخِ والعَفَار، وفي أمثالهم: "في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واستَمجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ"، يَقطَعُ الرَّجُلُ مِنهما عُصَيَّتَينِ مثْلَ السِّواكين وهُما خَضراوَانِ يَقْطُرُ منهما الماء، فيَسحَقُ المَرْخَ وهو ذَكَرٌ على العَفارِ وهيَ أُنثَى فتَنْقَدِحُ النَّارُ بإذن الله تعالى.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليس من شجَرةٍ إلَّا وفيها نَارٌ إلَّا العُنَّابَ.

قالوا: ولِذلك تُتَّخذ مِنه كُذِينَقَاتُ القَصَّارِين.

قوله: («واستَمْجَدَ المَرْخُ») يقال: مَجَدتُ الدابّة أمجُدها مَجدًا، أي: عَلفتُها مِلأَ بطنِها. ومعنى المَثَل: أنّهما استكثَرَا منها، كأنّهما أخذا مِن النار ما هو حَسبُهما، ويقال: لأنّهما يُسرعان الوَرْيَ،[1] فشُبّها بِمَن يُكثِر العطاء طلبًا للمَجد.[2]

قوله: (يقطع)... إلخ جملة مستأنَفة مبيّنة للجملة المتقدّمة.[3]

---

[1] ف: الوَرَى.

[2] الصحاح للجوهري، «مجد». وانظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢/٧٤.

[3] وفي هامش د ف: قوله: (كُذِينَقاتُ القصّارين) الكُذِينَقُ: الذي يَدُقّ به القَصّار، ليس بعربي، وهو الذي تدعوه العامّة: كُوذِينا. مِن معرَّب الكلام لابن الجواليقي. | المُعرَّب للجواليقي، ص ٢٩٤. وانظر: المُغرب للمطرّزي، «كذنق»؛ ولسان العرب لابن منظور، «كذنق».

﴿ٱلۡأَخۡضَرِ﴾ على اللَّفظ، وقرئ: "الخضراء" على المعنى، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۞ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۞ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾ [الواقعة ٥٦/٥٢-٥٤].

﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١﴾

مَن قَدَر على خلْق السَّماواتِ والأرْض مع عِظَمِ شَأنِهما فهو على خلْقِ الأَنَاسِيِّ أَقدَرُ، وفي مَعْناه قولُه تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر ٤٠/٥٧].

وقرئ: ﴿يَقْدِرُ﴾.

وقَولُه: ﴿أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾ يحتمِل مَعْنَيين: أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم في الصِّغَر والقَماءةِ بالإضافةِ إلى السَّماوات والأرْض، أو: أَنْ يُعِيدَهم؛ لأن المُعَاد مِثْلٌ للمُبْتَدأ وليس به.

﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾: الكثيرُ المخلُوقاتِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: الكثيرُ المَعلوماتِ.

وقرئ: "الخالِقُ".

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ﴾: إنَّما شأنُه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾: إذا دعَاه دَاعِي حِكْمةٍ إلى تكْوِينهِ ولا صَارِفَ ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾: أَنْ يُكوِّنَهُ مِن غير توقُّفٍ، ﴿فَيَكُونُ﴾ فيَحْدُث؛ أي: فهوَ كائنٌ مَوجُودٌ لا مَحالةَ.

فإن قلتَ: ما حقيقةُ قوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾؟

قلتُ: هو مجازٌ من الكلام وتَمثِيلٌ لأنَّه لا يَمتنِعُ عليه شَيءٌ من المُكوَّناتِ، وأنَّه بمنزلة المأمور المُطِيع إذا وَرد عليه أَمْرُ الآمِر المُطاع.

قوله: **(وليس به)** هذا يتعلَّق بأنَّ إعادة المعدوم بعينه هل يمكن أم لا؟

فإن قلتَ: فما وجهُ القراءتين في ﴿فيكُون﴾؟

قلتُ: أمَّا الرَّفعُ فلِأنَّها جُملةٌ من مُبْتدأ وخَبرٍ؛ لأنَّ تقْديرَها: فهو يكونُ، مَعطُوفةٌ على مِثْلِها وهي ﴿أَمْرُهُۥٓ... أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾.

وأمَّا النَّصبُ فلِلعَطفِ على ﴿يَقُولَ﴾.

والمعْنَى: أنَّه لا يجُوزُ عليه شيءٌ ممَّا يجُوزُ على الأَجْسَام إذا فعَلَتْ شَيئًا ممَّا تَقْدِرُ عَليه من المُبَاشَرة بمحَالِّ القُدَرِ واستِعمال الآلاتِ وما يَتبَعُ ذلك من المشَقَّةِ والتَّعَبِ واللُّغُوبِ، إنَّما أمرُه -وهُو القَادرُ العَالِمُ لذاتِه- أن يَخلُص دَاعِيهِ إلى الفِعلِ فيَتكوَّنَ، فمِثْلُهُ كيفَ يَعجزُ عن مَقْدُورٍ حَتَّى يَعجزَ عن الإعَادةِ.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَسُبْحَـٰنَ﴾ تَنْزِيهٌ لهُ ممَّا وَصَفهُ به المُشرِكُونَ، وتعجيبٌ من أن يقُولوا فيه ما قالُوا.

﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ هُو مالكُ كلِّ شيءٍ والمتصرِّفُ فيه بمَواجِب مشيَّتِه وقضَايَا حكْمتِه.

وقرئ: "مَلَكةُ كلِّ شيءٍ" و: "مملَكةُ كلِّ شيءٍ" و: "مُلْكُ كلِّ شيءٍ"، والمعنى واحِدٌ.

﴿ترجعون﴾ بضم التاءِ وفتحهَا.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كُنتُ لا أَعْلَم ما رُويَ في فضَائلِ يسٓ وقراءتها كيف خُصَّتْ بذلك، فإذا إنَّه لهَذِه الآيةِ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لكُلِّ شَيءٍ قَلْبًا وإنَّ قلْبَ القُرآنِ يسٓ، مَن قرَأ يسٓ يُرِيدُ بها وجْهَ الله غَفرَ اللهُ له وأُعْطِيَ مِن الأَجْر كأنَّما قَرأ القرآنَ

قوله: (مِن المباشَرة) بيان ما في قوله: (ممّا يجوز). وقوله: (**بمحالّ القدرة**) نحو اليد في الأفعال، اليَدُ تُفعَلُ باليَدِ، ونحو اللسان والرِّجل إلى غير ذلك. وقوله: (**أن يَخلُصَ**) يقال خَلَص إليه، أي: وصلَ إليه.

اثنتيْنِ وعِشرين مَرَّةً، وأيُّما مُسْلِمٍ قُرِئَ عِنْده إذا نَزلَ به مَلكُ الموت سُورةُ يس نزَلَ بِكُلِّ حَرْفٍ فيهَا عَشرةُ أمْلاكٍ يقومُونَ بيْن يدَيْه صُفوفًا يُصَلُّونَ عَليه، ويَستغفِرُونَ له، ويشهَدُون غسْلهُ، ويتَّبِعُونَ جَنازتَه، ويُصَلُّونَ عَليْه، ويشهَدون دَفْنهُ، وأيُّما مُسْلمٍ قَرأ يَس وهُو في سَكراتِ الموت لم يقبِضْ مَلكُ الموت رُوحَه حتى يُحيِّيَهُ رِضْوانُ خَازنُ الجنَّة بشَربةٍ من شَرابِ الجنَّة يَشرَبُها وهو على فِراشهِ فيَقبِضُ مَلك الموتِ رُوحَهُ وهو رَيَّانُ، ويَمْكُثُ في قَبْره وهُو رَيَّان، ولا يحْتاجُ إلى حَوضٍ من حيَاضِ الأنبياء حتى يدْخُلَ الجنَّةَ وهُو ريَّانُ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في القرآنِ سُورةً يُشفِّعُ قَارِئُها ويُغْفَر لمُستَمِعِهَا، ألَا وَهيَ سُورَةُ يس».

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

[1] د ف – تعالى؛ ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى.

سورة الصافات

مكيةٌ، وهي مئة وإحدى وثمانون، وقيل: واثنتان وثمانون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾

أَقسَم سُبْحَانهُ بِطَوائف المَلائكة، أو بنفُوسهِم الصَّافَّاتِ أقدامَها في الصَّلاة من قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات ١٦٥/٣٧] أو أجنحتَها في الهواء وَاقفةً منتظرةً لأمْر الله، ....

/ سورة والصافات [٣٠٣ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (**بطوائف الملائكة**)... إلخ يشير إلى أنّه إنّما جُمع بالألف والتاء وقال: ﴿ٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، ولم يُجمَع بالواو والنون، نحو أن يقول: "الصَافِين؛ لأنّه أراد طوائف الملائكة، وكلّ طائفة مؤنّث، فيكون جمعَ المؤنّث؛ فلذلك جمع بالألف والتاء، أو لأنّه أراد نُفوسَهم، والنفس مؤنّث، فلذلك جمع بالألف والتاء أيضًا. وقوله: (**الصَافَاتِ**) صفة لكلّ طائفة مِن الملائكة أو نفوسِهم. وقوله: (**مِن قوله**) أي: أُخِذ هذا المعنى مِن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا﴾ [الصافات ١٦٥/٣٧].

قوله: (**واقِفةً**) حال مِن الضمير في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، لكن باعتبار المعطوف، وهو أجنحتها، لا باعتبار المعطوف عليه، فتأمّل. وقوله: (**مُنتَظِرةً**) حال بعد حال مِن الضمير في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾، فيكون الحالان مترادفتَين، أو مِن الضمير في "واقِفةً"، فتكونان متداخلتَين.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ السَّحابَ سَوْقًا، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ لكلام الله مِنَ الكُتُبِ المُنْزَلة وغَيْرِها.

وقيل: "الصافاتُ": الطَّيْرُ، من قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [النور ٢٤/٤١] و"الزَّاجرَاتُ": كلُّ ما زَجَر عن مَعاصي اللهِ، و"التَّاليَاتُ": كلُّ مَن تَلا كتابَ الله.

ويجُوز أن يُقسِمَ بنفُوسِ العلماء العُمَّالِ الصَّافاتِ أَقْدامَها في التَّهجُّد وسائرِ الصَّلواتِ وصُفوفِ الجماعاتِ، فالزَّاجِراتِ بالمواعظِ والنَّصائح، فالتَّاليَاتِ آياتِ اللهِ والدَّارِسَاتِ شرائعَهُ.

أو بنفُوس قُوَّادِ الغُزاة في سبيل الله التي تَصُفُّ الصُّفُوفَ، وتَزجُرُ الخيْلَ للجهادِ،

قوله: (﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ السحابَ سَوقًا) "السحابَ" مفعول "الزاجِراتِ"، و"سَوْقًا" مفعول له، أو حال مِن الضمير في "الزاجِراتِ"، أو مصدر مِن غير لفظ الفعل؛ لأنَّ الزَجْر السَّوْقُ، يقال: زجَرَ البعيرَ، أي: سَاقَه. وعلى الوجهين الأوَّلين[١] يكون "الزاجِراتِ" مِن الزَّجْر بمعنى: النهي والمنع، كأنّها تمنعُه عن الوقوف أو عن الذهاب إلى بعض المواضع ليذهب إلى الموضع الذي يريد ذهابَه إليه.

قوله: (مِن قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ﴾... [النور ٢٤/٤١].

قوله: (و"الزاجِرات" كلُّ ما زَجَر) فالزَّجْر[٢] على هذا الوجه بمعنى:[٣] المنع والنهي.

قوله: (و"التاليات" كلُّ مَن تلا) صرَّح بعد ذلك بأنّه يريد في هذا الموضع كلَّ نفس تلا كتابَ الله تعالى.

قوله: (قُوّادِ الغزاةِ) يريد رؤساءَ الغازين. قال المطرِّزي في **المُغرب**: «قادَ الفرَسَ قَوْدًا وقِيادًا، والقائد[٤] خلاف السائق، ومنه القائد لواحد القُوّاد والقادة، وهو مِن رؤساء العسكر، ومصدره القِيادة».[٥]

---

١ وفي هامش د ف: الأخيرين.
٢ ن - فالزجر.
٣ ف: لمعنى.
٤ ن: والعائد.
٥ **المُغرب** للمطرّزي، «قود».

وتَتْلُو الذِّكرَ معَ ذلك لا تَشْغَلُها عنه تِلك الشَّواغِلُ، كما يُحكَى عن عليّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه.

فإن قلتَ: ما حُكمُ الفَاء إذا جاءت عَاطِفةً في الصِّفاتِ؟

قلتُ: إمَّا أَن تَدُلَّ على تَرتُّبِ مَعانِيها في الوُجُود كقَوله:

يَـا لَـهـفَ زَيَّـابَـةَ لِـلـحَـارِثِ الصْـ ـصَـابِـحِ فـالـغَـانِـم فـالآيِـبِ

كأنَّه قال: الَّذي صَبَح فغَنِم فآبَ.

وإمَّا على تَرتُّبهَا في التَّفاوُتِ من بعض الوُجوه؛ ....

قوله: **(كما يحكى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه)** يريد ما رُوي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[١] مِن خُطَبه في أيّام صِفّين، وفي مَشاهده مع البغاة والخوارج المشتملة على البلاغة والبيان ولطائفِ المعاني وبليغاتِ المواعظ.

قوله: **(في التفاوُت)** تفاوَتَ الشيئان، أي: تباعَد ما بينهما، تفاوُتًا بضمّ الواو. ابن السِّكّيت: قال الكِلابيُّون في مصدره: تَفاوَتًا، ففتَحوا الواوَ. وقال العنبري:[٢] "تَفاوِتًا"، فكسَر[٣] الواوَ، وحكى أيضًا أبو زيد: تفاوَتًا وتفاوِتًا، بفتح الواو وكسرها، وهو على غير قياس؛ لأنّ المصدر مِن تَفاعلَ مضموم العين إلّا ما رُوي في هذا الحرف.[٤]

ثمّ اعلم أنّ المراد بقوله: **(ترتُّبها في التفاوت)** أنّه حصل لبعضها رِفعةٌ وقَدْرٌ ليس للبعض الآخر، فيكون الآخر متأخِّرًا عنه بهذا المعنى؛ وإن لم يتأخّر عنه في الوجود، وإنّما عُطِف "المُقصّرين" بالفاء لأنّ قَدْرَ المُقصِّر واعتبارَه عند الله تعالى / متأخّر عن قدر المُحلِّق.[٥] [٣٠٤و]

---

١ د - رضي الله عنه؛ ف - يريد ما روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢ ن: وقالو العنبر.

٣ ف: بكسر.

٤ الصحاح للجوهري، «فوت».

٥ ف ن: المخلق.

كقولك: "خُذ الأفضلَ فالأكمَلَ"، و: "اعمَل الأحسنَ فالأجملَ".

وإمّا على تَرتُّبِ مَوصُوفاتِهَا في ذلك؛ كقولك: "رحِمَ اللهُ المُحَلِّقِين فَالمُقَصِّرِينَ".

فعَلى هذه القَوانين الثَّلاثة ينسَاقُ أَمْرُ الفاء العاطِفةِ في الصِّفاتِ.

فإن قلتَ: فعلى أيِّ هذهِ القَوانِين هي فيما أنْتَ بصَددِه؟

قلتُ: إنْ وَحَّدْتَ الموصُوفَ كانتْ للدَّلالة على تَرتُّبِ الصِّفاتِ في التَّفاضُلِ، وإن ثلَّثْتَهُ فهي للدَّلالةِ على ترتُّب المَوصُوفاتِ فيه.

ثمّ اعلم أنّ قوله: **(الأفضلَ فالأكملَ)** في معنى قولك: الأفضلَ فالأفضلَ، وفي معنى قولك: الأكملَ فالأكملَ، لكن ما[١] كَرّر؛[٢] بل أتى بلفظٍ مرادف، وكذا الأحسنَ فالأحسنَ.

قوله: **(كقوله: "رحِم الله")** أي: كقول القائل.[٣]

قوله: **(فإن قلتَ: فعلى أيّ القوانين هي؟)** أي: الفاء. وقوله: **(بصَدَده)** الصدَد: القُرب، يقال: داري صَدَدَ داره، أي: قُبالَتَها؛ نصب على الظرف.[٤]

قوله: **(قلتُ: إن وحَّدتَ)**... إلخ اعلم أنّ المصنّف رحمه الله[٥] ذكر ثلاث قوانين في حكم الفاء إذا جاءت عاطفةً في الصفات، وذلك التقرير كان في الجواب عن السؤال الأوّل، ثمّ أشار في الجواب عن السؤال الثاني أنّ القانون الأوّل مِن تلك القوانين لا يأتي فيما نحن فيه؛ وإنّما يأتي فيه أحد القانونين الأخيرين، وبيّن ذلك بأنّك إن أجريتَ هذه الأوصاف الثلاثة، أي: الصفَّ والزَّجر والتلاوة على جميع طوائف الملائكة بأن يكون كلُّ الطوائف متّصفةً بالصفِّ والزَّجر والتلاوة، فالعطف يُفيد ترتّب الأوصاف في الفضل، لا ترتّبَ الموصوفات؛ لأنّ الموصوفات في الأوّل والثاني والثالث ليست متغايرة، وكذا إن كان المراد بـ"الصافّات الزاجِرات التاليات" العلماءَ، وكان جميع طوائف العلماء متّصفةً بالصفّ والزجر والتلاوة،

---

١ وفي هامش د ف: نفي.
٢ ن: ما كون.
٣ ف: العائل.
٤ الصحاح للجوهري، «صدد».
٥ د - رحمه الله.

بيَانُ ذلك: أنَّك إذا أَجرَيْتَ هذه الأوصَافَ على الملائكة وجَعَلْتَهُم جامِعين لهَا فعَطَفْتُها بالفاء يُفِيد تَرَتُّبًا لها في الفَضْلِ: إمَّا أنْ يكُونَ الفَضْلُ للصَّفِّ ثم للزَّجْرِ ثم للتِّلاوَة، وإمَّا عَلى العَكس، وكذلك إنْ أرَدْتَ العُلمَاءَ وقُوَّادَ الغُزاة.

وإن أَجْرَيتَ الصِّفَةَ الأُولى على طوائفَ والثانيةَ والثالثَةَ على أُخَرَ فقَدْ أفَادَتْ تَرتُّبَ الموصُوفاتِ في الفَضْل، أعْني: أنَّ الطَّوائفَ الصَّافاتِ ذَواتُ فضْلٍ، والزَّاجِرَاتُ أفضَلُ، والتَّاليَاتُ أبْهرُ فَضْلًا، أو عَلى العكس.

وكذلك إذا أرَدْتَ بالصَّافاتِ: الطَّيْرَ، وبالزَّاجراتِ: كلَّ ما يَزجُر عن مَعْصيَةٍ،

فإنّ العطف بالفاء أيضًا يُفيد ترتّب الأوصاف في الفَضل، وكذا إن كان المراد بـ"الصافّات والزاجِرات والتاليات" قُوَّادَ الغزاة، وكان جميع الطوائف متّصفة بالأوصاف، فإنّ ذلك أيضًا يفيد ترتّب الأوصاف في الفضل.

ثمّ قال: **(وإن أجريتَ)** عطفًا على قوله: **(إذا أجريتَ)**، يعني: إن لم تُجْرِ هذه الأوصاف الثلاثة على جميع الملائكة، على تقدير أن يكون المراد بـ"الصافّات الزاجراتِ التالياتِ" الملائكةَ، بل أجريتَ[1] الصفةَ الأولى على طوائفَ مِن الملائكة، والصفة الثانية على طوائفَ أُخَر مِن الملائكة، والصفة الثالثة على طوائفَ أُخَر مِن الملائكة، فيُفيد الفاءُ ترتّبَ الموصوفات في الفَضْل على الوجهين اللّذين ذكرهما، وكذا إن أريدَ بـ"الصافّات الزاجرات التاليات" العلماءُ، ولم تُجْرِ هذه الأوصاف الثلاثة على جميع الطوائف؛ بل جعلتَ طوائفَ منها متّصفة بالصفة الأُولى، وطوائفَ أُخَر بالصفة الثانية، وطوائفَ أُخَر بالصفة الثالثة، فإنّ ذلك أيضًا يفيد ترتّب الموصوفات في الفضل، وكذا إذا أردت قوّادَ الغزاة.

ثمّ قال: **(وكذلك إذا أردت بـ"الصافّاتِ" الطيرَ، وبـ"الزاجراتِ")**... إلخ يعني: فعلى هذا لا يكون المعنى إلّا ترتّب الموصوفات كهذا الوجه الأخير؛ إذ لا يمكن الاتّحاد في الموصوفات، والتغايرُ في الصفات، إذ الفَرْض تغاير الموصوفات. وقوله: **(وإمّا على العكس)** الأصلُ ظاهر، والعكس كما في قوله تعالى:

---

[1] ن: أجرتَ.

وبالتَّاليَاتِ: كُلُّ نفسٍ تتْلُو الذِّكر، فإنَّ الموصُوفاتِ مختلفةٌ.

وقرئَ: بإدغام التَّاء في الصَّاد والزَّاي والذالِ.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝﴾

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرٌ بعْدَ خبرٍ، أو خَبرُ مُبتَدإٍ مَحذُوفٍ.

و"المشارقُ": ثلاثُ مئة وسِتُّونَ مَشرِقًا، وكذلك المَغاربُ، تَشرُق الشَّمسُ كلَّ يَوْم في مَشْرقٍ منها وتَغرُبُ في مَغْربٍ، ولا تَطْلُع ولا تَغرُب في واحدٍ يَوْمَين.

فإن قلتَ: فماذا أرَاد بقَوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن ١٧/٥٥]؟

قلتُ: أراد مَشرِقَي الصَّيْف والشِّتاء ومَغربَيْهما.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: القُرْبَى مِنكم.

و"الزِّينَةُ": مَصْدَرٌ كالنِّسبَة، واسْمٌ لِمَا يُزَانُ به الشَّيءُ؛ كاللِّيقةِ اسمٌ لِمَا تُلاقُ بهِ

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد ١٧/٩٠]، وهذا معنى دقيق فتدبّره. وبيان ذلك أنّه إذا حُمل على فضل الأوّل على الثاني فيكون الفاء دالًّا على أنّ الثاني متأخّر عن الأوّل في الفضل، والأوّلَ مقدَّم عليه في الفضل، وإن حُمِلَ على أنّ الثاني أفضل مِن الأوّل، فيكون الفاء دالًّا على أنّ الثاني / أعلى رتبةً مِن الأوّل، وأبعدُ منزلةً منه، كما يقال مثل ذلك في "ثمّ". [٣٠٤ظ]

قوله: (**تَشرُق الشمس**) بيان الجملة الأولى.

قوله: (**قلتُ: أراد مشرقَي الصيف**)... إلخ، وإنّما خصّهما بالذِّكر لأنّ مَشرِق الصيف غاية ارتفاع الشمس، وهو رأس السرطان، ومَشرِق الشتاء غاية انحطاطه، وهو رأس الجَدْي.

قوله: (**القُربى منكم**) "مِن" في قوله:[١] "منكم" صلة لـ"القُربى"، مثله في قولك:

---

[١] ف + صلة.

الدَّوَاةُ، ويَحتمِلهُما قَولهُ: ﴿بِزِيْنَةِ الكواكِبِ﴾ فإن أرَدْتَ المَصْدَر فعَلى إضَافتِه إلى الفاعِل؛ أي: بأَنْ زَانتْها الكواكبُ، وأصْلُه: بزينةِ الكواكبُ، أو على إضافتِه إلى المفعُول؛ أي: بأَنْ زَان اللهُ الكواكِبَ وحسَّنَها؛ لأنها إنَّما زَيَّنَت السَّماءَ لحُسْنِها في أنفُسِهَا، وأَصْلُه: ﴿بزينةِالكواكبَ﴾ وهي قراءة أبي بكرٍ والأعمشِ وابنِ وَثَّابٍ.

وإن أردْتَ الاسْمَ فللإضافةِ وجْهانِ:

أَنْ تقَع "الكواكب" بيَانًا للزِّينة؛ لأنَّ الزِّينَة مُبْهَمةٌ في الكَواكبِ وغَيْرِها ممَّا يُزَانُ بهِ.

وأَن يُراد: ما زِينَتْ بهِ الكواكبُ.

وَجاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿بزينةِالكواكبِ﴾: بضوءِ الكواكبِ.

قَرُبَ منه، وليس مِن التي يستعمل منه أفعل التفضيل، وإلّا لم يجتمع مع الألف واللام، مع أنّه لو كان كذلك لَفسَد المعنى.

قوله: (**الدَّواةُ**) "الدَّواة" -بالفتح-: ما يُكتب منه، والجمع دَوًى، مثل: نواة ونَوًى، ودُوِيٌّ[1] على فُعول جمع الجمع، مثل: صَفاة وصَفًا وصُفِيّ، قال:

عـرفـتُ الـدِّيـار كَـرَقـم الـدويّ[2]

قوله: (**ويحتَملهما**) أي: يحتمل "الزينةُ" المصدرَ والاسمَ.

قوله: (**أن تقع ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾**) الوجه الأوّل.

قوله: (**مُبهمةٌ**) قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: «فأمّا نحو 'جميعُ القومِ' فإنّما جاز لِما في الأوّل مِن الإبهام، فجاز[3] إضافته للتخصيص، كما في 'خاتَمُ حديدٍ'».[4] وقوله: (**وأن يُراد**) **الوجه الثاني**.

قوله: (**ما زُيّنت به الكواكب**) يعني: مِن الضوء أو الشكل. وقوله: (**وجاء... ويجوز**) تقرير للوجه الثاني.

---

١ ن: ودُويَ.

٢ **الصحاح** للجوهري، «دوى». والبيت فيه لأبي ذؤيب الهذلي، وتمامه: يـذْبِـرُهـا الـكـاتـبُ الـحِـمْـيَـرِي

٣ ن: مجازًا.

٤ **الإيضاح** لابن الحاجب، ٣٩٦/١.

ويجوز أن يُرادَ أشكالُها المُختلفةُ -كَشكْلِ الثُّريَّا وبناتِ نعْشٍ والجوزاء وغيرِ ذلك- ومَطالِعُها ومسايرُهَا، وقرئ: على هذا المَعنى: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بتنوينِ "زينةٍ" وجَرِّ ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على الإبْدالِ.

ويجوز في نصب ﴿الكواكبَ﴾ أن يكونَ بَدلًا من محَلِّ ﴿بِزِينَةٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾

وقوله: ﴿وَحِفْظًا﴾ ممَّا حُمِل على المَعنى؛ لأنَّ المَعنَى: إنَّا خَلقْنا الكواكبَ زِينةً للسَّماء وحِفظًا من الشَّياطِين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك ٥/٦٧].

ويجوز أن يُقدَّر الفِعْلُ المُعَلَّلُ؛ كأنَّه قيل: وحفظًا من كلِّ شيطان زيَّناهَا بالكواكبِ.

وقيل: وحَفِظناهَا حِفظًا.

والمَاردُ: الخارِجُ من الطَّاعةِ المُتَملِّس مِنهَا.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾

الضَّميرُ في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ لـ﴿كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾؛ لأنَّه في مَعنى الشياطِين.

وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأَصْله: يتسمَّعُونَ، والتَّسمُّع: تَطلُّب السَّماع،

قوله: (**ويجوز أن يُقدَّر**) فيكون عطفًا على قوله: ﴿زَيَّنَّا﴾، ويكون ﴿حِفْظًا﴾ مفعولًا له.

قوله: (**وقيل: وحَفِظْناها**) فيكون أيضًا عطفًا على قوله: ﴿زَيَّنَّا﴾، لكن يكون ﴿حِفْظًا﴾ مفعولًا مطلقًا.

قوله: (**المُتَملِّس منها**) "المُتملِّس": المنفَلِتُ منها، أي: مِن الطاعة.

قوله: (**بالتخفيف**) يعني: بتخفيف الميم وسكون السين.[١] وقوله: (**بالتشديد**)

---

[١] قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وشعبة عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٥٦/٢.

يُقال: تَسمَّع فسَمِعَ، أو فَلم يسمَعْ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هُم يتَسمَّعُونَ ولا يَسْمعُون. وبهذا يُنْصَرُ التخفيفُ على التَّشدِيد.

فإن قلتَ: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ كيف اتَّصل بما قبله؟

قلتُ: لا يخلُو من أن يتَّصِلَ بما قَبله على أن يكُون صفةً لـ﴿كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ أو استِئنافًا، فلا تَصِحُّ الصِّفَةُ لأنَّ الحِفْظ من شَياطِينَ لا يسمَعُون ولا يتسمَّعُونَ لا مَعنى له، وكذلك الاستئناف لأنَّ سَائلًا لَوْ سَألَ: لِمَ تُحفَظُ من الشَّياطين؟ فأُجِيبَ: بأنَّهم لا يَسمعُونَ، لم يَستقِمْ، فبَقي أن يكونَ كلامًا منقطِعًا مبتَدأً اقتِصَاصًا لِمَا عليه حال المُسترِقَةِ للسَّمع، وأنَّهم لا يَقدِرُونَ أَنْ يَسمَعُوا إلى كلامِ الملائكة أو يتسَمَّعُوا وهُم مَقْذُوفُونَ بالشُّهُب مَدْحُورُونَ عن ذلك، إلَّا مَن أُمْهِلَ حَتَّى خَطِفَ خَطفةً واستَرَقَ استِراقةً، فعِنْدهَا تُعاجِلُه الهَلكَةُ بإِتْباعِ الشِّهَاب الثَّاقبِ.

فإن قلتَ: هل يَصحُّ قولُ مَن زعَم أنَّ أصْله: "لئلَّا يَسَّمَّعُوا" فحُذِفت اللَّامُ كمَا حُذِفت في قولك: "جِئتك أَن تُكرِمني"، فبَقِي: "أن لا يَسمعُوا"، فحُذفَت "أَنْ" وأُهْدِرَ عَملُهَا؛ كما في قَول القائلِ:

يعني: بتشديد السين والميم.[1]

قوله: **(فلا تَصحّ الصفة)** جواب شرط محذوف، أي: إذا كان كذلك فلا تصحَ الصفة ولا الاستئناف، والحاصل أنّه لا يجوز أن يكون متّصلًا بما قبله؛ لأنّه لو كان متّصلًا به فلا يخلو أن يكون صفة أو استئنافًا، ولا يجوز شيء مِن ذلك، فلا يكون متّصلًا بما قبله.

قوله: **(تُعاجِله)** يدلّ عليه الفاء في ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾.

قوله:

[1] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٥٦.

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أحْضُرُ الوَغَى

قلتُ: كلُّ واحدٍ من هذَيْن الحَذْفَين غيرُ مَرْدُودٍ على انفراده، فَأمَّا اجتِمَاعُهما فمُنكَرٌ من المُنكَراتِ، على أنَّ صَوْنَ القرآنِ عن مِثل هذا التَّعسُّفِ وَاجبٌ.

فإن قلتَ: أيُّ فَرْقٍ بين: سَمِعْتُ فُلانًا يتحَدَّثُ، و: سَمِعْتُ إليه يتحَدَّثُ، و: سَمِعْتُ حديثَه، و: إلى حديثِه؟

قلتُ: المُعَدَّى بنفْسِه يُفيد الإِدْراكَ، والمُعَدَّى بـ"إلَى" يُفيد الإصغاءَ مع الإِدْراك.

و"المَلأُ الأَعْلى": المَلائكةُ؛ لأنَّهم يسْكُنون السماوات، والإنسُ والجنُّ: هُمُ المَلأُ الأَسْفَلُ لأنَّهُم سُكَّانُ الأَرضِ.

وعَن ابن عباس رضي الله عنهما: هُمُ الكتَبَةُ مِن الملائكةِ، وعنه: أشْرافُ المَلائكة.

﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من جَميعِ جَوانب السَّماء مِن أيِّ جهةٍ صَعِدُوا للاستراقِ.

(ألا أيُّهَذا[1] الزاجريُّ أحْضُرَ الوَغا)

تمامه:[2]

وأن أشهَدَ اللذَّاتِ هل أنت مُخلِدي[3]

قوله: **(قلتُ المُعدَّى)**... إلخ، يريد أنّ "سمعتُ فلانًا يتحدَّث"، و"سمعتُ حديثَه"؛ بمعنًى واحد؛ لأنّ معنى "سمعتُ فلانًا يتحدّث": سمعتُ حديثَ فلانٍ، وكذا "سمعتُ إلى حديث فلان" و"سمعتُ إلى فلان يتحدّث" واحد، ويحتاج إلى بيان الفرق بين ما فيه "إلى"، وما ليس كذلك وقد ذكره.

قوله: **(مِن جميع جوانب[4] السماء)**... إلخ، بيّن بقوله: "مِن جميع" أنْ ليس المراد بقوله: ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾:[5] مِن كُلِّ جانبٍ أيِّ الأشياء كان؛ بل المراد مِن جميع جوانب السماء. ثمّ بيّن أيضًا أنّه ليس المراد أيَّ جانب كان مِن جوانب السماء؛ بل المراد الجانب -أي: الجهة- التي يَصعَدون فيها للاستراق.

---

١ ن: أيُّهذى.
٢ ف - تمامه.
٣ لطرفة بن العبد في ديوانه، ص ٤٥.
٤ ن: جواب.
٥ ف - مِن كلِّ جانبٍ.

﴿دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩﴾

﴿دُحُورًا﴾ مَفعُولٌ لهُ؛ أي: ويُقذَفُونَ لِلدُّحُورِ، وهُو الطَّرْدُ، أو: مَدْحُورِينَ، على الحَالِ.

أو لأنَّ القَذْفَ والطَّرْدَ مُتقَارِبَانِ في المَعْنى فكأنَّه قيل: يُدْحَرُونَ، أو: قذْفًا.

وقرأ أبو عَبْد الرحمن السُلَمِيُّ بفتح الدَّال على: قَذفًا دَحُورًا طَرُودًا، أو على أنَّه قد جاء مَجيءَ القَبُول والوَلُوع.

و"الواصِبُ": الدَّائمُ، وصَبَ الأمرُ وُصُوبًا، يَعني: أنَّهم في الدُّنيا مَرْجُومُونَ بالشُّهُبِ وقد أُعِدَّ لهُم في الآخرة نَوعٌ من العَذابِ دائمٌ غيرُ منقَطِعٍ.

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾

﴿مَنۡ﴾ في محلِّ الرَّفع بَدَلٌ من الواو في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾؛ أي: لا يَسْمَعُ الشَّياطِينُ ﴿إِلَّا﴾ الشيطانُ الَّذي ﴿خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾.

وقرئ: "خِطِّف" بكسر الخاء والطاء وتشديدها، ....

قوله: **(أو لأنّ القَذْفَ والطَّرْدَ)**... إلخ فيكون مفعولًا مطلقًا، فاللام في "لأنّ" متعلّق بمعنى الفعل في "فكأنّه".[1] وقوله: **(فكأنّه قيل: يُدْحَرون)** مكان ﴿يُقۡذَفُونَ﴾. وقوله: **(أو قَذفًا)** مكان ﴿دُحُورًا﴾.

[٣٠٥و] قوله: **(على قَذفًا دَحورًا)**[2] / فيكون صفة لمصدر محذوف.

قوله: **(جاء مجيءَ "القَبول")**... إلخ، فيكون مصدرًا في نفسه على هذه الأوزان. و"الوَلُوع" -بفتح الواو- الاسم مِن وَلِعْتُ به أَوْلَعُ وَلَعًا ووَلُوعًا،[3] المصدر والاسم جميعًا، وأولَعْتُه بالشيء، وأُولِع به، فهو مُولَع به، بفتح اللام.[4]

قوله: **(وقُرئ: "خِطِّف")**...[5] إلخ وجه "خِطِّف" بكسرتين أنّهم حرّكوا الخاء

---

١ ف: مكانه.

٢ هي قراءة شاذّة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٤.

٣ ن: وَلُوعا.

٤ **الصحاح** للجوهري، «ولع».

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والأعرج وقتادة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٤.

و: "خَطِّف" بفَتح الخاء وكسر الطَّاء وتشدِيدها، وأصْلُهمَا: اختَطف.

وقرئ: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ و: "فاتَّبعه".

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

الهمزةُ وإن خرَجَتْ إلى مَعْنى التَّقريرِ فهيَ لمَعنى الاستِفهام في أصْلها، فلِذلك قيل: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾، أي: استَخْبِرهُم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ولم يُقَل: فقَرِّرهُم. والضَّميرُ لمشركِي مكَّة.

وقيل: نَزلت في أَبِي الأشَدِ بن كَلَدَة، وكُنِّيَ بذلك لشِدَّة بَطْشه وقوَّته.

﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريد: ما ذكَر مِن خَلائقه: من الملائكة، والسَّماوات والأرض، والمشارق والكواكب، والشُّهُبِ الثَّواقِب، والشَّياطين المَرَدةِ، وغَلَّب أُولي العَقل على غيرهم فقال: ﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾، والدَّليلُ عليه قولُه بَعْد عَدِّ هذه الأشياء: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ بالفاء المُعَقِّبَة، وقولُه: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مُطْلَقًا من غيْر تَقييدٍ بالبَيان اكتفاءً ببَيَان ما تَقدَّمَه؛ كأنَّه قال: خلقْنا كذا وكذا

بحركة الهمزة بعد حذفها، فلمّا سكّنوا التاء وقلبوا وأدغموا أتبعوا الطاءَ الخاءَ. أو نقول: سَكّنوا التاء لِيُدغموها في الطاء، فالتقى ساكنان؛ التاء والخاء، فحرّكوا التاء بالكسر، واستَغْنَوا عن همزة الوصل، ثمّ أتْبعوا التاءَ الخاءَ. ووجه "خَطِّف"[١] بفتح الخاء وكسر الطاء أنّهم نقلوا حركة التاء إلى الخاء للإدغام، وحُذفت همزة الوصل، ثمّ قلبوا[٢] التاء وأدغموا، وحرّكوا التاء بالكسر؛ لئلّا يَلتبس بـ"فَعَّل".[٣]

قوله: (في أبي الأشدِ بن) صَوابُه "أبي الأشَدِّين ابن كَلَدَة"، بلفظ الجمع.

---

١ ن: خِطِّف. | قراءة شاذّة، مرويّة عن الضحّاك. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠٤.

٢ ف: قلبت.

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سَلْهم، يعني: أهلَ مكّة، ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يعني مِن السماوات والأرض والجبال، وهو استفهام بمعنى التقرير، أي: هذه الأشياء أشدّ خلقًا، كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر ٥٧/٤٠]، وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات ٢٧/٧٩]. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٥/٧ (الصافات، ١١/٣٧).

من عَجائب الخَلق وبدَائعهِ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم﴾ الَّذي خَلقنَاه من ذلك، ويَقطَعُ بهِ قراءةُ مَن قرَأ: "أمْ مَن عَددْنا" بالتخفيفِ والتشدِيد.

و﴿أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ يَحْتملُ: أَقْوَى خَلْقًا، مِن قَولهم: شَديدُ الخَلْق، وفي خَلْقِه شِدَّةٌ، و: أَصْعَبُ خلْقًا وأَشقُّهُ، على مَعْنى الرَّدِّ لإنكارِهم البَعْثَ والنَّشأةَ الأُخرَى، وأَنَّ مَن هان عليه خَلْقُ هذه الخلائِق العَظيمةِ ولم يَصْعُب عليه اختراعُها كان خَلْقُ البَشَر عَليه أَهْوَنَ.

وخَلْقُهم ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ إمَّا شهَادةٌ عَليهم بالضَّعْف والرَّخاوة؛ لأنَّ ما يُصْنع من الطِّين غيرُ موصُوفٍ بالصَّلابة والقُوَّةِ، أو احتجاجٌ عَليهم بأنَّ الطِّين اللَّازِبَ الَّذي خُلِقُوا منه تُرابٌ، فمِن أين استَنْكَرُوا أَن يُخلَقُوا مِن ترابٍ مثلِه حَيْث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد ١٣/٥]؟ وهذا المعنى يَعضُده ما يَتلُوه مِن ذِكْر إنْكارهم البَعْثَ.

وقيل: مَن خلقْنَا من الأُمَم المَاضِيَةِ. وليْسَ هذا القولُ بمُلائمٍ.

وقرئ: "لازم" و: "لاتب"، والمعنى واحدٌ.

قوله: (**ويَقطَعُ به**) أي: يدلّ دلالة قطعيّة على أنّه يريد ما ذكر مِن خلائقه.

قوله: (مِن قولهم: **شديدُ الخَلْق**)[1] فيكون إشارة إلى سخافة رأيهم في اعتمادهم على شدّة خَلقهم وقوّةِ بطشِهم.

قوله: (**وخَلقُهم**) مبتدأ، وقوله: (**إمّا شهادةٌ**) خبره.

قوله: (**بالضَّعف**) هذا المعنى مناسب للمعنى **الأوّل**، وهو أن يكون المراد بـ﴿أَشَدُّ﴾ أقوى.

قوله: (**أو احتجاجٌ عليهم**) هذا مناسب للمعنى **الثاني**، وهو أن يكون المراد بـ﴿أَشَدُّ﴾ أصعب وأشقّ.

قوله: (**وقُرئ: "لازِم"**[2] **و"لاتِب"**) اللاتِبُ: اللازِقُ، مثل "اللازب".

---

[1] وفي هامش د ف: على الوجه **الأوّل** "الخلق" بمعنى المخلوق، وعلى الوجه **الثاني** بمعنى المصدر.

[2] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "لازب".

و: "خَطِّف" بفَتح الخاء وكسر الطّاء وتشدِيدها، وأصْلُهما: اختطف.

وقرئ: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ و: "فاتّبعه".

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

الهمزةُ وإن خرَجَتْ إلى مَعْنى التّقرِيرِ فهيَ لمَعنى الاستِفهام في أصْلها، فلِذلك قيل: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾، أي: استَخبِرهُم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ولم يُقل: فقرِّرهُم. والضّميرُ لمشركِي مكّةَ.

وقيل: نَزلَت في أَبِي الأشَدِّ بن كَلَدَةَ، وكُنِّيَ بذلك لشِدّة بَطْشِه وقُوّتهِ.

﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريد: ما ذكَر مِن خَلائقه: من الملائكة، والسّماوات والأرض، والمشارق والكواكب، والشُّهُبِ الثّواقِب، والشّياطين المَرَدةِ، وغَلَّب أولي العَقل على غيرهم فقال: ﴿مَنْ خَلَقْنَآ﴾، والدّليلُ عليه قولُه بَعْد عَدِّ هذه الأشياء: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ بالفاء المُعَقِّبَة، وقولُه: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مُطْلَقًا من غيْر تَقييدٍ بالبَيان اكتفاءً ببَيَان ما تَقدَّمَه؛ كأنّه قال: خلقْنا كذا وكذا

بحركة الهمزة بعد حذفها، فلمّا سكّنوا التاء وقلبوا وأدغموا أتبعوا الطاءَ الخاءَ. أو نقول: سَكّنوا التاء لِيُدغموها في الطاء، فالتقى ساكنان؛ التاء والخاء، فحرّكوا التاء بالكسر، واستَغْنَوا عن همزة الوصل، ثمّ أتْبعوا التاءَ الخاءَ. ووجه "خَطِّف"[١] بفتح الخاء وكسر الطاء أنّهم نقلوا حركة التاء إلى الخاء للإدغام، وحُذفت همزة الوصل، ثمّ قلبوا[٢] التاء وأدغموا، وحرّكوا التاء بالكسر؛ لئلّا يَلتبس بـ"فَعَّل".[٣]

قوله: (**في أبي الأشدِّ بن**) صَوابُه "أبي الأشَدِّين ابن كَلَدَة"، بلفظ الجمع.

---

١ ن: خِطِّف. | قراءة شاذّة، مرويّة عن الضحّاك. انظر: **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٤٠٤.

٢ ف: قلبت.

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سَلْهم، يعني: أهلَ مكّة، ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يعني مِن السماوات والأرض والجبال، وهو استفهام بمعنى التقرير، أي: هذه الأشياء أشدّ خلقًا، كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر ٥٧/٤٠]، وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات ٢٧/٧٩]. **معالم**. | **معالم التنزيل للبغوي**، ٣٥/٧ (الصافات، ١١/٣٧).

من عَجائب الخَلق وبدَائعهِ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم﴾ الَّذي خَلقنَاه من ذلك، ويَقطَعُ بهِ قراءةُ مَن قرَأ: "أمْ مَن عَددْنا" بالتخفيفِ والتشدِيد.

و﴿أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ يَحْتملُ: أَقْوَى خلْقًا، مِن قَولهم: شَديدُ الخَلْق، وفي خَلْقِه شِدَّةٌ، و: أَصْعَبُ خلْقًا وأَشقُّهُ، على مَعْنى الرَّدِّ لإنْكارِهم البَعْثَ والنَّشأةَ الأُخرَى، وأَنَّ مَن هان عليه خَلقُ هذه الخلائِق العَظيمةِ ولم يَصْعُب عليه اختراعُها كان خَلْقُ البَشر عَليه أَهْوَنَ.

وخَلْقُهم ﴿مِن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ إمَّا شهَادةٌ عَليهم بالضَّعْف والرَّخاوة؛ لأنَّ ما يُصْنع من الطِّين غيرُ موصُوفٍ بالصَّلابة والقُوَّةِ، أو احتجاجٌ عَليهم بأنَّ الطِّين اللَّازِبَ الَّذِي خُلِقُوا منه تُرابٌ، فمِن أين استَنْكَرُوا أَن يُخلَقُوا مِن ترابٍ مثلِه حَيْث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد ١٣/٥]؟ وهذا المعنى يَعضُده ما يَتلُوه مِن ذِكْر إِنْكارهم البَعْثَ.

وقيل: مَن خلقْنَا من الأُمَم المَاضِيَةِ. وليْسَ هذا القولُ بمُلائمٍ.

وقرئ: "لازم" و: "لاتب"، والمعنى واحدٌ.

قوله: (**ويَقطَعُ به**) أي: يدلّ دلالة قطعيّة على أنّه يريد ما ذكر مِن خلائقه.

قوله: (**مِن قولهم: شديدُ الخَلْق**)[1] فيكون إشارة إلى سخافة رأيهم في اعتمادهم على شدّة خَلقهم وقوّةِ بطشِهم.

قوله: (**وخَلقُهم**) مبتدأ، وقوله: (**إمّا شهادةٌ**) خبره.

قوله: (**بالضَّعف**) هذا المعنى مناسب للمعنى **الأوّل**، وهو أن يكون المراد بـ﴿أَشَدُّ﴾ أقوى.

قوله: (**أو احتجاجٌ عليهم**) هذا مناسب للمعنى **الثاني**، وهو أن يكون المراد بـ﴿أَشَدُّ﴾ أصعب وأشقّ.

قوله: (**وقُرئ: "لازِم"**[2] **و"لاتِبٍ"**) اللاتِبُ: اللازِقُ، مثل "اللازب".

---

[1] وفي هامش د ف: على الوجه **الأوّل** "الخلق" بمعنى المخلوق، وعلى الوجه **الثاني** بمعنى المصدر.

[2] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "لازب".

و"الثاقبُ": الشَّدِيدُ الإضَاءةِ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝﴾

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قُدْرَة الله على هذه الخلائق العَظيمة ﴿وَ﴾هُم ﴿يسخرون﴾ مِنك ومن تَعجُّبك وممَّا ترِيهِم من آثار قدرَة الله.

أو: من إنكارِهم البَعثَ وهُم يسخَرُونَ من أمر البَعْثِ.

وقرئ بضم التاء؛ أي: بَلَغ من عِظَم آياتي وكثرَةِ خَلائقِي أنِّي عَجِبتُ منها فكيف بعبَادي، وهؤلاء بجَهْلهم وعِنادهم يَسْخَرُونَ من آياتي.

أو: عَجِبْتُ مِن أنْ يُنكِرُوا البَعْثَ ممَّن هذه أفعَالُه، وهُم يَسْخَرُونَ ممَّن يَصِفُ اللهَ بالقُدْرَةِ عليه.

فإن قلتَ: فكيفَ يجُوز العجَبُ على الله تعالى، وإنَّما هُو رَوْعَةٌ تَعْتَرِي الإنسانَ عند استِعظام الشَّيء، والله عزَّ وجلَّ لا يجوز عَليه الرَّوعةُ؟

قلتُ: فيه وجهان:

قوله: (**أي: بلغَ مِن عِظَم**) "مِن" في "مِن عِظَم" للبيان، نحو: قد كان مِن مطر، أي: بلغ شيء هو عِظَمُ آياتي، و"أنِّي" مفعول "بلغَ"، أو زائدة -كما في المثال- على قولٍ.[١]

قوله: (**ممَّن هذه أفعاله**) يجوز أن يكون متعلِّقًا بقوله: "يُنكِرون"، وأن يكون متعلِّقًا بمحذوف حالًا مِن "البعث"، أي: صادرًا ممَّن.

قوله: (**وإنَّما هو رَوْعةٌ**) أي: هَيبةٌ وخوفٌ، قال في **الصحاح**: «يقال: راعَني الشيء، أي: أعجبني».[٢] وقال في **المُغرب**: «فرَس رائع: جميل يَرُوعُ الرائي بجماله، أي: يُخوِّفه».[٣]

---

[١] على قول الكوفيين والأخفش. انظر: **معاني القرآن للأخفش**، ١/٢٧٦؛ **مغني اللبيب** لابن هشام، ٤/١٧٤-١٧٧.

[٢] **الصحاح** للجوهري، «روع».

[٣] **المُغرب** للمطرّزي، «روع».

أحَدُهما: أنْ يُجَرَّد العَجبُ لمَعنى الاسْتعظام.

والثاني: أن يُخيَّل العَجبُ ويُفرَض.

وقَد جاء في الحديثِ: «عجبَ ربُّكم مِن ألَّكُم وقُنُوطِكُم وسُرعَةِ إجَابتهِ إيَّاكم».

وكان شريحٌ يقرأ بالفتح ويَقُول: إنَّ الله لا يَعْجَبُ من شيءٍ، وإنَّما يَعْجَبُ مَن لا يَعْلَمُ. فقال إبراهيمُ النَّخعي: إنَّ شُرَيحًا كان يُعْجبُه عِلمُه وعبدُ الله أعلم.

يُريد: عَبْدَ اللهَ بن مسْعُود رضي الله عنه، وكان يقرأُ بالضم.

وقيل: مَعناه: قُلْ يا محمَّدُ: "بل عجِبْتُ".

قوله: **(أن يُجرَّدَ العجَبُ)** يعني:[١] أنّ العجَبَ موضوع للرَّوْعة مع الاستعظام، فجرّد هنا لِمعنى الاستعظام،[٢] ولذلك قالوا: العجَب ما خرج عن حدّ القياس، ويتعاظَمُ قدرُه عند الناس.

قوله: («**مِن أَلِّكُم**»)[٣] الأليلُ: الأنين، وقد ألَّ يَئِلُّ ألًّا وألَلًا وأليلًا، والألُّ: الجُؤار.[٤]

قوله: **(إنّ شُرَيحًا كان يُعجبه)** في قول إبراهيم: "يُعجبه" لطيفةٌ؛ وهو رعاية المناسبة مع ﴿عَجِبْتَ﴾.[٥]

قوله: **(وقيل: معناه)** عطفٌ على **(أي: بلغ)**، يعني: لا يكون المراد نسبة العجب إلى الله تعالى؛ بل يكون نسبة العجب إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] بتقدير القول.[٧]

---

١ وفي هامش د ف: فعلى **الأوّل** يكون مِن قَبيل استعمال المَرسِن في الأنف، ويرجع إلى استعمال اسم الكلّ في الجزء. وعلى **الوجه الثاني** المراد معناه الحقيقي، لكن على سبيل الفرض والتخييل، لا على سبيل التحقيق، فإنّه مُحال.

٢ وفي هامش د ف: مثل همزة التسوية، فإنّها في الأصل للاستفهام مع التسوية.

٣ غريب **الحديث** لأبي عبيد، ٢/٢٦٩.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ألل»؛ **ومجمل اللغة** لابن فارس، «ألل».

٥ ن: عجبتِ.

٦ د: عليه السلام.

٧ وفي هامش د ف: قوله: (يُبالغون في السخرية)... إلخ فعلى **الأوّل** استفعَلَ بمعنى فعَلَ، نحو: استقَرّ وقَرّ، لكن لا بدّ في الزيادة مِن المبالغة، نحو: عَشِبَ واعْشَوشَبَ، وعلى **الثاني** بمعناه، أي: للطلب أي: يَطلُب بعضهم السخرية مِن بعضٍ.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧﴾

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ﴾: ودأبُهم أنَّهم إذا وُعِظُوا بشيء لا يتَّعِظُونَ به.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً﴾ من آياتِ الله البيِّنةِ كانشقاقِ القَمر ونحوِه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يُبَالِغُون في السُّخريَة، أو يَستدعِي بعضُهم من بَعضٍ أن يسْخَر منها.

و"آباؤنا" معطوفٌ على محلِّ ﴿إِنْ﴾ واسْمِهَا، أو على الضَّمير في "مَبْعُوثُونَ"، والَّذي جوَّز العَطْفَ عليه الفصْلُ بهمزة الاستفهامِ، والمعنى: أيُبْعَثُ أيضًا آباؤنا؟! على زيادة الاستبعاد، يَعنُون أنَّهم أقدمُ فبَعْثُهم أبْعَدُ وأبْطَلُ.

وقرئ: ﴿أَوْ آبَاؤُنَا﴾.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝١٨﴾

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ وقرئ: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين، وهُما لغتان.

وقرئ: "قال نعم"؛ أي: اللهُ، أو الرَّسُول صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: نعَم تُبعثُونَ ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩﴾

﴿فَإِنَّمَا﴾ جوابُ شرْطٍ مُقَدَّرٍ، تقديرُه: إذا كان ذلك فما ﴿هِيَ﴾ إلَّا ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، و﴿هِيَ﴾ لا تَرْجع إلى شيءٍ إنَّما هي مُبْهمةٌ مُوضِحُها خبَرُها.

ويجُوز: فإنَّما البَعثةُ زَجْرةٌ واحِدةٌ، وهيَ النفخة الثَّانيةُ.

و"الزَّجرةُ": الصَّيْحَةُ، من قولك: زجَر الرَّاعِي الإبلَ أو الغَنم، إذا صَاح عَليها فَرِيعَتْ لصَوْتِه، ومنه:

زَجْـــرَ أبــي عُـــزوَةَ الـسِّـبَـاعَ إذا أشْـفَـقَ أن يَـخْـتَـلِطْـنَ بـالـغَـنَـمِ

يُريد: تَصْوِيتَهُ بهَا.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياءٌ بُصَراءُ ﴿يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾

يَحتمِل أن يكُونَ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱحْشُرُواْ﴾ من كلام الكَفَرةِ بعضِهم مع بعضٍ، وأن يكون من كلام المَلائكة لَهُم، وأن يكُون ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ كلامَ الكَفرة، و﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ من كلام المَلائكة جَوابًا لهُم.

و"يومُ الدِّين": اليومُ الَّذي نُدَانُ فيه؛ أي: نُجَازَى بأعْمالِنا، و"يومُ الفَصْل": يومُ القضَاء والفَرقِ بينَ فِرَقِ الهُدَى والضَّلال.

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾

قوله: (**زَجْرَ**[١] **أبي عُروة**)... البيتَ.[٢]

ممَّن يُضرَب به المَثل في شدّة الصوت أبو عروة، وهم يَزعمون أنّه كان يَصيح بالسبع فيموت، فيُشَقّ عن فؤاده فيجدونه قد زال عن موضعه.[٣] و"أبو عروة" كُنيَةُ العبّاس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٤] ذكره في سورة الحجُرات عند قوله تعالى: ﴿لَا / تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات ٤٩/٢]. [٣٠٥ظ]

قوله: (**إلى قوله: ﴿ٱحْشُرُواْ﴾**) ما بعد "إلى" غيرُ داخل فيما بعدها.[٥]

قوله: (**وأن يكون مِن كلام الملائكة لهم**) فعلى هذا[٦] الوجه يكون قول الكفرة: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ فقط، فههنا[٧] احتمالات ثلاث.

---

١ ن: زجَر؛ ف: ازْجُرَ.

٢ للنابغة الجعدي **في ديوانه**، ص ١٦٣.

٣ انظر: **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ١/٢٧٢.

٤ د: عليه السلام.

٥ وفي هامش د: فيما قبلها. "نسخة".

٦ ن: هنا.

٧ ف: فهنا.

﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ خطابُ الله للملائكة، أو خطابُ بعضِهم مع بعض.

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: وضُرباءَهُم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهُم نُظرَاؤُهم وأشباهُهُم من العُصَاة: أهْلُ الزِنا معَ أهْل الزِنَا، وأهْلُ السَّرقة معَ أهْلِ السَّرقةِ.

وقيل: قُرناؤُهم منَ الشَّياطين.

وقيل: نسَاؤُهم اللَّاتي على دِينهم.

﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾: فعرِّفُوهم طريقَ النَّار حتَّى يَسلكُوهَا، هذا تهَكُّمٌ بهِمْ وتوبيخٌ لهُم بالعَجْز عن التَّناصُر بعْدَما كَانُوا على خِلافِ ذلك في الدُّنيَا مُتعَاضِدينَ مُتنَاصِرين.

﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ قد أسْلَم بَعضَهم بعضًا وخَذَله عن عَجزٍ فكُلُّهم مُستَسْلِمٌ غيرُ مُنتصِرٍ.

وقرئ: "لا تتناصرون"، و: ﴿لَا تَّنَاصَرُونَ﴾ بالإدْغام.

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾

اليمينُ لمَّا كانت أشرَفَ العُضوَيْن وأمتَنَهُما، وكانوا يتيمَّنُونَ بهَا: فبِهَا يُصَافِحونَ ويُماسِحُونَ ويُناوِلُونَ ويتنَاوَلُونَ، ويُزَاوِلُونَ أكْثَرَ الأمُور. ويَتشاءمونَ بالشمال ولذلك سَمَّوهَا: الشُّؤمَى، كمَا سَمَّوا أُختَهَا: اليُمنى،

قوله: (أو خطابُ بعضهم) أي: خطابُ بعض الملائكة.[1]

قوله: (هذا تهكّم)... إلخ هذا إشارة إلى قوله: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.[2]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ فعرِّفوهم) يحتمل أن يكون مِن قَبيل الاستعارة التهكّميّة، نحو ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ [آل عمران ٢١/٣]، فإنّ الهداية هي الدلالة الموصِلة إلى البُغية، وهنا موصلة إلى غير المطلوب، فيكون مِن قَبيل الاستعمال في الضِّدّ، ويحتمل أن يكون مِن استعمال الشيء في جزء مفهومه.

[2] وفي هامش د ف: قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يتخاصمون. **معالم**. | **معالم التنزيل للبغوي**، ٣٨/٧ (الصافات، ٢٧/٣٧).

وتيمَّنُوا بالسَّانِح وتطيَّرُوا من البَارِح، وكان الأعسَرُ مَعِيبًا عندهُم، وعَضَدت الشَّريعَةُ ذلك فأمَرت بمُبَاشَرة أفَاضِلِ الأمُورِ باليَمين وأرَاذِلها بالشِّمال، وكان رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحبُّ التَّيَامُنَ في كلِّ شيءٍ.

وجُعِلت اليمينُ لكاتبِ الحسنات والشِّمالُ لكاتب السَّيِّئات، ووُعِد المُحسِنُ أن يُؤتَى كتَابَهُ بيَمينِه، والمُسيءُ أن يُؤتَاه بشمالِه.

استُعِيرت لجِهَةِ الخيْر وجانبِه، فقيل: أتَاه عن اليَمين؛ أي: من قِبَلِ الخيرِ وناحيتِه فصَدَّهُ عنه وأضَلَّهُ.

وجاء في بعض التفسير: مَن أتَاه الشيطان من جِهةِ اليمن أتاه من قِبَلِ الدِّينِ فَلبَّسَ عَليه الحقَّ، ومَن أتاه من جهة الشمال أتاه من قِبَلِ الشَّهواتِ، ومَن أتاهُ من بَيْنِ يدَيْه أتَاه من قِبَلِ التَّكذيب بالقِيَامَةِ وبالثواب والعقاب، ومَن أتَاه من خلْفه خَوَّفَهُ الفَقْرَ على نفسه وعَلى مَن يُخلِّفُ بَعدَهُ فلم يَصِلْ رحمًا ولم يُؤدِّ زَكاةً.

قوله: (بالسانحِ)... إلخ بَرَح الظبي -بالفتح- بُرُوحًا إذا ولّاك مَياسره، يَمُرُّ مِن مَيامِنك[١] إلى مَياسِرك، والعرب تتطيَّر بالبارح، وتتفاءل بالسانح؛ لأنّه لا يمكنك أن ترمِيَه حتّى تتحوّل.[٢] والسِّنْح والسَّانح: ما ولّاك مَيامِنَه مِن ظَبْيٍ أو طائر أو غيرهما، وفي المَثَل: «مَن لي بالسانح بعد البارح».[٣]

قوله: (وكان الأعسَر) رجل أعسَرُ بيِّنُ العَسَرِ؛ الذي يعمل بيساره، وأمّا الذي يعمل بكِلْتَي يديه فهو أعسَرُ يَسَرٌ.[٤]

قوله: (وعلى مَن يُخلِّفُ) العائد على "مَن" محذوف، أي: على مَن يُخَلِّفه. وأمّا المستتِر في "يُخلِّف" فيعود إلى "مَن" في (مَن أتاه).

---

١ ف: منامنك.

٢ **الصحاح** للجوهري، «برح».

٣ **الصحاح** للجوهري، «سنح». والمَثَل يُضرب في اليأس عن الشيء. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٣٠١.

٤ وفي هامش د ف: قوله: (استُعيرَت لجهة الخير) مِن قَبيل المجاز المرسل،[(١)] بين الجِهة واليمين ملابسةٌ كما بين السماء والمطر. | [(١)] وفي هامش د: مِن قَبيل إطلاق اسم الحالّ -وهو اليمين- على المحلّ؛ وهو الجهة، فإنّ اليمين واقعة في الجهة، وخُصِّص بجهة الخير لِما أنّ في اليمين شرفًا كما ذكر المصنّف، وعلى الوجه الثاني بالعكس، أي: مِن قبيل إطلاق اسم المحلّ على الحالّ.

فإن قلتَ: قولُهم: "أتَاهُ من جهةِ الخيْر وناحِيتِه" مجازٌ في نفسه فكيف جُعِلت اليمينُ مجازًا عن المجاز؟

قلتُ: من المجاز ما غَلَبَ في الاستعمال حتى لحِقَ بالحَقَائق، وهذا من ذاك، ولك أن تجعَلها مُستعَارةً للقُوّةِ والقَهْر؛ لأنّ اليَمِين مَوْصُوفةٌ بالقوّة وبها يقعُ البَطْش.

والمَعنى: إنّكُم كُنتُم تأتوننا عن القُوَّة والقَهْر وتَقْصِدُونَنا عن السُّلطانِ والغَلبةِ حَتّى تَحْمِلُونا على الضَّلال وتقْسِرُونا عَليه.

وهذا من خطابِ الأَتْباعِ لرُؤسَائهم والغُواة لشيَاطينهم.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: بل أَبيْتُم أنتُم الإيمانَ وأَعرَضْتُم عَنه مَع تمَكُّنِكُم منه مُختَارِين له على الكُفر غيرَ مُلْجَئِينَ.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم﴾: من تَسَلُّطٍ نَسلبُكم بهِ تمكُّنَكُم واختيَاركم، ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا﴾ مُختَارِين الطُّغيَان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: فلزِمَنا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ يَعْني: وَعِيد الله بأنَّا ذائِقُون لِعَذابه لا محَالَة؛ لعِلْمِه بحَالِنا واستحقَاقِنا بها العقُوبَةَ، ولَو حَكى الوعيدَ كما هُو لقَال: إنّكم لذَائقُونَ، ولكنّه عَدَل به إلى لَفْظ المتكلم لأنّهم مُتَكلِّمُونَ بذلك عنْ أَنفُسِهِم، ونَحوُه قولُ القائل:

لـقـد زَعَـمَـتْ هَــوَازِنُ قَـلَّ مـالِـي

قوله: **(مجازٌ في نفسه)** لأنّ الخير ليس في مكان[١] ولا جهة.

قوله:

(لـقـد زعـمَـتْ هــوازِنُ قَـلَّ مـالِـي)

---

[١] وفي هامش د ف: لكن شُبّه المكان المعنوي بالمكان الحسّي، بجامع كون كلّ منهما مبتدأ، فيكون مجازًا في نفسه، لكن بسبب الاشتهار التحقَ بالحقائق فصار بمنزلة الحقيقة، فيصحّ أن يُعبّر عنه بما هو غير موضوع له، وهو اليمين هنا مثلًا.

ولو حَكى قولَها لقَالَ: قَلَّ مالُكَ، ومنه قول المُحَلِّف للحَالِف: "احلفْ لأخرُجنَّ" و: "لتَخرجَنَّ"، الهمزةُ لِحكاية لفظِ الحالِف والتَّاء لإقْبالِ المُحَلِّفِ على المُحلَّفِ.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: فدعَوْناكُم إلى الغَيِّ دَعْوةً مُحَصِّلةً لِلبغيَة؛ لقَبُولكم لهَا واستحبَابِكُم الغيَّ على الرُّشْدِ، ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ فأرَدْنا إِغْوَاءكُم لتَكونُوا أَمثالَنا.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: فإنَّ الأَتْبَاعَ والمَتْبُوعين جميعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾ في العَذاب كما كانوا مُشتركِينَ في الغِوايَة.

﴿إِنَّا﴾ مِثْلَ ذلك الفِعْلِ ﴿نَفْعَلُ﴾ بكُلِّ مُجْرِمٍ؛ يعني: إنَّ سبَبَ العقُوبة هو الإِجْرامُ فمَن ارتكبَهُ استوجبَهُ.

وبعده:

وهـل لـي غـيـرَ مـا أنـفـقـتُ مـالُ

أضـرَّ بـه نَـعَـمْ ونَـعَـمْ قديمًا   على ما كـان مِـن مـال وبـالُ[١]

"هوازن": اسم قبيلة، وقيل: هنا اسم امرأة، ولمّا قالت هوازن: قلَّ مالُك، أجابها بأنْ لم يبقَ لي مال بعد ما أنفقتُه. ثمّ قال: أضرَّ بمالي قَولي للسائلين: نعم، وهذه الكلمة -أي: نعم- أضَرَّتْ قديمًا بالأموال.

قوله: **(ومنه قول المُحَلِّف)**... إلخ يعني: لو قال: احلِف لأخرُجَنَّ؛ لَكانت الهمزة لحكاية لفظ الحالف، ولو قال: احلِفْ لَتَخْرُجَنَّ؛ لَكان التاء للخطاب.

قوله: (**﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ فدَعَوناكم**) يعني: إنّما قال: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ مع أنّه لم يكن منهم إلّا الدعوة؛ لأنّ الدعوة كانت محصِّلة لِبُغيَتِهم، أي: لمطلوب المُغوين؛ لأنّ التَّبَع قبلوا دعوة المتبوعين المُغوين، واختاروا الغَيّ.

---

[١] ليزيد بن الجَهم الهلالي، وهو في **حماسة أبي تمّام** بلفظ:

تُسائِلني هوازن أينَ مالي   وهل لي غير ما أتلفتُ مالُ

انظر: **شرح الحماسة** للفارسي، ٣/٣٣٨.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا﴾ سمِعُوا بكَلِمة التَّوحيد نفرُوا واستكبَرُوا عنهَا وأبَوْا إلَّا الشِّركَ.

﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يَعْنُونَ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ ردٌّ على المشركين ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة ٢/٩٧].

وقرئ: "لذائقو العذابَ" بالنَّصبِ على تقدير النُّونِ؛ كقَوله:

ولا ذاكِـــــــــرَ اللهَ إلَّا قليــــــــلًا

بتقْدير التَّنوين. وقرئ: على الأَصْل: "لذائقون العذابَ".

﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إلَّا مِثْلَ ما عمِلْتُم جَزاءً سَيِّئًا بعَملٍ سَيِّئٍ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: ولكنَّ عبَادَ الله، على الاستِثْناء المُنقَطع.

قوله:

(ولا ذاكِـــــــرِ اللهِ إلَّا قليــــــلًا)

فـــذكَـــرتُـــه ثـــمَّ عـــاتـــبـتُـــه عـــتـابًـا رفـيـقًـا وقـــولًا جـمـيـلًا
فـألْـفَـيْـتُـه غـيـرَ مُـسـتَـعْـتِـبٍ ولا ذاكِـــــرِ اللهِ إلَّا قليــــــلًا[1]

المعنى: ذكَّرتُه ما كان بيننا مِن المودّة، فألفيتُه -أي: وجدتُه- غيرَ راجع بالعتاب عن قبيح ما فعل. والأصل: ولا ذاكرٍ اللهَ، بتنوين "ذاكرٍ" ونصب "اللهَ"، إلَّا أنَّه حُذف التنوين لالتقاء الساكنين، لا للإضافة، ولهذا نصب "اللهَ"، وأمَّا "ذاكرِ" فمجرور، عطفٌ على "مستَعْتِبٍ". وجاء منصوبًا عطفًا على "غيرَ".

[1] لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه، ص ٥٣.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤﴾

فُسِّر الرِّزقُ المعْلُومُ بالفَواكه: وهيَ كُلُّ ما يُتَلذَّذُ بهِ ولا يُتقوَّت لحفْظِ الصِّحَّةِ، يَعْني: أنَّ رزْقَهم كُلَّه فَواكهُ؛ لأنَّهُم مُسْتَغْنُونَ عن حِفْظ الصِّحَّة بالأقْواتِ بأنَّهُم أجْسَامٌ مُحْكَمةٌ مَخْلُوقَةٌ لِلأبَدِ، فكُلُّ ما يأكُلُونَهُ يأكلُونه على سبِيل التَّلَذُّذ.

ويجوز أن يرادَ: ﴿رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾ مَنْعُوتٌ بخصَائص خُلِق عليها: مِن طيبِ طَعْمٍ ورَائحةٍ ولَذَّةٍ وحُسنِ مَنظرٍ.

وقيل: مَعْلُومُ الوَقْتِ؛ كقَوله: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم ١٩/٦٢].

وعن قتادة: الرزق المعلومُ: الجنَّةُ، وقولُه: ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾ يأباهُ.

قوله: **(وهي كلّ ما يُتلذّذ)** يعني: أشيرَ بهذا التفسير إلى أنّ مِن المعلوم أنّ رزقهم يكون ممّا يُتفكّه به، لا ممّا يُتقوَّت. وقوله:[1] **(لِحفظِ الصِّحّة)** متعلّق بقوله: **(يُتقوَّت)**، أي: بالمنفيّ، لا بالنفي. والمعنى: أنّ التقوُّت[2] لحفظ الصحّة مُنتفٍ، يعني: أنّهم لا يحتاجون إلى حفظ الصحّة حتّى يكون التقوُّت لأجله، فهو مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ [التوبة ٩/٤٤]، أي: كراهةَ أن[3] / يُجاهدوا، يعني: استئذانهم في القعود عن الغزْو لأجل كراهة الجهاد منتفٍ، وليس قول المتنبّي: [٣٠٦و]

أبــدُو فيسجُدُ مَن بالسوء يذكرني   ولا أعـاتِبـه صَـفْـحًـا وإهْــوانَــا[4]

مِثلَه؛[5] لأنّ الصَّفح والإهوان في البيت عِلّة عدم العِتاب.

قوله: **(ويجوز أن يُراد)** عطفٌ على قوله: **(يعني)**، فيكون المراد مِن تفسير "الرزق" بالفواكه أنّ له لذّةً وطعمًا وحُسْنَ مَنظَر، لا أنّه للتلذّذ لا للتقوُّت كما في الوجه الأوّل.

---

١ ف: قوله.
٢ ف: التفوت.
٣ د + أن.
٤ **ديوان المتنبّي**، ص ١٦٨.
٥ خبر "ليس".

وقولهُ: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ هوَ الَّذي يقُولُه العُلماءُ في حدِّ الثواب على سبيل المدح والتعظيم، وهو مِن أَعْظم ما يجِبُ أن تتُوقَ إليه نُفوسُ ذوي الهِمَم؛ كما أنَّ مِن أعظم ما يجبُ أن تَنْفِرَ عنه نُفوسُهم هَوَانَ أَهْلِ النَّارِ وصَغَارَهُم.

"التَّقابُلُ": أتَمُّ للسُّرُورِ وَآنَسُ، وقيل: لا يَنْظُرُ بَعضُهم إلى قفَا بَعْضٍ.

يُقال للزُّجَاجَةِ فيها الخمرُ: كأسٌ، وتسمَّى الخمرُ نفسُهَا كأسًا، قال:

وكـــأسٍ شَـــرِبْـــتُ عـــلـى لَـــذَّةٍ

وعن الأخفش: كُلُّ كأسٍ في القُرآنِ فهيَ الخَمرُ.

وكذا في تفسير ابن عبّاس رضي الله عنهما.

قوله: (هو الذي يقوله العلماء) يعني: الإكرام الذي يَحُدّ العلماء الثوابَ به، فيقولون: الثواب هو ما يكون بطريق الإكرام، أو الثواب هو الذي يُعطى الشخصَ على سبيل الإكرام. وقوله: (على سبيل المَدح) متعلّق بقوله: "يقولُه"، يعني: يقولون في حدِّ الثواب ذلك على سبيل المدح للثواب. ثمّ أشار المصنّف بقوله: (وهو مِن أعظم) إلى أنّ المعتبَر في الثواب الإكرام.

قوله: (وهو مِن أعظم) أي: الإكرام مِن أعظم، كما أنّ الهوان مِن أعظم.[١] وقوله: (أن تتوقَ) التَّوْقُ والتَّوَقان: الاشتياق.

قوله: (إلى قفا بعضٍ) القَفَا -مقصورٌ-: مؤخّر العُنُق، يُذكّر ويؤنّث.[٢]

قوله: (نفسُها) تأكيد أو بدَل.

قوله:[٣]

(وكـــأسٍ شـــربـــتُ عـــلـى لـــذّةٍ)

تمامه:

وأُخـــرى تـــداويـــتُ مِـــنـــهـــا بـــهـــا[٤]

---

١ ن - مِن أعظم.

٢ الصحاح للجوهري، «قفا».

٣ ن + قوله.

٤ للأعشى في ديوانه، ص ١٧٣.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: من شرابٍ مَعِينٍ، أو: من نَهرٍ مَعِيْنٍ، وهو الجارِي على وَجْه الأرض الظاهِرُ للعيُونِ، وُصِف بما يُوصَفُ بهِ الماءُ لأنّه يَجْري في الجنَّة في أنهارٍ كما يَجْري الماءُ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد ٤٧/١٥].

﴿بَيْضَآءَ﴾ صفةٌ للكَأسِ ﴿لَذَّةٍ﴾ إمّا أن توصَف باللَّذَّةِ كأنَّها نفسُ اللَّذَّةِ وعَيْنُها، أَوْ هي تأنِيثُ اللَّذِّ، يُقال: لَذَّ الشَّيءُ فهو لَذٌّ ولَذِيذٌ، ووَزْنُه فَعِلٌ كقولك: رَجُلٌ طَبٌّ قال:

وَلَــذٍّ كطَعْم الصَّــرْخَـدِيِّ تَركتُه ... بـأرْضِ العِدَا مِن خشيَةِ الحَدثانِ

يُرِيد: النَّوْمَ.

"الغَولُ": مِن غَاله يَغُوله غَوْلًا: إذَا أَهْلَكَهُ وأفسَدَهُ، ومنه: الغُولُ التي في تكاذِيبِ العَرب، وفي أَمْثالِهم: "الغَضَبُ غُولُ الحِلْم".

و﴿يُنزَفُونَ﴾ على البناء للمفعُول، من نُزِفَ الشَّاربُ: إذا ذهَبَ عَقْلُهُ، ويُقالُ للسَّكران: نَزِيفٌ ومَنْزُوفٌ، ويُقالُ للمَطْعُونِ: نُزِفَ فماتَ، إذا خرَجَ دَمُه كُلُّه، ونَزَحتُ الرَّكيَّة حتى نَزَفْتُهَا: إذا لم تَترُك فيها ماءً، ....

أي: رُبَّ كأسٍ شربتُ على طلب لذّة الخمر، وكأسٍ شربتُ للتداوي مِن خُمارها.

قوله: (كطَعم الصَّرْخَدي)[١] صَرْخَد: موضع ينسب إليه الشراب.[٢]

---

[١] ن: الصَرخِدِي. | والبيت للراعي في **لسان العرب** لابن منظور، «صرخد».

[٢] وفي هامش د ف: قوله: (وفي أمثالهم: «أجبَنُ مِن المَنزوف ضَرِطًا») حديثه: أنّ نسوة مِن العرب لم يكن لهنّ رجل، فتزوّجت إحداهنّ رجلًا كان ينام الضُّحى، فكنّ إذا أتينَه بصَبوح وقلنَ: قُم فأصطبِح، يقول: «لو نبَّهتُنّني لِعادية»، فلمّا رأين ذلك قال بعضهنّ: إنّ صاحِبَنا لَشجاع، تعالَينَ حتّى نُجرّبَه، فأتَينَ كما كنّ يأتينه فأيقَظنَه، فقال: «لو لِعادية نبَّهتُنّني»، فقلنَ: «هذه نواصي الخيل»، فجعل يقول: «الخيل الخيل» ويَضرط حتّى مات، فقيل: «هذا المنزوف ضَرِطًا». وقيل في حديثه غيرُ ذلك. مِن الميداني في **أمثال العرب**. | **مجمع الأمثال** للميداني، ١/١٨٠.

وفي أمثالهم: "أجبَنُ من المَنزُوفِ ضَرِطًا".

وقرئ: ﴿يُنزِفُون﴾ من أنزَفَ الشَّارِبُ إذا ذهَب عقْلهُ أو شَرابهُ. قال:

لَعَمْرِي لَئِنْ أنزَفْتُمْ أو صَحوْتُم ... لَبِئسَ النَّدامَى كُنتُمْ آلَ أبْجَرا

ومعناه: صَارَ ذا نَزْفٍ، ونظيرُه: "أقشَعَ السَّحابُ، وقشَعتْهُ الرِّيح" و"أكَبَّ الرَّجُلُ، وَكَبَبْتُه"، وحَقيقتُهما: دَخَلَا في القَشْعِ والكَبِّ.

وفي قراءةِ طلحَةَ بنِ مُصَرِّفٍ: "يَنزُفُونَ" بضمِّ الزاي من نَزُفَ يَنزُفُ كقَرُبَ يقرُبُ: إذا سَكِرَ.

والمعنى: ﴿لَا فِيهَا﴾ فَسَادٌ قَطُّ مِن أنوَاعِ الفساد التي تكُونُ في شُرْبِ الخَمر:

قوله: (مِن المَنْزوف) نزَفَه الدم إذا خرَج منه كثير حتّى يَضعُف، فهو نَزيف ومَنزوف.[1]

قوله: (أو شرابُه) يقال: أنْزَفَ القومُ إذا انقطع شرابهم.[2]

قوله:

(لَعَمري لئن أنزفتم)... البيتَ[3]

يخاطب آلَ أبحرا،[4] يقول: بئس الندامى أنتم، سَكْرى أو صاحِين. فقوله: "لعَمري لَئن أنزَفتم" مثلُ قولك:[5] واللهِ لَئن أكرمتني. فقوله: "لبئس الندامى" جواب القسم لفظًا، وجوابُ القسم والشرط معنًى.

قوله: (ومعناه) أي: معنى "أنزَفَ" صار ذا نَزْفٍ، ثمّ قال: نظيره: أقشَعَ... إلخ، يريد أنّ "فعَلَ" منه متعدٍّ، و"أفعَلَ" لازم، ومِن ثَمّ قال بعضهم: إنّ "أفعَلَ" ههنا مطاوع "فعَلَ"، لكنّه ليس كذلك؛ بل الهمزة في "أنزَفَ" و"أقْشَعَ" و"أكَبَّ" للصيرورة، وقد صرّح المصنّف بذلك بعد هذا في سورة المُلك.[6]

---

١ الصحاح للجوهري، «نزف».
٢ الصحاح للجوهري، «نزف».
٣ للأبيرد في الصحاح للجوهري، «نزف»؛ ولسان العرب لابن منظور، «نزف».
٤ ن: أبخرا.
٥ ف: قوله.
٦ انظر: الملك، ٦٧/٢٢.

من مَغْصٍ، أو صُداعٍ، أو خُمارٍ، أو عَرْبَدَةٍ، أو لَغْوٍ، أو تأثِيمٍ، أو غيْرِ ذلك ﴿وَلَا هُمۡ﴾ يَسْكَرُون، وهُو أَعْظَمُ مفاسِدِها فأفرَزَه وأفْرَدهُ بالذِّكر.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ۝٤٩﴾

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: قصَرْنَ أبصارَهُنَّ على أزواجِهِنَّ لا يَمْدُدْنَ طَرْفًا إلى غَيْرِهم؛ كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة ٣٧/٥٦].

و"العِين": النُّجلُ العُيون، شبَّهَهُنَّ ببَيْضِ النَّعام المَكنُون في الأَداحيّ وبها تُشَبِهُ العَربُ النِّساءَ وتُسمِّيهِنَّ: "بَيْضاتِ الخُدُور".

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾

قوله: (مِن مَغْصٍ) قال ابن السِّكِّيت: «المَغْص -بالتسكين-: تقطيع في المِعَا[١] ووجع»، قال: «والعامّة تقول: مَغَص».[٢]

قوله: (أو عَرْبَدة) العَرْبَدة: سوء الخُلُق، ورجل مُعَرْبِد: يؤذي نديمَه.[٣]

قوله: (شبَّهَهنّ ببَيْضٍ) قال الحسن وابن زيد: «شبّههن ببَيض النَّعام يَكُنّها بالريش مِن الريح والغبار، فلونها أبيضُ[٤] في صُفرة، وهذا أحسَن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاءَ مُشرَبةً صُفرةً».[٥]

قوله: (في الأداحيّ) مَدْحَى النَّعامة: موضع بَيضِها، وأُدحِيُّها: الموضع الذي تُفرِّخُ فيه، وهو "أُفعُول" مِن دَحَوت؛[٦] / لأنّها تَدحوه برِجلها، ثمّ تَبيضُ فيه، وليس للنَّعام عُشّ.[٧] [٣٠٦ظ]

---

١ وفي هامش د ف: المِعَا: واحد الأمعاء، وفي الحديث: «المؤمِن يأكل في مِعًى واحدٍ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء». | **صحيح البخاري**، ٧١/٧ (٥٣٩٣)؛ **صحيح مسلم**، ١٦٣١/٣ (٢٠٦١).

٢ **الصحاح** للجوهري، «مغص».

٣ **الصحاح** للجوهري، «عربد».

٤ ن: لبيض.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٢٥/٣ (الصافات، ٤٩/٣٧).

٦ ف ن: دحوب.

٧ **الصحاح** للجوهري، «دحا».

وفي أمثالهم: "أجبَنُ من المَنزُوفِ ضَرِطًا".

وقرئ: ﴿يُنزِفُون﴾ من أنزَفَ الشّارِبُ إذا ذهَب عقْلهُ أو شَرابهُ. قال:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمْ أو صَحَوْتُم ... لَبِئسَ النَّدامَى كُنتُمْ آلَ أَبْجَرا

ومعناه: صَارَ ذا نَزْفٍ، ونظيرُه: "أقشَعَ السَّحابُ، وقشَعتْهُ الرِّيح" و"أكَبَّ الرَّجلُ، وَكَبَبْتُه"، وحَقيقتُهما: دَخَلا في القَشْعِ والكَبِّ.

وفي قراءةِ طلحَةَ بنِ مُصَرِّف: "يَنزُفُونَ" بضمّ الزاي من نَزُفَ يَنزُفُ كقَرُبَ يقرُبُ: إذا سَكِرَ.

والمعنى: ﴿لَا فِيهَا﴾ فَسادٌ قَطُّ مِن أنوَاع الفساد التي تكُونُ في شُرْب الخَمر:

قوله: (مِن المَنْزوف) نزَفَه الدم إذا خرَج منه كثير حتّى يَضعُف، فهو نَزيف ومَنزوف.[١]

قوله: (أو شرابُه) يقال: أَنْزَفَ القومُ إذا انقطع شرابهم.[٢]

قوله:

(لَعَمري لئن أنزفتم)... البيتَ[٣]

يخاطب آلَ أبحرا،[٤] يقول: بئس الندامى أنتم، سَكْرى أو صاحِين. فقوله: "لعَمري لَئن أنزَفتم" مثلُ قولك:[٥] واللهِ لَئن أكرمتني. فقوله: "لبئس الندامى" جواب القسم لفظًا، وجوابُ القسم والشرط معنًى.

قوله: (ومعناه) أي: معنى "أنزَفَ" صار ذا نَزْفٍ، ثمّ قال: نظيره: أقشَعَ... إلخ، يريد أنّ "فعَلَ" منه متعدٍّ، و"أفعَلَ" لازم، ومِن ثَمّ قال بعضهم: إنّ "أفعَلَ" ههنا مطاوع "فعَلَ"، لكنّه ليس كذلك؛ بل الهمزة في "أنزَفَ" و"أقْشَعَ" و"أكَبَّ" للصيرورة، وقد صرّح المصنّف بذلك بعد هذا في سورة المُلك.[٦]

---

١ الصحاح للجوهري، «نزف».

٢ الصحاح للجوهري، «نزف».

٣ للأُبيرد في الصحاح للجوهري، «نزف»؛ ولسان العرب لابن منظور، «نزف».

٤ ن: أبخرا.

٥ ف: قوله.

٦ انظر: الملك، ٦٧/٢٢.

من مَغْصٍ، أو صُداعٍ، أو خُمارٍ، أو عَرْبَدَةٍ، أو لَغْوٍ، أو تأثِيمٍ، أو غيرِ ذلك ﴿وَلَا هُمْ﴾ يَسْكَرُون، وهُو أعْظَمُ مفاسِدِها فأفرَزَه وأفْرَدهُ بالذِّكر.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قصَرْنَ أبصارَهُنَّ على أزواجِهِنَّ لا يَمْدُدْنَ طرْفًا إلى غَيْرهم؛ كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة ٥٦/٣٧].

و"العِين": النُّجْلُ العُيون، شبَّهَهُنَّ ببَيْضِ النَّعام المَكنُون في الأدَاحيِّ وبها تُشَبِّهُ العَربُ النِّساءَ وتُسمِّيهِنَّ: "بَيْضَاتِ الخُدُور".

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله: **(مِن مَغْصٍ)** قال ابن السِّكِّيت: «المَغْصُ -بالتسكين-: تقطيع في المِعَا[1] ووجع»، قال: «والعامّة تقول: مَغَصٌ».[2]

قوله: **(أو عَرْبَدة)** العَرْبَدة: سوء الخُلُق، ورجل مُعَرْبِد: يؤذي نديمَه.[3]

قوله: **(شبَّهَهنّ ببَيْضٍ)** قال الحسن وابن زيد: «شبّههن ببَيض النَّعام يَكُنّها بالريش مِن الريح والغبار، فلونها أبيضُ[4] في صُفرة، وهذا أحسَن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاءَ مُشرَبةً صُفرةً».[5]

قوله: **(في الأداحيّ)** مَدْحَى النَّعامة: موضع بَيضِها، وأُدحِيُّها: الموضع الذي تُفرِّخُ فيه، وهو "أُفعُول" مِن دَحَوت؛[6] / لأنّها تَدحوه برِجلها، ثم تَبيض فيه، وليس للنَّعام عُشّ.[7] [٣٠٦ظ]

---

١ وفي هامش د ف: المِعَا: واحد الأمعاء، وفي الحديث: «المؤمن يأكل في مِعًى واحدٍ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء». | **صحيح البخاري**، ٧١/٧ (٥٣٩٣)؛ **صحيح مسلم**، ١٦٣١/٣ (٢٠٦١).

٢ **الصحاح** للجوهري، «مغص».

٣ **الصحاح** للجوهري، «عربد».

٤ ن: لبيض.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٢٥/٣ (الصافات، ٤٩/٣٧).

٦ ف ن: دحوب.

٧ **الصحاح** للجوهري، «دحا».

فإن قلتَ: علامَ عُطِف قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؟

قلتُ: على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والمعنى: يَشربُونَ فيتحَادَثُونَ على الشَّراب كعَادَةِ الشَّرْبِ، قال:

ومـا بَـقِـيَـتْ مِـن الـلَّـذاتِ إلّا أحَـاديـثُ الـكِـرام عـلـى الـمُـدَام

فيُقبِلُ ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ عمّا جرَى لهُم وعَلَيهِم في الدُّنيا، إلّا أنّهُ جيءَ بهِ ماضِيًا على عَادة الله في أَخباره.

قرئ: ﴿من المصدقين﴾ من التَّصْديق، و: "من المُصَّدِّقين" مُشدَّدَ الصَّاد من التَّصدُّقِ.

وقيل: نزلَتْ في رجُلٍ تصَدَّق بمالِه لوَجْه الله فاحتاجَ فاستَجْدَى بعضَ إخوانهِ، فقال: وَأينَ مالك؟! قال: تَصدَّقتُ به لِيُعَوِّضَني اللهُ في الآخرة خيْرًا مِنه، فقال: أئنَّكَ لَمن المُصَدِّقين بيَومِ الدِّين -أو: من المتصَدِّقين لطَلَب الثَّواب- واللهِ لا أُعْطِيكَ شيئًا.

﴿لَمَدِينُونَ﴾: لمَجْزِيُّونَ، من الدِّين وهو الجزاء، أو: لَمَسُوسُونَ مَرْبُوبُونَ، يُقَال: دَانَه: سَاسَهُ، ومنه الحديث: «العَاقِلُ من دانَ نفسَه».

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ يَعني: ذلك القائلُ: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النَّارِ لأرِيَكُم ذلك القَرِينَ. قيل: إنَّ في الجنَّة كِوًى يَنظُر أَهْلُها مِنها إلى أهل النَّار.

قوله:

(ومـا بـقـيَـتْ مِـن الـلـذّات إلّا أحـاديـثُ الـكـرام عـلى الـمُـدام)[١]

أشار بإيراد البيت إلى أنّ عادة الشَّرْب الحديث على الشُّرْب.

---

[١] قال الشهاب الخفاجي: «الذي رأيناه في كتب الأدب أنّ هذا الشعر لمحمّد بن فيّاض مِن المحدَثين، وأنشدوه هكذا:
ومـا بقيت مِـن الـلـذّات إلّا محادثة الكِرام على الشَّرابِ»
حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٧/٢٧٠.
وهو بهذا اللفظ في **يتيمة الدهر** للثعالبي، ١/١٣٢؛ لأبي محمّد عبد الله بن عمرو الفيّاض، كاتب سيف الدولة.

وقيل: القائل اللهُ عزَّ وجلَّ، وقيل: بَعضُ الملائكة يقُول لأَهْل الجنَّة: هل تُحبُّونَ أن تَطَّلِعُوا فتَعلمُوا أينَ مَنزِلتُكم مِن مَنزِلةِ أَهْلِ النَّار.

وقُرِئ: ﴿مُطَّلِعُونَ... فَٱطَّلَعَ﴾ و: "فَأَطَّلِعَ" بالتَّشديد على لفظ الماضِي والمضارع المنصوب، و: "مُطْلِعُونَ... فأَطْلَعَ" و: "فأُطْلِعَ" بالتَّخفيف على لفظ الماضِي والمضارعِ المنصوب، يُقَال: طَلَعَ عَلينا فُلانٌ واطَّلَع وأَطْلَع بمَعْنًى واحِدٍ.

والمعْنَى: هَل أنتُم مُطَّلِعُون إلى القَرِين فأَطَّلِعَ أَنا أَيْضًا؟ أو عَرَض عَليهم الاطِّلاعَ فاعتَرَضُوه فَاطَّلَع هُو بَعْد ذلك.

وإن جَعَلتَ الإِطْلاعَ من أَطْلَعه غيرُه فَالمَعنى: ....

قوله: (يقول لأهل الجنّة) الضمير مِن قوله: "يقول" يعود إلى الله تعالى، أو إلى بعض الملائكة.

قوله: (مِن منزلة) حال مِن الضمير المستتر في "أين"، فـ"مِن" للابتداء متعلِّق بـ"أين".

قوله: (فأطَّلِعَ أنا أيضًا) مضارع منصوب؛ لأنّه جواب الاستفهام.

قوله: (فاعترضوه)[1] مُطاوع عَرَض، أي: فقبلوا العَرْض. وقوله: (فاطَّلَعَ هو[2] بعد ذلك) "اطَّلَع" ماضٍ، وعلى هذا يكون في الكلام حذف، كأنّه قيل: هل[3] أنتم مُطَّلِعون؟ فاطَّلَعوا، فاطَّلَع، وإليه الإشارة بقوله: "فاعتَرَضوه"؛ لأنّه بمعنى فاطَّلَعوه.

قوله: (مِن أطلَعه غيرَه) وإذا[4] جعلتَ "الإطْلاع" مِن "أطلَعَه" فإنّما يكون ذلك في قوله: (مُطْلِعون)،[5] وأمّا في قوله: (فأطلَعَ) وقولِه: (فأُطلِعَ) ماضيًا ومضارعًا فمِن "الإطْلاع" بمعنى "الاطِّلاع"، لا مِن "أطْلَعَه غيرَه"، وإلّا لا يستقيم المعنى، فتأمّل.

---

[1] وفي هامش د: أي: الاطِّلاع.
[2] ف - هو.
[3] ف + هو.
[4] ف: فإذا.
[5] ن: مُطِّلعون.

أنه لمّا شَرَط في اطِّلاعِه اطِّلاعَهُم -وهُو من آداب المُجالَسة: أن لا يَستَبِدَّ بشيءٍ دُونَ جُلسَائِه- فكأنَّهم مُطْلِعُوه.

وقيل: الخطاب على هذا للمَلائكةِ.

وقرئ: "مُطْلِعونِ" بكسر النون، أرَادَ: مُطْلِعُونَ إيَّايَ، فوضَع المتَّصِلَ مَوْضعَ المُنفصِل؛ كقَوله:

هُــم الـفـاعـلـونَ الـخـيـرَ والآمِـرونـه

أو شبّه اسمَ الفاعِل في ذلك بالمضارع لِتَآخٍ بينهما؛ كأنَّه قال: تُطْلِعُونِ، وهو ضعيفٌ لا يَقعُ إلَّا في الشِّعْر.

﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في وسَطِهَا، يُقال: تَعِبْتُ حَتَّى انقَطعَ سَوائي.

قوله: (وهو مِن آداب) ضمير مُبهم[1] يفسِّره[2] (أن لا يستَبِدَّ). وقوله: (وهو) إلى قوله: (جُلَسائه) جملة معترِضة.

قوله: (أراد: مُطْلِعون إيّايَ)[3] وإلّا لقال: مُطلِعيَّ؛[4] لوجوب حذف النون بالإضافة والإدغام، وذلك لأنّه إذا اتّصل أسماء الفاعلين أو المفعولين بمفعولاتها وكانت مضمَرات متّصلات التزموا الإضافة.

قوله:

(هــم الـفـاعـلـون الـخـيـرَ والآمِــرونــه)

تمامه:

إذا ما خَشوا مِن حادثِ الدهر مَعْطَبَا[5]

والعَطَبُ: الهلاك، والمَعاطِبُ: المَهالك، الواحد مَعْطَب.[6]

---

[1] ن: منهم.

[2] ف: تفسيره

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وابن مُحيصن. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢١٩/٢؛ وشواذّ **القراءات** للكرماني، ص ٤٠٥.

[4] وفي هامش د ف: نحو: مُسلميّ.

[5] بغير نسبة في **الجمل** للخليل، ص ٢٦٧؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٢٧٠/٤.

[6] **الصحاح** للجوهري، «عطب».

وعن أبي عُبَيْدةَ: قال لي عِيسَى بنُ عُمَر: كنتُ أكتُبُ يا أبَا عُبَيدة حَتَّى يَنقطِعَ سَوائِي.

﴿إن﴾ مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، وهي تَدْخلُ على "كادَ" كما تدْخلُ على "كانَ"، ونَحوُه: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان ٤٢/٢٥] واللَّامُ هي الفَارقةُ بينَها وبينَ النَّافِيَةِ.

و"الإِرْداءُ": الإِهْلاكُ، وفي قراءةِ عبد الله: "لَتُغْوِينِ".

و﴿نِعْمَةُ رَبِّي﴾: هي العِصْمةُ والتَّوفيقُ في الاستمسَاك بعُروةِ الإسلام والبَراءةِ من قرينِ السُّوء، أو: إنعَامُ الله بالثَّواب وَكونُه من أَهْل الجنَّة.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: من الَّذِين أُحْضِرُوا العَذابَ كما أُحْضِرْتَه أنْتَ وأَمثَالُكَ.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾

الذي عَطَفت عليه الفَاء مَحذوفٌ مَعناه: أنَحْن مُخَلَّدُونَ مُنَعَّمُون فما نحنُ بمَيِّتينَ ولا مُعَذَّبينَ؟ وقرئ: "بمائتين".

والمعنى: إنَّ هذه حالُ المؤمنين وصِفَتُهم وما قَضَى اللهُ به لهم -للعِلْم بأعمالِهم-: ....

قوله: (**الذي عَطَفَتْ**)... إلخ مفعول "عَطَفَتْ" محذوف مِن لفظ المصنِّف، والضمير مِن "عليه" عائد إلى "الذي"، ومفعوله عبارة عن ﴿مَا نَحْنُ﴾... إلخ، وتقدير كلامه: الذي عَطَفَت الفاء قولَه: ﴿مَا نَحْنُ﴾... إلخ عليه محذوف. ثمّ بيّن المعطوف عليه المحذوفَ بقوله: (**أنحن**[١] **مُخلَّدون مُنعَّمون؟**)، أمّا "مُخلَّدون" فقد دلّ عليه[٢] ﴿بِمَيِّتِينَ﴾، وأمّا "مُنعَّمون" فدلّ عليه ﴿مُعَذَّبِينَ﴾.

قوله[٣] يريد به الإشارةَ إلى المعطوف[٤] عليه المحذوفِ، وهو "نحن مخلَّدون منعَّمون"، ثمّ أشار إلى معنى الآية بقوله: (**والمعنى**)... إلخ. وقوله: (**هذه**)

---

١ ن - أنحن.
٢ ف - عليه.
٣ كذا في النسخ الخطيّة، ولعلّه يريد: قوله: (ومعناه).
٤ ن: المفعول.

أنْ لا يَذُوقُوا إلّا المَوتةَ الأُولى، بخلافِ الكُفّار فإنّهم فيما يَتمنَّونَ فيه المَوتَ كُلَّ ساعةٍ.

وقيل لبعض الحُكماء: ما شرٌّ مِن المَوت؟ قال: الذي يُتمنَّى فيه المَوتُ.

يقولُه المؤمِن تَحدُّثًا بنعمة اللهِ واغتِباطًا بحاله، وبمَسْمَعٍ مِن قَرِينه ليَكُون توبيخًا له يَزِيدُ به تَعَذُّبًا، وليَحْكِيَه اللهُ فيَكونَ لنا لُطفًا وزَاجِرًا.

ويجوز أن يكونَ قوْلَهم جميعًا، وكذلك قولُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: إنَّ هذا الأمْرَ الَّذِي نحنُ فيه، وقيل: هو من قَول الله عزَّ وجلَّ تقرِيرًا لقولهم وتصْديقًا له.

وقرئ: "لهو الرزقُ العظيم" وهو ما رُزِقُوه من السَّعادَة.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

تَمَّت قِصَّةُ المؤمِن وقَرِينه ثمّ رجَع إلى ذِكر الرِّزق المَعْلوم فقال: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الرزقُ ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾، أي: خَيرٌ حَاصِلًا ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾.

وأصْلُ النُّزُل: الفَضْلُ والرَّيعُ في الطَّعام، يُقَالُ: طعامٌ كثيرُ النُّزل،

إشارة مُبهمة يبيّنه قوله: (أن لا يَذوقُوا).[1] والحاصل أنّ المؤمنين لا يموتون، والكافرين في أشدَّ مِن الموت.

قوله: (يقوله[2] المؤمِن) أي: المؤمِن الذي قال: ﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ [الصافات ٥١/٣٧].

قوله: (قولَهم جميعًا) أي: قولَ المؤمنين، لا المؤمِنِ الذي كان لي قرين وحده.[3]

---

[1] د: يذقوا.

[2] ن: بقوله.

[3] وفي هامش د ف: قوله: (وأصل النُّزُل)... إلخ يحتمل أن يكون أصله هذا، ثمّ استُعير للحاصل مِن الشيء، ولِما يقام للنازل بجامع الزيادة. ويحتمل أن يكون مشتركًا بين الفضل وما يقام للنازل، ثمّ استُعير مِن المعنى الأوّل للحاصل مِن الشيء، والجامعُ ما ذكرنا. والمعنى الأوّل مناسب لأن يكون تمييزًا؛ لأنّ فائدة الشيء لا يكون عينه، وعلى المعنى الثاني مناسب لأن يكون حالًا، تأمّل، أي: لأن يكون النُّزُل به، أي: بسببه.

فاستُعِيرَ للحاصِلِ من الشَّيء، وحاصلُ الرِّزق المعْلُوم: اللَّذَّةُ والسُّرُورُ، وحَاصلُ شجرة الزَّقُّوم: الألمُ والغَمُّ، وانتِصَابُ ﴿نُزُلًا﴾ على التَّميز.

ولك أنْ تجعَلَه حَالًا كما تقول: أَثمرُ النَّخلةِ خَيْرٌ بَلحًا أَمْ رُطَبًا؟ يَعْني: أَنَّ الرِّزق المعلومَ نزُلُ أهل الجنَّة، وأهْلُ النَّار نزلُهم شجَرةُ الزَّقُّوم، فأيُّهمَا خَيْرٌ في كَونِه نُزلًا؟ و"النُّزل": ما يُقام للنَّازل بالمكانِ من الرِّزق، ومنه: "أنزالُ الجُنْد" لأرزَاقهم؛ كما يقال لِمَا يُقام لِسَاكن الدَّار: السَّكْنُ.

ومَعنَى الأوَّل: أنَّ للرزق المَعْلُوم نزُلًا ولِشَجرة الزَّقُّوم نزلًا فأيُّهما خيْرٌ نُزلًا؟ ومَعْلومٌ أنَّه لا خيْرَ في شجرَة الزَّقُّوم، ولكنَّ المؤمنينَ لَمَّا اختارُوا مَا أدَّى إلى الرِّزق المَعلوم واختار الكافرون ما أدَّى إلى شَجرَة الزَّقُّوم قيل لَهُم ذلك تَوبيخًا على سُوء اختيارهم.

﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾: مِحْنةً وعَذابًا لَهُم في الآخِرة، أو: ابتِلاءً لهُم في الدُّنيا، وذلك أَنَّهم قالُوا: كيْف يكُون في النَّار شجَرةٌ، والنَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَر؟ فكَذَّبُوا.

وقرئ: "نابِتَةٌ".

﴿فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قيل: مَنبِتُها في قعْر جهَنَّم، وأغصَانُها تَرْتفِعُ إلى دَرَكاتِها.

قوله: (ولك أن تجعلَه حالًا)[١] وإذا جعلته حالًا يكون "الرِّزق المعلوم" هو "النُّزُلُ"، ولا يكون المراد بـ"النُّزُلِ" الحاصلَ.

قوله: (لِما يُقام) أي: مِن الرزق.

[٣٠٧و] / قوله: (ومعنى الأوّل) يعني: المعنى على تقدير أن يكون "النُّزُل" بمعنى الحاصل، ويكونَ تمييزًا. والفرق بين المَعنَيين أنّك إذا جعلته حالًا فـ"الرزق المعلوم" هو "النُّزُل"، وكذلك "شجرة الزقّوم" هو "النُّزُل". وأمّا[٢] إذا جعلتَه تمييزًا فلا يكون "الرزق المعلوم" هو "النُّزُل"؛ بل يكون[٣] متعلّقًا به، كما قال: حاصل "الرزق المعلوم" اللذّة والسرور، وكذلك "شجرة الزقّوم"، فتأمّل.

---

١ ف: حالًا.
٢ ن - أمّا.
٣ ف - يكون.

والطَّلعُ لِلنَّخلةِ فاستُعِير لِمَا طَلع من شجَرةِ الزَّقُّومِ مِن حَملِهَا: إمَّا استِعَارةً لَفظِيَّةً أو مَعْنوِيَّةً، وشُبِّهَ برُؤوسِ الشَّياطين دلالَةً على تَناهيهِ في الكراهَةِ وقُبْح المَنظَر؛ لأنَّ الشَّيطانَ مَكرُوهٌ مُستقْبَحٌ في طِبَاع النَّاسِ لاعتِقادهم أنَّه شَرٌّ مَحْضٌ لا يخلطُهُ خَيرٌ، فيقُولُون في القبيح الصُّورةِ: كأنَّه وَجْهُ شيطانٍ، كأنَّه رأسُ شَيْطانٍ، وإذا صَوَّرهُ المُصوِّرُون جَاؤوا بصُورتهِ على أقْبحِ ما يُقَدَّرُ وأهْوَلِه، كمَا أنَّهم اعتقَدُوا في المَلَك أنَّه خيْرٌ مَحْضٌ لا شَرَّ فيه، فشَبَّهُوا به الصُّورة الحَسنَةَ؛ قال الله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف ١٢/٣١] وهذا تشبيهٌ تَخييليٌّ.

وقيل: الشيطان حَيَّةٌ عَرْفَاءُ قبيحةُ المَنظَر هَائلةٌ جِدًّا.

قوله: **(إمّا استعارةً لفظيّة[1] أو معنويّة)** أمّا الاستعارة اللفظيّة بأن يُطلَق على ما طلَع مِن شجرة الزقّوم اسمُ الطَّلع مِن غير مُشابهة بينهما في الصورة. والمعنويّةُ بأن يكون بينهما مشابهة صوريّة، بأن يكون قد خلقه الله تعالى على صورة النخل.

قوله: **(وهذا تشبيه تخييليّ)** يعني: اعتبروا صورةً قبيحةً للشيطان بطريق التخييل، ثمّ شبَّهوا به طَلْع شجرة الزقّوم. وبيان التخييل فيه: أنّهم جعلوا الشيطان كالعدوّ المُباغِض القبيحِ الصورةِ، أو كالحيّة الكريهةِ المنظرِ، فأثبتوا له رأسًا قبيحًا هائلًا مثلَ رأس[2] ذلك العدوّ أو تلك الحيّة، ثمّ شبّه به الطَّلْع، فلذا قال: "تَخييليّ"، فتأمّل. والطَّلْع: ما يَطلُع مِن النخلة، وهو الكُمُّ قبل أن يَنشقّ.[3]

قوله: **(وقيل: الشيطان)** عطفٌ على قوله: **(دَلالةً)** مِن حيث المعنى. وقوله: **(عَرْفاء)** أي: ذات عَرْف.

---

[1] وفي هامش د: كأنّه أراد بالاستعارة اللفظيّة المجازَ غيرَ المفيد، مثل: المَرسِن،(١) فإنه لمّا لم يكن مفيدًا يكون بمنزلة اللفظ، فيكون الطَّلْع في الأصل للطالِع مِن النخلة، فاستُعمل في مطلَق الطالِع. | (١) المرسِن -بكسر السين-: موضع الرَّسَنِ مِن أنف الفرس، ثمّ كثُر حتّى قيل: مَرْسِن الإنسان. **الصحاح** للجوهري، «رسن».

[2] ن: رأ.

[3] **المُغرب** للمطرّزي، «طلع».

وقيل: إنَّ شجرًا يُقالُ له: الأَسْتَن، خَشِنًا مُنْتِنًا مُرًّا مُنكَرَ الصُّورَة يُسمَّى ثمرُهُ: رُؤوسَ الشَّياطِين. وما سَمَّتِ العربُ هذا الثمرَ برُؤوسِ الشَّياطِين إلَّا قَصْدًا إلى أحَدِ التَّشبيهَين، ولكنَّه بَعْدَ التَّسْمِيَةِ بذلك رجَع أَصْلًا ثَالِثًا يُشَبَّه بهِ.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦﴾

﴿مِنْهَا﴾: مِن الشَّجَرة؛ أي: مِن طَلْعِها ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ بُطونَهم لِمَا يَغلِبُهم من الجُوع الشَّديد، أو يُقسَرُونَ على أكْلِهَا وإنْ كَرِهُوها ليكونَ بابًا من العَذابِ، فإذا شبِعُوا غَلبَهُم العَطشُ فيُسقونَ شَرابًا ....

قوله: (**يقال له: الأَسْتَنُ**) قال في **المُجمل**: «الأَسْتَنُ: شجر، قال النابغة:

تَحيد عن أَسْتَنٍ سُودٍ أسافِلُه ... مثلَ الإماء اللواتي تحمل الحُزَمَا»[١]

"الحُزَمُ" جمع الحُزْمة مِن الحطب وغيره، أي: تَنْفِرُ ناقتي عن هذا الشجر. ثمّ ذكر سبب نُفور ناقتِه فيقال: أسافل هذا الشجر سود، وفي أعلاه أغصان[٢] كثيرة، فهي تُشبِه الإماء اللواتي تَحمِل الحطَبَ حُزْمةً حُزْمةً على رأسها.

وقوله: (**هذا الثَّمَر**) يريد: ثَمَر الأستَن، ويريد بأحد التشبيهَين التشبيهَ التخييليّ في قوله: "الشيطان مكروه مستقبَح"... إلخ، أو ما ذكره مِن أنّ "الشيطان حيّة عَرفاء"... إلخ. وقوله: (**ولكنّه**) أي: ولكنّ ثَمَر الأَسْتَن بعد أن سُمّي بـ"رءوس الشيطان" صار أصلًا، أي: بمثابة الحقيقة يُشبَّه به، وهذا مثل ما ذكَر عن قريب، وهو قوله: "مِن المجاز ما غلبَ في الاستعمال حتّى لَحِق بالحقائق"،[٣] فلذلك يُجعل عنه المجاز.[٤]

---

١ **مجمل اللغة** لابن فارس، «ستن». والبيت في **ديوان النابغة الذبياني**، ص ٦٥، بلفظ:
مَشيَ الإماءِ الغَوادي تَحمل الحُزَما

٢ ف: أغضان.

٣ في تفسير الصافات، ٣٧/٢٨.

٤ وفي هامش د ف: قوله: (أصلًا ثالثًا) اثنان مِن الأصول في ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ بطريق الحقيقة، لكن إحداهما تخيلي، والثاني تحقيقي، والثالث منها بطريق المجاز، وهو ثمر الأَسْتَن، فحينئذ لـ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ثلاثة معان: اثنان بطريق الحقيقة، وواحد بطريق المجاز، وهذا المجاز بالاشتهار صار بمنزلة الحقيقة، فيشبّه به كما تقدّم.

من غسّاقٍ أو صَديدٍ.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾

"شوبه"؛ أي: مِزاجهُ ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يَشْوِي وُجوهَهُم ويُقطِّعُ أمعاءَهُم؛ كما قال في صِفة شرابِ أهلِ الجنَّة: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين ٢٧/٨٣].

وقرئ: "لَشُوبًا" بالضَّمِّ، وهو اسمُ ما يُشابُ بِهِ، والأوَّلُ تسميةٌ بالمَصْدرِ.

فإن قلتَ: ما معنى حرفِ التَّراخِي في قَوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وفي قَوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾؟

قلتُ: في الأوَّل وجهان:

أحدُهما: أنَّهم يَملؤونَ البُطونَ من شجَرة الزَّقُّوم، وهو حَارٌّ يُحرِقُ بُطونَهم ويُعَطِّشُهُم فلا يُسقَوْنَ إلَّا بَعْد مَليٍّ تَغذيبًا بذلك العَطشِ، ثُمَّ يُسْقَونَ ما هو أحَرُّ وهُو الشَّرابُ المشُوبُ بالحَميم.

والثاني: أنَّه ذكَر الطَّعَامَ بتلك الكراهَةِ والبَشاعةِ ثُمَّ ذكَر الشَّرابَ بما هُو أكْرَهُ وأبشَعُ، فجَاء بـ﴿ثُمَّ﴾ للدَّلالَة على تَراخِي حالِ الشَّرابِ عن حالِ الطَّعَام، ومُبَاينَة صِفتهِ لصِفتِه في الزِّيَادة عَليْه.

ومعنى الثاني: أنَّهم يُذهَبُ بهم عن مَقَارِّهم ومَنازِلهم في الجحيم -وهي الدَّرَكاتُ الَّتي أُسْكِنُوهَا- إلى شَجَرة الزَّقُّوم ....

قوله: (مِن غسّاق) "الغسّاق": الدم والقيح الأسود الذي يسيل مِن أعضاء أهل النار.

قوله: (وهو اسم ما يُشاب به) ليس في "يُشاب" ضمير، وهو مُسنَد إلى "به".[١]

قوله: (إلّا بعد مَليّ) المَلِيُّ: الدهر الطويل.

قوله: (وهي الدَّرَكات) فالمراد بـ﴿ٱلْجَحِيم﴾ هنا دركاته؛ لأنّ شجرةَ الزقّوم أيضًا[٢] في الجحيم.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ قد ذُكر في النمل. | النمل، ٦٩/٢٧.

[٢] ن: ليضا.

فيأكُلونَ إلى أنْ يَمتَلِئُوا، ويُسقَونَ بَعْد ذلك ثم يُرْجَعُون إلى دَرَكاتِهم، ومَعْنى التَّراخي في ذلك بَيِّنٌ.

وقرئ: "ثم إنَّ مُنْقَلَبَهم"، "ثمَّ إنَّ مَصِيرَهم" "ثمَّ إنَّ مَنفذهُم إلى الجحيم".

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾

عَلَّل استِحقَاقَهُم للوُقُوع في تلك الشَّدائدِ كلِّها بتقليد الآبَاء في الدِّين واتِّبَاعِهم إيَّاهُم على الضَّلالِ وتركِ اتِّباع الدَّليل.

و"الإِهْرَاعُ": الإسْراعُ الشَّدِيدُ كأنهم يُحَثُّونَ حَثًّا، وقيل: إسْراعٌ فيه شَبِيهٌ بالرِّعْدةِ.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٧٤﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قومِكَ قُرَيْشٍ.

﴿مُّنذِرِينَ﴾: أنبياءَ حَذَّرُوهُم العَواقِبَ.

﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الَّذين أُنْذِرُوا وحُذِّرُوا؛ أي: أُهْلِكُوا جميعًا.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ الَّذين آمَنُوا مِنهم وأَخْلَصُوا لله دِينَهُم، أو أَخْلَصَهُم اللهُ لدِينهِ، على القِراءتين.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٨٢﴾

قوله: (وأخلَصوا دينهم) على تقدير كسر اللام مِن ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾.[١] وقوله: (أو أخلَصهم الله) على تقدير فتح اللام مِن ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.[٢]

---

١ قرأ بكسر اللام ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

٢ قرأ بفتح اللام نافع وأبو جعفر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

لمّا ذكَر إرْسَالَ المُنْذِرين في الأُمم الخاليَةِ وسُوءَ عَاقبة المنْذَرين، أتْبَع ذلك ذِكْرَ نُوحٍ عليه السلام ودعائِه إيَّاهُ حينَ أَيِسَ من قوْمِهِ، واللامُ الدَّاخِلةُ على "نِعْمَ" جوابُ قَسَمٍ محذُوفٍ، والمخصُوصُ بالمدْح محْذُوفٌ وتقديرهُ: فواللهِ لَنِعْم المُجيبُونَ نَحنُ، والجمْعُ دَليلُ العَظَمةِ والكِبريَاءِ.

والمعْنى: إنَّا أَجَبْناه أَحْسَنَ الإجَابةِ وأوصَلْها إلى مُرادِه وبغيْتهِ: من نُصرتهِ على أعدائه، والانتقَامِ منهُم بأَبلغِ ما يكُون.

﴿هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾: هم الذين بَقُوا وَحْدَهُم وقَد فَنِيَ غَيْرُهم، فقَد رُوِي أنّه مات كُلُّ مَن كان مَعَه في السَّفينةِ غيرَ ولَدِه.

أو هُم الَّذِينَ بَقُوا مُتَنَاسِلين إلى يوم القيَامةِ، قال قتَادةُ: النَّاسُ كُلُّهم من ذُرِيَّةِ نوحٍ عليه السلام.

وكان لنُوحٍ عليه السلام ثلاثةُ أوْلادٍ: سَامٌ وحَامٌ ويَافِثُ، فسَامٌ: أبُو العَرب وفارسَ والرُّومِ، وحَامٌ: أَبُو السُّودَانِ من المشرق إلى المغرب، ويافثُ: أبو التُّرك ويَأجوجَ ومأجُوجَ.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ من الأُمَمِ هذه الكلمَةَ، وهيَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ﴾ يعني: يُسَلِّمُونَ عَليه تَسْليمًا ويَدْعُون له، وهُو مِن الكلام المَحْكِيِّ كقولك: "قرأتُ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾".

فإن قلتَ: فما معْنى قوله: ﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

قلتُ: معناه الدُّعاءُ بثُبُوت هذه التَّحيَّة فيهم جميعًا، وأَنْ لا يخلُوَ أَحَدٌ مِنهُم منها؛ كأنَّه قيل: ثَبَّتَ اللهُ التسليمَ على نُوحٍ وأَدامَهُ في المَلائكة والثَّقَلين يُسَلِّمُونَ عليهِ عن آخِرهِمْ.

قوله: **(مِن الكلام المَحكيّ)** وإلّا فالقياس: سلامًا؛ لأنّه مفعول ﴿تَرَكۡنَا﴾.

قوله: **(قلتُ: معناه)**... إلخ فقوله: ﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] مِن تتمّة كلام المسلِّمين، [٣٠٧ظ] / يدعون لنوح بأن تُبَتَّتْ[2] له هذه التحيّة في العالمين، فلذلك قال: **(كأنّه قيل)**،

---

[1] ف: الغالمين.

[2] ف: ثبثت.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ عَلَّل مُجَازَاةَ نوحٍ عليه السلام بتِلك التكرمَةِ السَّنِيَّةِ من تَبْقِيَةِ ذِكره وتَسليمِ العَالَمين عَليه إلى آخِر الدَّهر بأنَّه كان مُحْسِنًا، ثم عَلَّل كونَه مُحسِنًا بأنَّه كان عبْدًا مُؤمنًا؛ ليُريَك جَلالةَ محَلِّ الإيمان وأنَّه القُصَارى من صِفات المدْح والتعظيم، ويُرغِّبَكَ في تحصيله والازديادِ مِنه.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: ممَّن شايعَه على أصُول الدِّين وإن اختلفَت شرائعُهما، أو شَايعَه على التَّصلُّبِ في دين الله ومُصَابرةِ المكذِّبين.

ويجوز أن يكُون بيْن شريعَتَيهِمَا اتِّفَاقٌ في أكثرِ الأشياء.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: من أَهلِ دِينه وعلى سُنَّتِه.

وما كان بينَ نُوحٍ وإبراهيم إلَّا نبيَّانِ: هودٌ وصَالحٌ، وكان بيْنَ نُوحٍ وإبراهيم أَلْفَانِ وستُّ مئةٍ وأربعُونَ سنةً.

فإن قلتَ: بِمَ تعَلَّق الظَّرفُ؟

أي: كأنَّه قال المسلِمون.[1]

---

[1] وفي هامش د: قوله: (فضَرب المجيءَ مثلًا لذلك) أي: للإخلاص لله بقلبه، شُبِّه حال مَن أخلص لله قلبه في قُربه منه بسبب خلُوصه بحال مَن جاء مِن بعيد إلى حضرة عظيم مالك له، كما أنَّ للجائي يَحصُل قُرب في الظاهر بَعد بُعدٍ منه بمجيئه، كذلك المُخلص يحصل له قربٌ معنويٌ رُتبيٌ بخصوصه. قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ بدل مِن ﴿إِذۡ﴾ الأولى، ويجوز أن يكون ظرفًا لـ﴿سَلِيمٍ﴾ أو لـ﴿جَآءَ﴾. أبو البقاء. | **التبيان لأبي البقاء العكبري،** ٢/١٠٩١.

قلتُ: بما في الشِّيعَة من معنى المُشايعَةِ، يَعْنِي: وإنَّ ممَّن شايعَهُ على دينِهِ وتقوَاهُ حين جَاء ربَّهُ بقَلْبٍ سليم لإبْراهيمَ، أو بمحذوفٍ وهو: اذكُر.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من جميعِ آفاتِ القُلوب، وقيل: من الشِّرك، ولا مَعْنَى للتَّخْصِيص لأنّه مُطْلَقٌ، فليسَ بَعضُ الآفاتِ أَوْلى مِن بعْضٍ، فيتنَاوَلُها كلَّها.

فإن قلتَ: ما معنى المجيءِ بقلْبِه ربَّه؟

قلتُ: معناه: أنه أخلصَ لله قلبَهُ وعَرفَ ذلك مِنه فضَربَ المجيءَ مثلًا لذلك.

﴿أَئِفْكًا﴾ مَفعُولٌ له تقدِيرُه: أَتُريدُون آلهَةً من دُون اللهِ إفْكًا؟ وإنَّما قَدَّم المفعُولَ على الفعل للعِناية، وقَدَّم المفعُولَ له على المَفعُولِ به لأنّه كان الأهَمَّ عِنده أنْ يُكافحَهُم بأنَّهُم على إفكٍ وباطلٍ في شِركهم.

ويجوز أن يكون "إفْكًا" مفعُولًا به، يَعني: أَتُريدُون إفكًا، ثُمَّ فسَّر الإفكَ بقَوله: ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ﴾ على أنَّها إفكٌ في أنفُسِها.

ويجوز أن يكون حَالًا بمَعْنى: أتريدُونَ آلهةً من دُون الله آفِكينَ، ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ بمَن هو الحَقِيقُ بالعبَادة؛ لأنَّ مَن كان رَبًّا للعَالَمين استَحَقَّ عليهم أن يَعبُدُوه حَتَّى تركتُم عبَادتَهُ إلى عِبادةِ الأصْنامِ، والمَعنى: أنّه لا يُقَدَّرُ في وَهْمٍ ولا ظَنٍّ ما يَصُدُّ عن عبَادتِه.

أو: ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ به أَيُّ شَيءٍ هو من الأشياء حتى جَعلتُم الأصْنَامَ له أنْدادًا.

أو: ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ به ماذا يفعَلُ بكُم وكيف يُعَاقِبُكم وقد عبَدتُم غَيرَه.

﴿فِي ٱلنُّجُومِ﴾: في عِلم النُّجوم، أو في كتَابِها، أو في أحْكامِها، وعن بعض الملُوك أنه سُئِل عن مُشتَهاهُ فقال: حَبيبٌ أَنظرُ إليه، ومُحتاجٌ أَنظُر لهُ، وكتابٌ أَنظُر فيه.

قوله: (لأنَّ[١] مَن كان ربًّا) هذا تعليل أنّ المراد بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو الحقيق بالعبادة.

قوله: (فقال:[٢] حبيبٌ أنظرُ إليه)... إلخ، قال الشاعر:

---

١ ف: لأنّه.

٢ ف ن: يقال.

كان القومُ نجَّامِينَ فأَوهَمهُم أنّه استدَلَّ بأمَارةٍ في عِلم النُّجُوم على أنّه يَسقَمُ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: مُشَارِفٌ للسُّقْم وهو الطَّاعُون -وكان أغلَبَ الأَسْقام عَليهم، وكانوا يَخافُون العَدْوَى- ليَتفرَّقُوا عنه، فهَربُوا منه إلى عِيدِهم وتَرَكُوهُ في بيت الأصنام ليس معَهُ أحَدٌ، ففَعل بالأَصْنام ما فعَل.

فإن قلتَ: كيف جازَ له أن يَكْذِبَ؟

قلتُ: قد جوَّزَه بعضُ الناس في المَكِيدَةِ في الحَرْب، والتَّقِيَّةِ، وإرْضَاءِ الزَّوْجِ، والصُّلحِ بين المُتخَاصِمَيْنِ والمُتهاجِرَيْنِ.

والصَّحيحُ: أنَّ الكَذِبَ حَرامٌ إلَّا إذا عَرَّضَ ووَرَّى، والَّذي قاله إبراهيم صلوات الله عليه مِعْراضٌ مِن الكلام، وقَدْ نَوَى به أَنَّ مَن في عُنُقهِ الموتُ سَقِيمٌ، ومنه المثلُ: "كفَى بالسَّلامَةِ دَاءً"، وقَولُ لَبيدٍ:

فـدَعـوْتُ رَبِّـي بالسَّلامةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فـإذا السَّـلامَـةُ دَاءُ

هـل مِـن كتـابٍ أو أخٍ أو فتـى أنظـرُ فيـه[1] أو لـهُ أو إليـه[2]

قوله: **(العَدوى)** "العَدوى": ما يُعدي مِن جَرَب أو غيره، وهو مجاوزته مِن صاحبه إلى غيره، وفي الحديث: «**لا عدوى**»،[3] أي: لا يُعدي شيء شيئًا.[4]

قوله: **(مِعراض مِن الكلام)** المِعْراض: جمعه مَعاريض، ومنه قولهم: «إنَّ في المَعاريض لَمَنْدوحةً عن الكذب».[5]

قوله: **(فدعوتُ ربّي)**... البيتَ، قبله:

كـانـت قنـاتي لا تَـلـينُ لِغـامِزٍ فـألانـهـا الإصبـاحُ والإمـسـاءُ[6]

---

١ ن - أنظر فيه.

٢ بغير نسبة في **فتوح الغيب** للطيبي، ١٣/١٦٥.

٣ **صحيح البخاري**، ٣/٦٢ (٢٠٩٩)؛ **صحيح مسلم**، ٤/١٧٤٢ (٢٢٢٠).

٤ **الصحاح** للجوهري، «عدا».

٥ يروى مرفوعًا وموقوفًا على عمر بن الخطّاب وعمران بن حصين رضي الله عنهما. انظر: **السنن الكبرى** للبيهقي، ١٠/٣٣٥-٣٣٦ (٢٠٨٤١) (٢٠٨٤٢) (٢٠٨٤٣).

٦ اختُلف في نسبته، فهو للنمر بن تولب في **الفاضل** للمبرّد، ص ٧٠. وللَبيد بن ربيعة في **التمثيل والمحاضرة** للثعالبي، ص ٧١؛ و**نهاية الأرب** للنويري، ٣/٧٠؛ و**الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ٨/٤٠٢. ولعمرو بن قَميئة في **زهر الآداب** للقيرواني، ١/٢٦٨. ولعبد الرحمن بن سُويد المرّي في **التذكرة الحمدونية** لابن حمدون، ٦/١٠؛ و**الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ٨/٤٠٢.

وقد ماتَ رجُلٌ فجأةً فالتَفَّ عليه النّاسُ وقَالُوا: ماتَ وهو صحيحٌ! فقال أعرابيٌّ: أَصحيحٌ مَن المَوتُ في عنُقِهِ؟

وقيل: أرادَ: إنّي سَقِيمُ النَّفْسِ لكُفْرِكُم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: فذَهَب إليها في خُفيَةٍ -من رَوْغةِ الثَّعْلَب- ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: إلى أصنامهم التي هي في زَعْمِهم آلهةٌ؛ كقَوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت ٤٧/٤١].

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ استهزَاءٌ بها وبانحطَاطِها عن حالِ عبَدَتِها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: فأقبلَ عليهم مُستخفِيًا؛ كأنّه قال: فَضَربهم ﴿ضَرْبًا﴾؛ لأنَّ "رَاغَ عَليهم" في معْنَى: ضَربهُم، أو: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ يَضرِبُهم ضربًا، أو: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا﴾ بمَعْنى: ضَارِبًا.

وقرئ: "صَفْقًا" و"سَفْقًا" ومعناهُما: الضَّربُ.

ومَعنى ﴿ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾: ضربًا شَديدًا قوِيًّا؛ ....

والقناة: الرُمح، والمراد هنا: القامة. والغامِزُ مِن الغَمْز؛ وهو العَصر باليد. يصف قوّته في الشباب وضَعفه في الكِبَر، كما قيل:[١]

سِتٌّ وسِتّون لو مرَّتْ على حَجَرٍ   لَبَان تأثيرها في صفحة الحَجَرِ[٢]

قيل لشيخ كبير: «كيف أصبحت؟»، قال: «في داء يتمنّاه الناس».[٣]

قوله: (كأنّه قال: فضربهم ضَربًا) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ مفعولًا مطلقًا منصوبًا بِـ﴿رَاغَ﴾.

قوله: (يَضرِبهم ضربًا) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ مفعولًا مطلقًا منصوبًا بفعل مقدّر دلّ عليه ﴿رَاغَ﴾، والجملة في محلّ الحال.

قوله: (﴿ضَرْبًا﴾ بمعنى ضارِبًا) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ حالًا.

---

١ وفي هامش د: ش.

٢ لمؤيّد الدين الطغرائي في وفيات الأعيان لابن خلّكان، ١٩٠/٢؛ ومسالك الأبصار للعمري، ١٣٣/١٢، بلفظ: "سبع وخمسون"...

٣ القائل أبو العَيناء. انظر: زهر الآداب للقيرواني، ٩٧١/٤؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٤٥٦/٢.

لأنَّ اليَمينَ أَقْوى الجارِحَتَيْنِ وأشَدُّهُما، وقيل: بالقُوَّة والمَتَانةِ، وقيل: بسَببِ الحَلفِ، وهو قولُهُ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم﴾ [الأنبياء ٥٧/٢١].

﴿يَزِفُّونَ﴾: يُسْرِعُونَ، من زَفِيف النَّعام، و: ﴿يُزِفُّونَ﴾ من أزَفَّ: إذا دخَلَ في الزَّفيفِ، أو من أزفَّهُ: إذا حمَلهُ على الزَّفيفِ؛ أي: يُزِفُّ بعضُهم بعضًا.

و: "يُزَفُّون" على البناء للمفعول؛ أي: يُحمَلُونَ على الزَّفِيفِ.

و: "يَزِفُونَ" من وَزَفَ يَزِفُ: إذا أَسْرَع.

و: "يَزْفُون" من زَفَاهُ: إذا حَدَاهُ؛ كأنَّ بَعضَهم يَزْفُو بعْضًا لِتَسارُعِهِم إليه.

فإن قلتَ: بيْنَ هذا وبيْنَ قولِهِ: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء ٥٩/٢١-٦٠] كالتَّناقُضِ، حَيْثُ ذكر هاهُنا أنَّهُم أَدْبَرُوا عَنْه خِيفةَ العَدْوَى، فلمَّا أَبصرُوهُ يَكسرُهُم أَقبَلُوا إليه مُتَبادِرِينَ لِيَكُفُّوهُ ويُوقِعُوا به، وذَكَرَ ثَمَّ أَنَّهُم سَأَلُوا عن الكاسرِ حتَّى قيل لهم: "سَمِعْنا إبراهيمَ يَذمُّهم فلعَلَّهُ هُو الكاسِرُ"، ففي أحَدِهِما أَنَّهم شَاهَدُوه يكْسِرُها وفي الآخر أنَّهم استَدَلُّوا بذمِّه على أنَّه الكاسِرُ.

قلتُ: فيه وجهان:

أحَدُهما: أن يكون الذين أَبصَرُوه وزَفُّوا إليه نَفَرًا مِنْهُم دُون جُمْهُورهم وكُبَرائهم،

قوله: (**لأنّ اليمين أقوى الجارحتين**) فإذا كان اليمين أقوى الجارحتين يكون الضرب بها ضربًا شديدًا قويًا.[١]

قوله: (**وقيل: بالقوّة**) فيكون[٢] ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ بمعنى القوّة،[٣] لا بمعنى الجارحة.

قوله: (**من "زَفاهُ" إذا حَداه**) زَفاهُ يَزفُوه زَفْوًا إذا حَداه.

---

١ وفي هامش د ف: فعلى هذا الوجه يكون مِن قَبِيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم، والباء للملابسة، فإنّ الضرب الملتبِس باليمين مستلزِم للضرب الشديد.

٢ وفي هامش د ف: فيكون مِن قَبِيل ذكر المحلّ وإرادة الحالّ، والباء على هذا للآلة. الحاصل أنّه على الوجه الأوّل الباء للملابسة، والجارّ والمجرور صفة ﴿ضَرْبًا﴾، وعلى الثاني للآلة، وعلى الثالث سببيّة.

٣ وفي هامش د ف: فيكون مجازًا مرسلًا مِن قَبيل استعمال المحلّ في الحالّ.

وقد ماتَ رجلٌ فجأةً فالتَفَّ عليه النَّاسُ وقَالُوا: ماتَ وهو صحيحٌ! فقال أَعرابيٌّ: أَصحيحٌ مَن المَوتُ في عنُقهِ؟

وقيل: أرادَ: إنّي سَقِيمُ النَّفْسِ لكُفْرِكُم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: فذَهَب إليها في خُفيَةٍ -من رَوْغةِ الثَّعْلَب- ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: إلى أصنامهم التي هي في زَعْمِهم آلهةٌ؛ كقَوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت ٤٧/٤١].

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ استهزاءٌ بها وبانحطَاطِها عن حالِ عبَدَتِها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: فأقبَلَ عليهم مُستخفِيًا؛ كأنَّه قال: فَضَربهم ﴿ضَرْبًا﴾؛ لأنَّ "رَاغَ عَليهم" في معْنَى: ضَربهُم، أو: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ يَضرِبُهم ضربًا، أو: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا﴾ بمَعْنى: ضَارِبًا.

وقرئ: "صَفْقًا" و"سَفْقًا" ومعناهُما: الضَّربُ.

ومَعنى ﴿ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾: ضربًا شَديدًا قَوِيًّا؛ ....

والقناة: الرُّمح، والمراد هنا: القامة. والغامِزُ مِن الغَمْز؛ وهو العَصر باليد. يصف قوَّته في الشباب وضَعفه في الكِبَر، كما قيل:[١]

سِتٌّ وسِتّون لو مرَّتْ على حَجَرٍ   لَبَان تأثيرها في صفحة الحَجَرِ[٢]

قيل لشيخ كبير: «كيف أصبحت؟»، قال: «في داء يتمنّاه الناس».[٣]

قوله: (**كأنّه قال: فضربهم ضَربًا**) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ مفعولًا مطلقًا منصوبًا بـ﴿رَاغَ﴾.

قوله: (**يَضرِبهم ضربًا**) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ مفعولًا مطلقًا منصوبًا بفعل مقدّر دلّ عليه ﴿رَاغَ﴾، والجملة في محلّ الحال.

قوله: (**﴿ضَرْبًا﴾ بمعنى ضارِبًا**) فيكون ﴿ضَرْبًا﴾ حالًا.

---

١ وفي هامش د: ش.

٢ لمؤيّد الدين الطغرائي في وفيات الأعيان لابن خلّكان، ١٩٠/٢؛ ومسالك الأبصار للعمري، ١٣٣/١٢، بلفظ: "سبع وخمسون"...

٣ القائل أبو العَيناء. انظر: زهر الآداب للقيرواني، ٩٧١/٤؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٤٥٦/٢.

لأنَّ اليَمينَ أَقْوى الجارِحَتَيْنِ وأَشَدُّهُما، وقيل: بالقُوَّة والمَتَانةِ، وقيل: بسَببِ الحَلفِ، وهو قولُهُ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء ٢١/٥٧].

﴿يَزِفُّونَ﴾: يُسْرِعُونَ، من زَفِيف النَّعام، و: ﴿يُزِفُّونَ﴾ من أزَفَّ: إذا دخَلَ في الزَّفيفِ، أو من أزفَّهُ: إذا حمَلهُ على الزَّفيفِ؛ أي: يُزِفُّ بعضُهم بعضًا.

و: "يُزَفُّون" على البناء للمفعول؛ أي: يُحمَلُونَ على الزَّفِيفِ.

و: "يَزِفُونَ" من وَزَفَ يَزِفُ: إذا أَسْرَع.

و: "يَزْفُون" من زَفَاهُ: إذا حَدَاهُ؛ كأنَّ بَعضَهم يَزْفُو بعْضًا لِتَسارُعِهِم إليه.

فإن قلتَ: بيْنَ هذا وبيْنَ قولهِ: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء ٢١/٥٩-٦٠] كالتَّناقُضِ، حَيْثُ ذكر هاهُنا أَنَّهُم أَدْبَرُوا عَنْه خِيفةَ العَدْوَى، فلمَّا أَبصرُوهُ يَكسرُهُم أَقبَلُوا إليه مُتبَادِرِينَ ليَكُفُّوهُ ويُوقِعُوا به، وذَكَرَ ثَمَّ أَنَّهُم سَأَلُوا عن الكاسرِ حتَّى قيل لهم: "سَمِعْنا إبراهيمَ يَذمُّهم فلعَلَّهُ هُو الكاسِرُ"، ففي أحَدِهما أَنَّهم شَاهَدُوه يكْسِرُها وفي الآخر أنَّهم استَدَلُّوا بذمِّه على أنَّه الكاسِرُ.

قلتُ: فيه وجهان:

أَحَدُهما: أَن يكون الذين أَبصَرُوه وزَفُّوا إليه نَفرًا مِنْهُم دُون جُمْهُورهم وكُبَرائهم،

قوله: **(لأنَّ اليمين أقوى الجارحتين)** فإذا كان اليمين أقوى الجارحتين يكون الضرب بها ضربًا شديدًا قويًّا.[1]

قوله: **(وقيل: بالقوّة)** فيكون[2] ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ بمعنى القوّة،[3] لا بمعنى الجارحة.

قوله: **(مِن "زَفَاهُ" إذا حَداه)** زَفاهُ يَزفُوه زَفْوًا إذا حَداه.

---

[1] وفي هامش د ف: فعلى هذا الوجه يكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم، والباء للملابسة، فإنَّ الضرب الملتبِس باليمين مستلزِم للضرب الشديد.

[2] وفي هامش د ف: فيكون مِن قَبيل ذكر المحلّ وإرادة الحالّ، والباء على هذا للآلة. الحاصل أنّه على الوجه الأوّل الباء للملابسة، والجارّ والمجرور صفة ﴿ضَرْبًا﴾، وعلى الثاني للآلة، وعلى الثالث سببيّة.

[3] وفي هامش د ف: فيكون مجازًا مرسلًا مِن قَبيل استعمال المحلّ في الحالّ.

فلما رجَع الجمْهُورُ والعِلْيَةُ من عيدِهم إلى بيت الأصْنام ليأكلُوا الطَّعامَ الَّذي وضعُوهُ عِندهَا لتُبرِّكَ عليه ورَأوْهَا مكسُورةً اشمَأزُّوا من ذلك وسَألُوا: مَن فَعَل هذا بها؟ لم يَنِمَّ عَلَيه أولئك النَّفَرُ نمِيمَةً صَريحةً ولكِنْ على سَبيل التَّوريَةِ والتَّعريض بقَولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ لبَغضِ الصَّوارِف.

والثاني: أن يكْسِرَها ويَذهبَ ولا يَشْعُرَ بذلك أحَدٌ، ويكونَ إقبَالُهم إليه يَزِفُّونَ بَعْدَ رُجُوعهم عن عيدِهم وسُؤَالِهم عن الكاسِرِ، وقولِهِم: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء ٢١/٦١].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يَعني: خلقكُم وخَلَق ما تَعْملُونه من الأَصْنَام؛ كقوله: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء ٢١/٥٦]؛ أي: فطَر الأَصنامَ.

فإن قلتَ: كيف يكون الشَّيءُ الوَاحدُ مَخْلوقًا لله مَعمُولًا لَهُم، حيث أَوقَع خَلقَهُ وعَمَلَهُم عَليهَا جميعًا؟

قلتُ: هذا كما يُقال: "عمِلَ النجَّارُ البَابَ والكُرسيَّ" و"عمِل الصَّائغُ السِّوَارَ والخلخالَ"، والمرادُ: عَمِلَ أشكالَ هذِه الأشيَاء وصَوَّرهَا دون جَواهِرِهَا، والأَصنامُ: جَواهِرُ وأشكَالٌ، فخالقُ جواهِرِهَا اللهُ، وعَامِلُو أَشْكالِهَا: الَّذِين يُشكِّلُونهَا بِنَحْتِهم وحَذْفِهِمْ بعْضَ أجْزائهَا حتَّى يَستَوِيَ التَّشكيلُ الَّذِي يُرِيدُونه.

فإن قلت: فما أنكرْتَ أَن تكُون "ما" مَصْدريَّةً لا مَوْصُولةً، ....

قوله: (والعِلْيَة) فلان مِن عِلْية الناس، وهو جمعُ "رجل عَلِيّ"، أي: شريفٌ رفيعٌ، مثل: صَبيّ وصِبْية.[١]

قوله: (حيث أوقع خلقَه)... إلخ، أوقع خَلقَه عليها بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: خلقَ ما تعملون وأوقع عملَهم حيث قال: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾. والصواب أن يقول: أوقع خلقَه تعالى وعملهم عليها في قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله: (فإن قلتَ: فما أنكرتَ) أي: أيَّ إنكار أنكرتَ؟ يعني: لِمَ تُنكِر؟ ولا تجوِّز كون "ما" مصدريّة حتّى لا يلزم وقوعُ خَلقه تعالى وعملهم على الأصنام،

---

١ الصحاح للجوهري، «علا».

ويكونَ المعْنَى: واللهُ خلَقكُم وعمَلكم، كما تقُولُ المُجبرةُ؟

قلتُ: أقربُ ما يَبْطُل به هذا السُّؤالُ بعد بُطلانِه بحُجج العقلِ والكتابِ: أنَّ مَعْنَى الآيـة يَأبَاهُ إباءً جَليًا، ويَنْبُو عَنه نُبوًّا ظَاهرًا، وذلك أنَّ الله عزَّ وجل قد احتجَّ عَليهـم بأن العَابد والمعبُود جميعًا خلقُ الله فكيف يعبُدُ المخلوقُ المخلوقَ؟ على أن العابد منهما هو الَّذي عَمل صورةَ المعْبُود وشَكْلَهُ ولولَاهُ لمَا قَدر أَنْ يُصَوِّر نفسَه ويُشكِّلَها، ولو قلتَ: "واللهُ خَلقكم وخَلقَ عمَلكم" لَمْ تكن مُحْتجًّا عَليهـم، ولا كان لِكلامِك طبَاقٌ.

وشيءٌ آخرُ: وهُو أَنَّ قولَه: ﴿ماتعملون﴾ تَرْجَمةٌ عن قوله: ﴿مَاتَنْحِتُونَ﴾، و﴿مَا﴾ في ﴿مَاتَنْحِتُونَ﴾ ....

فإنَّه إذا كان "ما" مصدريّة كان خلق الله تعالى واقعًا على عملهم، أي: على النَّحْت، لا على الأصنام، ولا شكّ أنّ نَحتَهم واقع على الأصنام، فلا يكونان واقعين على شيء واحد، فيندفع المحذور المذكور، وهو كون الشيء الواحد مخلوقًا لله معمولًا لهم. وقوله: **(كما تقول المُجْبِرة)** يعني أنّ مذهب أهل السنّة والجماعة أنّ أفعال[1] العباد مخلوقة لله تعالى.

ثمّ اعلم أنّ أهل السنّة والجماعة وإن كان مذهبهم أنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لا يقولون في تفسير هذه الآية: "والله خلَقكم وعمَلكم" كما يُوهِم كلام المصنّف. / قال الواحدي في **الوسيط**: «أي: فاعبدوا الله الذي خلقكم وخلق ما تعملونه بأيديكم مِن الأصنام التي تعملونها مِن الخشب والحديد».[2] [٣٠٨و]
فلا يلزم عليهم شيء مِن المحذورَين المذكورَين في الجواب؛ إذ يجعلون "ما" موصولة، وإذ جعلوها موصولة[3] لم يقولوا: إنّ المراد: ما تعملونه مِن أعمالكم؛ بل يقولون: المراد: ما تعملونه مِن الأصنام، فيندفع عنهم أيضًا ما أوهمَ كلام المصنّف في السؤال والجواب الأخيرَين.

---

١ ن: أفعل.

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٢٨/٣ (الصافات، ٩٦/٣٧).

٣ ن + لم يقوله.

موصُولةٌ لا مقَال فيها، فلا يَعْدِلُ بها عن أُخْتِهَا إلَّا مُتعسِّفٌ مُتعصِّبٌ لمَذْهَبِه من غيْرِ نَظرٍ في عِلْم البَيانِ، ولا تَبَصُّرٍ لنَظم القرآنِ.

فإن قلتَ: أجْعَلُهَا موصُولةً حتى لا يَلزَمَنِي ما أَلْزَمْتَ، وأُرِيدُ: وما تَعمَلُونه من أعمَالِكُم.

قلتُ: بل الإلزَامانِ في عُنُقك لا يَفكُّهُما إلَّا الإذْعانُ للحَقّ، وذلك أنَّك وإن جَعْلتَها موصُولَةً فإنَّك في إرَادَتِك بِها العَملَ غيرُ محتَجٍّ على المشركين كحَالك وقد جَعَلتَها مصْدريَّة، وأيضًا فإنَّكَ قاطِعٌ بذلك الوُصْلةَ بين ﴿ماتعملون﴾ و﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ حيثُ تخَالِفُ بين المُرادَيْن بهما فتُرِيدُ بـ﴿مَاتَنْحِتُونَ﴾: الأعيانَ التي هي الأصنامُ وبـ﴿ماتعملون﴾: المعانيَ التي هيَ الأَعْمَالُ، وفي ذلك فَكُّ النَّظمِ وتَبْتِيرُه كما إذا جَعلْتَها مصْدريَّةً.

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ النّارُ الشَّديدةُ الوُقُود، وقيل: كُلُّ نارٍ على نارٍ وجَمْرٍ فَوق جَمْرٍ فهو جحيمٌ.

والمعنَى: أنَّ الله تعالى غَلَّبه عَلَيْهم في المَقَامَين جميعًا وأَذَلَّهُم بين يَدَيْه: أرَادُوا أن يَغلِبُوه بالحجَّةِ فَلقَّنَه اللهُ وألهَمَهُ ما أَلْقمهُم به الحَجرَ وقَهرهُم، فمَالُوا إلى المَكْر فأبْطَل اللهُ مكْرهُم وجَعلهم الأَذلِّينَ الأسفَلِينَ لم يَقْدِرُوا عَليه.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾

قوله: (**موصولةٌ لا مقالَ[1] فيها**) إذ لا معنى لقولك: أتعبدون نحتَكم؟

قوله: (**قلتُ: بل الإلزامان**) أحد الإلْزامين أنّ معنى الآية يأباه، والثاني العدول عن أختها.

قوله: (**أرادوا أن يَغلِبوه**)... إلخ بيان لقوله: (**غلَّبه عليهم في المقامين**)، فقوله: "أرادوا"... إلخ إشارة إلى المقام الأوّل، وقوله: (**فمالُوا**) إشارة إلى المقام الثاني.

---

[1] ن: يقال.

أرَاد بذهَابِه إلى ربِّهِ: مُهَاجَرتَه إلى حيْثُ أمَرهُ بالمُهاجَرة إليه من أرض الشَّام؛ كما قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت ٢٦/٢٩].

﴿سَيَهۡدِينِ﴾: سَيُرْشِدُني إلى ما فيه صَلاحي في دِيني ويَعْصِمُني ويُوفِّقُني؛ كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء ٦٢/٢٦] كأنَّ الله وعَدهُ وقال له: سَأهْدِيكَ، فأجْرَى كلامَه على سَنَنِ مَوْعِد رَبِّه، أو بَناه على عَادة الله معَه في هِدَايَتِه وإرْشادِه، أو أَظْهَر بذلك تَوكُّلَه وتفويضَه أمْرَه إلى الله.

ولو قصَد الرَّجاءَ والطَّمع لقَال كما قال مُوسى عليه السلام: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص ٢٢/٢٨].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾

﴿هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: هَبْ لي بَعْضَ الصَّالحِين، يُريد: الوَلدَ؛ لأنَّ لفظَ الهبَةِ غَلبَ في الولَدِ -وإن كان قد جاءَ في الأَخِ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم ٥٣/١٩]- قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [الأنعام ٨٤/٦] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [الأنبياء ٩٠/٢١].

وقال عليٌّ بن أبي طالبٍ لابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهم حين هَنَّأهُ بوَلدِه عَليّ أَبِي الأَمْلاك: شَكرْتَ الوَاهِبَ وبُورِكَ لكَ في الموهُوب.

قوله: (**كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ﴾** [الشعراء ٦٢/٢٦]) قال عليه السلام حين قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء ٦١/٢٦].

قوله: (**كما قال موسى عليه السلام: ﴿عَسَىٰ﴾** [القصص ٢٢/٢٨]) أي: كما قال موسى حين خرج مِن مِصرَ قاصِدًا مَدْين بعد أن وَكزَ[1] رجلًا فقضى عليه، وكان ذلك قبل نبوّته، فلم يقل ذلك إلّا رجاءً وطمعًا.

---

[1] ن: دكز.

ولذلك وقعَت التّسميَةُ بـ"هبَةِ الله" وبـ"مَوهُوبٍ" و"وَهْبٍ" و"مَوْهَبٍ".

وقد انطوت البِشَارَةُ على ثلاثٍ: على أنَّ الولَدَ غُلامٌ ذَكَرٌ، وأنّه يَبلُغ أوَانَ الحُلمِ، وأنّه يكُون حَليمًا، وأيُّ حِلْمٍ أعظم من حِلْمِه حين عرَضَ عَليْه أبُوه الذَّبحَ فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ثم استَسلَم لذلك؟

وقيل: ما نعَتَ اللهُ الأنبياءَ عليهم السّلامُ بأقلَّ مِمَّا نعَتَهُم بالحِلْم، وذلك لعِزَّةِ وُجُودِه، ولقد نعَتَ اللهُ به إبراهيم عليه السلام في قَوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة ٩/١١٤] ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود ١١/٧٥] لأنَّ الحادثَة شَهِدَتْ بحِلْمِهما جميعًا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾: فلمّا بلَغ أنْ يَسْعَى مع أَبيهِ في أَشْغَالِه وحَوائجِه.

فإن قلتَ: ﴿مَعَهُ﴾ بِمَ يتَعلَّقُ؟

قلتُ: لا يخلو أن يتعلَّقَ بـ﴿بَلَغَ﴾، أو بـ﴿ٱلسَّعۡيَ﴾، أو بمَحْذُوفٍ، فلا يَصِحُّ تعَلُّقُه بـ﴿بَلَغَ﴾ لاقتِضَائهِ بلُوغَهما مَعًا حَدَّ السَّعْي، ولا بالسَّعي لأن صِلة المصْدر لا تَتقدَّمُ عَليْه، فَبقِي أَن يكونَ بيَانًا؛ كأنّه لمّا قال: فلمّا بلغَ السَّعيَ -أي: الحدَّ الذي يَقْدِرُ فيه على السَّعيِ- قيل: مَعَ مَن؟ فقال: مع أَبيهِ.

والمَعْنى في اختصاصِ الأَبِ: أنّه أَرْفَقُ النَّاسِ بهِ وأَعطَفُهُم عليه، وغَيرُهُ رُبَّما عنَّفَ به في الاستسْعَاء فلا يَحْتِملُه؛ لأنّه لم تَستَحْكِم قوَّتُه ولم يَصْلُبْ عُودُهُ، وكان إذْ ذاكَ ابنَ ثلاثَ عَشْرةَ سنةً.

قوله: (ثمّ استسلم) أتى بـ"ثمّ" لأنّ الاستسلام أشدّ مِن قوله ذلك.

قوله: (بأقلّ) أي: بنعت أقلّ، و"ما" في "ممّا" مصدريّة، أي: ما نعتَهم بنعت أقلّ مِن نعتِهم بالحِلْم، أي: نعتُهم بالحِلْم كان أقلّ مِن نعتِهم بأيّ شيء كان.

قوله: (لأنّ الحادثة) يعني: نُعِتَ الولد بالحِلْم، وكذا نُعِتَ إبراهيم في مواضع به مع قلّة نعت الأنبياء بالحِلْم؛ وذلك لأنّ هذه الحادثة تدلّ على حِلْمِهما.

والمرادُ: أنّه على غَضَاضَةِ سِنِّهِ وتَقَلُّبِهِ في حَدِّ الطُّفُولةِ كان فيه من رصَانةِ الحِلْم وفُسحة الصَّدْر ما جَسَّرهُ على احْتِمال تلك البَليَّةِ العظيمَةِ، والإجابة بذلك الجواب الحكيم.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ أُتِيَ في المَنام فقيل له: اذْبَح ابنَك، ورُؤْيَا الأنبيَاء وَحْيٌ كالوَحْي في اليقَظة، فلهذا قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ فَذَكر تأوِيل الرُّؤيَا؛ كما يقُول الممتَحَنُ وقد رَأى أنّه راكِبٌ في سَفينةٍ: رَأيتُ في المنام أنِّي ناجٍ من هذه المحنةِ.

وقيل: رأى ليلةَ التَّرويَة كأنَّ قائلًا يقُولُ له: إن الله يأمرُكَ بذبْح ابنِك هذا، فلمَّا أَصْبحَ روَّأَ في ذلك من الصَّباحِ إلى الرَّواحِ: أَمِنَ اللهِ هذا الحُلْمُ أو من الشَّيطانِ؟ فمِن ثَمَّ سُمِّي يَومَ التَّروِيَةِ، فلمَّا أمسَى رأَى مثلَ ذلك فعَرف أنّه من اللهِ فمِن ثَمَّ سُمِّي يومَ عَرفةَ، ثمَّ رأَى مِثلَه في اللَّيْلَةِ الثَّالِثة فهمَّ بنَحْرِه فسُمِّي اليومُ يومَ النَّحْرِ.

وقيل: إنَّ الملائكة حين بَشَّرتْهُ بغُلامٍ حَليم قال: هو إذنْ ذبيحُ الله، فلمَّا وُلِدَ وبلغَ حَدَّ السَّعيِ معَه قيل له: أَوْفِ بنذرك.

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرَّأي على وَجْه المُشَاوَرة، وقرئ: ﴿ماذا تُرِى﴾؛ أي: ماذا تُبَصِّرُ من رَأْيك وتُبْدِيه.

قوله: (**على غَضاضة**) شيء غَضِيضٌ وغَضٌّ، أي: طَرِيٌّ، تقول منه: غَضَضْتُ وغَضِضْتُ غَضاضةً.[١]

قوله: (**أُتِيَ**) أي: أُتِيَ إبراهيم، يعني: أتاه آتٍ في المنام.

قوله: (**ليلةَ التروية**) هي ليلة الثامن مِن ذي الحِجّة. رأى تلك الرؤيا، فكان[٢] يتفكّر اليومَ الثامِن في تلك الرؤيا، فلذلك سمِّي ليلة التروية، أي: ليلة يوم التروية، أي: التفكّر. وقوله: (**روَّى**)[٣] أي: فكَّر.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «غضض».

٢ ن: وكان.

٣ في مطبوع **الكشّاف**: "روَّأ". يقال: "رَوَّأ في الأمر" نظر فيه وتعقَّبهُ. انظر: **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «روأ».

و: "ماذا تُرَى" على البناء لِلمفعُول؛ أي: ماذا تُرِيكَ نفسُك من الرَّأيِ.

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾؛ أي: ما تؤمَرُ بِهِ، فحُذف الجارُّ كما حُذف من قوله:

أمـرتُـكَ الـخيـرَ فـافـعَـلْ مـا أُمِـرتُ بِـه

أو: أَمْرَكَ، على إضافة المَصْدر إلى المفعُول وتسميَةِ المأمُورِ بِهِ أَمْرًا.

وقرئ: "ما تُؤْمَرُ به".

فإن قلتَ: لِمَ شاوَرهُ في أمرٍ هُوَ حتمٌ من الله؟

قلتُ: لمْ يُشَاوِرْهُ لِيَرْجِعَ إلى رأيه وَمشورَتِه، ولكن لِيَعْلَمَ ما عنده فيما نَزَل به من بَلاءِ الله فيُثَبِّتَ قَدمَه ويُصَبِّرَه إنْ جَزِع، ويَأمنَ عليه الزَّلَلَ إنْ صبَر وسَلَّم، ولِيُعْلِمَهُ حَتَّى يُراجِعَ نفسَه فيُوَطِّنَهَا ويُهَوِّنَ عَليْها، ويَلقَى البَلاءَ وهُو كالمُستأنِس به، ويَكتَسِبَ المثُوبَة بالانقيَاد لأمْر الله قَبل نزُوله، ولأنَّ المُغَافصَة بالذَّبح ممَّا يُستَسمَجُ، وليَكُون سُنَّةً في المشَاوَرة، فقد قيل: لو شَاورَ آدَمُ المَلائكةَ في أكْلِه من الشَّجرة لَمَا فَرط مِنه ذلك.

فإن قلتَ: لِمَ كان ذلك بالمنَام دُون اليَقْظة؟

قلتُ: كما أُرِيَ يُوسفُ عليه السلام سجُودَ أَبوَيْه وإخْوَتِه له في المنَام من غيْرِ وَحْيٍ إلى أبيْه، وكمَا وُعِد رسُول الله صلى الله عليه وسلم دخُولَ المسجد الحَرام في المَنام، وما سِوَى ذلك من مَناماتِ الأنبيَاءِ عليهم السلام، وذلك لتَقْوِية الدَّلالة عَلى كونهم صَادقين مَصْدُوقِين؛ لأنَّ الحال إمَّا حَالُ يَقظَةٍ أو حالُ مَنامٍ، فإذا تظَاهَرتِ الحَالتَانِ على الصِّدْق كان ذلك أقْوَى للدَّلالة مِن انفرادِ أحدهما.

قوله: **(أي: ما تؤمَر به)** أي: حُذف الجارّ وأُوصل الفعل، فصار: "ما تُؤمَرُهُ"، ثمّ حذف العائد المفعول.

قوله: **(وتسمية)** عطفٌ على قوله: **(على إضافة)**. والحاصل: أنّ ﴿مَا﴾ في ﴿مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ إمّا موصولة، وتقديره:[1] ما تُؤمَر به، كما ذكره، وإمّا مصدريّة، فيكون ﴿مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ في معنى أمْرك، ويكون المراد بالأمر المأمورَ به.

---

١ ف: أو تقديره.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١١﴾

يُقَال: سَلَّم لأَمْر اللهِ وأَسْلَم واستَسْلَم بمَعنًى واحدٍ -وقد قرئ بهنَّ جميعًا-: إذا انقَاد له وخضَع، وأَصْلُها من قَولك: سَلِم هذا لِفُلانٍ، إذا خلَص له، ومَعناه: سَلِم من أنْ يُنازَع فيه.

وقَولهم: «سَلَّم لأمر الله» و«أَسْلَم له» منقُولانِ منه، وحقيقة مَعناهما: أَخْلَص نفسَه لله وجعَلها سَالِمةً له خَالِصةً، وكذلك مَعنَى: استسلَم: استَخْلَص نفسَه لله.

وعن قتَادةَ في ﴿أَسْلَمَا﴾: أسْلَم هذا ابنَه وهذا نفسَهُ.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: صَرعَهُ على شِقِّه فَوقع أحَدُ جَنْبَيهِ على الأرض تَواضعًا على مُبَاشرة الأمْر بصَبْرٍ وجَلَدٍ ليُرضِيَا الرَّحْمنَ ويُخْزيا الشَّيطانَ.

ورُويَ أنَّ ذلك المكانَ عندَ الصَّخرة الَّتي بِمنًى.

وعن الحسن: في المَوضِع المُشْرِفِ على مسْجدِ مِنًى.

وعن الضَّحَّاك: في المَنْحَر الَّذي يُنْحَرُ فيه اليَومَ.

فإن قلتَ: أين جوابُ "لمَّا"؟

قلتُ: هو محذوفٌ تَقديره: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَا﴾ كانَ ما كان ممَّا تَنْطِقُ به الحالُ ولا يُحيطُ به الوَصْفُ؛ من استبشَارهما واغتبَاطِهما، وحَمْدِهمَا للهِ، وشُكْرِهما على ما أَنعم به عليهِمَا مِن دَفْع البَلاء العظيم بَعْد حُلولهِ، ومَا اكتَسَبا في تضَاعيفه بتَوْطين الأَنفُس عَليه من الثَّوابِ والأَعْوَاضِ ورضوانِ اللهِ الَّذي ليس وَراءهُ مطْلُوبٌ.

قوله: **(وقد قُرئ بهنّ جميعًا)** جملة معترِضة.

قوله: **(كان ما كان)** أي: وقَع ما وقَع. وقوله: **(في تضاعيفه)** أي: أثنائه. وقوله: **(وما اكتسبا)** عطفٌ على **(دفعِ البلاء)**، والضمير في "تضاعيفه" يعود إلى "البلاء"،

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعليلٌ لِتَحويلِ ما خَوَّلَهُما: من الفَرجِ بَعْد الشِّدَّةِ، والظَّفَرِ بالبِغْيةِ بعد اليأسِ.

﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾: الاختِبارُ البَيِّنُ الَّذِي يتمَيَّزُ فيه المُخْلِصُونَ من غيْرهـم، أو المِحنَةُ البَيِّنَةُ الصُّعُوبةِ التي لا محنَة أصعَبُ منها.

"الذِّبحُ": اسمُ ما يُذبَحُ. وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو الكَبْشُ الذي قَرَّبهُ هَابِيلُ فقُبِل منه، وكان يَرْعَى في الجنَّةِ حَتَّى فُدِيَ به إسماعيلُ عليه السلام.

وعن الحَسَن: فُدِيَ بوَعْلٍ أُهْبِط عَليه من ثبيرٍ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لو تَمَّت تلك الذَّبيحةُ لصَارتْ سُنَّةً وذبَح النَّاسُ أبناءهُم.

﴿عَظِيمٍ﴾: ضخْمِ الجُثَّةِ سَمينٍ، وهي السُّنَّةُ في الأضَاحِيِّ، وقَولهُ عليه السلام: «استشرِفُوا ضحَاياكم فإنَّها على الصِّراط مَطاياكم».

وقيل: لأنَّه وقَع فِداءً عن ولَدِ إبراهيم عليه السلام.

ورُوي: أنَّه هربَ مِن إبراهيم عليه السلام عِنْدَ الجَمْرة فرمَاهُ بسَبْعِ حصَياتٍ حَتَّى أخَذهُ فبَقِيَت سُنَّةً في الرَّمْيِ.

أو نقول: "ما اكتسبا" عطفٌ على "ما أَنْعَم"، وهذا أقرب إلى طريقته. وإنّما قال: "في تضاعيف البلاء" إشارة إلى أنّ الاكتساب وإن كان مِن فِعلهما لكنّه لمّا كان بسبب البلاء شكَر الله تعالى عليه.

قوله: (مِن ثَبِيرٍ) "ثَبير" جبل بمكّة، ومنه: «أشْرِقْ ثَبِيرُ كَيما نُغِير»، يُخاطبُ أحدَ جبال مكّة، وقد حذف منه حرف النداء، و"نُغِيرُ" ندفع[١] في السير، / وأشرَقَ دخل في[٢] الشُّروق.[٣] [٣٠٨ظ]

قوله: (وقولُه: «استَشرِفوا») أي: انظروا نظرًا جيّدًا، يقال: استَشْرَفْتُ الشيء إذا رفعتَ بصرك تنظر إليه، وبسطتَ كفّكَ فوق حاجبك، كالذي يَسْتظِلُّ مِن الشمس.[٤]

---

١ ن: يدفع.
٢ ف - في.
٣ المُغرب للمطرّزي، «شرق».
٤ الصحاح للجوهري، «شرف».

وروي: أنَّه رَمَى الشَّيطانَ حِين تعرَّض له بالوَسْوَسةِ عنْد ذَبح وَلدِه.

ورُوي: أنَّه لمَّا ذبحَهُ قال جبريل: اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَر، فقال الذَّبيحُ: لا إله إلا الله واللهُ أكبَرُ، فقال إبراهيمُ: الله أكبَر وللهِ الحَمْدُ، فبقِي سُنَّةً.

وحُكي في قصَّةِ الذَّبيح أنَّه حِين أرَاد ذَبْحَهُ قال: يا بُنَيَّ، خُذ الحَبْلَ والمُدْيَة وانطَلِقْ بِنَا إلى الشِّعبِ نحْتَطِبُ، فلمَّا توسَّطَ شِعْبَ ثبيرٍ أَخبَرَهُ بما أُمر، فقَال له: أُشدُد رباطي لا أَضْطرِبْ، واكفُفْ عَنِّي ثيابَك لا يَنتَضِحْ عَليْها شيءٌ مِن دَمِي فيَنقُص أَجْرِي، وتَراهُ أُمِّي فتحزن، واشحَذْ شفرتَكَ وأَسْرِعْ إمْرَارَها على حَلْقي حتى تُجْهزَ عَليَّ ليكُونَ أهْوَنَ فإن الموتَ شَدِيدٌ، واقرأ على أمِّي سَلامِي، وإنْ رأيتَ أن تَرُدَّ قميصي على أُمِّي فافعَلْ فإنَّه عَسَى أَنْ يكُون أسْهَلَ لها، فقال إبراهيمُ عليه السلام: نِعْمَ العَونُ أنتَ يا بُنيَّ عَلى أَمْر اللهِ، ثمَّ أقبَل عَليه يُقبِّلُه وقَد رَبَطَهُ وهُما يَبْكيَانِ، ثُمَّ وَضع السِّكينَ على حَلقِه فلم تَعْمَلْ؛

وقول المصنّف: "وقولُه" عطفٌ على (السنّة)، أي: عِظم الجُثّة والسِّمَن هو المراد بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[١] «استَشرِفوا».[٢]

قوله: (فبَقي سُنّةً) أي: فبَقي رمي الجمار سُنّةً. وفي بعض النُّسخ: "فبقيَت"، والتأنيث فيه بالنظر إلى قوله:[٣] "سُنّةً".

قوله: (والمُدْيَةُ) "المُدْيَة" -بالضمّ-: الشفْرة.

قوله: (وتراه) عطفٌ على (يَنقُصَ)، فهو منصوب، وقوله: "يَنقُصَ" منصوب؛ لأنّه جواب النفي بالفاء. وقوله: (شَفرتَك) الشَّفْرة -بفتح الشين-: السكّين العظيم، وأمّا الشُّفْر -بضمّ الشين- فلا معنى له ههنا؛ لأنّه واحد أشفارِ العينِ؛ وهي حروف الأجفان التي ينبُت عليها الهُدْب[٤].

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] قال الزيلعي: «غريب، وبمعناه ما رواه أبو الفتح سليم بن أيّوب الفقيه الرازي الشافعي في كتاب **الترغيب** له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: 'استفرِهوا أُضحيَتكم، فإنكم يوم القيامة لا تركبون شيئًا مِن الدوابّ إلّا البُدن والأضحية'». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ١٧٧/٣.

[٣] ن: قول.

[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شرف».

لأنَّ الله ضَرب صَفِيحَة نُحَاسٍ على حَلقِه فقال له: **كُبَّنِي عَلى وَجْهِي فإنَّكَ إذا نَظرْتَ في وَجْهِي رَحمْتَني، وأدْرَكتْكَ رِقَّةٌ تحُولُ بَينك وبيْنَ أمْرِ الله، فَفَعل ثُمَّ وَضَعَ السِّكِّينَ على قفَاهُ فانقَلَب السِّكِّينُ ونُودِيَ: يا إبراهيمُ قد صَدَّقْتَ الرُّؤيَا، فنظَر فإذا جبريلُ معَهُ كَبشٌ أقرَنُ أمْلَحُ، فكَبَّرَ جبريل والكبشُ وإبراهيمُ وابنُه وأتَى المَنْحَر مِن منًى فَذبحَهُ.**

وقيل: لمَّا وصَل مَوضِعُ السُّجُودِ منه إلى الأرضِ جاءَ الفَرَجُ.

وقد استشهَد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمَن نذرَ ذَبْحَ ولَدهِ: **أنَّه يلزَمُه ذبحُ شاةٍ.**

فإن قلتَ: مَن كان الذَّبيحَ مِن ولَدَيْه؟

قلتُ: قد اختِلفَ فيه:

فعن ابن عبَّاس وابنِ عُمر ومحمَّدِ بن كعْب القُرَظيِّ وجَماعةٍ مِن التَّابعين رضوان الله عليهم: **أنَّه إسماعيل عليه السلام**، والحجَّةُ فيه: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا ابْنُ الذَّبيحَيْنِ»، وقال لهُ أعرَابيٌّ: يا ابْنَ الذَّبيحَينِ، فتبسَّم، فَسُئل عن **ذلك** فقال: إنَّ عَبْدَ المُطَّلِب لمَّا حَفَر بئرَ زَمْزَم نذَر لله: لئن سهَّلَ اللهُ له أمرَها ليَذبَحَنَّ أحَدَ وَلده، فخرَج السَّهمُ على عبد الله، **فمنعَه أَخْوالُه**

قوله: **(كَعبِ القُرَظي)** قُرَيظة والنضير قبيلتان مِن يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى عليهما السلام،[1] منهم محمّد بن[2] كعب القُرظي.

قوله: **(فخرج السهم)** الفاء في قوله: "فخرج" فاء فصيحة، وتقدير الكلام: فسهّل الله أمر زَمْزم، فأراد ذبح أحد ولدِه، فساهم، أي: اقترع، فخرج السهم.

قوله: **(فمنعَه أخوالُه)**[3] أي: فمنع عبدَ المطّلب أخوالُ[4] عبدِ الله ذبحَ عبدَ الله.

---

١ د - عليهما السلام.
٢ ن: ابن.
٣ ن: أحواله.
٤ ن: أحوال.

وقَالُوا له: افدِ ابنكَ بمئةٍ من الإبلِ، ففدَاهُ بمئةٍ من الإبلِ، والثاني إسماعيل.

وعن محمَّدِ بن كَعْب القُرَظيِّ قال: كان مُجْتَهِدُ بني إسرائيل يقول إذا دعَا: اللّٰهمَّ إلهَ إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، فقال مُوسى: يا ربِّ! ما لمُجتَهِدِ بَني إسرائيل إذا دعا قال: اللّٰهم إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسرائيل وأنَا بينَ أظهُرهم قد أسمَعْتَني كلامَكَ واصْطَفيتَني برسَالتك؟ قال: يا مُوسى، لم يُحِبَّني أحَدٌ حُبَّ إبراهيم قط، ولا خُيّر بَيني وبيْنَ شيءٍ قَطُّ إلَّا اختَارَني، وأمَّا إسماعيلُ فإنَّه جَادَ بدَم نفسِه، وأما إسرائيل فإنَّه لم يَيْأس من رَوْحِي في شِدَّةٍ نزلَت به قَطُّ.

ويدُلُّ عليه أنَّ الله تعالى لمَّا أتمَّ قصَّة الذبيح قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾.

وعن محمَّد بن كعْب أنَّه قال لعُمَر بن عبد العَزيز: هو إسماعيلُ، فقال عمرُ: إنَّ هذا شَيءٌ ما كُنتُ أَنظُر فيه، وإنِّي لأُرَاهُ كَما قلتَ، ثُمَّ أرسَل إلى يهُوديٍّ قد أَسْلم فسَأله فقال: إنَّ يهُودَ لَتَعْلمُ أنَّه إسماعيلُ، ولكنَّهم يحسُدُونكُم معْشَر العَربِ.

قوله: **(والثاني إسماعيل) عطفٌ على قوله: (إنّ عبد المطّلب)... إلخ**؛ لأنّه في معنى: الأوّلُ عبد الله. وقوله: **(وعن محمّد بن كعب) عطفٌ على قوله: (والحُجّة)**... إلخ. وإنّما لم يقل: "وأنّ محمّد بن كعب قال" **عطفًا على قوله: (أنّ رسولَ الله)**... إلخ مع أنّ ظاهر التركيب يقتضي ذلك؛ **لأنّه لم يُرِدْ أن يجعله في** قوّة الحديث المرويّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[1]

قوله: **(ويدلّ عليه)** أي: على أنّه إسماعيل.

قوله: **(إنّ هذا شيء ما كنتُ) أي: هذا شيء لم أُراجع[2] فيه الكتب، ولا** تأمّلتُ فيه زيادةَ تأمّل، ولكنّي أظنُّ في بادي النظر. وقوله: **(ثمّ أرسَل) أي:** عمر بن عبد العزيز.

قوله: **(معشرَ العرب) في أكثر النسخ بدون "يا"، وهو أوجه ليكون نصبًا على الاختصاص.**

---

[1] د: عليه السلام.

[2] ن: أرجع.

ويدُلُّ عَليه أَنَّ قَرنَي الكبْشِ كانَا مَنُوطَيْنِ في الكعبَة في أَيْدِي بني إسماعيل إلى أن احتَرق البَيْتُ.

وعن الأصمعيِّ قال: سألتُ أبا عَمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصْمَعيُّ! أينَ عَزبَ عَنك عَقْلُكَ؟ ومَتى كان إسحَاقُ بمكَّةَ؟ وإنَّما كان إسماعيل بمكَّةَ، وهُو الَّذي بَنى البَيْتَ مَعَ أَبيهِ، والمَنحَرُ بمكَّة.

وممَّا يدُلُّ عَليه أنَّ الله عزَّ وجلَّ وصَفَه بالصَّبْر دُون إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/٨٥] وهو صَبْرُه على الذَّبح، ووَصَفَهُ بصِدق الوَعْد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم ١٩/٥٤] لأنَّه وعَدَ أَبَاهُ مِن نفْسِه الصَّبْرَ على الذَّبح فوَفى به، ولأنَّ الله بشَّرَهُ بإسحاقَ ووَلَدِه يعقوبَ في قوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود ١١/٧١] فلو كان الذَّبيحُ إسحاقَ لكان خُلْفًا للمَوْعدِ في يعقُوب.

وعن عليِّ بن أبي طالب وابن مسْعُود والعباس وعطاءٍ وعِكرِمَةَ وجماعةٍ من التَّابِعين رضي الله عنهم: أنَّه إسحاق.

والحجَّةُ فيه: أنَّ الله تعالى أخبَر عن خليله إبراهيم حينَ هَاجَر إلى الشَّامِ بأنَّه استَوْهَبَهُ وَلَدًا، ثمَّ أتبَعَ ذلك البِشَارةَ بغُلامٍ حَليم، ثُمَّ ذكرَ رُؤيَاهُ بِذَبْحِ ذلك الغُلامِ المُبَشَّر بهِ.

ويَدُلُّ عليه كتَابُ يعقوب إلى يُوسف: من يعقوبَ إسرائيلِ الله بنِ إسحاقَ ذَبيحِ الله بنِ إبراهيم خليلِ اللهِ.

قوله: (عزَبَ) أي: ذهَب وغاب.

قوله: (بنى البيت مع أبيه) قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة ٢/١٢٧].

قوله: (لكان خُلفًا) أي: لكان الأمر بالذبح.

قوله: (ثم أتبع ذلك) أي: ذلك الإخبار.

قوله: (مِن يعقوب) حكاية ما في الكتاب.

فإن قلتَ: قد أُوحِيَ إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنَامِ بأَنْ يَذْبَحَ وَلدَهُ ولم يَذْبَح، وقِيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَا﴾ وإنَّما كان يُصَدِّقُها لو صَحَّ مِنه الذَّبحُ ولم يَصِحَّ؟

قلتُ: قد بذلَ وُسْعَه وفعَل ما يَفعَلُ الذَّابحُ: من سَطْحِهِ على شِقِّه، وإمْرارِ الشَّفْرة على حَلقِه، ولكنَّ الله سُبْحانَهُ جَاء بما منَع الشَّفرةَ أَنْ تَمْضِيَ فيه، وهذا لا يَقْدَحُ في فِعل إبراهيمَ، ألا ترَى أنَّه لا يُسَمَّى عَاصِيًا ولا مُفرِّطًا بل يُسمَّى مُطِيعًا ومُجْتَهِدًا كمَا لو مضَتْ فيه الشَّفْرةُ وفرَتِ الأَوْدَاجَ وأنْهَرتِ الدَّم.

وليْسَ هذا من وُرُود النَّسخِ على المَأمور به قبْلَ الفِعل ولا قبْلَ أوَانِ الفِعْل في شيءٍ كما يَسْبِقُ إلى بعض الأوْهَام حَتَّى يُشتَغل بالكلام فيه.

فإن قلتَ: الله تعالى هُو المُفتَدَى مِنه لأنَّه الآمِرُ بالذَّبْحِ، فكيْفَ يكونُ فادِيًا حَتَّى قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾؟

قلتُ: الفَادِي هُو إبراهيمُ عَليه السلام، واللهُ عزَّ وجلَّ وهَب له الكبْشَ

قوله: (**قلت: قد بذل**)... إلخ هذا الجواب مبنيّ على مذهبه، فإنّهم يقولون: لا يجوز النسخ قبل الفِعل. وأمّا أهل السنّة فيُجوّزون النسخ قبل الفعل، ويقولون: إنّه كان مأمورًا بالذبح، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، لكنّه نُسِخ قبل الفعل. وأمّا قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَا﴾ فلأنّه[1] لمّا اشتغل بما أُمِرَ به فقد صدّق[2] أنّه كان مأمورًا ولم يُكذِّب ذلك، لكنّه لمّا نُسخ ذلك الأمر تركَ الذبح.

قوله:[3] (**وفَرَتِ[4] الأوداجَ**) الفَرْيُ: القَطْع. وقوله: (**وأنْهَرت**)[5] الإنْهار: الإسالة.

قوله: (**فإن قلتَ: الله تعالى هو المُفْتدَى منه**) المُفتدِي: هو الذي يُخلِّص نفسه، و"المُفتدَى منه" عدّي بـ"مِنه". وليس في "المُفتدَى" / ضمير. [٣٠٩و]

---

١ ن: فأنّه.

٢ ن: فقدق.

٣ وقعت هذه الحاشية في النسخ الخطيّة متقدّمة على سابقتها، فأخّرتها لتوافق ورودَها في الكشّاف.

٤ ن: وفرَ.

٥ ن: أنهرت.

لِيَفْتَدِيَ به، وإنَّما قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ إسنادًا لِلفداءِ إلى السَّبَب الَّذي هُو المُمَكِّنُ من الفِدَاءِ بِهِبَتِه.

فإن قلتَ: فإذا كان ما أتَى به إبراهيمُ مِن البَطْحِ وإمْرارِ الشَّفرَةِ في حُكم الذَّبْحِ، فمَا معنَى الفِداء، والفِداءُ إنَّما هُو التَّخلِيصُ من الذَّبح ببدلٍ؟

قلتُ: قد عُلِم بمَنعِ الله أنَّ حقيقةَ الذَّبح لم تَحْصُل -من فَرْيِ الأَوْدَاجِ وإنْهار الدَّم- فوهَبَ اللهُ له الكبْشَ ليُقيمَ ذبحَه مقَامَ تلك الحقيقة حتَّى لا تحصُلَ تلك الحقيقةُ في نفسِ إسماعيل عليه السلام، ولكنْ في نَفْس الكبشِ بدلًا مِنه.

فإن قلتَ: فأيُّ فائدَةٍ في تَحصيلِ تلك الحقيقَةِ وقد استُغْنِيَ عنها بقِيَام ما وُجِد من إبراهيم مَقام الذَّبح من غير نقصانٍ؟

قلتُ: الفائدةُ في ذلك أن يُوجَدَ ما مُنِعَ مِنه في بَدَلِه حتى يكمُلَ منه الوفاءُ بالمَنذور وإيجَادُ المَأمُور به من كلِّ وجْهٍ.

فإن قلتَ: لم قيلَ هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي غيرِها مِن القصَصِ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ [الصافات ٣٧/٨٠ و١٠٥ و١٢١ و١٣١]؟

قلتُ: قد سَبقهُ في هذه القِصَّةِ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ فكأنما استُخِفَّ بطَرْحِهِ اكتفاءً بذِكْرِه مرَّةً عن ذِكْره ثانيةً.

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

قوله: **(ليَفتَدِي)** أي: ليُعطي الفداء، وفي بعض النسخ: "لِيَفْدِيَ"،[1] وهو أيضًا صحيح؛ بل هو أصحَ مِن الأوّل.

قوله: **(بهِبته)** يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل، وهو "الممكِّن"، أو إلى المفعول، وهو "الفداء".

قوله: **(مِن فَرْيِ الأوداج)** بيان حقيقة الذبح.

---

[1] ن: ليَفدي.

﴿نَبِيًّا﴾ حالٌ مقدَّرةٌ كقَوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩].

فإن قلتَ: فرقٌ بينَ هذا وبين قوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، وذلك أنَّ المَدخُولَ مَوجُودٌ معَ وجُود الدُّخُولِ، والخلودُ غيرُ مَوجُود معهما، فقُدِّرَتْ: مُقَدِّرِينَ الخلُودَ، فكانَ مُستقِيمًا، وليْسَ كذلك المُبَشَّرُ به، فإنَّه مَعْدومٌ وقتَ وجُود البِشارة، وعَدمُ المبشَّرِ به أوْجَبَ عَدمَ حَالِه لا محَالَة؛ لأنَّ الحَالَ حِلْيَةٌ والحِليَةُ لا تقُوم إلَّا بالمُحَلَّى، وهذا المُبشَّر به الَّذي هو إسحاقُ حين وُجِد لم تُوجَد النُّبوَّة أَيضًا بوُجُوده، بَل تراخَتْ عَنه مُدَّةٌ مُتطَاوِلةٌ، فكَيْف تَجعَلُ ﴿نَبِيًّا﴾ حَالًا مُقَدَّرةً، والحالُ صفةُ الفاعلِ أو المفعُولِ عند وجُود الفعْل مِنه أَو بهِ، فالخلُودُ وإن لم يكُن صفتَهُم عند دخُولِ الجنَّة فتَقدِيرُها صِفَتُهم؛ لأنَّ المَعنى: مُقدِّرين الخلُودَ، وليس كذلك النُّبوَّةُ فإنَّه لا سبيل إلى أن تكونَ مَوجُودةً أو مُقدَّرةً وقت وجُود البِشارة بإسحاق لعَدم إسحاقَ.

قوله: (**فإن قلتَ: فرقٌ**)... إلخ "فَرْق" مبتدأ وإن كان نكرة؛ لأنَّه في حكم الموصوف، أي: فرقٌ عظيمٌ، أو فرقٌ ظاهرٌ، و(**بَينَ**) خبره.

قوله: (**وذلك أنّ المدخول موجود**)... إلخ "وذلك"، أي: الفَرق هو أنّ المدخول -أي: الجنّةَ- موجود، ودخولُهم أيضًا موجود، ووجودُ الداخلين ظاهر حينئذ، وغايتُه أنّ الخلود غير موجود، فيَستقيم لوجود ذي الحال أن يكون ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩] في تقدير: مقدِّرين الخلودَ، بخلاف ما نحن فيه، فإنّ المُبَشَّر به غير موجود، فيمتنع أن يتحقّق حاله. والضمير مِن قوله: (**فقُدِّرَتْ**) يعود إلى ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩]، وأنّثه لأنّه حال. وقوله: (**هذا المُبشَّرُ به**) زيادة بيان لامتناع وقوعه حالًا مُحقَّقة، ولذلك قال بعد ذلك: (**لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدّرةً**). وقوله: (**فكيف تَجعلُ ﴿نَبِيًّا﴾**)... إلخ متعلّق بقوله: (**وليس كذلك**)... إلخ. وأمّا قوله: "هذا المُبَشّر به" فكلام[١] تخلّل بينهما كما ذكرنا.

قوله: (**والحال صفة الفاعل**)... إلخ فيه لفّ ونشر، أي: الحال صفة الفاعل

---

[١] ن: وكلام.

قلتُ: هذا سؤالٌ دقيقُ السِّلك ضَيِّقُ المَسْلكِ، والَّذي يَحُلُّ الإشْكال: أنّه لا بُدَّ من تقْديرِ مُضافٍ محْذوفٍ، وذلك قَوْلُكَ: وبشَّرنَاهُ بوُجُود إسحَاق نَبيًّا؛ أي: بأنْ يُوجَد مُقَدَّرَةً نبوَّتُه، فالعامِلُ في الحال الوجُودُ لا فِعْلُ البِشارة، وبذلك يرْجعُ نظيرَ قولِهِ تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حَالٌ ثانِيةٌ، وورُودُهَا على سبيل الثَّناءِ والتَّقْريظِ؛ لأنَّ كلَّ نبيّ لا بدَّ أَنْ يكون من الصَّالِحينَ.

وعن قتادة: بَشَّره الله بنبوَّة إسحاق بعدَ ما امتحَنه بذبحه، وهذا جَوابُ مَن يَقُول: الذَّبيحُ إسحَاقُ لصَاحبِهِ عن تَعلُّقِه بقَوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾.

عند وجود الفعل منه، أو صفة المفعول به عند وجود الفعل به، أي: عند تعلّق الفعل به؛ لأنّ الحال بيان هيئة الفاعل أو المفعول به. وقوله: **(فالخلود)**[١]... إلخ إشارة إلى المعنى الحاصل مِن الفرق، وهو أنّ الخلود وإن لم يكن صفةَ الداخلين عند الدخول حتّى يصحّ أن يكون حالًا مُحقَّقة، لكن تقدير الخلود يصحّ أن يكون صفتهم حينئذ، فيصحّ أن يكون حالًا مقدَّرةً، بخلاف ما نحن فيه، فإنّ النبوّة لا يصحّ أن تكون وقتَ البِشارة صفةً لإسحاق حتّى يكون حالًا محقَّقة، وكذا تقدير النبوّة لا يصحّ أن تكون صفة له عند البِشارة لعدم إسحاق حينئذ، فظهر الفَرق.

قوله: **(وبذلك يَرجع)** أي: يصير.

قوله: **(والتَّقْريظِ)** التقريظُ: مَدحُ الإنسان وهو حيّ. والتأبين:[٢] مَدحُه وهو ميّت.[٣]

قوله: **(لصاحبه عن تعلّقه)** "اللام" و"عن" يتعلّقان بقوله: **(جواب)**، والضمير في "لصاحبه" يرجع إلى **(مَن يقول)**، وفي قوله: "عن تعلّقه" -أي: تَمسُّكه بقوله- يرجع إلى "صاحبِه".

---

١ ف: كالخلود.

٢ وفي هامش د ف: أبّنه تأبينًا.

٣ **الصحاح** للجوهري، «قرظ».

قالوا: ولا يجوز أن يُبَشِّرهُ الله بمَوْلِدِه ونُبوَّته مَعًا؛ لأنَّ الامتحانَ بذَبْحِهِ لا يَصِحُّ معَ علْمهِ بأنَّه سيَكُون نبيًا.

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ وقرئ: "وبرَّكنا"؛ أي: أفضْنا عَليهما برَكاتِ الدِّين والدُّنيا؛ كقَوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٧].

وقيل: وبَارَكنَا على إبراهيمَ في أوْلادِه، وعَلى إسحاق بأن أخرَجْنا أنبيَاءَ بني إسرائيل من صُلْبه.

وقَولُه: ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ نَظِيرُه: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة ٢/١٢٤].

وفيه تنبيهٌ عَلى أن الخَبيثَ والطَّيِّبَ لا يَجْرِي أمرُهُما على العِرْقِ والعُنْصُرِ، فقَد يَلِدُ الفاجرُ البَرَّ والبَرُّ الفاجِرَ، وهذا مِمَّا يَهْدِمُ أمْرَ الطَّبَائع والعَناصِر. وعلى أنَّ الظُّلم في أَعْقَابهما لم يَعُدْ عليهما بعَيْبٍ ولا نَقيصَةٍ، وأنَّ المَرْء إنما يُعَابُ بسوءِ فِعْله، ويُعَاتَبُ عَلى ما اجْترحَتْ يَداهُ، لا عَلى ما وُجِد من أَصْلهِ أو فرْعهِ.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢﴾

قوله: (**قالوا: ولا يجوز**)... إلخ بيان التعلُّق بقوله.

قولُه: (**إنَّما يُعاب**)... إلخ، الضمير مِن "يُعابُ" و"يُعاتَبُ" يعود إلى "المَرْء". وقوله: (**عليه**)[1] أي: على سوء فِعلِه. وقوله:[2] (**على ما اجترَحَتْ**) بدل مِن "عليه".[3]

---

[1] سقطت مِن مطبوع **الكشّاف**.

[2] ف: وهو قوله.

[3] وفي هامش ف: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾.

﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: من الغرقِ، أو من سُلطانِ فرعونَ وقَوْمِه وغَشْمِهم.

﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ الضَّميرُ لَهُما ولقَوْمِهما في قوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا﴾.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾: البليغَ في بَيانهِ وهو التَّوراةُ، كما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة ٥/٤٤]، وقال مَن جَوَّز أن تكون التَّوراةُ عَربيَّةً أن تُشتَقَّ من وَرْيِ الزَّنْد فَوْعَلَةٌ مِنه على أنَّ التَّاء مبْدَلةٌ من واوٍ.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: صراطُ أهلِ الإسلام، وهي صِراطُ الذين أنعَم اللهُ عليهم غيْرِ المغضُوب عليهم ولا الضَّالين.

﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾

قرئ: ﴿إِلۡيَاسَ﴾ بكسر الهمزة و: ﴿الْيَاسَ﴾ على لفظ الوصْل.

وقيل: هو إدريسُ النَّبيُّ عليه السلام، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "وإن إدريس" في مَوضع ﴿إِلۡيَاسَ﴾. وقرئ: "إدْراسَ".

وقيل: هو إليَاسُ بن ياسينَ من وَلد هارُون أَخي مُوسى.

﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾: أتَعبُدُون بعْلًا، وهو علمٌ لصَنَمٍ كان لهم كمنَاةَ وهُبَلَ.

وقيل: كان من ذهَبٍ، وكان طولُه عشرين ذراعًا، وله أَربعةُ أَوْجُهٍ، فُتِنُوا به وعَظَّمُوه حَتَّى أَخدَمُوهُ أربعَ مئةِ سَادنٍ وجَعلُوهُم أنبيَاءهُ، فكان الشَّيطان يدخل

قوله: (وغَشْمِهم) أي: ظُلمِهم.

قوله: (أنْ تُشْتَقَّ) بدل مِن قوله: (أن يكون). وقوله: (فَوْعَلة منه)[1] مقول القول، أي: هي فَوْعلَة منه.

---

١ ف: منهم.

في جَوف بَعْلٍ ويَتكلَّم بشريعةِ الضَّلالة، والسَّدنَةُ يحفظُونَها ويُعَلِّمونَها النَّاسَ، وهـم أَهْلُ بَعْلَبَكَّ من بلادِ الشَّام، وبه سُمِّيَتْ مَدِينتُهُم: بَعلبَكَّ.

وقيل: البَعْلُ: الرَّبُّ بلُغة اليَمَنِ؛ يُقَالُ: مَن بعْلُ هذه الدَّارِ؟ أي: مَن رَبُّهَا؟ والمعنَى: أتعبُدُون بَعضَ البُعُول وتتركُونَ عِبَادة الله.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾ قرئ بالرَّفع على الابتداءِ وبالنَّصْبِ على البَدَلِ، وكان حَمزةُ إذا وصَل نصَبَ وإذا وَقَفَ رَفعَ.

وقرئ: ﴿على إلياسين﴾، و: "إدريسينَ"، و: "إِدْراسِينَ"، و: "إِدرَسينَ" على أنَّها لُغاتٌ في إِلياسَ وإِدْريسَ، ولَعلَّ لزيَادة الياء والنُّونِ في السُّريانيَّة مَعْنًى.

وقرئ: "على الْيَاسين" بالوَصْل، على أنه جمعٌ يُراد به إلياسُ وقومُه؛ كقَوْلهم: الخُبيبُونَ والمُهَلَّبُونَ.

فإن قلتَ: فهَلَّا حَملْتَ على هذا "إِليَاسِينَ" على القَطْعِ وأخَواتِه؟

قلتُ: لو كان جمعًا لَعُرِّفَ بالألِفِ واللَّام.

وأمَّا مَن قرأ: ﴿على آل ياسين﴾ فعَلى أَنَّ ﴿ياسِيْنَ﴾ اسمُ أَبِي إليَاسَ أُضِيف إلَيه الآلُ.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٣ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ١٣٥ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾

قوله: (**الخُبَيبُون**) المراد الخُبَيب وقومُه.

قوله: (**وأخواتِه**) أي: "إدريسين"، "إدرسين".[1]

قوله: (**قلت: لو كان جمعًا لَعُرِّف**) لأنَّ العَلَم إذا جُمع وجب تعريفه / بالللام، [٣٠٩ظ] فإذا قطع همزته لا يكون اللام فيه للتعريف، فلا يمكن حمله على الجمع.[2]

---

٢ ن: إدريسين.

٣ وفي هامش د: قوله: (وسُمّي هَرَبُه مِن قومه بغير إذن ربّه إباقًا) على طريقة المجاز. استعارة تبعيّة في قوله تعالى: ﴿أَبَقَ﴾، شُبّه هربُه مِن قومه بغير إذن ربّه بهرب عبدٍ مِن سيّده بغير إذنه، والجامع مفارَقة كلّ منهما بغير إذن مالكه، وقلنا: الاستعارة التبعيّة تستلزم الاستعارة التمثيليّة، فيمكن أن يقال: شُبّه حاله في هربه... إلخ.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخِلين في الصِّباحِ؛ يَعني: تَمرُّونَ عَلى مَنَازِلهم في مَتَاجِركُم إلى الشَّام ليلًا ونهارًا، أفمَا فِيكُم عُقولٌ تَعْتَبِرُونَ بهَا.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝١٤٨﴾

قرئ ﴿يُونُسَ﴾ بضمِّ النُّون وكسْرِهَا، وسُمِّي هَرَبُهُ من قَومِه بغيْر إذْنِ رَبِّه: "إبَاقًا" على طريقة المجازِ.

و"المُسَاهَمَةُ": المُقَارعَةُ، ويُقال: استَهَم القومُ: إذا اقترعُوا.

و"المُدْحَضُ": المَغلُوب المَقرُوعُ، وحقِيقَتُه: المُزْلَقُ عن مَقَام الظَّفرِ والغَلبةِ.

رُوِي: أنَّه حين ركِبَ في السُّفينةِ وقَفَتْ، فقالُوا: هاهنا عَبْدٌ آبِقٌ من سَيِّدِه، وفيما يزعُم البَحَّارُونَ أنَّ السَّفينةَ إذا كان فيهَا آبِقٌ لم تَجْرِ، فاقترعُوا فخَرجتِ القُرعَةُ عَلى يُونسَ عليه السلام، فقال: أنا الآبِقُ، وزَجَّ بنفسِه في الماء.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: داخِلٌ في الملامةِ، يُقالُ: "رُبَّ لائمٍ مُليمٌ"؛ أي: يَلومُ غيرَهُ وهُو أحَقُّ منه باللَّوْمِ.

وقرئ: "مَليم" بفَتح الميم مِن لِيمَ فهوَ مَليمٌ؛ كمَا جاءَ: مَشِيبٌ في مَشُوبٍ مَبْنِيًّا على شِيبَ، ونحوُه: مَدْعيٌّ بِناءً على دُعِي.

قوله: (البحّارون) أي: العاملون في البحر.

قوله: (وزخَّ[1] بنفسه) الزَّخُّ: الدفع.[2]

قوله: (فهو مَلِيم)[3] والقياس: مَلوم، نحو: مَقول مِن القَول، لكن بَنَوه على الفعل المبنيّ للمفعول.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: "وزَجّ".

[2] انظر: لسان العرب لابن منظور، «زخخ».

[3] قراءة شاذّة، غير منسوبة، ذكرها كذلك أبو حيّان في البحر المحيط، ١٢٤/٩ (الصافات، ١٤٢/٣٧)؛ والسمين الحلبي في الدرّ المصون، ٣٣١/٩ (الصافات، ١٤٢/٣٧).

﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: من الذَّاكِرين الله كثيرًا بالتَّسبيح والتَّقْدِيس.

وقيل: هو قولُه في بَطْنِ الحُوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/٨٧].

وقيل: من المُصَلِّينَ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كلُّ تسبيحٍ في القرآنِ فهو صَلاةٌ.

وعن قتَادةَ: كان كثيرَ الصَّلاة في الرَّخاء، قال: وكان يقال: إنَّ العملَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ صَاحبَه إذا عَثَر، وإذا صُرعَ وجَد مُتَّكأً.

وهَذا تَرغيبٌ من الله عزَّ وجلَّ في إِكْثار المُؤمِن مِن ذِكْره بما هُو أَهْلُه، وإِقْبالِهِ على عبادَته، وجَمْعِ هَمِّهِ لتَقْييدِ نعْمتهِ بالشُّكر في وقْتِ المُهْلَةِ والفُسْحَةِ لِيَنفعَه ذلك عنْده في المضَايق والشَّدائد.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ﴾ الظَّاهرُ لَبْثُه فِيه حَيًّا إلى يَوم البَعْثِ، وعن قتَادةَ: لكانَ بَطْنُ الحُوتِ له قَبرًا إلى يَوم القيامةِ.

ورُوِي أنَّه حينَ ابتَلعَهُ أَوْحَى اللهُ إلى الحُوتِ: إِنِّي جَعلْتُ بَطنك له سِجْنًا ولـم أَجعَلْه لك طَعَامًا.

واختُلِف في مِقْدار لَبْثِه:

فعَنِ الكَلبيِّ: أَربَعُونَ يَومًا، وعن الضَّحَّاك: عشرُونَ، وعن عطاءٍ: سبعةٌ، وعن بعضهم: ثلاثَةٌ، وعن الحَسن: لـم يَلبَثْ إلَّا قليلًا ثـمَّ أُخرِجَ من بَطْنِه بُعَيْد الوَقت الَّذي التُقِم فِيه.

قوله: (وقيل: هو قولُه) أي: قول يونس.

قوله: (وهذا[1] ترغيب) أي: قوله:[2] ﴿فَلَوْلَا﴾... إلخ.

قوله: (وعن قَتادة: لكان)... إلخ قول قتادة يدلّ على أنّ المعنى: أنّه كان يموت في بطن الحوت، وكان يبقى فيه بقاءَ الميّت في القبر لو لم يكن مِن المسبّحين.

---

[1] ف: هذا.

[2] ف - أي: قوله.

ورُوي: أنَّ الحُوتَ سَار مَع السَّفِينةِ رافِعًا رأسَهُ يتنفَّسُ فيه يُونُسُ ويُسبّحُ، ولم يُفارِقْهُم حتَّى انتَهوا إلى البرِّ فلَفظهُ سَالِمًا لم يتَغيَّرْ مِنه شَيءٌ فأسْلَمُوا.

ورُوي أنَّ الحُوتَ قذَفه بسَاحِلِ قَريةٍ من المَوْصِلِ.

و"العراءُ": المكانُ الخالي لا شَجَر فيه، ولا شيءَ يُغطِّيه.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اعتَلَّ مِمَّا حَلَّ به، ورُوي: أنَّه عَادَ بدنُه كبَدن الصَّبِيِّ حِينَ يُولَدُ.

و"اليَقطينُ": كلُّ ما يَنْسَدِحُ على وَجْه الأَرض ولا يَقُوم على سَاقٍ كشَجر البطِّيخ والقِثَّاءِ والحَنْظَلِ، وهو يَفْعِيلٌ من قَطَنَ بالمكانِ: إذا أقَام به.

وقيل هو: الدُّبَّاءُ. وفَائدةُ الدُّبَّاء: أَنَّ الذُّبَّانَ لا يَجْتمعُ عِنْده، وقيل لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّك لَتُحِبُّ القَرْعَ؟ قال: «أَجَلْ هي شَجَرةُ أَخِي يُونسَ عليه السلام».

وقيل: هي التِّينُ.

وقيل: شجَرةُ المَوْزِ، تَغَطىٰ بوَرقِهَا، واستَظَلَّ بأغصَانِها، وأَفطَر على ثِمارِهَا.

وقيل: كان يَسْتظِلُّ بالشَّجرة، وكانَت وعلةٌ تَختَلف إليه فيَشربُ من لَبنِها.

ورُوي: أنَّه مرَّ زمانٌ على الشَّجرة فيَبِسَت فبَكَى جَزعًا، فأَوْحَى الله إليه: بكيْتَ على شَجرةٍ ولا تبكِي على مئةِ ألفٍ في يَد الكافرِ؟

فإن قلتَ: ما مَعْنى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً﴾؟

قلتُ: أَنْبتناهَا فَوقهُ مُظِلَّةً لهُ كمَا يُطنِّبُ البَيْتُ على الإِنسَانِ.

قوله: (**فلَفَظه سالمًا**) أي: أسقطه مِن فيه كالبُصاق.

قوله: (**يَنْسَدِحُ**) أي: ينبسط.

قوله: (**أنَّ الذُّبّان**)[1] الذُباب:[2] معروف، والواحدة ذُبابة، وجمع القِلّةِ أَذِبَّة، والكثيرِ ذِبّان.[3]

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: "الذُّباب".
[2] ن – الذباب.
[3] **الصحاح** للجوهري، «ذبب».

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ المرادُ به ما سَبَقَ من إرسالِه إلى قوْمِه وهم أَهْلُ نِينَوَى.

وقيل: هو إرسَالٌ ثانٍ بعد ما جَرى عليه إلى الأوَّلِينَ أو إلى غيْرِهم.

وقيل: أَسْلَمُوا فسَألُوه أن يَرْجِعَ إليهم فأبَى؛ لأنَّ النَّبيَّ إذا هَاجَر عن قوْمِه لم يَرْجع إليهم مُقِيمًا فيهم، وقال لهُم: إنَّ اللهَ باعِثٌ إلَيْكُم نبيًّا.

﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في مَرْأى النَّاظِر؛ أي: إذا رَآهَا الرَّائِي قال: هيَ مئةُ أَلْفٍ أو أكثَرُ، والغرضُ: الوَصْفُ بالكَثْرةِ.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجَلٍ مُسَمًّى، وقرئ: "ويزيدون" بالواو، و: "حتى حين".

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مِثلِه في أول السُّورة وإن تبَاعَدَت بينَهما المسَافةُ، أَمَر رسُوله باستفتَاءِ قريشٍ عن وَجْهِ إنكار البَعْث أوَّلًا، ثمَّ ساق الكلامَ مَوصُولًا بعضُهُ ببَعضٍ، ثم أمَرهُ باستِفتَائِهم عن وَجْه القِسمَةِ الضِّيزى التي قسَمُوهَا حيث جَعلوا للهِ الإناثَ ولأنفُسِهم الذكُورَ في قولِهم: "الملائكةُ بنَاتُ الله" مَع كراهَتِهم الشَّديدةِ لَهُنَّ ووَأْدِهِمْ واستنكافِهم من ذِكرِهنَّ.

ولقَد ارتكبُوا في ذلك ثلاثةَ أنواعٍ من الكُفْرِ:

أحدها: التَّجسيمُ لأن الولادةَ مختصَّةٌ بالأجسَام.

والثاني: تفضيلُ أنفُسِهم على رَبِّهم حين جَعَلُوا أوضَعَ الجِنسَين له وَأرفعَهُما لهُم كما قال الله تعالى: ....

قوله: (﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ **معطوف على مثله**)[1] هو قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ [الصافات ٣٧/١١]. وقوله: (**أمر رسولَه**) بيان وجه عطفه على ما ذكر.

قوله: (**الضِّيزَى**) أي: الجائر، يقال: ضاز يَضِيزُ، أي: جارَ.[2]

---

[1] ف: مله.

[2] الصحاح للجوهري، «ضيز».

ورُوي: أنَّ الحُوتَ سَار مَع السَّفِينةِ رافِعًا رأسَهُ يتَنفَّسُ فيه يُونُسُ ويُسبِّحُ، ولم يُفارِقْهُم حتّى انتهَوا إلى البرِّ فلفظهُ سَالِمًا لم يتغيَّرْ مِنه شيءٌ فأسْلَمُوا.

ورُوي أنَّ الحُوتَ قذَفَه بسَاحِلِ قَريةٍ من المَوْصِلِ.

و"العراءُ": المكانُ الخالِي لا شَجَر فيه، ولا شيءَ يُغَطِّيه.

﴿وَهُوَسَقِيمٌ﴾ اعتَلَّ مِمَّا حَلَّ به، ورُوي: أنّه عَادَ بدنُه كبَدن الصَّبِيِّ حِينَ يُولَدُ.

و"اليَقطينُ": كلُّ ما يَنْسَدِحُ على وَجْه الأرض ولا يَقُوم على سَاقٍ كشَجر البطِّيخ والقِثَّاءِ والحَنْظَلِ، وهو يَفْعِيلٌ من قَطَنَ بالمكانِ: إذا أقَام به.

وقيل هو: الدُّبَّاءُ. وفَائدةُ الدُّبَّاء: أَنَّ الذُّبَّانَ لا يَجتمعُ عِنْده، وقيل لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّك لَتُحِبُّ القَرْعَ؟ قال: «أَجَلْ هي شجَرةُ أخِي يُونسَ عليه السلام».

وقيل: هي التِّينُ.

وقيل: شجَرةُ المَوْزِ، تَغَطَّى بورَقِهَا، واستَظَلَّ بأغصَانِها، وأَفطَر على ثِمارِهَا.

وقيل: كان يَسْتظِلُّ بالشَّجرة، وكانَت وعلةٌ تَختَلف إليه فيَشربُ من لَبَنِها.

ورُوي: أنّه مرَّ زمانٌ على الشَّجرة فيَبِسَت فبَكَى جَزعًا، فأَوْحَى الله إليه: بكَيْتَ على شَجرةٍ ولا تبكِي على مئةِ ألفٍ في يَد الكافرِ؟

فإن قلتَ: ما مَعْنى: ﴿وَأَنْبَتْنَاعَلَيْهِشَجَرَةً﴾؟

قلتُ: أَنْبتناهَا فَوقهُ مُظِلَّةً لهُ كمَا يُطنَّبُ البَيْتُ على الإنسَانِ.

قوله: (فلَفَظه سالمًا) أي: أسقطه مِن فيه كالبُصاق.

قوله: (يَنْسَدِحُ) أي: ينبسط.

قوله: (أنَ الذُّبَان)[1] الذُباب:[2] معروف، والواحدة ذُبابة، وجمع القِلّةِ أَذِبَّة، والكثيرِ ذِبّان.[3]

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: "الذُّباب".

[2] ن - الذباب.

[3] الصحاح للجوهري، «ذبب».

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ المرادُ به ما سَبقَ من إرسالِه إلى قوْمِه وهم أَهْلُ نِينَوَى.

وقيل: هو إرسَالٌ ثانٍ بعد ما جَرى عليه إلى الأوَّلِينَ أو إلى غيْرِهم.

وقيل: أَسْلَمُوا فسَألُوه أن يَرْجِعَ إليهم فأبَى؛ لأنَّ النَّبيَّ إذا هَاجَر عن قوْمِه لم يَرْجع إليهم مُقِيمًا فيهم، وقال لهُم: إنَّ اللهَ باعِثٌ إلَيْكُم نبيًّا.

﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في مَرْأى النَّاظِر؛ أي: إذا رَآهَا الرَّائِي قال: هيَ مئةُ أَلْفٍ أو أكثرُ، والغرضُ: الوَصْفُ بالكثْرةِ.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجَلٍ مُسَمًّى، وقرئ: "ويزيدون" بالواو، و: "حتى حين".

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مِثلِه في أول السُّورة وإن تباعَدَت بينهما المسَافةُ، أَمَر رسُوله باستفتَاءِ قريشٍ عن وَجْهِ إنكار البَعْث أوَّلًا، ثمَّ ساق الكلامَ مَوصُولًا بعضُهُ ببَعضٍ، ثم أَمَرهُ باستِفتَائِهم عن وَجْه القِسمَةِ الضِّيزى التي قسَمُوهَا حيث جَعلوا للهِ الإناثَ ولأنفُسِهم الذكُورَ في قولِهم: "الملائكةُ بنَاتُ الله" مَع كراهَتِهم الشَّديدةِ لَهُنَّ ووَأدِهمْ واستنكافِهم من ذِكرِهنَّ.

ولقَد ارتكبُوا في ذلك ثلاثةَ أنواعٍ من الكُفْرِ:

أحدها: التَّجسيمُ لأن الولادةَ مختصَّةٌ بالأجسَام.

والثاني: تفضيلُ أنفُسِهم على رَبِّهم حين جَعَلُوا أوضَعَ الجِنسَين له وَأرفعَهُما لهُم كما قال الله تعالى: ....

قوله: (﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مثله)[1] هو قوله تعالى ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ [الصافات ١١/٣٧]. وقوله: (أمر رسولَه) بيان وجه

قوله: (الضِّيزَى) أي: الجائر، يقال: ضاز يَضِيزُ، أي: جا

[1] ف: مله.

[2] الصحاح للجوهري، «ض

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف ١٧/٤٣] ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف ١٨/٤٣].

والثالِثُ: أنهم استهانوا بأكرم خلقِ الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلِهم وأدناهم: "فيك أنوثة"، أو: "شكلُكَ شكلُ النِساءِ" للَبِسَ لقائله جلدَ النمرِ، ولانقلبتْ حماليقُه، وذلك في أهاجيِهم بيِّنٌ مكشوفٌ، فكرَّر الله سبحانه الأنواعَ كلَّها في كتابهِ مرّاتٍ، ودلَّ على فظاعَتِها في آياتٍ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم ١٩/٨٨-٩٠] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام ٦/١٠٠-١٠١] ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات ١٥١/٣٧-١٥٢] ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف ١٥/٤٣] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل ٥٧/١٦] ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور ٣٩/٥٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل ٦٢/١٦] ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ [الصافات ١٥٣/٣٧] ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف ١٦/٤٣] ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣] ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ [الصافات ١٥٠/٣٧].

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

فإن قلتَ: لمَ قال: ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ فخصَّ علمَ المشاهَدةِ؟

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ [مريم ١٩/٨٨-٨٩]) إشارة إلى النوع **الأوّل** مِن أنواع كفرهم.

قوله: (﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل ٥٧/١٦]) هذا إشارة إلى النوع **الثاني** مِن أنواع كفرهم.

قوله: (﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الزخرف ١٩/٤٣])... إلخ هذا إشارة إلى النوع **الثالث** مِن أنواع كفرهم.

قلتُ: ما هُو إلَّا استهزاءٌ بهم وتجهيلٌ، وكذلك قولُه: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف ١٩/٤٣] ونحوُه: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف ٥١/١٨] وذلك أنَّهم كمَا لم يَعلمُوا ذلك بطَريق المُشاهَدة لم يَعلمُوه بخلقِ الله عِلْمَه في قُلُوبهم، ولا بإخبارِ صادقٍ، ولا بطريقِ استدلالٍ ونظرٍ.

ويجوز أن يكون المَعنى: إنَّهم يقولُون ذلك كالقائل قولًا عن ثَلَجِ صَدْرٍ وطُمَأنينةِ نفسٍ لإفرَاطِ جَهْلِهم كأنَّهم قَد شَاهَدُوا خَلقَهُم.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

وقرئ: "ولدُ الله"؛ أي: المَلائكةُ وَلَدُه، والوَلدُ فَعَلٌ بمَعنى مَفْعُولٍ يقعُ على الواحدِ والجمعِ والمُذكَّر والمُؤنَّثِ، تقول: هذه وَلَدِي، وهؤلاء وَلَدِي.

قوله: **(وذلك أنَّهم كما لم يعلموا)**... إلخ بيان أنّه استِهزاءٌ، وتقريره أن نقول: لمّا انتفى عنهم جميع أنواع العلوم المفيدة لذلك مِن النقليّ والعقليّ، البديهيّ والنظريّ والحسّيّ، ثمّ ذكر مِن جميع ذلك الحسّيَّ، أي: المُشاهَدَةَ المعلومَ انتفاؤها؛ عُلِم أنّه استهزاء بهم.

قوله: **(ويجوز أن يكون المعنى)** عطفٌ على قوله: **(ما هو إلّا استهزاء)**،[1] وعلى هذا الوجه يكون ذكر المشاهَدة إشارة إلى فَرط[2] جَهْلهم وغايةِ عِنادهم. وقوله: **(عن ثَلَجِ[3] صَدر)** ثَلَجَتْ نفسي تَثْلُجُ ثُلُوجًا؛ اطمأنَتْ، عن أبي عمرو: «وثَلِجَتْ نفسي -بالكسر- تَثْلَجُ ثَلَجًا لغة فيه، عن الأصمعي».[4]

قوله: **(و"الوَلَد" فَعَل بمعنى مفعول)** كالقَبَض بمعنى المَقبوض، والنَفَض بمعنى المَنفوض.

---

[1] ف ن: الاستهزاء.
[2] ن: يفرط.
[3] ف: ثَلْجِ.
[4] **الصحاح** للجوهري، «ثلج».

فإن قلتَ: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستِبعاد، فكيف صحَّتْ قراءةُ أبِي جعفرٍ بكسر الهَمزة على الإثباتِ؟

قلتُ: جعَله من كلام الكفرةِ بَدلًا عن قَولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ وقَدْ قَرأ بهَا حَمزةُ والأعمشُ.

وهذه القِراءةُ وإن كان هذا مَحْمَلَها فهيَ ضَعِيفَةٌ، والَّذِي أضعَفَها: أَنَّ الإنْكار قدِ اكْتنَفَ هذه الجُملةَ من جَانبَيْها وذلك قولُه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ فمَن جَعلَها للإثباتِ فقد أوقعَها دَخِيلةً بين نَسيبَيْنِ.

قوله: (وهذه القراءة[1] وإن كان)... إلخ واعلم أنّ لهذه القراءة وجهًا آخرَ سوى ما ذكره المصنّف ههنا، وهو أن يكون قد حذف الهمزة مِن قوله: ﴿اصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ كما ذكر في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان ٥/٢٥]، حيث نَقل عن الحسن البصري رحمه الله[2] أنّه مِن قول الله تعالى، يُكذِّب الكفّار في قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان ٤/٢٥]، فيكون المعنى: ليس الأمر كما زعَم المشركون، وكيف يكون كذلك؟ أاكْتتبها فهي تُملى عليه كما يزعُمون؟ ثمّ قال المصنّف ثَمَّةَ: "ووجهُ قول الحسن أن يكون نحوَ قول الشاعر:

أفـــــرحُ أنْ أُرزأَ الكـــــرامَ[3]

بمعنى: أأفرَحُ، وكما ذكر بعد ذلك في سورة محمّد عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ [محمد ١٥/٤٧]، فإنّه قال: "فكأنّه / قيل: أمَثَلُ الجنّة كمَن هو خالد، أي: كمِثل جزاء مَن هو خالد"، ثمّ قال: "في تقريبه مِن حرف الإنكار زيادةُ تصوير [٣١٠و]

---

١ قرأ بهمزة الوصل أبو جعفر وورش من طريق الأصبهاني. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦٠/٢.

٢ د - رحمه الله.

٣ تمامه:

أفـــرحُ أن أُرْزأَ الكـــرام وأن
أُورثَ ذَوْدًا شَـــصائصًا نَبـــلا

وهو لحضرمي بن عامر، كان له تسعة إخوة فهلكوا، فزعَمَ ابن عمّه -وكان ينافسه- أنّه سُرّ بموت إخوته لأنه وَرِثَهم، فقال حضرمي هذا البيتَ. انظر: لسان العرب لابن منظور، «جزأ».

وقرئ: "تذْكُرون" من ذَكَرَ.

﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾؛ أي: حجَّةٌ نزلَت عليكم من السماء، وخَبرٌ بأن الملائكةَ بناتُ الله.

﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ﴾ الذي أُنزلَ عَليْكم في ذلك؛ كقَوله: ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٥].

وهذه الآياتُ صَادِرةٌ عن سَخطٍ عظيم وإنكارٍ فظيعٍ واستبعَادٍ لِأقَاوِيلهم شدِيدٍ، ومَا الأسَاليبُ الَّتي ورَدَتْ عَليهَا إلَّا ناطِقةٌ بتَسْفِيهِ أَحْلامِ قرَيشٍ وتَجْهيلِ نُفُوسِهَا واستِركاكِ عقُولهَا، مع استِهزاءٍ وتهَكُّمٍ وتَعجيبٍ مِن أن يُخْطِرَ مُخْطِرٌ مِثْلَ ذلك على بالٍ ويُحَدِّثَ بهِ نفسًا فَضْلًا أن يَجعَله مُعْتَقَدًا ويَتظَاهَرَ بهِ مَذْهبًا.

﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨﴾

﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ وأراد الملائكة ﴿نَسَبٗا﴾ وهُو زعمُهُم أَنَّهم بنَاتُه، والمَعنى: وجعَلُوا بما قَالُوا نِسبَةً بيْنَ اللهِ وبيْنهُم، وأَثبَتُوا لَهُ بذلك جِنسيَّةً جَامِعةً له وللمَلائكةِ.

فإن قلتَ: لم سمَّى المَلائكةَ جنَّةً؟

قلتُ: قالُوا: الجنسُ وَاحِدٌ، ....

لمكابرة مَن يُسَوِّي بينهما". وأورد البيت هناك أيضًا وبيّنه ببيانٍ بليغٍ. ثمّ لو حُمل هذه القراءة على الوجه الذي ذكره المصنّف ورَدَّه لكان فيه لُطفٌ وحُسْنٌ[1] مُدرَكٌ بالذوق مِن حيث إنّه تعالى ذكر كلامَهم ثمّ ردَّه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾، وبعد ذلك ذكر كلامَهم بعبارة أُخرى، وردَّه أيضًا بوجه آخر؛ وهو ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾.

قوله: **(وأراد الملائكةَ)** جملة معترضة بين ﴿جَعَلُواْ﴾ ومفعولِه، وهو ﴿نَسَبٗا﴾.

قوله: **(قلتُ: قالوا)** أي: العلماء.

---

[1] ف: وحُسْنُ.

ولكنْ مَن خَبُثَ من الجنِّ ومَرَدَ وكان شَرًّا كُلُّه فهو شيطانٌ، ومَن طَهُرَ مِنْهم ونسَكَ وكان خيرًا كلُّه فهوَ مَلكٌ، فَذكَرهُم في هذا المَوْضِع باسم جنْسِهم، وإنَّما ذكَرَهُم بهذا الاسم وضْعًا مِنهُم وتقصيرًا بهِم، وإن كانوا مُعَظَّمينَ في أنفُسهم أَنْ يَبْلغُوا منزلةَ المُناسَبة التي أضافُوهَا إليْهم.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ مَن صِفتُه الاجْتِنَانُ والاسْتِتَارُ -وهو من صفات الأَجْرامِ- لا يَصْلُح أن يُنَاسِبَ مَن لا يجُوز عَليه ذلك، ومِثَاله: أَن تُسَوِّيَ بين المَلِك وبينَ بَعض خواصِّه ومُقَرَّبيهِ، فيقولَ لك: أتُسَوِّي بَيْنِي وبَيْن عَبْدِي؟ وإذا ذكَرهُ في غير هذا المقَام وَقَّره وكَنَّاهُ.

قوله: (ومَن طَهَر[1] منهم)... إلخ "طَهَرَ"[2] في مقابلة (خَبُثَ)، وقوله: (نَسَكَ) -أي: تعبَّد- في مقابلة قوله: (مَرَدَ)، وقوله: (كان خيرًا)[3] في مقابلة (كان شرًّا). وقوله: (كلّه) تنازعَ[4] فيه الأفعالُ الثلاثة المتقدّمة عليه في القبيلتين. فكلّ واحد مِن أفراد الشيطان يكون متّصفًا بجميع الصفات الثلاثة المتقدّمة دائمًا، وكلُّ واحد مِن أفراد الملائكة متّصف بهذه الصفات الأخيرة دائمًا، وأمّا الإنسان فيتّصف ببعضها في بعض الأوقات، وببعضها في بعضها، كما قال عليه السلام: «ولكن ساعةً فساعةً».[5]

قوله: (وَضْعًا[6] منهم) وضَع منه فلان إذا حطّ مِن درجته.[7]

قوله: (منزلةَ المناسبة) حيث قال: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾، وهو كونهم ولدَه، تعالى عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.[8]

قوله: (فيقول) أي: المَلِك.

---

[1] ف: ظَهر.

[2] ف: ظَهر.

[3] ن: كان حبرًا.

[4] ف: ينازع.

[5] لم أجده بالفاء، وهو بالواو في **صحيح مسلم**، ٢١٠٦/٤ (٢٧٥٠)؛ و**سنن الترمذي**، ٢٤٧/٤ (٢٥١٤). ولفظه بتمامه: «والذي نفسي بيده؛ إن لو تَدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر؛ لَصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلةُ ساعة وساعة».

[6] ن: وصفا.

[7] **الصحاح** للجوهري، «وضع».

[8] وفي هامش د ف: قوله: (وهو مِن صفات الأجرام) ليس المراد بالاستتار أن لا يكون مرئيًا، فإنّ الباريَ تعالى ليس بمَرئيّ؛ بل المراد به أنّه لا يكون وراء الستر، ولا يُحجب بشيء، والله تعالى لا يُستر بشيء، ولا يكون وراء شيء، وإلّا يلزم التحيّز وأنّه في مكان.

والضَّميرُ في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكَفرة، والمعنى: أنَّهم يقُولُون ما يَقُولون في الملائكةِ وقد عَلِم الملائكةُ أنَّهم في ذلك كاذِبُون مُفتَرُونَ، وأنَّهم مُحضَرُونَ النَّارَ مُعَذَّبُونَ بمَا يقُولُونَ، والمرادُ: المُبَالغةُ في التَّكذيب، حيْثُ أضِيفَ إلى عِلْم الَّذِينَ ادَّعَوا لَهُم تلك النِّسبَة.

وقيل: قالوا: إنَّ الله صَاهرَ الجِنَّ فخَرجت الملائكةُ.

وقيل: قالُوا: إنَّ الله والشَّيطَان أخوانِ.

وعن الحَسن: أشركُوا الجنَّ في طاعة اللهِ.

ويجوز إذا فُسِّر الجِنَّةُ بالشياطين أنْ يكُون الضَّميرُ في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ لَهُم، والمَعنى: إنَّ الشَّياطين عَالِمُون أنَّ الله يُحضِرُهم النَّارَ ويُعَذِّبُهم، ولو كانوا مُنَاسِبينَ لهُ أو شركاءَ في وجُوب الطَّاعَةِ لَمَا عَذَّبهُم.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثنَاءٌ مُنقَطِعٌ من المُحْضَرين، مَعناهُ: ولكنَّ المخلَصين ناجُونَ، و﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: اعتراضٌ بينَ الاستثناءِ وبَين ما وَقَع مِنْه.

ويجوز أنْ يقَع الاستثنَاء من الواو في ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: يَصِفُهُ هَؤلاء بذلك ولكنَّ المخلَصِينَ بُرَآءُ مِن أن يَصِفُوه بهِ.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

الضميرُ في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عَزَّ وجلَّ، ومَعْناه: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ ومَعْبُودِيكُم ﴿مَآ أَنتُمْ﴾ وهُمْ جَمِيعًا ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ على الله ﴿إِلَّا﴾ أصْحَابَ النَّارِ الَّذِينَ سبَق في عِلْمِه أنَّهم بِسُوءِ أعمَالِهم يَستَوْجِبُونَ أن يَصْلَوْها.

قوله: (﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ لهم) أي: للجِنَّة.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ مُضلِّين أحدًا إلَّا مَن سبق في عِلم الله الشقاوة عليه. | انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٦٣/٧ (الصافات، ١٦٢/٣٧).

فإن قلتَ: كيْفَ يَفْتِنُونَهُم على اللهِ؟

قلتُ: يُفْسدُونَهم عَليْه بإغوائهم واستِهزائهم، من قولك: فتن فلانٌ على فُلانٍ امرأتَهُ، كما تقُول: أفسَدَهَا عَليْه، وخَبَّبها عليه.

ويجوز أن تكون الواوُ في ﴿وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ بمَعْنى: "مَع"، مِثلَها في قَوْلهم: "كُلُّ رَجلٍ وضيعَتُه" فكما جازَ السُّكُوت على "كُلُّ رَجُلٍ وضيعَتُه" وأنَّ كُلَّ رجُلٍ وضَيعتَهُ، جاز أنْ يُسكَتَ على قَوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ لأن قولَه: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ سَادٌّ مسَدَّ الخَبر؛ لأنَّ مَعْناه: فإنَّكم مع مَا تَعبدونَ، والمعنى: فإنَّكم مع آلِهَتِكم؛ أي: فإنَّكُم قُرَناؤهُم وأصحَابُهم لا تبرَحُونَ تَعبُدُونَها، ثُمَّ قال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على ما تَعبُدُون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾: بَاعثينَ أو حَامِلينَ على طريق الفِتْنةِ والإضْلالِ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾ ضالٌّ مِثْلُكم، أو يكُونَ في أُسْلُوبِ قولِه:

قوله: (وخبَّبها) خبَّب فلان غلامي، أي: خدَعَه.[1]

قوله: (أو يكون في أسلوب) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (فكما جاز السكوت)... إلخ، يعني: إذا كان "الواو" بمعنى "مع" جاز أن يكون ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ جملة مستقلّة، وقوله: ﴿مَآ أَنتُمْ﴾... إلخ جملة أخرى، وجاز أن يكون قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ خبر "إنّ"، والمجموع كلام واحد. والأَولى أن نقول: هو عطفٌ على[2] قوله: (مِثلَها في قولهم)... إلخ، فكأنّه قال: إذا كان "الواو" بمعنى "مع" فهو إمّا مثل هذا المثال،[3] أو مثل هذا البيت،[4] وإذا كان على أسلوب هذا البيت فالمعنى يعود إلى الوجه الذي تقدّم ذكرُه، غيرَ أنّ "الواو" فيه للعطف، وهنا بمعنى "مع".

---

١ **الصحاح** للجوهري، «خبب».

٢ ن – على.

٣ وفي هامش د ف: في أنّ الكلام تمّ بالواو التي بمعنى "مع".

٤ وفي هامش د ف: أي: في عدم الاستقلال، ولا يتمّ الكلام بـ"الواو" التي بمعنى "مع"، فإنّ الكلام في البيت لا يتمّ عند "الواو"، وإن كان بمعنى "مع"، فإنّ المبتدأ قد يكون متعدّدًا، ولا يتمّ الكلام بأحدهما، مثل: الخمسةُ والعشرةُ نِصف الثلاثين، كما أنّ الخبر قد يتعدّد ولا يتمّ بأحدهما، مثل: هذا حلو حامِض، فتشبيه الآية بالبيت إنّما هو في عدم الاستقلال والإتمام، فإنّ الكلام في البيت لا يتمّ إلّا بقوله: كدابغة... إلخ.

فــإِنَّــكَ والـكِـتــابَ إِلــى عَـلــيٍّ   كـدَابـغَــةٍ وقــد حَـلِـمَ الأَدِيـــمُ

وقرأ الحَسن: "صالُ الجحيم" بضمِّ اللَّام، وفيهِ ثلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحدها: أن يكون جَمْعًا، وسقُوطُ واوِه لالتقاء السَّاكنين: هيَ ولامُ التَّعريفِ.

فإن قلتَ: كيف استقَامَ الجمْعُ مع قولِهِ: ﴿مَنْ هُوَ﴾؟

قلتُ: مَنْ مُوَحَّدُ اللَّفظ مجمُوعُ المَعنى، فحُمِلَ ﴿هُوَ﴾ على لَفْظِه والصَّالُون على مَعنَاهُ، كما حُمِلَ في مَواضِعَ مِن التَّنزيل على لفْظِ ﴿مَنْ﴾ ومَعْناه في آيَةٍ واحِدَةٍ.

والثاني: أَن يكون أَصْله: "صَائِلٌ" على القَلْبِ، ثمَّ يُقالُ: "صَالٌ" في "صَائِلٍ" كقَولهمْ: "شَاكٌ" في "شَائِكٍ".

والثالـثُ: أن تُحْـذَفَ لامُ "صَـالٍ" تَخفيفًـا ويُجْـرَى الإِعْـرابُ علـى عَيْنِـه

قوله:

(فــإنّــك والـكـتــاب)... البيتَ[1]

"الحَلَم" -بالتحريك-: أن يَفسُد الإهابُ في العمل، ويقعَ فيه دود فيتَثَقَّبَ، تقول منه: «حَلِمَ الأديمُ» بالكسر.[2] يُضرَب المَثَل للأمر الذي قد انتهى فسادُه، وذلك أنّ الجِلدَ إذا حَلِمَ فليس له بعده صلاح.[3]

قوله: **(كما حُمِلَ في مواضِع)** ليس في "حُمِل" ضمير؛ بل هو مُستنِد إلى ما بعده، أعني: أحدَ الظروف الثلاثة. ومثال الحَمل الذي ذكره قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب ٣١/٣٣].

قوله: **(على القلب)** أي: مِن "صالي". يعني: أنّ أصله "صالي"، فقلب فصار "صائل"، ثمّ حذفت الهمزة فصار "صال".

قوله: **(في "شائِك")** وهو مقلوب "شاكي"، ولمّا قلب "شاكي" إلى "شائك" حُذفت الهمزة فصار "شاك".

---

١ للوليد بن عقبة في **جمهرة اللغة** لابن دريد، «حلم»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «حلم».

٢ **الصحاح** للجوهري، «حلم».

٣ **مجمع الأمثال** للميداني، ١٥٠/٢.

كما حُذِف من قَولِهِمْ: "ما بالَيْتُ به بَالَةً" وأَصْلُها: "باليَة" مِن "بَالَى"؛ كـ"عَافيَة" من "عَافَى"، ونَظيرُه قِراءةُ مَن قَرأ: "وجنا الجنتين دانٌ" "وله الجوارُ المنشآتُ" بإجْراءِ الإعْراب على العَيْنِ.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وَمَا مِنَّا﴾ أحَدٌ ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فحُذِف الموصوف وأقيمَت الصِّفة مَقَامَه كقَوله:

أنـــا ابْــــنُ جَــلَا وطَـــلَّاعِ الثَّـنايا

ونظيرُه:

بـكَـفَّـي كـــانَ مِـــن أَرْمَـــى البَـشَـر

قوله:

(أنـــا ابـــن جَـــــلَا)... الـبـيـتَ

أي: أنا ابن رجل جَلَا الأمورَ / وكشفَها. تمامه: [٣١٠ظ]

متـى أضـع الـعِـمـامـةَ تـعْـرِفـونـي[1]

أي: متى أضعُ العمامةَ على[2] رأسي؛ لأنّي مِن أهل العِمامة.

وقوله:

(بـكَـفَّـي كـــان مِـــن أزمـــى البشر)

أي: بكفَّيْ رجلٍ كان، وقبله:

مـا لـك عـنـدي غـيـرُ سَـهْـم وحـجَـرْ
وغـيـر كَـبْـداءَ شـديـدة الـوَتَـرْ
جـادتْ بكَفَّي كـان مِـن أرمـى البشَرْ[3]

والكبداءُ: قوس يملأ مَقْبِضُها الكفّ، ويقال: امرأة كَبداء؛ للضخمة الوسَطِ.[4]

---

١ لسُحيم بن وَثيل الرِّياحي. انظر: **الصحاح** للجوهري، «جلا»؛ **وجمهرة اللغة** لابن دريد، «جلا».

٢ ف: عن.

٣ بغير نسبة في **المقتضب** للمبرّد، ٢/١٣٩؛ **والخصائص** لابن جنّي، ٢/٣٦٩.

٤ ن – الوسط.

﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: مَقامٌ في العبَادةِ والانتهاءِ إلى أمْرِ الله عزَّ وجلَّ مقصُورٌ عليه لا يتجَاوزُه؛ كمَا رُوي: فمِنهُم رَاكِعٌ لا يُقيم صُلْبَه، وسَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رأسَهُ.

﴿لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: نَصُفُّ أقدَامَنا في الصَّلاة، أو: أجنِحتنَا في الهَواء، مُنتَظِرين ما نُؤمَرُ.

وقيل: نَصُفُّ أجنحتَنا حولَ العَرش داعِين للمؤمنِينَ.

وقيل: إنَّ المُسْلمينَ إنما اصطَفُّوا في الصَّلاةِ مُنْذُ نزَلَتْ هذه الآيةُ، ولَيْسَ يَصْطَفُّ أحَدٌ من أهلِ المِلَلِ في صَلاتهم غير المُسلمين.

﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزِّهُونَ، أو: المصَلُّون، والوجْهُ أن يكُون هذا ومَا قبلهُ من قولِه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن كلام المَلائكةِ حَتَّى يتَّصِلَ بذِكرهم في قَولِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ كأنَّه قيل: ولقَد عَلم المَلائكةُ وشَهِدُوا أنَّ المُشرِكينَ مُفْتَرُونَ عَليهم ....

والدليل على حذف الموصوف مِن البيت الأوّل[1] منعه التنوين عن "الابن"، وامتناعُ أن يضاف "الابنُ" إلى "جَلَا"؛ لأنّه ليس باسم أبيه فيُضاف إليه. ومِن البيت الثاني حَذْفُ النون.

قولـه: (والوجـه أن يكـون) عطـفٌ علـى جملـة قولـه: (﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناءٌ منقطع)... إلخ؛ لأنّ في ذلك الكلام إشارةً إلى أنّ قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن كلام الله تعالى، فذكر ههنا أنّ الوجه أن يكون مِن كلام الملائكة.[2]

قوله: (مِن قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾) "مِن" في قوله: "مِن قوله" ابتدائيّة، وهذا أولى مِن جعله بيانيّة، يُعرف بالتأمّل.

قوله: **(حتّى يتّصل)** يعني: أنّ الله تعالى ذكر الملائكة بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾، ثمّ وصل بذكر الملائكة قولَ الملائكة، وهو قولهم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾... إلخ.

---

[1] وفي هامش د ف: أنا ابن جَلَا... البيتَ.

[2] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ﴾ قد ذكر في النساء [١٥٩/٤]. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١٠٩٥/٢.

في مُنَاسَبةِ ربِّ العزَّةِ، وقالُوا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فنزَّهُوهُ عن ذلك، واستَثْنَوا عِبَادَ اللهِ المخلَصين وبرَّؤُوهُم مِنه، وقالوا لِلْكفَرة: فإذا صَحَّ ذلك فإنكم وآلهتَكم لا تَقْدِرُونَ أن تَفتِنُوا عَلى الله أحدًا مِن خَلْقِه وتُضِلُّوه إلَّا مَن كان مِثلَكُم ممَّن عَلِمَ اللهُ -لِكُفرهم لا لِتَقْدِيره وإرَادتهِ تعَالى الله عمَّا يقُول الظَّالمُونَ عُلوًّا كبيرًا- أنَّهم مِن أَهْلِ النَّار، وكيفَ نكُونُ مُنَاسِبينَ لرَبِّ العِزَّةِ ويجمَعُنَا وإيَّاهُ جِنسيَّةٌ واحِدَةٌ، وما نحنُ إلَّا عَبِيدٌ أَذِلَّاءُ بيْنَ يَدَيْهِ لكُلٍّ منَّا مَقامٌ من الطَّاعةِ لا يَسْتطيعُ أن يَزِلَّ عنه ظُفرًا؛ خُشُوعًا لعَظَمتِه، وتَواضعًا لجَلالهِ، ونحن الصَّافُّونَ أقدَامَنا لعبَادَتهِ، أو أَجنِحتَنا مُذعِنِينَ خاضِعين مُسَبِّحِينَ مُمَجِّدِينَ، وكمَا يَجِبُ على العبَاد لرَبِّهم.

وقيل: هو مِن قولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، يَعْني: ومَا من المُسلمين أَحَدٌ إلَّا لَهُ مَقام مَعْلومٌ يَومَ القِيامة على قَدْرِ عَمَلِه، مِن قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩/١٧]، ثُمَّ ذكَر أَعْمَالَهُم وأنَّهم الَّذِين يَصْطَفُّون في الصَّلاةِ ويُسَبِّحُون اللهَ ويُنَزِّهونهُ مِمَّا يُضِيفُ إليه مَن لا يَعْرِفُه ممَّا لا يجُوز عَليه.

قوله: (**في مناسبة ربّ العزّة**) أي: في مُناسَبتِهم ربَّ العِزَّة. وقوله: (**وبرَّأُوهم منه**) أي: مِن الافتراء.

قوله: (**فإذا صحّ ذلك**) أي: فإذا صحّ تنزيهه عن ذلك.

قوله: (**لا لتقديره**) هذا كلامٌ مُعترِضٌ بين "عَلِمَ" ومفعولِه، أورده المصنِّف لروج مذهبه، لا يدلّ عليه لفظ القرآن. يعني: عَلِم الله تعالى أنّهم مِن أهل النار، وعلمه تعالى بذلك لكفرهم، لا لأنّ الله تعالى قدَّر أنّهم مِن أهل النار، وهذا بناء على مذهبه.

قوله: (**وكما يجب**) يجوز أن يكون عطفًا على (**الصافّون**)، ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: (**مُذعنين**)... إلخ.

قوله: (مَن لا يعرِفه) يعني: الذين يَنسبون الولد إليه تعالى. وقوله: (**ممّا لا يجوز عليه**) بدل مِن (**ما يُضيف**)، أو بيانٌ.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ۝١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝١٧٠﴾

هم مشركو قريش، كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾؛ أي: كِتَابًا ﴿مِّنَ﴾ كتبِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الذين نَزلَ عَليهم التَّوراةُ والإنجِيلُ، لأَخلَصْنا العِبَادةَ لله، ولَمَا كذَّبْنَا كما كَذَّبُوا، ولا خَالَفْنَا كمَا خالفُوا، فجَاءهُم الذِّكرُ الَّذِي هوَ سَيِّدُ الأذكار، والكِتابُ الذي هو مُعْجزٌ من بَيْن الكُتبِ ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ ونحوُه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر ٣٥/٤٢] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مَغَبَّةَ تكْذِيبهم ومَا يَحُلُّ بهم مِن الانْتِقام.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾ و﴿وَإِن﴾ هي المُخفَّفةُ من الثَّقيلة، واللَّامُ هيَ الفَارِقةُ، وفي ذلك أنَّهم كانُوا يَقُولُونَه مُؤكِّدِينَ لِلقَول جَادِّين فيه، فكَم بَين أوَّلِ أَمْرِهم وآخِرِه.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾

"الكلمةُ" قولُه: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وإنَّما سمَّاهَا كلِمةً وهيَ كلِمَاتٌ عدَّةٌ؛ لأَنَّها لمَّا انتَظمَتْ في مَعْنًى واحِدٍ كانَت في حُكم كلمَةٍ مُفْرَدةٍ.

قوله: **(فجاءهم)** عطفٌ على قوله: **(كانوا)**. وقوله: **(فكفروا) عطفٌ على** قوله: "جاءهم"، وأشار المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ﴾ عطفٌ على محذوف، وهو عطفٌ على ﴿وَإِن كَانُواْ﴾... إلخ، فالفاء فاء فصيحة.

قوله: **(وفي ذلك)** أي: في الإتيان بـ"إن" المخفّفة واللامِ الفارقة بيانُ أنّهم كانوا يقولونه.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (لمّا انتظمت في معنى واحد) ولهذا يُطلق على القصيدة الكلمة، فإنّ مؤدّاها والمقصود منها شيء واحد، يقال: كلمة الحُوَيدرة، أي: قصيدتها.

وقرئ: "كلماتُنا"، والمرادُ: المَوعِدُ بعُلوّهم على عَدُوّهم في مَقَاوِمِ الحِجَاج ومَلاحِمِ القِتال في الدُّنيَا، وعُلوّهم عليهم في الآخِرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة ٢/٢١٢].

ولا يَلْزمُ انهِزَامُهم في بَعضِ المشَاهِد ومَا جرَى عَليْهم من القَتْلِ، فإن الغَلبَةَ كانَتْ لهُم ولمَن بَعْدَهُم في العَاقبة، وَكفى بمَشاهد رسُول الله والخلفاء الرَّاشِدين مُثُلًا يُحتَذَى عَليها وعِبَرًا يُعتَبرُ بها.

وعن الحسن رحمه الله: ما غُلِبَ نبيٌّ في حَرْبٍ ولا قُتِلَ فيها.

ولأن قاعِدَة أَمْرِهم وأسَاسَه والغالِبَ منه: الظَّفرُ والنُّصرَةُ وإن وَقع في تضَاعيفِ ذلك شَوْبٌ من الابتلاء والمِحنَةِ، فالحكمُ للغَالبِ.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: إن لم يُنْصَرُوا في الدُّنيا نُصِرُوا في الآخِرة.

وفي قراءةِ ابن مسعود رضي الله عنه: "على عبادنا" على تضمِينِ ﴿سَبَقَتْ﴾ مَعنى: حَقَّتْ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعْرِضْ عنهم وأَغْضِ على أذاهمْ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى مُدَّةٍ يَسِيرةٍ، وهي مُدةُ الكَفِّ عن القتال، وعن السُّدِّي: إلى يَوم بَدْرٍ، وقيل: إلى المَوت، وقيل: إلى يَوم القيَامةِ.

قوله: **(والمراد المَوعِد)** أي: المراد بـ"الكلمة" وعدُهم.[١]

قوله: **(الحِجاج)** أي: المُحاجَّة. وقوله: **(ومَلاحِم)** المَلاحِم: جمع المَلحَمة، وهو موضع القتال.

قوله: **(ولا يلزم انهزامهم)** أي: لايلزم ذلك بطريق الاعتراض على ما ذكرنا لوجهين: **الأوّل**: أنّ النظر إلى العاقبة. **والثاني**: أنّ الحكم للغالب.

---

١ ن + قوله: (الحِجاج) وعدهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وما يُقضَى علَيهم من الأَسْر والقَتل والعذابِ في الآخرة، ﴿فَسَوْفَ﴾ يُبْصرُونك وما يُقضَى لك من النُّصرة والتَّأييدِ والثَّواب في العَاقبَة.

وَالمرادُ بالأَمْر بإِبْصَارهم على الحال المُنْتظَرة المَوعُودَة: الدَّلالةُ على أَنَّها كائنةٌ وَاقِعةٌ لا محالةَ، وأَنَّ كَيْنُونتَها قَرِيبةٌ كأنَّها قُدَّامَ نَاظِرَيْكَ، وفي ذلك تَسْلِيةٌ له وتَنفِيسٌ عَنه.

وقولُه: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ للوَعيدِ كما سَلَف، لا للتَّبعيدِ.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ١٧٧﴾

مُثِّلَ العذَابُ النَّازِلُ بهم بعْدَما أُنذِرُوهُ فأَنكرُوه بجَيْشٍ أَنذَر بهجُومِه قومَهُ بَعْضُ نصَّاحِهم فلم يَلتفِتُوا إلى إنْذارِه ولا أَخذُوا أُهْبَتَهُم، ولا دَبَّرُوا أَمْرَهم تدبيرًا يُنْجِيهم، حَتَّى أَنَاخَ بِفِنائهم بغْتةً فشَنَّ عَليهم الغَارةَ وقَطعَ دابرَهُم، وكانَت عَادةُ مغَاوِيرهم أن يُغِيروا صباحًا، فسُمِّيت الغارةُ صَباحًا وإنْ وقَعت في وقتٍ آخَرَ، وما فَصُحَتْ هذه الآيةُ ولا كانَتْ لها الرَّوعَةُ التي تُحِسُّ بها ويَرُوقكَ مَوْرِدُها على نفسِك وطَبعِك إلَّا لمجيئهَا على طريقَة التمثيل.

وقرأ ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: "فبئس صباحُ".

وقرئ: "نُزِل بساحتهم" على إِسنادِه إلى الجارِّ والمجرُور؛ كقولك: "ذُهِبَ بزَيدٍ".

و: "نُزِّل" على: ونزِّلَ العَذابُ.

وَالمَعنى: فسَاء صَباحُ المنْذَرين صَباحُهُمْ، واللَّامُ في ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مُبْهَمٌ في جِنْس مَن أُنذِرُوا؛ لأنَّ "سَاء" و"بئسَ" يقتضِيَانِ ذلك.

وقيل: هو نزُول رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الفَتْح بِمكَّة.

قوله: (فشنَّ عليهم الغارةَ) أي: فرَّقها عليهم.

قوله: (عادةُ مَغاويرهم) جمع المِغوار، وهو الذي يُغير كثيرًا.

وعن أنس رضي الله عنه: لمَّا أتَى رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ وكانوا خَارِجين إلى مَزارِعِهم ومَعَهُم المَساحِي قالُوا: محمَّدٌ وَالخميسُ! ورَجعُوا إلى حِصْنِهم، فقال عليه السَّلام: «اللهُ أكبَرُ، خَرِبتْ خَيبَرُ، إنَّا إذَا نزَلنَا بسَاحَةِ قومٍ فسَاء صَباحُ المُنذَرِينَ».

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٨ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٩﴾

وإنَّما ثُنِّي ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ليكُونَ تسْليةً على تسْليَةٍ، وتأكيدًا لِوُقوع الميعَاد إلى تأكيدٍ.

وفيه فائدةٌ زائدةٌ: وهي إطْلاقُ الفِعْلين مَعًا عن التَّقييد بالمفعُول، وأنَّه يُبْصِر وهُم يُبْصِرُون ما لا يُحِيطُ به الذِّكرُ من صُنوفِ المَسَرَّة وأَنواع المَساءةِ.

وقيل: أُرِيدَ بأحَدِهما عذابُ الدُّنيا وبالآخَرِ عذابُ الآخرة.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾

أُضِيفَ الرَّبُّ إلى العِزَّة لاختِصاصِه بها؛ كأنَّه قيل: ذُو العزَّة؛ كما تقُولُ: "صَاحِبُ صِدْقٍ" لاختصاصِه بالصِّدق.

ويجوز أن يُرادَ: أنَّه ما مِن عزَّةٍ لأحَدٍ من المُلوك وغيْرِهم إلَّا وهو رَبُّها ومالكُها؛ كقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران ٣/٢٦].

قوله: (محمّدٌ والخميسُ) أي: هذا محمّدٌ والخميسُ، أي: الجيش.

قوله: (وعن أنسٍ رضي الله عنه:[١] لمّا أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم)...[٢] إلخ هذا الحديث يؤيّد الوجه الثاني؛ بل يَدُلّ على وجه ثالث، وهو نزوله بخيبر.

[٣١١و] قوله: (مِن صنوف المَسرّة)... إلخ فيه لفّ / ونشر.

---

[١] د - رضي الله عنه. | انظر: صحيح البخاري، ١٣١/٥ (٤١٩٨)؛ وصحيح مسلم، ١٤٢٧/٣ (١٣٦٥).

[٢] د: عليه السلام.

اشتَملَتِ السُّورَةُ على ذِكرِ ما قاله المُشركُون في اللهِ ونَسبُوا إليه ممَّا هو مُنزَّهٌ عَنه، وما عاناه المُرسَلُونَ من جِهَتِهم، وما خُوّلُوه في العَاقبة من النُّصرة عليهم، فختمهَا بجَوامع ذلك: من تَنْزيهِ ذاتِه عمَّا وصَفَه به المشركُونَ، والتَّسليمِ على المُرْسَلين، والحمدِ للهِ ربِّ العالمين على ما قَيَّضَ لهُم من حُسْن العَواقب.

والغَرضُ: تَعليمُ المؤمنين أَن يَقُولُوا ذلك ولا يُخِلُّوا به، ولا يَغفُلُوا عن مُضمَّنَاتِ كتَابهِ الكرِيم ومُودَعَاتِ قرآنهِ المجيد.

وعن عليّ رضي الله عنه: مَن أحَبَّ أن يَكتالَ بالمكيالِ الأَوْفَى من الأَجْر يومَ القيَامةِ فَليَكُنْ آخرَ كلامِه إذا قَام من مجلسهِ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ إلى آخِر السُّورَةِ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ والصَّافاتِ أُعْطي من الأَجر عَشر حَسناتٍ بعَدَد كُلِّ جِنِّيٍّ وشَيْطانٍ وتبَاعَدَت عَنه مَردةُ الشَّياطِينِ وبَرِئَ من الشِّرك وشَهِد له حَافِظَاهُ يَومَ القيامة أنَّه كان مُؤمنًا بالمُرسَلين».

قوله: **(على ما قيَّضَ)** قَيَّض الله عزّ وجلّ الشيءَ، أي: أتاحه.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[1]

---

[1] د - تعالى؛ ف - بحمد الله تعالى.

سورة صٓ

مكيةٌ، وهي ستٌّ وثمانون، وقيل: ثمان وثمانون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾

"صادْ" على الوقف، وهي أكثرُ القراءة.

وقُرئَ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين، ويجوزُ أن ينتصِبَ بحذفِ حرف القسَم وإيصَال فِعله كقَولهم: "اللهَ لأفعلنَّ" بالنَّصب، أو بإضمارِ حَرْف القَسم والفتحِ في موضع الجرِّ كقَولهم: "اللهِ لأفعلنِّ" بالجرِّ.

سورة صٓ

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (**وقُرئَ بالكسر والفتح**)[2] فتكون الحركة بنائيّة.

قوله: (**ويجوز أن يَنتصب**) على أنّ الحركة إعرابيّة مع منع الصرف. وقوله: (**بحذف حرف القَسَم**) يُحذف[3] حروف الجرّ فيتعدّى الفعل بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [الأعراف ٧/١٥٥]، وقوله:

أمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به[4]

---

[1] ف ن – وبه نستعين.

[2] كلٌّ مِن القراءتين شاذّ؛ وقراءة الكسر مرويّة عن أبيّ رضي الله عنه وابنِ أبي إسحاق والحسن. وقراءة الفتح مرويّة عن عيسى بن عمر. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٩.

[3] ن: بحذف.

[4] تمامه:

فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشَبِ

وهو لعمرو بن مَعدي كرب في **ديوانه**، ص ٦٣.

وامتناعُ الصَّرف للتَّعريفِ والتأنيثِ لأنها بمَعنى السُّورة، وقد صَرفَها مَن قَرأ "صادٍ" بالجرِّ والتَّنوين على تأويل الكتاب والتَّنْزيلِ.

وقيل فيمَن كسَر: هُو من المُصَاداةِ وهي المعارضةُ والمُعَادَلةُ، ومنها: الصَّدَى، وهو ما يُعَارِضُ الصَّوتَ في الأَماكِنِ الخاليةِ من الأجسَام الصُّلْبةِ، ومعناه: عارِضِ القرآنَ بعَملِك فاعمَلْ بأوَامِره وانْتَهِ عن نَواهيهِ.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِی ٱلذِّكۡرِ ۝ بَلِ ٱلَّذِینَ كَفَرُوا۟ فِی عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ كلامٌ ظَاهِرُهُ مُتنَافِرٌ غيرُ مُنتظِمٍ، فما وَجْهُ انتِظَامِهِ؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون قد ذكرَ اسمَ هذا الحرفِ من حرُوف المعجم على سبيل التحدِّي والتَّنبيهِ على الإعجَاز كما مرَّ في أوَّل الكتاب، ثم أتبعَه القَسمَ محذوفَ الجوابِ لدلالةِ التَّحدِّي عليه؛ كأنه قال: والقرآنِ ذي الذكر إنَّه لكلامٌ مُعجزٌ.

والثاني: أن يكون "صاد" خبرَ مبتدأ محذوفٍ على أنَّها اسمٌ للسُّورة؛ كأنَّه قال: هذه صادُ، يعني: هذه السُّورةُ التي أعجَزتِ العربَ ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِی ٱلذِّكۡرِ﴾؛

وتقول: "أستغفر الله ذنبي"، وتُضْمَر قليلًا مِن ذلك إضمارَ الباء في قول رؤبة: «خيرٍ»، إذا قيل له: «كيف أصبحتَ؟»، واللامِ في "لاهِ أبوك"، بمعنى: لله أبوك.[1] فالمحذوف هو المتروك أصلًا لا يكون في القائم مقامه أثرٌ منه، والمضمَر عكس ذلك.

قوله: (مِن المُصاداة) قال تأبّط شرًّا:

وأخرى أُصادي النفسَ عنها وإنّها لَمَوردُ حَزْمٍ إن فعلتُ ومَصْدرُ[2]

قوله: (يعني: هذه السورة) "هذه" مبتدأ، و"السورة" خبره.

قوله: (التي أعجَزتِ العربَ والقرآنِ ذي الذكر) فيكون جواب القسم محذوفًا أيضًا، لكن يُقدَّر[3] جوابه مِن جنس ما تقدَّم.

---

[1] انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٣٨٨.

[2] ديوان تأبّط شرًّا، ص ٨٩، بلفظ: "لَخُطّة" بدل "لَمورد".

[3] ف: تقدير.

كما تقول: هذا حاتمٌ واللهِ، تُريدُ: هذا هو المشهُورُ بالسَّخاء واللهِ، وكذلك إذا أَقسَم بها كأنَّه قال: أَقسمْتُ بصَادٍ والقرآنِ ذِي الذِّكر إنَّه لمُعجزٌ، ثمَّ قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ﴾ واستكبارٍ عن الإِذْعانِ لذلك والاعترافِ بالحقِّ ﴿وَشِقَاقٍ﴾ للهِ ورسُوله.

وإذا جعَلتَها مُقْسَمًا بها وعَطفْتَ عليها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ جاز لك أَن تريد بـ"القرآنِ" التنزيلَ كلَّه، وأَنْ تُريدَ السُّورةَ بعَينها، ومعناه: أُقسِمُ بالسُّورة الشَّريفة والقرآنِ ذي الذِّكر؛ كما تقُول: "مرَرتُ بالرَّجل الكريم وبالنَّسمةِ المباركة"، ولا تريدُ بالنَّسَمة غيرَ الرَّجلِ.

و"الذِّكرُ": الشَّرف والشُّهرَةُ، مِن قولك: فلانٌ مذكُورٌ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٤]، أو: الذِّكرَى والمَوعظةُ، أو: ذِكرُ ما يُحتاج إليه في الدِّين من الشَّرائع وغيرها؛ كأَقَاصِيصِ الأنبياء عليهم السلام والوَعْدِ والوعيد.

قوله: (**وكذلك إذا أقسم بها**) أي: بـ"صاد".

قوله: (**واستكبار عن الإذعان**) كالبيان لقوله: ﴿عِزَّةٍ﴾.

قوله: (**بالسورة الشريفة والقرآنِ ذي الذكر**) ولا تريد **بالقرآن** غيرَ السورة.

قوله تعالى: ﴿فِى عِزَّةٍ﴾ حَمِيَّة وتكبُّر عن الحقّ ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلافٍ وعداوةٍ لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم،[1] ثمّ خوّفهم فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ يعني: الأمَمَ الخالية المُهْلَكة بتكذيب الرسل، ﴿فَنَادَواْ﴾ عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ساعةَ لا مَنْجا ولا فَوْتَ. قال ابن عبّاس رضي الله عنهما:[2] «ليس حين نَزْوٍ وفِرار».[3] وقال قتادة: «نادى القوم على غير حين النداء».[4] و﴿لَاتَ﴾ بمعنى "ليس" بلغة أهل اليمن، هكذا ذكر في **الوسيط**.[5] ويعلم منه أنّ الواو في ﴿وَّلَاتَ﴾ واو الحال.

---

١ د: عليه السلام.
٢ د - رضي الله عنهما.
٣ **جامع البيان** للطبري، ١٣/٢٠ (ص، ٣/٣٨).
٤ **جامع البيان** للطبري، ١٤/٢٠ (ص، ٣/٣٨).
٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٣٨/٣ (ص، ٣٨/٢-٣).

والتنكيرُ في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدَّلالة على شدَّتِهما وتفاقُمِهِمَا، وقرئ: "في غِرَّةٍ"؛ أي: في غفلةٍ عمَّا يجبُ عليهم من النظر واتِّباعِ الحقِّ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيدٌ لِذوي العزَّة والشِّقاق.

﴿فَنَادَوا﴾: فدَعَوا واستَغاثُوا، وعن الحسن: فنادَوا بالتَّوبة.

﴿وَلَاتَ﴾ هي "لا" المشبَّهةُ بـ"ليسَ" زيدَتْ عليها تاءُ التأنيث كما زيدَتْ على "رُبَّ" و"ثُمَّ" للتَّوكيد، وتغيَّر بذلك حكمُها حيث لم تدْخُل إلَّا على الأَحْيان، ولم يَبْرُز إلَّا أَحَدُ مُقتَضيَيْها: إمَّا الاسم وإمَّا الخبَرُ، وامتَنَعَ برُوزُهما جميعًا، وهذا مذهبُ الخليل وسيبويه.

وعند الأخفش: أنَّها "لا" النافيةُ للجنس زيدت عليها التاءُ، وخُصَّتِ بنفي الأَحْيان، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصُوب بها؛ كأنَّك قلتَ: ولا حينَ مناصٍ لهم.

قوله: (﴿وَلَاتَ﴾ هي "لا" المشبَّهة[1] بـ"ليس")... إلخ اختُلف فيها؛ مذهب البصريِّين أنَّها بمعنى "ليس"، وذهب الكوفيّون إلى أنَّها التي لنفي الجنس؛ لأنَّها الكثيرة في الاستعمال، و"لا" التي بمعنى "ليس" إنَّما يكون في الشِّعر، فوجب أن يُحمل ما ورد في القرآن على الشائع، لا على القليل. وحُجَّة البصريِّين أنَّ تاء التأنيث قد دخلت عليها، وهي مِن خواصّ الفعل، فوجب أن تكون المشبَّهةَ بالفعل ليقوى وجه دخول التاء عليها، وإلحاقُ التاء بالنافية للجنس بعيدٌ مِن حيث إنَّها مشبَّهة بالحرف، وهذه[2] مشبَّهة بالفعل، فكانت[3] التاء بهذه أولى. وإنَّما اختصَّت بالأحيان لِما في دخولها على غيرها مِن البأس؛ لأنَّ "لا" ليست لنفي الحال صريحًا فتختصّ[4] بالدخول على الأحيان، بخلاف "ليس"، فهي أينما وقَعَت وقَعَت لنفي الحال، فلا مُختصّ بالأحيان.

---

[1] وفي هامش ف: بدل "لا" المشبَّهة.
[2] ن - وهذه.
[3] ن: وكانت.
[4] ف: فتحتص.

وعنه: أن ما ينتَصِبُ بَعده بفعْلٍ مُضمَرٍ؛ أي: ولا أرَى حينَ مناصٍ، ويَرتفعُ بالابتِداء؛ أي: ولا حينُ مَناصٍ كائنٌ لهُم.

ووجه قراءة[1] مَن قرأ: "وَلَاتِ حِينِ مَنَاصٍ" بالكسر[2] -ومثلُ هذه القراءة قولُ الشاعر:

طلبـــوا صُلحَنـــا ولاتَ أوانٍ فأجبنـــا أنْ لاتَ حيـــنَ بقـــاءِ-[3]

هو التشبيه بـ"إذٍ" / في قوله: [٣١١ظ]

وأنـــــتَ إذٍ صحيـــــحُ[4]

فـ"إذٍ" زمانٌ قُطعَ منه المضاف إليه، وعُوّضَ عنه التنوين، فالتقى ساكنان الذال[5] والتنوين، فحُرّكت الذال بالكسر، فكذا الآية؛ إذ الأصل: "ولاتَ حينَ مناصِهم"، فلمّا قُطع المضاف[6] مِن المضاف إليه نُزّل منزلة قطعه مِن الحين لاتّحاد المضاف والمضاف إليه، وعُوّض عن الضمير[7] المقطوعِ التنوينُ، ثمّ كُسر "الحين"؛ لأنّ التنوين كأنْ قد وقع عَقيبه، فنُونه بمنزلة الذال مِن "إذٍ".

وأمّا البيت فظاهر؛ لأنّ الأصل "ولاتَ أوانَ صُلحٍ"، حُذف المضاف إليه، وعُوّض منه التنوين، فصار "أوانٍ" شبيهًا بـ"إذٍ"، فكُسِر كما كُسِر ذلك.

وقيل: التاء داخلة على ﴿حِينَ﴾، والحُجّة أنّها متّصلة بـ﴿حِينَ﴾[8] في الإمام،[9] ويَجعل هذا القائلُ[10] "الحينَ" و"التَّحينَ" لغتين، فعلى هذا يكون "لا" النافية للجنس. لكنّا نقول: إنّ ذلك ليس ممّا يُحتجّ به، فكم شيء وقع في المصحف وهو خارج عن قياس الخطّ، فلعلّ هذا مِن ذلك. وأمّا قوله: "التحين" لغة؛

---

[1] ف: قوله.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠٩؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ١٣٦/٩.

[3] لأبي زُبيد الطائي. انظر: **المخصّص** لابن سيده، ٨٢/٥؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «لا»؛ **وشرح شواهد المغني** للسيوطي، ٦٤٠/٢.

[4] سيأتي بتمامه قريبًا.

[5] ن: الدال.

[6] وفي هامش د: المناص.

[7] ف: الضمر.

[8] ف: لحين

[9] وفي هامش د: أي: مصحف عثمان؛ وفي هامش ف: مصحف.

[10] ن: العامل.

وعنْدهُما أَنَّ النَّصْبَ على: ولاتَ الحينُ حينَ مناصٍ؛ أي: وليس الحينُ حينَ مناصٍ، والرفعَ على: ولاتَ حينُ مَناصٍ حاصِلًا لهُم.

وقرئ: "حينِ مناص" بالكسر، ومثْلُه قولُ أَبِي زُبَيْدٍ الطَّائيّ:

طلبُوا صُلحَنا ولاتَ أوَانٍ فأجَبْنا أنْ لاتَ حينَ بَقاءِ

فإن قلتَ: ما وجهُ الكسر في "أوانٍ"؟

قلتُ: شبِّه بـ"إذٍ" في قوله:

وأنتَ إذٍ صحيحٌ

فالجواب أنّ الفصيح هو "الحين" بدون التاء، فيجب[1] حمل ما جاء في التنزيل على اللغة الفصيحة، فعُلم أنّ الصحيح ما ذهب إليه البصريّون.

قوله: **(وعندهما)** أي: عند الخليل وسيبويه. وهذا الكلام تقرير لِما سلف مِن قوله: "هي المُشبَّهة" إلى قوله: "جميعًا".

قوله: **(على "ولاتَ الحِينُ حِينَ مَناص")** فيكون اسمه محذوفًا. وقوله: **(على "ولاتَ حِينُ مَناص حاصلًا")** فيكون الخبر محذوفًا.[2] وقوله:

(طلبوا صُلحَنا)... البيتَ[3]

أي: طلبوا الصُّلح منّا ولاتَ أوانِ صُلح، فأجَبْنا أن ليس هذا الحينُ حينَ بقاء، أي: ليس الحينُ حينَ إبقاء، وضع البقاءَ موضعَ الإبقاءِ، كالعَطاء يوضَع موضَع الإعطاء. والشاهد في البيت كَسْرُ "أوانٍ".

قوله: **(قلت: شبِّه بـ"إذٍ" في قوله:**

وأنتَ إذٍ صحيحُ)

نَهَيْتُكَ عن طِلابك أمَّ عمروٍ لِعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ[4]

---

[1] ف: فيجت.

[2] ف - وقوله: (على "ولاتَ حينُ مناصٍ حاصلًا") فيكون الخبر محذوفًا.

[3] تقدّم قريبًا.

[4] لأبي ذُؤيب الهذلي. انظر: **الصحاح** للجوهري، «إذ»؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «إذذ»؛ **وخزانة الأدب** للبغدادي، ٦/٥٣٩.

في أنَّه زمانٌ قُطِعَ مِنه المضافُ إليه وعُوِّض التنوينُ؛ لأن الأصْل: ولاتَ أوانَ صُلحٍ.

فإن قلتَ: فما تقولُ في "حِينِ مَناصٍ" والمضافُ إليه قائمٌ؟

قلت: نُزِّلَ قطعُ المضافِ إليه من ﴿مَنَاصٍ﴾ -لأنَّ أَصْله: حينَ مَناصِهم- منْزلةَ قَطْعِه مِن "حين" لاتِّحاد المضاف والمضاف إليه، وجُعِل تَنوينُه عِوَضًا من الضمير المحذُوف، ثم بُنِي الحِينُ لكونه مضافًا إلى غير متمكِّنٍ.

وقرئ: "ولاتِ" بكسر التاء على البناء كـ"جَيْرِ".

فإن قلتَ: كيف يُوقَفُ على "لاتَ"؟

قلتُ: يوقَفُ عَليها بالتَّاء كما تَقِفُ على الفعلِ الَّذي تتَّصلُ به تاء التأنيث، وأمَّا الكسائيُّ فيقِف عليها بالهاءِ كما يقِفُ على الأسماء المؤنَّثة.

وأما قولُ أبي عُبَيْدٍ: "إنَّ التاء داخِلةٌ على ﴿حِينَ﴾" فلا وَجْهَ له، واستِشهادُهُ بأن التاء مُلتَزِقةٌ بـ﴿حِينَ﴾ في الإمام لا مُتشبَّثَ به، فكم وقعَتْ في المصحف أشيَاءُ خَارجةٌ عن قيَاس الخطِّ.

أي: ذكرتُ لك سوءَ عاقبة الهوى وأنّه وَخيم. وأصله "إذ ذاك"، فحُذف "ذاك"، ووُضعَ التنوين موضعَه، فالتقى ساكنان التنوين والذال، فحُرِّك الذال بالكسر على أصل التقاء[1] الساكنين، ثمّ شُبّه به "أوانِ صُلح"[2] بأن حُذف المضاف إليه ووُضع التنوين مَوضعَه، فكُسِر المفتوح تشبيهًا بـ"إذٍ"؛ لأنّه زمان مثله، فحذف منه المضاف إليه.

قوله: **(لكونه مضافًا إلى غير متمكِّن)** الضمير في "لكونه" راجع إلى "المَناص"،[3] لا إلى "حين"، ضرورةَ كون "المناص" مضافًا إلى غير المتمكّن دون "الحين". ولك أن تقول: الضمير يعود إلى "الحين". وتمام بيانهما أن نقول: جُعل قطع المضاف إليه كقطع المضاف، وإضافتُه إلى المبنيّ كإضافتِه، فتأمّل.

---

١ ف: البقاء.
٢ ن + بأن صلح.
٣ ن: الناس.

و"المنَاصُ": المَنْجَا والفَوْتُ، يقال: ناصَهُ يَنُوصُه: إذا فاتَه، واستناصَ: طلبَ المنَاص، قال حارثةُ بن بَدرٍ:

غَمرُ الجِرَاء إذا قصَرْتُ عَنانَه   بيَدِي استنَاصَ ورَامَ جَرْيَ المِسْحَلِ

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾

﴿مُنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رسُولٌ من أنفسِهم.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولم يقُل: "وقالُوا" إظهَارًا للغضَب عليهم، ودلالةً على أنَّ هذا القولَ لا يَجسُرُ عَليه إلّا الكافِرُون المتوغِّلُون في الكُفْر المنهمِكُون في الغيّ، الّذين قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء ١٥١/٤] وهَل ترَى كفرًا أعظمَ وجَهْلًا أبلغَ من أن يُسمُّوا مَن صَدَّقه الله بوَحْيِهِ كاذبًا، ويتعَجَّبُوا مِن التَّوحيد وهو الحقُّ الذي لا يصِحُّ غيرُه، ولا يتعجَّبُوا من الشِّرك وهو الباطِلُ الّذي لا وَجْه لصِحَّتِه؟

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾

رُوي: أنَّ إسلام عمر رضي الله عنه فرحَ به المؤمنون فَرحًا شديدًا، وشقَّ على قريْشٍ وبَلغ مِنهم، فاجتَمع خمسةٌ وعشرُون نفسًا من صَناديدِهم، ومَشَوا إلى أبي طالبٍ وقالوا: أنت شيخُنا وكبيرُنا، وقد علمتَ ما فعل هؤلاء السُّفهاء -يريدُون: الذين دَخلُوا في الإسْلام- وجِئنَاك لَتقضيَ بينَنَا وبين ابنِ أَخِيك،

قوله:

(غَمْرُ الجِراء)... البيتَ[١]

المِسْحَل: الحمار الوحشي. وجاراه مُجاراة وجِراء، أي: جَرى معه. واستَناصَ: طلبَ النَّوص.[٢] والغَمْر: الكثير.

[١] انظر: العين للخليل، «نوص»، ١٦٠/٧؛ ولسان العرب لابن منظور، «نوص».

[٢] في د بضمّ النون، ولم أجده كذلك. والنَّوص: التأخر. انظر: الصحاح للجوهري، «نوص».

فاستَحضَر أبُو طالبٍ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا ابنَ أخِي، هؤلاء قَومُك يَسْألونك السؤالَ فلا تَمِلْ كلَّ المَيْلِ على قَومك، فقال صلى الله عليه وسلم: «ماذا يسْألونني؟» قالوا: ارْفُضنا وارْفُض ذكرَ آلهتِنا ونَدَعَك وإلهك، فقال عليه السلام: «أرَأيتُم إن أعطيتُكُم ما سَألتُم أمُعْطيَّ أنتُم كلمةً واحدةً تَملكُون بها العَربَ وتَدِينُ لكم بها العَجمُ» قالوا: نعَم وعَشْرًا -أي: نُعْطِيكَها وعَشْرَ كلماتٍ معَها- فقَال: «قولُوا: لا إله إلا الله» فقامُوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡـَٔالِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ أي: بليغٌ في العَجَبِ.

وقرئ: "عُجَّاب" بالتشديد؛ كقوله: ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح ٢٢/٧١]، وهو أبلغ من المخفَّف، ونظيرُه: كريمٌ وكُرَامٌ وكُرَّامٌ.

وقولُه: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡـَٔالِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ مثلُ قوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣] في أن مَعنى الجعْل التصييرُ في القَول على سبيل الدعوى والزعمِ، كأنَّه قال: أَجعَل الجماعَة واحِدًا في قوله؟ لأن ذلك في الفِعل محالٌ.

﴿ٱلۡمَلَأُ﴾: أشرافُ قريش، يُريد: وانطَلقُوا عن مجلس أبي طالب بَعد ما بكَّتهم رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العَتيد قائلين بعضُهم لبعض: ﴿ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ﴾ فلا حيلةَ لكم في دَفع أمرِ محمد ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمرَ ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾؛ أي: يُريده الله تعالى ويَحْكُم بإمْضائهِ، وما أراد اللهُ كونَه فلا مردَّ لَهُ ولا يَنفعُ فيه إلَّا الصَّبرُ.

أو: إنَّ هذا الأمْرَ لَشيءٌ من نَوائب الدَّهر يُراد بنا فلا انفكاكَ لنا مِنه.

قوله: **(ونظيره: كَريم وكُرام وكُرَّام)** قال في **الصحاح**: «الكَرَم: نقيض اللُّؤْم، وقد كَرُم -بالضمّ- فهو كريم. والكُرام -بالضمّ- مثل الكريم، فإذا أفرَط في الكرَم قيل: كُرَّام بالتشديد».[1]

قوله: **(التَّصْيِيرُ في القول)** لا التَّصْيِيرُ[2] في الفعل.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «كرم».

[2] ن: والتصيير.

أو: إنَّ دينكم لَشيءٌ يُراد؛ أي: يُطْلَبُ لِيُؤخَذَ مِنكم وتُغْلَبُوا عَليه.

و﴿أَنِ﴾ بمَعنى: أيْ؛ لأنَّ المُنطلِقينَ عن مجلِس التَّقاوُل لا بدَّ لهم من أن يَتكلَّمُوا ويَتفاوَضُوا فيما جَرَى لهم، فكان انْطلاقُهم مُضمَّنًا مَعْنى القَوْل.

ويجوز أن يُرادَ بالانْطلاق: الانْدفاعُ في القَول، وأنَّهم قالُوا: ﴿ٱمْشُواْ﴾؛ أي: اكْثُرُوا واجتمِعُوا، من مَشَتِ المَرأةُ: إذا كثُرت ولادَتُها، ومنه: الماشيةُ للتَّفاوُلِ، كما قيل لها: الفاشيَةُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضُمُّوا فَواشِيَكُم».

ومَعنى: ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: واصبِروا على عبَادتها والتَّمسُّكِ بها حتَّى لا تُزَالُوا عنها.

وقرئ: "وانطَلَقَ الملأُ منهم امْشُوا" بغَير ﴿أَنِ﴾ على إضمارِ القول.

وعن ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: "وانْطَلَقَ الملأُ منهم يمشونَ أنِ اصْبِروا".

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾

﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: في ملَّة عيسى عليه السلام الَّتي هي آخرُ المِلَلِ؛ لأن النَّصارى ....

[٣١٢و] قوله: / (وأنَّهم قالوا) يشير[١] به إلى أنَّه إذا كان الانطلاق بمعنى الاندفاع[٢] في القول، لا بمعنى الذهاب عن المجلس؛ فمعنى ﴿ٱمْشُواْ﴾ اكثُروا واجتمعُوا، لا المشيُ الذي بمعنى الذهاب؛ لأنَّهم حينئذٍ كانوا في المجلس حاضرين يتقاوَلون بذلك.

قوله: (مِن مَشَتِ[٣] المرأةُ) مَشَتِ المرأةُ تَمْشي مَشاءً -مَمدودًا- إذا كثُر ولدُها، وكذا الماشية إذا كثُرَ نَسْلُها.[٤]

---

[١] ن: سر.

[٢] وفي هامش د ف: اندفاع: شروع.

[٣] ف: مشيت.

[٤] الصحاح للجوهري، «مشا».

يدَّعُونها وهُم مُثَلِّثةٌ غيرُ موحِّدةٍ، أو: في ملَّةِ قريشٍ التي أَدْرَكنَا عَليها آبَاءنَا.

أو: ما سَمِعْنا بهذا كائنًا في المِلَّة الآخِرَة، على أن تَجْعَل ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ حالًا من "هذا" ولا تُعَلِّقه بـ﴿مَا سَمِعْنَا﴾ كما في الوجْهين، والمعنى: إنَّا لم نَسْمَعْ من أهل الكتاب ولا الكُهَّانِ أنَّه يَحْدُثُ في الملَّةِ الآخِرة توحيدُ اللهِ، ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾؛ أي: افتِعَالٌ وكَذِبٌ.

أنكَرُوا أن يَخْتَصَّ بالشَّرف من بين أشرَافهم ورؤسائهم ويُنزَّل عَليه الكتابُ من بَيْنِهم كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٣١/٤٣] وهذا الإنكارُ تَرْجَمةٌ عمَّا كانت تَغْلِي به صُدُورُهم من الحسَد على ما أُوتي مِن شَرَف النُّبوَّةِ من بيْنِهم.

قوله: (يدَّعُونها) أي: يدّعي النصارى أنّهم على مِلّة عيسى مع أنّهم مثلّثة.[1] وإنّما قال المصنّف: "يدَّعونَها" لأنّهم بالحقيقة ليسوا على مِلّة عيسى عليه السلام، فإنّه عليه السلام أمر بالتوحيد، لا بالتثليث.[2]

قوله: (التي أدركنا) وإنّما قال: "التي أدركنا" ليتحقّق معنى ﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ مِن تتمّة قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾، تقرير وبيان له. وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ﴾ إضراب عن إنكارهم بالجزم، فكأنّه قيل: ليسوا جازمين؛ بل هم في شكّ. وقوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟﴾ لترك الأوّل والأخذِ فيما هو أهمّ،[3] فكأنّه[4] قيل: أعْرِضْ عن كلامهم وشكّهم، وانظر في هذا، وهو أنّه لا يدوم شكّهم؛ بل يزول ذلك إذا ذاقوا عذابي. ثمّ قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾ و"أمْ" فيه بمعنى "بل والهمزة"، وهو إشارة إلى الإعراض عن قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، فالإضرابان الأوّلان -أعني: قولَه: ﴿بَلْ هُمْ﴾، ﴿بَل لَّمَّا﴾- متعلّقان بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾،[5] والإضراب الثالث -أعني: قولَه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾- متعلّق بقوله: ﴿أَءُنزِلَ﴾، فتأمّل فيه، فإنّه لفّ لطيف المَسلَك،

---

١ ن: مثّلته؛ ف: مثلّته.
٢ ن: بالتثبيت.
٣ ن: اسم.
٤ ن: وكأنّه.
٥ ف: اختلاف.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من القرآنِ، يقولُون في أنفُسهِمْ: إمَّا وإمَّا.

وقَولهُم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ كلامٌ مُخالِفٌ لاعتقادهم فيه يقولُونه على سبيلِ الحسَدِ، ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ﴾ عذابي بَعْدُ، فإذا ذَاقُوه زالَ عنهم ما بهم من الشَّكِّ والحسَد حينئذٍ؛ يَعني: أنَّهم لا يُصَدِّقُون به إلَّا أن يَمسَّهُم العذابُ مُضطرِّين إلى تصديقِه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: ما هُم بمَالكِي خزائنِ الرَّحمةِ حتَّى يُصيبُوا بها مَن شَاؤوا ويَصْرِفُوها عمَّن شاؤوا، ويتَخيَّرُوا لِلنُّبوَّةِ بعضَ صناديدهم

لا يهتدي[١] إليه إلَّا مَن لَطَف الله به وهداه، اللَّهمَّ زدْنا، ولا تَنْقُصْنا، ووفِّقنا، وأرشِدنا، واشرحْ لنا صدرنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قوله: (**يقولون في أنفسهم**) بيان "الشكّ".

قوله: (**إمّا وإمّا**) أي: إمّا حقّ وإمّا باطل لشَكِّهم. وقوله: (**وقولُهم**) أي: باللسان.

قوله: (**كلام مُخالف لاعتقادهم**) لأنّهم ليسوا جازمين قاطعين بأنّه اختلاف؛ بل هم مُتردِّدون في أنّه حقّ أو باطل، لكنّهم مِن الحسد يَجزِمون القول بأنّه باطل. قال في **الوسيط**: «﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ يعني: حين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾».[٢]

قوله: (**إلّا أن يَمسّهم العذابُ**) أي: لا يُصدِّقون به في وقت مِن الأوقات إلّا وقتَ أن يمسَّهم العذاب، وحينئذٍ يؤمنون به مضطرِّين إلى تصديقه مُلجَئين إليه، ولا ينفعهم ذلك.

قوله: (**صناديدهم**) الصِّنْديد: السيِّد الشجاع، وغَيْثٌ صِنْديدٌ: عظيم القَطر، ومنه قول الحسن: «نعوذ بالله مِن صناديد المُقلَّد».[٣]

---

[١] ن: تهتدي.

[٢] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٤٠/٣ (ص، ٨/٣٨).

[٣] لم أجده بهذا اللفظ، والمذكور في مصادر اللغة: "مِن صناديد القَدَر". أي: مِن دواهيه ونوائبه العِظام الغوالب، ومِن جنون العمل، وهو الإعجاب، ومِن مَلْخ الباطل، وهو التبختر فيه. انظر: **الصحاح** للجوهري، «صند»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «صند».

ويترَفَّعُوا بها عن محمَّد صلى الله عليه وسلم، وإنَّما الذي يَمْلِكُ الرَّحمةَ وخزائنَها العَزيزُ القَاهِرُ على خلْقِه، الوهَّابُ الكثيرُ المَواهبِ، المُصيبُ بها مَواقِعَها، الَّذي يَقْسِمُها على ما تقتَضِيهِ حكمتُه وعَدْلُه؛ كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف ٣٢/٤٣].

ثُمَّ رَشَّحَ هذا المَعْنى فقال: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى يتكلَّموا في الأُمور الرَّبَّانيَّةِ والتدابيرِ الإلهيَّة التي يَختصُّ بها ربُّ العزَّة والكبرياءِ.

ثم تهَكَّمَ بهم غايةَ التَّهكُّم فقال: فإن كانوا يَصْلحُونَ لتَدْبيرِ الخلائق والتَّصرُّفِ في قِسْمةِ الرَّحمة، وكانتْ عنْدهُم الحكمةُ التي يُمَيِّزُونَ بها بَين مَن هو حقيقٌ بإيتاء النُّبوَّة دُون مَن لا تَحقُّ له ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: فليَصْعَدُوا في المعَارج والطُّرق الَّتي يُتوصَّلُ بهَا إلى العَرش حتَّى يَستَوُوا عليه ويُدَبِّرُوا أَمْرَ العالَم وملكُوتَ الله، ويُنَزِّلُوا الوَحْي إلى مَن يختَارُونَ ويَستَصْوِبُونَ.

ثمَّ خسَأَهُم خَسْأَةً عن ذلك بقَوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يُرِيدُ: ما هُم إلَّا جُنْدٌ من الكفَّارِ المُتحَزِّبينَ على رُسُل الله ﴿مَهْزُومٌ﴾: مكسُورٌ عمَّا قريبٍ، فلا تُبالِ بما يقُولون ولا تكْتَرِثْ لِمَا به يَهْذُونَ.

و﴿مَا﴾ مزيدةٌ، وفيها معنى الاستِعظامِ كما في قول امرئ القَيْس:

وحـــديـــثٌ مـــا عـــلـــى قِـــصَـــرِهْ

قوله: (الاستعظام) يقول أضعفُ عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[١] يجوز أن يكون في "ما" المَزيدة معنى التحقير، كما في قوله: ﴿مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة ٢٦/٢]، فيتّضح معنى الخَسأ الذي ذكره المصنّف مِن غير أن يكون على سبيل الهُزْء، ويكون هنالك إشارة إلى بدْرٍ ومَصارِعِهم. قال في **الوسيط**: «قال قتادة: 'أخبرَه الله تعالى وهو يومئذ بمكّة أنّه سيُهزَم جندُ المشركين، فجاء تأويلُها يومَ بدرٍ'. و﴿جُندٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف بتقدير: هم جُند، و﴿مَا﴾ زائدة، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى بَدْرٍ ومَصارعِهم بها».[٢]

---

١ د: الجابردي؛ ن: الچاربردي.

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٤١/٣ (ص، ١١/٣٨).

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ من القرآنِ، يقُولُون في أنفُسهِمْ: إمَّا وإمَّا.

وقَولهُم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ كلامٌ مُخالِفٌ لاعتقادهم فيه يقولُونه على سبيلِ الحسَدِ، ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟﴾ عذابي بَعْدُ، فإذا ذَاقُوه زالَ عنهم ما بهم من الشَّكِّ والحسَد حينئذٍ؛ يَعني: أنَّهم لا يُصَدِّقُون به إلَّا أن يَمسَّهُم العذابُ مُضْطرّين إلى تصْديقِه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: ما هُم بمَالكِي خزائنِ الرَّحمةِ حَتَّى يُصيبُوا بها مَن شَاؤوا ويَصْرفُوها عَمَّن شاؤوا، ويتَخيَّرُوا لِلنُّبوَّةِ بعضَ صناديدهم

لا يهتدي[١] إليه إلّا مَن لَطَف الله به وهداه، اللَّهمّ زدْنا، ولا تَنْقُصْنا، ووفِّقنا، وأرشِدنا، واشرحْ لنا صدرنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قوله: (**يقولون في أنفسهم**) بيان "الشكّ".

قوله: (**إمّا وإمّا**) أي: إمّا حقّ وإمّا باطل لشَكِّهم. وقوله: (**وقولُهم**) أي: باللسان.

قوله: (**كلام مُخالف لاعتقادهم**) لأنّهم ليسوا جازمين قاطعين بأنّه اختلاف؛ بل هم مُتردِّدون في أنّه حقّ أو باطل، لكنّهم مِن الحسد يَجزمون القول بأنّه باطل. قال في **الوسيط**: «﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ يعني: حين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾».[٢]

قوله: (**إلّا أن يَمسَّهم العذابُ**) أي: لا يُصدِّقون به في وقت مِن الأوقات إلّا وقتَ أن يمسَّهم العذاب، وحينئذٍ يؤمنون به مضطرّين إلى تصديقه مُلجَئين إليه، ولا ينفعهم ذلك.

قوله: (**صناديدهم**) الصِّنْديد: السيّد الشجاع، وغَيْثٌ صِنْديدٌ: عظيم القَطر، ومنه قول الحسن: «نعوذ بالله مِن صناديد المُقلَّد».[٣]

---

[١] ن: تهتدي.

[٢] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٥٤٠ (ص، ٣٨/٨).

[٣] لم أجده بهذا اللفظ، والمذكور في مصادر اللغة: "مِن صناديد القَدَر". أي: مِن دواهيه ونوائبه العِظام الغوالب، ومِن جنون العمل، وهو الإعجاب، ومِن مَلْخِ الباطل، وهو التبختر فيه. انظر: **الصحاح** للجوهري، «صند»؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «صند».

ويترَفَّعُوا بها عن محمَّد صلى الله عليه وسلم، وإنَّما الذي يَملِكُ الرَّحمةَ وخزائنَها العَزيزُ القَاهِرُ على خلْقِه، الوهَّابُ الكثيرُ المَواهبِ، المُصيبُ بها مَواقِعَها، الَّذي يَقْسِمُها على ما تقتَضِيهِ حكمتُه وعَدْلُه؛ كما قال: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا﴾ [الزخرف ٣٢/٤٣].

ثُمَّ رَشَّحَ هذا المَعْنى فقال: ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى يتكلَّمُوا في الأُمور الرَّبَّانيَّةِ والتدابيرِ الإلهيَّة التي يَختصُّ بها ربُّ العزَّة والكبرياء.

ثم تهَكَّمَ بهم غايةَ التَّهكُّم فقال: فإن كانوا يَصْلحُونَ لتَدْبيرِ الخلائق والتَّصرُّفِ في قسْمةِ الرَّحمة، وكانتْ عنْدهُم الحكمةُ التي يُمَيِّزُونَ بها بَين مَن هو حقيقٌ بإيتاء النُّبوَّة دُون مَن لا تَحقُّ له ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾: فليَصْعَدُوا في المعَارج والطُّرق الَّتي يُتوصَّلُ بهَا إلى العَرش حتَّى يَستَوُوا عليه ويُدَبِّرُوا أَمْرَ العالَم وملكُوتَ الله، ويُنَزِّلُوا الوَحْي إلى مَن يختَارُونَ ويَستَصْوِبُونَ.

ثمَّ خسَأهُم خَسْأةً عن ذلك بقَوله: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ يُرِيدُ: ما هُم إلَّا جُنْدٌ من الكفَّارِ المُتحَزِّبينَ على رُسُل الله ﴿مَهۡزُومٞ﴾: مكسُورٌ عمَّا قريبٍ، فلا تُبالِ بما يقُولون ولا تكْتَرِثْ لِمَا به يَهْذُونَ.

و﴿مَا﴾ مزيدةٌ، وفيها معنى الاستِعظامِ كما في قول امرئ القَيْس:

وحـديـثٌ مـا عـلـى قِـصَـرِهْ

قوله: (الاستعظام) يقول أضعفُ عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[1] يجوز أن يكون في "ما" المَزيدة معنى التحقير، كما في قوله: ﴿مَثَلٗا مَّا﴾ [البقرة ٢٦/٢]، فيتّضح معنى الخَسأ الذي ذكره المصنف مِن غير أن يكون على سبيل الهُزْء، ويكون هنالك إشارة إلى بدْرٍ ومَصارِعِهم. قال في **الوسيط**: «قال قتادة: 'أخبرَه الله تعالى وهو يومئذ بمكّة أنّه سيُهزَم جندُ المشركين، فجاء تأويلُها يومَ بدرٍ'. و﴿جُندٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف بتقدير: هم جُند، و﴿مَا﴾ زائدة، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى بَدْرٍ ومَصارِعِهم بها».[2]

---

١ د: الجابردي؛ ن: الجاربردي.

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٤١/٣ (ص، ١١/٣٨٠).

إلَّا أنَّه على سبيل الهُزء.

و﴿هُنَالِكَ﴾ إشَارةٌ إلى حيثُ وَضَعُوا فيه أنفُسَهُم من الانتداب لمِثْلِ ذلك القولِ العَظيم، مِن قوْلهم لِمَن يَنْتَدِب لأمْرٍ ليس من أهْلِهِ: لسْتَ هُنالِك.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢﴾

﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ أصْلُه من ثَباتِ البَيْتِ المُطَنَّبِ بأَوتادِه، قال:

والبَيْتُ لا يُبْتَنَى إلَّا على عَمَدٍ ولا عِمادَ إِذَا لم تُرْسَ أوتادُ

فاستُعيرَت لثبَاتِ العزِّ والمُلكِ واستقامةِ الأَمْر، كما قال الأَسْوَدُ:

في ظِلِّ مُلكٍ ثابتِ الأَوْتادِ

وقيل: كان يَشْبَحُ المُعذَّبَ بين أَرْبَع سَوارٍ: كُلَّ طَرَفٍ من أطْرافِه إلى سَاريةٍ مضروبٍ فيه وتدٌ من حَديدٍ ويتركهُ حتى يمُوتَ.

وقيل: كان يَمُدُّه بين أربعة أوتَادٍ في الأرض ويُرسِل عليه العقَاربَ والحيَّاتِ.

وقيل: كانت له أَوتادٌ وحبَالٌ يُلعَبُ بها بيْن يَديْه.

[٣١٢ظ] قوله: (**لِمَن ينتدِب**) أي: يتوجّه ونَحى نَحوَ أمرٍ. وقوله:[١] (**ليس مِن / أهله**) صفة "أمرٍ". وقوله: (**لستَ هنالك**) هذا مقول قولهم.[٢]

قوله: (**إذا لم تُرْسَ**) رَسا يَرسو، أي: ثبَتَ. والإرساء: الإثْبات.

قوله: (**وقيل: كان يَشْبَحُ**) أي: كان فرعون شَبَحَه بين العُقابَين؛ مَدَّه،[٣] **والعُقابان**: عودان يُنصبان مَغْرُوزَين في الأرض، يُمَدُّ بينهما المَضروب أو المَصلوب.[٤] **قوله**: "وقيل" عطفٌ على قوله: (**أصلُه**)... إلخ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾... إلخ،

---

١ ن: قوله.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (إلّا على عُمُد) العَمود: عَمود البيت، وجمع القِلّة: أعمِدة، وجمع الكَثْرة: عَمَدٌ وعُمُدٌ، وقُرئ بهما قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة ٩/١٠٤]. صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «عمد».

٣ ن: مدّة.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «عقب».

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ قصَد بهذِه الإشارةِ الإعْلامَ بأنَّ الأَحزابَ الَّذِين جُعِل الجُنْدُ المهزُوم مِنهُم هم هم، وأنَّهم الَّذين وُجِد منهم التَّكذيبُ.

ولقد ذكر تكذيبهم أوَّلًا في الجُملة الخَبريَّة على وَجْهِ الإبْهام ثمَّ جاء بالجُملة الاستِثْنائيَّة فأوْضَحه فيها: بأنَّ كلَّ واحدٍ من الأَحزاب كذَّبَ جميعَ الرُّسُل؛ لأنَّهم إذا كذَّبوا واحِدًا مِنهم فقد كذَّبُوهم جميعًا.

وفي تكريرِ التَّكذيبِ، وإيضَاحه بعد إبهَامهِ، والتنويعِ في تكريرهِ بالجُملة الخَبريَّة أوَّلًا وبالاستثنائيةِ ثانيًا، وما في الاستِثْنائيَّة من الوَضْع على وَجهِ التَّوكيدِ والتَّخصيص= أَنواعٌ من المبالغةِ المُسَجَّلةِ عليهم ....

واللام في ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ للعهد، والإشارة إلى ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، أي: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾... إلخ هم الأحزاب المذكورون في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

قوله: **(الذين جُعل الجند)** في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَهْزُومٌ﴾ أي: مغلوبٌ مكسورٌ،[1] و﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ متعلّق بـ﴿جُندٌ﴾ أو بـ﴿مَهْزُومٌ﴾. المعنى: أنّ المتحزّبين عليك جندٌ مغلوبٌ، وهم حِزْب مِن بعض الأحزاب المتحزِّبين على الأنبياء، فلا يضيق صدرك، فإنّي ناصِرُك. تلخيصه: لك إسوة[2] بإخوتك. ثمّ ذكر المتحزّبين فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾. مِن **الكواشي**.[3]

قوله: **(على وجه الإبهام)** المراد بـ"الإبهام" أنّه لم يُصرّح في الأوّل أنّهم كذّبوا الرسُل أم غيرهم، وهل كذّبوا جميعَهم أو بعضَهم؟

قوله: **(على وجه التوكيد والتخصيص)** وجه التوكيد والتخصيص أن أتى بالجملة الاسميّة وقدَّم "كلّ" فقال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ﴾، ولم يقل: إنْ كذَّب إلّا كلّ.

---

١ ن: مكسورة.

٢ ن: اسوء.

٣ **تفسير الكواشي**، ٤٥١ظ.

باستحقاقِ أشدِّ العذابِ وأبلَغِهِ، ثمَّ قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فوجَبَ لذلك أنْ أُعاقِبَهم حقَّ عقَابِهم.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أهلُ مكّة، ويجوز أن يكون إشارةً إلى جميع الأَحزابِ؛ لاستحضَارِهمْ بالذِّكر، أو لأنَّهُم كالحضُور عِند الله.

و"الصيحَةُ": النَّفخة.

﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ وقرئ بالضمّ: ما لها مِن توقُّف مقدارَ فُواقٍ، وهو ما بيْن حَلْبَتي الحالبِ ورَضْعَتي الرَّاضِع، يَعْني: إذا جاء وقتُها لم تَستأخِرْ هذا القَدْرَ من الزَّمان؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤/٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما لهَا من رجوعٍ وتَرْدادٍ. مِن أفَاقَ المريضُ: إذا رَجع إلى الصِّحَّة، وفُواقُ الناقة: ساعَةُ يرجعُ الدَّرُّ إلى ضَرْعِها، يُريد: أنَّها نفخةٌ واحِدة فحسْبُ لا تُثنَّى ولا تُرَدَّدُ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ١٦﴾

"القِطُّ": القِسْطُ من الشَّيء لأنَّه قِطعةٌ منه، من قَطَّهُ: إذا قَطَعَه.

ويُقال لصحيفةِ الجَائِزة: قِطٌّ؛ لأنها قِطعةٌ من القِرطاس.

وقد فُسِّر بهما قولُه تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾؛ أي: نصيبَنَا من العذابِ

قوله: **(كالحضور)** أي: كالحاضرين، فهو جمع حاضر، كقعود في قاعد.

قوله: **(مِن توقّف مقدارِ فَواق)** يعني: حُذف المضاف والمضاف إليه مِن قوله: ﴿مِن فَوَاقٍ﴾. هذا على التفسير الأوّل، وأمّا على تفسير ابن عبّاس رضي الله عنه[1] فليس فيه حذف.

---

[1] د - رضي الله عنه.

الَّذي وعَدْتَه، كقَوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج ٤٧/٢٢]. وقيل: ذَكَرَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَعْدَ اللهِ المؤمِنينَ الجنَّةَ، فقَالُوا على سبيل الهُزء: عجِّل لَنا نصِيبنا منها.

أو: عجِّلْ لَنا صَحِيفَةَ أَعْمالِنا نَنظُرْ فيها.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

فإن قلتَ: كيف تَطابَق قولُه تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وقولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ حَتَّى عُطف أَحدُهما على صَاحبِهِ؟

قلتُ: كأنه تعالى وتَقدَّسَ قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: اصْبر على ما يقُولونَ وعَظِّم أمْرَ معصيَة الله في أَعيُنِهم بذكر قصَّةِ داوُد عليه السلام، وهُو أنَّه نبيٌّ من أنبيَاء الله قد أَولَاهُ ما أَولاهُ من النُّبوَّةِ والمُلكِ لكَرامتِه عَليه وزُلفَتِه لدَيْهِ، ثمَّ زَلَّ زلَّةً فبعَث إليه المَلائكةَ ووبَّخهُ عليها على طريق التمثيل والتَّعريض حتَّى فطَن لِمَا وقَع فيه فاستغفَر وأَنابَ، ووُجد مِنه ما يُحكَى مِن بُكائه الدَّائم وغَمِّه الواصب، ونقشِ جنايتِهِ في بَطنِ كفِّه حتَّى لا يزالَ مُجَدِّدًا للنَّدَم عليها، فمَا الظَّنُّ بكُم مَع كُفركُم ومعَاصيكُم؟

أو قال له صلى الله عليه وسلم: اصبِرْ على ما يقُولُونَ وصُنْ نفسَك وحَافِظْ عليها أَنْ تَزِلَّ فيما كُلِّفتَ من مُصَابَرتهم وتَحمُّلِ أذَاهُم، واذكُرْ أخَاكَ داوُدَ وكرامَتَه على الله كيْفَ زلَّ تلك الزَّلَّةَ اليَسْيرَةَ فَلقِيَ من توبيخِ الله وتَظْليمِهِ ونسبتِهِ إلى البَغْيِ ما لقِيَ.

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: ذا القُوَّةِ في الدِّين المُضْطَلِع بِمشَاقِّه وتكاليفِه، كان على نهُوضِه

قوله: (قد أولاه) أي: أعطاه.[١]

قوله: (المُضطلِعَ) يقال: فلان مُضطلِع بهذا الأمر، أي: قويّ عليه، وهو مُفتعِل مِن الضَّلاعة، وهي القوّة وشدّة الأضلاع. ولا تَقُل: مُطّلِع بالإدغام.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (حتّى فطَن) الفِطْنة: كالفَهم، تقول: فَطَنتُ للشيء، بالفتح، ورجل فَطِنٌ وفَطُنٌ، وقد فَطِنَ -بالكسر- فِطْنةً وفَطانةً وفَطانية. | الصحاح للجوهري، «فطن».

بأعبَاء النُّبوَّةِ والمُلكِ يَصُوم يومًا ويُفطرُ يَومًا وهو أشَدُّ الصَّوم، ويَقُوم نصْفَ اللَّيلِ، يُقال: فلانٌ أَيِّدٌ، وذُو أَيْدٍ، وذُو آدٍ. وإيَادُ كلِّ شيءٍ: ما يتَقوَّى به.

﴿أَوَّابٌ﴾: توَّابٌ رَجَّاعٌ إلى مَرضاةِ الله.

فإن قلتَ: ما دلَّك على أنَّ الأيْدَ القوَّةُ في الدِّين؟

قلتُ: قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لأنه تعليلٌ لـ"ذِي الأَيْدِ".

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨﴾

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: ووَقْتِ الإشْراق، وهو حِينَ تُشْرِق الشَّمسُ؛ أي: تَضِيءُ ويصْفُو شُعَاعُها، وهو وقتُ الضُّحى، ....

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: «يقال: هو مُضْطَلِع بهذا الأمر، ومُطَّلِعٌ له، والاضْطِلاع مِن الضَّلاعة؛ وهي القوّة، والاطّلاع مِن العُلوّ، يقال: اطَّلَعْتُ الثَنيّةَ، أي: عَلَوتها، أي: هو عالٍ لذلك الأمر مُطّلع[1] له».[2]

قوله: (يقال: فلانٌ أيِّد) آدَ الرجل يَئيدُ أيْدًا؛ اشتدّ وقَويَ، والأَيْد والآد: القوّة.[3] وقوله: (وإيادُ كلِّ شيء) قال في الصحاح: «الإياد: تُراب يُجعل حولَ الحوض أو الخِباء يُقوَّى به، أو يمنَعُ ماء المطر، قال ذو[4] الرمّة يصف الظليم:

دفعناه عن بَيضٍ حِسانٍ بأعرَجٍ حوى حولَها مِن تُربِه بإيادِ[5]

يقول: طردناه عن بَيضه».[6]

قوله: (في الدين) أي: لا القوّةُ في البدن.

قوله: (قلتُ: قوله تعالى) أي: دَلَّني قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، فإنّه يصلح تعليلًا لقوّة الدين، لا لقوّة البدن.

---

[1] في الصحاح: "مالك".
[2] الصحاح للجوهري، «ضلع».
[3] الصحاح للجوهري، «أدد». وفيه: «ورجلٌ أَيِّدٌ، أي: قويّ».
[4] ن: ذ.
[5] ديوان ذي الرمّة، ٢/٦٩٠، بلفظ: "ذَعَرناهُ" بدل "دفَعناهُ".
[6] الصحاح للجوهري، «أدد».

وأمَّا شُروقُها فطُلوعُها، تقول: شَرَقتِ الشَّمسُ ولمَّا تُشرِقْ.

وعن أمِّ هَانِئٍ: دخَل علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدعَا بوَضُوءٍ فتوضَّأ ثم صلَّى صَلاةَ الضُّحى وقال: «يا أمَّ هَانِئٍ، هذه صلاةُ الإِشْراق».

وعن طاوسٍ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: هَل تجدُونَ ذكرَ صَلاةِ الضُّحَى في القرآن؟ قالُوا: لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾، وقال: كانت صلاةً يُصَلِّيهَا داودُ صَلوات الله عليه.

وعنه: ما عَرَفْتُ صَلاةَ الضُّحَى إلَّا بهذه الآيةِ.

وعنه: لم يزَلْ في نفسي من صَلاةِ الضُّحى شَيءٌ حتَّى طَلَبْتُها فوجَدْتُها في هذه الآيةِ: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

وكان لا يُصَلِّي صَلاةَ الضُّحَى ثمَّ صَلَّاهَا بَعْدُ.

وعن كعب أنَّه قال لابن عبَّاس: إنِّي لأَجِدُ في كتُبِ اللهِ صلاةً بعد طُلوع الشَّمسِ، فقال: أنا أُوجِدُك ذلك في كتاب الله. يَعني: هذه الآيةَ.

ويحتمِل أن يكون مِن أشرَق القومُ: إذا دَخلُوا في الشَّرق، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر ٧٣/١٥] وقَولُ أهل الجاهليَّةِ: أَشْرِقْ ثَبِيرُ، ويُرادُ: وقتُ صلاةِ الفجر لانتهَائه بالشُّروقِ.

قوله: (**شَرقتِ الشمس**)... إلخ أي: طَلَعت الشمس ولمّا تضِئ، ولم يَصفُ شعاعها بعدُ.

قوله: (**ويحتمل**) عطفٌ على قوله: / (**وهو حين تُشرق الشمس**). وقوله: (**إذا دخلوا في الشَّرق**)[١] شَرَقَت الشمس شُروقًا وشَرْقًا، أي: طَلَعت.[٢] وأشار المصنِّف في كلامه ههنا إلى المصدرين. [٣١٣و]

قوله: (**«أشْرِق ثبيرُ»**) تمام القول: «**كَيْما نُغيرُ**». أَشرَقَ: دخل في وقت الشروق. و"ثَبير": اسم جبل بمكّة. و"كَيما نُغير"، أي: نسرع للنحر، يقال: أغار،

---

[١] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "الشروق".

[٢] **الصحاح** للجوهري، «شرق».

و﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في مَعنى: مُسَبِّحاتٍ، على الحال.

فإن قلتَ: هل من فرقٍ بين ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ و"مُسبِّحاتٍ"؟

قلتُ: نعم، وما اختِير ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ على "مُسبِّحاتٍ" إلّا لذلك، وهو الدَّلالةُ على حدُوثِ التَّسبيح من الجبالِ شَيْئًا بعْدَ شَيءٍ وحالًا بعد حَالٍ، وكأنَّ السَّامِعَ مُحاضِرُ تلك الحالِ يسمَعُهَا تُسبّحُ، ومِثلُه قولُ الأعْشَى:

إلـى ضَـوء نـارٍ فـي يَـفَـاعٍ تُـحـرَّقُ

ولو قال: مُحرَّقةٍ، لم يكُن شَيْئًا.

أي: شدّ العَدْوَ، ومنه: أغارَ إغارةَ الثعلب؛ إذا أسرع.[١]

قوله: **(إلّا لذلك)** أي: لذلك الفرق.

قوله: **(وهو الدلالة)** أي: الفرق أنّ ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يدلّ على الحدوث دون "مُسبِّحات". وقوله: **(شيئًا)** حال مِن "التسبيح"، أي: يحدُث التسبيح حال كونه تسبيحًا كائنًا بعد تسبيح، أو مفعول مطلَق مِن الحدوث، أي: حدوثًا بعد حدوث. وقوله: **(حالًا)**[٢] ظرف، أي: في حالٍ بعدَ حال. وقوله: **(وكأنّ)**[٣] يعني: لإراءة تلك الحالة العجيبة، وهي حدوث التسبيح على الوجه المذكور، فالحال في قوله: **(تلك الحال)** غيرُ الحال في قوله: **(حالًا)**[٤] فتأمّل. والضمير في **(يسمعها)** للجبال جمع الجَبل. وقوله: "يسمع الجبال تُسبّح"[٥] مثلُ قولك: سمعتُ زيدًا يتكلّم.

قوله: **(ومثله قول الأعشى**:[٦]

إلـى ضـوء نـارٍ فـي يَـفـاعٍ[٧] تُـحـرَّقُ)

لَعمري لقد لاحَت عيونٌ كثيرة إلى ضَوء نارٍ في يَفاعٍ تُحرَّقُ

تُشَبُّ لِمَقرورَين يصْطليانِها وباتَ على النار الندى والمُحَلَّقُ

رَضيعَي لِبانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقاسما بأسْحَم داجٍ عَوضُ لا نَتفرَّقُ[٨]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شرق»، «ثبر»، «غور».

٢ ن: حال.

٣ ف: كأنّ.

٤ ن: حال.

٥ ن: يسبّح.

٦ د: للأعشى.

٧ ن: يَفا.

٨ **ديوان الأعشى**، ص ٢٢٣-٢٢٥.

﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾

وقولهُ: ﴿مَحۡشُورَةٗ﴾ في مُقابَلةِ: ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ إلَّا أنه لمَّا لم يكُن في الحَشْر ما كان في التَّسبيح من إرادة الدَّلالة على الحدُوث شيئًا بعدَ شيءٍ جِيءَ به اسْمًا لا فِعْلًا، وذلك أنَّه لو قِيل: "وسَخَّرنا الطَّيرَ يُحشَرنَ" على أنَّ الحَشرَ يُوجَدُ من حَاشِرها شَيئًا بعد شيءٍ والحاشِرُ هو الله عزَّ وجلَّ لكان خُلْفًا؛ لأنَّ حشْرَها جُملةً واحِدةً أدَلُّ على القُدرةِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا سَبَّح جَاوَبَتْهُ الجبالُ بالتَّسبيح، واجتمعَتْ إليه الطَّيرُ فسبَّحتْ، فذلك حَشرُهَا.

وقرئ: "والطيرُ محشورةٌ" بالرَّفع.

﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: كلُّ واحِدٍ من الجبال والطَّيرِ لأَجْل داوُد؛ أي: لأجل تَسبيحِه مُسَبِّحٌ؛ لأنَّها كانت تُسَبِّحُ بتسبيحِهِ.

ووَضعُ الأوَّابِ موضِعَ المُسبِّح: إمَّا لِأنَّها كانت تُرَجِّعُ التسبيحَ، والمُرجِّعُ رَجَّاعٌ لأنَّه يَرْجعُ إلى فعلهِ رُجُوعًا بعدَ رجُوعٍ، وإمَّا لأنَّ الأوَّابَ -وهو التَّوابُ

"لاحَتْ"، أي: نَظَرَتْ. و"اليَفاع": ما ارتفع مِن الأرض. وشبَّ النارَ: أوقدها. والمَقْرُور: الذي أصابه القُرّ؛ وهو البرد، والمراد بـ"المَقرورين": الندى والمُحَلِّقِ. و"المُحَلِّقُ": اسم رجل. واللِّبان -بكسر اللام-: لَبن المرأة خاصّة. و"تقاسما"، أي: تحالَفا. وعنى بـ"أسْحَم داجٍ" الليلَ، وهو ظرف، أي: في ليلٍ داجٍ، أي: اقتسَما لا نتفرّق الدهرَ. وقوله: "رَضيعَي" خبر "بات"، أو في موضع الحال، أو نصب على المدح.

قوله: (إمّا لأنها كانت ترجّع) أي: لأنّ الجبال والطير كانت تُرجّع التسبيح، أي: تُكرّره، وهو يستلزم رجوعَها إلى التسبيح، فذكر الأوّاب، وهو الراجع إلى التسبيح، وأراد ملزومها، وهو المرجّع للتسبيح، أي: المُسبّح، فيكون كناية.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: الظاهر أنّ الوجه الأوّل مِن قَبيل ذكر العام وإرادة الخاصّ، أو مِن قَبيل ذكر المطلق وإرادة المقيّد.

الكثيرُ الرُّجُوع إلى الله وطلَبِ مَرْضاتِه- مِن عادتِه أن يُكْثِرَ ذِكر الله ويُدِيمُ تسبيحَهُ وتَقْديسَه.

وقيل: الضَّميرُ لله؛ أي: كُلٌّ من داودَ والجبالِ والطَّيرِ لله أوَّابٌ؛ أي: مُسبِّحٌ مُرَجِّعٌ للتَّسبيح.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: قوّيناه، قال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص ٣٥/٢٨] وقرئ: "شدَّدنا" على المبالغة.

قيل: كان يَبيتُ حَوْل محرابه أربعُون ألْفَ مُسْتَلِئِمٍ يَحْرُسُونه.

وقيل: الَّذي شَدَّ اللهُ به مُلكَه وقَذَف في قلُوب قوْمِه الهيْبَة: أنَّ رَجُلًا ادَّعى عِنْده على آخرَ بقَرةً وعجزَ عن إقامةِ البَيِّنة، فأُوحيَ إليه في المنَام: أَنِ اقْتُلِ المُدَّعَى عليه، فقال: "هذا مَنامٌ"، فأُعيدَ الوَحْيُ في اليَقظة فأَعْلَم الرَّجلَ فقال: "إنَّ الله لم يأخُذْني بهذا الذَّنبِ، ولكنْ بأَنّي قَتلْتُ أبا هذا غِيلَةً" فقَتَله، فقال النّاسُ: "إن أذنَبَ أحَدٌ ذَنبًا أظهَرهُ اللهُ عليه فقتَله" فهَابوه.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: الزَّبُورَ وعِلمَ الشرائع، وقيل: كلُّ كلام وافَق الحقَّ فهُو حكمةٌ.

"الفصْلُ": التَّمييزُ بين الشيئين، وقيل للكلامِ البَيِّنِ: "فَصْلٌ" بمعنى المفصُول

وأمّا على الوجه الثاني فمجاز؛ لأنّه ذكَر الملزوم، وهو كثير الرجوع إلى الله تعالى طلبًا لمرضاته، وأراد لازمه، وهو كثرة التسبيح.

قوله: (**مِن عادته**) خبر "أنَّ".

قوله: (**وقيل: الضمير لله عزّ وجلّ**)... إلخ وعلى هذا أيضًا يكون[1] إمّا كناية أو مجاز كما مرّ.

قوله: (**مُستلئِم**) اللَّأْمُ: جمع "لَأْمة"، وهي الدِّرع، واسْتَلْأَم: لبس اللَّأْمة.[2]

---

[1] ف: يلون.

[2] الصحاح للجوهري، «لأم».

ك"ضرْبِ الأَمير"؛ لأنَّهم قالوا: "كلامٌ مُلتَبِسٌ" و: "في كلامهِ لَبْسٌ"، والمُلتبِسُ: المُختلِطُ، فقيل في نقيضِه: "فَصْلٌ"؛ أي: مَفْصُولٌ بعْضُه من بعضٍ، فمَعنى "فَصْل الخطاب": البَيِّنُ من الكلام، المُلخَّص الَّذي يَتبيَّنَهُ كلُّ مَن يُخاطَب به لا يَلْتبِسُ عليه.

ومن فصلِ الخطاب ومُلَخَّصِه: أَن لا يُخْطِئ صَاحِبُه مَظانَّ الفصْلِ والوصْلِ، فلا يَقِفَ في كلمة الشَّهادة على المُستَثنى مِنه، ولا يَتْلُوَ قَولَه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون ٤/١٠٧] إلَّا مَوْصُولًا بما بَعْده، ولا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ﴾ حتَّى يَصلهُ بِقَوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦/٢] ونحو ذلك، وكذلك مَظانُّ العَطفِ وتركِهِ، والإضمارِ والإِظْهارِ، والحذفِ والتَّكرارِ.

وإِن شِئْتَ كان الفصْلُ بمَعنى الفاصِل كالصَّوْم والزَّور، وأرَدْتَ بفصْلِ الخطابِ: الفاصِلَ من الخطاب، الَّذي يَفصِلُ بين الصَّحيح والفاسد، والحقِّ والباطِل، والصَّوابِ والخطأ، وهُو كلامُه في القضايا والحكُومات، وتَدابيرِ المُلكِ والمَشُورات.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: هو قوله: البيِّنةُ على المدَّعي واليَمينُ على مَن أنكر. أي: على المدَّعَى عليه، وهو من الفصْل بين الحقِّ والباطلِ، ويدْخُلُ فيه قولُ بَعضهم: هو قولُه: "أما بعدُ"؛ لأنَّه يَفتتِحُ إذا تكلَّم في الأمْر الَّذي له شأنٌ بذكر الله وتحميدِه، فإذا أرادَ أن يخرُجَ إلى الغَرَض المسُوق إليه فَصَل بَينهُ وبين ذكر الله بقوله: "أَمَّا بعْدُ".

ويجوز أن يُراد بفصل الخطابِ: القصْدُ الَّذي ليس فيه اختِصارٌ مُخِلٌّ ولا إشبَاعٌ مُمِلٌّ.

قوله: (والزَّور) الزَّور: الزائرون،[1] يقال: رجل زائر، وقوم زَوْرٌ وزُوّار، مثل: سافِر وسَفْر وسُفّار.[2]

[1] ن: الزئرون.

[2] الصحاح للجوهري، «زور».

ومنه ما جاء في صفة كلام رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: **فصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ.**

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

كان أهْلُ زمانِ داود عليه السلامُ يسألُ بَعضُهم بعضًا أَن يَنْزِلَ له عن امرَأتِهِ فيتَزوَّجَها إذا أَعجَبْته، وكانتْ لهم عَادةٌ في المواسَاة بذلك قد اعتادُوها، وقد رُوِينا أنَّ الأنصار كانوا يُوَاسُونَ المُهاجِرينَ بمِثل ذلك، فاتَّفق أَنَّ عين داوُدَ وقعَتْ على امرأةِ رجُلٍ يُقال له: أُورِيَا، فأحبَّها فسألَه النُّزولَ له عَنها فاستحيَا أن يَرُدَّه ففعَل، فتزوَّجَها وهيَ أمُّ سليمانَ عليه السلام، فقِيل له: إنَّك معَ عِظَم مَنْزِلتك وارتفاعِ مَرْتبتِك وكِبَر شَأنِكَ وكثْرةِ نسَائك لم يكُن يَنْبَغي لك أن تَسأل رجُلًا ليس له إلَّا امرأةٌ واحِدةٌ النُّزولَ، بل كان الواجِبُ عليك مُغالَبَةَ هواكَ وقَهْرَ نفسِك والصَّبرَ على ما امْتُحِنْتَ به.

وقيل: خَطبَها أُورِيَا ثم خَطبَها داوُدُ فآثَره أَهْلُها، فكان ذَنْبُه أن خَطَب على خِطْبةِ أَخِيه المؤمِن مع كثْرةِ نِسَائه عليه السلام.

قوله: («**فصْل لا نَزْرٌ ولا هَذْر**»)[١] النَّزر: القليل التافه.[٢] وأهْذَر في كلامه، أي: أكثر.[٣]

---

١ مِن حديث أمِّ مَعبد الطويل في **المستدرك** للحاكم، ٣/١٠ (٤٢٧٤)؛ وشرح السنّة للبغوي، ١٣/٢٦٣ (٣٧٠٤).

٢ **الصحاح** للجوهري، «نزر».

٣ **الصحاح** للجوهري، «هذر».

وأمَّا ما يُذكَر أنَّ داود عليه السلام تَمنَّى منْزلةَ آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوبَ، فقال: يا ربِّ إنَّ آبائِي قد ذهَبُوا بالخير كُلِّه، فأُوحِيَ إليْه: أنَّهم ابتُلُوا ببَلايَا فصبَرُوا عليهَا، قد ابتُلي إبراهيمُ بنَمرُود وذَبْحِ وَلَدِهِ، وإسحاقُ بذَبحِهِ وذَهَابِ بصَره، ويعقُوبُ بالحُزن على يُوسف. فسأل الابتلاء، فأُوحِيَ إليه: إنَّك لمُبتَلًى في يَومِ كذا فاحْتَرِسْ، فلمَّا حَانَ ذلك اليومُ دَخل محرَابَه وأغلقَ بابَهُ وجَعَل يُصَلِّي ويَقرأ الزَّبُور، فجَاءه الشَّيطان في صُورةِ حَمامةٍ من ذَهبٍ، فمَدَّ يدَهُ ليَأخُذَها لابْنٍ له صَغِيرٍ فطَارَت، فامتَدَّ إليها فطَارَت، فوقعَت في كُوَّةٍ فتَبِعَها فأبْصَر امْرأةً جَمِيلةً قد نقَضَتْ شعْرهَا فغطَّى بدَنها وهي امرأةُ أُورِيَا وهُوَ من غُزاةِ البَلْقَاء، فكَتب إلى أيُّوبَ بنِ صُوريَا وهو صَاحبُ بَعْثِ البَلْقَاءِ: أن ابعَثْ أُوريَا وقَدِّمْهُ على التَّابُوت، وكان مَن يَتقَدَّمُ على التَّابُوت لا يَحِلُّ له أن يرْجِعَ حَتَّى يَفتحَ اللهُ عَلى يدِه أو يُستشهَدَ، فَفتَح اللهُ على يدِه وسَلِم، فأمرَ بردِّه مرَّةً أُخرَى وثَالِثةً، حتى قُتِل وأتاهُ خَبرُ قَتلهِ فلم يحزَن كما كان يحزَنُ على الشُّهداء وتَزوَّجَ امرأتَهُ.

فهذا ونحوُهُ مما يقبُح أن يُحَدَّثَ به عن بعض المتَّسِمينَ بالصَّلاح من أَفناء المُسلمين فضلًا عن بَعضِ أعلام الأنبياء.

وعن سعيدِ بن المُسيَّب والحَارثِ الأَعور: أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: مَن حَدَّثكُم بحديثِ داود على ما يَرْوِيه القُصَّاصُ جَلَدْتُه مئةً وستينَ، وهو حَدُّ الفِرْيةِ على الأنبياء.

ورُوي أنه حُدِّثَ بذلك عُمَرُ بنُ عَبد العزيز وعندَه رجُلٌ من أَهل الحقِّ، فكذَّبَ المُحدِّثَ بهِ وقال: إنْ كانت القِصَّةُ على ما في كتاب الله ....

قوله: (صاحب بَعْثِ) قولهم: كنتُ في بَعثِ فلان، أي: في جيشه الذي بُعِثَ معه، / والبُعوث: الجيوش.[1] [٣١٣ظ]

قوله: (فهذا ونحوُه)[2] جواب "لمَّا".

قوله: (مِن أفْناءِ) أي: أوساط، يقال: هو مِن أفْناء الناس إذا لم يُعلم ممَّن هو.

---

[1] الصحاح للجوهري، «بعث».

[2] ف: فهذا نحوه.

فما ينبغي أن يُلتمسَ خِلافُها، وأعظِمْ بأنْ يقالَ غيرُ ذلك، وإن كانت على ما ذكرتَ وكَفَّ اللهُ عنها سَتْرًا على نَبيّه فما ينبغي إظهَارُها عَليه، فقال عُمر: لَسَمَاعِي هذا الكلامَ أحَبُّ إليَّ ممَّا طَلعَت عَليه الشَّمسُ.

والَّذِي يدُلُّ عليه المَثَلُ الَّذي ضربَه الله لقصَّتِه عليه السَّلامُ لَيْس إلَّا طَلَبه إلى زَوْج المرأةِ أن يَنْزِل له عَنْها فحَسْب.

فإن قلتَ: لِمَ جاءتْ على طريقَةِ التَّمثيلِ والتَّعريض دون التَّصريحِ؟

قلتُ: لكَونها أَبلَغَ في التَّوبيخ، من قِبَل أنَّ التَّأمُّلَ إذا أدَّاهُ إلى الشُّعُور بالمُعَرَّضِ بهِ كان أوقَعَ في نَفْسه، وأشَدَّ تمَكُّنًا من قَلبِهِ، وأعظَمَ أثَرًا فيه، وأجْلبَ لاحتِشَامِه وحَيَائه، وأدْعَى إلى التَّنبُّهِ على الخطأ فيه من أن يُبَاده به صَريحًا، مع مُراعَاةِ حُسْنِ الأدب بتَركِ المُجَاهَرَةِ.

ألا ترى إلى الحكماءِ كيف أوصَوْا في سِيَاسة الولد إذا وُجدَتْ مِنه هَنَةٌ مُنكَرةٌ بأن يُعرَّضَ له بإنكارِها عليه ولا يُصَرَّحَ، وأن تُحكَى لهُ حكايةٌ مُلاحِظةٌ لحالِهِ إذا تأمَّلهَا استَسمجَ حالَ صاحِب الحِكاية فاستسمجَ حَالَ نفسِه، وذلك أَزجَرُ له لأنَّه يَنصِبُ ذلك مثالًا لحالِه ومِقيَاسًا لشَأنِه، فيتصَوَّرُ قبْحَ ما وُجِد منه بصُورةٍ مكشُوفةٍ مَع أنَّه أَصْوَنُ لمَا بينَ الوَالد والولدِ من حجَابِ الحِشْمةِ.

فإن قلتَ: فلِمَ كان ذلك على وَجْه التَّحاكُم إلَيه؟

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ جاءت**) أي: لِمَ جاءت القضيّة إلى داود حين دخل عليه الملَكان فقالا: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ على طريقة التمثيل؟

قوله: (**لاحتشامه**) حشَمتُ الرجل واحتشَمْته[1] بمعنًى، وهو أن يجلس إليك فتؤذيَه وتُغضِبه.[2]

---

[1] ن: واحتشعمته.

[2] وفي هامش د ف: ابن الأعرابي: حَشَمْتُه: أخجلتُه، وأحشَمْته: أغضبْته، والاسم الحِشْمة؛ وهو الاستحياء، والغضب أيضًا. | **الصحاح** للجوهري، «حشم».

قلتُ: ليَحكُم بما حَكَم بهِ من قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ حَتَّى يكونَ محجُوجًا بحكمهِ ومُعْترِفًا على نفْسِه بظُلمِه.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ ظَاهِرُه الاستِفهامُ، ومَعناه: الدَّلالةُ على أنّه من الأَنبَاءِ العجيبة التي حَقُّها أن تَشيعَ ولا تخفَى على أحَدٍ، والتَّشويقُ إلى استماعِه.

و"الخصم": الخُصمَاءُ، وهو يقعُ على الواحِد والجمع كالضَّيف، قال اللهُ تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات ٥١/٢٤] لأنّه مَصْدَرٌ في أَصْله، تقُولُ: خَصَمه خَصْمًا؛ كما تقول: ضَافَه ضيْفًا.

فإن قلتَ: هذا جَمعٌ، وقوله: ﴿خَصْمَانِ﴾ تثنيَةٌ، فكيف استَقام ذلك؟

قلتُ: معْنَى ﴿خَصْمَانِ﴾: فريقَانِ خصمان، والدَّليلُ عَليه قِراءةُ مَن قَرأ: "خصمانِ بَغى بعْضُهم على بعضٍ" ونحوُه قولُه تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج ٢٢/١٩].

فإن قلتَ: فما تصْنَعُ بقولهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ وهو دليلٌ على اثنَيْنِ؟

قلتُ: هذا قولُ البَعض المُرادِ بقوله: ﴿بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

فإن قلتَ: فقد جاء في الرِّوايةِ أنَّه بُعِثَ إليه مَلَكانِ؟

قلتُ: مَعناه: أنَّ التَّحاكُمَ كان بيْنَ مَلَكيْنِ، ولا يَمنعُ ذلك أَنْ يَصحَبَهُما آخرُونَ.

فإن قلتَ: فإذا كان التحاكُمُ بين اثنين كيف سمَّاهُم جميعًا خَصْمًا في قوله: ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ و﴿خَصْمَانِ﴾؟

قوله: (**يقول: خَصَمَهُ خصْمًا**) إمّا مِن قولهم: خصَم بعضُهم بعضًا، أو مِن قولهم: خصَمه؛ غلبَه بالخصومة.

قوله: (**فإن قلتَ: هذا جمع**) أي: ﴿ٱلْخَصْمِ﴾ في قوله: ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ جمعٌ بدليل قوله تعالى: ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾.

قوله: (**و﴿خَصْمَانِ﴾**) أي: وفي قوله: ﴿خَصْمَانِ﴾، إذ التقدير: فريقان خصمان كما ذكرت، فسمّى الجميع خَصمان.

قلتُ: لمَّا كان صَحْبُ كلِّ واحِدٍ من المُتحاكِمَين في صُورة **الخصم صَحَّت التَّسميَةُ بهِ.**

فإن قلتَ: بمَ انتصَب ﴿إِذْ﴾؟

قلتُ: لا يَخلُو: إمَّا أن ينْتصِبَ بـ﴿أَتَىٰكَ﴾، أو بالنَّبأ، أو بمحذوفٍ:

فلا يَسوُغُ انتصابُه بـ﴿أَتَىٰكَ﴾ لأنَّ إتيانَ النَّبأ رسولَ الله **لا يَقع إلَّا في عَهْده لا في عَهْد داود.**

ولا بالنَّبأ لأنَّ النَّبأ الواقِعَ في عَهد داود **لا يصحُّ** إتيانه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. وإن أردتَ بالنَّبأ: القصَّةَ في نفْسِها لـم يكُن ناصِبًا.

فبَقي أَنْ ينتصِبَ بمحْذُوفٍ، وتَقديرُه: وهل أتاك نبأُ **تحاكُمِ الخصْم.**

ويجوز أن ينتصِبَ بـ﴿ٱلْخَصْمِ﴾ لِمَا فيه من معنى الفعل.

وأمَّا ﴿إِذْ﴾ الثانيةُ فبَدلٌ من الأُولى.

﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾: تَصعَّدُوا سُورَهُ ونَزلُوا إلَيه، والسُّورُ: الحَائط المرتفعُ، ونظيرُه في الأَبنيَةِ: تَسنَّمَه: إذا عَلا سَنامَه، وتذرَّاه: إذا عَلا ذِرْوتَه.

روي: أنَّ الله تعالى بَعث إليه مَلَكيْن في صورة إِنسانيْنِ، فطَلَبَا أن يَدْخلا عَليه فوَجداه في يوم عِبادتِه، ....

قوله: (**صحَّت التسمية به**) أي: صحَّت تسمية كلٍّ بالخَصم.

قوله: (**لأنّ النبأ[1] الواقع**) "النبأ" بمعنى المصدر.

قوله: (**لا يصحّ**) وذلك لأنّه ليس المعنى على أنّ النبأ الواقعَ في زمان داود أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛[2] لأنّ الواقع في زمانه -أي: إذ تسوّروا المِحراب- هو التحاكم، والذي أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم[3] هو خبر ذلك التحاكم، فهذا هو مراد المصنّف، وإن كان في عبارته تساهل، فتأمّل.

---

[1] ن: البناء.

[2] د: عليه السلام.

[3] د: عليه السلام.

فمنعَهما الحَرَسُ فتَسوَّرا عَليه المحرابَ، فلم يَشعُر إلّا وهُما بيْنَ يدَيْه جالسَان ﴿فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ﴾.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: إنَّ داود عليه السلام جَزَّأ زمَانَه أربعةَ أَجْزاء: يومًا للعبَادة، ويَوْمًا للقضَاء، ويَوْمًا للاشتغالِ بخواصِّ أُمُوره، ويَومًا يَجْمعُ بنِي إسرائيل فيَعِظُهمْ ويُبَكِّيهم، فجَاؤوه في غيْرِ يوم القَضاء ففزِع مِنهم، ولأنَّهم نَزلُوا عليه مِن فوقُ، وفي يَوم الاحتجَاب، والحَرسُ حَوْلَه لا يَتْركُون مَن يَدْخل عليه.

﴿خَصۡمَانِ﴾ خبرُ مُبتَدإٍ محذوفٍ؛ أي: نحنُ خصمان.

﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: ولا تَجُرْ، وقرئ: "ولا تَشْطُطْ"؛ أي: ولا تَبعُدْ عن الحقّ، وقرئ: "ولا تُشَطِّطْ" "ولا تُشَاطِطْ"، وكُلُّهَا من معنى الشَّطَطِ: وهو مُجَاوَزةُ الحَدِّ وتَخطِّي الحقّ.

و"سواءُ الصراط": وسَطُهُ ومحجَّتُه، ضَرَبَه مَثَلًا لِعَيْن الحَقّ ومَحْضِه.

﴿أَخِي﴾ بدَلٌ مِن ﴿هَٰذَآ﴾ أَو خبرٌ لـ﴿إِنَّ﴾ والمراد أُخوَّةُ الدِّين، أو أُخوَّةُ الصَّداقةِ والأُلفَة، أو أخُوَّة الشِّركة والخُلْطة؛ لقَوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ وكلُّ واحدةٍ من هذه الأخوات تُدْلي بحَقٍّ مانعٍ من الاعتِداء والظلم.

وقرئ: "تَسْعٌ وتَسعون" بفَتح التاء، و: "نِعجةٌ" بكَسر النُّون، وهذا من اختلافِ اللُّغات نحو: نَطْعٍ ونِطْعٍ، ولَقْوةٍ ولِقْوة.

قوله: **(فلم يشعر إلّا وهما)** أي: لم يشعُر بهما أو بتسوُّرِهما في حالٍ مِن الأحوال إلّا في هذه الحال.

قوله: **(ولأنّهم نزلوا)** عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: **(فجاءوه)**، فكأنّه قال: ففزع منهم لأنّهم جاءوهم في غير يوم القضاء، ولأنّهم نزلوا. والصواب أنّه عطفٌ على قوله: **(قال ابن عبّاس)**... إلخ.

قوله: **(ولَقْوَة)**[1] اللَّقْوَة: العُقاب الأنثى، واللِّقوةُ -بالكسر- مثله، وأمّا اللَّقْوة لِداء في الوجه فهو بالفتح لا غير.[2]

---

[1] ن: ولَقْوَ.

[2] انظر: **الصحاح** للجوهري، «لقى».

﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملِّكْنيها، وحقيقتُه: اجعَلْني أَكْفُلُها كما أكفُلُ ما تَحتَ يَدِي.

﴿وَعَزَّنِى﴾: وغَلَبني، يُقال: عَزَّهُ يَعُزُّه، قال:

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقَد عَلِقَ الجَناحُ

يُرِيد: جاءني بحِجَاجٍ لم أَقْدِرْ أَن أُورِدَ عليه مَا أَرُدُّه بِهِ.

وأراد بـ﴿ٱلْخِطَابِ﴾: مخاطَبةَ المُحَاجِّ المجادِل، أو أراد: خطَبتُ المرأةَ وخَطبَها هو فخَاطَبَني خِطَابًا؛ أي: غالَبَني في الخِطْبَةِ فغَلَبَني حيثُ زوّجَها دُوني.

وقرئ: "وعازَّني" من المعَازَّة وهي المغالبة، وقرأ أبو حَيْوَةَ: "وعَزَني" بتخفيف الزاي طلبًا للخِفَّة، وهو تخفيفٌ غريبٌ، وكأنَّه قاسَهُ على نَحو: ظَلْتُ ومَسْتُ.

فإن قلتَ: ما مَعنى ذِكْرِ النِّعاج؟

قلتُ: كان تحَاكُمُهم في نفسهِ تمثيلًا وكلامُهم تمثيلًا؛ لأن التمثيل أَبلغُ في التَّوبيخ؛ لِمَا ذكرنَا، وللتَّنبيه على أنَّه أَمرٌ يُستحْيَا من كشْفِه فيُكْنَى عنه كمَا يُكنَى عمَّا يُستَسمَجُ الإفصَاحُ به، ولِلسَّتر على داود عليه السلام والاحتِفاظ بحرمتِه.

قوله: **(قَطاةٌ عَزَّها)**... البيتَ، أوّله:

كأنّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ[1]

قوله: **(وخطبها هو)** أي: أخي.

قوله تعالى: ﴿نَعْجَةٌ﴾ النَّعجة: الأنثى مِن بقر الوَحْش، والجمع: نِعاج.[2]

قوله: **(قلتُ: كأنّ تَحاكمهم)** شبّه حال داود مع أُورِيا بحال رجلين يتحاكمان؛ لأنّ مِن شأنهما أنْ يتحاكما، ثمّ جاء المَلَكان عنده كأنّهما متحاكِمان، فمجيء المَلكين عند داود تمثيل للتحاكم، وهو معنى قوله: **(تحاكُمهم في نفسه)**. وأمّا قوله: **(وكلامهم تمثيلًا)** فهو ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾... إلخ، وقد بيّنه بقوله:

---

[1] لمجنون ليلى في ديوانه، ص ٧٣.

[2] المُغرب للمطرّزي، «عنن».

ووجهُ التمثيل فيه: أنْ مُثِّلَت قصَّةُ أُوريَا معَ داود بقصَّة رجلٍ له نعجَةٌ واحدةٌ ولخليطِه تسعٌ وتسعُون، فأراد صاحبُه تَتِمَّة المئةِ فطمِعَ في نَعجَةِ خليطِه وَأرادَهُ على الخرُوج من مِلكهَا إليه، وحَاجَّهُ في ذلك مُحَاجَّةَ حريصٍ على بلوغ مُراده، والدَّليلُ عليه قولُه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ وإنما خصَّ هذه القصَّةَ لِمَا فيها من الرَّمز إلى الغَرض بذكر النَّعجة.

فإن قلتَ: إنما تَستقيم طريقةُ التَّمثيل إذا فسَّرْتَ الخطابَ بالجِدالِ، فإن فسَّرتَه بالمفاعلةِ من الخِطبةِ لم يستقِم.

(ووجه التمثيل). وقوله: "وكلامُهم تمثيلًا"[١] فذكروا بطريق التمثيل شيئًا مِن الأشياء التي يُنازَع فيها.

قوله: **(فأراد صاحبُه)** أي: خَليطُه.

قوله: **(في نعجة خَليطِه)** الخَليط المذكور ثانيًا غير الخليط المذكور أوّلًا، وهو ظاهر.

قوله: **(وأرادَه)** يقال: أراده على كذا، أي: أكرهه عليه مُريدًا منه ذلك. وقوله: **(مِن مِلكِها)** مصدر مضاف إلى المفعول، وهو النعجة. وقوله: **(إليه)** / حال مِن [٣١٤و] هذا المفعول، أي: أكرهها على الخروج مِن أن يَمْلِكها ذاهبةً النعجةُ إليه.

قوله: **(والدليل عليه)** أي: على أنّ المراد قِصّة المخالطَين. وقوله: **(هذه القصّة)** أي: قصّة رجل له نعجة... إلخ.

قوله: **(فإن قلتَ: إنّما تستقيم طريقة التمثيل)**... إلخ يعني: إذا فُسّر ﴿ٱلْخِطَابِ﴾ بالغَلَبة في الخِطبة لا يستقيم أن يكون كلامهم تمثيلًا، أي: استعارة تمثيليّة؛ لأنّ شرط الاستعارة أن لا يكون فيها اعتراف بالأصل، وههنا ذكر الخِطبة صريحًا، فلا يكون تمثيلًا، فأجاب بالتزام أنّ كلامهم لا يكون تمثيلًا حينئذ؛ بل يكون الاستعارة في "النعجة" فقط، ثمّ اعترض بأنّ الكلام لو كان بطريق الحقيقةِ والاستعارةُ

---

[١] ف - فهو ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾... إلخ، وقد بيّنه بقوله: (ووجه التمثيل). وقوله: "وكلامُهم تمثيلًا".

قلتُ: الوجهُ مع هذا التَّفسير أَنْ أَجْعَلَ النَّعجَةَ استعارةً عن المرأةِ كما استعَارُوا لها الشَّاةَ في نحو قولهِ:

يـا شَـاةَ مـا قَـنَـصٍ لـمَـن حَـلَّـت لـه

وقال:

فـرَمَـيْـتُ غَـفـلـةَ عَـيـنـيـه عـن شـاتِـه

وشبَّهَها بالنَّعجة مَن قال:

في هذا المفرد فقط كيف يصحّ قول داود: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾... إلخ؟ وأجاب عنه: بأنّ ذلك يكون ابتداءَ كلام مِن داود لتشبيه حالهم بحال الخُلَطاء.

قوله: (**قلتُ: الوجه مع هذا التفسير**) أي: المفاعَلة مِن الخِطبة.

قوله: (**يا شاةَ ما قَنَصٍ**)... البيتَ. قال عنترة بن شدّاد:

يـا شـاةَ مـا قَـنَـصٍ لِـمَـن حَـلَّـتْ له حَـرُمَـتْ علـيّ ولَـيْـتـهـا لـم تَـحْـرُمِ[١]

"القَنَصُ" -بالتحريك-: الصيد، و"ما" زائدة، و"قَنَصٍ" مجرورٌ[٢] بإضافة "شاةَ" إليه، ويجوز أن يكون التقدير: شاةَ رجلٍ ذي قَنَصٍ، أو رجلٍ قانِص، فيكون صفة لمحذوف. يقول: يا هؤلاء اشهَدوا شاةَ قَنَصٍ لِمَن حلَّتْ له فتعجَّبوا مِن حُسنها وجمالها، يعني: أنّها حسنة جميلة مُقنِعة لِمَن كَلِفَ بها، وشُغِفَ بحبّها، ولكنّها حَرُمَتْ عليّ، ولَيتَها حلَّتْ لي. قيل:[٣] أرادَ بها[٤] زوجةَ أبيه. وقيل: أراد أنّها محرَّمة عليه باشتباك الحرب بين قَبيلتَيهما، ثمّ تمنّى بقاء الصلح،[٥] وهذا[٦] أوجَه.

قوله:

(**فـرَمَـيـتُ غـفـلـةَ عـيـنِـه عـن شـاتِـه**)

قال عمر بنُ أبي ربيعة:

فـظَـلِـلْـتُ أَرعـاهـا فـظلّ يحوطُها حـتّـى دنَـوتُ إذا الـظّـلامُ دَنـا لها

---

١ لعنترة بن شدّاد في ديوانه، ص ٢١٣.
٢ ف: مجرورة.
٣ د ن: قبل.
٤ د: إرادتها.
٥ انظر: شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٢٦١.
٦ ن: وهذه.

كنعاج الملا تعسّفن رملا

لولا أنّ ﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾ تأباه، إلّا أن يضرِبَ داودُ الخلطاءَ ابتداءً مَثلًا لهُم ولقصّتِهم.

فرميتُ غفلةَ عينِه عن شاتِه   فأصبتُ حبّةَ قلبها وطِحالها[١]

"أرعاها"، أي: أحفظها وأرقُبها وأنظر إليها. قوله: "يَحوطُها"، أي: يحفَظُها، هو أيضًا يعني[٢] زوجَها أو رقيبَها،[٣] حتّى إذا جاء الليل دَنوتُ إليها ونظرتُ إليها نظرةً كالرَّمية حالَ غفلة عين الزوج أو الرقيب، وأصبْتُ النَّظرة التي كالرَّمية حبّةَ قلبِها، وأصبْتُ طِحالها.

قوله:

(كنِعاج الملا تعسّفْنَ رمْلَا)

أوّله:[٤]

قلتُ إذ أقبلَتْ وزُهْرٌ تَهادَى[٥]

و"الملا": الصحراء.

قوله: (لولا أنّ ﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾) أي: في قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾.

قوله: (مَثَلًا لهم) أي: للملائكة.

قوله: (يأباه) يجوز أن يعود إلى قوله: (هذا التفسير)، ويجوز أن يعود إلى قوله: (أن أجعَلَ).

قوله: (إلّا أن يَضرِبَ) حاصله: أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يمنع عن جَعل "النّعجة" استعارةً[٦] / عن المرأة مع هذا [٣١٤ظ]
التفسير إلّا أن يكون داود قد ضَرب مثلًا للملائكة، ولقِصّتِهم بقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾... إلخ مُبتدِئًا مُستأنِفًا، وإن لم يكن[٧] في كلام الملائكة شيء

---

١ لم أجده لعمرَ بن أبي ربيعة، وهو في ديوان الأعشى، ص ٢٧.
٢ ن: معنى؛ ف - يعني.
٣ ن: قريبها.
٤ ف - أوّله.
٥ لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ص ٤٩٠.
٦ ن: ستعارة.
٧ ن: تكن.

فإن قلتَ: الملائكةُ كيف صحَّ منهم أن يُخبِرُوا عن أنفسهم بما لم يتَلبَّسُوا مِنْه بقليلٍ ولا كثيرٍ ولا هُو من شأنهِمْ؟

قلتُ: هو تَصْويرٌ للمسألةِ وفرضٌ لها، فصوَّرُوها في أنفُسهم وكانوا في صُورة الأناسيِّ؛ كما تقول في تصوير المسَائل: "زيدٌ له أربعُون شاةً وعمرٌو له أربَعُونَ -وأنتَ تُشير إليهمَا- فخَلطَاها وحَال عليهَا الحولُ كم يَجِبُ فيها"، ومَا لزيْدٍ وعمْرٍو سَبَدٌ ولا لَبَدٌ.

وتقول أيضًا في تصويرها: "لي أربعون شاةً ولك أربعُون فخلطناهَا"، ومَا لكما من الأربعِين أَرْبَعةٌ ولا رُبُعُها.

فإن قلتَ: ما وجْهُ قراءةِ ابنِ مسعُود: "ولي نعجةٌ أنثى"؟

قلتُ: يقال: "امرأةٌ أُنثى" للحسنَاء الجميلة، والمَعنى: وصفُها بالعَراقةِ في لِين الأُنوثة وفُتُورِها، وذلك أَمْلحُ لهَا وأَزيَدُ في تكسُّرهَا وتَثنِّيها، ألا تَرى إلى وصْفِهم لها بالكَسُول والمِكسَالِ، وقولِه:

مِن قصّة الخُلطاء، فإنّه حينئذ يستقيم جعلُ "النعجة" استعارة عن المرأة مع هذا التفسير.

قوله: (و[1] ما[2] لزيدٍ وعمرٍو سَبَدٌ ولا لَبَدٌ)[3] قال في **المُجمل**: «'السَّبَدُ' في قولهم: 'ما له[4] سَبَدٌ ولا لَبَدٌ' هو الشَّعَر».[5] وقال في **الصحاح**: «'ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ'، أي: قليلٌ ولا كثير. وقال الأصمعي: 'السَّبَدُ مِن الشَّعَر، واللَّبَدُ مِن الصوف'».[6]

قوله: (والمِكْسالِ) امرأةٌ[7] مِكْسالٌ: لا تكاد تبرَحُ مَجلسَها،[8] وهو مدح لها، مثل: نَئوم الضحى.[9]

---

١ وفي هامش د ف: حال.

٢ وفي هامش د ف: نفي.

٣ ن: لبَد.

٤ ن: ما لة.

٥ **مجمل اللغة** لابن فارس، «سبد».

٦ ن – وقال الأصمعي: السَّبَدُ مِن الشَّعَر، واللَّبَدُ مِن الصوف. | **الصحاح** للجوهري، «سبد».

٧ ن – قوله: (والمِكْسالِ) امرأة.

٨ ن: تبرخ مجليها.

٩ **الصحاح** للجوهري، «سبد».

فَـــتُـــورُ الـقـيــام قَـطِـيـعُ الـكـلام

وقوله:

تـمـشِـي رُويْـــدًا تـكـادُ تَـنـغَـرِفُ

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جوابُ قسَم محذوفٍ، وفي ذلك استِنكَارٌ لفِعلِ خَليطهِ وتهجِينٌ لطمعِه.

والسُّؤالُ: مصْدرٌ مضاف إلى المفعول كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت ٤١/٤٩]، وقد ضُمِّن مَعنى الإضافة فعُدِّي تعدِيَتها؛ كأنَّه قِيل: "بإضافةِ نعجتك إلى نعاجه على وجه السُّؤال والطَّلبِ".

فإن قلتَ: كيف سَارَعَ إلى تصديق أحدِ الخصمين ....

قوله:

(فَـتـورُ الـقـيـامِ قَـطـيـعُ الـكـلامِ)

تمامه:

لَعـــوبُ العِشـــاءِ إذا لـــم تَنَـــمْ[١]

يُقال: "فلان قَطيع الكلام" إذا وُصف بالضَّعف أو السِّمَن.[٢]

قوله:

(تمشـــي رُويـــدًا تـــكاد تَنْغَـــرِفُ)[٣]

غَرَفْتُ الشيءَ فانغرَف، أي: قطعتُه فانقطَع، قال القيس بن الخَطيم:

تـنـامُ عـن كُـبْـرِ[٤] شـأنـهـا فـإذا قـامـتْ رويـــدًا تـكـاد تَـنـغـرِفُ[٥]

---

١ ن: تضم.

٢ كذا في النسخ الخطّيّة، والذي في **الصحاح** للجوهري، «قطع»: «فلانٌ قَطيعُ القِيام، إذا وُصِفَ بالضَّعف أو السِّمَن». وفي **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «قطع»: «هو قَطِيع القِيام، أي: مُنقطِع، مَقطوع القيام ضَعفًا أو سِمَنًا، وامرأة قطيع الكلام: غَير سَليطة».

٣ صدره:

مـا أنـسَ سَـلمى غـداةَ تـنصرفُ

كذا في **فتوح الغيب** للطيبي، ٢٦٧/١٣.

٤ ن: كثير.

٥ **الصحاح** للجوهري، «غرف». والبيت في **ديوان قيس بن الخطيم**، ص ١٠٦.

حتَّى ظَلَّم الآخَر قَبل استماع كلامِه؟

قلتُ: ما قال ذلك إلَّا بعد اعتِرافِ صاحِبه، ولكنَّه لم يُحْكَ في القرآن لأنه معلوم.

ويُرْوى أنَّه قال: أنا أريد أن آخُذَها مِنه وأُكْمِلَ نِعَاجِيَ مئةً، فقال داودُ: إن رُمْتَ ذلك ضرَبنا مِنك هذا وهذا، وأشَار إلى طرف الأنف والجَبْهة، فقال: يا داودُ، أنتَ أحقُّ أن يُضرَبَ منك هذا وهذا، وأنتَ فعَلتَ كيتَ وكيت، ثم نَظر داودُ فلم يرَ أحدًا فعَرف ما وَقع فيه.

و"الخلطاء": الشُّركاءُ الَّذِين خَلَطُوا أموَالَهم، الواحِدُ: خليطٌ، وهي: الخُلطةُ، وقد غلبَتْ في المَاشيةِ، والشافعي رحمه الله يَعتبرُهَا، فإذا كان الرَّجلان خلِيطين في ماشيةٍ بيْنَهما غيْرِ مَقسُومَةٍ، أو لكلِّ واحدٍ منهما مَاشِيةٌ على حِدَةٍ إلَّا أن مُراحَهُمَا ومَسقَاهُما ومَوضعَ حَلبِهِما والرَّاعيَ والكلْبَ واحدٌ، والفُحولةُ مُختلِطةٌ= فهُما يُزكِّيان زكَاةَ الواحِدِ: فإن كان لهما أربعُونَ شاةً فعَليهما شاةٌ، وإن كانوا ثلاثةً ولهم مئةٌ وعشرُون لكلِّ واحدٍ أربعون فعلَيهم واحدةٌ كما لو كانت لواحِدٍ.

قوله: (**ظَلَّم الآخرَ**) أي: نسَب إلى الظلم.

قوله: (**مُراحَهما**) أراحَ[1] الإبلَ: ردّها إلى المُراح؛ وهو موضع إراحة الإبل والبقر والغنم، وفتحُ الميم خطأ، ذكره في **المُغرب**.[2] وذكر في **الصحاح**: أنّ المُراح حيث يأوِي إليه الإبل والغنم بالليل، والمَراح -بالفتح-: الموضعُ يروح منه القوم، أو يَروحون إليه، كالمَغدَى مِن الغَداة.[3] وهذا المذكور في **الصحاح** يؤيّد ما ذكره في **المُغرب**.

قوله: (**والفُحولة**) "الفُحولة": جمع الفَحْل. قال في **المُغرب**: «**الفُحَال**: واحِد فَحاحِيل النخل خاصّة، وهو ما يُلقّح به مِن ذَكَر النخل. والفَحْل عامّ فيها وفي الحيوان، وجمعه: فُحول، وفُحولة».[4]

---

[1] ن: أداح.
[2] **المُغرب** للمطرّزي، «روح».
[3] **الصحاح** للجوهري، «روح».
[4] **المُغرب** للمطرّزي، «فحل».

وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا تُعتبَرُ الخُلطة، والخليطُ والمنفردُ عنده واحدٌ، ففي أربعين بيْن خليطين: لا شيءَ عنده، وفي مئةٍ وعشرين بين ثلاثة: ثلاثُ شيَاه.

فإن قلتَ: فهذه الخُلطة ما تقول فيها؟

قلتُ: عليهما شاةٌ واحِدةٌ، فيجبُ على ذي النَّعجةِ أداءُ جُزءٍ من مئةِ جُزءٍ من الشَّاة عند الشَّافعي رحمه الله، وعند أبي حنيفة رحمه الله لا شيءَ عليه.

فإن قلتَ: ماذا أرَادَ بذكر حال الخُلطاء في ذلك المقام؟

قلتُ: قَصَد به المؤعِظَة الحسنةَ، والترغيبَ في إيثارِ عادةِ الخُلَطاء الصُّلَحاء الَّذين حَكَم لَهُم بالقِلَّة، وأَنْ يُكَرِّه إلَيْهم الظُّلْمَ والاعتداءَ الَّذي عليه أكثرُهم مع التَّأسُّف على حالِهم، وأَنْ يُسَلِّيَ المظلومَ عمَّا جرَى عليه من خليطِهِ، وأَنَّ له في أكثر الخُلطاء أسوةً.

وقرئ: "لَيَبْغيَ" بفتح الياء على تقدير النُّون الخَفيفةِ وحَذفِها، كقوله:

اضـــرِبَ عَـنـك الـهُـمـومَ طَـارِقَـهـا

وهو جوابُ قسمٍ محذوف، و: "لَيَبْغِ" بحذف الياء اكتفَاءً منها بالكسرةِ.

و﴿مَا﴾ في ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإبْهام، ....

قوله:

(اضـــرِبَ عـنـك الـهـمـومَ طـارِقَـهـا)

تمامه:

ضَــرْبَــك بـالـسـيف قَــونَــسَ الـفـرسِ[1]

---

[1] **لطرفة بن العبد في ديوانه، ص ١٦٤.** وأصله "اضرِبَن" بنون التأكيد الخفيفة حُذفت للضرورة وبقيت الفتحة. و"الهموم": مفعول. و"طارقَها": بدل منه، وهو مِن "طرَقَ الرجلُ" إذا أتى أهله ليلًا. و"قَونَس": مفعول المصدر، وهو العظم الناتئ بين أذنَي الفرَس. **شرح شواهد المغني للسيوطي، ص ١٦٤.** | **وفي هامش د ف:** (وحديثٌ ما على قِصَرِهْ)

جُدْ بالوِفاق لمشتاقٍ على سَهَرِهْ
إلّا تجُدْ فحديثٌ ما على قِصَرِهْ

| **تمام بيت امرئ القيس في ديوانه، ص ١٢٧:**

وحـديـثُ الـركـبِ يـومَ هـنا
وحـديـثٌ مـا عـلى قِـصَـرِهْ

وفيه تعجُبٌ من قِلَّتِهم، وإن أردتَ أن تَتحقَّق فائدَتَها وموقِعَها فاطْرحها مِن قول امرئ القيْسِ:

وحَـــديـــثٌ مـــا عـــلـــى قِـــصَـــرِه

وانظرُ هَل بَقِيَ له مَعْنى قَطُّ.

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ﴾ لمَّا كان الظَّنُّ الغالبُ يُداني العلمَ استُعير لهُ، ومعناه: وعَلم داودُ وأيقنَ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّهُ﴾: أنَّا ابتَليناه لا محَالةَ بامرأةِ أُوريَا هل يَثْبُتُ أم يَزِلُّ؟

وقرئ: "فتَّنَّاه" بالتشديد للمبالغة، و: "أفتَنَّاه" من قوله:

لَـئِـنْ فـتَـنَـتْـنِـي لـهـيَ بـالأَمْـسِ أفـتَـنَـتْ

و: "فتَّنَاهُ" و: "فَتَنَاهُ" على أنَّ الألف ضميرُ الملكين.

وعُبّر بالرَّاكع عن السَّاجِد لأنَّه ينحَنِي ويخضَعُ كالسَّاجِدِ، وبهِ استَشهد أبو حنيفة رحمه الله وأصحَابُه في سجدة التِّلاوة على أنَّ الرُّكُوع يقُوم مقامَ السُّجود.

وعن الحسن: لأنَّه لا يكون ساجدًا حتَّى يركعَ.

ويجوز أن يكون قد استغفَر الله لذنبه وخَرَّ بركعَتي الاستغفارِ والإنَابة،

قوله:

(لئـن أفتَنَتْنـي[١] لَهْـيَ بالأمْـسِ أفتَنَـتْ)[٢]

آخره:

سعـيدًا فأمسى قـد قَـلى كـلَّ مسلـمِ[٣]

قوله: (وعن الحسَن رحمه الله)[٤]... إلخ فعلى هذا أطلقَ[٥] الجزءَ وأراد الكلَّ، كما يُعبَّر عن الصلاة بالركوع والسجود.

قوله: (وحرَّم) وفي بعض النسخ: "أحْرَم". يقال: أحرَم بالصلاة وحرَّم، ومنه تكبيرة التحريم.[٦]

---

١ ن: أفتنني.
٢ ن: افتنت.
٣ لأعشى همدان. انظر: لسان العرب لابن منظور، «فتن».
٤ د ن - رحمه الله.
٥ ن: لخلق.
٦ ف: التحرم.

فيَكونُ المَعنى: وخَرَّ لِلسُّجود راكعًا؛ أي: مُصَلِّيًا؛ لأنَّ الركوع يُجعَل عبارةً عن الصَّلاة.

و﴿وَأَنَابَ﴾: ورجَع إلى الله بالتَّوبةِ والتَّنَصُّل.

ورُوي أنَّه بَقيَ ساجِدًا أربعين يومًا وليْلةً لا يَرفعُ رأسَهُ إلَّا لِصَلاةٍ مكتوبَةٍ أو ما لا بُدَّ منه، ولا يَرْقَأُ دَمْعُه، حَتَّى نبَت العُشْبُ من دمْعِه إلى رأسِه، ولم يَشْرَبْ ماءً إلَّا وثلثاه دمْعٌ، وجَهَد نفسَه راغبًا إلى اللهِ في العفو عنه حَتَّى كاد يَهلِكُ، واشتَغل بذلك عن المُلك حتى وثَبَ ابنٌ له يُقالُ له: إيشا، عَلى مُلكِه ودعَا إلى نفْسِه واجتمع إليه أهْلُ الزَّيْغِ مِن بني إسرائيل، فلمَّا غُفِرَ لَهُ حَاربَهُ فهَزَمَه.

ورُوِي أنَّه نقَشَ خَطِيئتَه في كفِّه حتى لا ينسَاهَا.

وقيل: إنَّ الخصمَيْنِ كانا مِن الإنسِ وكانت الخُصُومةُ على الحقيقة بينَهما: إمَّا كانا خليطَينِ في الغَنم، وإمَّا كان أحَدُهما مُوسِرًا وله نِسوَانٌ كثيرةٌ من المهَائر والسَّرارِي والثاني مُعْسرًا ما له إلَّا امْرأةٌ واحدة فاستَنزلهُ عنها، وإنَّما فَزِعَ لدُخولِهما عَليه في غَيرِ وقتِ الحُكومة أَن يكُونا مُغتَالَيْنِ، وما كان ذَنبُ داوُد عليه السلام إلَّا أنَّه صَدَّقَ أحدَهما على الآخر وظَلَّمهُ قَبل مَسأَلتِه.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: استَخلفنَاك على المُلْكِ في الأرْض؛ ....

قوله: (والتَنصُّلِ) تنصَّلَ فلان مِن ذنبه إذا تبرَّأ منه.[1]

قوله: (ولم[2] يَرْقَأ) رَقَأَ الدمعُ يَرْقَؤ رَقْأً ورُقُوءًا؛ سَكَن، وكذلك الدم.[3]

قوله: (أن يكونا) أي: مِن أن.

---

[1] الصحاح للجوهري، «نصل».

[2] في مطبوع الكشّاف: "ولا".

[3] الصحاح للجوهري، «رقأ».

كمَن يَسْتَخلِفُه بَعضُ السَّلاطين على بَعض البلاد ويُمَلِّكهُ عَليها، ومنه قولُهم: خُلفاءُ اللهِ في أرْضِه.

أو: جعَلناك خليفةً ممَّن كان قَبلَك من الأَنبياء القائِمين بالحقِّ.

وفيه دليلٌ على أنَّ حاله بعدَ التَّوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغيَّر.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بِحُكْمِ اللهِ إذ كُنتَ خليفتَهُ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ﴾ هوى النفسِ في قضَائك وغيْرِه مما تَتصرَّفُ فيه من أسبَاب الدِّين والدُّنيا ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهَوى: فيكونَ سببًا لضَلالِك ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دلائلهِ التي نصَبَها في العُقُول وعن شرائعهِ التي شرَعَها وأوْحَى بها.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ متعَلِّقٌ بـ﴿نَسُواْ﴾؛ أي: بنسيَانِهم يومَ الحساب، أو بقوله: ﴿لَهُمۡ﴾؛ أي: لهُم عَذابٌ يومَ القيامةِ بسَبب نسيَانِهم، وهو ضلالُهم عن سبيل الله.

وعن بعض خلفاء بني مَرْوانَ أنَّه قال لعُمَر بنِ عبد العزيز أو للزُّهريِّ: هَل سمعْتَ ما بَلَغَنَا؟ قال: وما هُو؟ قال: بلَغَنا أنَّ الخليفةَ لا يَجْرِي عليه القلمُ، ولا تُكتبُ عليه مَعْصيةٌ، فقال: يا أمير المؤمنينَ، الخلفاءُ أَفْضَلُ أم الأنبياء؟ ثُمَّ تلَا هذه الآيَةَ.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾

﴿بَٰطِلٗا﴾: خَلْقًا باطِلًا، لا لِغرضٍ صحيحٍ وحكمةٍ بالِغةٍ.

أو: مُبْطِلين عَابِثين؛ كقَوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الدخان ٤٤/٣٨-٣٩] وتَقدِيرُه: ذَوِي باطلٍ.

قوله: (خَلْقًا باطلًا)[١] فهو صفة مصدر محذوف. وقوله:[٢] (لا لِغرضٍ صحيح) هذا تفسير[٣] ﴿بَٰطِلٗا﴾.[٤] وقوله:[٥] (أو مُبطلين) أي: هو حال.

---

[١] ن: بالحلا.
[٢] ن: قوله.
[٣] ف: يفسر.
[٤] ن: بالملا.
[٥] ف - وقوله.

أو: عَبثًا، فوُضِعَ ﴿بَٰطِلًا﴾ موضِعَه كما وَضَعُوا ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ مَوضِعَ المصْدر وهو صفة؛ أي: ما خلقناهُما وما بَينهما للعَبث واللَّعِب ولكنْ للحقِّ المُبينِ، وهو أنْ خَلقْنا نُفوسًا أَوْدَعناهَا العَقلَ والتَّمييز، ومنحنَاهَا التَّمكينَ، وأَزَحْنا عِللَهَا، ثمَّ عَرَّضناها للمَنافِعِ العَظيمة بالتَّكليفِ، وأعْدَدنا لها عاقِبةً وجَزاءً على حسَبِ أَعْمالِهِم.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشَارَةٌ إلى خَلقِها باطِلًا، والظَّنُّ: بمَعنى المَظنُونِ؛ أي: خَلقُهَا للعَبث لا للحِكمة هو مَظنُونُ الذين كفَرُوا.

فإن قلتَ: إذا كانوا مُقرِّين بأنَّ الله خالِقُ السَّماوات والأرضِ وما بَينهما بدَليل قَوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان ٢٥/٣١] فَبِمَ جُعِلوا ظَانِّين أنَّه خَلقَها للعَبث لا للحِكمةِ؟

قلتُ: لمَّا كان إنكارُهم للبَعث والحسَابِ والثَّواب والعِقاب مُؤدِّيًا إلى أنَّ خلْقَها عَبثٌ وباطِلٌ جُعِلوا كأنَّهم يَظنُّون ذلك ويقُولُونَه؛ لأنَّ الجَزاء هو الَّذي سِيقَت إليه الحِكمةُ في خَلق العَالم مِن رأسِها، فمَن جَحَده فقد جَحَد الحكمةَ من أَصْلها، ومَن جَحَد الحكمةَ في خلْقِ العالمِ فقد سَفَّه الخالقَ وظَهَر بذلك أنَّه لا يَعْرفُه ولا يَقْدِرُهُ حَقَّ قدْرِه، فكان إقرارُه بكَونه خالقًا كَلَا إقرارٍ.

قوله: **(أو عَبثًا)** أي: هو مفعول له، فعلى هذا وضع الصفة موضع المصدر. وقوله: **(موضعه)** أي: موضع "عبثًا".

قوله: **(وعرَّضْناها)** التعريض للشيء: النَّصبُ له.

قوله: **(مِن رأسِها)** الضمير مِن "رأسِها" يعود إلى "الحكمة"، يعني: أنَّ الحكمة بجملتها / يعود إلى الجزاء، أي: الحكمة هو الجزاء لا غير، فمَن أنكر الجزاء فقد أنكر الحِكمة[١] بجُملتها، فلزم أن يكونوا ظانِّين أنّه خلقها للعَبث وهو المطلوب. ثمّ زاد المصنِّف على ذلك أنّه يلزمهم تَسفيه الخالق تعالى شأنه، ثمّ زاد شيئًا آخر، وهو أنّه يلزم أن يكون إقرار كَلَا إقرارٍ، فكأنّهم لم يُقِرُّوا بذلك؛ [٣١٥و]

---

١ ف: الجملة.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطِعةٌ، ومَعنى الاستفهامِ فيها: الإنكارُ، والمرادُ: أنَّه لو بَطَل الجزاءُ كما يقولُ الكافرون لاستَوتْ عند الله أحوالُ مَن أصْلَحَ وأفسدَ، واتَّقى وفَجَر، ومَن سَوَّى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

وقرئ: "مباركًا" و: "لِيَتَدبَّروا" على الأصل، و: ﴿لِتَدَبَّروا﴾ على الخطابِ.

وتَدبُّرُ الآياتِ: التَّفكُّرُ فيها، والتَّأمُّلُ الَّذي يُؤدِّي إلى مَعرفةِ ما يَدْبُر ظاهِرَها من التَّأويلاتِ الصَّحيحة والمَعاني الحَسنةِ؛ لأنَّ مَن اقتَنعَ بظاهِرِ المَتْلوِّ لم يَحْلَ منه بكثيرِ طَائلٍ، وكان مَثَلُهُ كمَثَلِ مَن له لِقْحةٌ دَرُورٌ لا يَحْتلِبُها، ومُهْرَةٌ نَثورٌ لا يَستولِدُها.

وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآنَ عَبيدٌ وصبيانٌ لا عِلم لهُم بتَأويلهِ: حَفِظُوا حرُوفَه وضَيَّعُوا حدُودَهُ، حتى إنَّ أحَدَهُم ليقُولُ: واللهِ لقَد قرأتُ القرآنَ فما أَسْقَطتُ مِنه حَرْفًا، وقَدْ واللهِ أسقطَهُ كلَّهُ، ما يُرَى للقرآن عليه أثرٌ في خُلُقٍ ولا عَملٍ، واللهِ ما هو بحِفْظِ حرُوفهِ وإضَاعةِ حُدُوده، واللهِ ما هَؤلاء بالحكمَاء ولا الوَزعَة، لا كَثَّر اللهُ في النَّاس مثلَ هؤلاء.

اللّٰهم اجعَلْنا من العلماء المُتَدبِّرين وأَعِذْنا من القُرَّاء المُتَكبِّرينَ.

لأنَّ الإقرار[١] بكونه خالقًا يستلزم الإقرار بحكمته وعلمه، وإذا أنكروا[٢] اللوازم فكأنَّهم أنكروا[٣] الأصل.

قوله: (لم يَحْلَ) أي: لم[٤] يَحْظَ.[٥] وقوله: (نَثُور) النَّثُور: كثيرة الولد.[٦]

---

١ ف: القرار.

٢ ن: أنكرو.

٣ ن: أنكرو.

٤ ن: يا.

٥ ف: يَحطَ.

٦ وفي هامش د ف: قوله: (لأنّ كلّ مُأوِّب أوّاب) فيكون كناية، فإنّ التسبيح مستلزم للأوْب إلى الله تعالى. قوله: (لأنّ كلّ مُأوِّب أوّاب) فيكون كناية، فإنّ كلّ مرجّع للتسبيح أوّاب إلى التسبيح.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ
ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ
فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وقرئ: "نَعِم العبدُ" على الأَصْل.

والمخصُوصُ بالمدح محذوفٌ، وعَلَّلَ كونَه ممدُوحًا بكونه أوَّابًا رجَّاعًا إلَيْه بالتَّوبة، أو مُسَبِّحًا مُؤَوِّبًا للتَّسبيحِ مُرجِّعًا له لأنَّ كلَّ مُؤَوِّبٍ أوَّابٌ.

و"الصَّافِنُ": الَّذي في قوله:

أَلِفَ الصُّفونَ فما يَزالُ كأنَّه ... ممَّا يَقُوم على الثَّلاثِ كَسِيرَا

قوله: (والصافِنُ الذي في قوله)... إلخ يقال: صَفَنَ الفرسُ[١] يَصْفِن -مِن حَدّ "ضَرَب"- صفونًا؛[٢] إذا قام على ثلاث قوائم وسُنبكِ[٣] الرابعةِ مِن يَدٍ أو رجل، وهو مِن قوله:

أَلِفَ الصُّفونَ... البيتَ[٤]

وقيل: الصافِنُ: الذي يَجمع بين يديه ويَصُفّها، وأمّا الأوّل فيُقال له:[٥] مُتخيِّم، ويدلّ على هذا قوله عليه السلام: «مَن سرّه أن يقوم الناسُ له صُفونًا فَلْيَتَبوَّأْ[٦] مَقعده مِن النار».[٧] مِن **المَطلَع**.

تبوَّأتُ مَنزِلًا، أي: نَزلتُه.[٨] وقوله: "كَسِيرًا" منصوب بـ"ما يزال". وقيل: "كَسِيرًا" حال، وخبر "كان": "ممّا يقوم"، أي: مِن الجنس الذي يقوم على الثلاث. كسرتُه فانكسرَ.[٩] و"ناقةٌ كَسِير" كما قالوا: "كفٌّ خضيبٌ". ومعنى البيت:

---

١ ن: الفرش.
٢ ن: ضفونًا.
٣ ن: وسبك.
٤ البيت بغير نسبة في **أساس البلاغة** للزمخشري، «صفن»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «صفن».
٥ ن: لم.
٦ ن: فليبوّأ.
٧ ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في **الكشف والبيان**، ٢٠٠/٨ (ص، ٣١/٣٨)؛ والبغوي في **معالم التنزيل**، ٨٩/٧ (ص، ٣١/٣٨). وهو في **سنن أبي داود**، ٥١٥/٧ (٥٢٢٩)؛ و**سنن الترمذي**، ٣٨٧/٤ (٢٧٥٥)، بلفظ: «مَن أحبَّ أن يمثُل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده مِن النار».
٨ **الصحاح** للجوهري، «بوأ».
٩ ف: نانكسر.

وقيل: الذي يقومُ على طَرفِ سُنبُكِ يَدٍ أو رِجْلٍ هو المُتَخيِّمُ، وأمَّا الصَّافِنُ: فالَّذِي يَجْمعُ بَين يدَيْهِ.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من سَرَّه أن يقومَ الناسُ له صُفُوفًا فليَتبوَّأ مَقْعَدهُ مِن النَّار»؛ أي: واقِفِين كما خَدمِ الجبَابرةِ.

فإن قلتَ: ما مَعنى وَصْفِها بالصُّفُون؟

قلتُ: الصُّفونُ لا يَكاد يكُون في الهُجْنِ وإنما هو في العِرَابِ الخُلَّصِ.

وقيل: وصَفها بالصُّفونِ والجُودةِ ليُجْمَع لهَا بين الوصفين المحمُودَيْن: واقِفَةً وجاريةً، يَعني: إذا وقفَتْ كانَتْ سَاكنةً مُطمئنَّةً في مَواقِفهَا، وإذا جرَتْ كانَت سِرَاعًا خِفَافًا في جَرْيهَا.

روي: أنَّ سُليمَان عليه السلام غَزا أَهْلَ دِمَشقَ ونَصِيبينَ فأصابَ ألفَ فَرسٍ.

وقيل: ورِثَها مِن أَبيهِ وأصَابَها أَبُوهُ مِن العَمالقَةِ.

وقيل: خرَجت من البَحْر لهَا أَجْنِحةٌ.

أَلِفَ هذا الفرسُ[١] القيامَ على ثلاث قوائم وسُنبُكِ الرابعة، فما يزال كسيرًا، وكان ذلك مِن قيامه على الثلاث.

قوله:[٢] **(قلت: الصُّفون لا يكاد يكون في الهُجْن)**[٣] يقال: ناقة هِجان، وجَمل هِجان، أي: أبيض، سواء فيه الواحد والجمع، والمذكّر والمؤنّث، ويُستعار للكريم، كالأبيض.[٤] فهو صفة مدح، والهَجين ضِدُّه، وجمعه هُجُن. قال في **المُغرب**: «الهَجين: الذي ولدَتْه أَمةٌ، أو غير عربيّة، وخِلافُه[٥] المُقرِف».[٦] وقال في **الصحاح**: «الهُجْنة في الناس والخيلِ إنّما يكون مِن قِبَل الأُمّ، فإذا كان الأب عَتيقًا والأُمّ ليست كذلك؛ كان الولد هَجينًا. والأقراف مِن قِبَل الأب. والهُجُن -بضمّتين- جمع هَجين».[٧]

---

١ ن: الفرش.

٢ ف + قوله.

٣ ن: الحهن.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «هجن».

٥ ن: وخلافة.

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «هجن».

٧ **الصحاح** للجوهري، «هجن».

فقعَد يومًا بَعد ما صَلَّى الأُولَى على كرسيِّه واستَعرضهَا، فلم تَزل تُعرَضُ عَليه حتَّى غرَبتِ الشَّمسُ وغَفل عن العَصْرِ أو عن وِرْدٍ مِن الذِّكر كان له وَقتَ العَشيِّ، وتَهيَّبُوهُ فلم يُعْلِمُوه، فاغتمَّ لِمَا فاتَه فاستَردَّهَا وعَقرهَا مُقرِّبًا لله، وبقيَ مئةٌ فما في أَيدِي النَّاسِ من الجِيادِ فمِن نسْلِهَا.

وقيل: لمَّا عقَرها أبْدَلهُ اللهُ خيرًا منهَا، وهي الرِّيحُ تَجْرِي بأمْرِه.

فإن قلتَ: ما معنى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾؟

قلتُ: ﴿أَحْبَبْتُ﴾: مُضمَّنٌ مَعنى فِعلٍ يتعَدَّى بـ"عَن"؛ كأنَّه قِيل: أَنَبْتُ حُبَّ الخَير عن ذكرِ ربِّي، أو: جَعَلْتُ حُبَّ الخَيْر مُجْزِيًا -أو مُغْنِيًا- عن ذكْرِ رَبِّي.

وذَكَر أبو الفَتح الهَمْدَانيُّ في كتَاب **التِّبيان**: أنَّ ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمَعنى: لزِمْتُ، مِن قَولهِ:

مِثْلَ بَعِيرِ السَّوْءِ إذْ أَحبَّا

وليسَ بذاك.

قوله: (**قوله**:[1]

مثلَ بعيرِ السَّوْء إذْ أحَبّا)[2]

"إذ أحَبَا"،[3] أي: لزم المكان فلم يبرَح.

وقوله: (**وليس بذاك**)[4] وإنّما قال: "ليس بذاك"[5] **لأنّها لغة غريبة**،[6] **لا تليق** بفصاحة التنزيل، مع ما فيه مِن إخلاء كلمة عن[7] الفائدة، **وليس بذاك**،[8] **أي**: ليس ما ذكره أبو الفتح وجهًا جيّدًا يُعتمد[9] عليه، أو يُعرَّج عليه. والوجه أن يقول:[10]

---

١ ف - قوله.

٢ ن: إذا حبّا. | صَدره:

حُلْتُ عليه بالقَفيل ضَربَا

وهو لأبي محمّد الفَقعَسي في **لسان العرب** لابن منظور، «حبب»، بلفظ: "ضرْبَ" بدل "مثل".

٣ ف ن: إذا حبّا.

٤ ن: وليس بذالك.

٥ ن: بذلك.

٦ ن: عربيّة.

٧ د + عن.

٨ ن: بذلك.

٩ ن: يعتمل.

١٠ ن: مقول.

و"الخير": المالُ؛ كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة ٢/١٨٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ١٠٠/٨]، والمالُ: الخيْلُ التي شغَلَتْه، أو سَمَّى الخَيْلَ خيرًا كأنَّها نفسُ الخَيْر؛ لتعَلُّقِ الخَيْر بهَا؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الخيلُ مَعقُودٌ بنَواصِيها الخيْرُ إلى يَوم القيامة».

وقال في زيدِ الخَيل حين وفَد عَليه وأَسْلم: «ما وُصِف لي رجُلٌ فرأيتُه إلَّا كان دُون ما بَلغَني إلَّا زَيْدَ الخَيْلِ»، وسمَّاه: زَيْدَ الخَيْر.

وسأل رجُلٌ بلَالًا رضي الله عنه عن قوم يَستبِقُونَ: مَن السَّابق؟ فقال: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الرَّجُلُ: أرَدْتُ الخيْلَ، فقال: وأنا أرَدْتُ الخيْرَ.

و"التَّوارِي بالحجَاب": مجَازٌ في غروب الشمسِ عن توارِي المَلِكِ ....

لمَا ضُمِّن "أحبَّ" معنى "لزم" وصار المعنى: لزمتُ حبَّ الخير مُعْرِضًا عن ذكر ربّي، فبيَّن أبو الفتح أنّ ﴿أَحْبَبْتُ﴾ مضمَّن معنى "لزِمتُ"، وتركَ ذكرَ "مُعرِضًا" لوضوح المعنى بعد ما ذكر. "أحبَّ البعيرُ" -بالحاء المهملة- إذا وضع ركبتيه على الأرض بحيث لا يرفع، ومنه اشتقاق المحبّة.

قال الشيخ الإمام شيخ[1] فخر الدين الجاربردي رحمه الله:[2] يقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[3] أظنّ أنّ الأَولى[4] أن يقال: ﴿حُبَّ﴾ منصوب على المصدر، والتقدير: أحبَبْتُ الخير حبًّا، ثمّ قُدّم المصدر، وأُضيف إلى المفعول، كما في ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤٧/٤]، أي: أحببْت الخير مُعْرِضًا عن ذكر ربّي، أو / مجاوزًا عن ذكر ربّي.[5] [٣١٥ظ]

قوله: (**عن تواري الشمس**)[6] أي: أُخِذ عن تَواري. والحاصل: أنّه شبّه الغروب بالتواري، فذُكر التواري، وأريدَ الغُروب، فيكون استعارة تبعيّة.[7]

---

١ ف - شيخ.

٢ د ن: الجابردي؛ د ن - رحمه الله.

٣ د: الجابردي؛ ن: الجابروي.

٤ ن: الأوّل.

٥ وفي هامش د ف: قوله: (والخيرُ: المالُ) فيكون مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب، فإنّ المال سبب الخير.

٦ في مطبوع **الكشّاف**: عن تواري الملك.

٧ ن: تبعيته.

أو المُخبَّأةِ بحجَابهما، والَّذي دَلَّ على أنَّ الضمير للشَّمْسِ مرُورُ ذِكر العَشيِّ، ولا بُدَّ للمُضمَر من جَزيٍ ذِكرٍ أو دَليلِ ذكرٍ.

وقيل: الضميرُ لـ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾؛ أي: حتى توارَتْ بحجابِ اللَّيل، يَعني: الظَّلامَ.

ومِن بدَعِ التفاسير: أنَّ الحجابَ جَبَلٌ دُون قافٍ بمَسيرةِ سنَةٍ تغرُبُ الشَّمسُ من ورائهِ.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾: فجَعل يمسَحُ مَسحًا؛ أي: يمسحُ السَّيفَ بسُوقِها وأَعناقِها، يعني: يَقطَعُها، تقُولُ: مَسحَ عِلاوَته: إذا ضَرب عُنقَه، ومسَح المُسَفِّرُ الكِتابَ: إذا قَطع أَطْرافَه بسَيْفِه.

وعن الحسَن: كَشفُ عَراقيبهَا وضَربُ أَعناقِها.

أرَاد بالكَسف: القطعَ، ومنه: الكَسْفُ في أَلْقابِ الزِّحَافِ في العَرُوض.

ومَن قاله بالشِّينِ المُعجَمةِ فمُصحِّفٌ.

وقيل: مَسَحهَا بيَدِه استحسَانًا لهَا وإعجابًا بها.

فإن قلتَ: بمَ اتَّصل قولُه: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؟

قلتُ: بمحذُوفٍ تقديرُه: "قال: رُدُّوهَا عَليَّ" فأُضمِر وأُضمرَ ما هو جوابٌ له؛ كأنَّ قائلًا قال: فَماذا قال سُليمانُ؟ لأنَّه مَوضِعٌ مُقتَضٍ لِلسُّؤالِ اقتِضَاءً ظاهِرًا، وهُو اشتغَالُ نبيٍّ من أنبياء اللهِ بأمْرِ الدُّنيا حَتَّى تفُوتَه الصَّلاةُ عن وَقتها.

قولـه: (عِلاوتَه) العِلاوة: كلّ ما علَيتَ به على البعير بعد تمام الوِقْر وعَلّقتَه عليه، نحو: السِّقاء والسَّفُّودِ، وهو أيضًا رأس الإنسان ما دام في عنقه، يقال: ضرب عِلاوته، أي: رأسَه.[1]

قوله: (**إذا قَطعَ أطرافَه**) يُقال: كتب هذا على أطراف الكتب الممسوحة.[2]

قوله: (ومنه[3] "**الكَسف**" **في ألقاب** "**الزِّحاف**" **في العَروض**) وهو أن تُسقِط مِن الوَتِدِ المفروق آخرَه.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «علا».

[2] انظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، «مسح».

[3] ن: منه.

وقرئ: ﴿بالسؤوق﴾ بهمز الواو لضمَّتِها كما في "أَدْؤرٍ"، ونظيرُه: "الغُؤُورُ" في مَصْدر غَارَت الشَّمسُ، وأما مَن قَرأ: ﴿بالسُّؤْقِ﴾ فقد جَعل الضَّمَّة في السِّين كأنَّها في الواو للتَّلاصُقِ، كما قيل: مُؤْسَى، ونظيرُ سَاقٍ وسُوقٍ: أَسَدٌ وأُسْدٌ.

وقرئ: "بالساق" اكتفاءً بالواحدِ عن الجَمعِ لأَمْنِ الإلباسِ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾

قيل: فُتِنَ سُليمان صلواتُ الله عليه بَعدما ملك عشرين سَنةً، ومَلَك بَعد الفِتنة عِشْرين سنةً.

وكان مِن فِتنته: أَنَّه وُلِدَ له ابنٌ، فقالت الشَّياطينُ: إن عاشَ لم نَنفَكَّ من السُّخرة، فَسَبيلُنَا أن نَقتُله أو نُختِلَه، فعَلِم ذلك وكان يغذُوهُ في السَّحابةِ، فمَا راعَه إلَّا أَن أُلقِيَ على كُرسيِّه مَيِّتًا، فتَنبَّهَ على خطَئِهِ في أن لم يتوكَّل فيه على ربِّهِ فاستغفَر ربَّه وتاب إليه.

وروي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «قال سليمان: لَأطُوفَنَّ الليلة على سبعين امرَأةً كلُّ واحدَةٍ تأتِي بفارسٍ يُجاهد في سبيل الله، ولم يَقُل: إن شاء الله، فطَاف عليهنَّ فلم تحمِل إلَّا امرأةٌ واحدةٌ جاءت بشِقِّ رجُلٍ، والذي نفسي بيَدِهِ لو قال: إن شاء الله، لجَاهَدُوا في سبيلِ الله فُرسَانًا أَجْمَعونَ».

قوله: (**كأنَّها في الواو**) يعني: أبدل الواو الساكنة همزة لِضمّةِ ما قبلها، كما يُبدل همزة لِضمّتها في نحو: "أُجوهٍ، و"أُورِي".

قوله: (**مِن السُّخْرة**) سَخّره تَسخيرًا: كلّفَه عملًا بلا أُجرة، وكذلك تَسخَّرَه،[١] والتسخير: التذليل، وسُفنٌ سَواخِر؛ إذا أطاعَت وطابَت لها الريح، وفلان سُخْرة؛[٢] يُتَسَخَّر في العمل، يقال: خادِمُه سُخْرة.[٣]

قوله: (**أو نُخَبّله**) يقال: خبَّله[٤] إذا أفسد عقله أو عُضوه.[٥]

---

١ ن: تسخَّرة.
٢ ن: سخَّرت.
٣ **الصحاح** للجوهري، «سخر».
٤ ن: ختِله.
٥ **الصحاح** للجوهري، «خبل».

فذلِك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾، وهذا ونحوهُ ممَّا لا بأسَ به.

وأمَّا ما يُروى من حديثِ الخاتَم والشيطانِ وعبَادةِ الوَثنِ في بَيْتِ سليمان عليه السلام فاللهُ أَعلم بصحَّتِه: حَكَوا أنَّ سُليمان عليه السلام بلَغهُ خبرُ صَيْدُونَ، وهيَ مَدِينةٌ في بَعض الجزائرِ، وأنَّ بها ملكًا عظيمَ الشَّأنِ لا يُقوَى عَليه لتَحصُّنِه بالبَحْر، فخرجَ إليه تحمِله الرِّيحُ حتَّى أَناخَ بها بجُنُوده من الجنِّ والإِنس، فقَتل ملكَها وأصَابَ بنتًا له اسمُهَا جَرادَةُ من أحسَن الناسِ وَجْهًا، فاصْطَفاهَا لنفسه وأَسْلمَت وأَحبَّها، وكانَت لا يَرْقَأُ دمعُها حُزنًا على أَبيهَا، فأَمر الشياطينَ فمَثَّلُوا لهَا صُورَةَ أَبيها، فكَسَتْها مِثل كسْوَته وكانَت تَغدُو إليها وترُوحُ معَ وَلائدِها يَسجُدن له كعَادتهِنَّ في مُلْكِه، فأَخبرَ آصَفُ سُليمانَ بذلك، فكَسر الصُّورةَ وعاقبَ المرأةَ ثم خرَج وَحْدَه إلى فَلاةٍ وفُرِش له الرَّمادُ فجَلسَ عَليه تائبًا إلى الله مُتَضرِّعًا، وكانت له أمُّ ولَدٍ يُقال لَها: أَمينَةُ، إذا دَخل للطَّهارة أو لإِصابةِ امرأة وَضَع خاتَمه عنْدهَا، وكان ملكهُ في خاتمِه، فوضَعه عنْدَها يومًا وأَتاها الشَّيطانُ صَاحبُ البَحر -وهو الذي دَلَّ سُليمانَ على أَلْماسِ حين أُمِرَ ببناءِ بيْتِ المقْدِس واسمُه صَخْرٌ- على صُورة سُليمان فقال: يا أَمينَةُ خَاتمي، فتَختَّم به وجَلس على كرسيِّ سُليمانَ وعَكفَتْ عَليه الطَّيرُ والجنُّ والإنسُ، وغيَّرَ سُليمانَ عن هيئتهِ، فأَتَى أَمينَةَ لِطلبِ الخاتَم فَأنكرتْهُ وطَرَدْته، فعَرف أَنَّ الخطيئةَ قد أَدْركته، فكان يدُور على البُيوت يَتكفَّفُ وإذا قال: أنا سُليمان، حَثَوا عليه التُّرابَ وسَبُّوه، ثمَّ عَمد إلى السَّمَّاكِينَ يَنقُلُ لهُم السَّمكَ فيُعطونَه كلَّ يَومٍ سَمكتَيْن، فمَكَث على ذلك أربَعين صَباحًا عددَ ما عُبِد الوَثنُ في بيتِه، فأنكَر آصفُ وعُظمَاءُ بَني إسرائيل حُكمَ الشَّيطانِ، وسَأل آصفُ نسَاءَ سُليمانَ فقلْن: ما يدَع امرأةً مِنَّا في دَمِهَا ولا يَغتَسِلُ من جَنابة -وقيل: بل نفَذ حُكمُه في كلِّ شيء إلَّا فيهنَّ-، ثم طارَ الشَّيطان وقذفَ الخاتمَ في البَحر فابتَلعَتْه سَمكةٌ، ووَقعَت السَّمكةُ في يَدِ سُليمان فبَقَر بَطْنَها فإذا هو بالخاتمُ، فتختَّم به ووَقع سَاجِدًا ورجَع إليه مُلكُه، وجَاب صَخْرةً لصَخْرٍ فجعَله فيها وسَدَّ عليه بأُخرَى ثمَّ أَوثَقَهُما بالحَدِيدِ والرَّصاصِ وقذَفه في البَحْرِ.

وقيل: لمَّا افتُتِنَ كان يَسقُطُ الخاتمُ من يدِهِ لا يَتماسكُ فيها، فقال له آصفُ: إنَّك لمَفتُونٌ بذنبك فالخاتمُ لا يَقرُّ في يدِكَ فتُبْ إلى الله.

ولقَد أَبَى العُلماء المُتْقِنُونَ قبُولَه، وقالوا: هذا من أَباطيل اليهُود، والشَّياطينُ لا يتمَكَّنُونَ من مِثل هذه الأفاعيلِ، وتَسليطُ الله إيَّاهُم على عبادِه حتى يقعُوا في تَغييرِ الأَحكام وعلى نساء الأنبيَاء حتَّى يَفجُروا بهنَّ قَبيحٌ، وأَمَّا اتِّخاذُ التَّماثيلِ فيجوز أن تَختلف فيه الشرائعُ، ألَا ترى إلى قَوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ وأمَّا السُّجودُ للصُّورة فلا يُظنُّ بنبيِّ الله أن يأذَن فيه وإذا كان بغيْرِ عِلمهِ فلا عَليه، وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ نابٍ عن إفَادةِ مَعنى إنابة الشَّيطانِ مَنابَه نبوًّا ظَاهِرًا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

قدَّم الاستغفار على استيهَابِ المُلك جَريًا على عادة الأنبيَاء والصَّالحين في تقديمهم أمرَ دينِهم على أمُور دُنيَاهم.

﴿لَا يَنۢبَغِى﴾: لا يَتسهَّلُ ولا يكون، ومَعنى ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾: من دُوني.

فإن قلتَ: أمَا يُشبِهُ الحسَدَ والحِرْصَ على الاستِبدادِ بالنِّعمة أَن يَستَعطيَ اللهَ ما لا يُعطِيه غيرَه؟

قلتُ: كان سليمانُ عليه السلام ناشِئًا في بَيْت المُلك والنُّبوَّة ووَارِثًا لَهُما، فأراد أَنْ يَطلبَ من رَبِّه مُعجزةً فطلبَ على حسبِ إلفه ملكًا زائدًا على الممَالكِ زيادةً خارِقةً للعادة بالِغةً حدَّ الإعجازِ؛ ليكُونَ ذلك دليلًا على نُبوَّته قاهرًا للمبعُوث إليْهم، ولن يكون معجزةً حتى يخْرِق العاداتِ، فذلك مَعنى قولهِ: ﴿لَا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾.

قوله: (ومعنى ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾: مِن دوني) فسّر قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ بقوله: "مِن دوني"؛ لأنّه صفة ﴿أَحَدٍ﴾، فكأنّه قال: لأحدٍ كائن مِن بعدي.

قوله: (على حسب إلْفهِ) لكونه ناشئًا في بيت المُلك.

وقيل: كان مُلْكًا عَظيمًا، فخاف أن يُعطَى مثلَهُ أحدٌ فلا يُحافِظَ على حُدود اللهِ فيه؛ كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة ٢/٣٠].

وقيل: مُلكًا لا أُسْلَبُهُ ولا يَقُوم غَيْري فيه مَقامي كما سُلِبْتُه مرَّةً وأُقيمَ فيه مَقامي غيري.

ويجوز أن يقال: عَلِم اللهُ فيما اختَصَّهُ به مِن ذلك المُلْكِ العَظِيم مصَالحَ في الدِّين، وعَلم أنَّه لا يَضْطلِعُ بأَعْبائه غيرُه، وأوجَبَتِ الحكمةُ استيهابَهُ، فأمَره أن يَستوهبَه إيَّاه فاستَوهَبه بأمْرٍ من الله على الصِّفةِ الَّتي عَلِم الله أنَّه لا يَضْبِطُه عليها إلا هُو وَحْده دون سائر عبادِه.

أو أرَاد أن يقُولَ: "مُلكًا عظيمًا" فقال: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ ولم يَقْصِد بذلك إلَّا عِظَم المُلك وسَعَتَه؛ كما تقول: "لِفُلان ما ليسَ لأحَدٍ من الفضْلِ والمال" وربَّما كان للناس أمثالُ ذلك ولكنَّكَ تُريد تعْظيمَ ما عِنده.

وعن الحجَّاج أنَّه قِيل له: إنك حَسُودٌ، فقال: أَحسَدُ منِّي مَن قال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ وهذا من جُرأتِه على الله وشَيْطنَتِه.

كما حُكي عنه: طَاعتُنا أوجَبُ من طاعةِ الله؛ لأنه شَرَطَ في طاعَتِه فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ٦٤/١٦] وأَطْلَقَ طَاعتَنا فقال: ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء ٤/٥٩].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾

قرئ: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ و﴿الرِّياحَ﴾.

﴿رُخَآءً﴾: ليّنةً طيِّبةً لا تُزَعزِعُ، وقيل: طَيِّعةً له لا تَمتنِع عَليه.

قوله: **(لا يَضْبِطه عليها)** أي: لا يضبِط المُلكَ على تلك الصفة إلّا سليمانُ وحده دون سائر عباد الله تعالى.

﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾: حيث قَصَد وأرَادَ، حَكى الأصمعيُّ عن العَرب: أصَابَ الصَّوابَ فأخْطأ الجوابَ.

وعن رؤبَة: أنَّ رجُلَيْنِ من أهْل اللُّغةِ قصَداه ليَسْألَاهُ عن هذه الكلِمة، فخَرج إليهما فقال: أينَ تُصيبَانِ؟ فقالا: هذِه طَلِبَتُنا ورجَعَا.

ويقال: أصَاب الله بك خيرًا.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾ و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدَلٌ من "الشَّياطينَ".

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطفٌ على ﴿كُلَّ﴾ داخِلٌ في حُكم البَدل، وهو بدَلُ الكلِّ من الكُلِّ.

كانوا يَبنُون له ما شاء من الأبْنيَةِ، ويغوصُون له فيَستخرجُون اللُّؤلؤَ، وهُو أوَّلُ مَن استخرجَ الدُّرَّ من البَحْرِ، وكان يُقَرِّنُ مرَدة الشَّياطين بعضَهم معَ بعضٍ في القيُود والسَّلاسلِ للتَّأديبِ والكفِّ عن الفسَاد.

وعن السُّدِّي: كان يجمَعُ أيْدِيَهُم إلى أعناقِهم مُغَلَّليْنَ في الجَوامعِ.

و"الصَّفَدُ": القيْدُ، وسُمِّي بهِ العَطاء لأنَّه ارتبَاطٌ للمُنعَمِ عَليه، ومِنه قولُ عليّ رضي الله عنه: مَن بَرَّكَ فقَد أَسَرَكَ، ومن جَفاك فقَد أطْلَقك. وقولُ القائل: غَلَّ يدًا مُطْلِقُها وأرَقَّ رَقبةً مُعتِقُهَا. وقال حبيبٌ:

إنَّ العطـــــــاء إسَـــــــارُ

وتبِعَهُ مَن قال:

قوله: (أصابَ الصوابَ) معناه: قصَد قَصْدَ[1] الصوابِ، وأراده فأخطأ مرادَه، ولم يتعمّد[2] الخطأ.

قوله: (في الجوامع) الجامِعة: الغُلّ؛ لأنّها تجمع اليدين إلى العُنُق.[3]

قوله:

---

[1] ن: قصيد.

[2] ن: يتعمّل.

[3] الصحاح للجوهري، «جمع».

ومَــن وَجَــد الإِحْـسَــانَ قَـيْـدًا تـقَـيَّـدا

وفَرَّقُوا بين الفِعْلين فقالوا: صَفَدَهُ: قيَّدهُ، وأَصْفَدهُ: أَعْطَاه؛ كوَعَده وأَوْعَده.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

أي: ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعْطَيناك من المُلك والمالِ والبَسطة ﴿عَطَآؤُنَا﴾ بغيْر حسَابٍ، يعني: جَمًّا كثيرًا لا يَكادُ يُقْدَر على حَسْبهِ وحَصْرِه ﴿فَٱمْنُنْ﴾ من المنَّةِ وهي العَطاء؛ أي: فأَعْطِ مِنْه ما شئتَ ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ مُفوَّضًا إليك التصرُّف فيه.

وفي قراءة ابن مسعود: "هذا فامنُن أو أمْسِك عطاؤُنا بغيْر حسابٍ".

أو: ﴿هَٰذَا﴾ التَّسخيرُ ﴿عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ على مَن شِئتَ من الشياطينِ بالإِطلاقِ و﴿أَمْسِكْ﴾ مَن شئتَ منهم في الوَثاق ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: لا حسَابَ عليك في ذلك.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَيُّوبَ﴾ عطفُ بيانٍ، و﴿إِذْ﴾ بدلُ اشتمالٍ مِنه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾: بأَنِّي مسَّنِي، حكايةٌ لكلامِه الَّذِي ناداهُ بسَببه، ولو لم يَحْكِ لقال: بأنّه مسَّه؛ لأنَّه غائبٌ.

وقرئ ﴿بنصبٍ﴾ بضم النُّون وفَتْحِهَا مع سكون الصَّاد، وبفتحهمَا وضمِّهما، فالنُّصْب والنَّصَبُ: كالرُّشْد والرَّشَدِ، والنَّصْبُ: على أَصْل المَصْدَر، والنُّصُبُ: تثقِيلُ "نُصْبٍ" والمَعنى واحدٌ وهُو التَّعب والمشَقَّةُ.

(ومَــن وَجَــد الإحســان قَـيــدًا تَقَيَّدا)

أوّله:

وقـيَّـدْتُ نفسي في ذَراك[١] محبَّةً[٢]

قوله:[٣] **(بأنّي مسَّني)** كأنّه قال[٤] عليه السلام، قال: أُناديك بأنّي مسّني، أو أدعوك بأنّي مسَّني، أي: بسبب أنّي مسَّني.

---

١ ن: زارك.

٢ لأبي الطيّب المتنبي في ديوانه، ص ٣٦٢.

٣ ن + ومن وجد.

٤ وفي هامش د ف: داود.

و"العذابُ": الألَمُ، يريد مَرضَهُ ومَا كان يُقَاسِي فيه من أَنواع الوَصَب.

وقيل: الضُّرُّ في البَدنِ والعذابُ في ذهَاب الأَهْلِ والمالِ.

فإن قلتَ: لِمَ نَسَبَهُ إلى الشيطانِ ولا يجُوز أن يُسلِّطه اللهُ على أنبيائه ليَقْضِيَ من إتْعَابِهِم وتَعذيبِهم وَطرَهُ؟ ولو قَدَر على ذلك لم يَدَعْ صَالحًا إلَّا وقد نكَبَهُ وأَهْلكَه، وقَد تكرَّرَ في القرآن أنَّه لا سُلطانَ له إلَّا الوَسْوَسَةُ فحَسْب.

قلتُ: لمَّا كانَتْ وَسْوستُه إليه وطَاعتُه له فيما وَسْوَسَ سبَبًا فيما مَسَّه اللهُ به من النُّصب والعذَاب نَسبَهُ إليه، وقدْ رَاعى الأَدبَ في ذلك حيث لم يَنسُبْه إلى الله في دُعَائهِ، مع أنَّه فاعِلُه ولا يقدِر عليه إلَّا هُو.

وقيل: أراد ما كان يُوسْوِسُ به إلَيه في مَرضهِ من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويُغْرِيه على الكَراهةِ والجَزع، فَالْتجأ إلى الله في أن يكفِيَهُ ذلك بكشفِ البَلاء، أو بالتَّوفيقِ في دَفْعه وردِّه بالصَّبر الجميل.

ورُوي أنَّه كان يَعُودُه ثلاثةٌ من المؤمنينَ، فَارتدَّ أحَدهُمْ، فسأَلَ عنه فقِيل: أَلقى إليه الشَّيطانُ: إنَّ الله لا يَبْتلي الأنبيَاءَ والصَّالحين.

وذُكرَ في سبَبِ بلائه: أَنَّ رجُلًا استَغَاثه على ظَالمٍ فَلَم يُغِثْهُ.

وقيل: كانتْ مَواشِيهِ في ناحيَةِ مَلِكٍ كافرٍ، فدَاهَنه ولم يَغْزُه.

وقيل: أُعْجِبَ بكَثْرة مالِهِ.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكايةُ ما أُجِيبَ به أَيُّوبُ عليه السلام؛ أي: اضرِبْ برِجْلك الأرْضَ.

وعن قتادةَ: هي أرْضُ الجَابِيةِ، فضَربهَا فنَبَعَتْ عيْنٌ فقِيل: ....

قوله: (**وطاعتُه فيما وَسْوس**) كتَرْك إغاثته للمظلوم، وكتركِ غَزائه للكافر، وكإعجابه بكثرة ماله، على ما سيجيء جميع ذلك.

قوله: (**أرضُ الجابية**) الجابيةُ: مدينةٌ بالشام.

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾؛ أي: هذا ماءٌ تغتَسلُ بهِ وتشرَبُ مِنه فيَبْرأُ باطِنُك وظَاهِرُك وتَنقَلِبُ ما بِك قَلَبَةٌ.

وقيل: نبَعَتْ له عَيْنانِ فاغتسَل من إِحْداهُما وشرِب من الأُخرى، فذهَب الدَّاء من ظاهِره وباطِنه بإذن اللهِ.

وقيل: ضَربَ برجْلِه اليُمنى فنبَعتْ عَينٌ حَارَّةٌ فاغتسَل منها، ثمَّ باليُسرَى فنبَعَتْ بارِدةٌ فشِربَ منها.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مَفعُولٌ لهما، والمَعنى: أن الهبة كانَتْ للرَّحمَةِ له ولتَذكِير أُولِي الألبابِ؛ لأنَّهم إذا سَمِعُوا بما أَنعَمْنا به عليه لصَبْره رَغَّبَهُم في الصَّبر على البلاء وعاقبةِ الصَّابرِين وما يَفعلُ اللهُ بهِمْ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَخُذْ﴾ معطُوفٌ على ﴿ٱرْكُضْ﴾.

و"الضِّغثُ": الحُزمَةُ الصَّغيرةُ من حَشِيشٍ أو ريحَانٍ أو غيرِ ذلك.

وعن ابن عبَّاس: قبضةٌ من الشَّجر، كان حَلَف في مَرضِه ليَضربنَّ امرأتَهُ مئةً إذا بَرَأَ، فحَلَّل اللهُ يَمينَه بأهْوَن شيءٍ عليه وعليهَا لحُسْنِ خدمَتِها إيَّاهُ ورضَاه عَنها، وهذه الرُّخصةُ باقيةٌ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه أُتِيَ بمُخْدَجٍ قد خَبَثَ بأَمَةٍ فقال: «خُذُوا عِثْكالًا فيه مئةُ شِمْراخٍ فاضْرِبُوه بهَا ضربةً».

قوله: (ما بكَ قَلَبَةٌ) يقال: ما به قَلَبَة، أي: ما به علَّةٌ.[١]

قوله: (بِمُخْدَجٍ) أي: بناقص.

قوله: (قد خَبَثَ) أي: زَنى.

---

١ الصحاح للجوهري، «قلب».

ويجبُ أن يُصيبَ المضروبَ كلُّ واحِدٍ من المئةِ، إمَّا أَطرافها قائمةً، وإمَّا أَعْرَاضُها مبْسُوطةً، مع وجُود صُورة الضَّربِ.

وكان السَّببُ في يَمينِه: أنَّها أَبْطَأَتْ عليه ذاهبةً في حاجةٍ فحُرِجَ صَدرُه.

وقيلَ: باعَتْ ذُؤابتَيْها برغِيفَين، وكانتا مُتعلَّقَ أيُّوبَ إذا قام.

وقيل: قال لها الشيطانُ: اسْجُدِي لي سجدةً فَأرُدَّ عَليكم مالَكُم وأولادَكم، فهمَّت بذلك فأدْركتْها العِصمةُ، فَذكَرَتْ ذلك له فحَلَفَ.

وقيل: أوهَمها الشيطان أنَّ أيوبَ إذا شرِبَ الخمرَ بَرأ، فعَرَّضَتْ لهُ بذلك.

وقيل: سَألتْه أن يُقرِّبَ للشيطانِ بعَنَاقٍ.

﴿وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾: عَلِمْناه صَابِرًا.

فإن قلتَ: كيف وجده صابرًا وقد شكا إليه ما بِهِ واستَرحمَهُ؟

قلتُ: الشكوَى إلى اللهِ لا تسمَّى جزعًا، ولقد قال يعقوبُ عليه السلامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/٨٦] وكذلِك شكْوَى العليلِ إلى الطَّبيبِ، وذلك أنَّ أصبَرَ النَّاسِ على البلاء لا يخلُو من تَمنِّي العَافيةِ وطَلبِهَا، فإذا صحَّ أن يُسمَّى صَابرًا مع تمنِّي العَافيةِ وطَلَبِ الشفَاء فلْيُسمَّ صابرًا مع اللَّجإِ إلى الله تعالى

قوله: (**ويجب أن يصيب المضروبَ**)... إلخ والصواب" أنّه لا يجب أن يصيبَه كلُّ واحد؛ بل إن أصاب ثِقْلُ الجميع بأن يَنْكَبِسَ عليه الشِّمراخُ كفى.[١]

قوله: (**فَحَرِجَ صدرُه**) أي: ضاق، قال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ٦/١٢٥].

قوله: (**بعَناق**) العَناق: الأنثى مِن أولاد المِعْزَى.[٢]

قوله: (**مع اللَّجَأ**) لَجَأتُ إليه لَجأً -بالتحريك- ومَلْجَأً، والتَجأتُ إليه؛ بمعنًى، والموضع أيضًا[٣] لَجأٌ ومَلجأٌ.[٤]

---

١ ن: الشحراخ كفي.
٢ **الصحاح** للجوهري، «عنق».
٣ ن - أيضًا.
٤ **الصحاح** للجوهري، «لجأ».

والدُّعاء بكشفِ ما بهِ، ومَع التَّعالُج ومُشاوَرةِ الأطبَّاء، على أنَّ أيُّوب عليه السلامُ كان يَطلُب الشِّفاء خِيفةً على قومه من الفِتنةِ حيث كان الشيطان يُوسوِسُ إليهم كما كان يُوسوِسُ إليه أنَّه لو كان نَبيًّا لَمَا ابتُلي بمِثل ما ابتُلي به، وإرادةَ القُوَّةِ على الطَّاعة فقَد بلَغ أمرُه إلى أن لـم يَبق منه إلَّا القَلْبُ واللِّسانُ.

ويُروَى: أنَّه قال في مُناجَاتِه: «إلهي، قد عَلِمتَ أنَّه لم يخالِف لسَاني قلبِيَ، ولـم يَتَّبع قَلْبي بصَرِي، ولـم يَهَبْني ما مَلكتْ يَميني، ولم آكُلْ إلَّا ومعِي يَتيمٌ، ولم أبِتْ شَبْعَانَ ولا كَاسِيًا ومَعِي جَائعٌ أو عُريانٌ»، فكشَف الله عنه.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿عِبَٰدَنَآ﴾، ومَن قَرأ: ﴿عَبْدَنا﴾ جَعَل ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحْدَه عطفَ بيانٍ لهُ، ثمَّ عَطَفَ ذُريَّته على ﴿عَبْدَنا﴾ وهي إسحاقُ ويعقوب كقراءة ابن عباس: "وإلهَ أَبِيك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ".

لمَّا كانت أكثرُ الأَعمال تُباشَرُ بالأَيْدِي غُلِّبَتْ، فقيل في كلِّ عملٍ: هذا ممَّا عمِلَتْ أَيْدِيهم، وإن كان عَملًا لا يتأتَّى فيه المُبَاشَرةُ بالأَيْدِي، أو كان العُمَّالُ جُذْمًا لا أَيْدِي لَهُم، وعلى ذلك وَرَد قَولُه عزَّ وعلا: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يُريد: أُولِي الأَعمالِ والفِكَرِ، كأنَّ الذين لا يَعملُون أعمَالَ الآخِرةِ، ولا يُجاهِدُون في الله، ولا يُفكِّرُونَ أفكارَ ذَوِي الدِّياناتِ، ولا يستَبصرُون= في حُكم الزَّمْنَى الَّذين لا يَقْدرُونَ على إعْمالِ جَوارحِهم، والمسْلُوبِي العُقُول الذين لا استبصارَ بهم.

وفيهِ تعْريضٌ بكلِّ مَن لم يكن من عُمَّالِ الله، ولا من المُستَبصِرين في دين الله، وتَوبيخٌ على تركهم المُجاهَدةَ والتأمُّلَ مَع كونهِم مُتمكِّنينَ مِنهما.

قوله: (ولم يَهَبْني) مِن الهَيبة بمعنى الخوف.

قولـه: (جُذْمًا) الأجْذَم:[١] المقطوع اليد، وفي الحديث: «مَن تعلَّم القرآن ثمَّ نَسِيَه لَقِيَ اللهَ وهو أجْذم».[٢]

---

[١] ن: لأجذم.

[٢] الصحاح للجوهري، «جذم».

وقرئ: "أولي الأَيادِي" على جمْع الجَمع.

وفي قراءة ابن مسعود: "أولي الأيدِ" على طرْح الياء والاكتفاء بالكسرة، وتفسيرُه بالأيْد من التأييد قَلِقٌ غيرُ متمَكِّنٍ.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾

﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾: جعَلناهم لنَا خالِصين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾: بِخَصلَةٍ خالِصَةٍ **لا شَوْبَ** فِيها، ثم فسَّرهَا بـ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ شهَادةً لِذكرى الدار بالخلُوصِ والصَّفاء وانتِفاءِ الكدُورة عَنها.

وقرئ على الإضافة، والمَعنى: بما خلَصَ من ذكْرَى الدَّار، على **أنَّهم لا يَشُوبُونَ** ذكرَى الدَّار بهَمٍّ آخَر إنَّما هَمُّهمْ ذِكرَى الدَّار لا غيْرُ.

ومعنَى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ذكراهُم الآخِرَة دائبًا ونسيَانُهم إليهَا ذكرَى الدُّنيا.

أو تذكيرُهم الآخِرةَ وترغيبُهم فيها وتَزهيدُهم في الدنيا كما هو شأن الأَنبياء وديدنُهم.

وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: الثناء الجميلُ في الدُّنيا، ولسانُ الصِّدق الذي ليس لغيرهم.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾؟

قلتُ: معناه: أخلصناهم بسَببِ هذهِ الخصْلة وبأنَّهم من أهْلهَا، ....

قوله: **(دائبًا)** دأَبَ فلان في عمله، أي: جدَّ وتَعِبَ.[١]

قوله: **(وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ الثناء الجميل)** على تفسيرها بـ"الثناء الجميل" مِن إضافة المصدر إلى الظرف، والأصل: ذكرى الناسِ لهم في دار الدنيا. وأمّا على / المعنى المتقدّم فمِن إضافة المصدر إلى المفعول به. [٣١٦و]

قوله: **(قلتُ: معناه: أخلَصْناهم)**... إلخ فالباء على **الأوّل** للسببيّة، وعلى **الثاني** للاستعانة كما في قولك: كتبتُ بالقلم، وضربت بالسَّوط.

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «دأب».

أو: أَخْلصناهم بتَوفيقِهم لها واللُّطْفِ بهم في اختيَارها، وتَعضُد الأوَّلَ قراءةُ من قَرأ: "بخالصتهم".

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾

﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختَارِينَ مِنْ بين أبناء جِنْسهم، و﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾: جمعُ خَيِّر، أو خيْرٍ على التخفيف؛ كأمواتٍ في جمع مَيِّتٍ أو مَيْتٍ.

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ كأنَّ حرْفَ التَّعريف دخل على "يَسَع"، وقرئ: ﴿واللَّيسَعَ﴾ كأنَّ حرْفَ التعريف دخل على "لَيْسَعٍ": فَيْعَلٍ من اللَّسْعِ.

والتَّنوينُ في ﴿وَكُلٌّ﴾ عِوَضٌ من المضاف إليه، مَعناه: وكلُّهُم من الأَخْيارِ.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾؛ أي: هذا نوعٌ من الذِّكر وهُو القرآن، لمَّا أجرى ذكر الأنبياء وأتمَّه -وهو بابٌ من أَبْوابِ التَّنزيل ونَوعٌ من أَنواعِه- وأراد أَنْ يَذكُر على عقِبِهِ بَابًا آخرَ وهو ذكر الجنَّةِ وأهْلِها قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ثمَّ قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يقول الجاحظ في كُتبه: "فهَذا بابٌ" ثمَّ يَشْرعُ في بابٍ آخرَ، ويقول الكاتبُ إذا فرغَ من فصْلٍ من كتَابِه وأراد الشُّروعَ في آخَر: "هذا، وقد كان كيتَ وكيْتَ" والدَّلِيلُ عَليه: أَنَّه لمَّا أَتمَّ ذكرَ أهل الجنَّةِ وأراد أَن يُعَقِّبَهُ بذكر أهل النَّار قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص ٣٨/٥٥].

وقيل: مَعناه: هذا شَرفٌ وذِكرٌ جميلٌ يُذكَرُون به أبدًا.

قوله: (قراءة مَن قرأ: "بِخَالِصَتِهِمْ") وهو قراءة طلحةَ والأعمش.[١]

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ما ذكرنا مِن معنى الفَصل أنَّه.

[١] وهي قراءة شاذَّة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١١.

وقرئ: "أولي الأَيادِي" على جمْع الجَمع.

وفي قراءة ابن مسعود: "أولي الأيدِ" على طرْح الياء والاكتفاء بالكسرة، وتفسيرُه بالأَيْد من التأييد قَلِقٌ غيرُ متمَكّنٍ.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾

﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾: جعَلناهم لنَا خالِصين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾: بِخَصلَةٍ خالِصَةٍ لا شَوْبَ فِيها، ثم فسَّرهَا بـ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ شهَادةً لِذكرى الدار بالخلُوصِ والصَّفاء وانتِفاءِ الكدُورة عَنها.

وقرئ على الإضافة، والمَعنى: بما خلَص من ذكْرَى الدَّار، على أنَّهم لا يَشُوبُونَ ذكرَى الدَّار بهَمٍّ آخَر إنَّما هَمُّهمْ ذِكرَى الدَّار لا غيْرُ.

ومعنَى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ذكراهُم الآخِرَة دائبًا ونسيَانُهم إليهَا ذكرَى الدُّنيا.

أو تذكيرُهم الآخِرةَ وترغيبُهم فيها وتَزهيدُهم في الدنيا كما هو شأن الأَنبياء وديدنُهم.

وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: الثناء الجميلُ في الدُّنيا، ولسانُ الصِّدق الذي ليس لغيرهم.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾؟

قلتُ: معناه: أخلصناهم بسَببِ هذهِ الخصْلة وبأَنَّهم من أهْلهَا، ....

قوله: **(دائبًا)** دأَبَ فلان في عمله، أي: جدَّ وتَعِبَ.[1]

قوله: **(وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ الثناء الجميل)** على تفسيرها بـ"الثناء الجميل" مِن إضافة المصدر إلى الظرف، والأصل: ذكرى الناسِ لهم في دار الدنيا. وأمّا [٣١٦و] على / المعنى المتقدّم فمِن إضافة المصدر إلى المفعول به.

قوله: **(قلتُ: معناه: أخلَصْناهم)**... إلخ فالباء على **الأوّل** للسببيّة، وعلى **الثاني** للاستعانة كما في **قولك**: كتبتُ بالقلم، وضربت بالسَّوط.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «دأب».

أو: أَخْلصناهم بتَوفيقِهم لها واللُّطْفِ بهم في اختيَارها، وتَعضُد الأوَّلَ قراءةُ من قَرأ: "بخالصتهم".

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾

﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختَارِينَ مِنْ بين أبناء جِنْسهم، و﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾: جمعُ خَيِّر، أو خيْرٍ على التخفيف؛ كأمواتٍ في جمع مَيِّتٍ أو مَيْتٍ.

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ كأنَّ حرْفَ التَّعريف دخل على "يَسَعَ"، وقرئ: ﴿واللَّيسَعَ﴾ كأنَّ حرْفَ التعريف دخل على "لَيْسَعٍ": فَيْعَلٍ من اللَّسْعِ.

والتَّنوينُ في ﴿وَكُلٌّ﴾ عِوَضٌ من المضاف إليه، مَعناه: وكلُّهُم من الأَخْيارِ.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾؛ أي: هذا نوعٌ من الذِّكر وهُو القرآن، لمَّا أجرى ذكر الأنبياء وأتمَّه -وهو بابٌ من أَبْوابِ التَّنزيل ونَوعٌ من أَنواعِه- وأراد أَنْ يَذكُر على عقِبِهِ بَابًا آخرَ وهو ذكر الجنَّةِ وأَهْلِها قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ثمَّ قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يقول الجاحظ في كُتبه: "فهَذا بابٌ" ثمَّ يَشْرعُ في بابٍ آخرَ، ويقول الكاتبُ إذا فرغَ من فصْلٍ من كتَابِه وأراد الشُّروعَ في آخَر: "هذا، وقد كان كيتَ وكيْتَ" والدَّلِيلُ عَليه: أَنَّه لمَّا أتمَّ ذكرَ أهل الجنَّةِ وأراد أَن يُعَقِّبَهُ بذكر أهل النَّار قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص ٣٨/٥٥].

وقيل: مَعناه: هذا شَرفٌ وذِكرٌ جميلٌ يُذكَرُون به أبدًا.

قوله: (**قراءة مَن قرأ: "بخَالِصَتِهِمْ"**) وهو قراءة طلحةَ والأعمش.[1]

قوله: (**والدليل عليه**) أي: على أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ما ذكرنا مِن معنى الفَصل أنَّه.

[1] وهي قراءة شاذَّة. انظر: **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٤١١.

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: هذا ذكرُ مَن مَضى من الأنبياء.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ معرفةٌ؛ كقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ [مريم ٦١/١٩] وانتصابُها على أنّها عطفُ بيانٍ لـ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

و﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ حالٌ، والعامل فيها ما في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ من مَعْنى الفِعل، وفي ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ ضميرُ الـ﴿جَنَّٰتِ﴾، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ بَدلٌ من الضَّمير تَقديرُه: مُفتَّحةً هيَ الأبوابُ، كقَولهم: "ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجلُ"، وهو من بدل الاشتمال.

قوله: (والعامل فيها ما ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾)[١] يشير به إلى أنّها حال مِن الضمير المستتر العائد إلى ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾، ثمّ ذكر أنّ الضمير الذي في ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ يعود إلى "الجنّات". ولمّا كان المراد بـ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ هو الجنّات[٢] صَلُحَ الضمير العائد إلى "الجنّات" لربْط الحال بذي الحال، فتأمّل. ويجوز أن يكون مراد المصنّف أنّ الضمير مِن ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ يعود إلى المستتر[٣] في[٤] ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾، ولكن لمّا كان ذلك عبارة عن ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ وهو مفسَّر بـ"الجنّات"[٥] توسّع المصنّف في العبارة. وعلى هذين الوجهين فذو الحالِ الضميرُ في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾،[٦] أعني: في الجارّ والمجرور، وهو عائد إلى ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ كما ذكرنا، لا الضميرُ في "متّقين" العائد إلى اللام، فتأمّل، فإنّه مع ظهوره خفيّ.

قوله: (بدَل مِن الضمير) اللام فيه للعهد، أي: ضمير "الجنّات".

قوله: (وهو مِن بدَل الاشتمال) يعني: قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾، فإنّ الكلام فيه. وأمّا قوله: (ضُرِبَ زيد اليَدُ والرِّجلُ) فبدلُ البعضِ، وهو ظاهر لم يتعرّض له المصنّف.

---

١ في مطبوع الكشّاف: ما في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾.
٢ ف: الجنان.
٣ ن: المتن.
٤ ن: و.
٥ ف: بالحنان.
٦ ن: المتقين.

وقرئ: "جناتُ عدنٍ مفتحةٌ" بالرفع على أنّ "جناتُ عدنٍ" مُبتدأٌ و"مُفتَّحةٌ" خبرُه، أو كلاهُما خبَرُ مُبتَدأ مَحذُوفٍ؛ أي: هو جَنَّاتُ عَدْنٍ هيَ مُفتَّحةٌ لهم.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾

كأنَّ اللِّدَاتِ سُمِّينَ أَتْرابًا لأنَّ التُّرَاب مَسَّهُنَّ في وقْتٍ واحِدٍ، وإنما جُعِلْنَ على سنٍّ واحدةٍ لأن التَّحابَّ بين الأقرانِ أثبتُ، وقيل: هُنَّ أَترابٌ لأَزْواجهِنَّ أسنانُهنَّ كأسنَانهم.

قرئ ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لأجْل يَوم الحِسَابِ؛ كما تقول: هذا ما تَدَّخِرُونه ليَوم الحسَاب؛ أي: ليَوم تُجزَى كلُّ نفْسٍ ما عَمِلتْ.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الأمرُ هذا، أو: هذا كما ذكر ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ كقَوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف ٧/٤١] شُبِّهَ ما تَحتهم من النَّار بالمِهاد الَّذي يفترِشُه النَّائم؛ أي: ﴿هَٰذَا﴾ حَميمٌ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، أو: العذابُ هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، ثم ابتدأ فقال: هو ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

قوله: **(وقيل: هُنّ أتراب)** هذا عطفٌ على قوله: **(وإنّما جُعِلْنَ)**، فالوجه الأوّل إشارة إلى أنّ المعنى أنّ بعضهنّ تِرْب بعضٍ، وهذا الوجه إلى أنّ القاصرات وأزواجهنّ أتراب.

قوله: **(أي: الأمرُ هذا، أو هذا كما ذُكر)** يعني: ﴿هَٰذَا﴾ إمّا مرفوع على أنّه مبتدأ أو خبر، أو منصوب.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (شُبّه ما تحتهم مِن النار بالمِهاد) شُبّه ما تحتهم مِن النار بالمِهاد الذي يَفْتَرِشه النائم، وجه الشبه كون كلّ منهما مُفترَشًا. فتكون الاستعارة كالاستعارة التهكّميّة.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذا ذكرُ مَن مضى من الأنبياء.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ معرفةٌ؛ كقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ [مريم ٦١/١٩] وانتصابُها على أنّها عطفُ بيانٍ لـ﴿لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

و﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ حالٌ، والعامل فيها ما في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ من مَعْنى الفِعل، وفي ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ ضميرُ الـ﴿جَنَّٰتِ﴾، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ بَدلٌ من الضَّمير تَقديرُه: مُفتَّحةً هيَ الأبوابُ، كقَولهم: "ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجلُ"، وهو من بدل الاشتمال.

قوله: **(والعامل فيها ما ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾)**[١] يشير به إلى أنّها حال مِن الضمير المستتر العائد إلى ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾، ثمّ ذكر أنّ الضمير الذي في ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ يعود إلى "الجنّات". ولمّا كان المراد بـ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ هو الجنّات[٢] صَلُحَ الضمير العائد إلى "الجنّات" لربْط الحال بذي الحال، فتأمّل. ويجوز أن يكون مراد المصنّف أنّ الضمير مِن ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾ يعود إلى المستتر[٣] في[٤] ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾، ولكن لمّا كان ذلك عبارة عن ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ وهو مفسَّر بـ"الجنّات"[٥] توسَّع المصنّف في العبارة. وعلى هذين الوجهين فذو الحالِ الضميرُ في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾،[٦] أعني: في الجارّ والمجرور، وهو عائد إلى ﴿حُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ كما ذكرنا، لا الضميرُ في "متّقين" العائد إلى اللام، فتأمّل، فإنّه مع ظهوره خفيّ.

قوله: **(بدَل مِن الضمير)** اللام فيه للعهد، أي: ضمير "الجنّات".

قوله: **(وهو مِن بدَل الاشتمال)** يعني: قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾، فإنّ الكلام فيه. وأمّا قوله: **(ضُرِبَ زيد اليَدُ والرِّجلُ)** فبدلُ البعضِ، وهو ظاهر لم يتعرّض له المصنّف.

---

١ في مطبوع الكشّاف: ما في ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾.
٢ ف: الجنان.
٣ ن: المتن.
٤ ن: و.
٥ ف: بالحنان.
٦ ن: المتقين.

وقرئ: "جناتُ عدنٍ مفتحةٌ" بالرفع على أنَّ "جناتُ عدنٍ" مُبتدأ و"مُفتَّحةٌ" خبرُه، أو كلاهُما خبَرُ مُبتَدأ مَحذُوفٍ؛ أي: هو جَنَّاتُ عَدْنٍ هيَ مُفتَّحةٌ لهم.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

كأنَّ اللِّدَاتِ سُمِّينَ أَتْرابًا لأنَّ التُّرَاب مَسَّهُنَّ في وقْتٍ واحِدٍ، وإنما جُعِلْنَ على سنٍّ واحدةٍ لأن التَّحابَّ بين الأقرانِ أثبتُ، وقيل: هُنَّ أترابٌ لأَزْواجهِنَّ أسنانُهنَّ كأسنَانهم.

قرئ ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لأجْل يَوم الحِسَابِ؛ كما تقول: هذا ما تَدَّخِرُونه ليَوم الحسَاب؛ أي: ليَوم تُجزَى كلُّ نفْسٍ ما عَمِلتْ.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الأمرُ هذا، أو: هذا كما ذكر ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ كقَوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف ٧/٤١] شُبِّهَ ما تَحتهم من النَّار بالمِهاد الَّذي يفتَرِشُه النَّائم؛ أي: ﴿هَٰذَا﴾ حَميمٌ ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، أو: العذابُ هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، ثم ابتدأ فقال: هو ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

قوله: **(وقيل: هُنَّ أتراب)** هذا عطفٌ على قوله: **(وإنَّما جُعِلْنَ)**، فالوجه الأوَّل إشارة إلى أنَّ المعنى أنَّ بعضهنَّ تِرْب بعضٍ، وهذا الوجه إلى أنَّ القاصرات وأزواجهنَّ أتراب.

قوله: **(أي: الأمرُ هذا، أو هذا كما ذُكر)** يعني: ﴿هَٰذَا﴾ إمّا مرفوع على أنّه مبتدأ أو خبر، أو منصوب.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (شُبِّه ما تحتهم مِن النار بالمِهاد) شُبِّه ما تحتهم مِن النار بالمِهاد الذي يَفْتَرِشه النائم، وجه الشبه كون كلّ منهما مُفترَشًا، فتكون الاستعارة كالاستعارة التهكّميّة.

أو: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ بمَنزِلة: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل ٥١/١٦]؛ أي: لِيَذُوقوا هَذا فليَذُوقُوه.

و"الغسَّاق" بالتخفيف والتَّشديد: ما يَغسِقُ من صَديدِ أهل النَّار، يُقالُ: غسَقَتِ العَينُ: إذا سالَ دمْعُها، وقيل: الحميمُ يُحرِق بحرِّه والغَسَّاقُ يُحرِق ببَرْدِه.

وقيل: لو قَطرتْ قطرَةٌ منه في المشْرِق لتَنَّنت أَهْلَ المغرب، ولو قطرَتْ منهُ قَطرةٌ في المغرب لتَنَّنتْ أَهلَ المَشْرِق.

وعن الحسَن: الغَساق: عذابٌ لا يَعْلمه إلَّا اللهُ، إنَّ الناسَ أَخْفَوا لله طاعةً فأخفَى لهُم ثوابًا في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [السجدة ١٧/٣٢]، وأَخْفَوا مَعْصيةً فأخفَى لهم عقُوبةً.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾

﴿وأُخَرُ﴾ ومَذُوقَاتٌ أُخَر من شكل هذا المَذُوق من مثْلِه في الشِّدَّةِ والفَظَاعةِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أجناسٌ، وقرئ: ﴿وَءَاخَرُ﴾؛ أي: وعذابٌ آخَرُ، أو: ومَذُوقٌ آخَرُ، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾: صفة لـ﴿آخر﴾ لأنه يجوز أن يكون ضُرُوبًا أو صِفةً للثلاثة وهي: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾.

وقرئ: "من شِكله" بالكسْر، وهي لغةٌ، وأما الغُنْجُ فبالكسر لا غيْرُ.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾

قوله: **(وأمّا الغُنْجُ فبالكسر)** الشَّكل -بالفتح-: المِثل، والجمع: أشكال، وشُكول. والشِّكل -بالكسر-: الدَّلُّ[١] والغُنجُ، وبمعنى المِثل أيضًا. ومَن ظنّ أنّ معنى الشِّكل -بالكسر- الغُنْجُ لا غيرُ فهو غير صحيح؛ إذ[٢] الشِّكل -بالكسر- جاء بمعنى الشَّكل بالفتح.[٣]

---

١ ن: الذل.

٢ ن: أو.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شكل»؛ **والقاموس المحيط** للفيروزآبادي، «شكل».

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: هذا جَمْعٌ كثِيفٌ قد اقتحم مَعكم النَّارَ؛ أي: دخَلَ النَّارَ في صُحبَتكم وقِرانِكم.

و"الاقتِحامُ": ركُوب الشِّدَّة والدُّخولُ فيها، والقُحْمةُ: الشِّدَّةُ.

وهذه حكايةُ كلامِ الطَّاغِين بعضِهم مع بعضٍ؛ أي: يقولون هذا.

والمراد بالفَوْج: أتباعُهُم الَّذين اقتَحمُوا مَعَهُم الضَّلالةَ، فيَقتحمُونَ مَعهُم العذابَ.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاءٌ مِنْهم على أَتْباعِهم؛ تقول لمَن تَدْعُو له: مَرْحبًا؛ أي: أَتَيْتَ رُحْبًا من البِلاد لا ضِيقًا، أو: رَحُبَتْ بلادُكَ رُحْبًا، ثم تُدْخِلُ عليه ﴿لَا﴾ في دُعاء السُّوءِ، و﴿بِهِمْ﴾ بَيانٌ للمدعوِّ عَليهم.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ تعْليلٌ لاستيجابهم الدُّعاءَ عَليْهم، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف ٣٨/٧].

وقيل: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: كلامُ الخَزَنةِ لرُؤسَاء الكَفرة في أَتْباعِهم، و﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ كلامُ الرُّؤساء.

وقيل: هذا كلُّه كلامُ الخَزَنةِ.

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الأَتباعُ ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يُريدُون: الدُّعاءُ الَّذِي دعَوْتُم به عَلَيْنا أَنتُم أحَقُّ به، وعَلَّلُوا ذلك بقَولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضميرُ للعَذاب أو لِصُلِيِّهم.

فإن قلتَ: ما معنى تَقديمِهم العذابَ لهُم؟

قلتُ: المُقدَّمُ هو عَمل السُّوء، قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال ٥٠/٨-٥١]، ولكنَّ الرُّؤسَاء لمَّا كانوا السَّببَ فيه بإغوائهم وكان العَذابُ جَزاءَهُم عَليه قيل: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ فجُعِل الرُّؤساء هُم المقَدِّمين،

قوله: (**في أتباعهم**) أي: في شأن أتباعِهم وفي حقِّهم.

قوله: (**وقيل: هذا كُلُّه**) أي: مِن قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿النَّارِ﴾.

وجُعِل الجزاءُ هو المقَدَّمَ، فجُمِع بين مجَازَيْن؛ لأنَّ العامِلينَ هُم المقدِّمُون في الحقيقةِ لا رُؤسَاؤُهم، والعَملُ هو المقدَّمُ لا جَزاؤهُ.

فإن قلتَ: فالَّذِي جعَل قولَه: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ من كلام الخَزَنة ما يصْنعُ بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ والمخاطَبُونَ -أعني: رُؤساءَهُم- لم يتكلَّمُوا بمَا يكونُ هذا جَوابًا له؟

قلتُ: كأنَّه قيل: هذا الَّذي دعَا به علَينا الخَزنةُ أنتُم يا رُؤساءُ أَحقُّ بهِ منَّا، لإغوائكم إيَّانَا وتَسبُّبِكُم فيما نحنُ فيه من العذابِ، وهذا صحيحٌ كما لو زَيَّنَ قومٌ لِقومٍ بعضَ المسَاوِئ فارتكبُوه، فقيل للمزيِّنينَ: أَخْزَى اللهُ هؤلاء ما أَسْوَأَ فِعْلَهُم، فقال المُزَيَّنُ لهم لِلمُزيِّنينَ: بل أَنتُم أَوْلى بالخِزْي مِنَّا فلولا أَنتُم لم نَرتكِبْ ذلك.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ۝٦١﴾

﴿قَالُوا۟﴾ هُم الأتْباعُ أيضًا ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾؛ أي: مُضَاعَفًا، ومعْناه: ذا ضِعْفٍ، ونحوُهُ قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف ٣٨/٧]، وهُو أن يَزيدَ على عَذابهِ مثْلَه فيصيرَ ضِعفَين؛ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب ٦٨/٣٣].

قوله: **(فإن قلتَ: فالذي جعَلَ)** "الذي" مبتدأ، وخبره "ما تصنع"، و"ما" استفهاميّة.

قوله: **(هؤلاء)** أي: المُزيَّن لهم. وقوله: **(ما أسوأ)** للتعجّب.

قوله: **(أي: مُضاعَفًا)**... إلخ فسَّر ﴿ضِعْفًا﴾ بقوله: "مُضاعفًا"، ثمّ أشار إلى أنّه إنّما يكون كذلك بحذف المضاف؛ وذلك لأنّ ﴿ضِعْفًا﴾ بمعنى مثلًا، فإذا زِيد[١] على الشيء مِثلُه صار ذا مِثْل، أي: ذا ضِعْفٍ، وهو بمعنى مُضاعَفًا.

وقوله: **(وهو أن يزيد)** اعلم أنّ هذا الضمير يعود إلى ما دلّ[٢] عليه قوله: "مُضاعَفًا"، أو قوله: "ذا ضِعف"، أي: كون العذاب ذا ضِعف[٣] هو أن يزيد المُعذِّبُ

---

١ ن: ازيد.

٢ ن: دَل.

٣ ف - أي: كون العذاب ذا ضعف.

وجَاء في التفسير: ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ حَيَّاتٍ وأفَاعِيَ.

على عذاب المعذَّب مثلَه، فيصير العذابُ ضِعفين، أي:[١] مِثلين، / كما سنذكر، [٣١٦ظ] فمعنى ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾، أي: ذا ضِعف، ومعنى ﴿ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب ٦٨/٣٣] واحد؛ وهذا لأنّ "الضِّعْف" بمعنى المِثل، والإضْعافُ زيادة مِثل الشيءِ على الشيء، وكذا التضعيف والمُضاعفة.

قال الجوهري في **الصحاح**: «ضِعف الشيء: مِثله، وضِعْفاه: مِثلاه،[٢] وأضعافه:[٣] أمثالُه، والتضعيف: أن يُزاد على أصل الشيء، فيُجعل مِثلين أو أكثر، وكذلك الإضعافُ والمُضاعفة،[٤] تقول: ضعَّفتُ الشيءَ وأضعفتُه وضاعَفْتُه». جميع ذلك مذكور في **الصحاح** منقول عن الخليل.[٥]

وقال **المطرّزي في المُغرب**:

> عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب ٣٠/٣٣]، قال: «معناه: يُجعل الواحد ثلاثة، أي: يُعذَّبُ[٦] ثلاثةَ أعْذِبةٍ»، ثمّ قال: وأنكرَه[٧] الأزهري، وقال: «هذا[٨] هو الذي يستعمله الناس في مَجازِ كلامهم وتعارفهم»، وإنّما الذي قال حُذّاق النحويّين: أنّها تُعذَّب مِثْلَي عذابِ غيرِها؛ لأنّ الضِّعف في كلام العرب:[٩] المِثلُ إلى ما زاد، وليست تلك الزيادة مقصورة على مِثْلَين، فيكون ما قاله أبو عبيدة صوابًا. ثمّ قال المطرّزي: وبهذا عُرِف أنّ ما قاله الفقهاء عُرْفٌ عامّي.[١٠]

ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[١١] بهذا الكلام المنقول عن الفُحول يتحقّق لك أنّ كلام المصنّف صحيح، وأنّ ما كتبناه مِن الجانب الآخر موضعُ نظر، وإن كنّا قد كتبنا هناك أنّه تدقيق، لكن هذا هو الصواب، وأشدّ تدقيقًا، وأقوى تحقيقًا.

---

١ ن: أو.
٢ ن: مثله.
٣ ن: او ضعافه.
٤ ن: فالمضاعفة.
٥ **الصحاح** للجوهري، «ضعف».
٦ ف: تُعذَّب.
٧ ف: وأنكر.
٨ ن - هذا.
٩ ن: الغرب.
١٠ **المُغرب** للمطرّزي، «ضعف».
١١ د: الجابردي.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ الضَّميرُ للطَّاغِينَ ﴿رِجَالًا﴾ يَعنُون: فقراءَ المُسلمين الذين لا يُؤْبَهُ لهُم

والصواب[1] أن نقول: إذا زِيد عليه مثلُه يصير ضِعفَه، لا ضِعفَيه، وإذا زِيد على العذاب ضِعفُه يصير ضِعفَيه، فإنّ ضِعف الشيء مِثلاه، وضِعفَيه ثلاثةُ أمثاله، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ﴾، وإذا زاد على عذابهم ضِعفًا فيكون قد آتاهم ضِعفين، فيطابق قوله تعالى في موضع آخر: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأحزاب ٦٨/٣٣]. ونحمَد الله على التوفيق لاستخراج المعنى الدقيق.

ثمّ هذا الذي ذكرناه موافق لمذهب الشافعي رضي الله عنه[2] حيث قال: "لو أوصى بضِعْف نصيب ولده لشخص؛ أُعطي مثلَ نصيب ولَدِهِ مرّتين، ولو أوصى بضِعفَين؛ أُعطي مِثلَه ثلاثَ مرّات، ولو أوصى بثلاثة أضعافه؛ أُعطي مثلَه أربعَ مرّات".[3] وعن أبي حنيفة: "أنّه إذا أوصى بضِعْفي الشيء؛ أُعطي مثلَه أربعَ مرّات".[4] وبعضُهم نسب ذلك إلى مالك. لكن ذكر الجوهري في **الصحاح** أنّ الخليل قال: «التضعيف: أن يُزاد على أصل الشيء فيُجعل مِثلين أو أكثر، وكذلك الإضعاف والمضاعفة، وضِعف الشيء مثله، وضِعْفاه مِثلاه، وأضعافُه أمثاله».[5]

وقال الإمام الرافعي في **الشرح**[6] **الكبير**: «الضِّعف عبارة عن الشيء ومِثلِه، رُوي أنّ عمرَ رضي الله عنه: 'أضْعَفَ الصدقة على نصارى بني تغلب'، ومعلوم أنّه كان يأخذ الصدقة ومِثلَه».[7]

[٣١٧و] قوله: (**لا يُؤبه**) يقال: ما أَبَهْتُ / له، أي: لم أعلم مكانه، ولا أَنِسْتُ به.[8]

---

[1] وفي هامش د ف: المكتوب مِن الجانب الآخر هذا.
[2] د ن – رضي الله عنه.
[3] انظر: **الأمّ** للشافعي، ١٨٩/٥.
[4] ف – وعن أبي حنيفة: أنّه إذا أوصى بضِعْفَي الشيء أُعطي مثلَه أربعَ مرّات.
[5] **الصحاح** للجوهري، «ضعف».
[6] ن: شرح.
[7] **شرح الوجيز** للرافعي، ١٤٤/٧.
[8] **مجمل اللغة** لابن فارس، «أبه».

﴿مِنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾: مِن الأرَاذلِ الَّذين لا خيْرَ فيهم ولا جَدْوَى، ولأنَّهم كانُوا على خِلافِ دِينِهم فكانوا عندَهُم أشْرَارًا.

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣﴾

﴿اتَّخَذْناهم سِخْرِيًّا﴾ قرئ: بلفظ الإخبَار على أنّه صفة لـ﴿رِجَالًا﴾ مثلَ قولِه: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ وبهمزَةِ الاستفهام على أنّه إنكارٌ على أنفُسهِم وتأنِيبٌ لهَا في الاستسْخَارِ منهُم.

وقوله: ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ له وَجْهان منَ الاتِّصَالِ:

أحَدُهما: أن يتَّصل بقولِه: ﴿مَا لَنَا﴾؛ أي: ما لنَا لا نَراهُم في النَّار كأنَّهم ليْسُوا فيهَا، بل أزاغَت عنهم أبصَارُنا فلا نَراهُم وهُم فيهَا، قَسَمُوا أمْرَهم بيْنَ أن يكونوا من أهل الجنَّة، وبين أن يكونوا من أهل النَّار إلَّا أنَّه خَفِي عليهم مَكانُهم.

والوجهُ الثاني: أن يتَّصِل بـ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾: إمَّا أن تكُون ﴿أَمۡ﴾ متَّصلةً على مَعْنَى: أيَّ الفِعْلين فَعلنا بهم: الاستِسخارَ مِنهم، ....

قوله: **(ولأنّهم)** عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: **(مِن الأراذل)**، كأنّه قيل: سمَّوهم شِرارًا لأنّهم مِن الأراذل عندهم ولأنّهم.

قوله: **(وتأنيبٌ)** أنَّبه تأنيبًا، أي: عنَّفه ولامَه.[1]

قوله: **(بل أزاغتْ)**... إلخ يدلّ على أنّه جعل "أمْ" منقطعة. وقوله: **(قَسموا)**... إلخ يدلّ على أنّه جعلها متّصلة. والصواب أنّها على هذا التفسير متّصلة، فكأنّه قيل: أليسوا[2] فيها، أم هم فيها، لكن زاغت أبصارنا عنهم؟ وقوله: "بل أزاغت"... إلخ هذا على تقدير أن يكون ﴿اتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾[3] صفة لـ﴿رِجَالًا﴾.[4]

---

[1] الصحاح للجوهري، «أنب».
[2] ن: أليسول.
[3] ﴿اتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بوصل الهمز والابتداء بهمزة مكسورة قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.
[4] ن: لرجال.

أم ازْدرَاءَهُم وتَحقيرَهم وأَنَّ أبصَارنا كانت تَعْلو عَنهم وتقتَحِمُهم، **على معنَى إنْكارِ الأمرين جميعًا على أنفُسِهم.**

وعن الحسن: كلُّ ذلك قَد فعَلُوا: **اتَّخذوهُم سِخريًّا وزاغت عنهم أبصَارُهم مُحقِّرَةً لهُم.**

وإمَّا أَن تكون مُنقَطِعةً بَعد مضيّ ﴿اتَّخذناهُم سخرِيًّا﴾ على الخبَرِ أو الاستِفهام؛ كقولك: "إنَّها لإبلٌ أم شَاءٌ" و"أَزَيْدٌ عِندك أَمْ عِندك عمرٌو".

ولك أن تُقَدِّر همزةَ الاستفهام محْذوفةً فيمَن قرأ بغير همزَته؛ لأنَّ ﴿أَمْ﴾ تَدُلُّ عَليْها فلا تَفْتَرِقُ القراءتَانِ: إثباتُ همزَةِ الاستفهام وحذفُها.

وقيل: الضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لِصَناديدِ قُريشٍ كأبي جَهْل والوليدِ وأَضْرابهما، والرِّجالُ: عمَّارٌ وصُهيْبٌ وبلالٌ وأَشبَاهُهم.

وقرئ: ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالضمّ والكسْر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكَيْنا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بُدَّ أن يتكلَّمُوا به، ثمَّ بيَّنَ ما هُو فقَال:

قوله: (**وأنّ أبصارَنا**) هذا بيان "ازدرائهم وتحقيرهم".

قوله: (**على إنكار[1] الأمرين جميعًا**) وأمّا إنكارهما فإنّما لزم مِن جهة أنّ "أم" المتّصلة[2] مع الهمزة تفيد أحد الأمرين إذا كان المراد الاستفهام.[3] وأمّا إذا كان المراد الإنكار[4] وهو في معنى النفي أفاد إنكار الأمرين جميعًا؛ لأنّ نقيض الإثبات الجزئيّ[5] النفي الكلّيّ.

قوله: (**اتّخذوهم**) بيان (**كلّ ذلك قد[6] فعلوا**).

قوله: (**إثباتُ**) بدل مِن (**القراءتان**).

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: على معنى إنكار...
[2] ن: المتصّلة.
[3] ن: لاستفهام.
[4] ن: والإنكار.
[5] ن: الجزئيّ.
[6] ن: قدر.

هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾، وقرئ بالنصب على أنه صفةٌ لـ﴿ذَٰلِكَ﴾ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس.

فإن قلتَ: لـِمَ سُمِّي ذلك تخَاصُمًا؟

قلتُ: شُبِّه تقَاوُلـهُم وما يَجْري بَينهم من السُّؤال والجواب بما يَجْري بين المتخاصِمين من نحو ذلك، ولأنَّ قولَ الرُّؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ وقَولَ أتبَاعِهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ من باب الخصُومةِ، فسُمِّي التَّقاوُلُ كلُّه تخاصُمًا لأجْل اشتِمَالهِ على ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لمشركِي مكَّة: ما أنَا إلَّا رسُولٌ ﴿مُنذِرٌ﴾ أُنذِركُم عذابَ الله للمشركين، وأقُولُ لكم: إنَّ دينَ الحقِّ توحيدُ الله وأَنْ يُعتقَدَ أنْ لا إله إلَّا اللهُ ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ بلا ندٍّ ولا شريكٍ ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكلِّ شيءٍ وأنَّ المُلكَ والرُّبوبيَّةَ لهُ في العَالَـم كلِّه، وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ إذا عاقبَ العُصَاةَ، وهو مَع ذلك ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنُوب مَن التجَأَ إليه.

أو: ﴿قُلْ﴾ لهُم: ما أنَا إلَّا ﴿مُنذِرٌ﴾ لكم ما أَعْلَمُ وأَنا أُنْذِركم عقُوبَةَ مَن هذه صِفتُه، فإنَّ مِثلَه حقِيقٌ بأن يُخاف عقابُه كما هو حَقِيقٌ بأن يُرجَى ثوابُه.

قولـه: (**صفة لـ﴿ذَٰلِكَ﴾**) فيه نظر؛ لأنَّه التُزم وصف باب "هذا" بالمعرَّف باللام، فالوجه أن يكون بدلًا، أو منصوبًا على الاختصاص.

قوله: (**مِن نحو ذلك**) بيان "ما".

قوله: (**ما[1] أعلمُ، وأنا أُنذِركم عقوبةَ**) وفي بعض النسخ: "ما أعلم، ما أُنذِرُكم عقوبةُ". "ما"[2] في "ما[3] أعلم" بمعنى "الذي"، وهو مفعول (منذرٌ) على كِلتا النسختَين.

---

[1] وفي هامش د ف: الذي.
[2] ف - ما.
[3] ن - ما.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾؛ أي: هذا الذي أنبأتكم بِهِ من كوني رسولًا مُنذِرًا وأنَّ اللهَ واحِدٌ لا شريكَ له: نَبأ عظيمٌ لا يُعْرِض عن مِثْلِه إلا غافِلٌ شديدُ الغَفلة.

ثم احتجَّ لصحَّة نبوَّتهِ بأنَّ ما يُنبئُ به عن المَلإِ الأَعْلى واختصَامِهم أَمرٌ ما كان له به مِن عِلم قَطُّ ثمَّ عَلِمَهُ، ولم يَسلكِ الطَّريقَ الَّذي يَسلكُه النَّاسُ في عِلْم ما لم يَعلموا: وهو الأَخْذُ من أَهْلِ العِلم وقراءةِ الكتُب، فعُلم أنَّ ذلك لم يحصُل له إلَّا بالوَحيِ مِن الله.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾؛ أي: لـ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾، ومَعناه: ما يُوحَى إليَّ إلَّا لِلإنذَار، فحُذف اللامُ وانتصَبَ بإفضاء الفِعل إليه.

ويجوز أن يَرتفع على مَعنى: ما يُوحَى إليَّ إلَّا هذا، وهو أَن أُنذِرَ وأُبلِّغَ ولا أُفرِّط في ذلك؛ أي: ما أُؤمَرُ إلَّا بهذا الأَمْرِ وحْدَهُ وليس إليَّ غيْرُ ذلك.

وقرئ: ﴿إنما﴾ بالكسر على الحِكاية؛ أي: إلَّا هذا القولُ، وهو أنْ أقولَ لكم: ﴿إنَّما أنا نذيرٌ مبيْنٌ﴾ ولا أدَّعِي شيئًا آخر.

و"ما" في "ما أُنذِرُكم" أيضًا بمعنى "الذي"، وهو مبتدأ خبرُه "عقوبةُ"، والعائد مِن الصلة إلى الموصول محذوف.

قوله: (**لا يُعْرِض**)... إلخ هذا يُفهم بالذَّوق مِن قوله: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ بعد قوله: ﴿هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾، فكأنّه قيل:[١] يا هؤلاء الغافلون تُعرِضون عنه لغفلتِكم.[٢]

قوله: (**ثمّ علِمه**) أتى[٣] بـ"ثمّ" إشارة إلى البَون البعيد بين عدم العلم بالشيء والعلمِ به مِن غير سلوك طريق التعلّم.

---

١ ف: وكأنّه قال.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ يعني: الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ١٠١/٧ (ص، ٦٩/٣٨).

٣ ن: إلى.

وقيل: النَّبأ العَظيم: قَصَصُ آدم والإنباءُ به من غيْر سَماعٍ من أَحدٍ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: القرآنُ.

وعن الحسن: يوم القِيامَة.

فإن قلتَ: بمَ يتعلَّقُ ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؟

قلتُ: بمحذُوفٍ؛ لأنَّ المعنى: ما كانَ لي من علمٍ بكلامِ الملأ الأعلَى وقتَ اختصَامِهِم، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

فإن قلتَ: ما المرادُ بالملأِ الأعلَى؟

قلتُ: أصحَابُ القصَّةِ: الملائكةُ وآدمُ وإبليسُ؛ لأنَّهُم كَانُوا فِي السَّماءِ وكانَ التَّقَاولُ بينَهُم.

فإن قلتَ: ما كانَ التَّقَاولُ بينَهُم، إنَّما كانَ بينَ الله وبينَهُم؛ لأنَّ الله سُبحانَهُ هُو الَّذِي قالَ لهُم وقالُوا لَهُ، فأنتَ بينَ أمرَينِ: إمَّا أن تقُولَ: "الملأ الأعلَى هؤلاءِ وكانَ التَّقَاولُ بينَهُم" ولم يكُنِ التَّقَاولُ بينَهُم، وإمَّا أن تقُولَ: "التَّقَاولُ كانَ بينَ اللهِ وبينَهُم" فقد جَعَلْتَهُ من الملأِ الأعلى.

قلتُ: كانت مُقَاوَلَةُ اللهِ سبحانه بواسِطَة مَلك، فكانَ المقَاوِلُ في الحقيقةِ هو الملَكُ المتَوسِّطُ، فصحَّ أن التَّقَاولَ كانَ بينَ الملائِكَةِ وآدَمَ وإبليسَ وهُم الملأُ الأَعلَى، والمرَادُ بالاختِصَامِ: التَّقَاوُل، على مَا سبَقَ.

قوله: **(بدَل)** وقوله:[١] ﴿إِن يُوحَىٰٓ﴾... إلخ جملة معترِضة بين البدَل والمبدَل منه.

قوله: **(قلتُ: أصحابُ القِصَة)**... إلخ أي: أصحاب هذه القصَة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾... إلخ، وقوله: **(الملائكةُ)** بدَل مِن "أصحاب".[٢]

قوله: **(هؤلاء)**[٣] أي: الملائكة، وآدم، وإبليس.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن - هذه القصة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾... إلخ، وقوله: (الملائكةُ) بدل مِن "أصحاب".

[٣] ن - هؤلاء.

فإن قلتَ: كيفَ صحَّ أن يَقُولَ لَهُم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ وما عرَفُوا مَا البَشَرُ، ولا عَهِدُوا به قَبلُ؟

قلت: وجهُه: أن يكُونَ قد قالَ لهُم: إنِّي خالِقٌ خَلقًا من صِفَتهِ كَيتَ وكَيتَ، ولكنَّهُ حين حَكَاهُ اقتصَرَ على الاسمِ.

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾: فإذَا أتمَمْتُ خلْقَهُ وعدَلتُهُ ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وأحيَيْتُهُ وجَعَلتُهُ حسَّاسًا مُتنفِّسًا ﴿فَقَعُواْ﴾: فَخِرُّوا.

"كُلٌّ": للإحَاطَةِ، و﴿أَجۡمَعُونَ﴾ للاجتِمَاعِ، فأفادَا معًا أنَّهُم سجَدُوا عن آخِرِهِم مَا بَقِيَ منهُم ملَكٌ إلَّا سجَدَ، وأنَّهُم سجَدُوا جَمِيعًا في وَقتٍ واحِدٍ غيرَ مُتفرِّقِينَ في أوقَاتٍ.

فإن قلتَ: كيفَ سَاغَ السُّجُودُ لغَيرِ اللهِ؟

قلتُ: الَّذِي لا يَسُوغُ هُو السُّجُودُ لغَيرِ اللهِ على وَجهِ العِبَادَة، فأمَّا عَلَى وَجهِ التَّكرِمَة والتَّبجِيلِ فلا يَأبَاهُ العَقلُ، إلَّا أن يَعرِفَ اللهُ فيه مفسَدَةً فيَنْهَى عنهُ.

فإن قلتَ: كيف استُثنِيَ إبلِيسُ من الملائِكَةِ وهُو منَ الجِنّ؟

قلتُ: قد أُمِرَ بالسُّجُودِ معَهُم فغُلِّبُوا عَليهِ في قولهِ ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ثُمَّ استُثنِيَ كمَا يُستَثنَى الوَاحِدُ منهُمْ استِثْنَاءً مُتَّصِلًا.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أُرِيد وجُودُ كفرهِ ذلكَ الوقت وإن لم يَكُنْ قبلَهُ كَافِرًا؛ لأنَّ "كان" مطلَقٌ في جنسِ الأوقَاتِ الماضِيَةِ فهُو صَالِحٌ لأيِّهَا شئتَ.

ويَجُوزُ أن يُرَادَ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في الأَزمِنَةِ الماضِيَةِ في علمِ اللهِ.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾

فإن قلتَ: ما وَجهُ قولِه: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾؟

قلتُ: قد سبقَ لنا أنَّ ذا اليَدَينِ يُبَاشِرُ أكثرَ أعمَالِهِ بيدَيه، فغُلِّبَ العَمَلُ باليَدَينِ عَلَى سَائِرِ الأَعمَالِ التي تُبَاشَرُ بغَيرِهِما، حَتَّى قيلَ في عمَلِ القَلبِ: هُو ممَّا عَمِلَت يدَاكَ، وحَتَّى قِيلَ لمَن لا يَدَي لَهُ: "يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ"، وحتَّى لم يبقَ فَرقٌ بينَ قولِكَ: "هَذا ممَّا عمِلتَهُ" و: "هَذَا ممَّا عملَتْهُ يدَاكَ"، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس ٧١/٣٦] و﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

فإن قلتَ: فمَا مَعنَى قولِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؟

قلتُ: الوَجْهُ الَّذِي اسْتنكَرَ لَهُ إبليسُ السُّجودَ لآدَمَ واستنكَفَ مِنهُ: أَنَّهُ سُجُودٌ لمخلُوقٍ، فذَهَبَ بنَفْسِهِ وتكَبَّرَ أن تكُونَ سجْدَتُه لِغَيرِ الخَالِقِ، ....

قوله: (**لا يَدَي له**) مثل: لا غُلامَي له، ولا أبا له.[١]

قوله: («**يداكَ أَوكَتا وفُوك**[٢] **نفَخ**») يُقال: أَوكى على ما في سِقائه، أي:[٣] شَدَّه بالوِكاء. والوِكاء:[٤] ما يُشدّ به رأس القِرْبة.[٥] وأصل المَثَل: أنّ رجلًا نفَخ في قِرْبة حتّى ملأها مِن الريح، ثمّ عصَب رأسها بالوِكاء، وشدَّها على وسطه وخاض البحر، فأخذ الوِكاءُ ينحلّ ويخرج منها الريح، وخاف الغرق، فكان يستغيث ويستصرخ، فقيل له: «يداك أَوكَتا وَفوكَ نفخ». يعني: هذا[٦] ممّا عملتَه بيدك[٧] وبفيك، ثم صار مَثَلًا يُضرَب لِمَن[٨] عمل عملًا يرجو[٩] أن يكون سبَبَ نجاته، فانقلب الأمر وصار سببًا لهلاكه، سواء كان ذلك العمل ممّا يُعمل باليدين أو باللسان أو بغيرهما مِن الأعضاء والجوارح.[١٠]

/ قوله: (**ومنه قوله تعالى**: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس ٧١/٣٦]. [٣١٧ظ]

---

١ انظر: **الكافية** لابن الحاجب، ص ٢٧؛ **وارتشاف الضرَب** لأبي حيّان، ١٣١٣/٣.
٢ ن: وقوك.
٣ ن: إلى.
٤ ن: والوكائي.
٥ **الصحاح** للجوهري، «وكى».
٦ ن – هذا.
٧ ن: وبيدك.
٨ ن: لحسن.
٩ ف ن: يرجوا.
١٠ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٤١٤/٢.

وانضَمَّ إلى ذلِكَ أنَّ آدمَ مَخلُوقٌ من طينٍ وهُو مخلُوقٌ من نَارٍ، ورَأَى للنَّارِ فَضلًا على الطِّينِ فاسْتَعظَمَ أن يَسْجُدَ لمخلُوقٍ معَ فَضلِه علَيهِ في المنصِبِ.

وزَلَّ عَنهُ أنَّ اللهَ سُبحَانَهُ حينَ أمرَ بِهِ أعزَّ عبَادِهِ عليه وَأقربَهُم مِنهُ زُلفَى، وهُم الملائِكَةُ، وهُم أحَقُّ بأَن يذهَبُوا بأَنفُسِهِم عن التَّواضُعِ للبَشرِ الضَّئِيلِ ويَسْتَنكِفُوا مِنَ السُّجودِ لهُ من غَيرِهِم، ثُمَّ لم يفعَلُوا وتبِعُوا أمرَ اللهِ وجَعلُوهُ قُدَّامَ أَعْيُنِهم، ولم يَلتفِتُوا إلى التَّفَاوتِ بين السَّاجد والمسْجُودِ له تعظيمًا لأمْرِ ربِّهم وإجْلالًا لخطَابه= كان هو مع انحطِاطِ رُتبته عن مَراتبهم حَرًى بأن يَقتَدِيَ بهمْ ويَقتفيَ أثَرَهُم، ويَعلَمَ أنَّهُم في السُّجود لمن هُو دونهم بأمْرِ الله أوغلُ في عبَادتهِ منهم في السُّجُود له؛ لِمَا فيهِ من طرْحِ الكبرياء وخَفضِ الجناحِ، فقيل له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ أي: ما منعَك من السُّجُود لشيءٍ هو كمَا تقولُ: مخلوقٌ، خلَقْتُه بيَديَّ لا شكَّ في كونه مخلوقًا؛ امتِثالًا لأمْري وإعظامًا لخِطَابِي كما فعلتِ الملائكةُ، فذُكِرَ له ما ترَكَه

قوله: (كان هو) مظروف لقوله: (أَمَرَ به).

قوله: (حَرًى)[١] يقال: هو[٢] حَرًى أن يفعل ذلك -بالفتح-، أي: خَليق وجَدير، لا يُثنَّى ولا يُجمع، وإذا قلتَ: هو حَرٍ[٣] -بكسر الراء- وحَرِيّ -على فَعيل- ثنَّيتَ وجمعتَ فقلتَ: هما حَرِيَانِ، وهم حَرِيُّون، وأحْرِياء، وهي[٤] حَرِيَةٌ، وهنّ حَرِيَاتٌ وحَرايا، وأنتم أحْراءٌ؛ جمع حَرٍ، ومنه اشتقّ التَّحرّي[٥] في الإناءين ونحوهما، وهو طلبُ ما هو أحرَى بالاستعمال في غالب الظنّ، كما اشتُقّ التقمُّر مِن القَمَر.[٦]

قوله: (في عبادته) أي: عبادةِ الله تعالى. وقوله: (في السجود له) أي: لله تعالى.

قوله: (فقيل له) عطفٌ على جملة قوله: (الوجه الذي استَنكَر له إبليس)... إلخ.

---

١ ن: حسرى.

٢ ف - هو.

٣ ن: حسر.

٤ ن: أو هي.

٥ ن: التجرّي.

٦ كذا في الأصول الخطيّة، والعبارة في **الصحاح** للجوهري، «حرى»: "كما اشتُقّ التَّقمُّن مِن القَمَن". وهو الصواب. يقال: أنت قَمَنٌ أن تفعل كذا، بالتحريك، أي: خَليقٌ وجَديرٌ، لا يُثنَّى ولا يُجمع ولا يُؤنث، فإن كسرتَ الميم أو قلتَ: قَمينٌ؛ ثنَّيتَ وجمعتَ وأنّثتَ. **الصحاح** للجوهري، «قمن».

من السُّجُود مَع ذِكر العِلَّة التي تشبَّثَ بها في تركِه، وقيل له: لمَ تركْتَه مع وجود هذه العلَّةِ وقَد أمرَكَ الله بِهِ، يعني: كان عَلَيْك أن تَعتبرِ أمرَ اللهِ ولا تعْتبرَ هذِه العِلَّة.

ومثاله: أَن يأمُرَ المَلِك وزيرَه أن يزُورَ بَعض سُقَّاطِ الحشَم، فيمتنِعَ اعتبارًا لسُقُوطه، فيَقولَ له: ما مَنعَك أن تَتواضَع لمَن لا يَخْفَى عَليّ سُقُوطُه، يُريد: هَلَّا اعتَبرت أمْرِي وخِطابِي وتركتَ اعتبارَ سُقُوطِه، وفيه: أنِّي خلَقته بيَدَيَّ فأنَا أعْلم بحالِه، ومَع ذلك أمَرتُ الملائكةَ بأن يسجُدوا له لداعِي حكمةٍ دعَاني إليه: من إنعَامٍ عليه بالتَّكرِمَةِ السَّنيَّةِ، وابتِلاءٍ لِلملائكةِ، فمَن أنتَ حَتَّى يَصْرِفَك عن السُّجود له ما لم يَصْرِفني عن الأَمر بالسُّجُود له.

وقيل: معنى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: لِمَا خَلقتُ بغيرِ واسطةٍ.

وقرئ: "بيَدَيّ" كما قُرئ: ﴿بمصرخيّ﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤]، و: "بِيَدِي" على التَّوحيدِ.

﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: ممَّن عَلَوْتَ وَفُقْتَ، ....

قوله: (الحَشَم) حَشَمُ الرجل: خدَمُه ومَن يغضبُ له، سمُّوا بذلك لأنَّهم يَغضبون له. يقال: حَشمتُ الرجلَ وأحشَمتُه بمعنًى؛[١] وهو أن يجلسَ إليك فتؤذِيَه وتُغضِبَه. ابن الأعرابي: حَشَمْتُه: أخجَلتُه، وأَحشَمتُه: أغضبتُه،[٢] والاسم الحِشمة؛ وهو الاستحياء والغضب أيضًا.[٣]

قوله: (هلّا اعتبرتَ) "هلّا" حرف التحضيض، إذا دخل على الماضي يُفيد اللَّومَ على ترك ذلك الفعل.[٤] فهَهنا أفاد[٥] اللَّوم على ترك اعتبار الأمر والخطاب، وعلى تركِ تركِ اعتبارِ سقوطه.

قوله: (وقُرئ: "بِيَدَيِّ")... إلخ بكسر ياء الإضافة فيهما.[٦]

قوله: (﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ممَّن عَلَوتَ) تفسير ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ بقوله: "ممَّن عَلَوتَ" مُشكِل، ويُظنّ أنّ الصواب: ممَّن عَلَوا وفاقُوا. وكأنَّ المصنّف نظر إلى معنى "مَن"،

---

١ ن: بمعًنى.

٢ ن: أغضبة.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حشم».

٤ ف + فههنا أفاد اللومَ على تركِ ذلك الفعل.

٥ ن: أفاد.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن محيصن. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٢.

فأجَابَ بأنّه من العالين حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾.

وقيل: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ الآنَ ﴿أَمۡ﴾ لم تَزَلْ منذُ كنْتَ من المُستكبرِينَ؟ ومَعْنى الهَمزة: التقريرُ.

وقرئ: "استَكْبَرْتَ" بحذفِ حرفِ الاستفهام؛ لأنَّ ﴿أَمۡ﴾ تدلُّ عليه، أو بمَعْنى الإِخبار.

هذا على سبيل الأوْلَى؛ أي: لو كان مخلُوقًا من نارٍ لَمَا سجَدْتُ له

فإنّ المراد به المخاطَب وإن كان لفظه للغائب،[١] ثمّ كان المناسب على هذا أن يقول: عَلَوتم، لكن نظر مِن وجهٍ آخر إلى لفظ "مَن"، فإنّه مفرد اللفظ، فاعتُبر في "عَلَوت" معنى "مَن" باعتبارٍ، ولفظُه باعتبارٍ آخر.

قوله: **(فأجاب)**... إلخ المعنى على الوجه **الأوّل**: ادّعيتَ وتوخّيتَ وطلبتَ الكبرياء والعظمة لنفسك فوق ما أنت عليه، أم ما[٢] زِلتَ عاليًا فائقًا مِن القوم العالين الفائقين. وأمّا على الوجه **الثاني**: فأجاب بأنّه ما استكبر الآن،[٣] ولا كان قبل ذلك مُستكبرًا؛ بل هو كبير في نفسه خير مِن آدم.

قوله: **(ومعنى الهمزة: التقرير)**[٤] يعني: للتقرير والتوبيخ. أمّا على الوجه **الأوّل** فللتقرير بأحد الأمرين، لكنّ الأمر الثاني لم يكن قطعًا، وهو أن يكون عاليًا، فيتعيّن[٥] الأوّل، وهو الاستكبار، فيوبّخه[٦] عليه. وأمّا على الوجه **الثاني** فللتقرير بأحد الأمرين أيضًا، وهو أنّه استكبر الآن، أو لم يزل مستكبرًا، ثمّ يوبّخه على أيّهما[٧] وقع، فإنّ كلًّا منهما مستنكَر.[٨]

قوله: **(أو بمعنى الإخبار)** وإذا كان بمعنى الإخبار كان "أم" منقطعة.

قوله: **(على سبيل الأُولى)** أي: على سبيل القضيّة الأولى. وقوله: **(مِن الأُولى)** يعني قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾.

---

١ ن: للغالب.
٢ ن – ما.
٣ ن: الانَ.
٤ ن: التقدير.
٥ ن: فتعيّن.
٦ ن: فيوبّخني.
٧ ن: أنّهما.
٨ ن: مستنكبر.

لأنه مخلوقٌ مِثلِي، فكيف أسْجُدُ لمَن هُوَ دُونِي لأنه من طينٍ والنار تغلِبُ الطِّين وتأكُلُه؟ وقد جَرت الجُملة الثانية مِن الأُولى وهي ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ مَجْرى المَعطوف عطفَ البَيان من المعطوف عليه في البيانِ والإيضاح.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ٨١﴾

﴿مِنْهَا﴾: من الجنَّة، وقيل: من السَّماوات، وقيل: من الخِلقةِ التي أنتَ فيهَا؛ لأنَّه كان يَفتخِر بخِلْقتهِ، فغيَّر اللهُ خِلقتَه، فاسودَّ بعْدَ ما كان أبيَض، وقَبُح بعْدَ ما كان حَسَنًا، وأظلَم بَعد ما كان نُورانيًا.

و"الرجيم": المَرجُوم، ومَعناه: المطرُود؛ كما قيل له: المَدْحُورُ والملعون؛ لأن مَن طُرِدَ رُمِيَ بالحجارة على أثَره، والرَّجمُ: الرَّميُ بالحجارة، أو لأنَّ الشَّياطين يُرجَمُون بالشُّهُبِ.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ كأنَّ لَعنة إبليس غايتُها يومُ الدِّين ثمَّ تَنقطِعُ؟

قوله: **(كما قيل)** "كما"[١] خبرُ مبتدأ / محذوف، أي: قيل له: "المَطرود" كما قيل له: "المَدحور". [٣١٨و]

قوله: **(المَدحور)** الدَّحْرُ: الطَّردُ[٢] والإبعاد.[٣]

قوله: **(لأنَّ مَن طُرِدَ)** قوله: "لأنَّ مَن طُرِدَ" متعلّق بقوله: **(معناه: المَطرود)**، فكأنَّه قال: عنى بـ"الرجيم" المَطرودَ؛ لأنَّ مَن طُرِد[٤]... إلخ، فيكون[٥] مِن الكناية. وقوله: **(أو لأنَّ)**... إلخ فلا يكون كناية؛ بل تصريحًا، فهو عطفٌ على قوله: "ومعناه".

قوله: **(فإن قلتَ: قولُه: ﴿لَعْنَتِيٓ﴾)**... إلخ "قولُه" مبتدأ، "﴿لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾" خبره. فكأنَّ[٦] المصنّف قال: قولُ الله تعالى في ذِكر لعنِه إبليس هذا الكلام، يعني: فهو يقتضي انتهاء لعْنته بيوم الدين. ثمّ بيّن المصنّف هذا المعنى بقوله: **(كأنّ)**... إلخ.

---

[١] ن - كما.
[٢] ن: اطرد.
[٣] مجمل اللغة لابن فارس، «دحر».
[٤] ن: طراد.
[٥] ن: فتكون.
[٦] ن: فكأنّه.

قلتُ: كيف تَنقَطِعُ وقَد قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف ٧/٤٤]؟! ولكنَّ المَعنى: أَنَّ عليه اللَّعنةَ في الدُّنيا، فإذا كان يومُ الدِّين اقترَن له باللَّعنة ما تُنسَى عِندهُ اللَّعنةُ فكأنَّها انقطعَتْ.

فإن قلتَ: ما "الوقتُ المَعلُوم" الَّذي أُضِيف إليه "اليَومُ"؟

قلتُ: الوقت الَّذي تقعُ فيه النَّفخةُ الأُولى، ويَومُه: اليَومُ الَّذي وَقتُ النفخة جُزءٌ من أَجزائه، ومعنى المَعلوم: أنَّه مَعلومٌ عند الله مُعَيَّنٌ لا يَستقدِمُ ولا يَستأخِرُ.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ إقسَامٌ بعزَّة اللهِ وهي سُلطانُه وقَهرُه.

قرئ: ﴿فالحقَّ والحقَّ﴾ مَنصُوبَيْنِ على أنَّ الأوَّل مُقسَمٌ به كـ"اللهَ" في:

إنَّ عليـــــك اللهَ أن تُبايِعَـــــا

وجَوابُه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾: اعتراضٌ بَين المُقسَم به والمُقسَم عليه، ومَعناه: ولا أَقُولُ إلَّا الحقَّ.

والمرادُ بالحقِّ: ....

قوله:

(أنّ عليـــــك[1] اللهِ أن تُبايِعَـــــا)

تمامه:

تُــؤخَــذَ[2] كَــرْهًــا وتُـــرَدَّ طائعًـا[3]

قوله: "اللهِ" مقسَمٌ به، كأنّ أحدًا[4] أُخذ بأن يُبايع واليًا، وقيل له: إنّ عليك أن تُبايِع؛ أحْلِفُ بالله أُخذتَ كَرهًا[5] لأجل ذلك، ثمّ بعد المبايعة تُرَدّ[6] طوعًا.

قوله: (والمراد بـ﴿ٱلْحَقُّ﴾) أي: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الأوّل.

---

١ وفي هامش د ف: عَليّ، أو تجيءَ.
٢ ن + عليّ.
٣ بغير نسبة في الكتاب لسيبويه، ١/١٥٦.
٤ ن: أحد.
٥ ن: كثرها.
٦ ن + أو تجيء.

إمَّا اسْمُه عَزَّ وجَلَّ الَّذي في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور ٢٤/٢٥]، أو الحقُّ الذي هو نقيضُ الباطل، عَظَّمه اللهُ بإقسَامِه به.

ومَرفُوعَيْن: على أنَّ الأوَّل مُبتدأ مَحذوفُ الخَبر كقوله: "لعَمرك"؛ أي: فالحقُّ قَسَمي لأَملأنَّ، "والحَقُّ أقُولُ"؛ أي: أَقولُهُ؛ كقَوله:

كُــــلُّــــه لَـــم أَصْـــنَـــعِ

ومجرُورَيْنِ: عَلى أنَّ الأوَّل مُقسَمٌ به قد أُضمِر حَرْفُ قسَمهِ كقولك: اللهِ لأفعلنَّ، "والحقِّ أقُول"؛ أي: "ولا أَقُول إلَّا الحقِّ" عَلى حكاية لَفظِ المُقسَمِ به، ومَعناه: التَّوكيدُ والتَّشديدُ، وهذا الوجه جَائزٌ في المنصُوب والمَرفوع أَيضًا، وهُو وجهٌ دقِيقٌ حَسنٌ.

وقرئَ: برفعِ الأوَّلِ وجَرِّهِ مع نصب الثانِي، وتَخريجُه على ما ذكَرنا.

﴿مِنكَ﴾: من جنْسِك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذريَّة آدمَ.

فإن قلتَ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيدٌ لِمَاذَا؟

قلتُ: لا يخلُو: أن يؤكَّد به الضَّميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾، ....

قوله:

(كُـــلُّـــه لـــم أصـــنـــعِ)

قال الشاعر:

قـد أصبـحَـتْ أمُّ الـخِيار تدَّعي   عـلـيَّ ذَنـبًـا كُـلُّـه لـم أصـنـعِ[1]

قوله: **(وقُرئ برفع الأوّل)**... إلخ وجه رفع **الأوّل** ونصب **الثاني**: "فالحقُّ قَسَمِي لَأملأنَّ، والحقَّ أقول".[2] ووجه جرّ **الأوّل** ونصبِ **الثاني**: "فبالحقِّ لَأملأنّ، والحقَّ أقول". وعلى كلا الوجهين ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة معترِضة بين القسَم وجوابه.

---

[1] لأبي النجم العجلي في ديوانه، ص ٢٥٦.

[2] ن: لقول.

أو الكافُ في ﴿مِنكَ﴾ مَع "مَن تبِعَك"، ومَعناه: لأَمْلأَنَّ جهنَّم من المَتبُوعيْنَ والتَّابِعين أَجْمعين لا أتركُ مِنْهم أَحَدًا. أو: لأَملَأنَّها من الشَّيَاطين وممَّن تَبِعَهُم مِن جميع النَّاس لا تفاوُتَ في ذلك بين ناسٍ وناسٍ بَعد وجُود الأتباع مِنهم من أولادِ الأنبياء وغيْرِهم.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضَّميرُ للقرآنِ أو لِلوَحْيِ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: مِن الذين يَتصنَّعُونَ ويَتحلَّونَ بما ليْسُوا من أَهْلِه، وما عَرَفْتُموني قَطُّ مُتصَنِّعًا ولا مُدَّعيًا ما ليسَ عِنْدِي حتَّى أنتَحِلَ النُّبوةَ وأتقوَّلَ القرآنَ.

قوله: (ومعناه:[1] لَأملأنّ جهنّم)... إلخ هذا على تقدير أنْ يؤكّد به الكاف في ﴿مِنكَ﴾ مع ﴿مِمَّن تَبِعَكَ﴾. وقوله: (أو لَأملأنّها)... إلخ على تقدير[2] أن يؤكَّد به الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾. وقوله: (لا أترك منهم) أي: مِن المتبوعين والتابعين. وقوله: (مِن أولاد الأنبياء) بيان "ناسٍ ونَاسٍ". وقوله: (أو "الكاف" في ﴿مِنكَ﴾ مع ﴿مِمَّن تَبِعَكَ﴾). فإن قيل: هذا لا يجوز؛ إذ يلزم منه أن يكون اللفظ الواحد -وهو ﴿أَجْمَعِينَ﴾- تأكيدًا[3] للَفظين قد عَمِلَ فيهما عاملان، أي: عَمِلَ في كلّ واحدٍ عاملٌ غيرُ العامل في اللفظ الآخر، فيلزم أن يعمل في اللفظ الواحد عاملان، وبُطلانُ ذلك ظاهر، قلنا: إنّما جاز ذلك لأنّ العاملَين ههنا في حكم عامل واحد؛ لأنّه إنّما أعيدَ "مِن" لامتناع العطف على المضمَر[4] المجرور مِن غير إعادة العامل، فالثاني ليس مقصودًا بالذات؛ بل هو زائد معنًى جيء به لاستحسانٍ لفظيّ.

قوله: (مِن الذين)... إلخ تفسير ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾. وقوله: (وما عَرفتموني)...[5] إلخ إشارة إلى أنّ إدخال حرف النفي على ﴿أَنَا۠﴾ أفاد أنّ حالَه يُنافي التكلّف والتصنّع وادّعاء ما ليس عنده.

---

١ ن: معناه.
٢ ن: تقديرا.
٣ ن: تأكيد.
٤ ن: الضمير.
٥ ن: وما غيرفتموني.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ﴾؛ أي: ما هو إلا ذكر من الله ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: للثَّقلَينِ، أُوحِيَ إليَّ فأنَا أُبلِّغُه.

وعن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «للمُتكلِّف ثلاث علامات: يُنازِعُ مَن فوقَهُ، ويَتعَاطَى ما لا ينَالُ، ويَقُولُ ما لا يَعْلَمُ».

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾؛ أي: ما يَأتِيكُم عند المَوت، أو يومَ القِيامة، أو عِند ظهُورِ الإسلام وفشُوِّه من صحَّةِ خبرِه وأنَّه الحقُّ والصِدقُ، وفيه تَهْديدٌ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سُورةَ صَادٍ كان له بوَزنِ كلِّ جَبلٍ سَخَّره اللهُ لداوُد عشْرُ حَسناتٍ وعصَمَه أَن يُصِرَّ على ذنْبٍ صغير أو كبيرٍ».

قوله تعالى: ﴿نَبَأَهُۥ﴾ أي: خبرَ **القرآن**، يعني: الخبرَ[1] الذي في **القرآن**. والمعنى: أنّ ما أخبرَ[2] به **القرآن** ممّا يأتيكم[3] عند الموت أو يومَ القيامة أو عند ظهور الإسلام ستعلمون أنّه صدق.

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[4]

---

١ ن: خبر.
٢ ن: أخبره.
٣ ن: يأتكم.
٤ ف - ومنّه وكرمه؛ ف + تعالى.

سورة الزمر

مكيةٌ إلا قولَه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية،
وتسمَّى: سورةَ الغرف، وهي خمسٌ وسبعون آية، وقيل: ثنتان وسبعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قرئ بالرفع على أنه مبتدأٌ أُخْبِر عنه بالظَّرف، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ والجارُّ صلةُ التَّنْزيلِ؛ كما تقول: نُزِّل من عند الله، أو غيرُ صلةٍ كقولك: "هذا الكتاب من فلانٍ إلى فلانٍ" وهو على هذا خبرٌ بَعد خَبر، أو خبرُ مبتَدأ مَحذوف تقديرُه: "هذا تنزيلُ الكتاب هذا من الله"، أو حالٌ من التنزيل عَمِل فيها مَعنى الإشارة.

وبالنَّصب على إضمار فعلٍ؛ نحو: اقرَأْ والْزَمْ.

/ سورة الزُّمَر [٣١٨ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (**بالظرف**) أي: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، لا كما يقول المشركون: إنّ محمّدًا يَقولُه مِن تلقاء نفسه. وقيل: معناه: تنزيلُ الكتاب مِن الله، فاستمِعوا له، واعمَلوا به.

قوله: (**هذا الكتاب مِن فلان**) "هذا الكتاب" مبتدأ، و"مِن فلان" خبره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا﴾ ليس تكرارًا؛ لأنّ **الأوّل** كالعُنوان، **والثاني** لبيان ما في الكتاب.

---

١ ف – وبه نستعين.

فإن قلتَ: ما المراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؟

قلتُ: الظاهرُ على الوجه الأوَّل: أنّه القرآنُ، وعلى الثاني: أنّهُ السُّورة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: ممَحِّضًا له الدِّينَ من الشِّرك والرِّياء بالتَّوحيد وتصْفِيَةِ السِّرّ. وقرئ: "الدِّينُ" بالرفع، وحَقُّ مَن رفَعَه أن يَقْرأ "مُخلَصًا" بفتح اللام، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء ٤/١٤٦]، حتى يطابِقَ قولَه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ والخالِصُ والمُخلَصُ: واحدٌ، إلَّا أن يصِفَ الدِّينَ بصفةِ صَاحِبهِ على الإسناد المجازيِّ كقَولهم: "شعرٌ شاعرٌ".

قوله: (**قلتُ: الظاهر على الوجه الأوّل**) يريد بـ"الوجه الأوّل" أن يكون مبتدأً خبره الظرف، وبـ"الثاني" أن يكون خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (**مُمَحِّضًا**) فيكون ﴿مُخْلِصًا﴾ حالًا مِن الضمير المستتر في ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾.[١]

قوله: (**"مُخْلَصًا" بفتح اللام**)[٢] فيكون حالًا مِن لفظة[٣] ﴿ٱللَّهَ﴾، أو يكون حالًا مِن الضمير المستتر في ﴿لَّهُ﴾، المتحوِّلِ إليه مِن العامل المحذوف، أو يكون حالًا مِن "العابد"،[٤] ويكون "الدِّينُ" مرفوعًا به كالصفة[٥] بحال متعلَّق الموصوف، ويكون اللام في "الدِّينُ"[٦] بدلًا مِن الضمير، أي: دينُك، وبه يرتبط الحال بذي الحال.

قوله: (**إلّا أن تَصِفَ**)...[٧] إلخ فيكون أيضًا حالًا مِن المستتر في ﴿لَّهُ﴾، بأن يكون "الدِّينُ" مبتدأً ﴿لَّهُ﴾ خبره. والأصوب أن نقول: "مُخْلَصًا" حال مِن لفظة ﴿ٱللَّهَ﴾، و"الدِّينُ" مرفوع به، و﴿لَّهُ﴾ حال مِن "الدِّينُ"، وبه يرتبط الحال بذي الحال.

---

١ ن + في فاعبد الله.

٢ قراءة "لَهُ الدِّينُ" بالرفعِ قراءةٌ شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٢.

٣ ن: لفظ.

٤ ن: العائد.

٥ ن: كالقصة.

٦ ن: الذين.

٧ ن: تعف.

وأمَّا من جَعل "مخلِصًا" حالًا مِن العابِد، و"له الدِّينُ" مبتَدأً وخبرًا، فقد جاء بإعرابٍ رَجَع به الكَلامُ إلى قولك: ﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أي: هو الذي وجَب اختصاصُه بأنْ تُخلَصَ له الطَّاعةُ من كلِّ شَائبةِ كدَرٍ؛ لاطِّلاعهِ على الغيُوب والأَسْرار، ولأنَّه الحقِيقُ بذلك لخلُوص نعمَتِه عن استجرار المَنفعة بها.

وعن قتادة: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله.

وعن الحسن: الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ يَحتمِلُ المتَّخِذِين وهُم الكَفرةُ، والمُتَّخَذِين وهم الملائكةُ وعِيسَى عليهم السلام واللاتُ والعُزَّى عن ابن عباس، فالضميرُ في ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ على الأوَّلِ راجعٌ إلى ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وعلى الثَّاني إلى المشرِكين ولم يَجْرِ ذكرُهم لكوْنه مَفْهومًا، والرَّاجعُ إلى ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ محذوف، والمَعنى: والَّذِين اتخذهُم المشركُون أولِيَاء.

قوله: (**رجع به[1] الكلام إلى قولك**) لأنَّه[2] يتمّ الكلام عند قوله: ﴿مُخْلِصًا﴾، ويكون قوله: "لهُ الدِّينُ" ابتداء كلام، فيكون المعنى كما ذكر، يريد أنّ هذا الكلام غير سديد، فلا يَحسُن الإتيان بالإعراب على وجهٍ يؤدِّي إلى هذا الكلام. وكرّر المصنّف قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لأنّه ذكره أوّلًا لمعنى قوله: (**فقد جاء بإعرابٍ**)... إلخ، ثمّ ذكره ثانيًا ليَذكر تفسيره، وإنّما كرّر لهذا المعنى لئلّا يتوهّم تعلّق قوله: (**أي: هو**)... إلخ بما قبله.

قوله: (**لكونه مفهومًا**) اللام في "لكونه" متعلّقٌ بما تعلّق به (**إلى المشركين**)، أي: راجع إلى المشركين؛ لكون رجوعه إليهم مفهومًا، وإن لم يَجْرِ ذكرهم.

---

[1] ن - به.

[2] ن: لا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ في مَوضِع الرَّفع على الابتداء.

فإن قلتَ: فالخَبرُ ما هو؟

قلتُ: هو على الأول إمَّا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ أو ما أُضمِرَ من القول قَبلَ قولِهِ: ﴿مانعبدهم﴾، وعلى الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

فإن قلتَ: فإذا كان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ الخبَرَ فما مَوضعُ القَول المُضمَر؟

قلتُ: يجوز أن يكون في مَوضعِ الحال؛ أي: قائِلينَ ذلك، ويجوز أن يكُونَ بَدلًا من الصِّلة فلا يكونَ له محَلٌّ كما أَنَّ المبْدَلَ مِنه كذلك.

وقَرأ ابنُ مسعُود رضي الله عنه بإظهار القَول: "قالوا ما نعبدُهم".

وفي قراءة أُبَيّ رضي الله عنه: "ما نَعبُدكُم إلا لتُقَرِّبُونا" عَلى الخطابِ حكايةً لِمَا خاطبُوا به آلِهَتهم.

وقرئ: "نُعْبُدهم" بضم النون إتْباعًا للعَيْنِ؛ كَما تُتبِعُهَا الهَمزةَ في الأمْرِ، والتنوينَ في ﴿عذابِنُ اركض﴾ [ص ٣٨/٤١-٤٢].

والضمير في ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ لهُم ولأوليَائهِم، والمعنى: إنَّ الله يحكُمُ بينَهُم بأنَّه يُدْخِلُ الملائكةَ وعيسَى الجَنَّةَ ويُدْخلُهم النَّار معَ الحجَارة التي نَحتُوهَا وعَبدُوها مِن دون الله يُعذِّبُهم بها حَيث يجعَلُهم وإيَّاهَا حصَبَ جهنَّمَ.

واختِلافُهم: أنَّ الذين يُعبَدون مُوَحِّدُونَ وهم مُشركون، ....

قوله: (**"قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ"**) هذا بيان قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما.[1]

قوله: (**للعَين**) أي: لعَين الكلمة، وهو الباء.

قوله: (**في الأمر**) نحو: انْصُر، اعْبُد.

قوله: (**واختلافهم أنّ الذين**)[2]... إلخ ذكر ثلاثة أنواع مِن الاختلاف على هذا الوجه، وهو أنّ الضمير لهم ولأوليائهم: **الأوّل**: أنّ المعبودين موحِّدون،

---

[1] قراءة شاذّة، وهي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ومجاهد في شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٢.

[2] ن: واختلاقهم أنّ الدين.

وأولئك يُعَادُونَهم ويَلعَنُونَهم وهُم يَرْجُونَ شفَاعَتهم وتَقرِيبَهم إلى الله زُلفَى.

وقيل: كان المُسلمون إذا قالُوا لهُم: مَن خلَق السَّماوات والأرض؟ أقرُّوا وقَالوا: اللهُ، فإذا قالوا لَهُم: فما لكم تَعبُدُون الأَصنام؟ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عَائِدٌ إليهم وإلى المُسلمين، والمَعنى: إنَّ الله يَحكم يومَ القيامة بين المُتَنازِعِين من الفريقَيْنَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ المرادُ بمَنعِ الهداية: منعُ اللُّطف تسْجِيلًا عَليهم بأنْ لا لُطْفَ لهُم، وأنَّهم في عِلم الله من الهَالكين.

وقرئ: "كذَّابٌ"، و: "كَذُوبٌ".

وكذِبُهم: قولُهم في بَعضِ مَن اتَّخذُوا من دُون الله أولياء: بناتُ اللهِ، ولذلك عَقَّبه محتجًّا عليهم بقَوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ يَعْني: لو أرَادَ اتِّخاذَ الولدِ لامتنَع ولم يَصِحَّ لكونه مُحالًا، ولم يَتأتَّ إلَّا أن يَصْطَفِيَ من خَلْقِه بعضَه ويختصَّهُم ويُقرِّبَهُم كما يَختصُّ الرَّجُلُ ولدَه ويُقرِّبُه،

والعابدون مشركون. **والثاني**: المعبودين يُعادون العابدين، وأنّ العابدين يرجون شفاعتهم، كأنّهم يظنُّون أنّ المعبودين يحبُّونهم، فلذلك كان هذا[١] اختلافًا. **والثالث**: أنّ المعبودين يلعنون العابدين، واللَّعْن: الطَّرْدُ والإبعاد مِن رحمة الله تعالى، والعابدين يرجون أنّ المعبودين يُقَرِّبونهم إلى الله زُلْفى، ففي تقرير الثاني والثالث لفّ ونَشر.

قوله: **(المراد بمنع الهداية منعُ اللُّطف)**[٢] الهدايةُ مَلزوم للُّطف، فذُكرَ الهداية وأُريدَ اللطف، / فإذا[٣] قيل: لا[٤] يَهدي، فكأنّه قيل: لا يَلْطُفُ. [٣١٩و]

قوله: **(تسجيلًا)** مفعول له مِن "المراد"، كأنّه قال: أراد ليُسجِّل.

قوله: **(ولذلك)** أي: ولأنّ كَذِبَهم قولُهم عقَّبَه.

---

١ ن – هذا.
٢ ن: لطف.
٣ ن: وإذا.
٤ ن: الا.

وقد فعَل ذلك بالمَلائكة فافتُتِنْتُم به، وغرَّكُم اختصَاصُهُ إيَّاهُم فزعَمْتُم أَنَّهُم أَوْلادُهُ جَهْلًا مِنكم به وبحقيقتِه المخالِفة لحقائقِ الأجْسَام والأعْراض، كأنَّه قال: لَو أرادَ اتِّخاذ الوَلدِ لم يَزِد على ما فعَل مِن اصْطِفاءِ ما يَشاء من خلْقِه وهُم الملائكَةُ، إلَّا أنكُم لجَهلِكُم به حَسِبْتُم اصطفَاءَهُم اتِّخاذَهم أولادًا، ثمَّ تَمادَيْتُم في جَهْلِكُم وسَفَهِكم فجَعلتُموهُم بنَاتٍ، فكُنتم كذَّابينَ كَفَّارين مُتَبالِغين في الافتراء على الله ومَلائكتِهِ غالِين في الكُفر.

ثمَّ قال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ فَنزَّهَ ذاتَه عن أن يكون له أحَدُ ما نَسَبُوا إليه من الأَوْلادِ والأولياء، ودَلَّ على ذلك بما يُنافيه، وهو أَنَّه واحِدٌ فلا يجوز أن يكون له صاحِبَةٌ؛ لأنَّه لو كانَتْ له صاحِبةٌ لكانت من جنسِه ولا جِنسَ له، وإذا لم يتأتَّ أن يكونَ له صَاحبةٌ لم يتأتَّ أن يكون له وَلدٌ، وهو مَعنى قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام ٦/١٠١].

و"قهَّارٌ": غَلَّابٌ لكلِّ شيءٍ، ومن الأشياء آلهتُهم، فهو يَغلِبُهم فكيف يكونُونَ له أولياء وشُركاء؟

ثم دلَّ بخَلْقِ السَّماوات والأرض، وتكويرِ كلِّ واحدٍ من المَلَويْن على الآخر، وتسْخيرِ النَّيِّرينِ وجَرْيهما لأجَلٍ مُسَمًّى، وبَثِّ الناسِ على كثرةِ عدَدِهم من نفسٍ واحدةٍ، وخَلقِ الأنعام= على أنَّه واحِد لا يُشارَك، قهَّارٌ لا يُغالَبُ.

قوله: **(اصطفاءَهم)** مفعول أوّل لـ"حسبتم". وقوله: **(اتّخاذَهم أولادًا)** مفعول ثانٍ له.

قوله: **(ودلّ على ذلك)** أي: على تنزُّهه مِن الأولاد والأولياء، فدلّ على تنزّهه عن الأولاد قوله: ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾، وعلى تنزهه عن الأولياء قوله: ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ على الوجه الذي بيّن المصنّف رحمه الله.[1]

[1] د - رحمه الله.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾

و"التكويرُ": اللَّفُّ واللَّيُّ، يقال: كارَ العِمَامةَ على رأسه وكوَّرها. وفيه أوْجُهٌ:

مِنها: أنَّ اللَّيل والنَّهار خِلْفَةٌ يَذهَبُ هذا ويَغْشى مكانَه هذا، وإذا غَشِيَ مكانَه فكأنَّما أُلْبِسَهُ ولُفَّ عَليه كما يُلفُّ اللِّباسُ على اللَّابس، ومنه قولُ ذي الرُّمَّة في وصف السَّرابِ:

تَلْوِي الثَّنَايا بأَحْقِيهَا حَواشِيَهُ   لَيَّ المُلاءِ بأبوَابِ التَّفاريجِ

قوله: (كارَ العِمامةَ) كارَ العِمامةَ على رأسِه يَكورها كَورًا: لَاثَها، وكُلُّ دَوْرٍ كَوْرٌ، وقولهم: "نعوذُ[1] بالله مِن الحَوْرِ[2] بعد الكَوْرِ"، أي: مِن النقصان[3] بعد الزيادة.[4]

قوله: (وفيه أوجُه) أي: في التكوير.

قوله:

(تَلْوي الثنايا بأحْقيها حواشيَه   لَيَّ[5] المُلاءِ بأبواب التفاريجِ)[6]

الثنيّة: العقَبة. والحَقْوُ: الإزار،[7] والخَصْرُ، أي: وسْط الإنسان.[8] قال في **الصحاح**: «الحَقْو:[9] الإزار».[10] وقال في **المُجمل**: «الحَقْوُ: الإزار، وأيضًا الحَقْوُ: الخَصْر، ومَشَدُّ الإزار».[11] و"المُلاء" -بالضمّ والمدّ- جمع مُلاءةٍ؛ وهي الجِلْباب[12] والشَّوذَر. والتِّفراج: الباب الصغير. والحواشي: الجوانب.[13] أي: تَلْوي الهضابُ

---

١ ن: يعود.

٢ ن: الجور.

٣ ن: اليفضان.

٤ **الصحاح** للجوهري، «كور».

٥ ن: إلى.

٦ لذي الرمّة في **ديوانه**، ٢/٩٩٠.

٧ ن: الإزاري.

٨ ن - والخصر، أي: وسط الإنسان.

٩ وفي هامش د ف: وثلاثة أَحْقٍ، وأصله: "أَحْقُوٌ" على أفعُل، أُعِلّ كإعلال "أَدْلٍ".

١٠ **الصحاح** للجوهري، «حقا».

١١ **مجمل اللغة** لابن فارس، «حقو». | وفي هامش د ف: قوله: (فسمّى الحِلمَ عنهم مغفرة) يحتمل أن يكون كناية، فإنّ المغفرة مِن توابع الحِلْم وجودًا، ويحتمل أن تكون مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فإنّه كلّما كانت المغفرة كان الحِلْم، تأمّل.

١٢ ن + قوله.

١٣ ن: الجواب؛ ف: الجانب.

ومنها: أن كلَّ واحدٍ منهما يُغيِّبُ الآخر إذا طَرأ عَليه، فشُبِّه في تَغييبه إيَّاهُ بشيءٍ ظاهرٍ لُفَّ عليه ما غيَّبَه عن مَطامح الأبصار.

ومنها: أنَّ هذا يَكرُّ على هذا كرُورًا مُتَتابعًا، فشُبِّه ذلك بتَتَابُع أَكْوارِ العِمامة بعضِها على إِثْرِ بَعْضٍ.

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ القادرُ على عِقاب المُصرّين ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوبِ التَّائبينَ.

أو: الغالبُ الَّذي يَقدِر على أَن يُعَاجِلَهُم بالعقُوبة، وهو يَحْلُمُ عَنهم ويُؤَخِّرُهم إلى أجلٍ مُسمًّى، فسَمَّى الحِلْمَ عَنهم: مَغفِرةً.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ⑥﴾

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وما يُعطِيه من مَعنى التراخي؟

قلتُ: هما آيتَانِ من جُملة الآياتِ التي عَدَّدَها دَالًّا على وَحْدانيَّتِه وقدْرتِهِ: تَشْعيبُ هذا الخلقِ الفَائتِ للحَصْر من نفسِ آدمَ، وخَلْقُ حوَّاءَ من قُصَيْرَاه،

بأوساطها حواشي السَّراب مثلَ لَيِّ المِرْط بأبواب الدار. والشاهد[1] أنّ المراد باللَّيِّ غِشْيانُه مكانَه.[2] و"الثنايا" فاعل "تَلْوي".[3]

قوله: **(وما يُعْطِيه مِن معنى التراخي)** عطَفَ[4] قولَه: "وما يُعطيه" على قوله:[5] **(قولِه)**، وهو مِن العطف الذي يكون للبيان، كقولك: أعجبني زيد وكرمُه.

قوله: **(قلتُ: هما آيتان)** "هما" ضمير مُبهَم، وقوله: **(تشْعيبُ... وخَلقُ)** بيان له. والتشعيب: التفريق.[6]

قوله: **(مِن قُصَيْراه)** القُصَيرى: الضِّلَع الأسفل، وهو أقصر الضلوع.

---

[1] ن: الشاهد.
[2] ن - مكانه.
[3] ن + قوله: (فكانت) أي: فكانت الأخرى.
[4] ف + على.
[5] ف - قوله.
[6] ن: والتفريق.

إِلَّا أن إحدَاهما جعَلها اللهُ عادةً مُستَمِرَّةً، والأخرى لم تَجْرِ بهَا العَادةُ ولم يَخلُقْ أُنثى غيرَ حواءَ من قُصَيْرَى رجُلٍ، فكانت أَدْخلَ في كَونها آيةً وأجْلبَ لعَجَبِ السَّامع، فعَطفها بـ﴿ثُمَّ﴾ على الآية الأُولى للدَّلالةِ على مُبَايَنتِها لها فَضْلًا ومَزِيَّةً، وتَرَاخيها عنها فيما يَرْجِعُ إلى زيَادة كَونها آيةً، فهو من التَّراخي في الحالِ والمَنْزِلة لا من التَّراخِي في الوجُودِ.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ متَعلِّق بمَعنى ﴿وَاحِدَةٍ﴾ كأنَّه قيلَ: خلقَكم مِن نفسٍ وَحَدتْ ثمَّ شفَعَها اللهُ بزَوجٍ.

وقيل: أَخرَج ذُريَّة آدمَ من ظَهْرِه كالذَّرِّ ثمَّ خلَق بَعْد ذلك حوَّاء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: وقضَى لكم وقسَم؛ لأن قَضَاياه وقِسَمَهُ مَوصُوفةٌ بالنُّزول من السماء حَيْثُ كُتِبَ في اللَّوح: كلُّ كائنٍ يكُون.

وقيل: لا تَعِيش إلَّا بالنبَاتِ، والنباتُ لا يقومُ إلَّا بالماء، وقد أَنزل الماء فكأنَّه أنزلَها.

قوله: **(فكانت)** أي: فكانت الأخرى.[١]

قوله: **(على مُبايَنتِها[٢] لها)** أي: مُباينة الأولى للأُخرى. وقوله: **(فَضلًا)** تمييز مِن إضافة "مُبايَنتها".

قوله: **(شَفَعَها الله)** الشَّفْع: خلاف الزوج؛[٣] وهو الوِتْر،[٤] وتقول: كان وِتْرًا فشَفَعْتُه شَفْعًا.[٥]

قوله: **(وقيل)** وعلى هذين الوجهين يكون ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى التراخي في الوجود، لكن على الوجه **الأوَّل** مِن هذين الوجهين يكون عطفًا على ﴿وَاحِدَةٍ﴾ مِن حيث المعنى كما ذُكر، وعلى **الثاني** منهما[٦] على ﴿خَلَقَكُم﴾.

---

١ ن - قوله: (فكانت) أي: فكانت الأُخرى.

٢ ن: ميابنتها.

٣ ن: الروح.

٤ وفي هامش د: فيه ما فيه. | كذا وقعت العبارة في مطبوع **الصحاح**. والعبارة في **لسان العرب** لابن منظور، «شفع»: «الشَّفع: خلاف الوتر، وهو الزوج». وهو الصواب.

٥ **الصحاح** للجوهري، «شفع».

٦ ن: منها.

وقيل: خلقَها في الجنَّة ثم أنزلهَا.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكرًا وأُنثى من الإبل والبَقرِ والضَّأنِ والمَعْز، والزَّوجُ: اسمٌ لواحِدٍ مَعه آخرُ، فإذا انفرد فهو فَرْدٌ ووِتْرٌ، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة ٣٩/٧٥].

﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حَيوانًا سَوِيًّا من بعْد عِظامٍ مَكسُوَّةٍ لحمًا، من بعد عظامٍ عاريةٍ، من بعد مُضَغٍ، من بَعد عَلَقٍ، من بَعد نُطَفٍ.

و"الظلماتُ الثَّلاثُ": البَطن والرَّحِمُ والمَشيمَةُ، وقيل: الصُّلبُ والرَّحِمُ والبطنُ.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه أفعالُه هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: فكيف يُعْدَلُ بكُم عن عبَادتِه إلى عبَادة غَيْره؟

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾: عَن إيمانِكُم، وإنكم المُحْتَاجُون إليه لاستِضرارِكم بالكُفرِ واستنفَاعِكم بالإيمان.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ رَحْمةً لَهُم لأنَّه يُوقِعُهم في الهَلكةِ.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يَرضى الشُّكرَ لَكم لأنّه سَببُ فَوزِكُمْ وفَلاحِكُم.

قوله: (﴿عَنكُمْ﴾ عن إيمانكم) فالمضاف محذوف.

قوله: (رحمةً)[١] تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ يعني: أنّ عدم رضاه بالكفر لرحمته[٢] لعباده، لا لمعنًى يعود إليه تعالى. ثمّ بيّن المصنّف كونَ ذلك لرحمتهم بقوله: (لأنّه يُوقعهم). وكذا قوله: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: رِضاه تعالى الشكرَ لرحمته لهم.[٣] وبيّن المصنّف هذا المعنى بقوله: (لأنّه سبب فَوْزكم)... إلخ.

١ ن: ورحمة.
٢ ن: لرحمة.
٣ ف - لهم.

فإِذَنْ: ما كَرِهَ كُفرَكُم ولا رَضيَ شُكْرَكُم إلّا لكُم ولِصلاحِكُم، لا لِأنَّ منفَعةً ترْجع إلَيه؛ لأنّه الغنيُّ الَّذي لا يجُوز عليه الحاجَةُ.

ولقَد تمحَّلَ بَعضُ الغُواةِ لِيُثبِتَ للهِ ما نَفاه عن ذاته من الرِّضا لعبَادِه الكُفرَ فقال: هذا من العَامِّ الذي أُريد به الخاصُّ، وما أَرَاد إلّا عبادَه الَّذِين عَناهُم في قَولِه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر ٤٢/١٥] يريد: المَعصُومِين؛ كقَوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان ٦/٧٦]، تعَالى اللهُ عمَّا يقول الظَّالمُون علوًّا كبيرًا.

وقرئَ: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ بضمِّ الهاء بوَصلٍ وبغير وَصْلٍ وبسُكُونها.

قوله: **(لا لأنّ منفعةً)** اعلم أنّ هذا التركيب غير صحيح، وقد وقع مثلُه في هذا الكتاب في مواضع، وقد كتبنا فيها أنّه فاسد؛ لأنّ شرط العطف بـ"لا" أنْ لا يكون المعطوف بها مَنفيًّا قبل ذلك بوجه آخر، فلا يجوز "ما جاء إلّا زيد لا عمرو".

قوله: **(ولقد تمَحّل)** اعلم[1] أنّ أهل[2] السُّنّة والجماعة لا يحتاجون في الجواب عمّا ذكرَه المصنّف إلى هذا التمحّل؛ بل / يفرّقون بين الرِّضى[3] **[٣١٩ظ]** والإرادة؛ بأنّ الرِّضى[4] هو إرادة الثواب على الفِعل، ويقولون: الكفر بإرادة الله تعالى، لكن لا يرضى به، أي: لا[5] يُثِيبُ[6] فاعِلَه؛ بل يُعاقِبه.

قوله: **(وقُرئ: ﴿يَرْضَهُ﴾)**... إلخ القراءة بضمّ الهاء،[7] وبإسكانها،[8] وبصِلتها بواوٍ وصلًا.[9]

---

١ ن - اعلم.

٢ ن: هذا.

٣ ن: الرضا.

٤ ن: رضى.

٥ ن - لا.

٦ ن + عليه.

٧ قرأ بها نافع وحمزة ويعقوب وحفص عن عاصم، وهو أحد الوجهين عن ابن عامر، وشعبة عن عاصم، وابن وَردان عن أبي جعفر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٧/١.

٨ قرأ بها السوسي عن أبي عمرو، وهو أحد الوجهين للدوري عن أبي عمرو، وابن جمّاز عن أبي جعفر، وهشام عن ابن عامر، وشعبة عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٧/١.

٩ قرأ بها ابن كثير والكسائي وخلف، وهو الوجه الثاني عن أبي جعفر والدوري وابن ذكوان. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٧/١.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾

﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه، قال أبو النجم:

أَعْطَى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرَى من خَوَلِ المُخَوِّلِ

وفي حقيقته وجهان:

أحدهما: جَعَلَه خائلَ مَالٍ، من قولهم: هو خائلُ مالٍ وخالُ مالٍ: إذا كان مُتعهِّدًا لهُ حسَنَ القيَام به، ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان يَتخوَّلُ أصحابَه بالموعظةِ.

قوله: (قال أبو النجم:

أعطى فلم يَبخلْ ولم يُبخَّلِ[1] كُومَ الذُّرى مِن خَوَلِ المُخَوِّلِ)[2]

يقال: خوَّله إذا أعطاه لا لاستجرار[3] العِوض. وأوّلُ البيت:

الحمد لله الوَهوب المُجزِلِ[4]

و"البُخْل"[5] و"البَخْلُ" -بالفتح عن الكسائي- و"البَخَلُ" -بالتحريك- كلّه بمعنًى، وقد بَخِلَ بكذا فهو باخِل وبَخيل،[6] وأبخَلتُه، أي: وجدتُه بخيلًا، وبخَّلتُه، أي: نسبتُه إلى البخل، و"البَخّال"[7]: الشديد البُخل.[8] و"الكوماء": الناقة العظيمة السَّنام.[9]

قوله: (يتخَوَّلُ أصحابَه)[10] أي: يتعَهّد ويتفقّد[11] أحوالهم، إن رأى منهم نشاطًا في الوعظ وَعَظهم.

---

[1] ن - ولم يُبخَّلِ.

[2] **ديوان أبي النجم العجلي**، ص ٣٣٩.

[3] ن: لاستحران.

[4] لفظه في **ديوان أبي النجم**، ص ٣٣٧:
الحمد لله العليّ الأجلَلِ
الواهبِ الفضلِ الوَهوبِ المُجزِلِ

[5] ن: والنجل.

[6] ن: فيه بخيل.

[7] ن: والبخل.

[8] **الصحاح** للجوهري، «بخل».

[9] **الصحاح** للجوهري، «كوم».

[10] هو في **صحيح البخاري**، ١/٢٥ (٦٨)؛ و**صحيح مسلم**، ٤/٢١٧٢ (٢٨٢١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يتخوّلنا بالموعظة في الأيّام كراهةَ السآمة علينا».

[11] ن: وينفرد.

والثاني: جَعَله يَخُولُ، من خَال يَخُولُ: إذا اختَال وافتَخر، وفي مَعناه قولُ العَرب: "إن الغنيَّ طَويلُ الذَّيل مَيَّاس".

﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: نسيَ الضُّرَّ الذي كان يدعُو الله إلى كشفِه.

وقيل: نَسِيَ ربَّه الذي كان يتضرَّعُ إليه ويَبْتهِلُ إليه، و﴿مَا﴾ بمَعْنى: مَن؛ كقَوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل ٩٢/٣].

وقرئ ﴿لِيضِلَّ﴾ بفَتح الياء وضمِّها، يَعني: أنَّ نتيجة جَعْلِه لله أندادًا ضَلالُه عن سبيل اللهِ أو إضلالُه، والنَّتيجةُ قد تكون غرَضًا في الفِعلِ وقد تكون غيْرَ غَرضٍ.

وقوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ من باب الخِذلان والتَّخلِيةِ؛ كأنَّه قِيل له: إذ قد أَبَيْتَ قبُولَ ما أُمرتَ بهِ من الإيمانِ والطَّاعةِ فمِن حقِّك أن لا تُؤمَرَ به بَعد ذلك وتُؤمَرَ بتركه؛ مُبَالغةً في خِذلانه وتخْليتِه وشَأنَهُ؛ لأنَّهُ لا مبَالغةَ في الخِذلان أشَدُّ من أن يُبعَثَ على عكس ما أُمِر به، ونظيرُه في المَعنى قولُه: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران ٣/١٩٧].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

قرئ: ﴿أَمَنْ هو قانتٌ﴾ بالتخفيف على إدْخالِ همزة الاستفهام عَلى "مَن"، وبالتَّشديد على إدْخالِ "أم" عليه، و"مَن" مُبتدأ خَبرُه مَحذُوفٌ تَقديرُه: "أمَّن هو

قوله: **(و"ما" بمعنى "مَن")** أي: على هذا الوجه.

قوله: **(مبالغةً)** مفعول له أو حال متعلّق بقوله: **(قيل له)**.

قوله: **(ونظيره)** أي: نظير قوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ مع قوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

قوله: **(تقديره: أمَن هو)** يجوز التخفيف والتشديد في "أمَن" ههنا، فإن قُرئ بالتخفيف فهو بدخول الهمزة على "مَن" بلا "أم"، وإن قُرئ بالتشديد فهو بدخول "أم" المنقطعة على "مَن".

قانِتٌ كغَيْرِه" وإنما حُذِف لدلالةِ الكلام عَليه، وهو جَرْيٌ ذكرِ الكافِر قبْلَه، وقولُه بعدَه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: مَعناه: "أمَن هو قانِت أفضَلُ أم مَن هو كافرٌ؟" أو: "أهذا أفضلُ أم مَن هو قانِتٌ؟" على الاستفهام المتَّصِل.

و"القانِتُ": القائمُ بما يجِبُ عليه من الطَّاعةِ، ومنه قولُه عليه السلام: «أفضَلُ الصلاة طولُ القُنُوتِ»، وهو القيامُ فيهَا، ومنه القُنُوتُ في الوِتر؛ لأنَّه دعاءُ المَصلِّي قائمًا.

﴿سَاجِدًا﴾ حالٌ، وقرئ: "ساجد وقائم" على أنَّه خبرٌ بعد خبَر، والواوُ للجمع بين الصِّفتين.

وقرئ: "ويَحْذَرُ عذابَ الآخرة".

وأراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: العامِلين من علماء الدِّيَانةِ كأنَّه جَعل مَن لا يعمل غيرَ عَالم.

وفيه ازْدِراءٌ عظيمٌ ....

قولـه: (وقيـل: معناه: أمَن هو قانتٌ) هذا على القراءة بتخفيف ﴿أَمَنْ﴾،[١] فيكون همزة الاستفهام مذكورة، و"أم" المتّصلة محذوفة. وقوله:[٢] (أو أهذا أفضل)... إلخ، وهذا على القراءة بتشديد ﴿أَمَّنْ﴾،[٣] فيكون "أم"[٤] المتّصلة مذكورة، وهمزة الاستفهام محذوفة، أي: أمَن[٥] هو كافر أفضل أمَّن هو قانتٌ.

قوله: (على الاستفهام المتّصل) يعني: على الوجهين المذكورين بعد قوله: "وقيل: معناه"، ويريد بالاستفهام المتّصل[٦] أن يكون في الكلام همزة الاستفهام مع "أم" المتّصلة.

---

١ هي قراءة ابن كثير ونافع وحمزة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.

٢ ن: قوله.

٣ هي قراءة أبي عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم والكسائي وخلف وأبي جعفر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦٢/٢.

٤ ن: أمن.

٥ وفي هامش د ف: خف.

٦ ن: المتّصل بالاستفهام.

بالَّذين يَقتَنُون العلومَ ثمَّ لا يَقنُتُونَ، ويَفتَنُّونَ فيها ثم يُفتَنُونَ بالدُّنيا، فهم عند الله جَهَلةٌ حيث جَعل القانِتينَ هم العلماءَ.

ويجوز أن يَرِدَ على سبيل التشبيه؛ أي: كما لا يَستوي العَالمون والجاهِلون كذلك لا يَستَوِي القانِتُون والعَاصُون.

وقيل: نزلَتْ في عمَّار بن ياسِر وأبِي حُذيفة بن المُغيرة المخزُوميِّ.

وعن الحسن: أنَّه سُئل عن رَجُلٍ يتَمادَى في المعَاصي ويَرْجُو، فقال: "هذا تَمَنٍّ وإنَّما الرَّجاء قولُه..." فَتَلا هذه الآية.

وقرئ: "إنما يذَّكَّر" بالإدْغام.

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ متعلِّق بـ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ لا بـ﴿حَسَنَةٞ﴾ مَعناه: الَّذين أحسَنوا في هذه الدُّنيا فلهُم حَسنَةٌ في الآخرة، وهي دخُول الجنَّة؛ أي: حَسَنةٌ غير مُكْتَنَهةٍ بالوَصف، وقد عَلَّقه السُّدِّيُّ بـ﴿حَسَنَةٞ﴾ ففَسَّر الحسَنةَ بالصِّحة والعَافيةِ.

فإن قلتَ: إذا عُلِّق الظَّرفُ بـ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ فإعْرابُه ظاهر، فما مَعنى تعلِيقهِ بـ﴿حَسَنَةٞ﴾ ولا يصحُ أن يقع صِفةً لها لتَقدُّمِه؟

قلتُ: هو صِفةٌ لها إذا تأخَّر، فإذا تقدَّم كان بيَانًا لمكانها فلم يُخِلَّ التَّقدُّمُ بالتَّعلُّق وإن لم يكن التعلُّقُ وَصْفًا.

قوله: (**بالذين يَقْتَنون**)... إلخ **الأوَل**: مِن الاقتِناء، **والثاني**: مِن القُنوت، **والثالث**: مِن الفَنّ،[1] **والرابع**: مِن الفَتْن.[2]

قوله: (**قلتُ: هو صفة لها**)... إلخ معنى هذا الكلام أنَّ ﴿حَسَنَةٞ﴾ مبتدأ،

---

١ ن – الفنّ.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (وقيل: نزلت في عمّار)... إلخ قيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ عمّار، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أبو حذيفة المخزومي. **معالم.** | **معالم التنزيل** للبغوي، ١١١/٧ (الزمر، ٩/٣٩).

ومَعنَى: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: أنْ لا عُذْرَ للمُفرِّطين في الإحسان البتَّة، حتى إن اعتَلُّوا بأوطانِهم وبلادِهم وأنَّهم لا يَتمكَّنونَ فيها من التَّوفُّر على الإحسانِ وصَرْفِ الهِمَمِ إليه قيل لهم: فإنَّ أرْضَ الله واسِعةٌ وبلادهُ كثيرةٌ فلا تَجْثِموا مع العَجز، وتحَوَّلُوا إلى بلَادٍ أُخرَ، واقتدُوا بالأنبياء والصَّالحين في مُهاجَرتهم إلى غير بلادِهم ليَزدَادُوا إحسَانًا إلى إحسَانهم وطاعةً إلى طاعتِهم.

وقيل: هو للَّذين كانوا في بلدِ المشركين فأُمِرُوا بالمهاجرة عَنه؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء ٤/٩٧].

وقيل: هي أرضُ الجنَّة.

و﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: الَّذين صبَرُوا على مُفارَقة أَوْطانهم وعَشائِرهم، وعلى غيْرِها: من تجرُّع الغُصَصِ واحتمالِ البَلايا في طَاعَة الله وازْدِيَادِ الخيْر.

﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾: لا يحاسبُون عليه.

وقيل: بغيرِ مكيالٍ وغيرِ ميزانٍ، يُغْرفُ لَهُم غَرْفًا، وهو تمثِيلٌ للتكثِير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يهتدِي إليه حسَابُ الحُسَّاب ولا يُعرَفُ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «يَنصِبُ اللهُ الموَازين يومَ القيامة، فيُؤتَى بأهْل الصَّلاة فيُوَفَّونَ أُجورَهم بالمَوازِين، ويُؤْتَى بأهل الصَّدقة فيُوفَّونَ أجورَهُم بالمَوازِينِ،

خبره ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾، و﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إمّا ظرف ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾، أو حال مِن الضمير المستتر العائد إلى ﴿حَسَنَةٌ﴾، وعلى الوجهين يكون مكانًا للحسَنة.

قوله: (للمُفَرِّطين) مِن التفريط؛ وهو التقصير.

قوله: (و﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا) قيل: الصابرون على أداء فرائض الله تعالى[١] واجتناب معاصيه. وقيل: الصابرون على المصائب والمكاره.

قوله: (يُغرَف لهم غَرْفًا) يقال: غرَفتُ الماءَ بيدي، والمِغرَفة ما يُغرَف به.[٢]

---

١ ف ن - تعالى.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (تمثيل للتكثير) شبه حالهم في كثرة الأجر عند الإيفاء بحال مَن يوفَّى أجره المكيالي أو الميزاني عند الإيفاء بلا مِكيال ولا ميزان فوق ما يستحقّه.

ويُؤتَى بأَهْلِ الحجِّ فيُوفَّون أجورَهم بالمَوازين، ويُؤتَى بأهْل البلاء فلا يُنْصَبُ لهُم ميزانٌ ولا يُنْشَرُ لهُم دِيوانٌ، ويُصَبُّ عَليْهِم الأجْرُ صَبًّا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنَّى أَهْلُ العَافية في الدُّنيا أن أجسَادهم تُقْرضُ بالمقَاريض ممَّا يَذهَبُ بهِ أهْلُ البلاء من الفَضْل».

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ بإخلاصِ الدِّين ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بذلك لأجل أن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: مقدَّمَهُم وسَابِقَهُم في الدُّنيا والآخرة، والمعنى: أن الإخلاص له السُّبْقةُ في الدِّين، فمَن أخلصَ كان سَابقًا.

فإن قلتَ: كيْف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ وهُما واحِدٌ؟

قلتُ: ليْسَا بواحِدٍ؛ لاختِلافِ جِهَتَيْهِما، وذلك أَنَّ الأمْرَ بالإخلاص وتكليفه شَيءٌ، والأَمرَ به ليُحْرِزَ القَائمُ به قصَبَ السَّبقِ في الدِّين شيءٌ، وإذا اختلفَ وجْهَا الشيء وصِفَتَاه تَنزَّلَ بذلك منزلةَ شيئين مختلفين.

ولك أن تجعَل اللَّام مَزيدةً مِثلَها في "أردتُ لِأَنْ أفعَلَ"، ولا تُزادُ إلَّا مَع "أَنْ" خاصَّةً دُون الاسْم الصَّريح؛ كأنَّهَا زيدَت عوَضًا مِن تَرْكِ الأصْلِ إلى ما يقوم مقامَهُ كما عُوِّض السِّينُ في "أَسْطَاعَ" عوضًا من ترك الأصْل الذي هُو "أَطْوَعَ"،

قوله: **(ولك أنْ تجعل)** عطفٌ على قوله: **(وأُمِرْتُ بذلك)**... إلخ مِن حيث المعنى، فعلى[1] **الأوّل** "اللام" لام كَيْ، وعلى **الثاني** زائد.[2]

قوله: **(عوضًا مِن ترك الأصل إلى ما يقوم)** فإنّ الأصل أن يكون المفعول به اسمًا صريحًا، فإذا أُتيَ بدله "أنْ" مع الفعل فقد عُدِل عن الأصل / إلى غيره. [٣٢٠و]

قوله: **(عوضًا مِن ترك الأصل الذي)** "أطاع" أصله "أطْوَع"، فحين غُيِّر الأصل عُوِّضَ مِن تغييره[3] زيادة السين. ونحوه زيادة الهاء في "أهراق"، وأصله "أراق".

---

١ ن: فعل.
٢ ن: رايد.
٣ ن: عوضًا عن تعبيره.

والدَّليلُ على هذا الوجه مجيئُه بغيْر لامٍ في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس ١٠/٧٢] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ١٠/١٠٤] ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام ٦/١٤].

وفي معناه أَوْجُهٌ:

أن أكُون أوَّلَ مَن أَسْلم في زمانِي ومِن قومِي؛ لأنّه أوَّلُ مَن خالفَ دينَ آبائه وخَلَع الأصْنامَ وحَطَّمَها.

و: أَنْ أكُونَ أوَّل الَّذين دعَوتُهم إلى الإسْلام إسْلامًا.

و: أن أكُونَ أوَّلَ مَن دَعا نفسَه إلى ما دَعا إليه غيرَهُ؛ لِأكُونَ مُقتَدًى بِي في قَولي وفِعلي جميعًا، ولا تكُونَ صِفتِي صفةَ الملوكِ الذين يأمرون بما لا يَفعَلون.

و: أن أفعَلَ ما أَستحِقُّ به الأوليَّةَ مِن أَعمَال السَّابقين دلالةً على السَّببِ بالمسبَّب.

يعني: إنَّ الله أمَرني أن أُخلِصَ له الدِّينَ من الشِّركِ والرِّياء وكلِّ شَوْبٍ

قوله: **(وفي معناه)** أي: في معنى ﴿لِأَنْ أَكُونَ﴾ على الوجهين المذكورين.

قوله: **(إسلامًا)** تمييز، أي: مِن نسبة ﴿أَكُونَ﴾[١] إلى فاعله، أي: أن يكون إسلامي أوّلَ إسلام الذين.

قوله: **(مُقتَدًى)** مُستندٌ إلى **(بي)**، وليس فيه ضمير؛ لأنّ الاقتداء يتعدّى بـ"الباء"، ويكون ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ على هذا الوجه الثالث بمعنى: مَن دعا[٢] نفسَه إلى ما دعا إليه غيرَه، فكأنّ مَن لم يَدْعُ نفسَه إلى ما دعا إليه غيرَه ليس مسلمًا.

قوله: **(دلالةً على السبب بالمُسبَّب)**[٣] يعني أنّ فِعْلَ ما يَستحقّ به الأوّليّةَ يَستلزم أن يكون الفاعل أوّلَ المسلمين، فأُطلق اللازم وأريدَ الملزوم، فيكون[٤] كناية. وقوله: "دلالةً" مفعول له، أي: أُريدَ ذلك المعنى دلالةً.

قوله: **(يعني أنّ الله)** شروع في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، والمعنى:

---

١ ن: ألون.

٢ وفي هامش د ف: أي: المسلم مَن دعا.

٣ ن: بالسبب.

٤ ن - الفاعل أوّلَ المسلمين، فأُطلق اللازم وأريدَ الملزوم، فيكون.

بدليلَي العَقلِ والوَحْيِ، فإن عصَيْتُ رَبِّي بمخالفَة الدَّليلَين استوجَبْتُ عَذابَه، فلا أَعصيهِ ولا أُتابعُ أمرَكُم. وذلك حين دَعَوْهُ إلى دِين آبائه.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾

فإن قلتَ: ما معنى التكرير في قوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وقولِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾؟

قلت: ليس بتكريرٍ؛ لأنَّ الأوَّل للإخبار بأنَّه مأمورٌ من جهة الله بإحْداثِ العبادة والإخلاص، والثَّاني إخبَارٌ بأنَّه يختَصُّ اللهَ وَحْدَهُ دون غيْره بعبَادتِه مخلِصًا له دينَه، ولِدلالَتِه على ذلك قَدَّم المعبُودَ على فِعل العبادَةِ وأخَّره في الأوَّل، فالكلامُ أوَّلًا واقعٌ في الفِعل نفسِه وإيجادِه، وثانِيًا فيمَن يُفعَلُ الفِعلُ لأجْلِه، ولذلك رَتَّب عليه قولَه: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ والمرادُ بهذا الأمْرِ الواردِ على وجْه التخيير: المبالغةُ في الخذلانِ والتخليةِ، على ما حقَّقْتُ فيه القولَ مرَّتينِ.

﴿قُلْ إِنَّ﴾ الكامِلينَ في الخسرانِ الجامعِينَ لوجُوهِه وأَسْبَابه: هُم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ لوقُوعها في هَلَكَةٍ لا هَلكةَ بعْدَها ﴿وَ﴾ خَسِرُوا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ لأنَّهم: إن كانوا من أهل النَّار فقَد خسِرُوهُم كما خَسِرُوا أنفسَهم، وإن كانُوا من أهل الجنَّة فقد ذَهبُوا عَنهم ذهَابًا لا رُجُوعَ بعْدَه إليهم.

وقيل: وخسِرُوهُمْ لأنَّهم لَمْ يَدْخُلُوا مدْخَلَ المؤمنِين الَّذين لهُم أَهْلٌ في الجنَّة، يعني: وخَسِرُوا أهليهم الَّذين كانوا يكُونون لهُم لو آمَنُوا، ولقَد وُصِف خسْرانُهُم بغاية الفَظاعَةِ في قَوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ حيث استَأنَف الجملةَ،

أنّ قوله تعالى: ﴿أُمِرْتُ﴾ إشارة إلى دليل العَقل والنَّقل، ولمّا ذكر أنّه[١] مأمور بدَليلَي العقل والنقل ذكر بعده: "إنّي أخاف الله"... إلى آخر ما ذكر.

قوله: **(وذلك حين)** أي: نزل ذلك الكلام حين.

---

[١] ن: ذكرناه.

وصَدَّرَها بحرف التَّنبيهِ، ووسَّط الفصل بين المبتدأ والخَبر، وعرَّف الخسْرانَ، ونَعَتهُ بالمُبينِ.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ أطْباقٌ من النَّار هي ﴿ظُلَلٌ﴾ لآخَرِينَ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذابُ هو الَّذي يَتوعَّدُ ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ ويُخوِّفهُم ليَجْتنِبُوا ما يُوقعُهم فيه.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ولا تَتعرَّضُوا لِمَا يُوجب سَخَطِي، وهذه عِظَةٌ مِن الله ونَصيحةٌ بالغةٌ.

وقرئ: ﴿يا عبادِي﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فَعَلوْتٌ من الطُّغيَانِ كالمَلكُوتِ والرَّحَمُوتِ، إلَّا أَنَّ فيها قلْبًا بتقْديم اللَّام على العَيْن، أُطلقتْ على الشَّيطان أو الشَّياطينِ لكَونها مَصْدَرًا، وفيها مُبالَغاتٌ وهي:

قوله: (ظُلَلُ الآخرين)[١] فلذلك قال: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، وإلّا فالتي تحتَهم هي فُرُشٌ، لكنّها لمّا كانت ظُلَلًا لغيرهم قيل ذلك.

قوله: (﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فَعَلُوت) الأصل: طَغَيُوت، قُدِّمَتْ الياء على الغين، ثمّ قُلبت ألفًا لفتحة ما قبلها.[٢]

قوله: (لكونها) أي: لكون "طاغوت".

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "ظُلَلٌ لآخرين".

[٢] وفي هامش د ف: فوزنه "فلعوت".

التَّسميةُ بالمَصْدر كأنَّ عينَ الشَّيطانِ طُغيَانٌ.

وأَنَّ البناء بناءُ مُبالغةٍ فإنَّ الرحَمُوتَ: الرَّحمةُ الواسِعةُ، والمَلكوتَ: الملك المَبسوطُ.

والقَلبُ وهو للاختصاصِ، إذ لا تُطلَقُ على غيْرِ الشَّيطانِ.

والمرادُ بها هَاهُنا الجمْعُ، وقرئ: "الطواغيتَ".

﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بَدلٌ من ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ بدَلَ الاشْتِمال.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارةُ بالثواب؛ كقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس ١٠/٦٤] اللهُ عزَّ وجلَّ يُبَشِّرُهم بذلك في وَحْيِه على ألسنَةِ رُسُلِه، وتَتلقَّاهمْ الملائكةُ عند حضُور المَوت مُبشِّرين، وحِين يُحشَرُون، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ [الحديد ٥٧/١٢].

وأرادَ بعبادِه ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: الذين اجتَنبُوا وأَنابُوا لا غيرَهُم، وإنَّما أرادَ بهم أَن يكُونوا مع الاجتنابِ والإنابةِ على هذه الصِّفة، فوضَع الظاهرَ مَوضعَ الضَّمير، ....

قوله: (**وإنّما أراد بهم**) أي: في حقّهم وشأنهم، وهو مفعول به في الحقيقة بواسطة الحرف، كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم:[1] «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدين»،[2] وكقوله صلّى الله عليه وسلّم:[3] «إذا أراد[4] الله بِعَبدٍ خيرًا استعملَه»،[5] أي: يُوفّقه لعمل الطاعة.

قوله: (**على هذه الصفة**) أي: المذكورةِ في الآية.

قوله: (**فوضع**) "الفاء" في "فوضع"[6] للسببيّة، أي: لمّا كان المراد

---

[1] د: عليه السلام.

[2] **صحيح البخاري**، ١/٢٥ (٧١)؛ **صحيح مسلم**، ٢/٧١٩ (١٠٣٧).

[3] د: عليه السلام.

[4] ف + أراد.

[5] **مسند أحمد**، ١٩/٩٣ (١٢٠٣٦)؛ **سنن الترمذي**، ٤/١٨ (٢١٤٢).

[6] ن: موضع.

وأرَادَ أن يكونُوا نُقَّادًا في الدِّين يُميِّزُون بين الحَسن والأحسَن والفاضِل والأفضَلِ، فإذا اعترَضَهُم أمرانِ: وَاجِبٌ وندبٌ، اختارُوا الواجبَ، وكذلك المبَاحُ والنَّدْبُ، حِرَاصًا على ما هُو أقرَبُ عند الله وأكثرُ ثوابًا.

ويَدْخل تحتَه المذاهبُ، واختيارُ أثبَتِهَا على السَّبْكِ، وأقواهَا عند السَّبْر، وأبيَنِهَا دليلًا وأمَارَةً، وأن لا تكُونَ في مذهَبك كما قال القائل:

ولا تـكُـنْ مـثـلَ عَـيْـرٍ قِـيـدَ فـانـقَـادَا

يُريد: المُقَلِّدَ.

بـ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ هم المجتنِبين المُنيبين، وُضع الظاهر -وهو ﴿عِبَادِ﴾- موضعَ الضمير -إذ الأصل: فبشِّرْهم- ليفيد أنّ هؤلاء مع الاتّصاف بتلك الصفة موصوف بهذه الصفة أيضًا.

قوله: (**وأراد أن يكونوا نُقّادًا**) أي: أراد بقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾. اعلم أنّ قوله: "وأراد أن يكونوا"... إلخ ليس تكريرًا لمعنى قوله: "أراد بهم"... إلخ؛ بل المراد بقوله: "أراد بهم"... إلخ أنّه وضع الظاهر موضع المضمَر لبيان أنّهم ينبغي أن يكونوا على الصفة المذكورة في قوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾. والمراد بقوله: "وأراد أن يكونوا" بيان معنى ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾.[١]

قوله: (**يُميّزون**) بيان "نُقّادًا".

قوله: (**واجبٌ وندبٌ**) فإذا فاتهم صلاة ثُمّ عَنّ لهم أن يُصلُّوا شيئًا مِن النوافل فقدَّموا الواجب -وهو قضاء الصلاة- على النوافل، فقدَّموا الواجب على النَدْب.

قوله: (**وكذلك**[٢] **المباح والندب**) فإنّ استغراق الأوقات بالطاعة مندوب، وترك ذلك / ليس بمكروه؛ بل هو مباح، فإذا استغرقوا[٣] الأوقات بالطاعة فقد اختاروا المندوب على المباح. [٣٢٠ظ]

---

١ ن - والمراد بقوله: "وأراد أن يكونوا" بيان معنى "﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ فيتّبعون".

٢ ن: ولذلك.

٣ ن: اسغرقوا.

وقيل: يَستمِعُون القرآنَ وغيْرَه فيَتَّبِعُون القرآن.

وقيل: يستمعُون أوامرَ الله فيَتَّبِعُون أحْسنَها؛ نحو: القِصَاصِ والعَفْوِ، والانتصارِ والإغضاءِ، والإبداء والإخفاءِ، لقَوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧] ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٧١].

وعن ابن عباس: هو الرَّجُلُ يَجلسُ مَع القوم فيَسْمَع الحديثَ فيه محاسنُ ومَسَاوٍ، فيُحدِّثُ بأَحسنَ ما سَمِعَ ويكفُّ عمَّا سِواهُ.

ومِن الوَقَفَةِ مَن يقِفُ علَى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ ويَبْتدِئ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ﴾ يَرفَعُه على الابتداء وخبرُه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾

أصل الكلام: "أمَن حقَّ عليه كلمةُ العَذابِ فأنتَ تُنقِذه"، جملةٌ شرطيَّةٌ دَخل عليهَا همزةُ الإنكار والفاءُ فاءُ الجزاء، ثم دخلَت الفاءُ التي في أوَّلها للعَطف على محذوفٍ يدلُّ عليه الخطابُ تقديرُه: "أأَنت مالكُ أمْرهم فمَن حقَّ عليه العذابُ فأنتَ تُنقِذهُ" والهمزةُ الثانيةُ هي الأولى كُرِّرَتْ لتَوكيدِ مَعْنى الإنْكارِ والاستبعَادِ ووُضِع ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ مَوضعَ الضمير، فالآيةُ على هذا جُملةٌ واحدةٌ.

ووجهٌ آخر: وهو أن تكون الآيةُ جُملتين: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ فأنتَ تُخَلِّصُه ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ وإنَّما جاز حَذفُ: "فأَنت تُخلِّصه"؛ لأنَّ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ يَدُلُّ عَليه، ....

قوله: (كلمة العذاب) قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود ١١/١١٩].

قوله: (جملةٌ شرطيّة) أي: هي جملةٌ.

قوله: (يدلُّ عليه) صفة محذوفٍ.

قوله: (ووجه آخر) أي: وهنا وجه آخر.[١]

---

١ ف ن - آخر.

نُزِّلَ استحقاقُهم العذابَ وهُم في الدُّنيا مَنزِلَةَ دخُولهم النارَ حتى نُزِّل اجتهادُ رسُول الله وكدُّه نفسَه في دعَائهم إلى الإيمان منزلةَ إنقَاذهم من النَّار.

وقَولُه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ يُفيدُ أنَّ الله تعالى هو الَّذي يَقدِر على الإنقاذ من النَّار وَحْدَهُ لا يقدرُ على ذلك أَحدٌ غيرُه، فكما لا تَقْدِرُ أنت أن تنقذَ الداخلَ في النار من النار لا تقدِر أن تُخَلِّصَه مما هو فيه من استِحقاق العذاب بتحْصِيلِ الإيمان فيه.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾

﴿غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ عَلاليُّ بَعضُها فوقَ بَعْضٍ.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَوله: ﴿مَّبۡنِيَّةٞ﴾؟

قلتُ: معناه -والله أعلم- أنَّها بُنِيَتْ بناءَ المنازِل الَّتي على الأَرْض وسُوِّيَتْ تسْويتَها.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ كما تَجري من تحْتِ المنازل من غيرِ تفَاوتٍ بين العُلوِّ والسُّفل.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّد؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ في مَعنى: وعَدهُم الله ذلك.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: هو المَطرُ.

وقيل: كلُّ ماءٍ في الأرضِ فهو مِن السَّماء ينزلُ منها إلى الصَّخرة ثم يَقْسِمُه اللهُ.

﴿فَسَلَكَهُۥ﴾: فأَدْخلَهُ ونظَمَه ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: عُيُونًا ومَسالكَ ومَجاريَ كالعُروق في الأجسَاد.

قوله: (**نُزِّل استحقاقُهم**)... إلخ تفسير ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾.

قوله: (**إلى الصخرة**) أي: صخرة بيت المقدس.

﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: هَيئاتُه: من خُضرَةٍ وحُمرةٍ وصُفرة وبيَاضٍ وغيرِ ذلك، أو أصنَافُه: من بُرٍّ وشَعيرٍ وسِمْسمٍ وغيْرهَا.

﴿يَهِيجُ﴾: يَتِمُّ جَفَافُه، عن الأصمعي؛ لأنَّه إذا تمَّ جَفَافُه حَان له أن يثُورَ عن مَنابِتِه ويَذهَب.

﴿حُطَٰمًا﴾: فُتَاتًا ودَرِينًا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾: لتَذكيرًا وتنبيهًا على أنَّه لا بُدَّ من صَانعٍ حكيم، وأنَّ ذلك كائنٌ عن تَقديرٍ وتدبيرٍ لا عن تَعطيلٍ وإهمالٍ.

ويجوز أن يكون مَثَلًا للدُّنيَا؛ كقَوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس ٢٤/١٠] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف ٤٥/١٨].

وقرئ: "مُصفارًّا".

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾

﴿أَفَمَن﴾ عَرف اللهُ أنَّه من أهْلِ اللُّطف فلَطَفَ به حتى انشرَح صَدرُه ﴿لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ ورَغِبَ فيه وقبِلَه كمَن لا لُطْفَ له فهو حَرِجُ الصَّدْر قاسي القَلْبِ.

قوله: (أن يثورَ) ثارَ الغبار يَثُور ثَوْرًا[1] وثَوَرانًا،[2] أي: سطع.[3] فسّر ﴿يَهِيجُ﴾[4] بـ"يَتِمُّ جفافُه" نقلًا عن الأصمعي. ثمّ ذكر المصنّف رحمه الله[5] وجهه أنّ ذلك مِن قَبيل الكناية؛ لأنّ ثَورانَه مِن لوازم تمام الجَفاف، فذكر ﴿يَهِيجُ﴾، ومعناه: يَثور، وأراد تمام الجَفاف.

قوله: (ودَرِينًا) أي: يابسًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إنْزال الماء وإخراج الزَّرْع.

قوله: (أفمَن عَرَف الله) مبتدأ، وخبره (كمَن لا لُطْفَ). وقوله: "عرف الله"

---

١ ن: تورا.
٢ ن: انا.
٣ الصحاح للجوهري، «ثور».
٤ ن: تهيج.
٥ د - رحمه الله.

و"نورُ الله": هو لطفُه.

وقَرأَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل: يا رسولَ الله! كيف انشراحُ الصَّدرِ؟ قال: «إذا دَخل النُّورُ القلبَ انشرحَ وانفسحَ» فقيل: يا رسولَ الله فما عَلامَة ذلك؟ قال: «الإنَابةُ إلى دار الخلُود، والتَّجافي عن دارِ الغُرور، والتَّأهُّبُ للمَوْت قَبل نزُولِ المَوت».

وهو نظيرُ قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر ٩/٣٩] في حَذْف الخبر.

﴿مِن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: من أجْل ذِكره؛ أي: إذا ذُكر اللهُ عِندَهُم أو آياتُه اشمأزُّوا وازْدَادَتْ قلُوبُهم قسَاوةً؛ كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة ١٢٥/٩].

وقرئ: "عن ذكر الله".

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين ﴿مِن﴾ و"عن" في هذا؟

قلتُ: إذا قلتَ: "قسَا قلبُهُ من ذكر اللهِ" فالمَعنى ما ذكرْتُ من أنَّ القَسْوة من أجْلِ الذِّكْر وبسَببِهِ، وإذا قلتَ: "عن ذكر الله" فالمَعْنَى: غَلُظَ عن قبُول الذِّكر وجَفَا عَنه.

ونظيرُه: "سَقَّاه من العَيْمة"؛ أي: من أجْل عَطشِه، و: "سَقَاهُ عن العَيْمة": إذا أرْوَاهُ حتى أبعَده عن العَطش.

يشير بذلك إلى أنّ الله تعالى لا يَلطُف إلّا بِمَن هو مِن أهل اللطف، أي: ينفع فيه اللطف، وهذا مبنيّ على مذهبه.

قوله: (**وقُرئ: "عَن ذِكْرِ اللهِ"**) شاذّ.[١]

قوله: (**فالمعنى ما ذكرتُ**) مبتدأ وخبر.

قوله: (**مِن العَيمة**) العَيمة: شَهوة اللبن.[٢] ونظيره[٣] أيضًا: أطعمه مِن الجوع، وأطعمه عن الجوع.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٣.

٢ **الصحاح** للجوهري، «عيم».

٣ ن: ونطره.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم مَلُّوا مَلَّةً فقَالُوا له: حَدِّثنَا، فنزلَت.

وإيقَاعُ اسْم الله مُبْتدأً، وبناءُ ﴿نَزَّلَ﴾ عليه: فيه تفخيمٌ لـ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ورَفعٌ مِنه، واستشهَادٌ على حُسْنِه، وتأكيدٌ لاستِناده إلى الله، وأنَّه من عندِه، وأنَّ مثله لا يجُوز أن يصْدُرَ إلَّا عنه، وتنبيهٌ على أنَّه وَحْيٌ مُعجِزٌ مُبَاينٌ لسَائر الأَحاديثِ.

و﴿كِتَٰبٗا﴾ بَدلٌ من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، ويحتمِلُ أن يكون حالًا منه.

و﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ مُطلَقٌ في مُشابَهةِ بَعْضِه بعْضًا، فكان مُتنَاوِلًا لتَشابُه مَعَانِيه في الصِّحَّة والإحكام والبناء على الحقِّ والصِّدقِ ومنفعَة الخلق، وتَناسُبِ ألفاظِه وتناصُفِها في التَّخيُّر والإصَابةِ، وتَجاوُبِ نَظْمِه وتأليفِه في الإعجاز والتَّبْكيتِ.

ويجوز أن يكونَ ﴿مَّثَانِيَ﴾ بيَانًا لكَوْنه مُتشَابهًا؛ لأن القِصَصَ المُكرَّرة لا تكون إلَّا متَشابهةً.

و"المثَاني": جمعُ مُثَنًّى بمَعْنَى: مُردَّدٍ ومُكرَّرٍ؛ لِمَا ثُنِّي من قِصَصِه وأَنْبَائه وأَحكامِه، وأَوَامِره ونَواهيه، ووَعْده ووعيده ومَواعِظِه.

قوله: (وتناصُفِها) أي: يُنصِف بعضُها بعضًا في كونه مختارًا.

قوله: (في التخيّر[1] والإصابة) أي: في الخيريّة والصواب.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿مَثَانِي﴾ بيانًا) فيكون ﴿مَثَانِي﴾ بدلًا مِن قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ على طريق البيان. وإذا كان بدلًا مِن ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾، و﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ صفة،

---

[1] ن: التحبير.

وقيل: لأنه يُثَنَّى في التِّلاوة فَلا يُمَلُّ؛ كمَا جاء في وصْفه: لا يَتْفَهُ ولا يَتَشانُّ، ولا يُخْلِقُ على كثْرة الرَّدِّ.

ويجوز أن يكون جَمْعَ مَثْنًى: مَفعَلٍ من التَّثنِيَة بمَعنى التَّكرير والإعادة؛ كما كان قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك ٤/٦٧] بمَعنى: كرَّةً بعد كرَّةٍ، وكذلك: لبَّيكَ وسَعْدَيْك وحَنانيك.

فإن قلتَ: كيف وُصِفَ الواحدُ بالجمع؟

قلتُ: إنما صحَّ ذلك لأن الكتاب جُملةٌ ذاتُ تفاصيلَ، وتفاصيلُ الشَّيءِ

فيكون ﴿مَثَانِيَ﴾ صفة. ولذلك أورد السؤال وقال: (**كيف وُصِف الواحد بالجمع؟**)

فقوله:[١] (**ويجوز أن لا**[٢] **يكون ﴿مَثَانِيَ﴾ صفة**) عطفٌ على قوله: "ويجوز أن يكون ﴿مَثَانِيَ﴾ بيانًا"، أو هو[٣] عطفٌ على[٤] قوله: (**إنّما صحّ**)،[٥] فكأنّه لمّا بيّن وجه كونه صفة قال: "يجوز أن لا يكون صفة".

قوله: (**لا يَتْفَهُ ولا يَتَشانُّ**)[٦] شيء تافِهٌ وتَفِهٌ، أي: خَسيسٌ، وقد تَفِهَ تَفَهًا، والتفاهة في مصدره[٧] خطأ.[٨] وتشنَّتِ القِربةُ وتَشانَّتْ، أي: أخلقَتْ.[٩]

قوله: (**«لبَّيك وسعدَيك»**) "لبّيك" مِن "ألبَّ على كذا"، أي: أقام، فكان المعنى: أدُومُ دوامًا بعد دوام على طاعتك. وقد يأتي "وسعديك" مع "لبّيك" خاصّةً بمعنى: مساعدةً بعد مساعدةٍ. والحَنان: الرحمة، قال تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم ١٣/١٩]، أي: رَحمَك الله رحمةً بعد رحمةٍ. قال الخليل: «كلّما كنتَ في رحمة فليَكنْ موصولًا بآخر».[١٠]

قوله: (**ذات تفاصيل**) والتفاصيل: جمع التفصيل،[١١] وهو أن يُجعل الشيء

---

١ ن: وقوله.

٢ ن - لا.

٣ ن - هو.

٤ ن - على.

٥ ن: يصحّ.

٦ وفي هامش د ف: أي: لا يبلى.

٧ ن: مصدر.

٨ **المُغرب** للمطرّزي، «تفه».

٩ **الصحاح** للجوهري، «شنن».

١٠ لم أجده مِن قول الخليل، وقاله ابن سِيده في **المحكم**، «حنن». وعزاه إليه ابنُ منظور في **لسان العرب**، «حنن».

١١ ن - التفصيل.

هو جُملتُه لا غَيْرُ، ألَا تراك تقولُ: القرآنُ أَسْباعٌ وأَخماسٌ وسُوَرٌ وآياتٌ، وكذلك تقول: أقاصِيصُ وأَحكامٌ ومَواعِظُ مُكرَّراتٌ، ونظيرُه قولُك: الإنسانُ عِظَامٌ وعروقٌ وأَعْصَابٌ، إلا أنك تركْتَ الموصُوفَ إلى الصِّفة، وأَصْلهُ: كتَابًا مُتَشابهًا فُصُولًا مثاني.

ويجوز أن يكون كقولك: "بُرْمَةٌ أَعشارٌ" و: "ثَوبٌ أَخلاقٌ".

ويجوز أن لا يكون ﴿مَثَانِيَ﴾ صفةً، ....

فَصْلًا فَصْلًا، أي: يُميّز بعضها مِن بعض؛ إمّا بالفصول والأبواب، أو بالسُّوَر والآيات والفصول والغايات كما هو المراد ههنا. وإنّما جمع "التفاصيل" لأنّ في كلّ قسم مِن القصص والأنباء والأحكام وغيرها تفصيل، ففيه تفاصيل. كما قال المصنّف في **المُفصّل**: «صَنَّفت كلًّا مِن هذه الأقسام تصنيفًا»، ففي كلّ قسم تصنيف؛ ففيها تصانيف، ثمّ قال: «وفَصّلتُ كلَّ / صنف منها[1] فصلًا»،[2] فيكون [٣٢١و]
فيها تفاصيل باعتبار الأصناف المذكورة في الكتاب.

قوله: **(إلّا أنّك تركتَ الموصوف)** هذا على[3] الوجه الأوّل؛ وهو أن يكون "المثاني"[4] بمعنى المُردَّدات والمُكرَّرات باعتبار ما ثُنّي مِن قصصِه وأنبائه وأحكامه؛ لأنّ التكرير فيه باعتبار الفصول، فلا بدّ مِن تقدير موصوف لـ﴿مَثَانِيَ﴾، وأمّا على الوجه الآخر فلا احتياج إلى تقدير موصوف؛ لأنّ جميع **القرآن** مكرّر في التلاوة، فلا يُمَلُّ كما ذكر، فتأمّل.

قوله: **(مُكرَّراتٌ)** أي: **القرآن** أقاصيصُ مُكرَّراتٌ، وأحكامٌ مكرَّراتٌ، ومواعظُ مكرَّراتٌ.[5]

قوله: **(كقولك: "بُرْمةٌ أعشار")** أي: انكسرت[6] قِطعًا.[7]

---

[1] ن + فلا.

[2] **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٠.

[3] ن: على هذا.

[4] ف: الثاني.

[5] ن – وأحكامٌ مُكرَّراتٌ، ومواعظُ مُكرَّراتٌ.

[6] ن: انلسرت.

[7] وفي هامش د ف: و"قلبٌ أَعشار" على بناء الجمع. "بُرْمةٌ أعشار" إذا انكسرت قِطعًا، و"قلبٌ أعشار" جاء على بناء الجمع، كما قالوا: "رِمحٌ أقصادٌ"، مِن تَقصَّدت الرماحُ إذا تكسَّرت، و"ثوبٌ أخلاق" إذا كانت الخُلُوقة فيه كلِّه. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «عشر».

ويكونَ مُنتَصِبًا على التمييز من ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾؛ كما تقول: رأيتُ رجُلًا حسَنًا شَمائلَ، والمَعنى: متشابهةً مثانيهِ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ التَّثنية والتكرير؟

قلتُ: النفوسُ أَنفَرُ شَيءٍ عن حديث الوَعْظِ والنَّصِيحةِ، فما لـم يُكرَّر عليها عَوْدًا عن بَدْءٍ لم يَرْسَخْ فيها ولـم يَعْمَلْ عَملَه، ومِن ثَمَّ كانت عادةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُكرِّر عليهم ما كان يَعِظُ بهِ وينصَحُ ثلاثَ مرَّاتٍ وسَبْعًا؛ لِيَركُزَهُ في قلُوبهم ويَغْرِسَه في صُدورهم.

"اقشعرَّ الجِلدُ": إذا تقبَّضَ تقبُّضًا شديدًا، وتَركيبُهُ من حرُوف القَشْعِ -وهو الأديمُ اليابِسُ- مَضمُومًا إليها حَرفٌ رابعٌ وهو الراء؛ ليكونَ رُبَاعيًّا دَالًّا على معْنًى زائدٍ.

يُقال: "اقشعرَّ جِلدُه من الخَوف" و"قفَّ شَعرُه" وهو مَثَلٌ في شدَّة الخَوف، فيجُوز أن يُريد به اللهُ سبحانه التَّمثيلَ تصويرًا لإفراط خشيَتِهم، وأن يُريد التَّحقِيقَ.

والمَعْنى: أَنَّهم إذا سَمِعُوا بالقرآن وبآياتِ وعيدِه أصَابتْهُم خَشيةٌ تقشعرُّ منها جلُودُهم، ثـم إذا ذكرُوا اللهَ ورحمَتَهُ وَجُودَه بالمَغفِرة لَانَتْ جُلودُهُمْ وقلوبُهم وزال عنها ما كان بها من الخشيةِ والقُشَعْرِيرَة.

قوله: (**شمائلَ**) تمييز، أي: شمائلَه.

قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ قيل: هذا في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[١] إذا سمِعوا بنزول سورة مِن **القرآن** اقشعرَّت **جلودهم** إشفاقًا مِن أن نُقِمَ[٢] ذَنْب، أو أُنْكِرَ عليهم فِعْل، ثمّ إذا تُليت عليهم لانَتْ[٣] جلودهم وقلوبهم، أي: استسلموا لِما أمَر الله تعالى فيها.

قوله: (**وبالقُشعَريرة**) القُشعريرة: تغيّر يحدُث في جِلد الإنسان عند الوَجَل حتّى تنتصب شُعور جَسده.

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] ن: يقم.

[٣] ف: لانَتْ.

فإن قلتَ: ما وجهُ تعديةِ "لان" بـ﴿إِلَىٰ﴾.

قلتُ: ضُمِّن مَعنى فِعلٍ متعدٍّ بـ"إلَى"؛ كأنَّه قيل: سكَنَتْ -أو اطمأنَّتْ- إلى ذِكر الله لَيِّنةً غيرَ مُنقَبِضَةٍ، راجِيةً غيرَ خاشِيَةٍ.

فإن قلتَ: لمَ اقتصرَ على ذكر الله من غيْرِ ذكرِ الرَّحمة؟

قلتُ: لأن أصلَ أمْرِه الرَّحمةُ والرَّأفةُ، ورَحْمتُه هيَ سَابِقةُ غضَبِه، فلِأصَالةِ رَحْمتِه إذا ذُكِرَ لم يَخطُرْ بالبال قبل كُلِّ شيءٍ من صفاتِه إلَّا كونُه رَؤوفًا رَحيمًا.

فإن قلتَ: لمَ ذُكِرَتِ الجلُودُ وَحْدهَا أوَّلًا ثمَّ قُرِنَتْ بها القُلوب ثانيًا؟

قلتُ: إذا ذُكرت الخشيةُ التي مَحلُّها القلوبُ فقد ذُكِرَت القُلوبُ؛ فكأنَّه قيل: تَقْشعِرُّ جلودُهم من آياتِ الوعيد، وتخشَى قلوبُهم في أوَّلِ وَهْلةٍ، فإذا ذَكرُوا اللهَ -ومَبنَى أمْرِه على الرَّأفة والرَّحمة- استبدَلُوا بالخشيَةِ رجَاءً في قلُوبهم وبالقُشَعْرِيرَةِ لِينًا في جُلودهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ﴾: يُوفِّقُ به ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يَعني: عبادَه المتَّقينَ حَتَّى يخشَوْا تلك الخشيَةَ، ويرجُو ذلك الرَّجاء؛ كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢/٢]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومَن يَخذلْهُ من الفُسَّاق والفَجرةِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

أو: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكائنُ من الخَشْية والرَّجاء ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: أثَرُ هُدَاهُ وهو لُطْفُه، فسمَّاه هُدًى لأنَّه حاصلٌ بالهدى ﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾: بهذا الأثر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عبادِه،

قوله: **(تلك الخشيَةَ)** إشارة إلى ﴿تَقْشَعِرُّ﴾، و**(ذلك الرجاءَ)** إلى ﴿تَلِينُ﴾.[1]

قوله: **(أي: أثرُ هُداه)** فسَّر الهُدى باللُّطف كما هو مذهبه، ثمَّ ذكر أنَّ المراد باللُّطف أثرُه، وأُطلقَ على ذلك الأثرِ اسم الهدى، أي: اللُّطف؛ لأنَّه حاصل منه،[2] فسُمِّي المُسبَّب باسم السبب.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (ومن يَخذُله) مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب، فإنَّ الخِذلان -بناءً على عدم قبول اللطف- سببٌ لإضلال النفس أو الشيطان.

[2] وفي هامش د ف: ويحتمل أن يكون بحذف المضاف، أي: أثر هُداه.

يَعْني: مَن صَحِبَ أولئك وَرَآهُم خاشِينَ راجِين فكان ذلك مُرَغِّبًا لَهُم في الاقتداء بسِيرتهم وسُلوكِ طريقَتِهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومَن لم تُؤثِّر فيه أَلْطافُه لقسْوة قَلبِهِ وإِصْراره على فجوره ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: من مُؤثِّر فيه بشيءٍ قَطُّ.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

يقال: اتَّقَاهُ بدَرَقَتِه: استقبَلهُ بها فوَقَى بهَا نفسَه إيَّاه، واتَّقَاه بيَده، وتقديرُه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ كمَن أَمِنَ العذابَ، فحُذف الخبَرُ كما حُذِفَ في نظائره.

و"سوءُ العذاب": شدَّتُه، ومَعناه: أن الإنسان إذا لَقِي مَخُوفًا من المخَاوِف استقبَلهُ بيَدِه وطلَب أن يَقِيَ بها وجْهَه لأنّه أعزُّ أعْضَائه عليه، والَّذي يُلقَى في النار يُلْقَى مغلُولةً يَداهُ إلى عُنقِه، فلا يتهيَّأ له أن يَتَّقِي النَّارَ إلَّا بوَجْهِه الَّذي كان يَتَّقِي المخاوِف بغيْره وِقَايةً له ومُحاماةً عَليه.

وقيل: المراد بالوَجْه الجُملةُ.

وقيل: نزلت في أبي جهْلٍ.

وقال لهم خَزنَةُ النَّار: ﴿ذُوقُوا۟﴾ وَبالَ ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: (مَن صَحِبَ)... إلخ خشية المهتدين ورجاؤهم مِن لوازم هداهم ومِن آثاره، ثمّ تصير تلك الخشية والرجاء سببًا لهداية طائفة أخرى، فتصير لُطفًا بالنسبة إليهم.

قوله: (﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾)... إلخ فسّر ﴿مَن يُضْلِلِ﴾... إلخ على طريقة مذهبه.

قوله: (بدَرَقَتِه) الدَّرَقة: التُّرْسُ مِن الجِلد، يقال: اتّقى زيدًا بدرَقَتِه، أي: استقبل زيدًا بدَرَقَتِه، فوقى بدَرَقَته نفسَه زيدًا.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهة التي لا يَحْتَسِبُون ولا يخطرُ ببَالهم أنَّ الشَّرَّ يَأتيهم منها، بَيْنا هُم آمِنُون رافِهُونَ إذْ فُوجِئُوا مِن مَأمَنِهم.

و"الخِزيُ": الذُّلُّ والصَّغارُ كالمَسخِ والخسْفِ والقَتل والجَلاء، وما أشبَه ذلك من نكالِ الله.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ مؤكِّدةٌ، كقولك: جاءني زيدٌ رجُلًا صالحًا وإنسانًا عاقلًا، ويجوز أن ينتصِبَ على المَدْح.

﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: مُستَقيمًا بَريئًا من التناقُضِ والاختلافِ.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: مُستقيمًا، أو: غيْرَ مُعْوَجٍّ؟

قلتُ: فيه فائدتانِ:

إحدَاهُما: نفيُ أَنْ يكون فيه عِوَجٌ قطُّ؛ كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف ١٨/١].

والثاني: أنَّ لفظ العوجِ مختصٌّ بالمعاني دون الأَعْيانِ.

وقيل: المراد بالعوَجِ: الشَّكُّ واللَّبْسُ، وأُنشِد:

وقد أتَاك يَقِينٌ غيرُ ذي عوَجٍ   من الإلهِ وقَولٌ غيرُ مكذُوبِ

قوله: (**إذ فُوجِئوا**)[١] الصواب: "إذ فُوجِئوا"[٢] كما هو في الكتاب. وأمّا ما وقع في بعض النُّسخ مِن "إذا فُوجئوا"[٣] فليس بصحيح؛ لأنّ "إذا" المفاجأة لا يقع بعدها إلّا الاسم، وأمّا "إذ" المفاجأة فيجوز وقوع الفِعل بعدها.

قوله: (**وقد أتاك يقين**) أراد القرآن.

---

[١] ن: إذ يوحبوا.
[٢] ن: فوحبوا.
[٣] ن: اداء فوحبوا.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

واضرِبْ لقومِك مَثَلًا وقُلْ لَهُمْ: ما تَقُولون في رَجُلٍ من المَماليك قد اشتَرك فيه شركاءُ بينَهم اختلافٌ وتنَازعٌ، كلُّ واحدٍ منهم يَدَّعِي أنَّه عبْدُهُ، فَهُم يتجَاذبُونه ويتعَاورُونه في مِهَنٍ شَتَّى ومَشَادِهَ، وإذا عَنَّتْ له حَاجَةٌ تدَافعُوه، فهو مُتحيِّرٌ في أمْره سَادِرٌ قد تشعَّبت الهمُومُ قلبَهُ وتَوزَّعَتْ أفكارَهُ، لا يَدْري أيُّهم يُرضِي بخدمتِه، وعلى أيِّهم يَعتمد في حاجاتِه.

وفي آخَرَ: قد سَلِمَ لمالكٍ واحِدٍ وخَلصَ له، فهو مُعْتَنِقٌ لِمَا لزِمَه من خِدْمتِه، معتمِدٌ عليه فيما يُصْلِحُه، فَهمُّه واحدٌ وقلبُه مُجتمِعٌ.

أَيُّ هَذينِ العبْدينِ أحسَنُ حَالًا وأحمَدُ شَأْنًا؟

والمرادُ: تمثيلُ حالِ مَن يُثْبتُ آلهةً شَتَّى، وما يَلزَمه على قضيَّةِ مذهبِهِ مِن أن يدَّعِيَ كلُّ واحدٍ منهم عبُوديَّتَه، ويتشاكسُوا في ذلك ويَتغَالبُوا كما قال تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون ٩١/٢٣]، ويَبْقَى هو مُتحيّرًا ضَائعًا لا يَدْرِي أيَّهم يَعبُد، وعلى ربوبيَّة أيِّهم يَعتمد، وممَّن يَطْلُبُ رزقَهُ، وممَّن يَلتمسُ رفقَه، فَهمُّهُ شَعَاعٌ

قوله: **(ويتعاوَرونه)** تعاوَرُوا الشيءَ واعتَوَروه: تَداولوه.[١]

قوله: **(ومَشادِهَ)** شُدِهَ[٢] الرجل شَدْهًا فهو مَشدوه؛[٣] دُهِشَ، والشَّدَهُ[٤] مِثل: البُخْل والبَخَل، وقال أبو زيد: «شُدِهَ[٥] الرجل: شُغِلَ لا غير».[٦] وقوله: **(سادِرٌ)**[٧] أي: مُتحيِّر. وقوله: **(وتوزّعت)** أي: الهموم.

قوله: **(رِفْقَهُ)** أي: نفْعَه.

قوله: **(شَعاعٌ)** "شَعاع" -بالفتح-: مُتفرِّق، وكذا "أوزاع" مِن التوزيع، وهو جمعٌ صوريٌّ لا واحدَ له.

---

١ **المُغرب** للمطرّزي، «عور».
٢ ن: شدّه.
٣ ن: مشدوده.
٤ ن: الشده.
٥ ن: سدة.
٦ **الصحاح** للجوهري، «شده».
٧ ن: شادر.

وقَلبُه أَوزاعٌ، وحالِ مَن لم يُثبِتْ إلّا إلهًا وَاحدًا، فهو قَائمٌ بما كلَّفه، عارِفٌ بما أَرضَاهُ وما أسخَطَهُ، مُتفضَّلٌ عليه في عاجلِه، مُؤمِّلٌ للثَّواب في آجلِه.

و﴿فِيهِ﴾ صِلةُ ﴿شُرَكَآءُ﴾ كما تقول: اشتَرَكُوا فيه.

و"التَّشاكُس والتَّشاخُسُ": الاختِلافُ، تقُول: تُشَاكَسَتْ أحْوَالُه وتشَاخسَتْ أَسْنانُه.

﴿سَالِمًا لرجُلٍ﴾: خالِصًا له، وقرئ: ﴿سلمًا﴾ بفتح الفاء والعين، وفتحِ الفاء وكسرِها مع سُكون العين، وهي مصَادِرُ "سَلِم".

والمعنى: ذا سَلامةٍ لِرَجُلٍ؛ أي: ذا خُلُوصٍ له من الشِّركَةِ، مِن قَولِهم: سَلِمَتْ له الضَّيْعَةُ.

وقرئ بالرَّفع على الابتداء؛ أَي: وهناك رَجُلٌ سالِمٌ لرَجُلٍ، وإنَّما جعَله رجُلًا ليكون أَفطَنَ لِمَا شَقِيَ به أو سَعِدَ، فإنَّ المرأةَ والصَّبيَّ قد يَغفُلانِ عن ذلك.

و﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: هَل يستَويان صِفَةً، على التَّمييزِ، والمَعْنى: هَلْ تسْتَوِي صِفتَاهُما وحَالَاهُمَا، وإنَّما اقتُصِرَ في التَّمييزِ على الواحِد لبيَانِ الجِنْس.

وقرئ: "مَثَلَينِ" كقَوله: ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ [التوبة ٩/٦٩] مع قَولِه: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم ٣٠/٩].

ويجوز فيمَنْ قرأ: "مَثلَيْنِ" أَن يكُون الضَّميرُ في ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾ للمثَلَيْنِ؛

قوله: (**متفضَّلٌ عليه**) ليس في[1] "مُتفضَّل" ضمير.

قوله: (**على التمييز**)[2] أي: هو نصب على التمييز مِن النسبة في ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾.

/ قوله: (**مع قوله: ﴿أَشَدَّ﴾**) ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا﴾ [التوبة ٩/٦٩].[3] [٣٢١ظ]

قوله: (**ويجوز فيمَن قرأ: "مَثَلَين"**) يعني: قرأ بعضُهم: "هَلْ يَستَويانِ مَثَلَينِ"،[4] وعلى هذه القراءة يجوز[5] ما مرَّ؛ وهو أن يكون الضمير في ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾ لـ"رَجلَين"

---

[1] ن - في.

[2] ف: التمييز.

[3] ن + وأولادًا.

[4] قراءة شاذة، مروية عن ابن أبي عبلة. شواذ القراءات للكرماني، ص ٤١٤.

[5] ن: نحو.

لأن التقديرَ: مَثَلُ رجُلٍ ومَثَلَ رجلٍ، والمعنى: هَلْ يستَويان فيما يَرْجع إلى الوصفِيَّة؟ كما تقول: "كَفى بهما رَجُليْن".

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الواحِدِ الَّذي لا شريكَ له، دُون كُلِّ مَعْبُودٍ سواه؛ أي: يَجِبُ أَن يكُون الحمدُ مُتوجِّهًا إلَيه وَحْدَه والعبَادةُ، فقَد ثبَتَ أنّه لا إله إلّا هو.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيُشرِكُون به غيْرَه.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾

كانوا يترَبَّصُونَ برَسُول الله صلى الله عليه وسلم مَوْتَه، فأخبرَ أنَّ المَوت يَعمُّهُم فلا مَعْنى للتَّربُّصِ وشماتَةِ البَاقِي بالفَانِي.

وعن قتادةَ: نَعى إلى نبيّهِ نفسَه ونعَى إليْكم أنفُسَكم.

وقرئ: "مائِتٌ ومَائتُون"، والفرقُ بين الميّتِ والمَائِتِ: أنَّ الميّتَ صِفةٌ لازِمة كالسَّيّدِ، وأمّا المائتُ فصِفةٌ حادثةٌ؛ تقول: "زيدٌ مائِتٌ غدًا" كما تقول:

كما مرّ. ويكون "مَثَلَين" تمييزًا كما مرّ في القراءة المشهورة. ويجوز هنا وجه آخر؛ وهو أن يعود ضمير ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾ إلى "المَثَلَين" المحذوفين في قوله تعالى: ﴿رَّجُلًا﴾ ﴿وَرَجُلًا﴾، إذ[1] التقدير: مَثَلَ رجل ومَثَلَ رجل،[2] وعلى هذا يئول المعنى إلى قولك: هل يَستوي مَثَلًا رجلين مَثَلين، وهو معنى دقيق، فيُنبِّه المصنّف بأنّ معنى "مَثَلين" ما يرجع إلى معنى الوصفيّة وما يتعلّق بها، فكأنّه قال: هل يستوي هذان الوصفان في الأمور التي تتعلّق[3] بالوصفيّة مِن الكمال والصفات المَرضيّة.

قوله: (رجلَين) أي: فيما يرجع إلى الرجوليّة.

قوله: (وشماتةِ الباقي بالفاني) لأنّ الباقي -أي: مَن بقيَ بعد موت غيره- سيَفنى، وإذا كان مآله أيضًا إلى الفناء فلا معنى لشماتته بفَناء غيرِه.

---

[1] ن: إذا.
[2] ن - ومَثَلَ رجل.
[3] ف: يتعلّق.

"سَائدٌ غَدًا"؛ أي: سيَمُوتُ وسيَسُودُ، وإذا قلتَ: "زيد مَيِّتٌ" فكمَا تقُولُ: "حَيٌّ" في نقيضِه فيما يَرْجِعُ إلى اللُّزُوم والثُّبوتِ.

والمعنى في قَوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: إنَّك وإيَّاهُم وإن كنتُم أَحْيَاءً فَأنتُم في عِداد المَوتى؛ لأنَّ ما هو كائنٌ فكأنْ قد كان.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾: ثم إنَّكَ وإيَّاهُم، فغُلِّب ضميرُ المخاطَبِ على ضميرِ الغُيَّبِ.

﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتَجُّ أَنْتَ عَليهم بأنَّكَ قد بَلَّغْتَ فكذَّبُوا، واجْتَهدْتَ في الدَّعوَةِ فَلَجُّوا في العِنادِ، ويعتَذِرُون بما لا طائلَ تحتَهُ، تقُول الأَتباعُ: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب ٦٧/٣٣]، وتَقُول السَّادات: أَغْوَتنَا الشياطينُ وَآباؤُنَا الأَقْدَمُونَ.

وقد حُمِلَ على اختِصَام الجَميع، وإنَّ الكفار يُخاصِمُ بَعضُهم بَعْضًا، حتى يقالُ لَهُم: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ [ق ٢٨/٥٠] والمؤمِنُون الكافِرينَ يُبَكِّتُونَهُم بالحُججِ، وأَهْلُ القبلة يكون بَينهم الخصَامُ.

قوله: **(في عِداد)** يقال: فلان في عِداد أهل الخير، أي: يُعَدُّ منهم، وفلان عِداده في بني فلان؛ إذا كان ديوانه معهم، أي: يُعَدُّ منهم.

قوله: **(يقول الأتباع)** بيان الاعتذار.

قوله: **(وإنّ الكفّار)** الصواب[1] فيه كسر "إنّ"؛ ليكون بيانًا لقوله: **(وقد حُمل)**... إلخ مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل:[2] المراد اختصام الجميع، وإنّ الكفّار. فيَحسُن عطف قوله: **(والمؤمنون)**... إلخ، وكذا عطفُ قوله: **(وأهلُ القبلة)**... إلخ عليه، فتأمّل.

قوله: **(حتّى يقال لهم)**... إلخ يعني: يظنّ[3] أنّ المراد بالآية اختصامنا مع أهل الكتاب، ولا يُتصوّر أنّ بعضنا يُخاصم بعضًا عند ربّنا؛ لأنّ ديننا واحد، ونبيّنا واحد، حتّى رأيتُ.

---

١ ن: والصواب.
٢ ن + قيل.
٣ ن - يظنّ.

قال عبدُ الله بن عُمرَ رضي الله عنهما: لقد عِشْنَا بُرهَةً من دَهْرِنا ونحن نُرَى أَنَّ هذه الآيةَ أُنزِلتْ فِينا وفي أهلِ الكتابِ، قلنا: كيْفَ نختَصِمُ ونَبيُّنَا واحِدٌ ودِينُنَا واحد وكِتَابُنَا واحِدٌ؟ حتى رَأيتُ بَعضَنا يَضْرِبُ وُجُوهَ بَعْضٍ بالسَّيفِ فعرَفْتُ أنَّها نزَلَتْ فِينا.

وقال أبو سعيد الخدريّ: كُنَّا نقول: رَبُّنا واحِدٌ ونبيُّنا واحد ودِينُنا واحِد فما هذه الخصُومَةُ؟ فلمَّا كان يَومُ صِفِّينَ وشَدَّ بَعضُنَا على بَعضٍ بالسُّيوف قلنَا: نَعم هو هَذا.

وعن إبراهيم النَّخعيّ: قالت الصَّحابةُ: ما خصُومَتُنَا ونحْنُ إِخْوَانٌ؟! فلمَّا قُتِلَ عثمان رضي الله عنه قالُوا: هذه خُصُومَتُنَا.

وعن أبي العَاليَة: نزلَت في أَهْل القِبْلة.

والوَجْهُ الَّذي يدُلُّ عليه كلامُ الله هو ما قَدَّمتُ أوَّلًا، ألا ترى إلى قولِهِ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقولِه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ وما هو إلَّا بيَانٌ وتفسيرٌ للَّذين يكُون بينهم الخصُومة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: افترى عَليه بإضافة الوَلَدِ والشريك إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالأَمْر الَّذي هو الصِّدقُ بعَيْنِه، وهو ما جاء به محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم

قوله: (**﴿بِٱلصِّدْقِ﴾ بالأمر الذي**) يعني: أورد "الصدق" في موضع "الصادق" للمبالغة، كقولك: رجلٌ عدلٌ، أي: عادل.

قوله: (**بعينه**) حال مِن "الصدق"؛ لأنّه مفعول "كذَّب"[١] مِن حيث[٢] المعنى. ثـمّ إنّ الضمير المرفوع المستتر في "بعينه" والمجرورَ البارزَ كلاهما يعودان[٣]

---

١ ن: لذب.
٢ ن: حيت.
٣ ف ن: يعود.

﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فَاجَأَهُ بالتَّكذِيب كمَا سَمِعَ به، من غَيْرِ وَقْفَةٍ لإِعْمَال رَوِيَّةٍ، أو اهتِمامٍ بتَمييزٍ بيْنَ حقٍّ وباطلٍ؛ كما يفعَل أَهْلُ النَّصَفَةِ فيما يَسْمعُونَ.

﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: لهؤلاء الذين كَذَبُوا على الله وكذَّبوا بالصِّدق، واللَّام في "الكافرين" إشَارةٌ إليهم.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هوَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمَن به، وأرادَ به إيَّاه ومَن تَبِعَهُ كما أرادَ بمُوسَى إيَّاه وقَومَه في قَولِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون ٤٩/٢٣] فلِذلك قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، إلَّا أنَّ هَذا في الصِّفة وذاك في الاسْم.

ويجوز أَنْ يريدَ: والفَوْجُ أو الفرِيقُ الَّذي جاء بالصِّدق وصَدَّق به، وهُم الرَّسُولُ الَّذي جاء بالصِّدق وصحَابتُه الَّذين صَدَّقُوا به.

إلى[١] "الصدق"؛ أي: ملتبسًا بعينه. والمراد بالتباس الصدق بعينه أن يكون الصدق صِدقًا محضًا ليس فيه شائبة غيره، ويجوز أن يكون حالًا مِن الأمر، والضميران للأمر،[٢] أي: هو[٣] مِن حيث هو هو صِدْق، أو المرفوع للأمر، والمجرور للصدق، كأنّه قال: كذَّب بالأمر مُلتبسًا الأمْرُ[٤] بعين الصِّدق.

قوله: (**فاجأَه**) مِن المفاجأة، أي: فاجأ الصدقَ.

قوله: (**إلّا أنّ هذا في الصفة**) فإنّ هناك ذكر الاسم، وهو موسى، وههنا ذكر الصفة، وهو المجيء بالصدق.

قوله: (**ويجوز أن يريد: والفَوجُ**)[٥] فعلى الوجه **الأوّل** الجائي بالصدق هو الرسول، والمُصدِّق به أيضًا هو الرسول، لكن ذُكر صفته وأريدَ / به هو وغيره. [٣٢٢و]

---

١ ف ن + أن.
٢ ف: الأمر.
٣ ف – هو.
٤ ن: للأمر.
٥ ن: الفوج.

وفي قراءة ابن مسْعُود رضي الله عنه: "والذين جاؤوا بالصِّدق وصَدَّقوا به".

وقرئ: "وصَدَق به" بالتخفيف؛ أي: صَدق به الناسَ ولم يَكْذِبْهُم به، يَعني: أَدَّاهُ إليهم كمَا نزلَ عليه من غيْرِ تَحْريف.

وقيل: وصار صَادِقًا به؛ أي: بسَببِهِ؛ لِأنَّ القرآن معجزةٌ والمعجزةُ تصْديقٌ من الحكيم الَّذي لا يَفعلُ القَبيحَ لِمَن يُجْرِيها على يَدِه، ولا يجُوزُ أن يُصَدِّقَ إلَّا الصَّادقَ، فيصيرُ لذلك صَادقًا بالمُعجزة.

وقرئ: "وصُدِّق به".

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾

فإن قلتَ: ما مَعنى إضَافةِ الأَسْوَأ والأحسَن إلى ﴿ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، وما مَعنى التفضيلِ فيهما؟

قلتُ: أمَّا الإضافةُ فما هي من إضافة "أفعَلَ" إلى الجُملةِ الَّتي يُفَضَّلُ عَليْها، ولكنْ من إضافة الشَّيءِ إلى ما هُو بَعضُه من غير تَفضِيل؛ كقولك: الأَشَجُّ أَعْدَلُ بني مَرْوانَ.

وأمَّا التفضِيلُ فإيذانٌ بأنَّ السيِّئَ الذي يَفْرُط منهم من الصَّغائر والزلَّاتِ المُكفَّرةِ

وعلى الوجه **الثاني** الجائي بالصدق هو الرسول، والمُصدِّق أصحابُه، فقيل: ﴿ٱلَّذِى﴾، ثمّ بيّن بصِلتين[١] هما في حكم صِلة واحدة.

قوله: **(لِمَن يُجريها)** اللام في "لِمَن" متعلّقة بقوله:[٢] **(تصديقٌ)**.

قوله: **(قلت: أمّا الإضافة)**... إلخ إشارة إلى أنّه وإن ذكر بلفظ التفضيل[٣] فليس المراد منه التفضيل.[٤] فقوله:[٥] **(وأمّا التفضيل)**[٦] إشارة إلى فائدة ذكره بلفظ التفضيل[٧] مع أنّه ليس المراد به التفضيل.[٨]

---

١ ن: صلتين.
٢ ن: بقول.
٣ ن: التفصيل.
٤ ن: التفصل.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: التفصيل.
٧ ن: التفصيل.
٨ ن: التفصيل.

هُو عِنْدهُم الأَسْوَأُ لاستِعْظَامِهم المعصِيَةَ، والحسَنَ الَّذي يعمَلونَه هُو عند الله الأَحْسَنُ لحُسنِ إخلاصِهم فيه، فلذلك ذكرَ سَيِّئهُم بالأَسْوَأ وحَسَنهُم بالأَحْسن.

وقرئ: "أسواءَ الذي عملوا" جمْعُ سوءٍ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أُدخِلتْ همزةُ الإنكار على كلِمة النَّفي فأُفِيدَ مَعْنَى إثْباتِ الكفاية وتَقْريرِهَا.

قرئ: ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، و: ﴿بكافٍ عبَادَهُ﴾ وهُم الأنْبيَاء، وذلك: أنَّ قريْشًا قالت لرسُول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّا نخَاف أَن تُخبِّلك آلهتُنا ....

قوله: (كقولك: الأشجُّ أعدلُ) المراد به أنّه مِن بني مروان، لا أنّ فيهم[١] مَن يَعدِلُ وهو أعدلُهم. المَثَل: «الناقصُ والأشجُّ أعدلَا بني مروان».[٢] و"الناقص" هو محمّدٌ الخليفة،[٣] سُمّي به لأنّه نقص أُعطيةَ القوم. و"الأشجُّ" هو عمر بن عبد العزيز، وكان برأسه شجّة؛ إذ نفحه[٤] فرس مروان، أي: رماه برجله. وههنا المراد إظهار أنّ فيهم[٥] مَن يَعدِل، لا التفضيل؛ إذ كلُّهم جائرون.

قوله: (جمع سَوء) "أسواءٌ" على وزن "أفعال" جمع "سَوءٍ" على "فَعْل".

قوله: (تُخَبِّلَكَ) يقال: خبَّلَه واختَبَله؛ إذا أفسدَ عقلَه أو عضوَه، قال الشاعر:

أَبَــنِــي لُـبَـيْـنـى لـسـتُـمُ بيـدٍ ... إلّا يـــدًا[٦] مَخبولـــةَ العَضُـــدِ[٧]

---

١ ف: فهم.

٢ انظر: المفصّل للزمخشري، ص ١٢٠؛ وأوضح المسالك لابن هشام، ٣/٢٦٥.

٣ ن: الحليقة.

٤ ن – إذ نفحه.

٥ ف: فهم.

٦ ن: يد.

٧ وفي هامش د ف:

يـــدًا لـيـــت لـهـا عَـضُـدُ

| لأوس بن حجر في مجمل اللغة لابن فارس، «خبل»؛ ولسان العرب لابن منظور، «خبل». وهو في ديوان أوس، ص ٢١، بلفظ:

إلّا يَـــدًا ليـــت لهـــا عَضُـــدُ

وإنَّا نخشَى عليك مَعَرَّتهَا لِعَيْبك إيَّاها.

ويُروَى: أنَّه بعَث خالدًا إلى العُزَّى ليَكْسرهَا، فقال له سَادِنهُا: أُحَذِّرُكَها يا خالدُ إنَّ لهَا شِدَّةً لا يَقومُ لهَا شَيءٌ، فعمَد خالدٌ إلَيها فهَشَم أنفَهَا.

فقَال الله عزَّ وجل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ﴾ نبيَّه أنْ يَعْصِمه من كلِّ سوءٍ ويَدفَعَ عنه كلَّ بلاءٍ في مَواطِنِ الخوف؟ وفي هذا تهَكُّمٌ بهم لأنَّهم خَوَّفوهُ ما لا يقْدِرُ على نَفعٍ ولا ضَرّ.

أو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ﴾ أنبياءهُ ولقد قالت أُمَمُهم نحوَ ذلك فكفاهم الله، وذلك قولُ قوم هُودٍ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود ١١/٥٤].

ويجوز أن يُريد: العبْدَ والعِبادَ على الإطلاق؛ لأنه كافِيهم في الشَّدائد وكافلُ مصَالحِهم.

وقرئ: "بكافي عبادِه" على الإضافةِ، و: "يُكافي عبادَه"، و"يُكافي" يَحتمِلُ أَن يكُون غيْرَ مَهمُوزٍ مُفاعَلةً من الكِفاية؛ كقولك: "يُجازِي" في "يَجْزِيَ"، وهو أبلغ من "كفَى" لبنائه على لفظ المغالَبة والمُبَاراةِ، وأَن يكون مهمُوزًا من المكافَأةِ وهي المُجازاة؛ لِمَا تقدَّم مِن قوله: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾.

﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أراد: الأَوْثانَ التي اتَّخذُوها آلهةً مِن دُونه.

﴿بِعَزِيزٍ﴾: بغالبٍ مَنيعٍ ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾: يَنتقِمُ من أعدائه، وفيه وعيدٌ لقُريشٍ ووَعدٌ للمؤمنين بأنَّه ينتقِمُ لهُم مِنهم وينصُرُهمْ عليهم.

وقوله: (مَعَرَّتَها) أي: مضرَّتَها. المَعَرَّة: الإثم. فالمعنى: نخاف أن تأثَمَ بسبب عيبك إيّاها.

قوله: (أو أليس[١] الله بكافٍ أنبياءَه) هذا على قراءة مَن قرأ: ﴿بِكَافٍ عِبَادَهُۥ﴾.[٢]

قوله: (ويُكافِئ يحتمل) أراد أنّه[٣] يجوز أن يُقرأ: "يُكافِئ"[٤] مهموزًا وغيرَ مهموز.[٥]

---

١ ن + أن.

٢ قرأ بها أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٢.

٣ ن: به.

٤ ن: بكافئ.

٥ "يكافي" قراءة شاذّة، عزاها ابن الجوزي إلى ابن مسعود رضي الله عنه وأبي رجاء العطاردي. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، ٧/١٨٤.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾

قرئ ﴿كاشفاتٌ ضرَّه﴾ و﴿ممسكاتٌ رحمتَه﴾ بالتَّنوين على الأصل وبالإضافةِ للتخفيف.

فإن قلتَ: لم فَرَضَ المَسألةَ في نَفْسِه دُونهم؟

قلتُ: لأَنَّهم خَوَّفُوه مَعرَّةَ الأوثان وتَخْبيلها، فأُمِر بأَنْ يُقرِّرَهم أوَّلًا بأَنَّ خالقَ العالَم هو اللهُ وحده، ثمَّ يقولُ لهم بَعد التَّقْرير: فإنْ أرادَنِي خالقُ العالَم الَّذي أقرَرْتُم بهِ بضُرٍّ من مَرَضٍ أو فَقْرٍ أو غيْرِ ذلِك من النَّوازل، أو برَحمةٍ من صحَّةٍ أو غنًى أو نحوِهما، هل هؤلاء اللَّاتي خَوَّفتُمونِي إيَّاهُنَّ كاشِفاتٌ عَنِّي ضُرَّه أو مُمسكاتٌ رحمَته؟ حَتَّى إذا أَلقمَهُم الحجرَ وقَطَعَهُم حَتَّى لا يُحِيرُوا بنتَ شَفَةٍ قال: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ كافيًا لِمعَرَّة أوثانِكم ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وفيه تَهكُّمٌ.

ويُروى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سَأَلَهُم فسَكتُوا فنَزل: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾.

فإن قلتَ: لمَ قيل: "كاشِفات" و"مُمسِكات" على التأنيث بعد قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؟

قوله: (**بالتنوين على الأصل وبالتخفيف**)[1] كلاهما مِن السبعة.[2]

قوله: (**فإن قلتَ: لِم فرضَ المسألةَ؟**)... إلخ إذ قال: ﴿أَرَادَنِىَ﴾، ولم يقل: أرادكم.

قوله: (**قلتُ: لأَنَّهم خوَّفوه مَعرَّةَ**) فلان[3] يَعُرُّ قومه، أي: يُدخل فيهم مكروهًا.[4]

قوله: (**حتَّى لا يُحيروا**) يقال: كَلَّمتُ فلانًا فما أحارَ[5] بِبِنْتِ شَفَه، أي: لم يُجِبْني بكلمة.

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: وبالإضافة للتخفيف.

[2] قرأ أبو عمرو ويعقوب بتنوين ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ﴾، ونصبِ ﴿ضُرِّهِۦ﴾ و﴿رَحْمَتِهِۦ﴾، وقرأ باقي العشرة بغير تنوينٍ فيها وخفضِ ﴿ضُرِّهِۦ﴾ و﴿رَحْمَتِهِۦ﴾. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٦٣.

[3] ن: ولان.

[4] **الصحاح** للجوهري، «عرر».

[5] ن: أجاز.

قلتُ: أَنّثهُنَّ وكُنَّ إناثًا وهن: اللَّاتُ والعُزَّى ومَنَاةُ، قَال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم ٥٣/١٩-٢١] لِيُضَعِّفَها ويُعجِّزها زيادةَ تَضعِيفٍ وتعجيزٍ عمَّا طَالَبَهُم به من كشْفِ الضُّرِّ وإمسَاكِ الرَّحمةِ؛ لأنَّ الأُنوثةَ من باب اللِّين والرَّخاوةِ كما أَنَّ الذُّكُورة من باب الشِّدَّة والصَّلابَة؛ كأنه قال: الإناثُ اللَّاتي هُنَّ اللَّاتُ والعُزَّى ومَناةُ أَضْعَفُ ممَّا تَدَّعُونَ لهنَّ وأَعْجزُ، وفيه تهَكُّم أيْضًا.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٤٠﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على حَالِكُم التي أَنتُم عَليْها وجهَتِكُم من العَداوةِ التي تَمَكَّنتُم منها، والمَكانةُ بِمعنى المكان، فاستُعِيرَت عن العَيْن للمَعنى كما يُستعَارُ "هُنا" و"حَيْثُ" للزَّمانِ وهُما للمَكانِ.

فإن قلتَ: حَقُّ الكلام: "فإنِّي عامِلٌ على مكانَتِي" فلمَ حُذِفَ؟

قلتُ: للاختِصَار، ....

قوله: (**قلتُ**:[١] **أنّثهنّ وكُنّ**[٢] **إناثًا**) أي: ألفاظها مؤنّثة مصطلحة، كالظلمة والغُرْفة[٣] وغير ذلك.

قوله: (**ليضعّفها**) أي: لينسُبها إلى الضَّعْف والعجز.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ **على حالكم**)... إلخ فشُبّهت حالهم وجهتهم بالمكان الذي يَتمكّن فيه المتمكّن.

قوله: (**كما يُستعار "هنا" و"حيث"**) "هنا" و"حيث" موضوعان في الأصل للمكان، وقد يُستعاران[٤] للزمان.

قوله: (**فلِمَ حُذف؟**) أي: لِمَ حُذف الفاء وقوله: "على مكانتي"؟

قوله: (**قلتُ: للاختصار**) "للاختصار" متعلّق بـ"حُذِف الفاء"، وجوابٌ عنه.

---

١ ف - قلت.
٢ ن: ولن.
٣ ن: والمعرفة.
٤ ن: يستعران.

ولمَا فيه من زيادة الوعيد، والإيذانِ بأنَّ حالَهُ لا تَقِفُ وتزدادُ كلَّ يوْمٍ قُوَّةً وشِدَّةً؛ لأنَّ الله مُعِينُه وناصِرُه ومُظهِرُه على الدِّين كلِّه، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كيف توَعَّدَهُم بكونه مَنصُورًا عليهم غالبًا لهم في الدنيا والآخرة؛ لأنَّهم إذا أتَاهم الخِزيُ والعذابُ فذاك عِزُّهُ وغَلَبتُه من حيثُ إنَّ الغَلبَةَ تَتِمُّ له بعزِّ عزيزٍ من أوليائه وبذُلِّ ذليلٍ من أعدائه.

﴿يُخْزِيهِ﴾ مِثلُ ﴿مُقِيمٌ﴾ في وقوعه صفةً للعذاب؛ أي: عذابٌ مُخزٍ لهُ وهو يَومُ بدْرٍ، وعذابٌ دائمٌ وهو عذاب النار.

وقرئ: ﴿مكاناتكم﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿لِلنَّاسِ﴾: لأجْلِهم ولأجْلِ حاجَتِهم إليه ليُبَشَّرُوا ويُنذَرُوا فتَقوَى دوَاعيهم إلى اختيار الطاعةِ على المعْصِية، ولا حاجةَ لي إلى ذلك فَأَنَا الغنيُّ، فمَن اختار الهُدَى فقد نَفع نفسه، ومَن اختار الضلالةَ فقد ضَرَّها، وما وُكِلْتَ عَلَيهم لتُجبِرَهُم على الهُدى فإن التكليف مَبنيٌّ على الاختيار دون الإجْبار.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾؛ أي: الجُمَلَ كما هيَ، وتوفِّيهَا: إماتَتُها، وهو أن تُسْلَبَ ما هِي به حَيَّةٌ حسَّاسةٌ درَّاكةٌ ....

وقوله: (لِما فيه) إشارة إلى عدم الإتيان بقوله: "على مكانتي"، ففي الكلام لَفّ ونشر مِن حيث المعنى، وفيه أنّه لو قيل: "على مكانتي"[1] لَتراءى منه أنّه[2] يكون على حالة واحدة لا[3] تتغيّر ولا تزداد.

---

[1] ن - ففي الكلام لفّ ونشر مِن حيث المعنى، وفيه أنّه لو قيل: "على مكانتي".
[2] ف: أن.
[3] ن: ولا.

من صحَّةِ أجزائها وسَلامتها؛ لأنها عند سَلْبِ الصِّحة كأنَّ ذاتَها قد سُلِبَتْ.

﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ يُريد: ويَتوفَّى الأنْفُسَ التي لم تمتْ في مَنامِها؛ أي: يتوفَّاهَا حين تنَامُ؛ تَشبيهًا للنَّائمِينَ بالمَوتى، ومِنه قَولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام ٦/٦٠]، حيث لا يُميّزون ولا يتَصرَّفُونَ كما أنَّ المَوتى كذلك.

﴿فَيُمۡسِكُ﴾ الأنفُسَ ﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ الحقيقيَّ؛ أي: لا يرُدُّها في وَقتها حيَّةً ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ النائمةَ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾: إلى وقتٍ ضَربه لِمَوتها.

وقيل: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾: يَسْتوفِيهَا ويَقبِضُها، وهي الأنفسُ التي تكونُ معهَا الحَياةُ والحركةُ، ويتوَّفَى الأنفُسَ التي لم تَمُتْ في مَنامِهَا وهي أَنفسُ التَّمييز.

قوله: **(مِن صحّة)** بيان "ما"، ويشير بهذا الكلام إلى مذهبه، وهو أنّ سلامة البِنية شرط للحياة. وقوله: **(لأنّها)** بيان تفسير التوفّي بالإماتة،[1] يريد أنّ التوفّي معناه: القبض والسلب، وإنّما أُطلق على الإماتة بالمعنى المذكور لأنّ صحّة النفس إذا سُلبت / وقُبضت فكأنّ النفس سُلِبت وقُبِضت. والحاصل: أنّه شبّه [٣٢٢ظ] سلبُ ما هي به حسّاسة بسَلبها[2] في عدم بقاء الحياة، ثمّ ذُكر سَلبها وأريدَ سلبُ ما هي به حسّاسة، فيكون قوله: ﴿يَتَوَفَّى﴾ استعارة تبعيّة.

قوله: **(يريد: ويَتوفّى)** يعني شُبّه الإنامة[3] بالتوفّي في عدم التمييز والتصرّف، ثمّ قيل: ﴿يَتَوَفَّى﴾ وأريدَ: "ويُنِيمَ"، وقرينته الإسناد إلى ﴿ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ﴾.

قوله: **(لا يَردُّها)** أي: لا يجعل الأنفُسَ حيّةً حسّاسة برَدِّ[4] ما هي به حيّة حسّاسة. فمعنى قوله: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي﴾: فيُمسك ما الأنفُسُ به حيّة حسّاسة. قوله: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ المراد بالإرسال بهذا التفسير جعلُها مميّزة مُتصرِّفة؛ لأنّ معنى ﴿ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ﴾: أنّه يسلب عنها تمييزَها وتصرّفَها.

قوله: **(وهي الأنفس التي)** وإذا استُوفيَت النفس التي معها الحياة والحركة استُوفيَت النفسُ التي بها التمييز والعقل لا محالةَ.

---

[1] ن: بالأمانة.
[2] ن: سلبها.
[3] ن: الأمانة.
[4] ن: برذ.

قالوا: فالَّتِي تُتوفَّى في النَّوم هي نفسُ التَّمييز لا نفسُ الحَياة؛ لأنَّ نفسَ الحياة إذا زَالَتْ زال معَها النَّفَسُ، والنَّائم يَتنفَّسُ.

ورَوَوا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: في ابن آدمَ نَفْسٌ ورُوحٌ بَيْنهما مِثْلُ شُعَاع الشَّمس، فالنَّفْسُ التي بها العقلُ والتميِيزُ، والرُّوح التي بهَا النَّفَسُ والتَّحرُّكُ، فإذا نام العبْدُ قبَضَ الله نَفسَهُ ولم يقبِضْ رُوحَه.

والصَّحيحُ ما ذكرتُ أوَّلًا؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ علَّق التَّوفِّيَ والموتَ والمنَامَ جميعًا بالأَنفُسِ، وما عَنَوا بنَفْسِ الحيَاة والحركة ونَفْسِ العقل والتَّمييزِ غيْرُ متَّصِفٍ بالمَوت والنَّوم، وإنَّما الجُملةُ هي التي تمُوتُ وهي التي تَنامُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنَّ في توفِّي الأنفسِ مائتةً ونائمةً وإمسَاكِها وإرسَالِها إلى أجلٍ ﴿لَآيَٰتٍ﴾ على قُدْرَةِ الله وعِلْمه ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يُجِيلُون فيه أفكارَهم ويَعتبِرُون.

وقرئ: ﴿قُضِي عليها الموتُ﴾ على البناء للمفعُول.

قوله: (**والصحيح ما ذكرتُ أوّلًا**) رجّح المصنّف القول الأوّل بوجهين:

الأوّل: أنّ الله تعالى علّق التوفّيَ[1] بالأنفس في كلتا الصورتين،[2] حيث قال تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّتِي﴾، أي: والأنفسَ التي لم تمُتْ، وعلّق أيضًا الموت بها في قوله: ﴿مَوْتِهَا﴾، وعلّق أيضًا المنام بها في قوله: ﴿مَنَامِهَا﴾، فلو كان النفس المتوفّى بالموت غيرَ النفس المتوفّى بالنوع إمّا بالنوع أو بالصنف لَما أطلق هكذا في التعليق، فعُلم أنّ المَيّتة والنائمة[3] واحدة بالنوع؛ بل بالصِنف.

الوجه **الثاني**، وإليه أشار بقوله: (**وما عَنَوْا**)[4] عطفًا على اسم "أنّ" في (**لأنّ الله تعالى شأنه**): أنّ ما أرادوا -أي: ما أراد[5] هؤلاء القائلون- بقولهم: نفسُ الحياة غيرُ متّصف[6] بالموت في قولهم: مات زيد مثلًا؛ بل الجملة متّصف به، ولهذا يصحّ أن يقال: هل تموت النفس عند موت الشخص أو لا؟ وكذا المتّصف بالنوم هو الشخص، لا نفسُ العقل والتميز.

---

١ ن: والتوفّي.
٢ ف + من.
٣ ن: والتائمة.
٤ ن: ما عنوا.
٥ ن: أرادوا.
٦ ن: متصرف.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾: بل اتَّخَذَ قُرَيْشٌ، والهمزةُ للإنكار.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من دون إذنه ﴿شُفَعَآءَ﴾ حين قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/١٨] ولا يشفَع عندَه أحَدٌ إلّا بإذْنِه، ألا تَرى إلى قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: هُوَ مالِكُهَا، فلا يَستطيع أحَدٌ شفاعةً إلّا بِشرطَيْنِ: أن يكون المشفُوعُ له مُرْتَضًى، وأن يكُون الشفيعُ مأذُونًا لهُ، وهاهنا الشَّرطانِ مَفقُودانِ جميعًا.

﴿أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ مَعناه: أيشفعُونَ ولو كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ولو كانوا على هذه الصِّفةِ لا يملكون شيئًا قَطُّ حتَّى يَمْلِكُوا الشَّفَاعَة ولا عقلَ لَهُم.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقريرٌ لقَوله: ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لأنَّه إذا كان له المُلكُ كُلُّه والشَّفَاعَةُ من المُلْك، كان مالِكًا لها.

قوله: (**بل أَتَّخَذَ قريش؟**) الهمزة ثابتة مفتوحة؛ لأنّها همزة الاستفهام، ويشير بذلك إلى أنّ "أَم" منقطعة بمعنى "بل" والهمزة.

قوله: (**ولا يشفع عنده أحدٌ إلّا بإذنه**) بيان إنكار اتّخاذ شفعاء مِن دون إذنه.[1] وقوله: (**ألا ترى؟**)... إلخ لبيان صحّة تفسير ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بقوله: (**مِن دون إذنه**)، فعلى ما ذكره يكون قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حالًا مِن قوله: ﴿شُفَعَآءَ﴾، أي: شُفعاء مجاوِزين إذنَ الله في الشفاعة بأن يشفعوا بغير إذنه، يعني: لم يأذن لهم فكيف يشفعون؟

قوله: (**معناه: أيَشفعون؟**)... إلخ أشار بقوله: "معناه"... إلخ أنّ مدخول الهمزة محذوف، وهو "يشفعون"، وأنّ ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ حال مِن فاعله، أي: يشفعون حالَ تقدير عدم مُلكهم وعدم عقلهم، ثمّ بيّن معنى ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ بقوله: (**أي**). ثمّ
[٣٢٣و] قوله: (**ولا يَملِكون**)[2] / بيانُ (**على هذه الصفة**).

قوله: (**والشفاعةُ مِن المُلك**) مبتدأ وخبر، والجملة حال.

---

[1] ن: الله.

[2] في مطبوع الكشّاف: لا يملكون.

فإن قلتَ: بمَ يَتَّصلُ قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟

قلتُ: بمَا يليهِ، مَعْناه: له ملكُ السَّماواتِ والأرض اليَومَ، ثمَّ إليه تُرجَعُون يومَ القيامَةِ، فلا يكون المُلكُ في ذلك اليَومِ إلّا له، فلَه مُلكُ الدُّنيا والآخِرة.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

مَدارُ المَعْنَى على قوْلِهِ: ﴿وَحْدَهُ﴾؛ أي: إذا أُفرِدَ اللهُ بالذِّكْر ولم يُذكر مَعَه آلِهتُهم اشمَأزُّوا؛ أي: نَفَرُوا وانقَبضُوا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ وَهُم آلِهَتُهمْ ذُكِرَ اللهُ مَعهم أو لم يُذْكَرْ، استَبشرُوا لافتِتَانِهم بها ونسيَانِهم حَقَّ الله إلى هَواهُم فيهَا.

وقيل: إذا قيل: "لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له" نَفرُوا؛ لأنَّ فِيه نفيًا لآلهتِهم.

وقيل: أراد استبْشَارَهُم بما سبقَ إليه لسانُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم من ذِكر آلِهتهم حِينَ قَرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ عندَ باب الكعبة فسَجدُوا معَهُ لفَرحِهم.

ولقَد تقَابَل الاستبشارُ والاشْمِئزازُ إذ كلُّ واحدٍ منهما غَايةٌ في بابهِ؛ لأنَّ الاستِبشار: أن يَمْتلئَ قلبُه سُرورًا حتى تنبَسِط له بَشرَةُ وجْهِه ويتهَلَّلَ، والاشمئزازَ: أن يَمْتَلِئَ غمًّا وغَيظًا حتى يَظهرَ الانقباضُ في أَدِيم وَجْهِه.

قوله تعالى: ﴿وَحْدَهُ﴾ مَن قال: ﴿وَحْدَهُ﴾ ثناء على الله كـ"تعالى"[١] أو "سبحانه" فقد أخطأ.

قوله: **(إلى هواهم)** أي: نظرًا[٢] إلى هواهم، فهو متعلّق بقوله: **(نِسيانِهم)**.

قوله: **(بما سبَق إليه لسانُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)**[٣] قال: «تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتَهنّ تُرْتجى».[٤] الغِرْنَوْقُ والغِرْنَيْقُ: الشابُّ الناعم.[٥] قال:

---

١ ن: تعالى.

٢ ف: انظر.

٣ د: عليه السلام.

٤ قال الزيلعي: «قد أطال الناس الكلام على هذا الحديث وفي الطعن فيه، وممّن أجاد في ذلك القاضي عياض في كتاب **الشفاء**». تخريج أحاديث **الكشّاف**، ٣٩٢/٢. وانظر: **الشفا** للقاضي عياض، ص ٦٤٣.

٥ **الصحاح** للجوهري، «غرق».

فإن قلتَ: ما العامِلُ في "إذا ذُكِرَ"؟

قلتُ: العاملُ في ﴿وَإِذَا﴾ المفَاجَأةِ؛ تقديرهُ: وقتَ ذكر الَّذين من دُونه فَاجَؤُوا وَقْتَ الاستِبْشَار.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

بَعِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشِدَّة شكِيمَتِهم في الكُفر والعِناد، فقِيل له: أُدْعُ اللهَ بأسمائه العُظمَى وقُل: أنتَ وَحْدكَ تَقدِرُ على الحُكمِ بيْنِي وبيْنَهم ولا حِيلةَ لغَيْرِك فيهم، وفيه وَصْفٌ لحالِهم وإِعْذارٌ لرسُول الله وتسليَةٌ له ووَعِيدٌ لهُم.

وعن الرَّبيع بن خُثَيْمٍ -وكان قليلَ الكلام- أنَّه أُخبِرَ بقتلِ الحُسين -رضي الله عنه وسَخِط على قاتلهِ- وقالوا: الآنَ يَتكلَّم، فمَا زاد على أن قال: آهِ، أوَقَد فَعَلُوا، وقَرأ هذه الآيَةَ.

ورُوي أنَّه قال على إِثْرِه: قُتِل مَن كان صلى الله عليه وسلم يُجْلِسُه في حَجْرِه ويَضَعُ فاهُ على فِيه.

وشِبْتُ[١] وما شَابَ[٢] الزمانُ الغرانِقُ[٣]

قوله: (**قلتُ: العامل**) أي: عاملُه العامل في "إذا" المفاجئة، أي: العامل في "إذا" الأُولى هو العامل في "إذا" المُفاجئة،[٤] وهو فاجئوا.

قوله: (**بَعِلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم**)[٥] أي: ضَجِرَ ودَهِشَ.

قوله: (**في حَجْرِه**) حَجْر الإنسان وحِجْره بالفتح والكسر، والجمع حُجور.[٦]

---

١ ن: وشيبَ.

٢ ن: نساب.

٣ صدره:
تغيَّرَ حالي والليالي بحالها
لأبي الطيّب المتنبّي في **ديوانه**، ص ٦٨.

٤ ن - أي: العامل في "إذا" الأولى هو العامل في "إذا" المفاجئة.

٥ د: عليه السلام.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حجر».

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وعيدٌ لا كُنْهَ لِفَظَاعَتِهِ وشِدَّتِه، وهو نَظيرُ قولِه في الوَعْدِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة ١٧/٣٢] والمَعنى: وظهَر لهُم من سَخَط الله وعَذابِهِ ما لم يكُنْ قَطُّ في حسَابِهِم ولم يُحَدِّثُوا به نُفوسَهُم.

وقيل: عمِلُوا أَعْمَالًا حَسِبُوهَا حَسنَاتٍ فإذا هيَ سَيِّئاتٌ.

وعن سُفيانَ الثَّوريِّ أنَّه قَرأَهَا فقال: وَيْلٌ لأهل الرِّياء، وَيْلٌ لأَهْلِ الرياء.

وجَزِعَ محمَّدُ بن المُنْكَدر عند مَوْتِه فقِيل له؟ فَقال: أَخشَى آيةً من كتاب الله -وتلَاهَا- فأَنا أخشَى أن يَبْدُوَ لي من الله ما لم أحتَسِبْهُ.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: سيِّئاتُ أَعْمالِهم الَّتي كسبُوهَا، أو: سيِّئاتُ كسْبِهم حين تُعرضُ صَحائِفُهم وكانت خافِيةً عليهم؛ كقوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة ٦/٥٨].

أو أرادَ بالسيِّئاتِ: أنواعَ العَذابِ التي يُجازَوْنَ بهَا على ما كَسبُوا، فسمَّاهَا سيِّئاتٍ كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى ٤٠/٤٢].

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزَل بهم وأَحَاطَ جَزاء هُزئهمْ.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

"التخويل": مختصٌّ بالتَّفضُّل، ويقال: "خوَّلني": إذا أعطَاكَ على غيْرِ جزاءٍ.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على علمٍ مِنِّي أَنِّي سَأُعْطَاه لِمَا فيَّ مِن فضْلٍ واستحقاقٍ.

قوله: **(أي: سيِّئاتُ أعمالهم)** فـ﴿مَا﴾ موصولة. وقوله: **(أو سيِّئاتُ كَسْبِهم)** فـ﴿مَا﴾ مصدريَّة.

أو: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بي وباستِحقاقي.

أو: على علمٍ منّي بوجوه الكسْبِ؛ كما قال قارُونُ: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص ٧٨/٢٨].

فإن قلتَ: لِمَ ذَكَّر الضَّميرَ في ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ وهو للنِّعمةِ؟

قلتُ: ذهَابًا به إلى المعنى؛ لأن قوله: ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: شيئًا من النِّعمة وقِسْمًا منها.

ويحتمل أن تكون "ما" في ﴿إِنَّمَا﴾ مَوصُولةً لا كافَّةً، فيَرْجِعُ إليْها الضَّميرُ، على مَعنى: إنَّ الَّذي أُوتِيتُه على عِلم.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ إنْكارٌ لِقولِهِ؛ كأنَّه قال: ما خَوَّلْناك من النِّعمة لِمَا تقُول ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: ابتِلاءٌ وامتِحانٌ لك أَتشكُر أَمْ تكْفُر.

فإن قلتَ: كيف ذكَّرَ الضَّميرَ ثمَّ أنَّثه؟

قلتُ: حَمْلًا على المعنى أوَّلًا وعَلى اللَّفظِ آخِرًا، ولأنَّ الخبرَ لمَّا كان مُؤنَّثًا -أعني: ﴿فِتْنَةٌ﴾- سَاغ تأنِيثُ المبتدَأ لأجْلِه لأنَّه في مَعناه؛ كقَولهم: "ما جَاءت حاجَتُكَ؟".

وقرئ: "بل هو فتنة" على وَفْقِ ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾.

قوله:[١] (﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ لقوله)...[٢] إلخ أشار المصنّف إلى أنّ الإضراب متعلّق بمحذوف على الوجه الذي ذكره، ولا يجوز أن يتعلّق بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾، إذ يصير المعنى إضرابًا عن ﴿قَالَ﴾، فكأنّه ما قال.

قوله: (**قلتُ: حملًا على المعنى**)... إلخ كقوله تعالى:[٣] ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾... ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب ٣١/٣٣].

قوله: (**ما جاءَتْ حاجتك**) قيل: "جاء" بمعنى "كان"، أي: أيَّ شيء كان حاجتك؟

---

[١] ن - (أو سيّئات كَسْبِهم) فـ﴿مَا﴾ مصدريّة. قوله. [٣] ف ن - تعالى.

[٢] في مطبوع **الكشّاف**: إنكار لقوله.

فإن قلتَ: ما السَّببُ في عَطفِ هذه الآيةِ بالفاءِ وعطفِ مِثْلِهَا في أوَّلِ السُّورة بالواو؟

قلتُ: السَّببُ في ذلك أنَّ هذه وقَعت مُسَبَّبَةً عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ على معنى: أنَّهم يَشمئزُّونَ عن ذكرِ الله ويَستَبشِرُونَ بذِكر الآلهةِ، فإذا مَسَّ أَحدَهُم ضُرٌّ دعَا مَن اشمأزَّ من ذكرِه دُون مَن استَبشَرَ بذِكره، وما بيْنهُما من الآيِ اعتراضٌ.

فإن قلتَ: حَقُّ الاعْتِراضِ أَنْ يُؤكِّد المُعتَرَضَ بيْنَه وبيْنه.

قلتُ: ما في الاعتراض من دعاء رسول الله رَبَّه بأمرٍ مِنهُ، وقولِهِ: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ بينَهُم، ثُمَّ ما عقَبَه من الوعيد العظيم= ....

قوله: **(في عطف هذه الآية)** أي: قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾.

قوله: **(قلتُ: السبب)**... إلخ وسيجيء تحقيق معنى السببيّة.

قوله: **(مَن اشمَأزَّ)** وهو الله تعالى.

قوله: **(مَن استبْشَرَ)** وهو آلهتهم.

قوله: **(أن يؤكِّد المُعتَرِضَ بينه وبينه)** الضمير مِن قوله: "بينَه" أوّلًا يعود إلى اللام، وهو عبارة عن الكلام المتقدِّم على الجملة المعترِضة، فإنّ الاعتراض يكون بين جملتين، والجملة المعترِضة إنّما يأتي ليؤكّد بها كُلّ واحدٍ مِن تَيْنِك الجملتين.

قوله: **(مِن دعاء)** بيان "ما". وقوله: **(بأمرٍ منه)** وهو قوله: ﴿قُلْ﴾.

قوله: **(ثمّ ما عقَبَه)** لا يجوز أن يكون "ما عقَبَه" عطفًا على قوله: **(ما في الاعتراض)**؛ لأنّ "ما عقَبَه" مِن جملة الاعتراض. والضمير المستتر في "عقَبه" عائد إلى الله تعالى، لا إلى الرسول، ويجوز أن يعود إلى الرسول؛ لأنّه المُبلّغ. والبارزُ يعود إلى الدعاء والقول، والمراد مِن الوعيد العظيم هو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

تأكِيدٌ لإنكار اشمئزازِهم، واستبشارِهم ورُجُوعِهم إلى الله في الشَّدائد دون آلهَتِهم؛ كأنّه قيل: قل يا ربِّ لا يَحْكُم بَيني وبينَ هؤلاء الَّذينَ يَجترِؤُونَ عَلَيْكَ مثلَ هذِه الجراةِ ويَرْتكبُون مثلَ هذا المُنكر إلَّا أنتَ، وقولُه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مُتَناولٌ لَهُم أوّلَ كُلِّ ظالمٍ إنْ جُعِل مُطْلَقًا، أو إيَّاهُم خاصَّةً إن عَنَيْتَهُم به؛ كأنّه قيل: ولَو أنَّ لهؤلاء الظَّالِمينَ ما في الأَرضِ جميعًا ومِثْلَه مَعه لافتَدَوا به حين أَحكُم عليهم

ثمّ إنّ المصنّف أشار إلى معنى اعتراضِ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ بقوله: (**كأنّه**) إلى قوله: (**إلّا أنت**). وأشار إلى معنى اعتراض قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ بقوله: (**وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ﴾**) إلى قوله: (**بسوء العذاب**). ثمّ أشار المصنّف بقوله: (**حين أحكُمُ عليهم**) إلى أنّ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ابتداء كلام بطريق الاعتراض، وليس داخلًا[1] في دعاء الرسول ولا في قوله، فلذا قلتُ: الضمير المستتر في "عقّبَه" عائد / إلى الله [٣٢٣ظ] تعالى، فتأمّل. وأفاد المصنّف رحمه الله[2] بقوله: "أحكُمُ عليهم" فائدةً أُخرى، وهي أنّ وِدادتهم هذا الافتداء تكون قبل دخول النار وقتَ حكم الله عليهم بسوء العذاب،[3] واستفاده مِن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

قوله: (**تأكيدٌ لإنكار**)... إلخ فإنّ معنى قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ﴾... إلخ الإنكار، وكذا قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ للإنكار. فالحاصل أنّه يُنكر عليهم رجوعَهم إلى الله في الشدائد بعد ذلك الاشمئزاز والاستبشار.

قوله: (**كأنّه قيل**) بيان "تأكيد الإنكار".

قوله: (**يجترئون**)... إلخ الاجتراء[4] في الاشمئزاز[5] والاستبشار، وأمّا ارتكاب المنكر فهو الرجوع إليه في الشدائد دون آلهتهم، فإنّه يستنكر في العقول الرجوع إليه بعد الاشمئزاز عن ذكره والاستبشارِ بذكر غيره.

قوله: (**خاصّةً**) فعلى التقديرين يكون متناوِلًا لهؤلاء.

---

[1] ن: دخلًا.
[2] د - رحمه الله.
[3] ف: العذاب.
[4] وفي هامش د ف: مبتدأ.
[5] وفي هامش د ف: خبره.

بسُوءِ العَذابِ، وهذه الأَسْرارُ والنُّكَتُ لا يُبرزهَا إلَّا عِلمُ النَّظم وإلا بَقِيَت مُختجِبةً في أكمَامها.

وأمَّا الآيةُ الأُولَى فلم تقَع مُسبَّبةً، وما هيَ إلَّا جُملةٌ ناسَبَتْ جُملةً قبْلهَا فعُطِفَت عَليها بالواو؛ كقولك: قامَ زيدٌ وقعَد عمرٌو.

فإن قلتَ: مِن أيِّ وَجْهٍ وقعَتْ مُسبَّبةً والاشمئزَازُ عن ذكر الله ليس بمُقتَضٍ لالتجَائهم إليه، بل هو مُقتضٍ لصدُوفهم عَنْه؟

قلتُ: في هذا التَّسبيبِ لطفٌ، وبيَانهُ: أنك تقول: "زيدٌ مؤمنٌ بالله فإذا مسَّه ضُرٌّ التَجأ إليه" فهذا تَسبيبٌ ظَاهرٌ لا لَبْسَ فيه، ثم تقولُ: "زيدٌ كافِرٌ بالله فإذا مَسَّهُ ضُرٌّ التَجأ إليه" فتَجيءُ بالفاء مجيئكَ به ثمَّةَ، كأنَّ الكافرَ حينَ الْتَجَأَ إلى اللهِ الْتِجاءَ المؤمِنِ إليه مُقيمٌ كفرَهُ مقَام الإيمانِ ومُجْريهِ مُجْراهُ في جَعْلِه سَببًا في الالتجاءِ، فأنتَ تَحكي ما عَكَّسَ فيه الكافرُ، ألا ترى أنَّك تَقصِدُ بهذا الكلام الإنكَارَ والتعجيبَ من فِعْله.

قوله: (**إلّا عِلمُ[1] النظم**) استثناء مفرّغ، والمراد بـ"علم النظم" عِلم المعاني. وأمّا قوله: (**وإلّا بَقِيَتْ**) فليس باستثناء؛ بل هي "إن" الشرطيّة أُدغمت[2] نونُه في اللام.

قوله: (**في جعلِه سببًا في الالتجاء**)[3] قال الشيخ: **يقول العبد الضعيف أحمد بن الحسن الجاربردي**:[4] **سَنَحَ**[5] **لنا في تحقيق السببيّة معنى آخر، وهو أن يقال**: المعنى المفهوم مِن مجموع الأمرَين -وهما: **الدعاء عند الضرّ، وتركُ الدعاء** عند تخويلِ[6] النِّعمة- هو المُسبَّب،[7] فكان المعنى -والله أعلم- **أنّ اشمئزازه**[8] **مِن** ذكر الله وحده، واستبشارَه **عند ذكر الذين مِن دونه؛ سببٌ لِأنْ لا**[9] **يذكُره تعالى إلّا عند الاضطرار، ويَتركه**[10] **عند النعمة والاختيار.**

---

[1] ن: للاعلام.
[2] ن: اذعمت.
[3] وفي هامش د ف: حُكي ما جَعلوا سببًا للالتجاء للإنكار والتعجيب، فإنّهم جعلوا المنافي للشيء سببًا له، لِما قلنا مِن الإنكار والتعجيب.
[4] د: الجابردي.
[5] ن: سيح.
[6] ف: تحويل.
[7] ن: السبب.
[8] ن: اشمئزاز.
[9] ن - لا.
[10] ن: وتبركه.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٥٠﴾

الضميرُ في ﴿قَالَهَا﴾ راجعٌ إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لأنَّها كلمةٌ أو جُملةٌ من القَول.

وقرئ: "قد قاله" على مَعْنى القَول والكلامِ وذَلك.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: هم قارونُ وقومُه، حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص ٧٨/٢٨] وقومُه راضُونَ بها فكأنَّهم قالُوهَا.

ويجوز أن يكُون في الأُمَم الخالية آخَرونَ قَائلُون مثْلَها.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من مَتَاع الدُّنيَا ويَجمعُون مِنه.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ٥١ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥٢﴾

﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: من مشركي قومك ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾ مِثلُ ما أصابَ أُولئك، فقُتِلَ صَناديدُهم بِبَدْرٍ وحُبِسَ عنهم الرِّزقُ فقُحِطُوا سَبْع سِنينَ، ثمَّ بُسِطَ لهم فمُطِرُوا سَبْع سِنينَ فقيل لهم: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أنَّه لا قابضَ ولا باسِطَ إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾

﴿أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: جَنَوا عَليها ....

قوله: (**على معنى القول**)... إلخ أي: قد قال[1] القولَ، أو قال الكلام، أو قال ذلك.

قوله: (**جَنَوا عليها**) يريد أنَّه ضُمِّن الإسراف[2] معنى الجِناية، فعُدِّي تعديتَها.

---

[1] ن - قال.

[2] ن: الاشراف.

بالإِسْراف في المعَاصي والغُلوِّ فيها.

﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ قرئَ بفَتح النُّونِ وكسرها وضمِّها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يَعني: بشرط التَّوبةِ، وقد تكرَّرَ ذِكرُ هذا الشَّرطِ في القُرآنِ، فكان ذكرهُ فيما ذُكِر فيهِ ذِكرًا له فيما لم يُذكَر فيه؛ لأنَّ القرآن في حُكم كلامٍ واحدٍ، ولا يجُوز فيه التناقضُ.

وفي قراءة ابن عبَّاس وابن مسْعُود رضي الله عنهما: "يَغْفِرُ الذنوبَ جميعًا لمَن يَشاء"، والمرادُ بـ"مَن يشاء": مَن تابَ؛ لأنَّ مشيئة الله تابعَةٌ لحِكمته وعَدْلِه لا لمُلكِه وجبَرُوتِه.

وقيل: في قراءةِ النبيِّ وفاطمةَ: "يغفر الذنوب جميعًا ولا يُبالِي"، ونظيرُ نفيِ المبَالاةِ نفْيُ الخَوف في قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس ١٥/٩١].

وقيل: قال أهْلُ مكَّةَ: يَزعمُ محمَّدٌ أنَّ مَن عَبد الأَوثانَ وقتَلَ النفسَ التي حرَّم الله لم يَغْفِر الله له، فكيْف ولم نُهَاجِرْ وقد عبَدْنا الأوثانَ وقتلْنَا النَّفسَ التي حرَّم الله؟ فنَزلت.

وقوله: (بالإِسراف)[١] في كلامهم: "الإسرافُ[٢] في العِشرة يُورِثُ الإِشرافَ على العُسْرة". قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[٣] «التدبير نِصف العيش».[٤]

قوله: (بشرط التوبة) هذا بناء على مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة والجماعة فهذا لا يُشترط،[٥] لكنّ سياق الكلام هنا دلّ على أنّه شُرط ذلك لقوله: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ ﴿وَأَسْلِمُواْ﴾ إلى غير ذلك مِن الكلام الوارد بعده، المشتملِ على التهديد العظيم؛ وذلك لأنّ الكلام في الكُفّار هنا.

قوله: (وقيل: قال أهل[٦] مكّة) قالوا ذلك بعد فتح مكّة، ونَسخِ وجوب الهجرة مِن مكّة إلى المدينة.

قوله: (فكيف) أي: فكيف يُغفر لنا؟

---

١ ن: بالإشراف.

٢ ن: الاشراف.

٣ د: عليه السلام.

٤ مسند الشهاب للقضاعي، ٥٤/١ (٣٢).

٥ ن: يشرط.

٦ ن – أهل.

وروي أنّه أَسلم عَيّاشُ بن أبي ربيعَة والوليدُ بن الوليد ونَفرٌ معَهما ثمَّ فُتِنوا وعُذِّبوا فافْتَتَنُوا، فكنّا نقولُ: لا يَقْبلُ اللهُ لهُم صرفًا ولا عدلًا أبدًا، فنَزلتْ، فكتَب بها عمرُ رضي الله عنه إليهم فَأسْلَمُوا وهَاجَرُوا.

وقيل: نزلَتْ في وَحْشِيّ قاتِل حمزةَ رضي الله عنه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُحِبُّ أنَّ ليَ الدُّنيا ومَا فيها بهذه الآية»، فقال رجُل: يا رسول الله! ومَن أَشرك؟ فسَكت ساعةً ثمَّ قال: «أَلَا ومَن أَشرك» ثلاثَ مرَّاتٍ.

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: وتُوبُوا إليه ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾: وأخلِصُوا لَهُ العَملَ، وإنَّما ذكرَ الإنَابةَ على إثْر المَغفرة لئَلَّا يَطمَع طامعٌ في حصُولها بغير توبَةٍ، ولِلدَّلالةِ على أنَّها شَرطٌ فيها لازِمٌ لا تحصُل بدُونه.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ مثلُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر ١٨/٣٩].

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: يَفجَؤكُم وأَنتم غافلُون كأنَّكم لا تُحِسُّونَ شيئًا لفَرْط غَفْلتِكم وسَهْوِكم.

قوله: (**لا يَقبل الله لهم صَرفًا ولا عدلًا**) أي: لا يقبل توبةً ولا فِدية. والصَّرف: التوبة، والعدل: الفِدية.

قوله: (**لا تَحصُل بدونه**) أي: لا تحصل المغفرة بدونه، أي: بدون الشرط.

[٣٢٤و] قوله: (**لا تُحِسُّون**)[١] لأنّ الشعور / علم حِسّ، ومنه "المشاعر" للحواسّ.[٢]

---

١ في بعض مطبوعات الكشّاف: لا تَخشَون.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: لأنّ المراد)... إلخ على الأوّل يمكن أن يكون للتحقير. وعلى الثاني للتنويع. وعلى الثالث للتكثير. والثالث لا يختصّ بالجمع كما فُهم مِن كلام الزمخشري وتمثيله بالبيت.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهةَ أن تقولَ.

فإن قلتَ: لمَ نُكِّرتْ؟

قلتُ: لأنَّ المراد بها بعضُ الأنفسِ، وهي نفسُ الكافر.

ويجوز أن يُرادَ: نفسٌ مُتميِّزةٌ من الأنفُسِ: إمَّا بلجَاجٍ في الكُفر شديدٍ، أو بعذابٍ عظيمٍ.

ويجوز أن يراد التكثيرُ؛ كما قال الأعشَى:

ورُبَّ بقِيـــعٍ لـــو هَتَفْـــتُ بجَـــوِّهِ أَتانِـي كريـمٌ ينفُـضُ الـرأسَ مُغْضَبَـا

وهُو يُريد: أفوَاجًا من الكِرام ينصُرونَه، لا كريمًا واحِدًا.

ونظيرُه: "رُبَّ بلَدٍ قطَعْتُ" و: "رُبَّ بَطَلٍ قارَعْتُ":

قوله:

(ورُبَّ بقيـــعٍ لـــو هتَفْـــتُ بِجَـــوِّهِ[1] أتاني كريـمٌ يَنفُـضُ الـرأسَ مُغْضَبَـا)[2]

لعلّـه استُضعِف فـي دار الغربـة فقـال: أتانـي كريـم، أي: كـرام كثيـرون. "البقيـع": موضـع فيـه أروم الشجر مِن ضُروبٍ شتَّى، وبـه سُـمِّي بقيـع الغَرْقَد، وهـي مقبـرة بالمدينـة، والغَرقـد: شـجر كانـت تَنبُـت هنـاك. وهـذا البيـت للأعشـى يشـكو[3] مِـن قومـه حيـن قعـدوا عـن نصـره.[4] الأَرُوم -بفتـح الهمـزة-: أصلُ الشجر.

قولـه: (ونظيرُه:[5] "رُبَّ بلد قَطَعتُ، ورُبَّ بطَلٍ قارَعتُ") بلد، أي: مفازة.

قوله:[6]

---

[1] د: نُحُوِّه؛ وفي هامش د: بِجَوِّه "نسخة". | وفي ديوان الأعشى: "بجَوِّهِ".

[2] ديوان الأعشى، ص ١١٥.

[3] ف ن: يشكوا.

[4] ن: نصرة.

[5] وفي هامش د ف: قوله: (ونظيرُه) أي: في كونه خلاف مقتضى الظاهر، وهو أنّ الذي ليس للتكثير قد استُعمل للتكثير.

[6] د ن - بلد، أي: مفازة. قوله [ووقعت هذه العبارة في هامش د].

وقـــد أَخْـــتَـــلِـــسُ الـطَّـعـنـة

ولا يُقصَدُ إلّا التكثيرُ.

وقرئ: "يا حسرتي" على الأَصْل، ....

(وقـــد أخـتَـلِـسُ الـطـعـنـةَ)

تمامه:

لا يـــدْمـــى[١] لـهـا نَـضـلـي[٢]

قال المرزوقي:

فأمّا قوله:

بـضـربـةٍ لـم تـكـن مـنّـي مـخـالـسـةً[٣]

فهو على خلاف قول الآخَر:

وقـد أخـتـلِـسُ الـضَّـرْبـةَ لا يـدمـى لـهـا نَـصْـلـي[٤]

لأنّ قصد الشاعر هنا إلى أنّه تناول مِن خصمِه ما تناول بتثبُّتٍ[٥] وقوّةِ قلبٍ، لا كما يفعله الجبان، وثَمَّ ذكر تمكُّنَه مِن خَصْمه على شدّة احتراز منه حتّى تناول منه ما تناوَل خَلْسًا، وقد وُصف الشجاع بالمخالِس والخَليس، وكذلك المُصارع.[٦] ومَن مدح خصمَه ثمّ ذكر غَلَبَته[٧] له كان أبلغ في الافتخار به، فاعْرِف فرق بين[٨] الموضعين.[٩]

قوله: **(على الأصل)** يشير به إلى أنّ "حسرتا" بالألف إنّما هو على قلب الياء ألفًا، فإنّ الحسرة إذا أضيف إلى الياء يكون "يا حَسرَتي"، فإذا أبدل الياء ألفًا يصير "يا حسرتا"، فمَن قرأ: ﴿يَٰحَسْرَتَىَ﴾[١٠] جمع بين العِوض والمعوّض.

---

١ ن: يدمى.

٢ للفِند الزِّمّاني، ويُروى لامرئ القيس بن عابس الكندي. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «دفس».

٣ ن: مخالسته.

٤ وفي هامش د ف: ولا تَعجَّلْتُها جُبْنًا ولا فَرَقًا.

٥ ن: تثبّت.

٦ ف: المضارع.

٧ ن: غلبة.

٨ في **شرح ديوان الحماسة**: "ما بين".

٩ **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقي، ٦١/١.

١٠ قرأ بها أبو جعفر المدني، وفتح الياء عنه ابنُ جمّاز، واختلف في ذلك عن ابنِ وَردان عنه. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٣/٢.

و: ﴿يا حسرَتاىَ﴾ على الجمْعِ بين العِوض والمعوَّضِ منه.

و"الجَنْبُ": الجانبُ؛ يُقال: أنَا في جَنْبِ فلانٍ وجَانبهِ وناحيَتِه، وفلانٌ لَيِّن الجَنْبِ والجَانبِ، ثمَّ قَالُوا: فرَّط في جَنْبه، وفي جَانبه، يُريدُون: في حقِّه، قال سابِقٌ البَرْبَريُّ:

أما تتَّقِينَ اللهَ في جَنْبِ وَامِقٍ ... لـهُ كِبـدٌ حَـرَّى علَيكِ تَقطَّعُ

وهذا من باب الكناية؛ لأنَّكَ إذا أثبَتَّ الأمر في مكان الرجُل وحَيِّزِه فقد أثبتَّهُ فيه، ألا ترى إلى قوله:

إن السماحة والمروءةَ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَجِ

ومنه قولُ الناس: "لمكانِكَ فعَلْتُ كذا" يُريدُون: لأجْلِك.

وفي الحديث: «مِن الشِّرك الخفيِّ أَن يُصَلِّي الرَّجُل لمكانِ الرَّجل».

وكذلك: فعَلتُ هذا من جهَتِك.

فمِن حَيْث لم يَبْقَ فرقٌ فيما يرجعُ إلى أدَاء الغَرض بين ذِكر المكان وتركه قيل: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ على معنى: في ذاتِ الله.

فإن قلتَ: فمرجعُ كلامك إلى أنَّ ذِكر الجنْب كلَا ذِكْرٍ سوَى ما يُعْطِي من حُسْنِ الكِنَايةِ وبلاغتِها، فكأنَّه قيل: "فرَّطتُ في الله"، فما مَعنى "فرَّطتُ في الله"؟

قلتُ: لا بُدَّ من تقديرِ مضافٍ مَحْذُوفٍ سَواءٌ ذُكِرَ الجَنْبُ أو لم يُذكَرْ، والمعنى: فرَّطتُ في طاعةِ الله وعبادَةِ اللهِ، وما أَشْبَه ذلك، وفي حرْف عبد الله وحفصَةَ: "في ذكر الله".

قوله: **(العِوض)** وهو الألف. قوله: **(والمُعوَّضِ منه)** وهو الياء.

قوله: **(أما تَتَقِينَ اللهَ)**... البيتَ[1]

كأنّ الخطاب للعذراء، وهي حبيبةُ وامِق.

قوله: **(وفي حرف عبد الله)** أي: في قراءة عبد الله.

---

[1] لجميل بن معمر في ديوانه، ص ١١٩، بلفظ: أَلَا تتَّقين اللهَ في قَتلِ عاشقٍ

و﴿مَا﴾ في ﴿مَافَرَّطتُ﴾ مَصدرِيَّةٌ مِثلُهَا في ﴿بِمَا رَحُبَتۡ﴾ [التوبة ٩/٢٥].

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ قال قتادةُ: لم يَكْفِه أن ضيَّع طاعةَ الله حتى سَخِرَ من أهْلها.

ومَحَلُّ ﴿وَإِن كُنتُ﴾ النصبُ على الحال؛ كأنَّه قال: فرَّطتُ وأنا سَاخِرٌ؛ أي: فَرَّطْتُ في حالِ سُخْرِيَّتي.

وروي: أنه كان في بني إسرائيل عالـمٌ تركَ علمه وفسَقَ، أتاهُ إبليسُ فقال له: تَمتَّعْ من الدُّنيا ثم تُبْ، فَأطاعهُ، وكان له مالٌ فأنفقَه في الفجُور، فأتَاه ملك الموت في أَلَذِّ ما كان فقال: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ذهَب عُمْري في طَاعةِ الشَّيطان، وأسخَطْتُ ربِّي، فنَدِم حين لـم يَنفعْهُ النَّدَمُ فأَنزلَ اللهُ خَبرَه في القرآن.

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾

﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ لا يخلو: إمَّا أن يُريد به الهِدايةَ بالإلجَاء، أو بالإلطافِ، أو بالوَحْيِ، فالإلْجاءُ خارجٌ عن الحِكمة، ولم يكن من أهل الألْطاف فيُلْطَفَ به، وأمَّا الوَحْيُ فقد كان ولكنَّه أَعْرضَ ولـم يَتَّبِعْهُ حتَّى يَهْتَدِيَ، وإنَّما يقول هذا تحيُّرًا في أمْرِه وتعَلُّلًا بما لا يُجْدِي عليه، كما حُكيَ عنهم التَّعلُّلُ بإغواء الرُّؤسَاء والشَّياطين

قوله: (فَرَّطْتُ، وأنا ساخِر) أصله ذلك، ثمّ أدخل عليه "إنْ" المخفّفة للتأكيد، وأدخل "كان" ليدلّ[١] على[٢] تكرّر ذلك منه، نحو: كان حاتمٌ يُكرم الضيف.

قوله: (في أَلَذِّ) مِن "اللَّذَّة".

قوله: (فأنزل الله خبرَه في القرآن) ليعتبرَ به المعتبرون، ويتّعِظ بحاله المُتَنبِّهون.

قوله: (بإغواء[٣] الرؤساء) بأن يقولوا: أغوانا[٤] رؤساؤنا ومتقدِّمونا، أو أغوانا[٥] الشيطان.

---

١ ف: لبدل.
٢ ن: عليه.
٣ ن: بانحواء.
٤ ن: انحواتا.
٥ ن: انحوانا.

ونَحوِ ذلك، ونَحوُه: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾.

وقولُه: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ رَدٌّ مِن الله عليه، مَعناه: بلَى قَدْ هُدِيتَ بالوَحْي فكذَّبْتَ به واستَكبَرتَ عن قَبوله، وآثَرتَ الكُفرَ على الإيمان والضَّلالَة على الهُدى.

وقرئ بكسر التاء على مخاطبَة النفس.

فإن قلتَ: هلَّا قُرِن الجَوابُ بما هو جَوابٌ له، وهو قولُه: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ فَلَم يَفصل بَينهما بآيةٍ؟

قلتُ: لأنَّهُ لا يخلُو: إمَّا أن يَقدِّمَ على أُخرَى القَرائنِ الثلاثِ فيفرِّقَ بَينَهُنَّ، أومَا أن تؤخِّر القرينةُ الوُسطَى، فلم يَحسُنِ الأوَّلُ لِمَا فيه من تَبتير النَّظم بالجمعِ في القرائن، وأمَّا الثاني: فلمَا فيه من نقض الترتيبِ: وهو التحسُّرُ على التَّفريط في الطَّاعةِ، ثم التَّعلُّلُ بفَقْدِ الهداية، ثُمَّ تمنِّي الرَّجعةِ، فكان الصَّوابُ ما جاء جدو، وهو أنَّه حَكى أقوالَ النَّفسِ على ترتيبِهَا ونظمِهَا ثم أجَابَ من بَيْنِهَا عمَّا العالس الجوابَ.

إن قلتَ: كيف صحَّ أن تقعَ ﴿بَلَىٰ﴾ جوابًا لغيْرِ مَنفِيٍّ؟

قلتُ: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ فيهِ معْنَى: ما هُدِيتُ.

قوله: (معناه: بلى قد هُديتَ) فثبت بما ذكره المصنّف أنّ الهداية كانت بدويه الاهتداء، فلا يكون معنى الهداية: الدلالةَ المُوصلة إلى البغية كما هو مذهم يفيل هي الدلالة كما هو مذهب أهل السنّة والجماعة.

قوله: (فإن قلتَ: هلّا قُرِن الجواب)... إلخ الجواب هو قوله: ﴿بَلَىٰ﴾. وقول (قامو) عائد إلى "الجواب"، والضمير مِن "له" ومِن "وهو" عائد إلى "ما". وقول (لـولـم يُفْصَلْ) عطفٌ على "قُرِن"، كأنّه قيل: هلّا[1] لم يُفصلْ، بعد قوله: "هلّا تعلّا"، فيكون معنى السؤال طلبَ القَرْن / بين السؤال وجوابِه، وطلبَ عدم القَصر ولس: هلّا تُرك الفَصل. [٣٢٤ظ]

---

١ ن: حلّا.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾: وصَفُوه بما لا يجُوز عَليه وهو متعَالٍ عنه، فأضَافُوا إليه الولدَ والشريكَ وقالوا: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا﴾ [يونس ١٨/١٠] وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ [الزخرف ٢٠/٤٣] وقالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف ٢٨/٧]، ولا يَبْعُد عَنهم قومٌ يسَفِّهُونَه بفعْلِ القبَائح وتجْويزِ أَن يخلُق خلقًا لا لِغَرضٍ ويُؤلِمَ لا لِعوَضٍ، ويُظلِّمُونَه بتكليفِ ما لا يُطاق، ويُجَسِّمُونه بكَونه مرئيًّا مُعَايَنًا مُدْركًا بالحَاسَّة، ويُثبِتُون له يَدًا وقدمًا وجَنْبًا متَستِّرينَ بالبَلْكَفةِ، ويَجعَلُون له أَندادًا بإثباتهم معَه قدَماءَ.

قوله: **(ولا يَبعُد عنهم)** أي: عن المشركين. وقوله: **(قومٌ)** أي: المُجبِرة والمُشبِّهة. وقوله: **(يُسَفِّهونه)**[1] أي: ينسبونَه إلى السَّفَه. وجميع ما ذكره مدفوع؛[2] لأنّه لا يَقبُح منه تعالى شيء البتّة، والغنيّ المطلق مِن جميع الوجوه لا يفعل شيئًا لِغَرض ولا لِعوض. وقوله: **(ويُظَلِّمونه)** عطفٌ على "يُسَفِّهونه"، وهو تعالى يتصرّف في ملكه كيف شاء، فلا يكون شيء مِن ذلك ظلمًا، وكونه تعالى مرئيًّا لا يقتضي الجسميّة. والمصنّف إنّما نشأ غَلَطه مِن حيث إنّه ظنّ أنّ الرؤية تقتضي المقابَلةَ، فتوهَّم لزوم الجسميّة، وظنُّه مدفوع[3] بأنّ الله تعالى يرانا مع عدم المقابَلة، فعُلم أنّ الرؤية لا تستدعي المقابَلة، كما أنّ السمعَ بحاسّة السمع لا يستدعي الجهة.

قوله: **(بالبَلْكَفة)** أي: بلا كيف.

قوله: **(ويجعلون لله أندادًا)** يريد أن يُبطل ما أثبته أهل السنّة والجماعة مِن الصفات؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، بأنّ هذه الصفات لو[4] كانت ثابتة لكانت قديمة، فيلزم ثبوت القدماء، ويلزم منه

---

[1] ن: يسفهوّنه.
[2] ن: مرفوع.
[3] ن: مرفوع.
[4] ن: فهو.

أو: بسبَبِ مَنْجاتِهم، من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران ١٨٨/٣]؛ أي: بمنجاةٍ مِنه؛ لأنَّ النجاةَ من أعْظم الفَلاح، وسبَبُ مَنْجاتِهم العملُ الصَّالحُ، ولهذا فسَّر ابن عبَّاس رضي الله عنهما المفَازةَ بالأعْمال الحسنَةِ.

ويَجوز: بسبَبِ فَلاحِهم؛ لأنَّ العَمل الصَّالحَ سَببُ الفلاح وهو دخُول الجنَّة.

ويجوز أن يُسمَّى العَملُ الصَّالح في نفسِه: مفازةً؛ لأنَّه سَببُها.

وقرئ: ﴿بمفازاتهم﴾ على أنَّ لكلِّ مُتَّقٍ مَفازةً.

لأنّه سَببها. وقوله: (ويجوز) أي: على تقدير كون "الباء" للسببيّة يجوز أن يكون مجازًا بمرتبة واحدة؛ لأنّ المفازة بمعنى[١] الفلاح كما مرّ، أُطلق مجازًا على سبب الفلاح، ثمّ أكّد هذا بقوله: (ويجوز أن يُسمَّى)... إلخ.

[٣٢٥و] في هذه / الحاشية نظرٌ؛ قال في **الصحاح**: «الفوز: النجاة والظفر بالخير».[٢] فقول المصنّف: (**أو بسبب مَنْجاتهم**) عطفٌ على قوله: "بفلاحهم". وقوله: "ويجوز... ويجوز"[٣] أيضًا عطفٌ عليه.

والحاصل: أنّه ذكر وجوهًا أربعة:[٤]

الأوّل: أنّ المراد بـ"المفازة" الفلاح والظفَر بالمراد، وذلك المراد هو نفي السُّوء والحُزن عنهم، فكأنّه قيل: يُنَجّيهم[٥] بنَفْي السوء والحُزن عنهم.

والثاني: أن يكون المراد بـ"المفازة" النجاةَ، ويكون المضاف محذوفًا، وهو السبب، والمعنى: يُنجّيهم بأعمالهم الصالحة.

والثالث: أنّ المراد بـ"المفازة" هو الفلاح والظفَر بالمراد كما[٦] في الوجه الأوّل، لكن يكون المضاف محذوفًا، وهو السبب،[٧] ويكون المراد بالفلاح دخول الجنّة.

---

١ ن: بمعني.
٢ **الصحاح** للجوهري، «فوز».
٣ ن – ويجوز.
٤ ن + ويجوز.
٥ ن: بنجّيهم.
٦ ن: وكما.
٧ ن: اسبب.

فإن قلتَ: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ ما محلُّه من الإعراب على التفسيرَين؟

قلتُ: أمَّا على التَّفسير الأوَّلِ فلا محلَّ له لأنَّه كلامٌ مُستأنفٌ، وأمَّا على الثاني فمحلُّه النَّصْبُ على الحال.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هو مالكُ أمْرِها وحافِظُهَا وهو من باب الكِناية؛ لأنَّ حافظ الخزائن ومُدبِّرَ أَمْرِها هو الَّذي يَمْلِكُ مقَاليدَها، ومنه قولُهم: "فلانٌ أُلقِيَت إلَيه مقاليدُ المُلكِ"، وهي المَفاتيحُ، ولا واحدَ لهَا مِن لَفظها، وقيل: مِقْلِيدٌ، ويُقال: إقلِيدٌ وأَقالِيدُ، والكلمةُ أَصْلُها فارِسيَّةٌ.

فإن قلتَ: ما للكتاب العربيِّ المُبين ولِلفارسيَّةِ؟

قلتُ: التَّعْريبُ أَحالهَا عربيَّةً كما أَخْرجَ الاستعمالُ المُهمَلَ من كَونه مُهْمَلًا.

فإن قلتَ: بِمَ اتَّصل قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؟

والرابع: أن يكون المراد بـ"المفازة" العمل الصالح مِن غير تقدير المضاف.[1]

و"الباء" على جميع الوجوه الأربعة بمعنى الاستعانة.

قوله: (**على التفسيرين**) يتعلّق بقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾، فإنّ له تفسيرين: **الأوّل:** أن يكون[2] بيانًا وتفسيرًا لـ"مفازتهم".[3] **والثاني:** أن لا يكون تفسيرًا له.

قوله: (**أي: هو مالكُ أمرِها**) أي: أمرِ السماوات والأرض.

قوله: (**فإن قلتَ: ما للكتاب؟**)...[4] إلخ معنى السؤال: أنّه تعالى وصف القرآن بأنّه عربيّ مبين، حيث قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء ٢٦/١٩٥]، فكيف يجوز أن يكون فيه كلمة فارسيّة؟ فأجاب بأنّه لمّا عرَّبها بالتغيير[5] الواقع فيها

---

١ وفي هامش د ف: فيكون مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب.

٢ ن: لكون.

٣ ف ن: بمفازتهم.

٤ ن: لكتاب.

٥ ف: بالتعبير؛ ن: بالتغير.

قلتُ: بقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾؛ أي: يُنجّي اللهُ المتقين بمفازاتهم والَّذين كفَرُوا هُم الخَاسِرُون، واعْترضَ بَينهما بأنَّه خالقُ الأشيَاء كلِّها، وهو مُهيْمنٌ عَليها، فلا يَخفَى عليْه شَيءٌ مِن أَعْمال المكَلَّفينَ منها، وما يَستحقُّون عليها من الجزاء.

وقَد جُعِل متَّصِلًا بما يَليهِ على أنَّ كلَّ شيءٍ في السماوات والأرض فاللهُ خالقُه وفَاتِحُ بابِهِ، والَّذين كَفرُوا وجحَدُوا أَن يكونَ الأمْرُ كذلك أُولئك هُم الخاسِرُون.

وقيل: سألَ عثمان رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن تَفْسير قَوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: «يا عثمان، ما سَألني عنها أحَدٌ قبلَك، تَفسيرُهَا: لا إله إلَّا الله، والله أكبر، وسُبْحان الله وبحمده، وأَستغفِر الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، هو الأوَّلُ والآخِرُ، والظاهرُ والباطِنُ، بيَدِه الخيْرُ يُحْيي ويُميتُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ».

وتأويلهُ على هذا: أنَّ للهِ هذه الكلماتِ يُوَحَّدُ بها ويُمجَّدُ، وهيَ مفاتيح خيْرِ السَّماوات والأرض، مَن تكَلَّم بهَا من المتَّقين أصَابه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وكلماتِ توْحِيدِه وتمجِيدِه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

لم تبقَ فارسيّة، كما أنّ الواضع إذا وضع اللفظ[1] لمعنى[2] فإنّه يُخرجه بالوضع مِن كونه مهمَلًا إلى كونه لفظًا مفيدًا مستعمَلًا.

قوله: (**على أنّ كلّ شيء**) أي: على معنى أنّ كلّ شيء.

قوله: (**«وهو على كلّ شيء قدير»**) تمّ[3] الحديث.[4]

قوله: (**تأويلُه**) ابتداء كلام المصنّف. وقوله: (**على هذا**) أي: على الذي نُقل عن عثمان رضي الله عنه.

قوله: (**أصابه**) الضمير المرفوع المستتر في "أصابه" يعود إلى "مَن"، والمنصوب البارز إلى "الخير"، أو بالعكس.

---

١ ن: الفظ.

٢ ن: بمعنى.

٣ ن: ثمّ.

٤ **الدعاء** للطبراني، ص ٤٨٤ (١٧٠٠)؛ **عمل اليوم والليلة** لابن السنّي، ص ٦٨ (٧٣)؛ **الأسماء والصفات** للبيهقي، ٤٦/١ (١٩).

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ منصُوبٌ بـ﴿أَعْبُدُ﴾، و﴿تَأْمُرُوٓنِّى﴾ اعتِراضٌ، ومَعناه: أَفغيرَ الله أعبُدُ بأمْرِكُم؟! وذلك حينَ قال له المشركُونَ: اسْتلِم بعضَ آلهتِنَا ونُؤمِنُ بإلهك.

أو يُنْصَبُ بما يدُلُّ عَليْه جُملةُ قولِهِ: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ لأنّه في مَعنى: تُعَبِّدُونَنِي وتقُولُونَ لي: اُعْبُدْ، والأصل: تأمرُونَني أَنْ أَعْبُدَ، فَحُذِف "أَن" ورُفِع الفِعلُ كما في قوله:

أَلَا أيُّهَذا الزَّاجري أَحْضُرُ الوَغَى

قوله: (ومعناه) أظنّ أنّ الأولى أن يقال: ﴿تَأْمُرُوٓنِّى﴾ في معنى الحال، كأنّه قيل: أفغيرَ الله أعبُدُ حال أمركم إيّاي بعبادة غير الله؟[1] أو هو في معنى الاستفهام، كأنّه قيل: أفغيرَ الله أعبُدُ،[2] أتأمرونّي بعبادة غير الله؟

قوله: (ونؤمِن بإلهك) في بعض النُّسخ بالنصب، فنصبه كما في[3] قوله: "أكرِمني وأُكرِمَكَ"، كقول الشاعر:

فقلتُ ادْعي وأدعوَ[4] إنَّ أندى لِصَوتٍ أن يُنادِيَ داعِيانِ[5]

قوله: (لأنّه في معنى: تُعَبِّدونني) أي: لأنّ قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ في معنى... إلخ، فكأنّه قيل: يقولون لي: أعبد غيرَ الله.

قوله: (والأصل) هذا إشارة إلى أنّ "أنْ" هنا محذوف.

قوله:

(أَلَا أيّهذا الزاجري أحضُر الوغا)

تمامه:

وأنْ أشْهَدَ اللذّاتِ هل أنت مُخْلِدِ[6]

---

١ ن + قوله.
٢ ن: اعبدو.
٣ ن – في.
٤ ن: وادعوا.
٥ لِدِثار بن شيبان النمري في **سمط اللآلي** للبكري، ١/٧٢٦؛ و**شرح أبيات مغني اللبيب** للبغدادي، ٦/٢٣٠.
٦ ف: مُخلدي. | لطرفة بن العبد في **ديوانه**، ص ٤٤.

ألا تـراكَ تقـول: "أَفغَيـرُ الله تقولـون لـي: أعبُـدُهُ" و: "أَفغَيْـرَ اللهِ تقُولـون لـي: أُعبُدْ" فكذلـك: "أَفغَيْرُ الله تأمرُوننـي أَنْ أعْبُدَهُ"، و: "أفغيـرَ الله تأمرُوننـي أَن أَعبُـدَ".

والدَّليل على صحَّةِ هذا الوجه: قراءةُ من قَرأ: "أعبدَ" بالنَّصب.

وقرئ: ﴿تأمرونني﴾ على الأَصْل، و﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ على إدْغام النُّون أو حَذْفِها.

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾

قرئ: ﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ و: "لَيُحبَطنَّ" على البنَاءِ للمَفعُول، و: "لَنُحبِطنَّ" بالنُّون وباليَاء؛ أي: لَيُحْبِطنَّ اللهُ، أو الشِّركُ.

فإن قلتَ: المُوحَى إليْهم جماعةٌ فكيفَ قال: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ على التَّوحِيد؟

قوله: (**ألا تراك تقول:**[1] **أفغيرُ الله تقولون**)... إلخ يعني: أنّ الأمر نوع مِن القول، فكما جاز ما ذكر في القول جاز في الأمر، لكن إذا جِيء[2] بالقول لا يحتاج معه إلى "أنْ"؛ لِأنّ مفعول القول جملة، وإذا جيء بالأمر فلا بدّ مِن "أنْ" لفظًا أو تقديرًا؛ لأنّ مفعوله لا يكون إلّا مفردًا.

[٣٢٥ظ] اعلم أنّه ينبغي أن ينصب[3] "غير" إذا قيل: / "أعبُد" بدون الضمير، وأن يُرفع إذا قيل: "أعبُدهُ" مع الضمير، وكذلك الحال في المثالين الأخيرين.[4]

قوله: (**قراءة مَن قرأ**)[5] فهذه القراءة[6] تدلّ على أنّ "أنْ" محذوفة.

قوله: (**أو حَذْفِها**) أي: ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ بالتخفيف.[7]

---

١ ن: بقول.

٢ ن: جاء.

٣ ن: نصب.

٤ ن: الأخرين.

٥ قراءة شاذّة، غير منسوبة. ذكرها كذلك أبو حيّان في البحر المحيط، ٢١٨/٩.

٦ ن: القرآن.

٧ قرأ بتخفيف النون نافع وأبو جعفر، وقرأ ابن عامر بنونين خفيفتين؛ الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦٣/٢.

قلتُ: معنَاه: أُوحِيَ إليْكَ لئن أشركتَ ليَحبَطَنَّ عَملُكَ، وإلى الَّذين من قَبلك مِثلُه.

أو: أُوحي إليك وإلى كلِّ واحدٍ منهم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾؛ كما تقول: كَسَانا حُلَّةً؛ أي: كلَّ واحدٍ مِنَّا.

فإن قلتَ: ما الفرق بين اللَّامين؟

قلتُ: الأولى مُوطِّئةٌ للقسم المحذوفِ، والثَّانيةُ لامُ الجواب، وهذا الجوابُ سادٌّ مسدَّ الجَوابين، أعني: جَوابَي القَسم والشرط.

فإن قلتَ: كيف صحَّ هذا الكلام مع علم الله تعالى أنَّ رسُله لا يُشرِكُون ولا تَحْبَطُ أعمالُهم؟

قلتُ: هو على سبيل الفَرْض، والمحالاتُ يصحُّ فرضُها لِأغراضٍ فكيف بما ليس بمحالٍ؟ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس ١٠/٩٩] يعني: على سبيل الإلجاءِ، ولَن يكون ذلك؛ ....

قوله: **(قلتُ: معناه)**... إلخ فعلى الوجه **الأوّل** في الكلام حذف، وعلى **الثاني** لا حذفَ فيه؛ بل الإفراد باعتبار كلّ[١] واحد واحد. وعلى هذا يكون[٢] قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾... إلخ حكاية ما أُوحي إلى كلّ واحد مِن الأنبياء.

قوله: **(ولن يكون ذلك)** يعني: لا يجوز إرادة الإيمان منهم على سبيل الإلجاء؛ لأنّه يبطل[٣] الغرض مِن التكليف، وهو أن يفعلوا أو يتركوا باختيارهم، فثبَت امتناع مشيئة الإيمان منهم على سبيل الإلجاء، مع أنّه تعالى فَرضَ ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ [يونس ١٠/٩٩]. وهذا الذي ذكره مبنيّ على مذهبه تفسيرًا وامتناعًا، فإنّ تفسير هذه الآية عندنا: لو شاء إيمانَهم باختيارهم لآمنوا[٤] باختيارهم، وأيضًا لا يمتنع عندنا أن يُلجِئ الجميعَ على الإيمان ويضطرّهم إليه.[٥]

---

١ ن: كلّه.

٢ ن: لكون.

٣ ن: بطل.

٤ ن: للامنوا.

٥ ن: اليد.

لامتناع الدَّاعي إليْه ووجودِ الصَّارف عنه.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؟

قلتُ: يَحتمِلُ: ولتكونَنَّ من الخاسرين بسَبب حبُوط العمل، ويَحتمِلُ: ولتكُوننَّ في الآخرة من جُملة الخاسِرين الَّذين خسِرُوا أنفسَهم إن مُتَّ على الرِّدَّة.

ويجوز أن يكون غضبُ الله على الرَّسول أشَدَّ فلا يُمهِلُه بعد الرِّدة، ألا ترى إلى قولِهِ: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء ١٧/٧٥].

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ رَدٌّ لِمَا أمَرُوه بِهِ من استلامِ بعضِ آلهتِهم؛ ....

وقوله: **(لامتناع الداعي)** يعني: يمتنع أنْ يكون له تعالى داعٍ إلى إلْجاء الخلق إلى الإيمان لكون ذلك عبثًا، وله تعالى صارف عن إلجائهم، وهو حكمتُه، وجميع ذلك بناء على مذهبه.

قوله: **(ويجوز أن يكون غضبُ الله)** عطفٌ على قوله: **(إن مُتَّ على[1] الرِّدّة)** يعني: أنّ الإشراك لا يقتضي[2] حبوط العمل مطلقًا؛[3] بل إنّما يقتضي[4] الحَبْط بشرط الموت على الرِدّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة ٢/٢١٧]، فلا بُدّ مِن تقدير هذا الشرط في الآية، ثمّ أشار إلى أنّه يجوز أن يُقال: لا حاجةَ إلى هذا الاشتراط، فإنّه لا بُدّ مِن تحقّقه؛ لأنّه تعالى لا يُمهله بعد الارتداد؛ بل يُعاجله بالموت لشدّة غضبه عليه، ثمّ اعلم أنّ قوله: "إنْ مُتَّ"... إلخ متعلّق بالتفسيرين[5] المذكورين لقوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾.[6]

قوله: **(ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾)** ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الإسراء ١٧/٧٤-٧٥].

---

١ ن – على.
٢ ن: تقتضي.
٣ ن: وخلقًا.
٤ ن: تقتضي.
٥ ن: بالتفسير.
٦ ن + إليهم.

كأنَّه قال: "لا تعبُدْ ما أمرُوك بعبادته، بل إن كنتَ عاقلًا فاعبُدِ الله" فحُذف الشَّرطُ وجُعل تقديمُ المفعول عِوَضًا منه.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ما أنعَمَ به عليكَ مِن أن جعَلك سَيِّدَ ولدِ آدمَ.

وجَوَّز الفراءُ نصْبَه بفعْلٍ مُضْمرٍ هذا مَعْطوفٌ عليه، تقديرُه: بل اللهَ اعْبُدْ فاعْبُدْ.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

لمَّا كان العظيم من الأشياء إذا عَرفهُ الإنسان حقَّ مَعْرفته وقَدَّرَهُ في نفسِه حقَّ تَقديره عظَّمه حقَّ تعظيمهِ قيل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

قوله: (**مِن أنْ جعلك**) بيان "ما".

قوله: (**وجوَّز الفرّاء**)... إلخ وأمّا مَن لم يُجوِّز ما قاله الفرّاء فلِما يلزم مِن عطف الشيء على نفسه، أي: عطف ﴿ٱعْبُدْ﴾[١] على ﴿أَعْبُدُ﴾، لكن للفرّاء أن يقول عُطف قوله: ﴿ٱعْبُدْ وَكُن﴾، أي: هذا المجموع على ﴿أَعْبُدُ﴾ أوّلًا.

قوله: (**وقدَّرهُ في نفسه**) أشار بقوله: "وقدَّره في نفسه" إلى أنّ "قدَر" في الآية مُخفّفًا بمعنى "قدَّر" مُشدَّدًا،[٢] وزاده بيانًا بقوله: "وقُرئ بالتشديد"، قال في **الصحاح**: «قَدَرتُ الشيءَ أقدُره وأقدِره قَدْرًا مِن التقدير، قال الشاعر:

كِلَا ثَقَلَينا طامِعٌ في غنيمةٍ[٣] وقد قَدَرَ الرحمنُ ما هو قادرُ[٤]

أي: مقدَّرٌ».[٥] وأنا أقول: معنى التقدير راجع إلى المعرفة والعلم. والحاصل: أنّ معرفة العظيم حقَّ معرفته توجب تعظيمه حقَّ تعظيمه، فأُطلق هنا الملزوم وأريدَ اللازم،[٦] فيكون مجازًا، وإنّما حَملوا الآية على هذا المعنى المجازيّ دون / الحقيقيّ [٣٢٦و]

---

١ ن: أعبده.

٢ ن: مشيّددا.

٣ ن: غنيمته.

٤ لإياس بن مالك المعنى في **لسان العرب** لابن منظور، «قدر».

٥ **الصحاح** للجوهري، «قدر».

٦ ن: الازم.

وقرئ بالتَّشديد على معنى: وما عَظَّمُوه كُنْهَ تعظيمِهِ.

ثُمَّ نَبَّهَهُمْ على عظَمته وجَلالةِ شأنِه على طريقة التخييل فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ والغرضُ من هذا الكلام إذا أَخَذْتهُ كما هُو بجُملتهِ ومجمُوعهِ تصْويرُ عظمته والتوقيفُ على كُنْه جلالِه لا غيْرُ، من غيْرِ ذهَابٍ بالقَبْضة ولا باليَمين إلى جهةِ حقيقةٍ أو جهة مجازٍ.

وكذلك حكمُ ما يُروَى: أنَّ جبريل صلواتُ اللهِ عليه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبَا القاسِم، إنَّ الله تعالى يُمسِك السَّماوات يومَ القيامة على أُصْبعٍ، والأَرضين على أُصْبعٍ، والجبالَ على أُصبعٍ، والشَّجرَ على أُصبعٍ، والثَّرى على أُصْبعٍ، وسائرَ الخَلْقِ على أُصبعٍ، ثم يهُزُّهنَّ فيقول: أنا الملك، فضحِكَ رسُول الله تعجُّبًا ممَّا قال، ثمَّ قرَأ تصديقًا لَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآيَةَ.

لأنّ[١] أحدًا مِن المخلوقات ما عرفه حقَّ معرفتِه، فكيف يُنكر على الكفّار أنّهم ما عرفوه حقَّ معرفتِه؟ فإنّ ذلك معنى مشترك بين الجميع.

قوله: (وقُرئ بالتشديد) جملة معترِضة، وهي قراءة شاذّة.[٢]

قوله: (وكذلك حكم ما يُروى أنّ جبريل)... إلخ اعلم أنّ هذا الحديث يُروى[٣] عند أئمّة الحديث وفي كتب الحديث على وجه[٤] آخر؛ وهو أنّ حَبرًا[٥] جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[٦] فقال: «إنّ الله يُمسِك»... إلخ،[٧] ثمّ قال بعض الشارحين: يحتمل أن يكون ضِحك النبيّ عليه السلام[٨] استحسانًا لقوله، وأن يكون مَنْعًا وردًّا له، وإشارةً إلى أنّه ينبغي أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا﴾... إلخ لا يذكر الأصابع... إلخ، هكذا ذكرَه، لكن المرويّ مع الحديث أنّ ضحكه كان استحسانًا.[٩]

---

١ ن: سلان.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن بن عمران. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٦.

٣ ن: يرومى.

٤ ن: وجهه.

٥ ن: خبرًا.

٦ د ن: عليه السلام.

٧ صحيح البخاري، ١٢٣/٩ (٧٤١٤)؛ صحيح مسلم، ٢١٤٨/٤ (٢٧٨٦).

٨ ف - عليه السلام.

٩ انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض، ٣١٥/٨؛ وفتح الباري لابن حجر، ٣٩٨/١٣.

وإنما ضحِك أَفْصحُ العَرب وتعجَّبَ لأنَّه لم يَفهَم مِنْه إلَّا ما يَفْهمهُ علماءُ البيان من غيرِ تصوُّرِ إمْساكٍ ولا أصبعٍ ولا هَزٍّ ولا شيءٍ من ذلك، ولكنَّ فهْمَهُ وقع أوَّلَ شيءٍ وآخِرَهُ على الزُّبدة والخُلاصِة الَّتي هي الدَّلالةُ على القُدرة الباهِرة، وأنَّ الأفعال العِظامَ الَّتي تتحيَّر فيها الأذهانُ ولا تكتَنِهُها الأوْهامُ هيِّنةٌ عليه هَوانًا لا يُوصِلُ السَّامعَ إلى الوقوف عليه إلَّا إجْراءُ العبَارةِ في مِثْلِ هذه الطَّريقةِ من التخييلِ، ولا ترَى بابًا في عِلم البيان أدقَّ ولا ألطَفَ من هذا الباب، ولا أنفَعَ وأعوَنَ على تعاطِي تأويل المُشتَبِهاتِ من كلام الله في القرآن وسائر الكتبِ السَّماوية وكلامِ الأنبياء، فإن أكثَرَه وعلْيَتَهُ تخييلاتٌ قد زَلَّتْ فيها الأقْدامُ قَدِيمًا، وما أُتِي الزَّالُّونَ إلَّا مِن قلَّةِ عنايتِهِمْ بالبَحثِ والتَّنقير حتى يَعلمُوا أنَّ في عِداد العلوم الدَّقيقة عِلمًا لو قدَرُوه حقَّ قدْرِه لمَا خفِي عَليهم أنَّ العلومَ كلَّها مفتقِرةٌ إليه وعِيالٌ عليه، إذ لا يَحُلُّ عُقَدَهَا المُورَبَةَ ولا يَفُكُّ قيُودَهَا المُكربَةَ إلَّا هُو، وكم آيةٍ من آيات التنزيل

قوله: (**أفصحُ العرب**) يريد بـ"أفصح[1] العرب" النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم،[2] وإنَّما ذكره بهذا الوصف إشارة إلى أنَّه بفصاحته فَهِمَ هذا المعنى الدقيق، يعني: ضحِك تعجّبًا مِن القدرة التي لا يسَعها العبارة إلَّا بمثل هذا التخييل.

قوله: (**ولا شيء مِن ذلك**) أي: مِن السماوات والأرضِين والجبالِ والشجرِ وسائرِ الخلق، وإنَّما قال: "ذلك"، ولم يقل: تلك؛ باعتبار المذكور.

قوله: (**مِن التخييل**)[3] بيان "الطريقة". وقوله: (**مِن هذا الباب**) أي: التخييل. وقوله: (**وأَعْونَ**)[4] أي: مِن هذا الباب.

قوله: (**عِلمًا**)[5] أي: علم البيان.

قوله: (**الموزَّبةَ**) الأُرْبة[6] -بالضمِّ-: العُقدة، وتأريبها:[7] توثيقها، وفي الحديث:

---

١ ن: فأفصح.

٢ د ن: عليه السلام.

٣ ف: التحييل.

٤ ن: واعونى.

٥ ن: علماء.

٦ ف: الأَرُبة.

٧ ن: وتأربيها

وحديثٍ من أحاديث الرّسول قد ضِيمَ وسِيمَ الخسْفَ بالتأويلاتِ الغثَّةِ والوجوه الرثَّةِ؛ لأنَّ مَن تأوَّلَ ليس من هذا العلم في عِيرٍ ولا نَفيرٍ، ولا يَعرفُ قَبيلًا من دَبيرٍ.

أُتِيَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[١] بكتِفٍ مُورَّبةٍ، فأكل وصلّى ولم يتوضّأ،[٢] أي: مُوَفَّرةٍ لَحمًا. يقال: قَيدٌ[٣] مُكرَّب ومَكروبٌ، أي: موثّقٌ مشدود.[٤]

قوله: **(في عِيرٍ[٥] ولا نفيرٍ)** نَفَر القوم في الأمر، أو إلى الثَّغْر، نَفْرًا ونَفيرًا، والنفير أيضًا: القوم النافرون لحرب أو غيرها، ومنه قولهم لِمَن لا يَصلح لِمُهمّ:[٦] «لا في[٧] العِير ولا في النفير»، والأصل: عِيرُ قريش التي أقبلتْ مع أبي سفيان[٨] مِن الشام، والنفيرُ مَن خرج مع عُتبة بنِ ربيعةَ لاستنقاذها[٩] مِن أيدي المسلمين، فكان ببدرٍ ما كان، وهما الطائفتان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الأنفال ٨/٧]. وأوّل مَن قال ذلك أبو سفيان[١٠] لبني زُهْرة حين صادفهم منصرفين إلى مكّة. قال الأصمعي: «يُضرب للرجل[١١] يُحَطُّ أمرُه، ويُصَغَّر قدْرُه».[١٢] والعِير -بالكسر-: الإبل تحمل المِيرةَ.[١٣] والنفير: الجماعة المتقدّمة إلى الغَزْو. والقَبيل[١٤] مِن الفَتْل: ما أقبلْتَ به إلى صدرك. والدبير: ما أدبَرْتَ به[١٥] عن صدرك.[١٦] الدَّبيرُ:[١٧] ما أدبرَتْ به المرأة مِن غَزْلها حين تَفْتِلُه.[١٨] ولا يَعرِف قبيلًا مِن دبيرٍ، فَوْزَ القِدْح وخَيبَتَه،[١٩] ولا المُلائمَ مِن غير المُلائمِ.

---

١ د ن: عليه السلام.

٢ ذكره بهذا اللفظ أبو عبيد في **غريب الحديث**، ٢٤/١. وهو في **مسند أحمد**، ٤٤٦/٣ (١٩٨٨)، بلفظ: «أكَل كتفًا، ثمّ صلّى ولم يتوضّأ». وفي **التمهيد** لابن عبد البرّ، ٣٤٦/٣: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أكَلَ كتِفًا مَهرِيّة -يعني: نضِجة- ثمّ مسح يده ثمّ صلّى.

٣ ن: فيد.

٤ ن: مسدود. | انظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، «كرب».

٥ ن: غير.

٦ ن: ممهمّ.

٧ ن: لاخ.

٨ ف: سفين.

٩ ن: الاستنقاذها.

١٠ ف: سفين.

١١ ف: للرحل.

١٢ **المُغرب** للمطرّزي، «نفر»؛ **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٢١/٢.

١٣ **الصحاح** للجوهري، «عير».

١٤ ن: واكقبيل.

١٥ ف: عنه.

١٦ عن ابن السكّيت في **مجمل اللغة** لابن فارس، «دبر».

١٧ ن - ما أدْبَرْتَ به عن صدرك الدبير.

١٨ **الصحاح** للجوهري، «قبل».

١٩ قال المفضّل: «القَبيل: فوزُ القِدْح في القمار. والدَّبير: خَيبة القِدْح». **لسان العرب** لابن منظور، «قبل».

والمرادُ بالأرض: الأَرَضُون السَّبْعُ، يشهَد لذلك شاهِدانِ: قولُه: ﴿جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، ولأن الموضع موضِعُ تعظيمٍ وتفخيمٍ فَهُو مُقتضٍ للمُبالغةِ، ومع القصدِ إلى الجمْع وتأكيدِه بالجميع أتبَعَ الجميعَ مؤكِّدَهُ قبلَ مجيءِ الخَبر ليُعلَمَ أوَّلَ الأَمْر أنَّ الخَبر الَّذِي يَرِدُ لا يَقَعُ عن أرْضٍ واحدةٍ ولكِنْ عن الأراضي كلِّهنَّ.

و"القَبْضَةُ": المرَّةُ من القَبْض: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه ٢٠/٩٦]، و"القُبْضَةُ" بالضمِّ: المِقدارُ المقبوض بالكفِّ، ويقالُ أيضًا: "أَعْطِنِي قَبْضةً من كذا" تُريد مَعْنى القُبْضةِ تسميةً بالمصْدر، كما رُوي: أنَّه نهى عن خَطْفَة السَّبُع، وكلَا المعنيين مُحتَملٌ.

والمعنى: والأَرَضُون جميعًا قَبْضَتُه؛ أَي: ذواتُ قبضتِه يَقبِضُهنَّ قبضةً واحدةً، يَعني: أنَّ الأَرَضِينَ مع عِظَمهن وبَسطتهنَّ لا يَبْلُغْنَ إلَّا قبضةً واحِدة من قبَضاتِه

وقيل: القَبيل: المفتول قُبْلًا، والدَّبيرُ على عكسه. وقيل: الطاعةَ مِن المعصية.[1] وأيًا ما كان الكلمة مِن الإقبال والإدبار.

قوله: (شاهدانِ أحدهما: لفظي، وهو ﴿جَمِيعًا﴾ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾. / والثاني: معنويّ، وهو أنّ الموضع موضع تعظيم. فقوله: (ولأنّ) عطفٌ باعتبار المعنى، فكأنّه قال: المراد الأرَضُون لقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، ولأنّ المَوضع. ويجوز أن يقال: المراد بـ"الشاهدَين"[2] الشاهدان اللفظيّان، فيكون قوله: "ولأنّ" عطفًا[3] مِن حيث المعنى على قوله: (يَشهد)، فكأنّه قال: المراد الأرَضون؛ لدلالة هذين اللفظين، ولأنّ قوله: (عن خَطْفَة السَّبُع)،[4] أي: عن أكل ما يَخْتَطِفُه السَّبُع. [٣٢٦ظ]

قوله: (والمعنى) أي:[5] على إرادة معنى الفتح.

---

١ انظر: المستقصى للزمخشري، ٢/٣٣٧.

٢ ف: بالشاهدان.

٣ ن: عطف.

٤ ن: السبع. | الحديث في مسند أحمد، ٤٥/٥٠٥ (٢٧٥١٢)؛ ومصنّف عبد الرزّاق، ٤/٥١٤ (٨٦٨٨)، بلفظ: «نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن كلّ ذي خِطْفة، وعن كلّ نُهبة، وعن كلّ مُجَثَّمة، وعن كلّ ذي ناب مِن السباع».

٥ ن: أبي.

كأنّه يقبضُها قَبضةً بكفٍّ واحِدةٍ؛ كما تقول: "الجَزُور أَكْلَةُ لُقمَانَ والقُلَّة جَرْعتُه"؛ أي: ذاتُ أَكْلتِه وذاتُ جَرْعتِه، تُريد: أنّهما لا يَفيَانِ إلّا بأكْلةٍ فَذَّةٍ من أَكَلاتِه وجَرْعةٍ فَرْدةٍ من جَرَعاتِه.

وإذا أُريدَ مَعنى القُبْضةِ فظاهرٌ؛ لأنَّ المعنى: أنَّ الأرضِين بجُملتِها مقدارُ ما يَقبِضُه بكفٍّ واحدةٍ.

فإن قلتَ: ما وجْهُ قراءةِ مَن قرأ: "قَبْضتَه" بالنصب؟

قلتُ: جَعَلها ظرْفًا مشبَّهًا للمؤقَّت بالمبهَم.

﴿مَطْوِيَّٰتٌ﴾ من الطَّيِّ الَّذي هو ضدُّ النَّشْر؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء ١٠٤/٢١] وعادَةُ طَاوِي السِّجلِّ أَنْ يطويَهُ بيَمينِه.

وقيل: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾: مِلْكُه بلا مُدافعٍ ولا مُنازِعٍ، و﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: بقُدرته.

وقيل: ﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾: مُفنيَات بقَسَمِه؛ لأنّه أقسَم أَنْ يُفنِيَها.

ومَن اشتمَّ رَائحةً مِن عِلْمِنا هذا فليُعْرَض عليه هذا التَّأويلُ، ....

قوله: (**أَكْلَةُ لقمان**)... إلخ يعني: لقمان[1] بن عاد، وكان شجاعًا أكولًا، يتغدّى بجَزور، ويتعشّى بأخرى، ويتعلّل بفصيلٍ بين ذلك، فأفضى إلى امرأته فلم يصِل إليها، وقال: «كيف أصل إليكِ وبيني وبينك جَزوران».[2] ولقمان المذكور في كتاب الله هو الحبشي مولَى داود، ما رأوه[3] تَنخَّمَ ولا تَبزَّق، وكان لا يأتي إلّا مجالس[4] الحكماء ليستفيد منهم ويعتبر.

قوله: (**مُشبّهًا للموقَّت بالمبهم**) كما في قول الشاعر:

لَـدْنٌ بِـهَـزِّ[5] الـكَـفِّ يَـعْسِـل متنُه   فيـه[6] كمـا عَسَـل الطريـقَ الثعلـبُ[7]

قوله: (**ومَن اشتمَّ رائحةً**) ردّ لهذا الوجه الأخير.

---

١ ف: لُقمَن.
٢ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٨٦/١؛ و**المستقصى** للزمخشري، ٧/١.
٣ ن: ما رواه.
٤ ن: مجانسة.
٥ ن: بهذا.
٦ د ن - فيه ["صح" في هامش د].
٧ لساعدة بن جؤية الهذلي في **المحكم** لابن سيده، «عسل»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «عسل».

ليَتَلهَّى بالتعجُّبِ منه ومِن قَائلهِ، ثـمَّ يَبْكِي حَمِيَّةً لكلام الله المُعجز بفصَاحتهِ وما مُنِيَ به من أَمثاله، وأثقَلُ منه على الرُّوح وأصْدَعُ لِلكَبِد تَدْوِينُ العلماء قولَه، واستحسانُهم له، وحكايتُه على فرُوع المَنابِر، واستجلابُ الاهتزاز به من السَّامعين.

وقرئ: "مَطْويَّاتٍ" على نَظْمِ السماوات في حُكمِ الأرض ودخُولِها تَحْت القَبْضةِ، ونَصْبِ "مَطويَّاتٍ" على الحال.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ ما أَبْعَدَ مَن هذه قُدْرتُه وعَظمتُه! وما أَعلاه عمَّا يُضاف إليه من الشُّركاء!

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

فإن قلتَ: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ما محَلُّها من الإعراب؟

قلتُ: يحتملُ الرَّفعَ والنصْبَ: أمَّا الرفعُ فعَلى قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة ١٣/٦٩]، وأمَّا النَّصبُ فعَلى قراءةِ مَن قرأ: "نفخةً واحدةً".

والمعنى: ونُفِخ في الصُّور نفخةٌ واحِدةٌ ثمَّ نُفِخَ فيه أُخرَى، وإنَّما حُذفت لدلالة ﴿أُخْرَىٰ﴾ عليها، ولكونها معلومةً بذكرها في غيرِ مكانٍ.

وقرئ: "قيامًا".

قوله: **(وما مُنِي به)** أي: ابتُلي به.

قوله: **(على نظم السماوات)**[١] كأنّه قيل: الأرض جميعًا والسماوات قبضتُه.

قوله: **(ما أبعدَ)** للتعجّب.

قوله: **(أمّا الرفع فعلى قوله)** أي:[٢] فعلى طريقة[٣] قوله، يعني: بإقامة المصدر[٤] مُقام الفاعل[٥] دون إقامة الظرف، وأمّا النصب فبعكسه.

---

١ ن: السماواة.
٢ ف - (فعلى قوله) أي.
٣ ن: طريقته.
٤ ن: للصدر.
٥ ف: الفا.

﴿يَنظُرُونَ﴾: يُقَلِّبُونَ أَبْصَارَهم في الجهاتِ نَظَر المَبْهُوتِ إذا فاجَأه خطْبٌ.

وقيل: يَنْظُرونَ ماذا يُفْعَلُ بهِم.

ويجوز أن يكون القيامُ بمعنى الوُقوفِ والجمُودِ في مكانٍ لتحيُّرهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾

قد استَعار اللهُ عزَّ وجل النُّورَ للحقِّ والقرآنِ والبُرهانِ في مواضِعَ من التنزيل، وهذا مِن ذاكَ، والمعنى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بما يُقِيمُه فيها من الحقِّ والعَدْل، ويَبْسطُه من القِسط في الحساب وَوَزنِ الحَسناتِ والسيِّئات، ....

قوله: (يُقلِّبون أبصارَهم)... إلخ فعلى الأوّل يكون النظر بمعنى طلب الإبصار. وعلى الثاني بمعنى الانتظار،[١] فإنّ المشهور أنّ النظر تقليب الحَدَقة نحو المرئيّ[٢] التماسًا لرؤيته، وهو غير الإبصار، قال الشاعر:

نظـرتُ إليهـا مِـن وراء خَصـاصٍ فأبصـرتُ وجهًـا داعيًـا لِمعاصـي[٣]

وقد يكون بمعنى الانتظار، قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣/٥٧]، أي: انتظرونا.[٤]

قوله: (بمعنى: الوقوف والجمود)[٥] منه قول المتنبّي:

وكـذا الكـريم إذا أقـام ببـلْدةٍ سـال النُّـضارُ[٦] بـها وقـامَ[٧] المـاءُ[٨]

---

١ ن: الانتظار.

٢ ن: المرئيّ.

٣ لم أقف عليه.

٤ ن: انتظرون.

٥ ن: والجحود.

٦ ن: النصار. | وفي هامش د ف: خفّ [اختصار "خفيف"]: ذَهَب. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «نضر».

٧ وفي هامش د ف: أي: جمد.

٨ **ديوان المتنبّي**، ص ١١٦. | وفي هامش د ف: قوله: (قد استعار الله تعالى)... إلخ الجامع بين النور والقرآن، كون كلّ منهما هاديًا وسببًا للاهتداء، وبين النور والبرهان كونُ كلّ منهما سببًا للوصول إلى المقصود، وبين النور والحقّ كونُ كلّ منهما سببًا للاهتداء، تأمّل.

ويُنادِي عليه بأنَّه مُستعارٌ: إضافتُه إلى اسْمِه لأنَّه هو الحقُّ العدلُ، وإضافةُ اسْمِه إلى الأرض لأنه يُزَيِّنُها، حيْثُ ينشُر فيها عَدْلَه، وينصِبُ فيها مَوازينَ قسْطِه، ويحكمُ بالحقِّ بين أَهْلهَا، ولا ترَى أزْيَنَ للبقاع من العدل ولا أعمَر لهَا مِنه.

وفي هذه الإضافة: أنَّ ربَّها وخالقَهَا هو الَّذي يعْدِلُ فيها، وإنَّما يجورُ فيها غيرُ ربِّها، ثمَّ ما عَطفَ على إشراقِ الأرض: من وضع الكتاب، والمَجيء بالنَّبِيِّين والشُّهداءِ، والقضاء بالحقِّ وهو النُّور المذكُور.

وترَى الناسَ يقولون للمَلكِ العادِل: "أشرَقتِ الآفاق بعَدلِك، وأضاءتِ الدُّنيا بقِسطِك" كما يقولون: "أظلَمتِ البلادُ بجَوْرِ فلانٍ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الظُّلمُ ظلماتٌ يوم القيامة».

وكما فتحَ الآيةَ بإثباتِ العَدل ختَمها بنفيِ الظُّلم.

وقرئ: "وأُشرقت" على البناءِ للمفعُول من شَرقَتْ بالضَّوء تَشرَقُ: إذا امتَلأتْ به واغتصَّتْ، وأشْرَقها اللهُ، كما تقولُ: ملأَ الأرضَ عدلًا وطبَّقها عدلًا.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: صحائفُ الأعمالِ، ولكنَّهُ اكتُفِيَ باسْمِ الجِنس، وقيل: اللوحُ المحفُوظُ.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين يشهَدُون للأُمَمِ وعَلَيْهم من الحَفظةِ والأَخْيارِ.

وقيل: المُستَشْهَدُون في سبيل الله.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٧١﴾

"الزُّمَرُ": الأَفْواجُ المتفرقةُ بَعْضُها في إِثْرِ بعْضٍ، وقَد تَزمَّرُوا قال:

قوله: **(وترى الناس)** عطفٌ على قوله: **(وينادي عليه)**... إلخ، فهذا الذي ذكره مِن كلام الناس والحديثِ المذكور يَدُلَّان على أنَّ هذا استعارة.

حتّـى احْــزَألّــت زُمَـــرٌ بـعْـدَ زُمَـــرْ

وقيل في زُمَرِ الَّذِين اتَّقوا: هي الطَّبقاتُ المختلفة: الشُّهَداء والزُّهّادُ والعلماء والقُرَّاء وغيْرُهم.

وقرئ: "نُذُرٌ منكم".

فإن قلتَ: لمَ أضِيفَ إليْهِم اليومُ؟

قلتُ: أرَادُوا: "لِقاءَ وقتِكم هذا" وهُو وقتُ دخُولهم النَّارَ لا يومُ القيامة، وقد جاء استعمالُ اليوم والأيَّام مُستفيضًا في أوقات الشِّدَّة.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أتَوْنَا وتَلَوا عَلَيْنا ولكنْ وجَبت علينا كلمةُ الله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾

قوله:

(حتّـى احْــزَألّــتْ زُمَـــرٌ بعد زُمَـــرْ)[١]

"احزألّ" -بالحاء غير المعجمة وبالزاي المعجمة- أي:[٢] ارتفع، ومنه: احْزألّتِ الإبل في السير؛ ارتفعَتْ، واحزَألّ الجبل؛ ارتفع فوق السراب.[٣]

قوله: (وقيل: في زُمَر الذين) أي:[٤] في تفسير ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، والحاصل أنّ المصنّف لمّا فسّر "الزُّمَر" الكافرين أراد أن يُفسِّر "الزُّمَر" المتّقين، وإن لم يشرع في تلك الآية.

قوله: (لا يومُ القيامة) لأنّه لمّا أُضيف اليوم إليهم[٥] عُلم أنّ المراد الوقت الذي اختُصّ شِدّتُه بهم، وهو وقت دخولهم النار، لا يومُ القيامة؛ لأنّ هَولَه [٣٢٧و] / وشِدّتَه يعمّ[٦] الجميع.

---

[١] قال الطيبي: قيل: أوّله:

إنّ الـغُـفـاة بالـسـيوبِ قـد غـمَر   إذا أُضِيـعَ الـصـفُّ يومًا والـدُّبُر
ثـمّ احْـزَألّـت زُمَـر بـعـد زُمَـر

فتوح الغيب للطيبي، ٤٤٢/١٣. وفي سيرة ابن هشام، ٤٤٧/٢: لمّا انهزم الناس يوم حنين قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه:

أقــدِم مُـحـاجُ إنّـه يـوم نُـكُـر
مِثلي على مِثلك يَحمي ويَكُر

[٢] ن - أي.

[٣] الصحاح للجوهري، «حزل».

[٤] ن: إلى.

[٥] ن - إليهم.

[٦] ن: لعمّ.

[الأعراف ١٨/٧] لسُوء أعمالِنا؛ كما قالوا: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون ١٠٦/٢٣] فذَكرُوا عَملَهم الموجِبَ لكلمةِ العذابِ وهو الكُفر والضَّلالُ.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾

اللامُ في ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ للجنس؛ لأنَّ ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فاعلُ "بئسَ"، و"بئسَ" فاعِلُها اسمٌ مُعرَّفٌ بلام الجِنس، أو مُضافٌ إلى مِثله، والمخصوصُ بالذمِّ محذوف تقديرُه: فبِئس مثوَى المتكبِّرين جهنَّمُ.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي الَّتي تُحكَى بعدَها الجملُ، والجُملةُ المحكيَّة بعدها هيَ الشرطيَّةُ، إلَّا أنَّ جزَاءها محذوف، وإنَّما حُذف لأنَّه في صفة ثوابِ أهل الجنَّة، فدَلَّ بحذفهِ على أنَّه شيءٌ لا يُحيط به الوصفُ، وحقُّ موقعِه ما بعد ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

وقيل: حَتَّى إذا جَاؤُوها جاؤوها وفُتِحَتْ أبوَابُهَا؛ أي: مَع فتْحِ أبْوابِها.

وقيل: أبوابُ جهنَّم لا تُفتَحُ إلَّا عِنْد دخول أهلها فيها، وأمَّا أبوابُ الجنَّة فمتقدِّم فتحُها بدليلِ قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص ٥٠/٣٨]، فلِذلك جِيءَ بالوَاو كأنَّه قيل: حتَّى إذا جاؤوها وقد فُتِحَتْ أبوَابُها.

فإن قلتَ: كيف عُبِّر عن الذَّهاب بالفريقين جميعًا بلفظِ السَّوق؟

قوله: **(فذكروا عملهم)** أي: في الآية المُستشهَدة، وهي ﴿غَلَبَتْ﴾ [المؤمنون ١٠٦/٢٣].

قوله: **(وحقُّ موقعِه)**... إلخ[1] "حقّ موقِعه" مبتدأ، وقوله: **(ما بعدَ)** خبره، يعني: موضع الجزاء هو بعد قولِه: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فليُقدّر هناك. وقوله: **(وقيل)** يعني: يجوز أن يُقدّر الجزاء بعد قوله: ﴿جَآءُوهَا﴾ كما ذكر. وقوله: **(وقيل: أبوابُ)**... إلخ ابتداء كلام مِن المصنّف يستقيم على الوجهين المذكورين، ولا يتقيّد بواحد منهما.

---

[1] ن - إلخ.

قلتُ: المراد بسَوقِ أهلِ النار: طَرْدُهُم إليها بالهَوانِ والعُنفِ كما يُفعَلُ بالأُسَارى والخارِجين على السُّلطان إذا سِيقُوا إلى حَبْسٍ أو قَتلٍ.

والمرَاد بسَوق أهْلِ الجنَّة: سَوقُ مَراكبِهِم -لأنَّه لا يُذهَبُ بهم إلَّا راكبِين- وحَثُّهَا إسرَاعًا بهِمْ إلى دار الكرامةِ والرِّضوانِ، كما يُفعَل بمَن يُشرَّفُ ويُكرَّمُ من الوافِدين على بعضِ الملوك، فشَتَّانَ ما بيْن السَّوْقيْنِ.

﴿طِبْتُمْ﴾ من دنَسِ المعاصِي، وطَهرْتُم من خُبْث الخطايا.

﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾ جُعِل دخول الجنَّة مُسبَّبًا عن الطِّيب والطَّهارة، فما هي إلَّا دارُ الطَّيِّبينَ ومَثْوَى الطَّاهرين؛ لأنَّها دارٌ طهَّرها الله من كلِّ دَنسٍ، وطيَّبها من كلِّ قذَرٍ، فلا يَدْخلُها إلَّا مُناسِبٌ لهَا موصوف بصفتها، فما أَبْعَدَ أحوَالَنَا من تلك المناسبةِ، وما أضعفَ سَعْيَنا في اكتساب تلك الصِّفة! إلَّا أَنْ يهَبَ لنَا الوهَّابُ الكريمُ توبَةً نصُوحًا تُنَقِّي أنفُسَنا من دَرَنِ الذُّنوب وتُمِيطُ وَضَرَ هذه القُلوب.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقدِّرِينَ الخلود.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ عبارةٌ عن المكان الَّذي أقامُوا فيه واتَّخذُوه مقرًّا ومُتبوَّءًا، وقد أُورِثُوها؛ أي: مُلِّكُوها وجُعِلوا مُلوكَها، وأُطلِقَ تصرُّفُهُم فيها كما يَشاؤون تشبيهًا بحَال الوارثِ وتصرُّفهِ فيما يَرثُه واتِّسَاعِه فيه وذهابِه في إنْفاقِه طُولًا وعَرْضًا.

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وهل يَتَبوَّأُ أَحَدُهم مكانَ غيْرِهِ؟

قوله: **(فشَتّانَ)** أي: إذا عُرف المراد بـ"السَّوْقَين" ظهر البُعد بين السَّوْقَين.

قوله: **(وَضَرَ)**[١] أي: وَسَخَ.

قوله: **(﴿ٱلْأَرْضَ﴾ عبارة عن المكان)** إنّما قال: "عبارة عن المكان" لأنّ الجنّة في السماء لا في الأرض.

---

[١] ن: واضر.

قلتُ: يكون لكلِّ واحدٍ منهم جَنَّةٌ لا تُوصَفُ سَعةً وزيادةً على الحاجةِ، فَيتَبوَّأُ من جنَّتهِ حيث يَشاءُ ولا يحتاجُ إلى جنَّةِ غيْرِه.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿حَآفِّينَ﴾: مُحْدِقينَ من حَوْله.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقُولُون: "سبحان الله والحمدُ لله" مُتَلذِّذينَ لا مُتعبِّدينَ.

فإن قلتَ: إلامَ يَرْجِع الضَّمير في قوله: **﴿بَيْنَهُم﴾**؟

قلتُ: يجوز أن يَرجِع إلى العباد كلِّهم، وأَنَّ إدْخالَ بعْضِهم النَّارَ وبعضِهم الجنَّة لا يكون إلَّا قضاءً بينهم بالحقِّ والعدْلِ، وأنْ يرجع إلى الملائكةِ على أنَّ ثوابَهم وإنْ كانوا معصُومين جميعًا لا يكون على سَننٍ واحدٍ، ولكن يُفاضَلُ بين مَراتِبِهمْ على حسَب تفاضُلهم في أعمالهم، فهو القضاءُ بينَهُم بالحقِّ.

فإن قلتَ: قولُه: **﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** مَن القائلُ ذلك؟

قلتُ: المَقضيُّ بينَهم إمَّا جميعُ العباد وإمَّا الملائكةُ، كأنَّه قيل: وقُضِي بيْنَهم بالحقِّ وقالوا: الحمدُ لله على قضائه بينَنا بالحقِّ وإنزالِ كُلٍّ منَّا منْزلتَه الَّتي هي حَقُّه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قَرأ سُورة الزُّمر لم يَقْطَعِ اللهُ رجَاءَهُ يومَ القيامة وأعطاه اللهُ ثوابَ الخائفين الذي خافُوا».

قولُه: **(لا مُتَعبِّدين)** تعبَّدَ اللهَ، أي: عبَدَه. وتعبَّدَه اللهُ، أي: استعبدَه.

قولُه: **(قلتُ: المقضِيُّ بينَهم)** أي: القائل المقضيّ بينهم.

قولُه: **(إمّا جميعُ)** أي: هم إمّا جميعُ. والأَولى أن يُقال: "هو" بدل مِن[1] "المقضِيّ".

---

[1] ن: في.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَقْرأُ كلَّ لَيْلةٍ بني إسرائيل والزُّمَرَ.

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[١]

١ ف - السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة المؤمن

مكيَّة، قال الحسن: إلا قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ لأن الصلوات نَزلت بالمدينة.

وقد قيل في الحواميم كلها: إنها مكيَّات، عن ابن عباس وابن الحنفية.

وهي خمس وثمانون آيةً، وقيل: ثنتان وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾

قرئ بإمالة ألِف "حا" وتفخيمها، وبتسكين الميم وفتْحِها.

ووجه الفتح: التحريكُ لالتقاءِ الساكنين، وإيثارُ أَخَفِّ الحركات نحو: "أَيْنَ" و"كيفَ"، أو النصبُ بإضمار "اقرَأ" ومَنْعُ الصَّرف للتأنيث والتَّعريف، أو لِلتَّعريف وأنَّها على زنةِ أعجميٍّ نحو: "قابيلَ" و"هابيلَ".

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

"التَّوْب" والثَّوْبُ والأَوْبُ: أَخَواتٌ في معنى الرُّجُوع.

و"الطَّولُ": الفَضلُ والزِّيادةُ يُقال: "لِفُلانٍ على فلانٍ طَوْلٌ"، والإفضالُ

سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (بتسكين الميم) بالتقاء الساكنين، لِما مرَّ أنَّ التقاء الساكنين في مثله جائز.

قوله: (والإفْضالُ) أي: الإحسان، وأفضلَ عليه وتفضَّلَ عليه بمعنًى.

---

[1] ف - وبه نستعين.

يقال: "طال عليه وتطَوَّل" إذا تفضَّل.

فإن قلتَ: كيف اختَلفَت هذه الصِّفاتُ تعْريفًا وتنكيرًا والموصوفُ مَعْرِفةٌ يقتَضِي أن تكُونَ مثْلَه معَارفَ؟

قلتُ: أمَّا ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فمَعرِفتَانِ؛ لأنّه لم يُرَدْ بهما حُدوثُ الفعلَين، وأنَّه يَغْفِرُ الذَّنبَ ويَقبَلُ التَّوبَ الآنَ أو غدًا حتى يكونا في تقدير الانفِصال فتكونَ إضافتُهما غيرَ حقيقيَّةٍ، وإنَّما أُريدَ ثُبُوتُ ذلك ودوامُه، فكان حُكمُهما حُكمَ "إلهِ الخلقِ" و"ربِّ العرش".

وأمَّا ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ فأَمْرُهُ مشكِلٌ؛ لأنَّه في تقديرِ: "شديدٌ عقابُه" لا ينفكُّ من هذا التقدير، وقد جعَله الزجَّاجُ بَدلًا، وفي كونه بدَلًا وَحْدَهُ بين الصِّفات نبُوٌّ ظَاهرٌ.

والوجهُ أن يقال: لمَّا صُودِفَ بين هؤلاء المعارف هذه النكرةُ الواحِدةُ فقد آذنَتْ بأنَّ كلَّها أَبدالٌ غيرُ أوصافٍ، ومثالُ ذلك قصيدةٌ جاءتْ تفاعِيلُها

قوله: **(لا ينفكّ)** لأنّ الصفة المشبَّهة ليس بمعنى الحدوث، فلا يُشترط في عمله الزمان، فيكون عاملًا البتّة، بخلاف اسم الفاعل واسم المفعول، فإنّهما إنّما يعملان إذا كانا[١] بمعنى[٢] الحال والاستقبال، ولا يعملان بمعنى الماضي، فيكون إضافتهما تارةً لفظيّة،[٣] وتارةً[٤] معنويّةً، وأمّا الصفة المشبَّهة فلا يكون إضافتها إلّا لفظيّة.

قوله: **(بدلًا)** أي: بدلًا مِن ﴿ٱللَّهِ﴾، كأنّه قال: تنزيلُ الكتاب مِن شديد العقاب، كما يقال: مررت برجلٍ زيدٍ، كأنّه قال: بزَيد.

قوله: **(نُبُوٌّ ظاهرٌ)** ويجوز أن يقال: سبب النُّبوّ مِن[٥] حيثُ إنّ النكرة المُبدلة عن المعرفة لا تجيء إلّا موصوفة، وتوسّط هذا بين الصفات متقدّمةً عليه ومتأخّرة غيرُ مستحسن. وهذا الثاني هو مراد المصنّف لقوله: **(بين الصفات)**.

---

١ ف - كانا؛ ن: كان.

٢ ف: بالمعنى.

٣ ف: لفظيّة.

٤ ن: ورة.

٥ ن: في.

كُلُّها على "مُستفْعِلُنْ" فهي محكومٌ عليها بأنَّها من بَحْر الرَّجزِ، فإنْ وقعَ فيها جُزْءٌ وَاحِدٌ على متفاعِلُنْ كانت من الكامِلِ.

ولقائل أن يقول: هي صِفاتٌ، وإنَّما حُذِف الألفُ واللامُ من ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ ليُزاوِجَ ما قبْلَه وما بعْدَه لفظًا، فقد غيَّرُوا كثيرًا من كلامهم عن قوَانينه لأَجْل الازدواج حَتَّى قالوا: "ما يَعْرِفُ سُحَادِلَيْه من عُنَادلَيْه" فثَنَّوا ما هُو وِترٌ لأجْل ما هو شَفْعٌ.

قوله: (سُحادِلَيْه مِن عُنادِلَيْه) السُّحَادِلُ: الذكَر، والعُنادِلان: الأُنْثيان.[١] ومراعاة المُزاوجة والمطابقة دَعَتهم إلى هذا الصنيع. وحَسْبك شاهدًا في هذا قولُه عليه السلام: «غيرَ خَزايا ولا ندامى».[٢] وقوله أيضًا: «ارجِعْن مَأزوراتٍ غير مَاجُوراتٍ».[٣] وقراءة بعضهم:[٤] "الحَمْدُ لِلّٰهِ" بضمّ الدال واللام تارةً،[٥] وبكسرهما أُخرى،[٦] وله نظائر لا تُحصى.

قوله في الحاشية:[٧] "مَازُوراتٍ"[٨] أصله: "وازِراتٍ"،[٩] مِن[١٠] "الوِزْر"، فأُخرج على لفظ المفعول فصار "مَوْزُوراتٍ"، فقلَب الواو ألفًا فصار "مازُوراتٍ"، كلُّ ذلك للازدواج. وقوله في الحاشية أيضًا: "وحَسْبُكَ / شاهدًا"... إلخ يريد أنّ "نَدامى" لِمُشاكلة "خَزايا". اعلم أنّ هذا إذا قلنا: "نَدامى" جمع "نادم"، فإنّ قياسه حينئذٍ "نادمون"، وإنّما جاء "نَدامى" لِمشاكَلة "خَزايا" في جمع "خَزْيان"، وأمّا إذا قلنا: هو جمع "نَدمان" بمعنى "نادم"، فيكون على القياس. قال في **الصحاح**: «رجلٌ نَدمان، أي: نادم».[١١] [٣٢٧ظ]

---

١ ن: انثيان.

٢ **صحيح البخاري**، ٢٠/١ (٥٣)؛ **صحيح مسلم**، ٤٧/١ (١٧).

٣ **سنن ابن ماجه**، ٥١٦/١ (١٥٧٨)؛ **مسند البزّار**، ٢٤٩/٢ (٦٥٣).

٤ وفي هامش د: وقَرأهُ بعضُهُم. "نسخة".

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٤٧٨؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن السميقع اليماني والحسن وأبي الشعثاء وابن أبي عبلة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٣٧/١؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٠.

٧ ن: الخاشية.

٨ وفي هامش د: ظ [الظاهر]: مأْزُوراتٍ.

٩ ن: وازارات.

١٠ ن: ن.

١١ **الصحاح** للجوهري، «ندم».

على أَنَّ الخَليل قال في قَوْلهم: "ما يَحْسُنُ بالرَّجلِ مِثْلِكَ أن يفعَل ذاكَ" و: "ما يَحْسُنُ بالرجل خيْرٍ منك أن يفعَل": إنَّه على نيَّةِ الألِف واللام كما كان "الجمَّاءَ الغَفيرَ" [منصوبًا] على نيَّةِ طرْح الألِف واللّام، وممَّا سَهَّل ذلك: الأَمْنُ من اللَّبْسِ وجَهالةِ الموصوف.

ويجوز أن يقال: قد تُعمِّدَ تنكيرُه وإبهامُه لِلدَّلالة على فَرْط الشِّدَّة، وعلى ما لا شيءَ أَدْهَى مِنه وَأَمَرُّ لزيادة الإنْذار، ويجوز أن يقال: هذه النكتَةُ هي الدَّاعيَةُ إلى اختيار البدَل على الوصْف إذا سُلكت طريقةُ الإبدال.

فإن قلتَ: ما بالُ الواو في قوله: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾؟

قلتُ: فيها نكتةٌ جَليلةٌ، وهي إفادةُ الجمع لِلمُذْنبِ التَّائب بين رَحْمتَيْنِ: بين أَن يَقبَل توْبتَه فيَكتُبَهَا له طاعةً من الطَّاعاتِ، وأن يجعَلها محَّاءةً للذُّنُوبِ كأَنْ لَم يُذْنِبْ؛ كأنَّه قال: جَامِعُ المغفرة والقبُول.

وروي: أن عمر رضي الله عنه افتقَد رجُلًا ذا بأسٍ شديد من أهل الشَّام،

قوله: **(كما كان الجَمَّاءَ)** "الجَمَّاء" استُعمل على نيّة طرح الألف واللام، ولا يأتي إلّا[1] نكرةً أبدًا؛ لأنّه حال، تقول: جاءنى الناس جَمّاءَ غفيرًا.

قوله: **(على فَرْط الشِّدّة)** أي: للمبالغة في شِدّة عقابه.

قوله: **(هذه[2] النُّكتة)** أي: الدلالة على فَرْط الشِّدّة.

قوله: **(قلتُ: فيها نكتة)**[3] فإنّه لو لم يُؤتَ[4] بالواو لَظُنَّ أنّهما عبارتان عن معنًى واحد، فأُتِي بالواو ليدلّ على أنّهما أمران متغايران؛ **أحدهما**: قبولها وجعلُها طاعة مقبولة، وثانيهما: جعلها مَحّاءة[5] للذنوب. وقوله: **(مَحّاءةً)**[6] بالمَدِّ على وزن فعّالة، ومنه: "السيف محّاء للذنوب".

قوله: **(ذا بأسٍ)** أي: شِدّةٍ في الحرب.

---

[1] ن: أوّلًا.
[2] ن: هذاه.
[3] ن: نكتية.
[4] ن: يفرّت.
[5] ن: مجاءَة.
[6] ن: مجّاءة.

فقيل له: تَتَايعَ في هذا الشَّراب، فقال عمر رضي الله عنه لكاتبه: اكتُبْ: "من عُمرَ إلى فُلانٍ: سَلامٌ عليك، وأنا أَحمدُ إليك الله الَّذي لا إله إلا هُو، بسمِ الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾"، وختَم الكتابَ وقال لرسُوله: لا تَدْفعه إليه حَتَّى تَجدَهُ صَاحِيًا، ثُمَّ أمَر مَن عِنْدَهُ بالدُّعاء لهُ بالتَّوبة، فلمَّا أَتتْهُ الصَّحيفةُ جعَل يَقْرؤُهَا ويَقُول: قد وعَدَنِي الله أن يَغْفِرَ لِي وحَذَّرَني عِقابَه، فلم يَبْرَحْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى بكَى، ثمَّ نزَع فأحسَن النُّزُوعَ وحسُنَتْ تَوبتُه، فلمَّا بلغَ عُمَرَ أَمْرُهُ قال: هكذا فاصْنَعُوا، إذا رأيتُم أخَاكم قد زلَّ زلَّةً فسَدِّدُوه ووَقِّفُوه وادعُوا له الله أن يَتُوبَ عليه، ولا تكُونوا أَعْوانًا لِلشَّيَاطين عليه.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾

سَجَّلَ على المُجادِلين في آيات الله بالكُفر، والمرادُ: الجِدالُ بالبَاطل؛ من الطَّعْنِ فيها، والقصْدِ إلى إدْحاضِ الحقِّ وإطفاءِ نُور الله، وَقد دَلَّ على ذلك في قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾، فأمَّا الجدالُ فيها لإيضاحِ مُلتَبِسِهَا وحَلِّ مُشْكِلها ومُقَادَحةِ أَهْل العلم في استنْباط معَانيها ....

قوله: (تتايَع)[1] التتايع: التساقط في الشرّ والتهافتُ، قال عليه السلام: «ما يَحملكم على أن تَتايَعوا في الكذب كما تتايَع الفَراشُ[2] في النار، وأنا آخِذٌ بحُجَزِكم».[3]

قوله: (وأنا أحمَد) أي: أُنهي.

قوله: (ثمّ نَزَع) نَزَع عن الأمر نُزوعًا إذا أمسَكَ، ونزَع للشيء نِزاعًا: اشتاق، ونزَع الماءَ عن بئر نَزْعًا بمعنى: نزَح.

قوله: (ووقِّفوه)[4] وَقَّفه على الذنب؛ أطلعه عليه.

قوله: (سجَّل) سَجَّل الحاكم. والسِّجلّ: الصَّكّ.[5]

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: تتابع.

[2] ن: الفراس.

[3] مسند أحمد، ٥٥٠/٤٥ (٢٧٥٧٠). وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد، ١٣/١.

[4] ن: وورقفوه.

[5] الصحاح للجوهري، «سجل».

ورَدِّ أهْلِ الزَّيْغِ بها وعنها فأعظَمُ جهَادٍ في سبيل الله، وقولُه صلى الله عليه وسلم: «إنَّ جِدالًا في القُرآن كفرٌ»، وإيرادُه مُنكَّرًا وأَنْ لم يَقُل: "إنَّ الجدالَ" تمييزٌ منه بين جِدالٍ وجدال.

فإن قلتَ: من أين تسبَّبَ لقَوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ ما قبلَه؟

قلتُ: من حيث إنهم لمَّا كانوا مشهُودًا عليهم من قِبَلِ الله عزَّ وجلَّ بالكُفر -والكافِرُ لا أحدَ أشقَى مِنه عند الله- وجبَ على مَن تَحقَّقَ ذلك أن لا تَرْجَحَ أحوالُهم في عيْنِه، ولا يَغُرَّهُ إقبالُهم في دنيَاهم وتقَلُّبهم في البلاد بالتجاراتِ النافِقة والمكاسِب المُرْبحةِ -وكانت قريشٌ كذلك يتقَلَّبُون في بلاد الشَّام واليَمنِ وَلهُم الأمْوالُ يَتَّجِرُون فيهَا ويتَربَّحُون- فإنَّ مصيرَ ذلك وعاقبتَهُ إلى الزَّوال ووَرَاءهُ شقَاوَةُ الأبدِ.

ثـمَّ ضرَبَ لتكذِيبهم وعَداوتهِم للرُّسُلِ وجِدالهمْ بالباطلِ وما ادَّخَر لهُم من سُوء العاقبةِ مثلًا: ما كان من نحوِ ذلك من الأُمَمِ، وما أَخَذهُم بِهِ من عقابِهِ وأحَلَّهُ بسَاحَتِهم من انتقامِه.

وقرئ: "فلا يَغُرَّك".

قوله: (بها وعنها) معنى الردّ بها أن يتمسّكوا بتلك الآيات على بُطلان المذاهب الفاسدة، ويَنصروا أهل الحقّ، ومعنى الردّ عنها أن يدفعوا عنها الطاعنين بالجواب عن شُبُهاتِهم، وأن يُبيِّن خطأ رأيهم.[١] وقوله: (تمييز) خبر عن (قوله). والضمير في "منه" يعود إليه عليه السلام.[٢]

قوله: (وكانت قريش) إلى قوله: (ويَتَربَّحون)[٣] جملة معترِضة.

قوله: (مَثَلًا[٤] ما كان مِن نحو ذلك)[٥] "ضرَبَ مَثَلًا ما كان" مِثلُ[٦] قوله تعالى:

---

١ ن: رأتهم.

٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ن: وين بحون.

٤ ن: مثل.

٥ وفي هامش د ف: "مَثَلًا" أحد مفعولَيه، و"ما كان" مفعوله الآخر، و"مِن نحو ذلك" بيان "ما كان"، وذلك إشارة إلى ما سبق مِن تكذيبهم... إلخ، و"مِن" في "مِن الأُمم" للابتداء؛ إمّا متعلّق بـ"كان" إن كانت تامّة، وإمّا خبره إن كانت ناقصة.

٦ ن: مثلًا.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾: الَّذين تَحزَّبُوا على الرُّسلِ وناصَبُوهم، وهم عادٌ وثمودُ وفرعَوْنُ وغيرُهم.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ﴾ من هذه الأُمم الَّتي هي ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ -وقرئ: "برسولها"- ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليتَمكَّنوا مِنه ومن الإيقاعِ به وإصَابتِه بما أرادُوا من تعذيبٍ أو قَتلٍ، ويقال للأسير: أَخِيذٌ.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ يَعْني: أنهم قصَدوا أَخْذَه فجعَلْتُ جَزاءهُم علَى إرادة أَخْذِه أنْ أَخَذْتهُم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنكم تمُرُّون على بلادِهم ومسَاكِنِهم فتُعَايِنُون أثَر ذلك، وهذا تقريرٌ فيه معْنى التَّعجيب.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في محلِّ الرَّفع بدَلٌ مِن ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الوجُوبِ وجَب على الكفَرة كَونُهم من أصحاب النَّار، ومَعناهُ: كما وجَب إهْلاكُهم في الدُّنيا بالعذاب المُستَأصِل كذلك وجَب إهْلاكُهم بعَذابِ النَّار في الآخرة.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل ١٦/١١٢]، وقولِه: ﴿يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة ٢/٢٦] في الإعراب.

قوله: **(يعني)** يشير به إلى أنَّ قصدَهم أخذَ رسولهم سببًا لِأخذِ الله تعالى إيّاهم.

قوله: **(ذلك الوجوب)** يريد بقوله: "ذلك الوجوب" وجوبَ -أي:[١] ثُبوتَ وتحقُّقَ- العذاب الذي فُهِم مِن قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، وهو عذاب الاستئصال في الدنيا، فعلى هذا المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ بوَضْع الظاهر موضعَ الضمير.

---

[١] ن: إلى.

أو في محلِّ النصب بحذْفِ لام التَّعليل وإيصَالِ الفِعل، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: قُريشٌ، ومَعناه: كما وجَب إهْلاكُ أُولئك الأممِ كذلك وجبَ إهْلاك هَؤلاء؛ لأنَّ علةً واحدةً تجْمعُهُم أنَّهم من أصحَاب النار.

وقرئ: ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّكَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾

رُوي: أنَّ حمَلةَ العرش أرْجُلُهم في الأرض السُّفْلى وَرُؤوسهم قد خَرقتِ العرشَ، وهم خُشُوعٌ لا يَرْفعُون طَرْفهُم.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَتفكَّرُوا في عِظَم ربِّكُم ولكِن تفكَّرُوا فيما خلَق اللهُ من الملائكة، فإنَّ خَلْقًا من الملائكة يقال له: إسرافيلُ، زَاوِيةٌ من زوَايا العرْشِ على كاهِلِه، وقدَماهُ في الأَرض السُّفلى وقد مَرق رأسُهُ من سَبْعِ سماواتٍ، وإنَّه ليَتضاءلُ من عَظمة اللهِ حتى يَصيرَ كأنَّه الوَصْعُ».

وفي الحديث: «إنَّ الله تعالى أمَر جميعَ الملائكة ....

قوله: (و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قريش) أي: على هذا الوجه. وأمّا على الأوّل فكان المراد[1] الكفَرةَ مِن قوم نوح والأحزاب. وقوله: (ومعناه: كما وجب إهلاك أولئك الأُمم) أي: على هذا[2] الوجه.

قوله: (مَرَق) أي: جاوز.

قوله: (ليَتضاءل) أي: ليتصاغر.

[٣٢٨و] قوله: (كأنّه[3] الوَصَعُ) الوَصَعُ: طائر[4] أصغر / مِن العصفور.[5]

---

١ ف + من.

٢ ن - هذا.

٣ ن: كان.

٤ ن: طاهر.

٥ الصحاح للجوهري، «وصع».

أن يَغْدُوا ويَرُوحُوا بالسَّلام على حَملة العَرش تَفْضيلًا لهُم على سائر الملائكة».

وقيل: خلَقَ الله العَرش من جوْهرةٍ خضراء وبَينَ القَائمتين من قَوائمهِ خفَقَانُ الطَّير المُسْرِع ثمانين ألْفَ عامٍ.

وقيل: حَوْلَ العرش سَبعُون ألفَ صفٍّ من الملائكة يَطُوفون به مُهَلِّلينَ مكبِّرين، ومن ورائهم سبعون ألفَ صفٍّ قيامٌ قد وضعُوا أَيْديَهُم على عَواتِقِهم رافعِين أَصْواتَهُم بالتَّهليل والتكبير، ومن ورائهم مئةُ ألفِ صَفٍّ قد وَضعُوا الأيمان على الشمائلِ ما منْهم أحَدٌ إلَّا وهو يُسبِّحُ بما لا يُسبِّح بهِ الآخَرُ.

وقرأ ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: "العُرْشَ" بضمِّ العين.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ولا يخْفَى على أحَدٍ أنَّ حَملة العَرش ومَن حَوله من الملائكة الَّذين يُسَبِّحون بحمده مُؤْمِنُون؟

قلتُ: فائدتُه: إظهارُ شَرف الإيمانِ وفضْلِه والتَّرغيبُ فيه، كما وصَف الأنبياءَ في غير مَوضعٍ من كتابهِ بالصَّلاحِ لِذلك، وكما عَقَّبَ أعمالَ الخَيْر بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد ١٧/٩٠] فأبانَ بذلك فَضلَ الإيمان.

قوله: **(ويَروحوا بالسلام)** للشاعر:

أروحُ بتسليمٍ عليك وأغتدي ... وحسبُك[1] بالتسليم مِنّي تقاضِيا[2]

قوله: **(خفَقَان الطير)** أي: مسافة خفقان الطائر.

قوله: **(كما وصَف)** "كما" متعلّق بقوله: **(إظهارُ)**، أي: فائدته أن أظهَر إظهارًا مثل وصفه الأنبياء وتعقيبه الأعمال بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [البلد ١٧/٩٠]، فإنّه لمّا أتى عقيب ذكر الأعمال الصالحة التي هي فكّ الرقبة وإطعام[3] اليتيم والمسكين قولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد ١٧/٩٠] بلفظة "ثمّ" المفيدةِ لتراخي[4] الرتبة دلّ ذلك على شرف الإيمان.

---

[1] ن: وحسبتك.

[2] بغير نسبة في **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ١٧٠/٣؛ وربيع **الأبرار** للزمخشري، ١٨١/٣؛ و**الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ٣٠٠/٣.

[3] ن: أو إطعام.

[4] ن: اخي.

وفائدةٌ أخرى: وهيَ التَّنبيهُ على أن الأمر لو كان كما تقول المجسِّمة لكان حَمَلَةُ العرشِ ومَن حَوله مشاهِدين مُعَايِنين ولَمَا وُصِفوا بالإيمان؛ لأنه إنَّما يُوصَف بالإيمان الغائبُ، فلمَّا وُصِفُوا به على سبيل الثَّناء عليهم عُلِمَ أنَّ إيمانَهم وإيمانَ مَن في الأرض وكُلِّ مَن غابَ عن ذلك المَقام سَواءٌ في أنَّ إيمان الجميع بطريق النَّظر والاستدلال لا غيْرُ، وأنَّه لا طريقَ إلى مَعْرفتِه إلَّا هذا، وأنَّه مُنَزَّهٌ عن صفات الأَجْرام.

وقد رُوعي التناسُبُ في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كأنَّه قيل: ويؤمنون ويستغفِرون لمَن في مثلِ حالهم وصفَتِهم.

وفيه تَنبيهٌ على أنَّ الاشتِراك في الإيمان يجِبُ أن يكون أَدْعى شيءٍ إلى النَّصيحة وأبعَثَه على إمحاضِ الشَّفقة وإن تَفاوَتتِ الأجْناسُ وتَباعدَتِ الأَماكن، فإنَّه لا تجانُسَ بين ملَكٍ وإنسانٍ، ولا بينَ سَماويٍّ وأرضيٍّ قطُّ، ثمَّ لمَّا جاء جامِعُ الإيمان جاءَ مَعَه التَّجانُس الكلِّيُّ والتناسبُ الحقيقيُّ حتى استغفَر مَن حَوْل العرش لمَن فوق الأرْض، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى ٤٢/٥]؛ أي: يقُولون: ﴿رَبَّنَا﴾ وهذا المُضمَرُ يحتمِلُ أن يكون بَيانًا لـ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ مرفُوعَ المحلِّ مثلَه وأَن يكون حَالًا.

فإن قلتَ: تعالى الله عن المكان، فكيف صحَّ أن يقال: "وسِعَ كلَّ شيءٍ"؟

قوله: (**فإنّه لا تُجانس**) بيان للتنبيه.

قوله: (**فإن قلتَ: تعالى الله[1] عن المكان**)... إلخ معنى السؤال: أنّ السَّعة مختصّ[2] بالأجسام؛ لأنّ الواسع لا بدّ أن يكون طويلًا عريضًا عميقًا ليَسَع الأشياء التي يتمكّن[3] فيه، فيلزم كونه جسمًا ذا مكان، والله تعالى منزّه عن ذلك، فكيف قيل: ﴿وَسِعْتَ﴾؟ فأجاب: بأنّ[4] المراد: سَعَةُ علمِه ورحمتِه، لا سَعةُ ذاتِه؛ لأنّ "الرحمة والعلم" هما فاعلان لِ"وَسِع" في المعنى؛ لكونهما منصوبَين

---

[1] ن + تعالى.
[2] ف: مختصة.
[3] ن: يمكن.
[4] ن: أنّ.

قلتُ: الرَّحمةُ والعِلم هما اللَّذان وَسِعَا كلَّ شيءٍ في المَعنى، والأصْلُ: وَسِع كلَّ شيء رحمتُك وعِلمُك، ولكنْ أُزيل الكلامُ عن أصْلِه بأنْ أُسْنِدَ الفعلُ إلى صاحِب الرَّحمة والعِلْمِ، وأُخرجا مَنْصُوبَين على التمييز؛ للإغراق في وصْفِه بالرَّحمة والعلم، كأنَّ ذاتَه رَحمةٌ وعلمٌ واسِعَان كلَّ شيءٍ.

فإن قلتَ: قد ذكَر الرَّحمةَ والعِلم فوجَب أَنْ يكون ما بَعْد الفاء مشتمِلًا على حَدِيثِهما جميعًا، وما ذُكِر إلَّا الغُفْرانُ وَحْدَه؟

قلتُ: معناه: فاغفِر للَّذينَ علمْتَ منهم التَّوبةَ واتِّباعَ سبيلِك.

وسبيلُ الله: سبيلُ الحقِّ التي نهجَهَا لِعبادِه ودعَا إلَيْها.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: المَلِكُ الَّذي لا يُغْلَبُ، وأنتَ مع مُلْكِكَ وعزَّتك لا تفعَلُ شيئًا إلَّا بِداعِي الحِكمة، ومُوجَبُ حِكمتِكَ أَنْ تفِيَ بوَعْدِك.

على التمييز.[١] ولمّا بيّن المصنّف أنّ المراد سَعةُ رحمته وعلمِه استغنى عن بيان أنّ المراد بالسَّعة ليس المعنى المقتضي للجسميّة والتحيّز؛ لظهور أنّ الرحمة والعلم لا يكونان كذلك،[٢] وأنّ المعنى شمول الرحمة والعلم جميعَ الأشياء.

قوله: **(للإغراق)** إشارة إلى فائدة هذه الإزالة بحسب[٣] علم المعاني، وإنّما حصل هذا[٤] الإغراق لأنّه كأنّه قيل: وسِعتَ أنت وَسِع[٥] رحمتك وعِلمك، فلمّا أُسند إلى رحمته وعلمه معنًى بعد إسناده إليه، فكأنّهما هو، وكأنّهما عبارتان عن مُعبَّر واحد.

---

١ ن: التميز.
٢ ف: لذلك.
٣ ن: يحسب.
٤ ن: هذه.
٥ ن: وسعت.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: العقُوباتِ، أَو: جَزاءَ السيّئاتِ، فحُذفَ المضافُ، على أن السَّيّئاتِ هي الصغائرُ أو الكبَائرُ المَتُوبُ عَنها، والوِقايةُ منها: التكفيرُ أو قبُولُ التَّوبة.

فإن قلتَ: فما الفائدةُ في استغفارهم لهُم وهم تائبُون صَالحون مَوعُودون المغفرةَ واللهُ لا يُخلِفُ الميعادَ؟

قلتُ: هذا بمنزلة الشَّفاعة، وفائدتهُ: زيادةُ الكرامةِ والثَّوابِ.

قوله: (**أي: العقوباتِ**) يعني: جزاءَهم[١] على أعمالهم السيّئة، فسمّاها سيّئة لأنّها تسوؤُهم، أو لإطلاق[٢] الملزوم على اللازم. وقوله: (**أو جزاءَ السيّئات**) فعلى هذا يكون المراد بـ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أعمالَهم السيّئة،[٣] فحذف المضاف.

قوله: (**أي: العقوبات**) فعلى هذا سمّى جزاء السيّئة سيّئةً؛ لأنّ السيّئة مِن قولهم: ساءَهُ،[٤] نقيض سَرّهُ.

قوله: (**على أنّ السيّئات**)... إلخ أي: هذا بناء على أنّ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بأحد هذين المعنيين؛ وإنّما قيّد بذلك لأنّه لا يجوز عندهم العفو عن الكبيرة قبل التوبة، فلا يصحّ الشفاعة فيها عندهم، وأمّا أهل السنّة فيجوز ويصحّ.

قوله: (**والوِقاية منها التكفير**)[٥] يعني: في الصغائر والكبائر مثلها؛ لأنّ الكبائر بعد التوبة مكفورة البتّة فضلًا منه تعالى عندنا، ووجوبًا عند المعتزلة، فلا حاجةَ فيها إلى الشفاعة، وهي شفاعة الملائكة ههنا، فبقي أن يكون الشفاعة قبل التوبة عن الكبائر، أو عن الصغائر لِمَن لم يجتنب[٦] الكبائر. ثمّ إنّ قوله: "والوقايةُ منها"... إلخ على التفسير الثاني، وأمّا على التفسير الأوّل فالمراد بالوقاية مِن السيّئات أن لا يُصيبهم بالسيّئات، أي: بالعقوبات؛ بل يعاقبهم، وفيه نظر. والصواب أن يقال: هو متعلّق بالتفسيرين؛

---

١ ف: وجزاءهم.
٢ ف: للإطلاق.
٣ ف – السيّئة.
٤ ن: ساءة.
٥ ن: التفكير.
٦ ن: يجتب.

وقرئ: "جنة عدن". و: "صَلُح" بضمِّ اللام والفتحُ أفصَحُ، يُقال: صَلَح فهو صالح، وصَلُح فهو صَليح، و: "وذُرِّيَّتِهم".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠﴾

أي: ﴿يُنَادَوْنَ﴾ يومَ القيامة فيُقالُ لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والتقديرُ: لمَقْتُ الله أنفسَكم أكبَرُ ﴿مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فاستُغْنِي بذكْرِها مرَّةً، و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ منصوب بالمَقتِ الأوَّلِ.

والمَعنى: أنَّه يقال لهُم يوم القيامة: كانَ اللهُ يمقُت أنفسَكم الأمَّارةَ بالسُّوءِ والكُفرِ حين كان الأنبياءُ يَدْعُونكُم إلى الإيمان فتَأْبَوْنَ قَبُولَه وتختَارُون عليه الكُفر أشَدَّ ممَّا تَمقُتونَهُنَّ اليوم وأنتُم في النَّار إذ أَوْقَعْنَكم فيها باتِّباعِكُم هَواهُنَّ.

وعن الحسن: لمَّا رأوا أعمَالهمُ الخبيثَةَ مَقتُوا أنفُسَهُم فنُودُوا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾.

وقيل: معناه: لمَقتُ الله إيَّاكُم الآنَ أكبَرُ من مَقت بَعضِكُم لِبَعْضٍ؛ كقوله: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٥].

إذ المراد بـ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على التفسيرين / هو العقوبات، إمَّا[1] إطلاقًا للسبب على المُسبَّب، أو بحذف المضاف، فأشار المصنِّف إلى أنَّ المراد بالوقاية عن العقوبات أن يعفوَ عن الذنوب، إمَّا قبل التوبة أو بعدها. وقوله: (**هي**[2] **الصغائر**) أي: قبل التوبة. [٣٢٨ظ]

قوله: (**فاستُغني**)... إلخ هذا بطريق تنازع "المَقْتَين"[3] في ﴿أَنفُسَكُمْ﴾.

قوله: (**ممّا تَمقتُونَهنّ**) "ما" مصدريّة. وقوله: (**إذ أَوقَعْنَكم**)[4] تعليل "تَمقتونَهنّ".

قوله: (**باتّباعكم هواهُنّ**) أي: باتّباعهنّ إيّاكم.

---

[1] ن: وإمّا.

[2] ف: بين.

[3] ن: المتقين.

[4] في بعض مطبوعات الكشّاف: "إذا أوقعتكم".

و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تعليل.

و"المقتُ": أَشَدُّ البُغض، فوُضِع في مَوضع أَبلَغِ الإِنْكار وأَشَدِّه.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: إِمَاتتَين وإِحيَاءتَين، أو: مَوتتَين وحَيَاتَيْن.

وأراد بالإِمَاتتين: خَلْقَهم أمواتًا أوَّلًا وإماتتَهم عِند انقضاء آجالهم، وبالإحياءتين: الإِحْيَاءةَ الأُولَى وإِحيَاءَةَ البَعْثِ، وناهيكَ تفسيرًا لذلك قولُه تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [البقرة ٢٨/٢] وكَذا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

فإن قلتَ: كيف صَحَّ أن يُسمَّى خَلْقُهم أمْواتًا إماتةً؟

قلتُ: كما صحَّ أَن تقول: "سبْحانَ مَن صَغَّر جسْمَ البعُوضة وكبَّر جِسْم الفيلِ"، وقولك للحفَّار: "ضيِّق فمَ الرَّكيَّة ووسِّع أسْفَلَها" وليس ثَمَّ نَقْلٌ من كبرٍ إلى صِغرٍ ولا من صغرٍ إلى كبرٍ، ولا من ضِيقٍ إلى سَعةٍ ولا من سعَةٍ إلى ضِيقٍ، وإنما أرَدْتَ الإنشاء على تلك الصِّفات.

والسَّببُ في صحَّته: أنَّ الصِّغر والكبَرَ جَائزان معًا على المَصْنُوع الواحدِ من غير ترجُّحٍ لأحَدهما، وكذلك الضِّيقُ والسَّعةُ، فإذا اختار الصَّانعُ أحدَ الجائزينِ وهو مُتمكِّنٌ منهما على السَّواء فقد صَرف المصنوعَ عن الجائز الآخَرِ، فجُعِل صَرْفُه عنه كنَقْلِه مِنه.

ومَن جَعل الإِمَاتَتَيْنِ التي بَعْد حيَاةِ الدُّنيا والَّتي بعد حيَاة القبْر لزمَهُ إثباتُ ثلاثِ إِحْيَاءاتٍ، وهو خلافُ ما في القرآن، ....

قوله: (و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تعليل) أي: على هذا الوجه، أي: لأنكم كنتم تُدعَون.[1]

[1] وفي هامش د ف: قوله: (فوُضع في موضع أبلغ الإنكار) فيكون مِن قَبِيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ مَقْتَ الشخص وبغضَه مُستلزم للإنكار، إذا أبغضه يُنكره في أفعاله. قوله: (فجُعل صَرْفُه عنه كنَقله منه) شُبِّه الصَّرف بالنقل في اتّصاف الشيء بكلٍّ منهما بصفة بَدَلَ صفة أخرى ممكنةٍ أن يتّصف بها، فيكون استعارة تبعيّة في الكلّ في "وسِّع" و"ضيِّق" و"صَغَّر"، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا﴾، تأمّل.

إلّا أَنْ يتمحّل فيَجْعلَ إحدَاهَا غيرَ مُعْتدٍّ بها، أو يَزعُمَ أنَّ الله يُحيِيهم في القُبور وتَسْتَمِرُّ بهِمْ تلك الحيَاةُ فلا يَمُوتُونَ بعْدَها، ويَعُدُّهُم في المُستَثْنَيْن من الصَّعْقَة في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر ٣٩/٦٨].

قوله: (وتستمرّ بهم تلك الحياة) في هذا الذي ذكره نظر؛ لأنّه لو استمرَّ بهم الحياة في القبر لا يتحقّق الموتة بعد حياة القبر في حقّهم، وهو في تقرير مذهب مَن يجعل إحدى الإماتتَين هي التي بعد حياة القبر. ويمكن أن يكون مراد المصنّف الإشارة إلى إبطال مذهب هؤلاء بأبلغ وجه، فكأنّه قال: لا يمكنهم تصحيح قولهم هذا إلّا بما يلزم منه إبطال قولهم مِن أصله.

قال الشيخ الإمام العلّامة شيخ[١] فخر الدين الجاربردي[٢] رحمه الله:[٣] يقول أضعفُ العباد أحمد بن الحسن الجاربردي:[٤] يَرد في خاطري أنّ الكفّار لمّا كانوا منكرين للبعث فالمناسب أن يقال: المراد بالإماتتين والإحياءَتين هي ما[٥] حصلت بعد إنكارهم البعث في حياتهم الدنيا وعُرِضت عليهم بعدها، ليكون دليلًا لهم على قدرة الله تعالى بعد ما جهِلوها وأنكروها، فالإماتتان[٦] هي التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر، والإحياءتان التي في القبر والتي للحشر، لا التي هي الحياة الدنيا؛ لأنّها ما[٧] حصلت بعد إنكارهم، فلا يلزم ثلاث إحياءات ممّا يكون دليلًا لهم على القدرة بعد جهلهم وإنكارهم،[٨] ويكون معنى الإحياء والإماتة ظاهرًا مِن غير ارتكاب تأويل، والله أعلم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾... إلخ [البقرة ٢/٢٨] فالغرض منه إثباتُ قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، والإنكارُ[٩] عليهم لكفرهم مع العلم بهذه القِصّة في الدنيا، فلا يلزم أن يكون معناه موافقًا لمعنى هذه الآية، ولا بأس بمخالفة معنَيَيهما، فإنّ كلّ واحد منهما مَسوق لمعنى غير معنى الآخر.

---

١ ن - شيخ.
٢ د: الجابردي.
٣ د - رحمه الله.
٤ د: الجابردي.
٥ ن: كما.
٦ ن: والإماتتان.
٧ وفي هامش د ف: نفي.
٨ ن - فلا يلزم ثلاث إحياءات ممّا يكون دليلًا لهم على القدرة بعد جهلهم وإنكارهم.
٩ ن: والاذكار.

فإن قلتَ: كيف تسبَّبَ هذا لقَوله: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾؟

قلتُ: قد أنكَرُوا البعْثَ فكَفَرُوا، وتبِعَ ذلك من الذُّنُوب ما لا يُحْصَى؛ لأنَّ مَن لـم يَخشَ العَاقبةَ تَخرَّقَ في المعَاصي، فلمَّا رَأَوا الإماتةَ والإحيَاء قد تكرَّرا عَليهم عَلِمُوا بأنَّ الله قَادِرٌ على الإعادة قُدْرَتَهُ على الإنشاءِ، فاعترَفوا بذُنوبهم التي اقتَرفوها من إنكار البعث وما تبِعَهُ من مَعاصِيهم.

﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾؛ أي: إلى نَوْعٍ مِن الخرُوج سَرِيعٍ أو بَطيءٍ ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ قطُّ، أم اليأسُ واقِعٌ دُون ذلك فلا خروجَ ولا سبيلَ إليه، وهذا كلامُ مَن غَلَبَ عليه اليأسُ والقُنُوطُ، وإنما يقُولون ذلك تعَلُّلًا وتحيُّرًا، ولهذا جاء الجوابُ على حَسَب ذلك، وهو قَوله:

ثمّ إنّ[1] قول المصنّف في جواب السؤال: **(قد أنكروا البعث فكفروا... فلمّا رأوا الإماتةَ والإحياء قد تكرّر عليهم)**... إلخ يدلّ على المعنى الذي ذكرنا بتوفيق الله تعالى، فتأمّل.

قوله: **(فإن قلتَ: كيف تسبّبَ)**... إلخ وجه السؤال أنّ الإماتتين والإحياءَين يكون سببًا للاعتراف بقدرة الله تعالى، فكيف كان سببًا لاعترافهم بذنوبهم؟

قوله: **(تخَرَّق)**[2] التَخرُّق[3] -بالخاء[4] المعجمة-: التوسُّع في الأمر.[5]

[٣٢٩و] قوله: **(إلى نوع)**... إلخ أشار بقوله: "إلى نوع" و"قطّ" / إلى فائدة التنكير في اللفظين.[6]

قوله: **(على حسب ذلك)** "ذلك" إشارة إلى قوله: **(كلامُ مَن غَلَب عليه اليأس)** يعني: لمّا كان المراد مِن قولهم: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ التحسّرُ والتندّمُ على يأسهم مِن الخروج،[7] ولم يكن مرادهم به الاستفهام؛ جاء الجواب مناسبًا لِمرادهم،

---

١ ن + أقول.

٢ ن: تحرّق.

٣ ن: التحرّق.

٤ ن: بالحاء.

٥ يقال: هو يَتَخرّق في السّخاء، إذا توسّع فيه. **الصحاح** للجوهري، «خرق».

٦ وفي هامش د ف: التنوين في قوله تعالى: ﴿خُرُوجٖ﴾ للتنويع وفي ﴿سَبِيلٖ﴾ للإفراد. وقوله: "قطّ" يُستفاد مِن ﴿مِّن﴾ الاستغراقي، لا مِن تنوين ﴿سَبِيلٖ﴾.

٧ ف: الخروح.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: ذلكم الَّذي أَنْتم فيه وأنْ لا سبيلَ لكُم إلى خرُوجٍ قَطُّ بسَبب كُفْركم بتوحيدِ الله تعالى وإيمانِكم بالإشراك بهِ.

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حيث حَكَم عليكم بالعذاب السَّرمد، وقولُه تعالى: ﴿ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ دلَالةٌ على الكِبْرياءِ والعَظمة، وعَلى أَنَّ عقابَ مثلِه لا يكون إلَّا كذلك، وهو الَّذي يُطابق كبرياءَهُ ويُناسِبُ جبَروتَهُ.

وقيل: كأنَّ الحَرُوريَّةَ أَخذُوا قولَهم: "لا حُكْمَ إلَّا لله" من هذا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الرِّيح والسَّحاب والرَّعد والبَرْق والصَّواعقِ ونحْوِها. و"الرِّزْقُ": المطَر لأنَّه سبَبُه.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: وما يتَّعِظ وما يَعتبِرُ بآياتِ الله إلَّا مَن يتُوب من الشِّرك ويرْجِعُ إلى الله، فإن المُعانِد لا سبيل إلى تَذكُّرِه واتِّعاظِه، ثمَّ قال للمُنِيبِينَ:

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اعبُدُوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشِّرك، وإن غاظَ ذلك أَعْداءَكُم ممَّن لَيس على دِينكم.

وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم﴾... إلخ، ولو كان المراد الاستفهام لكان الجواب المطابق: "لا سبيل إلى[1] الخروج"، وأمثالَ ذلك.

قوله: **(كأنَّ الحَروريّة)** هم قوم أنكروا الخلافة، وأمَرهم عليّ رضي الله عنه فأبَوا، فأخذوا بهذه الآية وقالوا: "لا حُكم إلّا لله، وقيل للخوارج: حَروريّة لتحكيمهم بحَروراء،[2] واجتماعهم فيها. ومعنى تحكيمهم: قولهم.

قوله: **(ممّن ليس)** بيان "الأعداء".

---

[1] ن + إلى.

[2] ن: بحروا.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثةُ أَخبَارٍ لقوله: ﴿هُوَ﴾ مُترتِّبَةٌ على قوله: ﴿ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ﴾ أو أخبارُ مُبتدأ محذوفٍ وهي مختلفةٌ تعريفًا وتنكيرًا.

وقرئ: "رفيعَ الدرجات" بالنَّصب على المَدْح.

و﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ كقوله: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج ٣/٧٠] وهي مصَاعدُ الملائكة إلى أن تَبلُغَ العرشَ، وهي دليلٌ على عِزَّتِه ومَلكُوتِه.

وعن ابن جُبَيْرٍ: سَماءٌ فَوقَ سَماءٍ، والعرشُ فوقَهُنَّ.

ويجوز أن يكون عبارةً عن رفْعةِ شأنِه وعُلوِّ سلطانِه كما أنَّ "ذا العرش" عبارةٌ عن مُلْكِه.

وقيل: هي درَجاتُ ثوابه التي يُنْزِلُها أَولياءَه في الجنَّة.

﴿ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: الَّذي هو سببُ الحيَاة ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ يُريد: الوحيَ الَّذي هو أَمرٌ بالخيْر وبَعثٌ عَليه، فاستَعار له الرُّوحَ كما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام ١٢٢/٦].

﴿لِيُنذِرَ﴾ اللهُ، أو: المُلقَى عليه وهو الرَّسُول أو الرُّوح.

قوله: (مترتِّبة على قوله: ﴿ٱلَّذِي﴾) فقوله: ﴿ٱلَّذِي﴾ خبر أوّل لقوله: ﴿هُوَ﴾، وهذه أخبار ثلاثة بعده.

قوله: (و﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ كقوله[١] تعالى:[٢] ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج ٣/٧٠]) أي:[٣] معناهما واحد.

قوله: (ويجوز أن يكون) عطفٌ على قوله: "كقوله"[٤] مِن حيث المعنى.

قوله: (الذي هو سبب) أشار[٥] إلى أنّ ﴿مِنۡ﴾ للبيان في قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾؛

---

١ ن: لقوله.
٢ ن - تعالى.
٣ ن: الذي.
٤ ن: لقوله.
٥ ن: إشارة.

وقرئ: "لتنذرَ"؛ أي: لتُنذِر الرُّوحُ؛ لأنَّها تُؤنَّثُ، أو على خطابِ الرَّسول.

وقرئ: "ليُنْذَرَ يومُ التَّلاق" على البناء للمفعول.

و"يومُ التَّلاق": يومُ القيامة؛ لأن الخلائق تلتَقِي فيه.

وقيل: يَلْتَقي فيه أَهلُ السَّماء وأهلُ الأرض، وقيل: المَعبودُ والعَابدُ.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: ظاهِرُون لا يَسْترُهم شيءٌ من جَبَلٍ أو أَكَمةٍ أو بناءٍ؛ لأن الأرض بارزةٌ قاعٌ صَفصَفٌ، ولا عليهم ثِيابٌ إنَّما هُم عُرَاة مكشُوفُونَ كما جاء في الحديث: «تُحشَرُونَ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا».

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾؛ أي: من أَعمالِهم وأحوالِهم، وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: لا يَخْفَى عليه منْهُم شيءٌ.

لأنَّ ﴿ٱلرُّوحَ﴾ هو الأمر.[١]

قوله: (وقيل: العابد[٢] والمعبود) المراد بـ"العابد"[٣] الكافر، وبـ"المعبود" معبوديهم.[٤]

قوله: («عُراةً حُفاةً غُرْلًا»)[٥] تمامه: «بُهْمًا»،[٦] أي: ليس بهم شيء مِن أعْراض[٧] الدنيا. ورجل أغْرَل، أي: أَقْلَف.[٨]

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنهما) أي:[٩] في قراءته.[١٠]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ استعار "الروح" للأمر الذي بوحي الله تعالى، والجامع كون كلّ منهما سببًا للحياة؛ الوحي سبب لحياة القلوب، والروح سبب للأبدان. اعلم أنّ الظاهر الاستعارة هنا استعارة لغويّة، لا اصطلاحيّة؛ لذِكر طرفَي التشبيه؛ لأنّه بيّنه بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]، فإنّه قال صاحب المفتاح: «إنّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أخرجه مِن الاستعارة إلى التشبيه». | انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ٣٥٥/١.

[٢] ن: العايد.

[٣] ن: بالعايد.

[٤] ن: معبودهم.

[٥] **صحيح البخاري**، ١٦٨/٤ (٣٤٤٧)؛ **صحيح مسلم**، ٢١٩٤/٤ (٢٨٥٩).

[٦] هذه الزيادة في **مسند أحمد**، ٤٣٢/٢٥ (١٦٠٤٢).

[٧] ن: أغراض.

[٨] **الصحاح** للجوهري، «غرل».

[٩] د: (رضي الله عنهما) أي.

[١٠] قراءة شاذّة. وهي في **المحرّر الوجيز** لابن عطيّة، ٥٥١/٤، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ بيَانٌ وتَقريرٌ لبُرُوزِهم، واللهُ تعالى لا يخْفَى عليه منهُمْ شيءٌ برَزُوا أو لم يَبْرُزُوا، فما مَعناه؟

قلتُ: معناه: أنَّهم كانوا يتوَهَّمُونَ في الدُّنيا إذا استَتَرُوا بالحِيطانِ والحُجُب أَنَّ الله لا يَرَاهُم، ويَخفى عليه أَعْمالُهم، فَهُم اليَوْمَ صَائرُون من البُروزِ والانكِشافِ إلى حالٍ لا يتوَهَّمونَ فيها مثلَ ما كانوا يتوَهَّمُونَه، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت ٤١/٢٢] وقال: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء ٤/١٠٨] وذلك لعِلْمهم أنَّ النَّاسَ يُبْصِرُونَهم وظنِّهم أنَّ الله لا يُبْصِرُهم، وهو مَعنى قوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم ١٤/٤٨].

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ حِكايةٌ لِمَا يُسْأَلُ عَنه في ذلك اليوم ولِمَا يُجابُ به، ومَعناه: أنَّه يُنَادِي مُنادٍ فيَقُول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فيُجيبُه أَهلُ المَحْشر: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.

وقيل: يَجْمعُ الله الخلائقَ يومَ القيامة في صَعيدٍ واحدٍ بأرْضٍ بيضاءَ كأنَّها سَبيكةُ فضَّةٍ لم يُعْصَ اللهُ فيها قَطُّ، فأوَّلُ ما يَتَكَلَّم بهِ أن يُنادِيَ مُنادٍ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ﴾ الآية، فهذا يَقتَضِي أن يكون المنادي هو المُجيبَ.

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧﴾

لمَّا قرَّرَ أنَّ المُلك للهِ وَحْدَه في ذلك اليوم عَدَّد نَتائجَ ذلك، وهيَ: أنَّ كُلَّ نفْسٍ تُجْزَى بما كسبَت، وأنَّ الظُّلمَ مَأمونٌ لأنَّ الله ليس بظلَّام للعبيد، وأنَّ الحسَاب لا يُبْطِئُ لِأنَّ الله لا يَشْغَلُه حسَابٌ عن حسَابٍ، فيُحاسِبُ الخَلق كُلَّه في وَقْتٍ واحِدٍ وهو أَسْرَعُ الحَاسبينَ.

قوله: **(وذلك لِعلمهم)** أي: يستَخْفون... إلخ.

قوله: **(فهذا يقتضي)** لأنَّ ما يَتكلّم به هو قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾... إلخ آية.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إذا أخَذ في حسابهم لم يَقِلْ أَهلُ الجنَّة إلَّا فِيهَا ولا أَهْلُ النَّار إلَّا فيها.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

"الآزِفةُ": القيَامةُ، سُمِّيت بذلك لِأُزُوفِها؛ أي: لقُرْبها.

ويجوز أن يُريد بـ﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾: وقتَ الخُطَّة الآزفةِ، وهي مُشَارَفتُهم دخولَ النَّار، فعِند ذلك تَرتفِع قلوبُهم عن مَقارِّهَا فتَلْصَقُ بحنَاجِرهم، فلا هي تَخرجُ فيمُوتوا ولا تَرْجعُ إلى مَواضِعها فَيتنَفَّسُوا ويَترَوَّحُوا، ولكِنَّها مُعْترِضَةٌ كالشَّجا كما قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك ٦٧/٢٧].

فإن قلتَ: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ بِمَ انتصَب؟

قلتُ: هو حالٌ عن أصحاب القُلوب على المعنى؛ لأنَّ المَعنى: إذ قلُوبُهم لَدَى حنَاجِرِهِم كاظِمين عليها.

ويجوز أن يكون حالًا عن القلُوب، وأَنَّ القلوب كاظِمَةٌ على غَمٍّ وكَرْبٍ فيها مع بلُوغها الحناجِرَ، ....

قوله: (لم يَقِلْ) مِن القيلولة، كما قال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان ٢٥/٢٤].

قوله:[١] (الخُطَّة) أي: الخَطْب العظيم.

قوله: (لأنَّ المعنى: إذ قلوبهم) وإذا كان المعنى: "قلوبهم"، فـ"أصحاب القلوب" في معنى الفاعل، فكأنَّ "أصحاب القلوب" رُفِعوا[٢] إلى حَناجرهم، و"القلوب"[٣] في معنى المفعول. يقال: كظَمَ[٤] القِرْبةَ إذا ملأها وشدَّ فاها، وكظَمَ[٥] البعيرُ إذا لم يَجْتَرَّ، ومنه كَظَمَ الغيظَ؛ وهو أن يُمسك على ما في نفسه مِن الغيظ بالصبر، ولا يُظهر له أثرًا.

---

١ ن + أي.
٢ ن + قلوبهم.
٣ ن: القلوب.
٤ ن: لطم.
٥ ن: ولطم.

وإنَّما جُمِع الكاظم جمعَ السَّلامة لأنَّه وصَفها بالكَظْم الَّذي هو من أفعال العقلاء؛ كما قال: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ٤/١٢]، وقال: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء ٤/٢٦]، وتعضُده قراءةُ مَن قرأ: "كاظمون".

ويجوز أن يكونَ حالًا عن قوله: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾؛ أي: وأَنذِرْهُم مُقَدِّرين -أو: مُشَارِفين- الكظمَ؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩].

"الحميمُ": المُحِبُّ المشفِقُ، و"المُطاعُ": مَجازٌ في المُشَفَّع؛ لأنَّ حقيقةَ الطَّاعة نحوُ حقيقةِ الأَمْر في أنَّها لا تكُون إلَّا لمَن فَوقك.

فإن قلتَ: ما معنى قولِه: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

قلتُ: يحتمِلُ أن يَتَناوَل النَّفيُ الشَّفاعةَ والطَّاعةَ معًا، وأَن يتَناولَ الطَّاعَةَ دُون الشَّفاعةِ؛ كما تقُول: "ما عندي كتابٌ يُبَاعُ" فهو محتمِلٌ نفيَ البيعِ وَحْدَه وأَنَّ عندك كتابًا إلَّا أنك لا تبِيعُه، ونَفيَهما جميعًا ....

قوله: **(وإنّما جُمع)** أي: على هذا الوجه.

قوله: **(لأنها وصَفها)** أي: لأنّ القلوب وصفها الله تعالى. وفي بعض النسخ: "لأنّه"، أي: لأنّ الله تعالى.

قوله: **(وتَعضُده)**[١] لأنّ "كَاظِمُونَ" على قراءة الرفع[٢] خبر بعد خبر عن ﴿ٱلۡقُلُوبُ﴾، فدلّ على أنّه على تقدير النصب حال عن القلوب.[٣]

قوله: **(لأنّ حقيقة)** هذا بيان أنّه مجاز، وليس بحقيقة.

قوله: **(وأنّ عندك كتابًا)** هو مِن العطف الذي للبيان، وقد يقال: والتقدير: أنّ المعنى: أنّ عندك.

قوله: **(ونَفيَهما)**[٤] عطفٌ على قوله: **(نفيَ البيع)**.

---

[١] ن: ويعضده.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٨.

[٣] وفي هامش د ف: قوله: (مجاز في يُشفَّع)[(١)] فيكون استعارة تبعيّة؛ استُعير ﴿يُطَاعُ﴾ ليُشفَّع، والجامع قبول الشفاعة، أي: وجه الشبه كون كلّ منهما -أي: مِن المشفَّع والمُطاع- مقبولَ القول. | [(١)] في مطبوع **الكشّاف**: "المشفَّع".

[٤] ن: ونفهما.

وأَنْ لا كتابَ عندك ولا كونَه مَبيعًا، ونحوُه:

ولا تــرى الـضَّـبَّ بـهـا يَـنـجَـحِـرْ

يُريد: نفيَ الضَّبِّ وانْجِحَارِه.

فإن قلتَ: فعلى أَيِّ الاحتمالين يجبُ حَملُه؟

قلتُ: على نفيِ الأَمْرين جميعًا، مِن قِبَلِ أَنَّ الشُّفعَاء هُم أولياءُ الله، وأولياءُ الله لا يُحبُّون ولا يَرْضَون إلَّا مَن أحَبَّه اللهُ ورَضِيَهُ، وأَنَّ الله لا يُحِبُّ الظَّالِمين فلا يُحِبُّونهم، وإذا لم يُحبُّوهم لم ينْصرُوهُم ولم يَشفَعُوا لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [البقرة ٢/٢٧٠] وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء ٢١/٢٨]، ولأنَّ الشَّفاعة لا تكون إلَّا في زيادة التَّفضُّل، وأَهْلُ التَّفضُّل وزيادتِه إنَّما هُم أهْلُ الثَّواب بدليل قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء ٤/١٧٣].

وعن الحسن: واللهِ ما يكون لهم شفيعٌ البَتَّةَ.

قوله: **(وأَنْ كتابَ)**[1] **مثل ما تقدّم في كون العطف للبيان.**

قوله:

(ولا تــرى الضَّــبَّ بهــا يَنْجَحِــرْ)

أوّله:

لا تُــفْــزِعُ الأرنــبَ أهــوالُــهــا[2]

قوله: **(ولأنّ الشفاعة) هذا الوجه الثاني بناء على مذهبه.**

قوله: **(وعن الحسن رحمه الله)**[3] **يدلّ / على أنّه يجب أن يُحمل على نفي الأمرين.**[4] [٣٢٩ظ]

---

١ في مطبوع الكشّاف: "وأنْ لا كتابَ".

٢ وفي هامش د ف: الأرض. | لعمرو بن أحمر الباهلي في أساس البلاغة للزمخشري، ١/٣٨٩؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٠/١٩٣.

٣ د – رحمه الله.

٤ وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: في ذكرها فائدة جليلة) الحاصل: أنّه يلزم مِن ذِكر الصفة مع الموصوف انتفاؤه على وجه أبلغ بحيث إنّه لا يُتوهّم وجوده؛ لأنّ انتفاءه جُعل دليلًا وشاهدًا على انتفائها، والشيء إنّما يُجعل دليلًا إذا كان في نفسه محققًا معلومًا غيرَ مشكوك فيه، مسلّمًا ثبوتُه في الواقع، فانتفاء الشفيع على هذا يكون أمرًا محققًا معلومًا بحيث لا يُتوهّم وجودُه، وإلّا لَما جُعل دليلًا، فإنّ الشيء إنّما يكون دليلًا إذا كان مسلّمًا غيرَ متنازع فيه، تأمّل. »

فإن قلتَ: الغرضُ حاصِلٌ بذكر الشَّفيع ونفْيِهِ، فما الفائدةُ في ذكر هذه الصِّفة ونفيِها؟

قلتُ: في ذكْرِهَا فائدةٌ جَليلةٌ، وهي أنَّها ضُمَّت إليه ليُقام انتفاءُ الموصوف مقامَ الشَّاهد على انتفَاءِ الصِّفة؛ لأنَّ صفةً لا تَتَأتَّى بدُون موصُوفها، فيكون ذلك إزالةً لِتَوهُّم وجُود الموصُوف.

بيانه: أنَّك إذا عُوتِبْتَ على القُعُود عن الغَزْو فَقلتَ: "ما لي فرسٌ أَركَبُهُ وما مَعي سِلاحٌ أُحارِبُ بهِ" فقَد جعَلْتَ عدمَ الفَرس وفَقْدَ السِّلاح علَّةً مانِعةً من الرُّكُوب والمحَاربة؛ كأنك تقول: كيف يتأتَّى مِنِّي الرُّكُوبُ والمُحاربةُ ولا فرسَ لي ولا سِلاحَ مَعِي، فكذلك قَولُه: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ مَعناه: كيف يَتَأتَّى التَّشفيعُ ولا شفيعَ؟ فكان ذِكرُ التَّشفيع والاستشهادُ على عدم تأتِّيه ....

قوله: (فيكون ذلك) أي: إقامة[1] انتفاء الموصوف مُقام الشاهد. وقوله: (إزالةً) فإنّك إذا جعلتَ انتفاء الموصوف شاهدَ[2] انتفاء الصفة دلّ ذلك الجَعْل على أنّ[3] انتفاء الموصوف أمر محقَّق معلوم، وإلّا لم يُتمسَّك به ولم يُجعل دليلًا على شيء آخر.

قوله: (ولا[4] فرسَ لي ولا سلاحَ معي)[5] فعدم[6] الفرس والسلاح يكون معلومًا ليستدلّ به على عدم الركوب والمحاربة.

قوله: (التشفيع) أي: قبول الشفاعة.

وهذا يختلف بحسب المقامات؛ إذا كان الغرَض نفي الصفة يكون ذكر الموصوف معها يفيد نفيَها على وجه أبلغ؛ لأنّه حينئذٍ يكون دعوى الشيء ببيّنة؛ لأنّه يصير هكذا: انتفت الصفة لأنّ موصوفها منتفٍ، وإذا كان الغرَض نفيَ الموصوف يكون ذِكر الصفة معه يفيد نفيَه على وجهٍ أبلغ كما قلنا مِن أنّه جُعل دليلًا، فيكون مسلَّم الثبوت، حتّى يصحّ أن يُستدلّ به على شيء آخر.

[1] ن: إفامة.

[2] ن - وقوله: (إزالةً) فإنّك إذا جعلتَ انتفاء الموصوف شاهدَ.

[3] ف - أنّ.

[4] ن: لا.

[5] ن: مع.

[6] ن: فقدم.

بعَدم الشَّفيع وَضْعًا لانتِفاء الشَّفِيع مَوضعَ الأمْر المعرُوفِ غيْرِ المنكَر الَّذي لا ينبَغِي أن يُتوهَّمَ خلافُه.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾

"الخائنَةُ": صِفةٌ لِلنَّظْرة، أو مَصْدرٌ بمَعنى الخيانة كالعَافية بمَعْنى المُعافَاة، والمراد: استراقُ النَّظر إلى ما لا يَحِلُّ كما يَفْعَلُ أهْلُ الرِّيب، ولا يَحسُنُ أن تُراد الخَائنةُ من الأَعيُنِ؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ لا يُساعِدُ عَليه.

فإن قلتَ: بمَ اتَّصل قولُه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾؟

قوله: **(المعروفِ)** المراد بـ"المعروف" المشهور الثابت القائم المعلوم، فكأنّه قد عُلم مِن غير شُبهة أن لا شفيعَ فيُستدلّ[1] به على عدم التشفيع.

قوله: **("الخائنة"[2] صفة للنَّظرة)** وإذا كان "الخائنة"[3] صفة فيكون قد سمّى النظرةَ خائنةً مجازًا، أي: أُسند الخيانة[4] إليه مجازًا. ثمّ إذا عرفتَ أنّها صفة "النظرة" فإضافتها إلى ﴿ٱلْأَعْيُنِ﴾ إضافة معنويّة بمعنى اللام؛ لأنّ تلك النظرة الخائنة إنّما هي للأعيُن؛[5] لأنّها ناظرة،[6] فكأنّه قيل: يَعلم النظرة الخائنة التي هي للأعيُن،[7] لكن حُذف اللام[8] مِن "الخائنة"، وأُضيفت[9] إلى ﴿ٱلْأَعْيُنِ﴾ فبَقيت صفةً على ما كانت.

قوله: **(الخائنةُ مِن الأعيُن)** أي: العين الخائنة، وإلّا لكان المناسب أن يقول بعده: والصدورَ المُخفِيةَ.

قوله تعالى: **﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾** ما يستُره الإنسانُ مِن أمانة وخيانة. وقيل: الوسوسة.

---

١ ن: فيستل.
٢ ن: الحانية.
٣ ن: الخابية.
٤ د: الخيابة.
٥ ن: الأعين.
٦ ن + فكأنّه قيل: يعلم النظرة الخائنة التي هي الأعين؛ لأنّها ناظرة.
٧ ن: الأعين.
٨ ن: الكلام.
٩ ن: وأضيف.

قلتُ: هو خبرٌ من أخبارِ ﴿هُوَ﴾ في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ مِثْلُ ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ولكن ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ قد عُلِّلَ بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ثمَّ استُطْرِدَ ذِكرُ أَحْوالِ يومِ التَّلاق إلى قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فبعُد لذلك عن أخواتِه.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ يَعني: والَّذِي هذه صفاته وأحوالُه لا يَقضي إلَّا بالحقِّ والعَدْل، لاستغنائه عن الظُّلم، وآلهتُكُم ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ وهذا تهكُّمٌ بهِمْ؛ لأنَّ ما لا يُوصَف بالقُدْرة لا يُقال فيه: "يَقْضِي" أو "لا يَقضي".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تقريرٌ لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾، ووعيدٌ لهُم بأنَّه يَسْمَعُ ما يَقُولون ويُبْصِرُ ما يعملون وأنَّه يُعاقِبُهم عليه، وتَعْرِيضٌ بما يَدْعُونَ من دون الله وأنَّها لا تَسْمع ولا تُبْصِر.

وقرئ ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هُمْ﴾ في ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ فصْلٌ.

فإن قلتَ: من حقِّ الفَصْل أن لا يقعَ إلَّا بيْن معْرفتين، فمَا بالُه واقعًا بين معْرفةٍ وغيرِ مَعْرفةٍ وهو ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾؟

قوله: (فبعُدَ لذلك) أي: بَعُدَ ﴿يَعْلَمُ﴾ لذلك، أي: للتعليل والاستطراد.

قوله: (تقريرٌ) فـ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ تقريرٌ لقوله: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾، وهو حديث النفس وخَطَراتُه، و﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ تقرير لقوله: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾.

قوله: (﴿هُمْ﴾ في ﴿كَانُوا۟﴾) "﴿هُمْ﴾" مبتدأ، خبره قوله: (فَصْلٌ).

قلتُ: قد ضارَع المعرفةَ في أنّه لا تدخلُهُ الألفُ واللام فأُجريَ مُجرَاه.

وقرئ: ﴿منكم﴾ وهي في مَصاحف أهل الشام.

﴿وَءَاثَارًا﴾ يُريد: حصُونَهُم وقُصُورَهُم وعُدَدَهُم ومَا يُوصَفُ بالشِّدَّةِ مِن آثَارِهِم، أو أرَادَ: وأكثَرَ آثَارًا، كقَولِهِ:

مُــتــقــلِّــدًا سَــيْــفًــا ورُمْــحَــا

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ٢٥﴾

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: وحجَّةٍ ظاهرةٍ، وهي المعجزاتُ ﴿فَقَالُواْ﴾ هذا ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ فسَمَّوا السُّلطانَ المُبين سحرًا وكذِبًا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالنُّبوة ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

فإن قلتَ: أمَا كان قتْلُ الأبناءِ واستحياءُ النِّساء مِن قَبْلُ خِيفةَ أَن يُولدَ المولودُ الَّذي أَنذرَتْهُ الكهنةُ بظهُوره وزَوالِ مُلكِه على يَده؟

قلتُ: قد كان ذلك القتلُ حينئذٍ وهذا قتلٌ آخَرُ، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ﴾: أَعِيدُوا عَليهم القتلَ كالَّذي كانَ أوَّلًا.

يُريد: أَنَّ هذا قتلٌ غيرُ القَتل الأوَّل.

قوله: (**وما يوصَف بالشِّدّة**)[1] لأنّ المعنى: أشدَّ آثارًا، لِعطف ﴿ءَاثَارًا﴾ على ﴿قُوَّةً﴾.

قوله:

(مُــتــقــلِّــدًا سيــفًــا ورُمْــحَــا)

ورأيــتُ زوجَــكِ فـي الـوغـى[2]   مُـتـقـلِّـدًا سيـفًـا ورُمـحَـا[3]

---

١ ن: بالشدّ.

٢ ن: روحك في الوعى.

٣ **لعبد الله بن الزبعرى، هو في ديوانه، ص ٣٢،** بلفظ:

يا ليتَ زوجكِ قد غَدا... البيتَ

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ضَياعٍ وذهَابٍ باطلًا لم يُجْدِ عَليهم، يَعني: أَنَّهم باشَرُوا قَتْلهم أوَّلًا فما أَغنَى عنهُم ونفَذ قَضاء الله بإظهار مَن خافُوه، فما يُغنِي عنهم هذا القتلُ الثاني.

وكان فرعونُ قَد كفَّ عن قتْلِ الوِلدَانِ، فلمَّا بُعِث موسى وأحَسَّ بأنَّه قد وَقع أعَادَهُ عليهِم غيْظًا وحَنقًا وظنًّا مِنْهُ أنَّه يَصُدُّهم بذلك عن مُظاهَرةِ مُوسى، وما عَلم أنَّ كيْدَه ضَائعٌ في الكرَّتين جميعًا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ كانوا إذا هَمَّ بقَتْله كَفُّوه بقَولهم: ليْس بالذي تخَافُه، وهو أَقلُّ مِن ذلك وأضْعَفُ، وما هو إلَّا بعضُ السَّحرة، ومِثلُه لا يُقاوِم إلَّا ساحِرًا مثلَهُ، ويقُولون: إذا قتلتَه أدخَلْتَ الشُّبهَةَ على النَّاس واعتَقدُوا أنَّك عجَزْتَ عن مُعارضتِه بالحجَّة.

والظاهرُ أنَّ فرعون لعنه الله كان قد استيْقَنَ أنَّه نبيٌّ، وأنَّ ما جاء به آياتٌ وما هو بسحرٍ، ولكنَّ الرَّجل كان فيه خِبٌّ وجَربَزَةٌ، وكان قتَّالًا سفَّاكًا للدِّماء في أَهْون شيءٍ، فكيف لا يَقتُلُ مَنْ أحَسَّ مِنه بأنَّه هو الذي يَثُلُّ عَرْشَهُ ويَهْدِم ملكه؟ ولكنَّه كان يَخاف إنْ هَمَّ بقَتلهِ أن يُعاجَلَ بالهلاك، وقولُه: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ شاهدُ صدقٍ على فرْطِ خَوْفهِ مِنه ومن دَعْوته ربَّه، وكان قولُه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ تَمْويهًا على قومه وإيهَامًا أنَّهُم هم الَّذين يكُفُّونَه، وما كان يكُفُّه إلَّا ما في نفسِه من هَول الفَزَعِ.

أي:[1] وحاملًا رُمْحًا، أو مُعتقِلًا رُمْحًا.

قولُه: (باطلًا) حال مِن الضمير المستتِر في الجارّ والمجرور، أي: كائنًا[2] في ضَياع حالَ بُطلانه.

[1] ن - أي.
[2] ن: كائنا.

﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أن يُغيّر ما أنتُم عليه، وكانوا يَعبُدُونه ويَعبُدون الأصْنَام بدليل قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف ١٢٧/٧].

و"الفسادُ في الأرض": التَّفاتُنُ والتَّهَارُجُ الَّذي يذهبُ معَه الأَمْنُ، وتتعَطَّل المزارعُ والمَكاسِب والمعَايِش، ويَهْلِكُ النَّاسُ قَتْلًا وضَيَاعًا؛ كأنّه قال: إنّي أَخاف أن يُفْسِد عَليكم دينَكم بدَعْوتِكُم إلى دِينه، أو يُفسِدَ عليكم دُنياكُم بما يَظهرُ من الفِتَن بسَببِهِ.

وفي مصاحف أهل الحجاز ﴿وَأَن يَظْهَرَ﴾ بالواو، ومعناه: إنّي أخافُ فَسَادَ دينِكُم ودُنيَاكم مَعًا.

وقرئ: ﴿يُظْهِرَ﴾ من "أَظهر" و﴿ٱلْفَسَادَ﴾ منصوبٌ؛ أي: يُظهِرَ مُوسى الفَسَادَ.

وقرئ: "يَظَّهَّرَ" بِتَشديد الظاء والهاء من "تظهَّرَ" بمعنى "تظاهَرَ"؛ أي: تَتَابَع وتعَاوَن.

قوله: **(والتهارُج)** الهَرْج: الفتنة والاختلاط، وقد هَرَجَ النّاسُ يَهرِجون -بالكسر- هَرْجًا. وفي حديث أشراط الساعة: «يكون كذا وكذا، ويَكثُر الهَرْجُ»، قيل: «وما الهَرْج؟»، قال: «القتل».[1] قال قيس بن الرُّقَيات أيّامَ فتنةِ ابن[2] الزُّبير:[3]

ليتَ شِعْرِي أَأَوّلُ الهَرْج هذا[4] أم زمانٌ مِن فتنةٍ غيرِ هَرْجِ[5]

يعني: أوّلُ الهَرج المذكور في الحديث[6] هذا، أم زمان مِن فتنةٍ سِوى ذلك الهَرْج؟[7]

قوله: **(وضَياعًا)**[8] ضاعَ الشيء يَضِيع ضَيعةً وضَياعًا -بالفتح-، أي: هلَك، والضَّيعة: العَقار، والجمع: ضِياع وضِيَع أيضًا.[9]

قوله: **(وقُرِئ: "يَظَّهَّرَ")**[10] أصله: "يَتَظَهَّر" فقُلبت التاءُ ظاءً،[11] وأدغم.

---

١ صحيح البخاري، ٢٨/١ (٨٥)؛ صحيح مسلم، ٢٠٥٧/٤ (١٥٧).
٢ د ف ن - ابن ["صح" في هامش د].
٣ وفي هامش د ف: شعر.
٤ ن: هذه.
٥ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات، ص ١٧٩.
٦ ف - في الحديث.
٧ الصحاح للجوهري، «هرج».
٨ ن: وصياعًا.
٩ الصحاح للجوهري، «ضيع».
١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١٨.
١١ ن: طا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ٢٧﴾

لمَّا سَمع موسى بما أَجْراه فرعونُ من حديث قتلهِ قال لقومه: ﴿إِنِّي عُذْتُ﴾ باللهِ الَّذي هو رَبِّي وربُّكم، وقولُه: ﴿وَرَبِّكُم﴾ فيه بَعْثٌ لهُم على أن يَقتدُوا به فيعُوذُوا باللهِ عيَاذَهُ، ويعتصِمُوا بالتَّوكُّلِ عليه اعتصَامَه.

وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لتَشملَ استعَاذَتُه فرعونَ وغيرَه من الجبَابِرة، وليكونَ على طريقةِ التَّعريضِ فيكونَ أبْلغَ.

وأراد بالتَّكبُّر: الاستِكبارَ عن الإذعانِ للحَقِّ، وهو أقبحُ استِكبارٍ وأدَلُّهُ على دَناءةِ صَاحبهِ وَمَهانةِ نفسِه، وعلى فَرْطِ ظُلمِه وعَسْفِه.

وقال: ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لأنه إذا اجتمع في الرَّجُلِ التَّجبُّر والتَّكذِيبُ بالجزاء وقِلَّةُ المُبالاة بالعاقبةِ فقد استكمَلَ أسبابَ القسوَة والجرأةِ على اللهِ وعبَادِه، ولـم يَترُك عَظيمةً إلَّا ارتكبهَا.

و﴿عُذْتُ﴾ و"لُذْتُ" أخوانِ. وقرئ: "عُتُّ" بالإدغام.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٨﴾

﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ وقرئ: "رَجْلٌ" بسُكون الجيم؛ كما يقال: "عَضْدٌ" في "عَضُدٍ".

[٣٣٠و] / قوله: (عِياذَهُ)[١] أي: مثلَ عِياذِ[٢] موسى.

قوله: (وهو أقبح استكبارٍ) وإنّما قال: "أقبح استكبارٍ"[٣] لأنَّ التكبّر[٤] على نوعين: أن لا يُذعِن للحقّ، أي: لا يُطيعَ اللهَ تعالى، والثاني: أن يُحقِّرَ الخلقَ[٥] ويَسْتَصْغِرهم، على ما ثبَتَ في الحديث، ولا شكَّ أنَّ الأوّل أقبحُ مِن الثاني.

---

[١] ن: عيادة.
[٢] ن: عياد.
[٣] ن - وإنّما قال: "أقبح استكبار".
[٤] ن: التكير.
[٥] ن: الحقّ.

وكان قِبطيًّا ابنَ عمٍّ لفرعَون آمَن بمُوسى سِرًّا، وقيل: كان إسرائيليًّا.

و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفةٌ لـ﴿رَجُلٌ﴾، أو صِلةٌ لـ﴿يَكْتُمُ﴾؛ أي: يكتُمُ إيمَانَه من آل فرعون، واسمُه سمعَانُ أو حَبيبٌ، وقيل: خِربيل أو حِزبيلُ، والظَّاهرُ أنه كانَ من آل فِرعون، فإنَّ المؤمنين من بني إسرائيل لم يَقِلُّوا ولم يَعِزُّوا، والدَّليلُ عليه قولُ فرعون: ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

وقولُ المؤمنِ: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ دليلٌ ظاهرٌ على أنَّهُ يَتنَصَّحُ لقَومه.

﴿أَن يَقُولَ﴾: لِأَنْ يقُولَ، وهذا إنْكارٌ منه عظيمٌ وتبكيتٌ شديدٌ، كأنَّه قال: أَترتكِبُون الفَعْلةَ الشَّنعَاء التي هي قتلُ نفسٍ مُحرَّمةٍ وما لكم عِلَّةٌ قطُّ في ارتكابها إلَّا كلمةُ الحقِّ التي نَطق بها وهي قولُه: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ مَعَ أنَّه لم يُحضِرْ لتصحيح قوله بينةً واحدةً ولكن بيّناتٍ عدَّةً مِن عند مَن نسَب إليه الرُّبوبيَّةَ، وهو ربُّكم لا ربُّه وَحْدَه، وهو استِدراجٌ لهُم إلى الاعتراف به، ولِيُلَيِّنَ بذلك جماحَهُم ويَكسِرَ مِن سَوْرتِهم.

قوله: (لم يَقِلُّوا) حتّى يكتموا الإيمان؛ بل كانوا كثيرًا، وكان فرعون يعلم إيمانهم، ولا يكتمونه، والدليل على أنّه يعلم إيمانَهم ولا يكتمونه منه قول فرعون: ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، أي: مع موسى. وقوله: (ولم يَعِزُّوا) هو مِن قولهم: عزَّ يَعِزُّ عِزًّا وعَزَازَةً؛ إذا قَلّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز.[١]

قوله: (ولِيُلَيِّنَ)[٢] عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (إلى الاعتراف)، فكأنّه قال: استدرجهم بقوله: ﴿رَبِّكُمْ﴾ ليعترفوا بالله تعالى ولِيُلَيِّنَ.

قوله: (جِماحَهم)[٣] جَمَحَ الفرَس جُموحًا وجِماحًا؛ إذا أعثَر صاحبَه، فهو فرَس جَموح، والجَمُوح مِن الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رَدّه.[٤] وسَورةُ السلطان: سَطوتُه واعتِداؤه.[٥]

---

١ الصحاح للجوهري، «عزز».
٢ ن: وليكين.
٣ ن: حماحم.
٤ الصحاح للجوهري، «جمح».
٥ الصحاح للجوهري، «سور».

ولك أن تُقَدِّرَ مُضافًا محذُوفًا؛ أي: وقتَ أَن يقول، والمعنَى: أتقتُلُونَه ساعةَ سمِعتُم مِنه هذا القولَ من غير رَوِيَّةٍ ولا فكرٍ في أمْرِه.

وقَولُه: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يُريد: بالبيِّناتِ العظيمةَ التي عَهِدْتمُوها وشَهِدتُموها.

ثم أخذَهُم بالاحتجاج على طريقة التَّقسيم فقال: لا يخلُو من أن يكون كاذبًا أو صادقًا ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾؛ أي: يعُود عليه كَذِبُه ولا يَتخطَّاهُ ضَررُه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ﴾ ما ﴿يَعِدُكُمْ﴾ إن تعرَّضتُم له.

فإن قلتَ: لِمَ قال ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو نبيٌّ صَادِقٌ لا بدَّ لِمَا يَعِدُهم أن يُصيبَهم كلُّه لا بعضُه؟

قلتُ: لأنَّه احتاجَ في مُقاولةِ خصُوم مُوسى ومُنَاكِريه إلى أن يُلاوِصَهُم ويُدَارِيَهُم، ويَسلكَ مَعهم طريقَ الإنصاف في القول، ويأتِيَهم من جهة المناصحةِ، فجاء بما عَلِمَ أنَّه أقربُ إلى تسليمِهم لقَوله، وأدخلُ في تصدِيقهم له وقبُولِهِمْ مِنه، فقال: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو كلامُ المُنْصِفِ في مَقالِه غيرِ المُشْتَطِّ فيه؛ ليسْمَعُوا منه ولا يَرُدُّوا عليه، وذلك أنَّه حين فرَضَه صادقًا

قوله: **(يُلاوِصَهم)** يقال: فلان يُلاوِص الشجرَ، أي: ينظر كيف يأتيها لِقَلْعها، ويقال:[1] ألاصَه[2] على كذا، أي: أداره[3] على الشيء الذي يَرومه[4] منه، وفي الحديث: «هي الكلمة التي ألاصَ[5] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[6] عمَّه»،[7] يعني: أبا طالب.[8] اللَّوصُ:[9] أن تُطالع الشيءَ مِن خَلَلِ سِتْرٍ أو بابٍ، تقول: لُصْتُه[10] أَلوصُه[11] لَوصًا.[12] **مجمل**.[13]

قوله: **(المُشتَطّ)** أي: المجاوِز الغالي.[14]

---

١ ن: ويفال.
٢ ن: اللاضه.
٣ ن: ارادة.
٤ ن: ترومه.
٥ ن: اللاض.
٦ د: عليه السلام.
٧ مسند أحمد، ١/٤٩٩ (٤٤٧).
٨ **الصحاح** للجوهري، «لوص».
٩ ن: اللوض.
١٠ ن: لصه.
١١ ن: اللوصه
١٢ ن: لوضا
١٣ ن: محمل. | **مجمل اللغة** لابن فارس، «لوص»، عن ابن دريد.
١٤ ن: العالي.

فقد أثبَتَ أنّه صادقٌ في جميع ما يَعِدُ ولكنّه أَرْدَفَه: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ لِيَهضِمَهُ بعضَ حقِّه في ظاهر الكلام فيُرِيَهُم أنّه ليس بكلامِ مَن أعطاه حَقَّهُ وافيًا فَضلًا أن يَتعصَّبَ له أو يَرْميَ بالحصَا من وَرائه، وتَقديمُ الكاذب على الصادق أيْضًا مِن هذا القبيلِ، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

فإن قلتَ: فعن أبي عُبيدَةَ أنّه فسَّر البعضَ بالكلِّ، وأنشَد بيتَ لبيدٍ:

تَــــرَّاكُ أمْكنَـــةٍ إذا لـــم أَرْضَهـــا أو يَرتبِـطْ بعـضَ النُّفـوسِ حِمامُهـا

قلتُ: إن صحَّتِ الرِّوايةُ عنه فقد حقَّ فيه قولُ المازنيِّ في مسألة العَلقَى: كان أَجفَى من أن يَفقَه ما أقُولُ له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ يَحتمِل: أنّه إن كان مُسْرِفًا كَذَّابًا خَذلَه اللهُ

قوله: **(أو يرميَ بالحصى)**[1] هذا[2] عبارة عن الذبّ عنهم.

قوله: **(قول المازني في مسألة "العَلْقى")** قال أبو عثمان المازني[3] للمُبرّد: سمعتُ أبا عبيدة يقول: «ما أكذبَ النحويّين على العرب حيث يَزعمون أنّ الألف في 'العلقَى' للتأنيث، وسمعناهم يقولون: 'عَلقاة' للواحد»، فقال له المُبرّد: «هلّا قاولتَه؟»،[4] قال: «كان أجفى[5] مِن أنْ يَفقهَ ما أقولُ له».[6] والجواب عن قول أبي عبيدة أنّ مَن جعَل الألف للتأنيث[7] مِن العربِ رَوَى[8] قولَ العجّاج:

يَـسْـتَـنُّ فــي عَـلْـقـى وفــي مُـكُــورِ[9]

غيرَ[10] منوَّنٍ، ولم يقل في الواحد: "عَلقاة". ومَن رَوَى "عَلقًى"[11] بالتنوين جعل الألف للإلحاق، وصحَّ له أن يقول: "عَلْقاة". وهي نَبْت. و"المُكُور":[12]

---

١ ن: بالحصاء.

٢ ن: هو.

٣ ن – (في مسألة العَلْقى) قال أبو عثمان المازني.

٤ ن: فاولته.

٥ ن: احفى.

٦ انظر: مجالس العلماء للزجّاجي، ١/٤٢؛ والخصائص لابن جنّي، ٣/٣١٢.

٧ ن: لتأنيث.

٨ ن + عن.

٩ تمامه:

بينَ تواري الشمسِ والـذُّرُور

ديوان العجاج، ١/٣٦٢.

١٠ ن: عن.

١١ ن: علقًا.

١٢ ن: المكور.

وأَهْلكه ولـم يَستقِم لـه أَمرٌ فيتخلَّصُون مِنه، وأنَّه لو كان مُسْرِفًا كذَّابًا لَمَا هداه الله للنُّبوة ولَمَا عَضَدهُ بالبيِّناتِ.

وقيل: ما تولَّى أبُو بكر رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشدَّ من ذلك: طاف بالبيتِ فلَقُوه حينَ فَرَغَ، فأخَذُوا بمجَامِع ردائه فقالوا له: أَنت الذي تنهَانا عمَّا كان يَعبُدُ آباؤُنا؟! فقال: "أنَا ذاك" فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزَمه من ورَائه: وقال أتقتلُونَ رَجُلًا أن يقُول ربي اللهُ وقد جاءكُم بالبيِّناتِ من ربِّكم؟ رَافِعَ صَوْتِه بذلك وعَيْناه تسفحَان حتَّى أَرْسَلُوهُ.

وعن جعفرٍ الصَّادق: إنَّ مؤمن آلِ فرعون قال ذلك سِرًّا، وأبو بكر رضي الله عنه قاله ظاهرًا.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في أرْضِ مِصْرَ عَالين فيها على بني إسرائيل، يَعني: إنَّ لكم مُلكَ مصْرَ وقد عَلوتُم النَّاسَ وقهرتمُوهُم، فلا تُفسِدُوا أمْرَكم على أنفسِكم، ولا تتعرَّضوا لِبأسِ اللهِ وعذابِه فإنَّه لا قِبَلَ لكُم به إن جاءكم ولا يَمنعكُم منه أَحَدٌ.

ضَرْبٌ مِن الشجر، والواحد: مَكْر.[١] استنَّ الفرَس وغيرُه، أي: قمَصَ؛ وهو أن يرفع يدَيه ويطرحَهُما معًا، ويَعجِنَ برجلَيه.[٢]

قوله: **(وقيل: ما تولّى)** أي: الذي تولَّى. وقوله:[٣] **(أشدَّ مِن ذلك)** أي: ممّا تولَّى مؤمن آل فرعون. وتولَّى، أي: تقلَّد.

قوله: **(تَسْفحان)** أي: تَذرِفان. وقوله:[٤] **(ظاهرًا)** أي: جَهْرًا.

قوله: **(لا قِبَلَ لكم)** أي: لا طاقةَ لكم به.

---

١ ن: مكور. | **الصحاح** للجوهري، «مكر».
٢ **الصحاح** للجوهري، «قمص».
٣ ن: قوله.
٤ ف: قوله.

وقال: ﴿يَنصُرُنَا﴾ و﴿جَآءَنَا﴾ لأنَّه مِنهم في القرابة، وليُعْلِمَهم بأن الَّذي يَنْصَحُهم به هو مُسَاهِمٌ لهُم فيه.

﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾؛ أي: ما أُشِيرُ عليكم برأيٍ إلَّا بما أَرَى من قَتلِهِ، يَعني: لا أستَصوِبُ إلَّا قَتلَه، وهذا الذي تقولُونه غيرُ صواب ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ بهذا الرَّأيِ ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ يُريد: سبيلَ الصَّوابِ والصَّلاحِ.

أو: ما أُعْلِمُكم إلَّا ما أَعْلَمُ مِن الصَّواب، ولا أدَّخِرُ منه شيئًا، ولا أُسِرُّ عَنْكم خلافَ ما أُظهِرُ، يعني: أنَّ لسَانه وقلْبه مُتواطِئانِ على ما يقُول، وقد كَذَبَ اللعين فقد كان مستشعِرًا لِلخوف الشَّديدِ من جهة موسى ولكنَّه كان يتجلَّد، ولولا استِشعَارُه لم يَستشِرْ أحَدًا ولم يَقِف الأَمرُ على الإشارة.

وقرئ: "الرَّشَّاد" فَعَّالٌ من رَشِدَ -بالكسر- كعَلَّام، أو من رَشَدَ -بالفتح- كعبَّادٍ.

قوله: (أو مَن رَشَد بالفتح)... إلخ رَشَد يَرْشُدُ[1] رُشْدًا، ورَشِدَ -بالكسر- يَرشَد[2] رَشَدًا لغة[3] فيه، وأرشَده الله.[4] و"الدرّاك": الكثير[5] / الإدراك، وقيل: ما[6] [٣٣٠ظ]
يجيء "فعّال"[7] مِن "أفْعَل يُفعِل"، إلَّا أنَّهم قد قالوا: حسَّاس درَّاك لغة أو ازدواج.[8] والسؤر: جمعه أسآر، وقد أسأره، يقال: إذا شربتَ فأسْئِر، أي: أبْقِ شيئًا مِن الشراب في قَعْر الإناء. والنعْتُ "سَآَّر" على غير قياس، والقياس: مُسْئِر، قال الأخطل:

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكاسِ نادَمَني[9] لا بالحَصور ولا فيها بسَآَّرِ[10]

أي: لا يُسئِر كثيرًا.[11] ويُروى: "بِسَوّار"؛ وهو المُعَرْبد الوثّاب. وإنّما أدخل الباء في الخبر لأنّه ذهبَ بـ"لا" مذهبَ "ليس"، لِمضارَعتها له في النفي.[12]

---

١ ن: رشيد.
٢ ن: يَرشُد.
٣ ن: لعنه.
٤ الصحاح للجوهري، «رشد».
٥ ن: الكبير.
٦ في مطبوع الصحاح: "قلّما".
٧ ن: ففال.
٨ الصحاح للجوهري، «درك».
٩ ن: نادمي.
١٠ ديوان الأخطل، ص ١٢٧، بلفظ: "بسَوّار".
١١ ن: لثيرًا.
١٢ الصحاح للجوهري، «سأر».

وقيل: هو من أَرْشَد كجبَّارٍ من أَجْبَر. وليس بذاك؛ لأنَّ فعَّالًا من أَفعَلَ لم يَجِئْ إلَّا في عِدَّةِ أحرُفٍ، نحو: درَّاكٍ وسَآرٍ وقَصَّارٍ وجَبَّار، ولا يصحُّ القياسُ على القليل. ويجوز أن يكون نسبةً إلى الرُّشْد -كعَوَّاجٍ وبَتَّاتٍ- غيرَ منظورٍ فيه إلى فِعلٍ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠﴾

﴿مِثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: مثلَ أيّامهم؛ لأنه لمَّا أضافه إلى الأحزاب وفسَّرهُم بقوم نوح وعادٍ وثمودَ، ولم يُلْبِسْ أنَّ كلَّ حِزبٍ منهم كان له يومُ دمارٍ، اقتصرَ على الواحد من الجَمْع؛ لأنَّ المضاف إليه أَغْنَى عن ذلك؛ كقوله:

كـلُـوا فـي بـعـضِ بَـطـنـكُـم تَـعِـفُّـوا

وقال الزَّجّاجُ: مثلَ يَوم حِزْبٍ حِزبٍ.

و"الحَصور":[١] الضَّيّق البخيل.[٢] و"البتّات":[٣] ما يَعمل البَتَّ أو يبيعه، وهو الطَّيْلسان مِن خَزّ أو صوف.[٤] و"العاج" عَظم الفيل، والواحدة: عاجة، ويقال لصاحبه: "العَوَّاج".[٥] وأقصرتُ عنه: كفَفْتُ ونزَعتُ عنه مع القدرة عليه، فإن عجزتَ عنه قلتَ: قَصَرتُ، بلا ألف.

قوله: (لأنّه) متعلّق[٦] بمحذوفٍ، أي: إنّما أتى[٧] بالواحد في موضع الجمع لأنّه لمّا.

قوله:

(كُـلـوا فـي بـعـضِ بَـطْـنِـكـم تَـعِـفُّـوا)

آخره:

فـــإنّ زمـــانــكـــم زمـــنٌ خَـــمـــيـــصُ[٨]

قولـه: (قـال الزجّـاج) عطـفٌ علـى "لأنّـه" مِـن حيـث المعنـى، كأنّـه قـال:

---

١ ف: والحُصور.

٢ **الصحاح** للجوهري، «حصر».

٣ ن: والتبات.

٤ **الصحاح** للجوهري، «بتت».

٥ **الصحاح** للجوهري، «عوج».

٦ ن: بمتعلّق.

٧ ن: انى.

٨ البيت مِن أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعلم قائلها. **خزانة الأدب** للبغدادي، ٧/٥٦٤.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١﴾

و"دأبُ هؤلاء": دُؤوبُهم في عَملِهم من الكُفر والتكذيب وسائرِ المعاصي، وكونُ ذلك دَائبًا دائمًا منهُم لا يَفْتُرون عنه، ولا بدَّ من حذفِ مضافٍ يريد: مِثْلَ جزاءِ دأبِهِم.

فإن قلتَ: بمَ انتصَب ﴿مِثْلَ﴾ الثاني؟

قلتُ: بأنّه عطفُ بيانٍ لـ﴿مِثْلَ﴾ الأوّلِ؛ لأنَّ آخرَ ما تَناولتْه الإضافةُ قَومُ نوح، ولو قلتَ: "أَهْلَكَ اللهُ الأحزابَ: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ" لم يكُن إلّا عطفَ بيان لإضافة "قومَ" إلى أَعْلامٍ، فسَرَى ذلك الحكمُ إلى أوّل ما تَناوَلتْه الإضافةُ.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ يَعني: أنَّ تدميرَهم كان عَدْلًا وقِسطًا؛ لأنّهم استوْجَبُوه بأعمَالهم، وهو أَبلغُ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤١/٤٦] حيث جَعل المنفيَّ إِرَادةَ الظُّلم؛ لأنَّ مَن كان عن إرادة الظُّلم بَعيدًا كان عن الظلم أبعَدَ، ....

أقام الواحدَ مُقام الجمع للقرينة،[١] لدلالة القرينة، ولأنّ المراد كلّ واحد واحد. وقوله: (حِزْبٍ حِزْبٍ)[٢] أي: كلّ حِزْب حِزْب،[٣] فكأنّه قال: المراد: كلّ واحد واحد، لا الكلُّ المجموعي،[٤] فاستَعمل الزجّاج النكرةَ موضع العموم حيث أراد بـ"حِزْبٍ[٥] حِزْبٍ": كلُّ حِزْب[٦] حِزْب،[٧] مثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر ٥٩/١٨]، ﴿عَلِمَتْ[٨] نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار ٨٢/٥]، أي: كلُّ نفس.

قوله: (لأنّ آخِر) أي: جاز أن يكون عطفَ بيان؛ لأنّه مضاف إلى المضاف إلى ما هو مضاف إلى العَلَم، فكان حُكمه حُكمَ العَلَم.

---

١ ن: للفرينة.
٢ ن: حرب حرب.
٣ ن - أي: كلّ حزب حزب.
٤ ن: المجموع.
٥ ن: بحرب.
٦ ن: حرب.
٧ ن - حزب.
٨ في النسخ الخطيّة: "لقَد عَلِمَت".

وحيث نكَّر الظُّلمَ كأنَّه نَفَى أن يُريد ظُلمًا ما لِعبَادِه.

ويجوز أن يكون معناهُ كمعنى قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر ٣٩/٧]؛ أي: لا يُرِيد لَهُم أن يَظلِمُوا، يَعني: أنَّه دمَّرهُم لأنَّهم كانوا ظَالِمِين.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾

"التنادي": ما حكَى الله في سورة الأَعراف من قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٧/٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٧/٥٠] ويجوز أن يكون تَصَايُحَهم بالوَيل والثُّبُورِ.

وقرئ بالتشديد: وهو أَن يَنِدَّ بعْضُهم من بعضٍ كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس ٨٠/٣٤]، وعن الضَّحَّاك: إذا سمِعُوا زفيرَ النار نَدُّوا هربًا، فلا يَأتونَ قُطْرًا من الأقطار إلَّا وجَدُوا ملائكةً صُفوفًا، فبَينا هم يموجُ بعضُهم في بعضٍ إذ سمِعُوا منادِيًا: أقبِلُوا إلى الحساب.

قوله: (**ظُلْمًا ما لعباده**) بخلاف قوله: "ظلّام"، فإنّ التنكير ليس في الظلم؛ بل نُكِّر[١] "الظَلّام" -ولا يلزم منه تنكير الظلم- ليفيد المعنى المذكور ههنا.

قوله: (**أي: لا يريد**)[٢] هذا المعنى موافق لمذهبه؛ لأنّ كُفر الكافر عندهم ليس مرادًا لله تعالى، وعندنا كفر الكافر بإرادته[٣] تعالى، لا برضاه.

قوله: (**ويجوز أن يكون تَصَايُحَهم**) أي: أنْ[٤] يكون التنادي والتصايح، مِن الصَّيحة.

قوله: (**يَنِدَّ**) تنادَّتْ البهائم إذا شرَدَتْ.

قوله: (**إذ سَمِعوا مناديًا**) أوقعَ الفعلَ بعد "إذ" المفاجأة،[٥] وهو كثير، وأمّا "إذا"[٦] المفاجأة فلا يقع[٧] بعدَه إلّا الاسم.

---

١ ن: نكره.
٢ ف: يزيد.
٣ ن: بإرادة الله.
٤ ف - أن.
٥ ن: الفجائة.
٦ ن: إذ.
٧ ن - يقع.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾

﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن قتادة: مُنصَرفين عن مَوقف الحساب إلى النَّار.

وعن مجاهد: فارِّين عن النَّار غيرَ مُعْجزين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾

هو يوسُف بن يعقوبَ عليهما السلام، وقيل: هو يوسُف بن إبراهيم بن يوسف بنِ يعقوبَ، أقَام فيهم نبيًّا عِشرين سنةً.

وقيل: إنَّ فرعون مُوسى هو فرعون يوسف عُمِّر إلى زَمنِه.

وقيل: هو فرعونٌ آخرُ.

وبَّخهُم بأنَّ يوسف أتاكم بالمُعجزاتِ فشككْتُم فيها ولَمْ تزَالُوا شَاكِّينَ كافِرين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ قُبِض ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حُكْمًا مِن عند أنفسكم مِن غيْرِ بُرهانٍ، وتَقدِمَةَ عَزْمٍ منكم على تكذِيب الرُّسل، فإذا جاءكم رسولٌ جحَدْتُم وكَذَّبتُم بناءً على حُكمِكُم الباطِل الَّذي أَسَّسْتُمُوه، وليسَ قولُهم: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ بتَصديقٍ لرسَالةِ يوسف، وكيف وقَد شَكُّوا فيها وكَفَروا بها؟ وإنما هو تكذيبٌ لرسالة مَن بَعده مضمومٌ إلى تكذيب رسَالتِه.

وقرئ: "أَلَنْ يَبْعَثَ اللهُ" على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي؛ كأنَّ بعضَهم يُقرِّر بَعضًا بنفيِ البَعث.

قوله: (غيرَ معجزين) تفسير لقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾.

قوله: (هو يوسف بن[1] يعقوب عليه[2] السلام) مَن قال: هو يوسف بن[3] يعقوب حملَ "البيّنات" على تعبير الرؤيا.

---

[1] ن: ابن.

[2] ف ن: عليهما.

[3] ن: ابن.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: مِثلَ هذا الخِذلانِ المُبين يخذلُ اللهُ كلَّ مُسرفٍ في عصيانهِ مُرتابٍ في دينهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدَلٌ مِن ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾.

فإن قلتَ: كيف جاز إبدالهُ مِنه وهو جمْعٌ وذاك مُوحَّدٌ؟

قلتُ: لأنَّه لا يُريد مُسْرِفًا واحِدًا، وكأنَّه قال: كلَّ مُسْرِفٍ.

فإن قلتَ: فما فاعِلُ ﴿كَبُرَ﴾؟

قلتُ: ضميرُ ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾.

فإن قلتَ: أمَا قلتَ: هو جمعٌ، ولهذا أبدلتَ منهُ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾؟

قلتُ: بَلَى هو جَمعٌ في المعنى، وأمَّا اللَّفظُ فمُوحَّدٌ، فحُملَ البَدَلُ على معناه والضَّميرُ الرَّاجعُ إليه على لَفْظِه، ولَيْس ببِدْعٍ أن يُحملَ على اللَّفظ تارةً وعلى المَعنى أُخْرَى، ولهُ نظائرُ.

ويجوز أَن يُرفَع ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ على الابتداء، ولا بدَّ في هذا الوجه من حذف مضافٍ يَرْجعُ إليه الضَّميرُ في ﴿كَبُرَ﴾ تقديرُه: جِدالُ الَّذين يُجادِلون كبُرَ مَقتًا.

ويحتمِل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ مُبتدأً و﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ خبرًا، وفاعِلُ ﴿كَبُرَ﴾ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كبُرَ مَقتًا مثلُ ذلك الجدال، و﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ.

قوله: (**فإن قلتَ: فما فاعل ﴿كَبُرَ﴾؟**) أي: كان ينبغي أن يقال: كَبُروا.[1]

قوله: (**مِن حذف مضاف**) أي: مِن الذين.

[٣٣١و] قوله: (**ويحتمل**)... إلخ أي: جِدالهم بغير سلطان، أو يُجادِلون / بغير سلطان.[2]

قوله: (**وفاعل ﴿كَبُرَ﴾: ﴿كَذَٰلِكَ﴾**) وعلى هذا يكون قُدّم التميز على الفاعل،

---

[1] ن: لبروا.

[2] ن – أو يُجادِلون بغير سلطان.

ومَن قال: "كبُر مَقتًا عِند الله جِدالُهم" فقد حذَف الفاعِلَ، والفاعلُ لا يصحُّ حَذفُه.

وفي ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ضَرْبٌ من التَّعجُّب والاستِعظامِ لجِدالهِم، والشَّهادَةِ عَلى خُروجِه من حَدِّ أشْكاله من الكبائر.

وقرئ: "سُلُطانٍ" بضم اللام.

وقرئ: ﴿قلْبٍ﴾ بالتَّنوين، ووُصِف القلبُ بالتكبُّر والتجبُّر لأنه مركزُهما ومَنبعُهما؛ كما تقول: رَأتِ العيْنُ وسَمعتِ الأُذُنُ، ونحوُه قولُه عزَّ وجل: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة ٢٨٣/٢] وإن كان الآثِمُ هو الجملةُ.

ويجوز أن يكون على حذف المضاف؛ ....

ومثلُه جائزٌ بلا خلاف، قال المرزوقي في شرح قوله:

أرى كلَّ أرضٍ دَمَّنَتْها[١] وإنْ مضَتْ لها حِجَجٌ[٢] يزداد طِيبًا ترابُها:

«إنّه يجوز تقديم التميز على الفاعل، وليس في جوازه خلاف بين النحويّين، وليس هذا مثلَ قول الشاعر:

أتهجُرُ سَلمى بالفِراق حبيبَها وما كاد[٣] نَفْسًا بالفِراق تطيبُ»[٤]

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ تقديره: على قلب كلّ متكبر، كما جاء "فلان يصوم كلَّ يومِ جمعةٍ"، أي: يومَ كلِّ جمعةٍ.

قوله: (**فقد حذَف الفاعل**) فيما ذكره المصنّف نظر، لاحتمال أن يكون مراد مَن قال بذلك أنّ في ﴿كَبُرَ﴾ ضميرًا يَرجع إلى الجِدال، فيكون التقدير: كَبُر مَقْتًا عند الله جِدالُهم.

قوله: (**مِن أشكاله**) أي: نظائرِه.[٥]

---

١ ن: دمتها.

٢ ن: حج.

٣ ن: كان.

٤ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٣٢٩/٣.

٥ وفي هامش د ف: قوله: (ووُصف القلب بالتكبر)... إلخ مِن قَبيل الإسناد إلى الآلة، فإنّ النفسَ تُدرك وتُبصر وتسمع بالآلات التي هي القلب والعين والأُذُن مثلًا، فيكون إسناد المتكبر إلى الضمير المستتر فيه العائد إلى القلب إسنادًا مَجازيًا مِن قَبيل الإسناد إلى السبب.

أي: على كلِّ ذي قلبٍ متكبّرٍ، تجعَلُ الصِّفة لصاحِب القلب.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾

قيل: "الصَّرح": البناء الظاهرُ الَّذي لا يخفى على الناظِر وإن بَعُدَ، اشتَقُّوهُ من صَرَّحَ الشَّيءُ: إذا ظهَر، و"أسبابُ السماوات": طُرُقها وأبوَابها وما يُؤدِّي إليْها، وكلُّ ما أدَّاكَ إلى شيءٍ فهو سَببٌ إليه كالرِّشاء ونحوِه.

فإن قلتَ: ما فائدةُ هذا التكرير، ولو قِيل: لعَلِّي أَبلُغ أَسْباب السَّماوات لأجزأ؟

قلتُ: إذا أُبْهِمَ الشَّيءُ ثم أُوضِحَ كان تفخيمًا لشأنِه، فلمَّا أراد تفخيمَ ما أمَّلَ بلُوغَه من أسْباب السَّماوات أبْهَمَها ثمَّ أوضَحَها، ولأنَّه لمَّا كان بلُوغُها أمرًا عجيبًا أراد أن يُورِدَه على نفسٍ ....

قوله: **(لصاحب القلب)** أي: لذي قلب.

قوله: **(مِن صَرَّح الشيءُ)** "صرَّح" -بالتشديد- لازم بمعنى ظَهَر،[1] تقول: صرَّحَتِ الخمر؛ إذا ذهب عنها الزَّبَد، قال الشاعر:

قد صرَّحَتْ بعد تَهدارٍ وإزْبادِ[2]

ولا شكَّ أنَّها كانت مستترةً بالزَّبَد، فلمَّا ذهب عنها الزَّبَد ظهَرتْ.[3] ويُعدّى[4] بالباء،[5] تقول: صرَّح بما في نفسه، أي: أظهرها،[6] قال في **الصحاح**: «الصَّرْح: القَصْر، وكلُّ بناءٍ عالٍ».[7] وقال في **مجمل اللغة**: «الصَّرْح: بيت واحد يُبنى منفردًا[8] ضَخمًا طويلًا في السماء».[9]

---

[1] ن: طهر.
[2] ن: وارباد.
[3] ن: طهرت.
[4] ن: وتعدّى.
[5] ف: بالياء.
[6] ن: أطهرها.
[7] **الصحاح** للجوهري، «صرح».
[8] ن: مفردًا.
[9] **مجمل اللغة** لابن فارس، «صرح».

مُتشوِّفَةٍ إليه ليُعْطِيه السامعُ حقَّهُ من التَّعجُّب، فأبهمَه ليُشوِّفَ إليه نفسَ هامانَ ثمَّ أوضحَه.

وقرئ: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالنَّصبِ على جواب التَّرجِّي تشبيهًا للترجِّي بالتمنِّي.

ومثلَ ذلك التَّزيينِ وذلك الصَّدِّ ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ والمُزيِّنُ: إمَّا الشَّيطانُ بوسوسته كقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل ٢٤/٢٧] أو اللهُ تعالى على وجْهِ التَّسبيبِ لأنه مكَّن الشَّيطانَ وأمهَله، ومثلُه: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل ٤/٢٧].

وقرئ: "وزَيَّن له سوءَ عمله" على البناء للفاعل، والفعلُ لله عزَّ وجلَّ، دلَّ عليه قولُه: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، و: ﴿صدَّ﴾ بفتح الصَّاد، وضمِّها، وكسرها على نقلِ حركة العين إلى الفاء كما قيل: "قِيل".

و"التبَابُ": الخُسرانُ والهلاكُ.

و: "صَدٌّ": مصْدَرٌ معطوفٌ على ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، و: "صُدُّوا" هو وقومُهُ.

قوله: (متشوِّفةٍ) التشوُّف[١] إلى الشيء: طلب الاطِّلاع عليه، يقال: تشوَّفت[٢] إلى الشيء، أي: تطلَّعْت.[٣]

قوله: (﴿وَصَدَّ﴾ بفتح[٤] الصاد) أي: وقُرئ.[٥]

قوله: (وكسرِها)[٦] أصله: "صُدِدَ" مجهولًا، نُقل الكسرة إلى الصاد.

قوله: (و"صَدٌّ" مصدر) أي: قُرئ: "صَدٌّ".[٧]

قوله: (و"صُدُّوا")[٨] أي: قُرئ قوله تعالى: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾. "صَدَّ" يجوز[٩]

---

١ ن - التشوّف.

٢ ن: تشوقت.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شوف»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «شوف».

٤ ن: بفنح.

٥ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. **النشر** لابن الجزري، ٢٩٨/٢.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٨.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبد الرحمن بن أبي بكرة وابن أبي إسحاق. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٨.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤١٨.

٩ ن: نحو.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾

قال: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فأجْمَلَ لهُم، ثم فسَّر فافتَتح بذمِّ الدُّنيا وتصغيرِ شأنِها؛ لأنَّ الإخلاد إليها هو أصْلُ الشَّرِّ كلِّه، ومِنه يَتشعَّبُ جَميعُ ما يُؤدِّي إلى سخَط الله ويَجْلبُ الشَّقاوةَ في العاقبة، وثنَّى بتعظيم الآخِرة والاطِّلاع على حقيقتها وأنَّها هي الوطنُ والمُستقَرُّ.

وذكَر الأعمالَ سَيِّئَها وحسَنَها وعاقبةَ كُلٍّ منهما ليُثبِّطَ عما يُتلِفُ ويُنشِّطَ لِمَا يُزلِفُ.

ثـمَّ وازنَ بين الدَّعْوتين: دعوتهِ إلى دين الله الَّذي ثمَرتُه النَّجاةُ، ودَعْوتِهم إلى اتِّخاذ الأَنْداد الَّذي عاقبَتُه النَّارُ، وحَذَّرَ وأَنْذَر، واجتَهد في ذلك واحتَشَد، لا جرَم أنَّ الله عز وعلا استَثناهُ من آلِ فرعون وجَعله حجَّةً عليهم وعبْرةً للمُعتبِرين،

أن يكون لازمًا ومتعدّيًا.[١] والفعل لفرعون، أي: صَدَّ الناسَ عن[٢] الإيمان، ويجوز أن يكون الفاعل اللهَ تعالى، أي: صَدَّه الله تعالى عن إبطال أمر موسى. وقيل: عن بناء الصَّرْح.

قوله: **(فافتتحَ بذمّ الدنيا)** أي: فافتتحَ الكلام بذمّ الدنيا، ثـمّ قال: **(وثنّى)**[٣] أي: وثنَّى الكلام بتعظيم الآخرة.

قوله: **(واحْتَشَد)** أي: اجتمع. وقوله: **(لا جَرَم)** متعلّق بالمذكور مِن قوله:[٤] (قال: ﴿أَهْدِكُمْ﴾) إلى هنا، أي: لمّا قال فأجْملَ ثـمّ فسّر فافتتح وثنّى وكذا وكذا لا جرم أنّ الله تعالى استثناه.

---

[١] ن: ومنعديًا.
[٢] ن – عن.
[٣] ن: وبنى.
[٤] ن + تعالى.

وهو قولُه: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر ٤٠/٤٥]، وفي هذا أيضًا دليلٌ بيِّنٌ على أنَّ الرَّجل كان من آل فرعون.

و"الرَّشادُ" نقيضُ الغَيِّ، وفيه تَعريضٌ شبيهٌ بالتَّصريح أنَّ ما عليه فرعون وقومُه هو سَبيلُ الغيِّ.

﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ لأنَّ الزِّيادةَ على مقدار جَزاء السَّيِّئةِ قبيحةٌ لأنَّها ظُلمٌ، وأمَّا الزِّيادةُ على مِقدار جزاء الحسنة فحَسَنةٌ لأنَّها فضل.

وقرئ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ و: ﴿يُدْخَلون﴾.

﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ واقعٌ في مقابلةِ ﴿إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ يعني: أنَّ جزاء السَّيِّئةِ له حسَابٌ وتَقديرٌ لئلَّا يَزيد على الاستحقاق، فأمَّا جزاءُ العَمل الصَّالح فبِغَير تقديرٍ وحسَابٍ، بل ما شئتَ من الزِّيادة على الحقِّ والكثْرة والسَّعة.

فإن قلتَ: لِمَ كرَّرَ نداءَ قومِه، ولِمَ جاءَ بالواو في النداء الثالِثِ دون الثاني؟

قلتُ: أمَّا تكريرُ النداء ففيه زيادةُ تَنبيهٍ لهُم وإيقَاظٍ عن سِنَةِ الغفلةِ.

وفيه: أنَّهُم قومُه وعَشيرتُه، وهُم فيما يُوبقُهم، وهُو يَعلمُ وجْهَ خلاصِهم، ونصيحتُهم عليه واجِبةٌ، فهو يتحزَّنُ لهُم ويتلَطَّفُ بهم ويستَدْعي بذلك أَنْ لا يَتَّهمُوه، فإنَّ سرُورَهم سرُورُه وغمَّهُم غمُّه، ويَنْزلُوا على تنَصُّحِه لهم؛ كما كَرَّر إبراهيمُ صلوات الله عليه في نَصيحةِ أَبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [مريم ١٩/٤٢-٤٥].

وأمَّا المجيءُ بالواو العَاطفةِ: فلأنَّ الثانيَ داخلٌ على كلامٍ هو بيانٌ للمُجمَل

قوله: **(بالتصريح أنَّ ما عليه)** أي: بأنَّ.

قوله: **(على الحقِّ)** أي: حقِّ العامل، وهو ما يَستحقّه بسبب عمله. وهو مذهبه.

قوله: **(فلأنَّ الثاني)** أي: فلأنَّ النداء الثاني داخل على كلامٍ، ذلك الكلامُ بيان للكلام المُجمل، فأُعطي النداء الداخل على كلامٍ هو بيان للمُجمل حُكمَ الكلام الذي هو بيان للمُجمل[1] في عدم دخول الواو.

---

[1] ن: المجمل.

وتفسيرٌ له، فأُعطي الدَّاخِلُ علَيه حُكمَه في امتِناع دخول الواو، وَأمَّا الثالِثُ فداخلٌ على كلامٍ ليسَ بِتلك المثَابة.

يقال: دعَاه إلى كذا ودَعَاه له؛ كما يُقال: هداهُ إلى الطَّريق وهداه له.

﴿بِهِۦ عِلۡمٌ﴾؛ أي: بربُوبيَّتِه، والمراد بنفي العِلم: نفي المَعلوم؛ كأنه قال: وأُشرِكَ بهِ ما ليس بإلهٍ، وما ليس بإلهٍ كيف يصحُّ أن يُعْلَمَ إلهًا؟!

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ سيَاقُه على مذهب البصريّين: أن يُجعل ﴿لَا﴾ رَدًّا لِمَا دعَاه إليه قومُه، و﴿جَرَمَ﴾: فِعْلٌ بمَعنَى: حَقَّ، و﴿وَأَنَّ﴾ معَ ما في حيّزِه فاعِلُه؛ أي: حَقَّ ووجَب بُطْلانُ دَعْوته.

أو بمعنى: كسَبَ، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾ [المائدة ٥/٢]؛ أي: كسَبَ ذلك الدُّعاءُ إليه بُطْلانَ دَعْوته، على مَعنى: أنَّه ما حصَل من ذلك إلَّا ظهُورُ بطلان دعوته.

قوله: (أي: حَقَّ) حاصل المعنى: أنّ "ما" بمعنى "الذي"، فيكون التقدير: حقَّ وثبَتَ أنّ الذي تدعونني إليه ليس له دعوة. ولمّا كان "أنّ" مع ما بعده في تأويل مصدر خبرُ "أنّ"، ولم يكن / لِخبر "أنّ" ههنا مصدر، قُدّر ما هو في معناه، فإنّ معنى قولك: "ليس له دعوة" قريب[١] مِن معنى "بطل دعوتُه"، فصار المعنى: حقَّ وثبَتَ[٢] بطلانُ دعوته. [٣٣١ظ]

قوله: (أي: كسَب) يعني: يكون فاعل ﴿جَرَمَ﴾[٣] ضميرًا يرجع إلى الدعاء الذي دلّ عليه قوله: ﴿تَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝ تَدۡعُونَنِي﴾، ويكون قوله: ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِي﴾... إلخ مفعولًا لـ﴿جَرَمَ﴾ على الوجه المذكور.

---

١ ف: قرب.
٢ ن: وثيت.
٣ ن: حرم.

ويجوز أن يقال: إنَّ ﴿لَا جَرَمَ﴾ نظيرُ: "لا بُدَّ"، فَعَلٌ من الجَرْم وهو القَطعُ، كما أَنَّ "بُدًّا" فُعْلٌ من التَّبديد وهو التفريق، فكما أَنَّ معنى: "لا بُدَّ أنَّك تفعَل كذا" بمَعنى: لا بُعْدَ لكَ مِن فعلِهِ، فكذلك ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل ٦٢/١٦]؛ أي: لا قَطْعَ لذلك، بمَعنى: أنَّهم أبَدًا يَسْتحِقُّون النَّارَ لا انقطاعَ لاستحقاقهم ولا قطعَ لبُطلان دعوَة الأصْنام؛ أي: لا تَزالُ باطلةً لا ينقطِعُ ذلك فينقلبَ حَقًّا.

وروي عن العرب: "لا جُرْمَ أنَّه يفعَل" بضم الجِيم وسُكون الراء بزِنَةِ "بُدّ"، وفُعْلٌ وفَعَلٌ: أخَوانِ، كرُشْدٍ ورَشَدٍ، وعُدْمٍ وعَدَم.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ معناه: أنَّ ما تدعُونني إلَيْه ليس له دعوةٌ إلى نفسِه قَطُّ؛ أي: من حقِّ المعبُود بالحقِّ أن يَدعُوَ العبَادَ إلى طاعتِه، ثم يدعُوَ العبادُ إليها

قوله: (**ويجوز أن يقال**) عطفٌ على قوله: (**﴿جَرَمَ﴾ فِعْل**)، وعلى هذا الوجه يكون جرَم اسم "لا" مبنيًا على الفتح.

قوله: (**بمعنى: لا بُعد لك**) خبر "أنّ" في قوله: (**فكما أنّ**).

قوله: (**فكذلك ﴿لَا جَرَمَ﴾**) لمَا بيّن المصنّف معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ على الوجه الأخير أشار إلى آية أُخرى مِن موضعٍ آخَر، وهو قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل ٦٢/١٦]، ثمّ فسّر الآيتين بهذا المعنى، فقال: (**أي: لا قَطْع لذلك**)... إلخ لتفسير ما أورده مِن موضع آخر. ثمّ قال: (**ولا[1] قَطْعَ لبطلان دعوة الأصنام**) لتفسير الآية التي نحن فيها. وفي الكلام مقدّرٌ محلّه بعد واو "ولا قَطْعَ"، فكأنّه قال: "و﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾... إلخ، أي: لا قَطْع لبطلان دعوة الأصنام"، فيكون هذا المقدّر مع قوله: "لا قَطْعَ لبطلان"... إلخ عطفًا على قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [النحل ٦٢/١٦]... إلخ.

قوله: (**ورُوي عن العرب: لا جُرْمَ**) هذا يؤيّد أنّ "جَرَمَ" -بفتحتين- اسم.

قوله: (**ثمّ[2] يدعو[3] العبادُ**) يعني: بعد أنْ يدعو[4] المعبودُ بالحقّ الناسَ إلى عبادته

---

[1] ن: فلا.
[2] ن - ثمّ.
[3] ن: تدعوا.
[4] ن: يدعوا.

إظهارًا لِدْعوة ربِّهم، وما تَدْعُونَ إلَيْه وإلى عبادتِه لا يَدْعُو هُوَ إلى ذلك ولا يَدَّعِي الرُّبُوبيَّةَ، ولو كان حيَوانًا ناطقًا لضَجَّ مِن دُعَائكم.

وقولُه: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني: أنَّه في الدُّنيا جَمادٌ لا يَسْتطيعُ شيئًا من دُعَاءٍ وغيْرِه، وفي الآخرة: إذا أنشَأه اللهُ حيوانًا تَبرَّأَ من الدُّعاةِ إليه ومِن عبَدته.

وقيل: معناه: ليس لهُ استجابةُ دَعْوةٍ تنفعُ في الدُّنيا وفي الآخرة، أو: دعوةٌ مُستجابةٌ، جُعِلت الدَّعوةُ التي لا استجابةَ لهَا ولا منفَعَة كلا دَعوةٍ، أو سُمِّيت الاستجابةُ باسْمِ الدَّعوة ....

بإرسال الرسل وإنزال الكتب، يدعو العبادُ -وهم[١] الرسل والأنبياء والعلماء- الناسَ إلى عبادة الله تعالى.

قوله: **(وما تدعون)** أي: الذي.

قوله: **(مِن الدعاة)** جمع داعٍ، كالقُضاة في[٢] جمع قاضٍ.

قوله: **(استجابة دعوةٍ)** يعني يكون المضاف محذوفًا.

قوله: **(أو دعوةٌ مستجابةٌ)**... إلخ حاصل المعنى على[٣] هذا: أنّ العَبَدةَ وإن كانوا يَدعون الآلهة، لكنّهم لا يستجيبون العابدين الداعين، فثبت لأجل المعبودين الدعوة؛ لأنّ عابديهم يدعوهم، لكن لم يَثبت لهم دعوة مستجابة؛ لأنّهم لا يستجيبون العابدين، فإذا لم يَثبت لأجلهم دعوة مستجابة[٤] قيل: ليس لأجلهم دعاءٌ، لأنّ الداعي إذا دعا ولم يُستَجَبْ[٥] له فكأنّه[٦] لم يَدْعُ، فلا يَثْبت للآلهة دعاء، فلذلك قيل: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾.

قوله: **(أو سُمّيت)** يعني: يكون حاصل المعنى كما في الوجه الثاني، لكن لا بحذف المضاف؛ بل بإقامة السبب مُقام المُسبَّب.

---

١ ن: يدعوا لعبادتهم.

٢ ن - في.

٣ ن + أن.

٤ د ن - لأنّهم لا يستجيبون العابدين، فإذا لم يثبت لأجلهم دعوةٌ مستجابةٌ ["صح" في هامش د].

٥ ن: يستحب.

٦ ن: فكأنّهم به.

كما سمِّي الفِعلُ المُجازَى عليه باسم الجزاء في قولهم: "كما تَدِين تُدانُ"، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد ١٣/١٤].

﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ عن قتادة: المشركين، وعن مجاهد: السَّفَّاكين للدِّماء بغيْر حِلِّها.

وقيل: الَّذين غَلبَ شرُّهم خيْرَهم هم المُسْرفُونَ.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾

وقرئ: "فستذُكِّرُون"؛ أي: فسَيُذكِّرهُ بَعضُكُم بعضًا.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنَّهم توعَّدُوه.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾: ....

قوله: (كما سُمِّي) أي: سُمِّي فيما[١] نحن فيه المُسبَّب -وهو الاستجابة- باسم السبب، وهو الدعاء، كما عكس هذا المعنى في قولهم: «كما تَدين تُدان»،[٢] أي: كما تَفعلُ تُجازَى، فإنَّ قولهم: "تَدين" موضوع مَوضع "تفعلُ"، والفِعْل سببُ الجزاء، فوضع المُسبَّب فيه موضعَ السبب.

قوله: (قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾) أي: له استجابة الحقّ، أورد هذه الآية لبيان أنَّ[٣] الاستجابة سُمِّيت باسم الدعوة. والدليل على / أنَّ الدعوة في [٣٣٢و]
﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ بمعنى الاستجابة قولُه تعالى بعد ذلك في مقابلته: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ﴾.

قوله: (لأنَّهم توعَّدوه)[٤] أي: قال ذلك لأنَّهم توعَّدوه.

---

[١] ن: فيها.
[٢] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢/١٥٥.
[٣] ن - أنّ.
[٤] ن: يوعدوه.

شَدائدَ مكْرِهم ومَا هَمُّوا به من إلحَاق أنواع العذاب بمَن خالفهُم، وقيل: نَجَا مَعَ مُوسَى.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ ما همُّوا بهِ من تعذِيب المسلمين ورَجعَ عليهم كيْدُهم.

﴿ٱلنَّارُ﴾ بدَلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾، أو خبرُ مُبتدأ محذوفٍ كأنَّ قائلًا قال: ما سُوءُ العذاب؟ فقيل: هو النَّار، أو مُبتدأٌ خبَرُه ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وفي هذا الوجه تعظيمٌ للنَّار وتَهْويلٌ من عذابها.

وعرضُهم عَلَيها: إحراقُهم بهَا، يُقال: عَرض الإمامُ الأُسَارَى على السَّيف: إذا قتَلَهم بِه.

وقرئ: "النَّارَ" بالنَّصب، وهي تَعضُد الوجْهَ الأَخِير، وتقديرهُ: يُدْخَلُون النَّارَ يُعْرضُون عَليها، ويجوز أن ينتصِبَ على الاختصاص.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في هذين الوَقْتين يُعَذَّبُون بالنَّار، وفيما بين ذلك الله أعلمُ بحَالِهم: فإمَّا أن يُعذَّبُوا بجنْسٍ آخَر من العَذاب أو يُنفَّسَ عنهم.

ويجوز أن يكون ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ عبارةً عن الدَّوام: هذا ما دَامَتِ الدُّنيا، فإذا قامت السَّاعةُ قيل لهم: أُدْخلُوا يا آل فرعون أشَدَّ عذاب جَهنَّم.

قوله: (**شدائد مَكْرهم**) يريد بـ"شدائد مَكْرهم" أنواعَ العذاب التي أرادوا[١] إلحاقَها بهم بالمَكْر والكَيد. فقوله: (**وما همُّوا**) كالبيان لـ"شدائد مَكْرهم".

قوله: (**نجا مع موسى**) أي: نجا مؤمنُ آل فرعون.[٢]

قوله: (**هذا ما دامت الدنيا**) إشارة إلى أنّ قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾... إلخ عطفٌ على محذوف.

---

١ ن: أرادو.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (وعَرْضُهم عليها إحراقُهم بها)... إلخ مِن قبيل ذِكر الملزوم أو السبب وإرادة اللازم أو المسبَّب، فإنّ العَرْض على النار أو السيف سبب للإحراق والقتل. قوله: (عبارةً عن الدوام) فيكون مِن قَبيل ذكر الجُزء وإرادة الكُلّ.

وقرئ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، أي: يقال لِخزَنة جَهنَّم: أَدْخِلُوهم.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ مَعناه: أنَّه رجَع عليهم ما همُّوا به من المَكر بالمُسلمين؛ كقول العَرب: "مَن حفَر لأخيهِ جُبًّا وقَع فيه مُنكَبًّا"، فإذا فُسِّر ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ بنارِ جهنَّم لم يكُن مكرُهُمْ راجِعًا عليهم؛ لأنَّهم لا يُعذَّبُونَ بجهنَّم؟

قلتُ: يجوز أن يَهُمَّ الإنسان بأَن يُغرِّقَ قومًا فَيُحرَقَ بالنَّار، ويُسمَّى ذلك حَيْقًا لأنَّه هَمَّ بسُوءٍ فأصَابه ما يقع عليه اسْمُ السُّوء، ولا يُشتَرَطُ في الحَيْقِ أن يكون الحَائقُ ذلك السُّوءَ بعَيْنه.

ويَجُوز أَن يَهُمَّ فرعَونُ لمَّا سَمع إنذارَ المسلمين بالنَّار، وقولَ المؤمن: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ فيفعَلَ نحو ما فَعَل نُمرُوذُ ويعَذِّبَهم بالنَّار، فحاق به مثلُ ما أضمَره وهمَّ بفعْلِه.

ويُستدلُّ بهذه الآيةِ على إثباتِ عذاب القبر.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

واذكر وقتَ ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾.

﴿تَبَعًا﴾: تُبَّاعًا كخَدَمٍ في جمع خادمٍ، أو: ذَوِي تبَعٍ؛ أي: أتباعٍ، أو وَصْفًا بالمصْدر.

قوله: (وقُرئ: ﴿أَدْخِلُوا۟﴾) سبعة أيضًا.[١]

قوله: (فيفعل نحو) عطفٌ على محذوف هو مفعول "يَهُمُّ"، فكأنَّه قال: أن يَهُمَّ أن يُحرِّقَهم فيفعلَ بهم، أو التقدير: أن يَهُمَّ أن يؤذيَهم بأنواع الأذى، أو أذًى شديدًا فيفعل بهم.

قوله: (تُبَّاعًا) يعني: يكون جمع "تابع".

قوله: (أو وَصْفًا بالمصدر) كـ"رجل عَدْل".

---

[١] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. وقرأ باقي العشرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ بوَصل الهمزة وضمِّ الخاء، ويبتدئون بضمِّ الهمزة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٣.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝٤٨﴾

وقرئ: "كُلًّا" على التأكيد لاسْم "إِنَّ"، وهو معرفةٌ.

والتَّنوين عوضٌ من المضاف إليه، يُريد: إنَّا كلُّنا -أو: كلَّنا- فيها.

فإن قلتَ: هل يجوزُ أن يكونَ "كُلًّا" حالًا قد عَمِلَ فيها ﴿فِيهَا﴾؟

قلتُ: لا؛ لأنَّ الظَّرف لا يَعمل في الحال مُتقدِّمةً كما يَعمل في الظَّرف متقدِّمًا، تقول: "كُلَّ يومٍ لك ثوبٌ" ولا تقول: "قائمًا في الدَّار زيدٌ".

﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: قضَى بَيْنهم وفصَل بأن أَدخَلَ أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهل النَّار النارَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: للقُوَّامِ بتَعذيب أهْلِها.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: الَّذين في النَّار لخزنَتها؟

قلتُ: لأنَّ في ذِكْر جهنَّمَ تَهْوِيلًا وتفظيعًا، ويَحتمِلُ أَنَّ جهنَّم هي أبعَدُ النَّار قَعْرًا، من قولهم: "بِئرٌ جِهِنَّامٌ": بَعيدةُ القَعر، وقَولُهم في النَّابِغَةِ: "جِهِنَّامٌ" تسمِيةٌ بها لزُعْمِهم ....

قوله: (وهو) أي: كلّ.

قوله: (عِوض) أي: كُلُّنا.

قوله: (يريد: إنّا كلُّنا)[1] أي: على قراءة الرفع. وقوله: (أو كلَّنا)[2] أي: على قراءة النصب.[3]

قوله: (تُسَمِّيه[4] بها) أي: تُسَمِّيه[5] بالجِهِنّام.

---

[1] ن: لنا.

[2] ن: أو كلتا.

[3] أي: "إنَّا كُلًّا". وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٩١.

[4] ن: تسمية. | في مطبوع **الكشّاف**: "تسمية".

[5] وفي هامش د ف: النابغة.

أنّه يُلقِي الشِّعرَ على لسَان المُنتسِب إليه، فهو بَعيدُ الغَورِ في علمِه بالشعر، كما قال أبو نُوَاسٍ في خَلفِ الأَحْمرِ:

قَـلَـيْـذَمٌ مِـن الـعَـيَـالِـيـمِ الـخُـسُـف

قوله: (إنّه يُلَقَّى)... إلخ[1] "يلقّى" إذا كان بفتح اللام وتشديد القاف فكأنّه اقتبَسَه مِن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ [النمل ٦/٢٧]. فقوله: (على لسان) متعلّق بمحذوف، أي: جاريًا على لسان المنتسِب إليه، والمراد بـ"المنتسِب إليه" العالمُ به عِلْمًا كاملًا بحيث إذا ذُكر إنّما ذُكر بطريق النسبة إليه لشُهْرته بحذاقَتِه فيه، كما يقال للفائق في النحو: النحوي. وإذا كان بسكون اللام وكسر القاف الخفيفة فيكون "على" متعلِّقًا به، ويكون المراد بـ"المنتَسِب إليه" هو النابغةَ، أي: إذا قال شِعرًا وألقاه على لسانه، فإنّه يُلقيه على لسان مَن يُنسَب إلى الشعر. والأوّل أولى، يَظْهر بالتأمّل في قوله: (لزعمهم)، وقولِه: (فهو بعيد الغَوْر).

قوله:

(قَلَيْــذَمٌ مِــن العَيَالِيــم[2] الخُسُــفْ)

أوّله:

أودَى جميـعُ العِلْـم مُـذْ أودى خَلَـفْ
مَـن لا يُعَـدُّ العِلـمُ إلّا مـا عَـرَفْ
روايــةٌ لا يَـجْـتَـنِـي مِـن الـصُـحُـفْ[3]

أي: كثيرُ الرواية لا يجتَني العلم من الصُحُف؛ بل هو محفوظ في صدره. "القَلَيْذَم":[4] البئر الغزيرة الماء. و"العَيَالِيم" جمع "عَيلم"، وهو الرَّكِيّة الكثيرة الماء.[5] و"الخُسُفُ" جمع "خَسيف"؛ وهو البئر المحفورة في حِجارة، لا ينقطع ماؤها كثْرَةً.

---

١ ن - (إنّه يُلَقّى)... إلخ.
٢ ن: العاديم.
٣ لأبي نواس في ديوانه، ٣٥٥/١.
٤ ن: القليدم.
٥ ن - والعيَاليم جمع عَيلم، وهو الركيّة الكثيرة الماء.

وفيها أَعتَى الكفَّارِ وأطغاهُم، فلعلَّ الملائكةَ الموكَّلين بعذابِ أُولئك أَجْوَبُ دَعوَةً لزيادةِ قُرْبهم من الله، فلِهذا تعمَّدَهم أَهلُ النار بطَلب الدَّعوَةِ مِنهم.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾

﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ﴾ إلزامٌ للحجَّة وتَوبيخٌ، وأنَّهم خلَّفُوا وَراءهم أوقاتَ الدُّعاءِ والتَّضرُّعِ، وعَطَّلُوا الأسبَابَ التي يَستجيبُ الله لها الدَّعْواتِ.

﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾ أنتُم فإنَّا لا نَجترئُ على ذلك، ولا نَشفَعُ إلَّا بشَرْطيْنِ: كَونِ المشفُوعِ لهُ غيرَ ظالِمٍ، والإذْنِ في الشَّفاعة مع مراعاة وقتِها، وذلك قَبل الحُكم الفاصِلِ بين الفَريقين.

وليس قولهُم: ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ لِرجَاء المَنفعة، ولكن للدَّلالةِ على الخَيْبَةِ، وأنَّ المَلَكَ المُقرَّبَ إذا لم يُسمَعْ دُعاؤُه فكيف يُسمعُ دعاءُ الكافِرين؟

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾؛ أي: في الدُّنيا والآخِرة، يَعني: أنَّه يُغلِّبُهم في الدَّارَيْن جميعًا بالحجَّة والظَّفرِ على مخالِفيهِم، وإن غُلِبُوا في الدُّنيا في بعض الأحَايينِ امتحانًا من الله فالعاقبةُ لَهُم، ويُتيحُ اللهُ مَن يَقتصُّ من أعْدائهم ولو بَعْد حينٍ.

و﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: جمعُ شاهِدٍ كصاحِبٍ وأصحابٍ، يُريد: الحفَظةَ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أُمَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢/١٤٣].

قوله: (أَجْوَبُ دعوةً) أي: أشدّ إجابةً مِن جهة الدعوة، يعني: دعاؤهم أقرب إلى الإجابة مِن دعاء غيرهم مِن الملائكة.

قوله: (يعني) أشار به إلى أنّ قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ مُرتّب على قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ﴾. وقوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾ كالجملة المعترِضة للبيان والتأكيد لنصرة الرسل.

واليَومُ الثاني بدَلٌ من الأوَّل، يَحتمِلُ أنَّهم يَعتذِرُون بمَعذِرَةٍ ولكنَّها لا تَنفعُ لأنَّها باطلةٌ، وأنَّهُم لو جاؤُوا بمَعذِرةٍ لم تكُن مقبُولةً لِقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات ٣٦/٧٧].

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البُعدُ من رَحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾؛ أي: سُوءُ دار الآخرة وهو عذابُها.

وقرئ ﴿يقوم﴾ و﴿لا ينفع﴾ بالتاء والياء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾

يُريد بـ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: جميعَ ما آتاهُ في باب الدِّين من المُعجزات والتَّوراةِ والشَّرائع.

﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: وتركْنَا على بني إسرائيل من بَعْده ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التَّوراةَ.

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ إرْشادًا وتَذكرةً، وانتصَابُهما على المفعول له أو على الحال.

و"أُولُو الأَلبابِ": المُؤمنُون به، العاملون بما فيه.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يَعْني: إنَّ نُصرةَ الرُّسُلِ في ضَمان الله، وضمانُ الله لا يُخلَفُ، واستَشهِدْ بمُوسى وما آتاه من أسْباب الهُدى والنُّصرة على فرعَوْن وجُنودِه، وإبقاءِ آثار هُداهُ في بني إسرائيل، واللهُ ناصِرُكَ كما نصَرهُم، ومُظهِرُك على الدِّين كلِّه، ومُبلِّغُ مُلكَ أُمَّتِك مَشارقَ الأرض ومَغارِبهَا، فاصبِرْ على ما يُجَرِّعُك قَومُكَ من الغُصَص فإن العاقبةَ لك، ومَا سبَقَ به وَعْدي من نُصْرتِك وإعلاء كلمتِك حَقٌّ، وأَقْبِل على التَّقوى واستدراكِ الفَرطَاتِ بالاستِغفار، ودُمْ على عبادةِ ربِّك والثَّناء عليه ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾، وقيل: هما صَلاتَا العَصْر والفَجْر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾

﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾: إلَّا تكبُّرٌ وتعظُّمٌ، وهُو: إرادةُ التَّقدُّم والرِّياسة، وأن لا يكون أحدٌ فوقَهم، ولذلك عادَوْكَ ودَفعُوا آياتِك خِيفةَ أَن تتَقدَّمَهُم ويكُونوا تحت يدك وأَمرك ونهْيك؛ لأنَّ النُّبوة تحتَها كلُّ مُلكٍ ورِياسةٍ.

أو إرادةُ أَن تكُون لهم النُّبوةُ دُونك حسَدًا وبَغيًا، ويَدُلُّ عليه قولُه: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف ١١/٤٦].

أو إرادةُ دَفعِ الآياتِ بالجِدال.

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾؛ أي: ببَالغي مُوجَبِ الكِبرِ ومُقْتَضِيهِ، وهو متعلَّقُ إرَادتهِم من الرِّياسة أو النُّبوَّة أو دَفْعِ الآياتِ.

قوله: (﴿إِلَّا كِبۡرٞ﴾ إلّا تكبُّر)... إلخ الكِبْرُ والكبرياء: العظَمة،[1] وأمّا التكبّر والتعظّم فهو: طلب أن يكون كبيرًا وعظيمًا. فأشار المصنّف إلى أنّ المراد هنا بـ"الكِبْر" التكبُّر، وفسّر التكبّر بأحد الإرادات الثلاثة، ثمّ أشار / إلى أنّ الضمير [٣٣٢ظ]
مِن "بالِغِيهِ" يعود إلى "الكِبْر" بحذف المضاف، ففي صدورهم إرادة أحد هذه الأشياء، وكلّ واحد مِن هذه الأشياء[2] موجِب للكِبْر، أي: للعظمة، وهم لا يبلغون واحدًا مِن هذه الأشياء الموجِبة للكِبر والعَظَمة.

قوله: (ولذلك[3] عادَوْكَ) أي: ولإرادة التقدُّم[4] عادَوك. ثمّ[5] علّل هذا[6] المجموع -وهو المُعاداة لإرادة التقدّم- بقوله: (خِيفةَ)، ثمّ علّل الخِيفة بقوله: (لأنّ النبوّة)... إلخ، فهذه العِلَل الثلاث ترتّبت في كلام المصنّف رحمه الله[7] بالمعنى الذي ذكرناه.

---

[1] ن: والعظمة.
[2] ن: الأشاء.
[3] ن: وكذلك.
[4] ن: التفدّم.
[5] ن - ثمّ.
[6] ن: هذه.
[7] د - رحمه الله.

وقيل: المجادلُون هم اليَهُود، وكانوا يقُولُون: يخرُج صَاحِبُنا المسيح بن داود -يُرِيدُونَ الدجَّالَ- ويَبْلُغ سُلطانُه البَرَّ والبَحْرَ، وتَسِيرُ معَه الأنهارِ، وهُو آيةٌ من آيات الله، فيَرْجعُ إلَينا المُلكُ، فسمَّى اللهُ تمنِّيَهُم ذلك كبْرًا ونَفَى أن يَبْلُغوا مُتمنَّاهُم.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فالتجِئْ إليه مِن كيْدِ مَن يَحسُدك ويَبْغِي عَليك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تقُول ويقولون ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بما تعملُ ويَعملون، فهو ناصِرُك عَليْهم وعاصِمُك من شرِّهم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

فإن قلتَ: كيف اتَّصل قولُه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما قبلَه؟

قلتُ: إنَّ مُجادَلتَهم في آيات الله كانت مُشتمِلةً على إنكارِ البَعثِ وهو أصلُ المُجادلةِ ومَدارُها، فحُجُّوا بخلقِ السَّماوات والأرض -لِأنَّهم كانوا مُقِرِّين بأنَّ الله خالِقُها- بِأنَّها خلقٌ عظِيمٌ لا يُقادَرُ قدْرُه، وخَلقُ النَّاس بالقياسِ إليه شيءٌ قَليلٌ مَهِينٌ، فمَن قَدر على خلْقِها مَع عِظَمِها كان على خَلْقِ الإنسان مع مهَانَتِه أَقْدَرَ، وهو أبْلغُ من الاستشهاد بخَلْقِ مِثْلِه.

قوله: **(وقيل: المجادِلون)** عطفٌ على قوله: "﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ إلَا تكبُّر"؛ لأنَّ ذلك القول على تقدير أن يكون المراد به المشركين، ويدلّ عليه استشهاده بقوله تعالى حِكاية عن المشركين: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ٤٦/١١]. ويدلّ على هذا العطف قول المصنّف فيما بعْدُ:[١] **(فسمّى[٢] الله تمنّيهم ذلك كِبْرًا)**، فإنّ هذا القول في مقابلة قوله: "﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ إلّا تكبُّر وتعظّم". وإنّما سُمّي[٣] تمنّيهم[٤] كِبْرًا؛ لأنّ تمنّيهم سببُ الكِبْر، فأُطلقَ اللازم وأُريدَ الملزوم، فيكون كناية.

قوله: **(بأنّها)** أي: بسبب أنّها، وهو متعلّق بقوله: **(حُجُّوا)**.

---

١ ن: بعده.

٢ ن: عسى.

٣ ف: سمّى.

٤ ف: تمنّيهم.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّهم لا يَنظرُونَ ولا يَتأمَّلُون؛ لِغَلبةِ الغَفْلةِ عَلَيْهم واتِّباعِهم أَهواءَهُم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾

ضربَ الأعمى والبصيرَ مَثلًا للمُحْسنِ والمُسيءِ.

وقرئ ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء والتاء، والتاءُ أعَمُّ.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا بُدَّ من مَجيئها ولا محالةَ، وليس بمرتابٍ فيها لأنَّه لا بُدَّ من جزاءٍ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصَدِّقونَ بها.

قوله: (ضَرَبَ الأعمى) أشار إلى أنّ المراد بيان أنّ المُحْسِنَ والمسيء المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ لا يستويان، فبيّن ذلك بضرب الأعمى والبصير مثلًا لهما، بأن بيّن[١] أنّهما لا يستويان، ثمّ توسّل بذلك إلى المطلوب، وجعل[٢] ذلك كالتوطئة لذكره، والتشبيبِ[٣] إلى إيراده.[٤]

قوله: (والتاء أعمّ) وإنّما قال: "التاء أعمّ" لأنّ التاء يكون[٥] للغائبين المتقدّم ذكرهم، وهم الكافرون المذكورون[٦] ههنا، والتاء خطابًا[٧] لجميع المكلّفين، فيكون[٨] التاء أعمّ[٩] وأشمل.

قوله: (بِمُرْتابٍ) ليس فيه ضمير؛ بل هو مستند إلى الجارّ والمجرور، والضميرُ مِن "فيها" يعود إلى الموصوف المحذوف، أي: ليس بشيء مرتاب. وإنّما أنّث باعتبار معنى الساعة، وذكّر ضمير "ليس" باعتبار تذكير الخبر. وقوله: (لأنّه)

---

١ ن: يبين.
٢ ن: وجغل.
٣ ن: والسبيب.
٤ ن: إبراده.
٥ ن: تكون.
٦ ن: والمذكورون.
٧ ن: خلطاءبا.
٨ ن: فتكون.
٩ ن + منه.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

﴿ٱدْعُونِى﴾: اعبُدوني، والدُّعاء بمَعنَى العبَادة كثيرٌ في القرآنِ، ويَدُلُّ عليه قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ والاستجابةُ: الإثابةُ، وفي تفسيرِ مُجاهدٍ: أُعبُدوني أُثِبْكُم.

وعن الحسَن وقد سُئِل عنها: اعملُوا وأَبشِرُوا، فإنَّه حَقٌّ على الله أَن يَستجِيبَ للَّذين آمنوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ ويَزيدَهم من فَضلِه.

وعن الثَّوريِّ أَنَّه قِيل له: أُدْعُ اللهَ، فقال: إنَّ تركَ الذُّنُوب هو الدُّعاء.

وفي الحديث: «إذا شَغل عَبْدِي طَاعَتي عن الدُّعاءِ أَعْطَيْتُه أفضَل ما أُعْطِي السَّائِلين».

وروى النُّعمان بنُ بَشيرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعاءُ هُو العبَادة» وقرأ هذه الآيةَ.

ويجوز أن يُريد الدُّعاءَ والاستجابةَ على ظاهِرهما، ويُريد بـ﴿عِبَادَتِى﴾: دُعائي؛

تعليل أنّه ليس بمُرتاب فيها، فكأنّه قال: ليس مِن شأنه أن[١] يُرتاب فيه، وإن ارتاب فيه المبطِلون،[٢] كما مرّ في[٣] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة ٢/٢].

قوله: **(ويدلّ عليه)** أي: على أنّ ﴿ٱدْعُونِى﴾ بمعنى "اعبُدوني".[٤]

قوله: **(ويزيدَهم مِن فضله)** قول الحسن رحمه الله:[٥] "ويزيدَهم" يدلّ[٦] على أنّ مراده بقوله: "أن يَستجيبَ": أنْ يُثِيبَهم.[٧]

قوله: **(ويريد بـ﴿عِبَادَتِى﴾)** أي: وأن يريد بـ﴿عِبَادَتِى﴾ في قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾: دعائي. ولمّا ذكر أوّلًا أنّ الدعاء بمعنى العبادة، واستشهد بقوله

---

١ ن: أو.
٢ ن: المطلبون.
٣ ن: من.
٤ ن: ادعوني.
٥ د - رحمه الله.
٦ ن: بدل.
٧ ن: يثيهم.

لأنَّ الدُّعاء بابٌ من العبَادة ومن أفضَل أبوَابها، يُصَدِّقه قولُ ابن عباس رضي الله عنهما: أفضلُ العبَادة الدُّعاء.

وعن كعْب: أَعْطَى الله هذه الأمَّةَ ثلاثَ خلالٍ لم يُعْطِهنّ إلّا نبيًّا مُرْسَلًا: كان يقُولُ لكلِّ نبيّ: "أنتَ شاهِدِي على خَلْقِي" وقال لهذه الأُمَّة: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢/١٤٣]، وكان يقُول: "ما عَليْك من حَرجٍ" وقالَ لنَا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ [المائدة ٥/٦] وكان يقولُ: "اُدْعُنِي أَستجِبْ لك" وقال لنا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: وحِّدُوني أَغفِرْ لكم. وهذا تفسيرٌ للدُّعاء بالعبادة ثمَّ للعبَادة بالتَّوحيد.

﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغِرين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾

﴿مُبۡصِرًا﴾ من الإسناد المجازيّ؛ لأن الإبصار في الحقيقة لأَهل النَّهار.

بعدَه: ﴿عِبَادَتِي﴾، ذكَر ههنا أنّه يجوز أن يكون الدعاء بمعناه، ويكون العبادة بمعنى الدعاء.

قوله: (وعن كعب: «**أعطى الله**»)... إلخ، أي: خاطب هذه الأمّة بما كان يخاطب الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾... الآيةَ ابن الهيثم: «**جعل الليل**
[٣٣٣و] مناسبًا للسكون مِن / الحركة؛[١] لأنّ الحركة حركةُ طَبْعٍ وحركةُ اختيارٍ، وحركةُ الطَّبع مِن الحرارة، وحركة الاختيار مِن الخطرات المتتابعة بسبب الحواسّ، فخلق[٢] الليل باردًا لتسكن الحركة مظلمًا لِيَسُدَّ الحواسّ».[٣]

---

١ ف: الحركر.

٢ ن: فحلف.

٣ انظر: **غرائب التفسير** للكرماني، ١٠٣٣/٢؛ و**فتوح الغيب** للطيبي، ٥٣٦/١٣.

فإن قلتَ: لِم قُرن اللَّيلُ بالمفعُول له، والنَّهارُ بالحال، وهلَّا كانا حالَيْن أو مفعولًا لهُما فيُراعَى حقُّ المُقابلة؟

قلتُ: هما متقابِلان من حيث المعنى؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما **يُؤَدِّي مُؤَدَّى** الآخَرِ، ولأنَّه لو قيل: "لتُبصِرُوا فيهِ" فاتَتِ الفصاحةُ التي في الإسناد المجازي، ولَو قِيل: "ساكِنًا" -واللَّيلُ يجُوز أن يُوصَف بالسُّكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم: "لَيْلٌ ساجٍ وساكنٌ لا ريحَ فيهِ"- لم تَتميَّز الحقيقةُ من المجاز.

فإن قلتَ: فهَلَّا قيل: "لَمُفضِلٌ"، أو: "لَمُتَفَضِّلٌ"؟

قلتُ: لأنَّ الغَرض تنكيرُ الفَضل، وأَنْ يُجعَل فَضْلًا لا يُوازِيه فَضلٌ، وذاك إنَّما يستَوِي بالإضافة.

فإن قلتَ: فلو قيل: "ولكنَّ أكثرَهُم" فلا يَتكرَّرُ ذِكرُ النَّاس؟

قوله: **(مؤدَّى)** أي: معنى.

قوله: **(ولو قيل: ساكنًا)** جواب سؤال، وهو أن يقال: فلِمَ لم يقل: **جعل** الليل ساكنًا؛ ليكون فيه أيضًا الإسناد المجازيّ؟ فأجاب بقوله: **"لأنّه حينئذٍ لم**[1] يتميّز -أي: لم يُعلم- أنّه حقيقة أو مجاز". والأَولى أن يقال في تقريره: **إنّ** قوله: "ولو قيل" **عطفٌ على** قوله: "لو قيل". والحاصل: **أنّه لو قُرِنا بالمفعول** له لفاتت الفصاحة، ولو قُرِنا بالحال لم يتميّز الحقيقة مِن المجاز.

قوله: **(والليل)** يجوز "الواو" للحال. وقوله: **(لم يتميّز) هو جوابُ "لو"**.

قوله: **(بالإضافة) أي**: بأن يضاف "ذو" إلى "**الفَضل**" ليصير "**الفَضل**" نكرة، كما قال: ﴿ذُو فَضْلٍ﴾، ولو قال: **مُتفضِل** لم يكن "**الفَضْل**" نكرة، **وهذا يُقوّي ما** ذكرتُه في الحاشية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ [غافر ٤٠/٣١].

قوله: **(فلا يتكرّر) عطفٌ على "قيل"**.[2] **وجواب "لو" محذوف، أي**: لكان أحسن، أو لكان حسَنًا، وما أشبَهه.

---

[1] ن – لم.

[2] ن: قبل.

قلتُ: في هذا التّكرير تخصيصٌ لكُفرانِ النِّعمة بهم، وأنّهم هُم الّذين يَكْفرُون فضلَ الله ولا يَشكرُونه؛ كقَوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الزخرف ١٥/٤٣] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات ٦/١٠٠] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم ٣٤/١٤].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المَعلوم المتميّز بالأفعال الخاصّة التي لا يُشارِكُه فيها أَحَدٌ هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبارٌ مُترادفةٌ؛ أي: هو الجامعُ لهذه الأوصاف من الإلهيّةِ، والرُّبُوبيةِ، وخلْقِ كلِّ شيءٍ وإنشائه لا يَمتنع عليه شيءٌ، والوَحْدانيّةِ لا ثَانِيَ له.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكَيف ومِن أيِّ وجْهٍ تُصرَفُون عن عبادته إلى عبادة الأَوثان؟

قوله: **(لا يمتنع عليه شيء)** بيان قوله: **(خلقِ كلِّ شيء وإنشائه)**. وقوله:[١] **(والوحدانيّة)** عطفٌ على قوله: "خلقِ كلِّ شيء".

قوله: **(فكيف ومِن أيِّ وَجه؟)** اعلم أنّ "أنّى" يكون بمعنى "كيف" وبمعنى "أين"، فإذا كان بمعنى "كيف" لا يكون إلّا للاستفهام،[٢] وإذا كان بمعنى "أين"[٣] يكون للشرط وللاستفهام.[٤] وفي هذه الآية بمعنى "أين" للاستفهام.[٥] ثم ينبغي أن يُعلم أنّها لا تتصرّف تصرُّفَ "أين" في حقيقة المكان، لا تقول:[٦] أنّى زيد؟ كما تقول: أين[٧] زيد؟ وإنّما تجدُ فيها معنى المكان على وجه خاصّ، مثل: مِن أيِّ وجه نِلْتَ ما نِلْت؟[٨] ومِن أين وَصَلتَ إلى هذا؟ ومِن أيِّ موضع لك هذا؟ لا تريد الموضعَ على الظاهر، ولكن على ضربٍ مِن المجاز، كقولهم: فلان في موضع[٩] رفيع، وفي مكان عالٍ، في أنّه لا يراد جنس البِقاع.

---

١ ن: قوله.
٢ ن: لاستفهام.
٣ ن: أن.
٤ ن: والاستفهام.
٥ د: الاستفهام.
٦ ن: يقال.
٧ ن: أن.
٨ ن – ما نِلت.
٩ ن – على الظاهر، ولكن على ضرب مِن المجاز، كقولهم: فلان في موضع.

ثمَّ ذَكَر أن كُلَّ مَن جحَد بآياتِ الله ولم يتأمَّلْها ولم تكُن فيه همَّةُ طلَبِ الحقِّ وخَشيةُ العَاقبةِ أُفِك كمَا أُفِكُوا.

وقرئ: "خالقَ كلِّ شيء" نصبًا على الاختصاصِ، و﴿تُؤْفَكُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

هذه أيضًا دلالةٌ أُخرى على تميُّزه بأفعالٍ خاصَّةٍ، وهي أنّه جَعل الأرض مُستقرًّا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ أي: قُبَّةً، ومنه: "أبنيةُ العَربِ" لمضَاربهم؛ لأنَّ السَّماءَ في مَنْظَرِ العين كقُبَّةٍ مضرُوبةٍ على وجه الأَرض.

﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وقرئ بكسر الصاد، والمعنَى واحد.

قيل: لم يَخلُقْ حيَوانًا أَحْسَنَ صُورةً من الإنسان.

وقيل: لم يَخلُقْهُم مَنكُوسِينَ كالبَهائم؛ كقَوْله: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين ٩٥/٤].

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَٱدْعُوهُ﴾: فاعبُدُوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: الطَّاعةَ مِن الشرك والرِّياء، قائِلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وعن ابن عبَّاس: مَن قال: "لا إلهَ إلا الله" فليَقُلْ على إثْرِهَا: الحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله: "فكيف ومِن أيِّ وَجه" يشير إلى أنَّ المراد بـ"أنّى" ليس المكان الحقيقي، بل على ضرب مِن المجاز كما بيّنا[1] في الحاشية.

---

[1] ن: بينك.

فإن قلتَ: أمَا نُهِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلّة العقل حتّى جاءتهُ البيّناتُ من رَبّه؟

قلتُ: بلى، ولكنَّ البيّناتِ لمَّا كانت مُقَوِّيةً لأدلَّة العقل ومُؤكِّدةً لهَا، ومُضمَّنةً ذِكرَها نحوَ قَوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات ٩٥/٣٧] وأَشْبَاهِ ذلك من التَّنبيه على أدِلَّة العقل= كان ذِكْرُ البيّناتِ ذِكرًا لِأدلَّةِ العَقلِ والسَّمْعِ جميعًا، وإنَّما ذَكرَ ما يدُلُّ على الأمْرين جميعًا لأنَّ ذكْرَ تناصُرِ الأَدِلَّة -أدلةِ العَقل وأدلَّةِ السَّمع- أَقْوَى في إبْطال مذْهَبهم، وإن كانت أدلَّةُ العقل وَحْدَها كافيةً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ متعَلِّقٌ بفِعلٍ محذوفٍ تَقديرُهُ: ثُمَّ يُبقِيكُم لتَبلُغوا، وكذلك: ﴿لِتَكُونُواْ﴾.

وأمَّا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمَعناه: ويفعَلُ ذلك لتَبلغُوا أجَلًا مُسمًّى وهو وقتُ الموت، وقيل: يومُ القيامة.

وقرئ: "شِيُوخًا" بكسر الشِّين، و: "شيْخًا" على التَّوحيد؛ كقوله: ﴿طِفْلًا﴾، والمَعنى: كلُّ واحِدٍ منكُم، أو اقتُصر على الواحِدِ لأن الغَرضَ بيان الجنس.

قوله: (**فإن قلتَ: أمَا نُهِيَ**)... إلخ أي: فكيف قيل: نُهيتُ لمّا جاءني البيّنات؟ هذا السؤال بناء على مذهبه، وأمّا على مذهب أهل السُّنّة فلا يَرِد؛ لأنّه لم يَرِدْ نَهيٌ إلّا بعد الشريعة.

قوله: (**ذِكْرًا لأدلّة[1] العقل والسمع جميعًا**) لأنّ أدلّة العقل حاصلة واقعة، فإذا ذُكر أدلّة السمع صار أدلّة العقل والسمع -أي: المجموع- مذكورة. وأيضًا[2] لمّا كانت متضمّنة لها مُنبّهة عليها كان ذكرُها ذكرَهما.

---

[1] ن: لدلالة.

[2] ن: أيضًا.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ الشَّيخوخةِ، أو من قبلِ هذه الأحوال إذا خَرَج سِقْطًا.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من العِبَر والحُججِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾ يكوِّنُه من غيْرِ كُلْفَةٍ ولا مُعاناةٍ، جَعَلَ هذا نتيجةً من قُدْرتِه على الإحْيَاء والإمَاتةِ وسَائرِ ما ذكر من أفعاله الدَّالة على أَنَّ مقدُورًا لا يَمْتنِعُ عليه؛ كأنَّه قال: فلِذلك من الاقتدار إذا قضى أمرًا كان أهوَنَ شيءٍ وأسْرعَهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾: بالقرآنِ ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الكُتُبِ.

فإن قلتَ: وهل قولُه: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ **إلا مثلُ** قولِك: سَوف أَصُومُ أَمس؟

قلتُ: المعنى على "إذَا"، **إلَّا أنَّ الأمُورَ المُستَقبَلةَ لمَّا كانت في أَخبَارِ الله** تعالى مُتيَقَّنةً مَقْطوعًا بها عُبِّر عنها بلفظِ ما كان وَوُجِد والمعنى على الاستقبال.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: "والسَّلاسلَ يَسْحَبُونَ" **بالنَّصْبِ وفَتح** الياءِ على عطف الجملة الفعليَّة على الاسميَّة.

وعنه: "والسَّلاسلِ يُسْحبُونَ" بجرِّ "السَّلاسِلِ"، ووَجهُه: **أنَّه لو قِيل: "إذ** أعناقهُم في الأغلالِ" مَكانَ قولِه: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ ....

قوله: (جَعل) أي: حيث أدخل "الفاء" في[١] "فإذا".[٢]

---

[١] ن - في.

[٢] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، يقولون ليس مِن عند الله، ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف صُرِفوا عن دين الحقِّ؟ معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ١٥٨/٧ (غافر، ٦٩/٤٠).

لكان صحيحًا مُستقيمًا، فَلمَّا كانتَا عبارتينِ مُعْتَقِبَتَيْنِ حُمِل قولُه: "والسلاسلِ" على العبَارة الأُخرَى، ونظيرُه:

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصلحينَ عَشِيرةً ولا ناعِبٍ إلَّا بِبَيْنٍ غُرابُها

كأنَّه قيل: بمُصْلِحين.

وقرئ: "وبالسلاسل يُسْحَبُون".

﴿فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ من سَجَر التَّنُّورَ: إذا مَلأَهُ بالوَقُود، ومنه: السَّجِيرُ؛ كأنَّه سُجِرَ بالحُبِّ؛ أي: مُلِئَ، ومَعناه: أنَّهم في النار فهيَ مُحِيطةٌ بهِمْ، وهم مَسجُورُونَ بالنَّارِ مَملوءةٌ بها أجوَافهُم، ومنه قولُه تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة ١٠٤/٦-٧]، اللَّهمَّ أَجِرْنا من نارِك إنَّا عائذُون بجوارك.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾

﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: غَابُوا عن عيُوننا فلا نَراهُم ولا ننتَفِعُ بهم.

فإن قلتَ: أمَا ذكَرْتَ في تفسير قَوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] أنَّهم مَقْرُونُونَ بآلهتِهم، فكيف يكُونون معَهُم وقد ضَلُّوا عَنهم؟

قوله: (**ولا ناعبٍ**)، تمامه:

إلَّا بِبَيْنٍ غُرابُها[١]

قوله: (**وقُرئ: "وَبِالسَّلَاسِلِ يُسْحَبونَ"**)[٢] هذه القراءة تدلّ على أنّ الجرّ في قراءة ابن عبّاس بإضمار الجارّ،[٣] لا بما ذكره المصنّف.

[٣٣٣ظ] قوله: (**ومنه السَّجِيرُ**) / سَجيرُ الرجل: خليله وصفيّه.[٤]

---

١ للأخوص اليربوعي. انظر: **شرح أبيات مغني اللبيب** للبغدادي، ٧/٥٦.

٢ قراءة شاذّة، غير منسوبة. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٩/٢٧٢؛ **والدرّ المصون** للسمين الحلبي، ٩/٤٩٧.

٣ ن - الجارّ.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سجر».

قلتُ: يجوز أن يَضِلُّوا عَنهم إذا وُبّخُوا وقيل لهُم: "أينَ ما كُنتم تُشرِكُون من دُون الله فيُغِيثوكم ويشفَعُوا لكم"، وأَن يكُونوا معَهُم في سَائر الأَوْقاتِ.

وأَنْ يكُونـوا مَعهُـم في جميع أَوقاتِهم إلَّا أنَّهم لمَّا لـم يَنفعُوهُـم فكأنَّهم ضَالُّون عَنهم.

﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾؛ أي: تَبيَّنَ لنا أنَّهم لم يَكُونُوا شيئًا، وما كنَّا نعبُد بعبَادتهم شيئًا؛ كما تقول: "حَسِبْتُ أَنَّ فُلانًا شيءٌ فإذا هو ليسَ بشَيءٍ" إذا خَبَرْتَهُ فلَم تَرَ عِنْده خيْرًا.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: مِثْلَ ضَلالِ آلِهتهم عَنهم يُضِلُّهُم عن آلهتِهم،

قوله: (فيُغيثوكم)[1] نصب لأنّه جواب الاستفهام. وقوله[2] أوّلًا: (وأن يكونوا) مِن تمام قوله: (أن يَضِلُّوا). وقوله ثانيًا: (وأن يكونوا) ثانيًا وجه آخر. وقوله: (في سائر) أي: باقي.

قوله: (مثلَ[3] ضلال آلهتهم) تقريره أن نقول: الضلال في هذا الموضع مِن قولهم:[4] ضَلّ الماءُ في اللبن، كما فسَّره بقوله: "غابوا عنّا".[5] وإذا كان معناه: "غابوا عنّا"، أي: غابَ الآلهة عنّا، فيكون الله تعالى هو الذي أضلّ الآلهة، أي: جعلهم غائبين عن عابديهم، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: يجعل الله الكافرين[6] غائبين عن آلهتهم، فمعنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾... إلخ: كما أضلّ الآلهةَ عن الكافرين، أي: جعلهم غائبين عن نظر الكفَرة؛ جعل الكافرين ضالّين، أي: جعلهم يوم القيامة غائبين عن نظر آلهتهم.

ويظهر لك مِن ذلك أنّ اللفّ والنشر في كلام المصنّف على الاستقامة والترتيب؛ ضلالُ آلهتهم عنهم هو أنّ آلهتهم لو طلبْتَهم لم تَجِدْهم، فالآلهة ضلَّتْ عن عابدِيها، كما تقول: ضلّ عن الطريق، وضلالُهم عن آلهتهم هو أنّهم

---

[1] ف: فيُعيثُوكم.
[2] ن: قوله.
[3] ف: قبل.
[4] ف: قوله.
[5] في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الأعراف ٣٧/٧].
[6] ن - يجعل الله الكافرين.

حَتَّى لو طَلَبُوا الآلِهةَ أو طلَبَتْهُم الآلِهةُ لم يَتصادفُوا.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضْلالُ بسَببِ ما كان لكم من الفَرح والمَرح ﴿بغير الحق﴾ وهو الشِّركُ وعبَادةُ الأوثان.

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السَّبْعةَ المقسُومَةَ لكُم، قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر ١٥/٤٤].

﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقدّرين الخلُود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحقّ المُستَحِقّينَ به مثوَاكم، أو جَهَنَّمُ.

فإن قلتَ: ألَيْس قياسُ النَّظم أن يقال: "فبِئسَ مَدْخَلُ المتكبّرين" كما تقُولُ: "زُرْ بَيْتَ اللهِ فنِعْمَ المزارُ، وصلِّ في المسْجد الحرام فنِعْمَ المصَلَّى"؟.

قلتُ: الدُّخولُ المؤقَّتُ بالخُلود في معنى الثَّواءِ.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٧٧﴾

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أَصْلـه: فـإنْ نُـرِكَ، و"مـا" مزيـدةٌ لتأكيـد معنـى الشـرطِ،

لو طلبوا الآلهة ما وجدوها. ويظهر لك مِن[1] هذا أنّ في قول المصنّف: "لو طلبوا الآلهة أو طلبتْهم" لفًّا ونشرًا مُشوَّشًا، أي: مِن غير ترتيب. في هذا البيان نظر؛ لأنّه ليس مناسبًا لكلام[2] المصنّف. وقوله: (لم يَتصادفوا) أي: لم يُصادِف بعضُهم بعضًا، وهذا متعلّق بالطَّلبَين معًا.

قوله: (المُستخِفّين)[3] بيان (المستكبرين).[4] وقوله: (مَثْواكم) يشير به إلى أنّ هذا هو المخصوص بالذمّ.

---

[1] ن - مِن.
[2] ف: للّلام.
[3] في مطبوع الكشّاف: "المستحقّين".
[4] في مطبوع الكشّاف: "المتكبّرين" بلفظ القرآن.

ولذلك أُلْحِقَتِ النُونُ بالفعلِ، ألا تراك لا تقولُ: "إنْ تُكرِمَنِي أُكرِمْكَ" ولكن: "إمَّا تُكْرِمَنِي أكرِمْكَ".

فإن قلتَ: لا يخلو: إمَّا أن تَعطِفَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ وتُشرِكَهما في جزاءٍ واحدٍ وهو قوله: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فقولك: "فإمَّا نُرينك بَعضَ الذي نَعِدُهم فإلينا يُرجَعُون" غيرُ صحيحٍ، وإن جعلتَ ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ مختصًّا بالمعطوف الَّذي هو ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ بقي المعطوفُ عليه بغير جزاءٍ.

قلتُ: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ متعلِّق بـ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجزاءُ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوفٌ تقديرُه: فإمَّا نرينَّك بعضَ الَّذي نَعِدُهم من العذابِ وهو القَتْلُ والأسرُ يومَ بدرٍ فذاك، أو إنْ نتوَفينَّك قبلَ يوم بدْرٍ فإلينا يُرجعُون يومَ القيامة فننتَقِمُ منهم أشَدَّ الانتقامِ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤١-٤٢].

قوله: (غير صحيح) لِما سيظهر في الجواب.

قوله: **(وإن جَعلتَ ﴿فَإِلَيْنَا﴾)** عطفٌ على محذوف يُقدَّر عند قوله: **(فقولُك)**؛ إذ تقدير الكلام: لا يخلو إمّا أن تَعْطِفَ[1] أو لا تَعْطِف؛ فإن عطفتَ[2] فقولك... إلخ، وإن جعلتَ ﴿فَإِلَيْنَا﴾... إلخ، فقوله: "وإنْ جعلتَ" عطفٌ[3] على **(إن[4] عطفتَ)** مقدَّرًا.

قوله: **(وجزاءُ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف)** قال الشيخ الإمام شيخ فخر الدين الجاربردي[5] رحمه الله:[6] يقول أضعف عباد الله أحمد بن[7] الحسن الجاربردي:[8] ورد في خاطري أنّه لا يَبعُد أن يكون ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ عطفًا على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾، ويكونا مشتركَين[9] في جزاء واحد، فكأنّه قيل -والله أعلم-: سواء نُريك بعضَ الذي نعدهم أو لا[10] نُريك، فإنا نُعذِّبُهم في الآخرة، وليس عذابُهم مقصورًا على عذاب الدنيا.

---

١ ن: يعطف.
٢ ن: عطف.
٣ ن: عطفًا.
٤ ن: إنّ.
٥ د: الجابردي.
٦ د - رحمه الله.
٧ ن: ابن.
٨ د: الجابردي.
٩ ن: مشركين.
١٠ ن - لا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قيل: بَعث الله ثمانيةَ آلافِ نبيٍّ: أربعةَ آلافٍ من بني إسرائيل، وأربعةَ آلافٍ من سائرِ النَّاسِ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: إنَّ الله تعالى بعث نبيًّا أَسْوَدَ فهو ممَّن لم يَقصُصْ عليه.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا في اقتراحهم الآياتِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادًا، يَعْني: إنَّا قد أرسَلْنا كثيرًا من الرُّسُل، وما كان لواحدٍ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمَنْ لِي بأَنْ آتِيَ بآيةٍ ممَّا تَقترِحُونَهُ إلَّا أن يشاءَ اللهُ ويأذَنَ في الإتيان بها.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيدٌ وَرَد عقيبَ اقتِرَاح الآياتِ، و﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: القيامةُ.

﴿الْمُبْطِلُونَ﴾: المُعانِدُون الَّذين اقترَحُوا الآياتِ، وقد أتتهُم الآياتُ فأنكرُوها وسمَّوها سِحْرًا.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

ويكون نَحوًا مِن قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة ٣٢/٢١].

قوله: (فمَن لي) إشارة إلى أنّ ههنا حذْفًا، والتقدير: قلْ لهم يا محمّد: فمَن لي، أي: فمَنْ يَضمَن لي أنْ آتي بآية مِن غير مشيئة الله تعالى؟[1] يعني: كيف يتيسَّر لي هذا؟ فإنّ ذلك ممّا لا يمكن.

قوله: (وقد أتَتْهم)... إلخ حال مِن واو (اقترحوا)، أو هي جملة معترِضة.

---

١ ن - تعالى.

"الأنعامُ": الإبلُ خاصَّةً.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل: "ولتأكلُوا منها ولتَصِلُوا إلى مَنافعَ" أو هَلَّا قال: "منها تركبُون ومنها تأكلُون وتَبلغُون عليها حاجةً في صُدوركم"؟

قلتُ: في الرُّكوبِ: الرُّكوبُ في الحجِّ والغَزْوِ، وفي بلُوغ الحاجةِ: الهجْرةُ من بلَدٍ إلى بلَدٍ لإقَامةِ دينٍ أو طلبِ علْمٍ، وهَذه أغراضٌ دينيَّةٌ إمَّا واجبَةٌ أو مندوبٌ إليها ممَّا يتعلَّقُ به إرَادةُ الحكيم.

وأمَّا الأَكْلُ وإصابةُ المنَافِع: فمِن جِنس المُباحِ الَّذي لا يتعلَّق به إرادَتُه.

ومَعنى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: وعلى الأنعام وحْدَها لا تُحمَلُونَ، ولكنْ علَيها وعلى الفلك في البَرِّ والبَحْرِ.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "وفي الفُلك" كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؟

قلتُ: معنى الإيعَاء ومَعنى الاستِعْلاء كلاهُما مُستقيمٌ؛ لأنَّ الفُلك وعاءٌ لمَن يكون فيها حَمُولةٌ له يَستَعْليها، فلمَّا صَحَّ المعنيان صحَّت العِبَارتانِ.

وأيضًا: فلِيُطابقَ قولَه: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ويُزَاوِجَهُ.

قوله: **(خاصّةً)** يعني: أنّ المراد بـ﴿ٱلْأَنْعَـٰمَ﴾ هي الإبل[١] خاصّةً، وإنْ / كانت بحسب اللغة أعمّ؛ حيث تُطلق على الإبل والبقر والغنم. [٣٣٤و]

قوله: **(فإن قلتَ: لِمَ قال)**... إلخ وجه السؤال: أنّه لِمَ جاء بلام الغرَض في الطرفين دون المتوسّطين؟

قوله: **(فمِن جنس[٢] المباح الذي لا يتعلّق به إرادته)** إرادة الله تعالى متعلّق[٣] بجميع الكائنات، لكنّ المصنّف يتكلّم بناء على ما ذهب إليه أن لا فرقَ بين الأمر والإرادة. والوجه أن نقول: إنّما أتى باللام في الأمرين لأنّهما أكثر منافع الإبل دون غيرهما.

---

١ ن - الإبل.
٢ ن: جلس.
٣ وفي هامش د: متعلّقة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قيل: بَعث الله ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلافِ من بني إسرائيل، وأربعةَ آلافٍ من سائرِ النَّاسِ.

وعن عليّ رضي الله عنه: إنَّ الله تعالى بعث نبيًا أَسْوَدَ فهو ممَّن لم يَقصُصْ عليه.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا في اقتراحهم الآياتِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنَادًا، يَعْني: إنَّا قد أرسَلْنا كثيرًا من الرُّسُل، وما كان لواحدٍ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمَنْ لِي بأَنْ آتِيَ بآيةٍ ممَّا تَقترِحُونَهُ إلَّا أن يشاءَ اللهُ ويأذَنَ في الإتيان بها.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيدٌ وَرَد عقيبَ اقتِرَاح الآياتِ، و﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: القيامةُ.

﴿الْمُبْطِلُونَ﴾: المُعانِدُون الَّذين اقترَحُوا الآياتِ، وقد أتتهُم الآياتُ فأنكرُوها وسمَّوها سِحْرًا.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

ويكون نَحوًا مِن قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة ٢١/٣٢].

قوله: (فمَن لي) إشارة إلى أنّ ههنا حذْفًا، والتقدير: قلْ لهم يا محمّد: فمَن لي، أي: فمَنْ يَضمَن لي أنْ آتي بآية مِن غير مشيئة الله تعالى؟[١] يعني: كيف يتيسَّر لي هذا؟ فإنّ ذلك ممّا لا يمكن.

قوله: (وقد أتَتْهم)... إلخ حال مِن واو (اقترحوا)، أو هي جملة معترِضة.

---

[١] ن - تعالى.

"الأنعامُ": الإبلُ خاصَّةً.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل: "ولتأكلُوا منها ولتَصِلُوا إلى مَنافعَ" أو هَلَّا قال: "منها تركبُون ومنها تأكلُون وتَبلغُون عليها حاجةً في صُدوركم"؟

قلتُ: في الرُّكوبِ: الرُّكوبُ في الحجِّ والغَزْوِ، وفي بلُوغ الحاجةِ: الهجْرةُ من بلَدٍ إلى بلَدٍ لإقَامةِ دينٍ أو طلبِ علْمٍ، وهَذه أَغراضٌ دينيَّةٌ إمَّا واجبَةٌ أو مندوبٌ إليها ممَّا يتَعلَّقُ به إرَادةُ الحكيم.

وأمَّا الأَكْلُ وإصابةُ المنَافِع: فمِن جِنس المُباحِ الَّذي لا يتعلَّق به إرادَتُه.

ومَعنى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: وعلى الأنعام وحْدَها لا تُحمَلُونَ، ولكنْ علَيها وعلى الفلك في البَرِّ والبَحْرِ.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "وفي الفُلك" كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؟

قلتُ: معنى الإيعَاء ومَعنى الاستِعْلاء كلاهُما مُستقيمٌ؛ لأنَّ الفُلك وعاءٌ لمَن يكون فيها حَمُولةٌ له يَستَعْليها، فلمَّا صَحَّ المعنيان صحَّت العِبَارتانِ.

وأيضًا: فلِيُطابقَ قولَه: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ويُزَاوِجَهُ.

قوله: (**خاصَّةً**) يعني: أنّ المراد بـ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الإبل[1] خاصَّةً، وإنْ / كانت بحسب اللغة أعمّ؛ حيث تُطلق على الإبل والبقر والغنم. [٣٣٤و]

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ قال**)... إلخ وجه السؤال: أنّه لِمَ جاء بلام الغرَض في الطرفين دون المتوسِّطين؟

قوله: (**فمِن جنس[2] المباح الذي لا يتعلّق به إرادته**) إرادة الله تعالى متعلّق[3] بجميع الكائنات، لكنّ المصنّف يتكلّم بناء على ما ذهب إليه أن لا فرقَ بين الأمر والإرادة. والوجه أن نقول: إنّما أتى باللام في الأمرين لأنّهما أكثر منافع الإبل دون غيرهما.

---

[1] ن – الإبل.
[2] ن: جلس.
[3] وفي هامش د: متعلّقة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قيل: بَعث الله ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلافٍ من بني إسرائيل، وأربعةَ آلافٍ من سائرِ النّاسِ.

وعن عليّ رضي الله عنه: إنَّ الله تعالى بعث نبيًّا أَسْوَدَ فهو ممَّن لم يَقصُصْ عليه.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا في اقتراحهم الآياتِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادًا، يَعْني: إنَّا قد أرسَلْنا كثيرًا من الرُّسُل، وما كان لواحدٍ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمَنْ لِي بأَنْ آتِيَ بآيةٍ ممَّا تَقترِحُونَهُ إلَّا أن يشاءَ اللهُ ويأذَنَ في الإتيان بها.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيدٌ وَرَد عقيبَ اقتِرَاح الآياتِ، و﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: القيامةُ.

﴿الْمُبْطِلُونَ﴾: المُعانِدُون الّذين اقترحُوا الآياتِ، وقد أتتهُم الآياتُ فأنكرُوها وسمَّوها سِحْرًا.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

ويكون نَحوًا مِن قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة ٢١/٣٢].

قوله: **(فمَن لي)** إشارة إلى أنّ ههنا حذفًا، والتقدير: قلْ لهم يا محمّد: فمَن لي، أي: فمَنْ يَضمَن لي أنْ آتي بآية مِن غير مشيئة الله تعالى؟[١] يعني: كيف يتيسَّر لي هذا؟ فإنّ ذلك ممّا لا يمكن.

قوله: **(وقد أتَتْهم)**... إلخ حال مِن واو **(اقترحوا)**، أو هي جملة معترِضة.

---

١ ن - تعالى.

"الأنعامُ": الإبلُ خاصَّةً.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل: "ولتأكلُوا منها ولتَصِلُوا إلى مَنافعَ" أو هَلَّا قال: "منها تركبُون ومنها تأكلُون وتَبلغُون عليها حاجةً في صُدوركم"؟

قلتُ: في الرُّكوبِ: الرُّكوبُ في الحجِّ والغَزْوِ، وفي بلُوغ الحاجةِ: الهجْرةُ من بلَدٍ إلى بلَدٍ لإقَامةِ دينٍ أو طلبِ علْمٍ، وهَذه أغراضٌ دينيَّةٌ إمَّا واجبَةٌ أو مندوبٌ إليها ممَّا يتَعلَّقُ به إرَادةُ الحكيم.

وأمَّا الأَكْلُ وإصابةُ المنَافِع: فمِن جِنس المُباحِ الَّذي لا يتعلَّق به إرادَتُه.

ومَعنى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: وعلى الأنعام وحْدَها لا تُحمَلُونَ، ولكنْ علَيها وعلى الفلك في البَرِّ والبَحْرِ.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "وفي الفُلك" كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾؟

قلتُ: معنى الإيعَاء ومَعنى الاستِعْلاء كلاهُما مُستقيمٌ؛ لأنَّ الفُلك وعاءٌ لمَن يكون فيها حَمُولةٌ له يَستَعْليها، فلمَّا صَحَّ المعنيان صحَّت العِبَارتانِ.

وأيضًا: فلِيُطابقَ قولَه: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ويُزَاوِجَهُ.

قوله: **(خاصَّةً)** يعني: أنّ المراد بـ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الإبل[١] خاصّةً، وإنْ / كانت بحسب اللغة أعمّ؛ حيث تُطلق على الإبل والبقر والغنم. [٣٣٤و]

قوله: **(فإن قلتَ: لِمَ قال)**... إلخ وجه السؤال: أنّه لِمَ جاء بلام الغرَض في الطرفين دون المتوسّطين؟

قوله: **(فمِن جنس[٢] المباح الذي لا يتعلّق به إرادته)** إرادة الله تعالى متعلّق[٣] بجميع الكائنات، لكنّ المصنّف يتكلّم بناء على ما ذهب إليه أن لا فرقَ بين الأمر والإرادة. والوجه أن نقول: إنّما أتى باللام في الأمرين لأنّهما أكثر منافع الإبل دون غيرهما.

---

١ ن - الإبل.
٢ ن: جلس.
٣ وفي هامش د: متعلّقة.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جاءت على اللُّغة المُستفيضةِ، وقولُكَ: "فأيَّةَ آياتِ الله" قليلٌ؛ لأنَّ التفرقةَ بين المذكَّر والمؤنَّث في الأسماءِ غيرِ الصِّفاتِ -نحوَ: حمارٍ وحمارةٍ- غريبٌ، وهي في "أيٍّ" أغرَبُ لإبْهامِه.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَءَاثَارًا﴾: قصُورَهُمْ ومَصَانِعَهم، وقيل: مشيَهُم بأَرْجُلهم لِعظَم أَجْرامهِم.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ "ما" نافيةٌ، أو مُضَمَّنةٌ مَعْنى الاستفهام ومَحلُّها النَّصْبُ، والثانيةُ: موصولةٌ أو مصْدريَّةٌ ومحلُّها الرَّفعُ، يَعني: أيَّ شيءٍ أغنَى عَنْهُم مَكسُوبُهُمْ، أو: كسْبُهمْ؟

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فيه وجُوهٌ:

منها: أنَّه أراد العِلمَ الوارِدَ على طريق التَّهكُّم في قوله: ﴿بل أدرك علمهم فى الآخرة﴾ [النمل ٦٦/٢٧]، وعلمهُم في الآخرة: أنَّهم كانوا يَقولون: لا نُبعَثُ ولا نُعذَّبُ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت ٥٠/٤١] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف ٣٦/١٨].

وكانوا يَفرحُون بذلك ويَدْفعون به البيّناتِ وعِلمَ الأَنبياءِ؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون ٥٣/٢٣].

ومنها: أنْ يُريد علمَ الفلاسفة والدَّهْريّينَ من بنِي يُونانَ، وكانُوا إذا سَمِعُوا بوَحْي اللهِ دفعُوه وصَغَّروا علمَ الأنبياء إلى عِلْمهم.

وعن سُقراط: أنَّه سَمِع بموسى صلوات الله عليه وقيل لهُ: لو هاجَرْتَ إليه، فقال: نحْن قومٌ مُهذَّبُونَ فلا حاجَةَ بنا إلى مَن يُهذِّبنا.

ومنها: أن يُوضَع قولُه: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ولا عِلمَ عندهم البتَّة موضِعَ قوله: "لم يفرحُوا بما جاءَهُم من العِلم" مُبَالغةً في نَفي فرَحهم بالوحْيِ الموجِبِ لأقصَى الفَرح والمسَرَّة، مع تهكُّمٍ بفرْطِ جَهْلهم وخُلوِّهم من العلم.

ومنها: أن يراد: فرحُوا بما عند الرُّسُل من العِلم فرَحَ ضَحِكٍ منهُ واستهزاءٍ به؛ كأنَّه قال: استهزَؤُوا بالبيِّناتِ وبما جاؤُوا به من عِلم الوحي فرِحين مَرِحِينَ، ويدُلُّ عَليه قولُه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

ومنها: أن يُجعَلَ الفَرحُ للرُّسلِ، ومعناه: أنَّ الرُّسلَ لمَّا رَأوا جَهْلَهُم المُتماديَ واستهزاءَهُم بالحقِّ، وعلِمُوا سُوءَ عاقِبتهم وما يلحقُهم من العقُوبة على جَهْلِهم واسْتهزائهم، فرِحُوا بما أُوتُوا من العلم وشَكرُوا الله عليه، وحاقَ بالكافرين جَزاءُ جهْلِهم واستهزائهم.

ويجوز أَنْ يُرِيد بما فرِحُوا به من العلم: علمَهُم بأمُور الدُّنيا ومَعرفتَهُم بتَدبيرِهَا؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم ٣٠/٧] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم ٥٣/٣٠]، فلمَّا جاءهُم الرُّسلُ بعُلوم الدِّياناتِ -وهيَ أبعَدُ شيءٍ من علمهم؛ لبَعْثِهَا على رفْضِ الدُّنيا والظَّلَفِ عن المَلاذِ والشَّهواتِ- لم يلْتفِتُوا إليها وصَغَّروها واستهزَؤُوا بها، واعتقَدُوا أنَّه لا عِلمَ أنفعُ وأَجلبُ لِلفوائد من علمهم ففَرحُوا به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله: (﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم﴾ [النجم ٥٣/٣٠]) آية أخرى.

قوله: (**الظَّلْفُ**) أي: المنع.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (والمعنى: فلم يصحّ ولم يستقم)... إلخ هذا كناية، فإنّ استمرار النفي في الزمان الماضي مِن توابع الامتناع، فإنّه لو لم يكن ممتنعًا لكان واقعًا في وقت مِن الأوقات، فإذا ما وقع واستمرّ النفي دلّ على أنّه ممتنع محال في نفسه، فإنّ استمرار النفي مَظِنّة للامتناع.

"البَأسُ": شدَّةُ العذابِ، ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعراف ١٦٥/٧].

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قولِه: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ وبينَه لَو قيل: "فَلم ينفَعْهُم إيمَانهُم"؟

قلتُ: هو مِن ﴿كَانَ﴾ في نحو قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم ٣٥/١٩]، والمعنى: فلم يصحَّ وَلَمْ يَسْتقِمْ أَنْ ينفعَهم إيمانُهم.

فإن قلتَ: كيف تَرادفَتْ هذه الفاءاتُ؟

قلتُ: أمَّا قَولُه: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ فهو نَتيجةُ قوله: ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾ وأمَّا قَولُه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ فجَارٍ مَجْرى البيانِ والتَّفسير لقَوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ كقولك: "رُزِقَ زيدٌ المالَ فمَنَع المعرُوفَ فلم يُحْسِن إلى الفُقراء"،

قوله: (**فهو نتيجة[١] قولِه: ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾**) تحقيق هذا الموضع أن نقول: "كانوا"... إلخ جملةٌ مستأنَفة؛ لأنّه لمّا قيل: أفلم يسيروا فينظروا كيف كان عاقبة هؤلاء،[٢] كان مظِنّة أن يسأل سائلٌ فيقول: كيف كان عاقبتُهم؟ فأُجيب بأنّهم كانوا أكثر أموالًا وأشدَّ قوّةً وآثارًا[٣] مِن هؤلاء، واشتغلوا[٤] بجمع الأموال وبناء الشدائد، وما أغنى عنهم ذلك. فذكر مبدأَ حالهم وآخرَها ليُبيّن سوءَ عاقبتهم، وأنّ تلك الأموال والأحوال والأبنية[٥] ما نفعتْهم في العاقبة. ثمّ بيّن هذا المعنى ببيانٍ أظهر حيث قال: "فلمّا جاءتهم رُسلهم"... إلخ، يعني: بسبب اشتغالهم بالأموال واغترارهم بالقوّة وبَطَرهم[٦] وغَفلتهم لم يلتفتوا إلى الأنبياء عليهم السلام،[٧] ولم يقبلوا قولَهم، ولم يؤمنوا؛ بل عاندوا وكابَروا وكادوا لهم المكائد، فحاق بهم ذلك، فهذه هي العاقبة السُّوء. ثمّ لمّا ذكر أنّهم لم يؤمنوا بالأنبياء عند دعوتهم إلى الإسلام وإظهارِ المعجزة أتاهم[٨] البأس وهو العذاب، قال:

---

[١] وفي هامش د ف: الفاء **الأولى** فاء النتيجة، **والثانية** دخلت على المفسّر، فيكون أيضًا للنتيجة، **والثالثة والرابعة** دخلتا على البائع، فيكونان للعطف.

[٢] ف: هؤلاى.

[٣] ن: وآثار.

[٤] ن: فاشتغلوا.

[٥] ن: فلابنية.

[٦] ن: ونظرهم.

[٧] ف ن - عليهم السلام.

[٨] ن: أتاهم.

وقولُه: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ تابعٌ لِقَوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ﴾ كأنّه قال: فكفَرُوا فلمَّا رَأوا بأسنَا آمَنوا، وكذلك: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ تابعٌ لإيمانهم لمَّا رَأوا بأسَ الله.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/٤ والروم: ٦ ولقمان: ٩ والزمر: ٢٠] وما أشبهَهُ من المصَادِر المؤكّدةِ.

و"هنالك" مكانٌ مستعارٌ للزَّمان؛ أي: وخسِرُوا وقتَ رؤيةِ البَأسِ، وكذلك قولُه: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [غافر ٧٨/٤٠] بعد قولهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر ٧٨/٤٠]؛ أي: وخَسِرُوا وقتَ مَجيءِ أَمْرِ اللهِ، أو وقتَ القضاء بالحقّ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة المؤمِن لم يبقَ رُوحُ نبيّ ولا صدِّيقٍ ولا شهيدٍ ولا مُؤمنٍ إلَّا صَلَّى علَيه واستَغفرَ لهُ».

لمّا رأوا ذلك البأس قالوا: آمنّا، ولكن لمّا لم يكن ذلك الوقت وقت الإيمان ما نفعهم إيمانُهم. ثمّ قال: هكذا سَنّ الله في عباده، فأشار إلى أنّ حال هؤلاء الكفّار أيضًا مثل حال أولئك الكفّار.

قوله: "نتيجةُ قوله" لأنّ كثرة المال وشدّة القوّة تُورث[١] الغفلة، والاشتغالَ بالأموال والأبنية، والإعراضَ عن قبول الحقّ، فيكون نتيجتُه[٢] أن لا ينفعه تلك الأموال والقوّة.

قوله: (**﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة**) كأنّه قيل: سنَّ الله سنّةً.[٣]

قوله: (**وكذلك قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾**) يريد أنّ الآية المتقدّمة في هذه السورة عن قريب، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر ٧٨/٤٠] معناها قريب مِن معنى هذه الآية. ولمّا ترك المصنّف معناها ثمّة مُشبعًا أشار إليه ههنا.

تمّت السورة بحمد الله[٤] ومَنّه وكرمه.[٥]

---

١ ن: يورث.

٢ ن: نتيجة.

٣ وفي هامش د ف: وتلك السُنّة أنّهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولم ينفعهم إيمانُهم. **معالم.** | **معالم التنزيل** للبغوي، ١٦٠/٧ (غافر، ٨٥/٤٠).

٤ ن + تعالى.

٥ ف - بحمد الله ومنّه وكرمه؛ ن - ومنّه وكرمه.

سورة فصلت

مكيةٌ، وهي أربعٌ وخمسون آيةً، وقيل: ثلاثٌ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾

إن جَعَلْتَ ﴿حمٓ﴾ اسْمًا للسُّورة كانت في موضع المبتدأ، و﴿تَنزِيلٌ﴾ خبرَه، وإن جعَلتَها تعديدًا للحروف كان ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبَرًا لمبتدأ محذوفٍ.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

و﴿كِتَٰبٌ﴾ بَدلٌ من ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو خبرٌ بعدَ خَبرٍ، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

وجَوَّز الزجَّاجُ أن يكون ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأً و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرَه. ووجهُه أنَّ "تنزيلًا" تخصَّصَ بالصِّفة فساغَ وُقوعُه مبتَدأً.

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: مُيِّزت وجُعلت تفاصيلَ في معَانٍ مختَلفةٍ: من أحكامٍ وأمثالٍ ومَواعظَ ووَعْدٍ ووعيدٍ وغيْرِ ذلك.

وقرئَ: "فَصَلتْ"؛ أي: فَرَقَتْ بين الحقِّ والباطِل، أو فصَل بعضَهَا من بعضٍ

/ سورة حمٓ[1] السجدة[2] [٣٣٤ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[3]

قوله: **(وغيرِ ذلك)** كالقِصص والإخبار عن الغيب. وقوله: **(أو فَصَل)** أي:

---

١ ن - حم.

٢ وهي سورة فصّلت، ومن أسمائها أيضًا سورة المصابيح. انظر: **الإتقان** للسيوطي، ١/١٩٤.

٣ ف ن - وبه نستعين.

باختلافِ معانيها، من قولك: فصَل من البَلدِ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصبٌ على الاختصاص والمَدْحِ؛ أي: أُريدَ بهذا الكتاب المفصَّلِ قرآنًا من صفته كيْت وكيْتَ.

وقيل: هو نصبٌ على الحالِ؛ أي: فُصِّلت آياتُه في حال كونِه قرآنًا عربيًّا.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لقَومٍ عَربٍ يَعلمون ما نُزِّل عليهم من الآيات المُفصَّلة المُبيَّنة بلسَانهم العربيِّ المُبين لا يَلتبِسُ عليهم شيءٌ مِنه.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق قولُه: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يتعَلَّق بـ﴿تَنزِيلٌ﴾ أو بـ﴿فُصِّلَتْ﴾؛ أي: تَنزيلٌ من الله لأجْلِهم، أو: فصِّلت آياتُه لَهُم، والأَجْوَدُ أن يكون صفةً مثلَ ما قبلَه وما بعْدَه؛ أي: قرآنًا عربيًّا كائنًا لقَوم عربٍ، لئلَّا يُفرَّقَ بين الصِّلات والصِّفات.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾

وقرئ: "بشيرٌ ونذيرٌ" صفةٌ للكتاب، أو خبَرَ مُبتدأ محذوفٍ.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يقبَلُون ولا يُطِيعون، من قولك: "تَشفَّعْتُ إلى فُلانٍ فلم يَسْمَع قَولي"، ....

تباعد. وقوله: **(فَصَل)** أي: خَرَج.

قوله: **(أي: تنزيلٌ مِن الله)**... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله: **(لئلَّا يُفرَّق بين الصِّلات والصفات)** فإنّه إذا تعلّق بـ﴿تَنزِيلٌ﴾ يَلزم[١] الفصل بينه وبين ما تعلّق به، وكذا إذا تعلّق بـ﴿فُصِّلَتْ﴾؛ لأنّه حينئذٍ يكون واقعًا بين الصفات متعلّقًا بما قبل الموصوف. وأمّا الفصْل بين الصفات فظاهر؛ لأنّ ﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة ﴿قُرْءَانًا﴾، وكذا ﴿بَشِيرًا﴾، وهذا مُتخلّل بينهما.

---

١ ن - بتنزيل يلزم.

ولقَد سمِعَهُ ولكنَّه لمَّا لم يَقْبَله ولم يَعملْ بمُقتَضاه فكأنَّه لم يسمَعْهُ.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾

و"الأَكِنَّةُ": جمْعُ كِنانٍ، وهو الغِطاء.

و"الوَقْرُ" بالفتح: الثِّقَلُ، وقرئ بالكسر.

وهذه تمثِيلاتٌ لِنُبُوِّ قُلُوبهِم عن تقبُّلِ الحقِّ واعتِقادِه كأنَّها في غُلُفٍ وأَغطيةٍ تمنَعُ من نفُوذه فيهَا كقَوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفٌۢ﴾ [البقرة ٨٨/٢]، ومَجِّ أَسْماعِهم لَهُ كأنَّ بهَا صَمَمًا عنه، ولِتباعُدِ المذهبَيْن والدِّينَين ....

قوله: **(ولقد سَمِعه)** ابتداء كلام مِن المصنّف لبيان أنّ السماع في المثال بمعنى القَبول.[1]

قوله: **(وهذه[2] تمثيلات)** إشارة إلى الجُمَل الثلاث، أعني: مِن قوله: ﴿قُلُوبُنَا﴾ إلى ﴿حِجَابٌ﴾. وقوله: **(لِنُبُوِّ)** جملةٌ مستأنَفة لبيان كونها تمثيلات، أي: جعلوا لِنُبوّ[3] قلوبهم كأنّها. وقوله: **(ومَجِّ)** عطفٌ على "نُبُوّ"،[4] أي: وجعلوا للمَجِّ كأنّ. وقوله: **(لتباعُدِ)**[5] أيضًا عطفٌ على "لِنُبُوّ"، أي: جعلوا للتباعد[6] كأنّ. ولا يَحْسُن أن يُقال: "اللام" في "لِنُبُوّ" متعلّق بقوله: "تمثيلات"؛ إذ يبقى "كأنّ" في المواضع الثلاثة بلا متعلَّق، فهي متعلّقة[7] بالفعل الذي قدَّرنا، اللّٰهمّ إلّا أنْ يقال: اللامات متعلّقة بـ"تمثيلات"، وكلّ واحد مِن الجُمل الثلاث المُصدَّرة بـ"كأنّ"، لكن يلزم الفَصل بين الصِّلات على ما فَرَّ منه المصنّف ههنا.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (فكأنّه لم يسمعه) فيكون استعارة المعدوم للموجود لعدم ترتّب الفائدة، فإنّ فائدة السماع هو القَبول.

[2] ن: وهذا.

[3] ن - جملةٌ مستأنَفةٌ لبيان كونها تمثيلات، أي: جعلوا لنُبوّ.

[4] ن: نبو.

[5] ن: ليباعد.

[6] ن: التباعد.

[7] ن: متعلقة.

كأنَّ بينَهُم وما هُم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابًا ساتِرًا وحاجزًا مَنِيعًا من جبَلٍ أو نحوه فلا تَلاقِيَ ولا ترائِيَ.

﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ عَلى دينِك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على ديننا، أو: ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ في إبْطالِ أمْرِنا ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ في إبْطال أمْرِكَ. وقرئ: "إنَّا عاملون".

فإن قلتَ: هَلْ لزِيادةِ "مِن" في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ فائدةٌ؟

قلتُ: نَعمْ، لأنَّه لو قيل: "وبَيننا وبينَك حجابٌ" لكان المَعنى: إنَّ حجابًا حَاصِلٌ وَسْطَ الجِهَتَيْنِ، وأمَّا بزيادَةِ "مِن" فالمعنى: إنَّ الحجابَ ابتَدأَ مِنَّا وابتَدَأَ مِنك، فالمَسافةُ المُتَوسِّطةُ لجهَتِنا وجهَتِك مُسْتَوعَبَةٌ بالحجاب لا فراغَ فيهَا.

قوله: **(وما هم عليه)**... إلخ الوجه أن يجعل[١] "الواو" في "وما هم"[٢] وفي[٣] "وما[٤] هو عليه" بمعنى "مع"؛ لئلّا يلزم العطف على المُضمَر[٥] المجرور مِن غير إعادة الجارّ في الأوّل، ولمناسبة الكلامين في الثاني.

قوله: **(منيعًا)** أشار بقوله: "منيعًا" أنّ التنكير في ﴿حِجَابٌ﴾ للتعظيم. وقوله: **(فلا تَلاقيَ)** خبر "لا" محذوف، أي: بينهم وبين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٦]

قوله: **(فإن قلتَ: هل لزيادة)** ليس المراد بـ"الزيادة" أنّها زائدة كما في قولك: ما جاءني مِن أحد، وهل جاءك مِن أحد؟ بل المراد بـ"الزيادة" الإتيان بها وعدم تركها. وإنّما عبّر عنه بالزيادة لأنّ المعنى كان يحصُل بدونها، لا هذا المعنى المقصود؛ بل معنى آخر، وهو أصل المعنى، أعني: حصول الحجاب.

قوله: **(ابتَدأ مِنّا)** تقريره أنّ المسافة المتوسّطة بينهما سمّيت[٧] بالبَين، فبالإضافة إلى أحدهما أفاد الجانب الذي يليه،[٨] فإذا ابتدأ الحجاب منه فلا بدّ له مِن منتهًى، ومنتهاه هو الجانب الآخر، وكذا بالعكس، فلذلك أفاد المعنى المذكور.

---

١ ن: ترجع.
٢ ن: وهم.
٣ ن: في.
٤ ن: ما.
٥ ن: الضمير.
٦ د: عليه السلام.
٧ ن: سمت.
٨ ن: يلثه.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "على قلُوبنا أكِنَّةٌ"؛ كما قيل: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ ليكون الكلامُ على نَمطٍ واحدٍ؟

قلتُ: هُو على نَمطٍ واحد؛ لأنه لا فرقَ في المعنَى بين قولك: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾، و: "على قُلُوبنا أكِنَّةٌ"، والدَّليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الكهف ٥٧/١٨] ولو قيل: "إنَّا جعَلنا قلوبَهُم في أكنةٍ" لم يختلِف المَعنى، وتَرى المطَابيعَ منهم لا يُراعُونَ الطِّباقَ والمُلاحظَة إلَّا في المعَاني.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾

فإن قلتَ: مِن أَيْن كان قولُه: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ جوَابًا لقَوْلِهِم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾؟

قلتُ: من حيثُ إنَّه قال لهُم: إنِّي لَسْتُ بملَكٍ وإنَّما أنَا بَشَرٌ مثلُكُم، وقد أُوحِيَ إليَّ دونكُم فصَحَّت بالوحي إليَّ وأنا بشرٌ نبُوَّتي، وإذا صَحَّت نُبوَّتي وجبَ عَليكم اتِّباعي، وفيما يُوحَى إليَّ: أنَّ إلهَكم إلهٌ واحِدٌ ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾:

قوله: (**ليكون الكلام على نمطٍ**) بأن يكون قدّم آلة الإدراك، وأدخل عليها الجارّ الذي يناسبه[١] مع تقدّم الخبر في[٢] الصورتَين. ووجه الجواب أنّ ما ذكرتم[٣] طِباق لفظي، وهم لا يلتفتون إلى ذلك، وإنّما يُراعُون / الطباق المعنوي، وهذا [٣٣٥و]
الكلام جرى على ذلك الأسلوب.

قوله: (**المَطابيع**) جمع "مَطْبوع"، وهو الذي[٤] طُبِعَ على العربيّة والفصاحة.

قوله: (**قلتُ: مِن حيث إنّه**) حاصل الجواب: أنّ معنى قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾... إلخ أنّا لا نلتفت[٥] إلى دعوتك، وأنّا لا نقبل قولك. فأُجيب بأنّه

---

١ ن: يناسه.
٢ ن: بين.
٣ ن: ما ذكرتم.
٤ ن - الذي.
٥ ف: لا نلتفت.

فاستَوُوا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غيرَ ذاهبين يمينًا ولا شمالًا، ولا ملتفتينَ إلى ما يسوِّلُ لكم الشيطانُ من اتّخاذ الأولياءِ والشُّفعَاء، وتوبُوا إلَيْه ممَّا سبق لكم من الشِّرك ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾.

وقرئ: "قال إنَّما أنا بشَرٌ".

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾

فإن قلتَ: لمَ خُصَّ من بيْن أوْصَاف المشركين منعُ الزكاة مَقرُونًا بالكُفر بالآخِرة؟

قلتُ: لأنَّ أحَبَّ شيءٍ إلى الإنسان مالُهُ وهو شقيقُ روحه، فإذا بَذَلَه في سبيل الله فذاك أَقوَى دليلٍ على ثباته واستقامتِه وصِدْقِ نيَّتِه ونصُوعِ طَوِيَّته، ألَا ترى إلى قوله عزَّ وعَلا: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [البقرة ٢٦٥/٢]؛ أي: يُثَبِّتُونَ أَنفُسَهُم ويَدُلُّونَ على ثَبَاتِها بإِنْفاق الأموال، ومَا خُدع المؤلَّفةُ قلوبُهم إلَّا بلُمْظَةٍ من الدُّنيا فقَرَّتْ عصَبِيَّتُهم ولَانَتْ شكيمتُهمْ، وأهْلُ الرِّدَّة بعْدَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم ما تظَاهَرُوا إلَّا بمَنْعِ الزَّكاةِ فنُصِبَتْ لهُم الحَرْبُ وجُوهِدُوا.

لمّا ثبَت نُبوَّتي[١] وجب عليكم اتّباعي وقَبولُ قولي، أو المعنى: لستُ بمَلَكٍ[٢] حتّى لا تفهموا قولي، ولا تعلموا حالي، وإنّما أنا بشَر[٣] مثلكم، أتيتكم بكلام بيّن واضح المعنى، مفهوم المراد، يفهمه كلُّ مَن كان بشَرًا مِن جنسي، فلا معنى لعنادكم.

قوله:[٤] (**شَقيقُ**) يقال: هذا شقيقُ هذا؛ إذا انشَقّ[٥] الشيء بنصفين، فكلّ واحد منهما شقيقُ الآخر. ومنه قيل: فلان[٦] شقيقُ فلان، أي: أخوه.[٧]

قوله: (**طَوِيَّته**) الطَويّة: الضمير.

قوله: (**بِلُمْظَةٍ**) اللُّمْظَة:[٨] كالنُّكتة مِن البياض، ويريد بها ههنا: الشيء القليل.

---

١ ف: بنوتي.
٢ ن: تملك.
٣ ن – بشر.
٤ ن – يَفهَمُه كلّ مَن كان بشَرًا مِن جِنسي، فلا معنى لِعنادكم. قوله.
٥ ن: الشق.
٦ ن: فلا.
٧ **الصحاح** للجوهري، «شقق».
٨ ن: اللطة.

وفيه بَعثٌ للمؤمنِينَ على أداء الزكاة وتخويفٌ شديدٌ مِن مَنعِهَا، حيثُ جُعِل المنعُ من أوْصَافِ المشركين وقُرِنَ بالكُفر بالآخرة.

وقيل: كانت قُرَيشٌ يُطْعِمُون الحاجَّ ويَحْرِمُونَ مَن آمَن مِنهم برسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: لا يَفعَلُون ما يكُونُونَ به أزكِيَاءَ وهو الإيمَانُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾

"الممنون": المَقْطوعُ.

وقيل: لا يُمَنُّ عَليهم؛ لأنَّه إنَّما يُمَنُّ التَّفضُّلُ، فأمَّا الأَجْرُ فحقٌّ أداؤُهُ.

وقيل: نزلَت في المَرضَى والزَّمنَى والهَرْمَى: إذا عَجزُوا عن الطَّاعة كُتِبَ لهُم الأَجْرُ كأَصَحِّ ما كانوا يَعملُونَ.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بهمزتين: الثَّانيةُ بيْنَ بيْنَ، و﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بألِفٍ بين همْزتَين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قدَر على خَلْقِ الأرض في مُدَّةِ يومين، هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: (**وقيل: لا يفعلون**)... إلخ يعني: معنى قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: "لا يفعلون ما يكونون به أزكياء".

قوله: (**التفضّل**) هذا على[1] مذهب المعتزلة، وأمّا على مذهب أهل السُّنة والجماعة فجميع ما يُعطي الله عبادَه في الآخرة تفضُّلٌ، لكن لا يَمُنُّ فضلًا منه وكرمًا.

قوله: (**في المرضى**) جمع مريض.

---

[1] ن - على.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالًا ثوابتَ.

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ وهلَّا اقتُصِر على قَوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ [المرسلات ٢٧/٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [الأنبياء ٣١/٢١] ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ [النمل ٦١/٢٧].

قلتُ: لو كانت تحتَها كالأسَاطين لها تستَقِرُّ عليهَا أو مَركُوزَةً فيها كالمسَامير لمنَعتْ من المَيَدانِ، وإنَّما اختار إرسَاءَها فوقَ الأرض لِتكُون المنافعُ في الجبالِ مُعْرِضةً لِطَالِبيهَا حاضِرةً لمُحَصِّليها، وليُبصِر أَنَّ الأرْض والجبالَ أثقالٌ على أثقالٍ كلُّها مُفتقرةٌ إلى مُمسكٍ لا بُدَّ لهَا مِنه، وهو مُمْسِكُها عَزَّ وعَلا بقُدرتهِ.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: وأكثَر خيْرَها وَأَنْمَاه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾: أرزاقَ أَهْلها ومعَايِشَهُم وما يُصلِحُهم، وفي قراءةِ ابن مسعود رضي الله عنه: "وقَسَمَ فيها أَقواتَها".

قوله: **(المَيَدان)** مادَ الشيءُ يَمِيد مَيْدًا؛ تحرَك، ومادَتِ الأغصان؛ تمايَلَت، ومادَ الرجل؛ تبخْتَر.[1] مادَ الشيء مَيَدانًا؛ مالَ، ومنه حديث تُبَيْع: «المائدُ[2] فيه كالمُتشحِّط في دمه»،[3] أي: مَن غزا في البحر ومادت به السفينة مِن جانب إلى جانب كالشهيد الذي تَلَطَّخ بالدم في سبيل الله.[4]

قوله: **(وأَنْماه)** النَّماء[5] -بالمَدِّ-: الزيادة، يقال: نَمَى[6] المال يَنمِي نَماءً، ويَنمو نُمُوًّا، وأنماه الله.[7] فقول المصنّف: أنماه، أي: زاد خيرَها، فالضمير المستتر في "أنمى" يعود إلى[8] الله تعالى، والمنصوب المتّصل إلى "خيرها".[9]

---

١ ن: تبخير. | وفي هامش د: صحاح. | **الصحاح** للجوهري، «ميد».

٢ ن: المايدة.

٣ **سنن سعيد بن منصور**، ١٨٩/٢ (٢٣٩٩)، عن تبيع عن كعب الأحبار. وهو في **سنن ابن ماجه**، ٦٩/٤ (٢٧٧٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «ميد».

٥ ن: البنماء.

٦ ن: نما.

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «نمي».

٨ ن - المصنّف أنماه، أي: زاد خيرَها، **فالضمير** المستتر في "أنمى" يعود إلى.

٩ ن: حبرها.

﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ﴾ فَذْلكَةٌ لمُدَّةِ خلق الأرضِ وما فيها؛ كأنه قال: كلُّ ذلك في أَربعةِ أيَّامٍ كامِلةٍ مُستَويةٍ بلا زيادةٍ ولا نُقصَانٍ، قيل: خلق اللهُ الأرض في يوم الأحَد ويومِ الإثنين، وما فيها يومَ الثلاثاءِ ويَومَ الأربعاء.

وقال الزَّجاجُ: ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾: في تتمةِ أربعةِ أيام. يُريدُ بالتتمَّةِ اليَوْمَين.

وقرئ: ﴿سَوَآءٗ﴾ بالحركاتِ الثلاثِ: الجرِّ على الوصف، والنصْبِ على: استَوَتْ سَواءً؛ أي: اسْتِواءً، والرَّفعِ على: هي سَواءٌ.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقَ قوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾؟

قلتُ: بمَحذُوفٍ؛ كأنَّه قيل: هذا الحصْرُ لأَجْل مَن سَأل: في كَمْ خُلِقَتِ الأرضُ وما فيها؟ أو بـ"قدَّر"؛ ....

قوله: (**فَذْلكة**) الفَذْلكة في الحساب: إجمالُه بعد التفصيل، وذلك بأن يُذكر[١] أوّلًا تفاصيله،[٢] ثمّ يُجمل تلك التفاصيل، ويكتب[٣] في مؤخَّر الحساب: فذلك كذا وكذا.[٤]

قوله: (**قال الزجّاج: «﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ في تتمّة أربعة أيّام»**)[٥] تقول: سِرت[٦] مِن البَصرة إلى بغداد[٧] في عشرة، وإلى الكوفة في خمسة عشر، أي: في تتمّة خمسة عشر. فليس بين قوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الأعراف ٥٤/٧] وبين هذه مناقضة كما زعمت المَلاحدة.

قوله: (**وقُرِئ ﴿سَوَآءٗ﴾ بالحركات**) أمّا النصب فمِن السبعة، وأمّا الباقية فمِن الشواذّ.[٨]

---

١ ن: يذكرو.

٢ ن: تفصيله.

٣ ن: وتكتب.

٤ انظر: **الكلّيّات** لأبي البقاء، ص ٦٩٦.

٥ **معاني القرآن** للزجّاج، ٣٨١/٤.

٦ ن: سرب.

٧ ف: بغداذ.

٨ هذا على طريقته في اعتبار ما عدا السبعة شاذّ، وإلّا فالقراءات الثلاث في العشرة المتواترة عند المحقّقين، فبالرفع قرأ أبو جعفر، وبالخفض قرأ يعقوب، وقرأ باقي العشرة بالنصب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٦/٢.

أي: قدَّرَ فيها الأقواتَ لأجْلِ الطَّالبينَ لها المحتاجِين إليهَا من المُقتَاتين، وهذا الوجهُ الأخير لا يَستقيمُ إلَّا على تفسير الزجَّاج.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "في يَوْمين"، وأيُّ فائدةٍ في هذه الفَذْلكةِ؟

قلتُ: إذا قال: ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ وقد ذكرَ أنَّ الأرضَ خُلِقت في يَوْمين، عُلم أنَّ ما فيها خُلق في يَومين، فبقيَت المُخايَرةُ بين أن تقُولَ: "في يومين"، وأن تَقُول: ﴿فى أرْبعةِ أيَّامٍ سَواءٍ﴾، فكانت في ﴿أرْبعةِ أيَّامٍ سَواءٍ﴾ فائدةٌ لَيْسَتْ "في يَومين"، وهي الدَّلالةُ على أنَّها كانَتْ أيَّامًا كامِلةً بغَير زيادةٍ ولا نقصَانٍ.

ولو قال: "في يَوْمين" وقد يُطْلَقُ اليَومانِ على أكْثَرِهما، لكان يجوز أَن يُريد باليَوْمين الأوَّلَيْنِ والآخِرَيْنِ أكثَرَها.

قوله: **(مِن المُقتاتِين)** أي: الآخذين للقوت، يقال: قاتَه فاقتاتَ.

قوله: **(لا يستقيم)**... إلخ لأنّه إذا كان ﴿لِلسَّآئِلِينَ﴾ متعلّقًا بـ﴿قَدَّرَ﴾[١] يَتمّ الكلام عنده، ولا يستقيم الفذلكة؛ لأنّها إنّما تأتي[٢] بعد تمام الكلام، فتعيَّن تفسير الزجّاج، وهو أن يكون التقدير: "في تتمّة أربعة أيّام".[٣]

قوله: **(المخايَرة)** المعارَضة في الخيريّة.

[٣٣٥ظ] قوله: **(على أكثرهما)** بأن يُراد: يومٌ ونصفُ يومٍ مَثلًا، فإنّ / بعضَ الشيء قد يسمّى باسمه، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة ٢/١٩٧]، والمراد به: شوّالٌ وذو[٤] القَعْدة وتِسع مِن ذي الحِجّة وليلة النَّحر، وفيه بحثٌ؛ لأنّه قال أبو عليّ الفارسي في **الحُجّة** في[٥] قوله تعالى: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة ٢/١٩٧]:

سمّى[٦] الشهرين وبعضَ الثالث "أشهرًا"؛ لأنّ[٧] الاثنين[٨] قد يقع عليه لفظُ الجميع،[٩]

---

١ ف: بقدّره.

٢ ن: نأتي.

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي: أتمّهنّ وفرغ مِن خَلقهنّ. معالم. | **معالم التنزيل** للبغوي، ١٦٦/٧ (فصلت، ١٢/٤١).

٤ ن: وذي.

٥ ن - في.

٦ ن: وسمّى.

٧ ن + في.

٨ ف: الاثنين.

٩ ف ن: الجمع.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ من قولكَ: "استَوى إلى مكانِ كذا": إذا توجَّه إليه توجُّهًا لا يَلْوِي على شيءٍ، وهو من الاستواء الذي هو ضِدُّ الاعْوجاج، ونحوُه قولُهم: "استقَام إليه"، و: "امتَدَّ إليه"، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت ٦/٤١] والمعنى: ثُمَّ دعَاه دَاعِي الحكمةِ إلى خلق السماء بعْدَ خلقِ الأرض وما فيها من غير صارفٍ يَصْرفهُ عن ذلك.

قيل: كان عَرْشهُ قبلَ خلق السماوات والأرض على الماء، فأخرَج من الماء

كما يُوقع[١] عليه لفظ الجَمْع في نحو قوله:

ظَـهْـراهـمـا[٢] مـثـلُ ظُـهـور الـتُّـرسَـيـن[٣]

ولا يجوز على هذا القياس أن يُوقَع على الاثنين[٤] وبعضِ الثالث "قُروء" في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة ٢٢٨/٢]؛ لأنّ هذا محصور[٥] بالعدد، فلا يكون الاثنان وبعضُ الثالث ثلاثةً.[٦]

هذا هو المذكور في **الحُجّة**، وهو يدلّ على أنّه لا يجوز أن يُراد بـ"اليومين" أكثرُهما؛ لكونه نصًّا في مدلوله على ما ذكر أبو عليّ، بخلاف لفظ الجمع مثل "الأشهر"، فإنّه ظاهر[٧] غير[٨] نصّ إلّا أن يُمنع بجواز[٩] إطلاق اسم الكلّ وإرادة الجُزء.

قوله: **(قيل: كان عرشُه)**... إلخ وفي الحديث: «إنّ الله تعالى أوّلُ ما خلَقَه جوهر، ونظر إليه بالهيبة فصار ماءً، وسَلّط عليه نارًا فارتفع البخار، فخلق منها السماوات، ثمّ أرسل ريحًا على الماء فارتفع زَبَدٌ، فخلق منه الأرضَ،

---

١ ن: وقع.
٢ ن: طراهما.
٣ أوّله:
ومَـهْـمَـهَـيـنِ قَـذَفَـيـنِ مَـرتَـيـنِ
وهو لخِطام المجاشعي في **لسان العرب** لابن منظور، «امرت».
٤ ف: الاثنين.
٥ ن: محصورًا.
٦ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٨٠/٢.
٧ ف: ظاهر.
٨ ن: عر.
٩ ن: يجوزان.

دُخانًا فارتفَع فوق الماء وَعَلا عَليه، فأَيْبَس الماءَ فجَعله أرْضًا واحدةً، ثمَّ فَتقَها فجَعلها [سبعَ] أَرَضِينَ، ثمَّ خَلق السماءَ من الدُّخان المرتفع.

ومَعنى أَمْرِ السماءِ والأَرْضِ بالإِتْيانِ وامتِثالهمَا: أنَّه أرادَ تكوِينَهما فلم يمتَنِعا عَليه ووُجدتَا كما أرادَهُما، وكانَتا في ذلك كالمأمُور المُطيعِ إذا ورَد عليه فعلُ الآمر المطَاعِ، وهو من المجاز الَّذي يُسمَّى: التَّمثيلَ.

ويجوز أن يكون تخييلًا، ويُبْنَى الأمرُ فيه على أنَّ الله تعالى كَلَّم السَّماء والأرضَ وقال لهُما: "ائتيَا شِئتُما ذلك أو أبَيْتُمَاه" فقَالتَا: ....

وكانتا رتْقًا، فقال لها وللأرض: ائتيا،[١] فانفتق البعضُ عن البعض، وانتظم كلُّه، فذلك[٢] قوله: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾».[٣]

قوله: **(يُسمَّى التمثيل)** يريد أنّه شُبّه إرادة تكوينهما وعدمُ امتناعهما ووجودهما عند توجّه الإرادة بأمر الآمِر الذي يتوجّه إلى المأمور[٤] المطيع[٥] فيمتثل[٦] أمرَه ولا يَرُدُّ قولَه؛ بل يتلقّاه[٧] بالقبول والامتثال، وسمّاه تمثيلًا لأنّ وجه التشبيه إذا كان مأخوذًا مِن عدّة أمور سُمّي تمثيلًا.

وقوله: **(تخييلًا)**[٨] يعني أن يكون استعارة تخييليّة، والاستعارة التخييليّة إنّما تَحْسُن إذا كانت تابعة للاستعارة بالكناية. فالوجه أن يقال: شُبّه الأرض والسماء بالمأمور المطيع فذُكِر الأرضُ والسماءُ، وأُريدَ المأمور المطيع، ثمّ أثبت لأجلهما أن تُخاطَبا بالأمر وأن تُجيبا، فيكون الاستعارة التخييليّة تابعة للاستعارة بالكناية.

قوله: **(ويُبنى الأمر[٩] فيه)** "الأمر"[١٠] هو واحد الأمور، لا واحدُ الأوامر.

---

[١] ف: ايتيا.

[٢] ن: فلذلك.

[٣] ذكر نحوه الرازي في تفسيره، ٥٤٦/٢٧ (فصلت، ١٢/٤١)، ثمّ قال: «واعلم أنّ هذه القصّة غير موجودة في القرآن، فإن دلّ عليه دليل صحيح قُبِل، وإلّا فلا، وهذه القصّة مذكورة في أوّل الكتاب الذي يزعم اليهود أنّه التوراة».

[٤] ن: الماء.

[٥] ن: والمطيع.

[٦] ن: فيمتثل.

[٧] ن: يتلفاه.

[٨] ن: لأنّ وجه التشبيه.

[٩] ن: يبنى للأمر.

[١٠] ن: للأمر.

"أَتَيْنا على الطَّوعِ لا على الكُرْه"، والغَرضُ تصويرُ أثر قُدْرتهِ في المقدُوراتِ لا غيرُ، من غير أن يُحقَّقَ شيءٌ من الخطابِ والجوابِ.

ونحوُه قولُ القائل: "قال الجدارُ للوتدِ: لـمَ تَشُقُّنِي؟!" قال الوتدُ: اسْأَلْ مَن يَدُقُّنِي، فَلَـمْ يَتْرُكْنِي ورَائي الحَجَرُ الَّذِي وَرائي.

فإن قلتَ: لم ذكرَ الأرضَ مع السماء وانتظمَهُما في الأمر بالإِتْيان، والأرضُ مخلوقةٌ قبل السَّماء بيَوْمين؟

قلتُ: قد خلَق جِرْمَ الأرض أوَّلًا غيرَ مَدْحُوَّةٍ ثمَّ دحَاهَا بعد خلق السَّماء؛ كما قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا﴾ [النازعات ٣٠/٧٩] فَالمَعنى: ائْتِيا على ما يَنبغي أن تَأتيا عَليه من الشَّكل والوصف: ائتِي يا أرضُ مَدْحُوَّةً قرارًا ومهادًا لِأَهْلك، وائْتِي يا سماءُ مُقبَّبةً سَقفًا لهُم.

ومعنى الإتيان: الحصُولُ والوقوعُ؛ كما تقُول: أَتَى عَملُهُ مرضيًّا، وجاءَ مقبولًا.

ويجوز أن يكون المعنى: لِتَأتِ كلُّ واحدةٍ مِنكُما صَاحبتَها الإتيانَ الَّذي أُريدُه وتقتَضيه الحكمةُ والتَّدبيرُ: مِن كَون الأرضِ قرارًا للسَّماء، وكونِ السَّماءِ سقفًا للأرض.

قوله: **(والغرَض)** أي: على الوجهين.

قوله: **(فلم يتركني، ورائي)**... إلخ "الواو" في "ورائي" الأوّل بمعنى "مع"، والرائي: الفِكر والنظر. وفي "ورائي"[1] الثاني أصليّة، والوراء بمعنى: الخَلْف.

قوله: **(فإن قلتَ: لِمَ ذكر الأرض)** معنى السؤال: أنّه ذَكر أوّلًا خلقَ الأرض قبل السماء بيومين، فكيف قال عند ذِكرِ خَلْق[2] السماء: ﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾؟ فأجاب: بأنّه ذكر أوّلًا خلقها -أي: خلْقَ الأرض- قبل خلق السماء، وأمّا ثانيًا فقد ذكر دُحوّ الأرض، وذلك بعد خلق السماء.

قوله: **(قَرارًا)** القَرار: المُستَقرّ.

---

[1] ن: وراءِ.

[2] ن: الخلق.

وتنصرُه قراءةُ مَن قَرأ: "آتِيَا" و: "آتَينا" من المُؤاتاةِ وهي المُوافقةُ؛ أي: لِتُؤاتِ كلُّ واحدةٍ أُختَها ولتُوافِقْها، قالَتا: وافَقْنا وسَاعَدنا.

ويحتمِل: وَافِقَا أَمْرِي ومَشيئتِي ولا تَمْتَنِعَا.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾؟

قلتُ: هو مثَلٌ للُزُومِ تأثيرِ قُدرتِه فيهما، وأنَّ امتناعَهُما من تأثيرِ قُدرتهِ محالٌ؛ كما يقول الجبّارُ لمَن تحتَ يده: "لتَفعَلنَّ هذا شئتَ أو أبَيْتَ" و: "لتَفعَلنَّه طوْعًا أو كَرهًا"، وانتصابُهما على الحال بمعنى: طائِعتَيْن أو مكرَهتَيْنِ.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "طائعتَين" على اللفظ، أو: "طائعاتٍ" على المعنى؛ لأنَّها سماوات وأَرضون؟

قلتُ: لمَّا جُعِلن مخاطَباتٍ ومُجيباتٍ ووُصِفن بالطَّوع والكَرْهِ قيل: ﴿طَآئِعِينَ﴾ في مَوْضع: "طائِعاتٍ"، نحوُ قوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ١٢/٤].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ يجوز أن يَرجِعَ الضميرُ فيه إلى السماء على المَعنى كما قال: ﴿طَآئِعِينَ﴾ ونحوُهُ: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة ٦٩/٧]، ويجوز أن يكون ضميرًا مُبْهَمًا مفسَّرًا بـ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ ....

قوله: (**فإن قلتَ: فهلّا**[1] **قيل: طائعتين؟**)[2] بدلَ قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾.[3]

قوله: (**نحو قوله تعالى: ﴿سَٰجِدِينَ﴾** [يوسف ١٢/٤]) ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ١٢/٤].

---

١ ن: هلّا.

٢ ن: طائعين.

٣ وفي هامش د ف: قوله: (على المعنى) فإنّ معنى "السماء والأرض" جمع؛ لأنّه أراد بهما السماوات والأرضين. وقوله: (لأنّها) الضمير يعود إلى "المعنى"، وتأنيثه باعتبار الخبر، أي: لأنّ معنى السماء والأرض: سماواتٌ وأرضون. وقوله ثانيًا: (على المعنى) فإنّ المقصود بالسماء: السماوات.

والفرقُ بين النَّصْبَين: أَنَّ أحدَهما على الحال، والثاني على التمييز.

قيل: خَلَق السماواتِ وما فيها في يومين: في يَوم الخميسِ والجمعةِ، وفرَغ في آخرِ ساعةٍ من يوم الجمعة فخَلَقَ فيها آدَمَ، وهي السَّاعةُ التي تقوم فيها القيامةُ.

وفي هذا دليلٌ على ما ذكرتُ من أنَّه لو قال: "في يومَيْنِ" في مَوضِع ﴿أَرْبعةِ أيَّامٍ سَوَاءٍ﴾ لم يُعْلَم أنَّهما يومَانِ كاملانِ أم ناقصانِ؟

فإن قلتَ: فلو قيل: "خلَق الأرض في يومَين كامِلَيْنِ وقدَّر فيها أَقْواتَها في يَوميْن كامِلَيْن"، أو قيل بَعْد ذكر اليَوْمين: "تلك أربعةٌ سَواءٌ"؟

قلتُ: الذي أوْرَده سُبحانه أخصَرُ وأفصَحُ وأحْسنُ طباقًا لِمَا عليه التَّنزيلُ مِن مَغاصَاتِ القَرائحِ ومَصَاكِّ الرُّكَبِ، ليتَميَّز الفاضِلُ من الناقصِ، والمتقدِّمُ من النَّاكِص، وترتفعَ الدَّرجاتُ ويتَضاعفَ الثوابُ.

قوله: (النَّصْبين)[1] أي: في ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.

قوله: (لم يُعلم أنّهما / يومان)... إلخ لأنَّ المراد على هذا القول بـ"اليومين" في قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: أكثرُهما، لا جميعُهما؛ لأنَّ آدمَ خُلق في بعض اليومين، وهو آخر ساعة مِن يوم الجمعة، فلو لم يَذكُر ﴿سَوَآءً﴾ هنالك[2] لاحتمل ما ذُكر، وهذا يرجّح كلام المصنّف على كلام أبي عليّ كما مرّ في الحاشية. [٣٣٦و]

قوله: (فلو قيل: خلَقَ)... إلخ جواب "لو" محذوف، أي: لكان صحيحًا فلِمَ عدل عنه؟

قوله: (ليتميّز الفاضِل)... إلخ[3] يعني: إنّما ورد كذلك ليحتاج إلى إعمال الفِكرِ والمباحثات، فيتميّز الفاضل مِن المفضول، والمتقدِّم مِن المتأخّر.

---

[1] ن: النصين.
[2] ن: هناك.
[3] ن - جواب "لو" محذوف، أي: لَكان صحيحًا، فلِمَ عدل عنه؟ قوله: (ليتميّز الفاضل)... إلخ.

﴿أَمْرَهَا﴾: ما أمَر به فيهَا ودَبَّرهُ من خلق المَلائكةِ والنيّراتِ وغيْرِ ذلك، أو شأنها وما يُصْلِحها.

﴿وَحِفْظًا﴾: وحَفظنَاهَا حِفظًا -يعني: من المُسترِقة- بالثَّواقبِ، ويجوز أن يكون مفعولًا له على المَعنى؛ كأنَّه قال: وخلَقنا المصابيحَ زينةً وحِفظًا.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝١٤﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ بَعد ما تَتْلُو عَليهم من هذهِ الحُجج على وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرتِه فحَذِّرهُم أن تُصِيبَهُم صاعقةٌ؛ أي: عذابٌ شديدُ الوَقعِ كأنَّه صَاعِقةٌ.

وقرئ: "صَعْقةً مثلَ صَعْقةِ عادٍ وثَمُودَ" وهي المرَّةُ من الصَّعْق أو الصَّعَقِ، يقالُ: صَعَقَتْهُ الصَّاعِقةُ صَعْقًا فصَعِقَ صَعَقًا، وهو من باب: فعَلتُه ففَعِلَ.

قوله: (أمرَها ما[1] أمرَ به) فعلى هذا يكون الأمر واحدَ الأوامر،[2] وعلى الثاني واحدَ الأمور.

قوله: (مِن المُسترِقة) أي: مِن الشياطين المسترِقة للسَّمع.

قوله: (بعد ما تتلو)[3] هو معنى "الفاء" في[4] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾.

قوله: (كأنَّه صاعقة)[5] الصاعقة: قَصْفةُ رَعدٍ تنقَضّ[6] معها شِقَّة مِن نار، قالوا: تنقَدح[7] مِن السحاب إذا اصطَكَّت أجْرامُه.[8]

قوله: (صَعَقَتْه الصاعقة) أي: أهلكتْه. وقوله: (فصَعِق) أي: مات إمّا بشدّة الصوت أو بالإحراق.

---

١ ن - ما.
٢ ن: للأوامر.
٣ ن: ما ملوا.
٤ ن - في.
٥ ن: صاعة.
٦ ف: تنفضّ.
٧ ن: ينقدح.
٨ قاله الزمخشري في الكشّاف في تفسير سورة البقرة، ١٩/٢.

﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: أتَوْهم من كلِّ جانبٍ، واجتَهدُوا بهم وأَعْمَلُوا فيهم كُلَّ حيلَةٍ، فلم يَرَوْا مِنهُم إلّا العُتُوَّ والإعراضَ؛ كما حكَى اللهُ عن الشَّيطان: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف ١٧/٧] يَعني: لآتِيَنَّهُم من كلِّ جِهة، ولأُعْمِلنَّ فيهم كُلَّ حِيلةٍ، وتقُول: "استدَرْتُ بفلانٍ من كلِّ جانبٍ فلم يكن لي فيه حِيلةٌ".

وعن الحَسن: أنذَرُوهم من وقائع الله فيمَنْ قبْلهم من الأُمم وعذابِ الآخِرة؛ لأنَّهم إذا حَذَّرُوهم ذلك فقد جاؤُوهم بالوعظِ من جهة الزَّمن الماضي وما جَرى فيه على الكفَّار، ومِن جهة المُستقبَل وما سيَجْري عليهم.

وقيل: معناه: إذ جاءتهم الرُّسُلُ مِن قَبْلهم ومِن بَعْدِهم.

فإن قلتَ: الرُّسُل الَّذين من قبلهم ومِن بَعدهم كيف يُوصَفُونَ بأنَّهم جاؤوهم وكيف يُخاطِبُونَهُم بقَولهم: "إنَّا بما أُرْسِلتُم به كافرُون"؟

قلتُ: قد جاءهُم هُودٌ وصالحٌ داعِيَيْنِ إلى الإيمان بهما وبجميع الرُّسلِ ممَّن جاء ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: مِن قَبْلِهم ﴿و﴾ممَّن يَجيء ﴿مِن خلفِهم﴾؛ أي: مِن بعْدِهم، فكأنَّ الرسُلَ جميعًا قد جاؤُوهم، وقولُهُم: "إنَّا بمَا أُرْسِلتم به كافِرون" خطابٌ منهم لهُودٍ وصالحٍ ولسائر الأنبياء الَّذين دَعَوا إلى الإيمان بهم.

قوله: (﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾) فلا يراد بقوله:[1] ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ المكان والجهة بالحقيقة؛ بل بنوع مِن المجاز.

قوله: (**بفلان**) أي: بسببه.

قوله: (**وعن الحسَن رحمه الله**)...[2] إلخ فعلى هذَين الوجهين يكون استعاوة المكان للزمان.

قوله: (**ولسائر الأنبياء**) تغليبًا للحاضرين على الغَيَب، فكأنَّه[3] قيل: بما أُرْسلتُما أنتم وهم.

---

[1] ن: بقول من.
[2] د - رحمه الله.
[3] ن: فكل.

﴿أَن﴾ في ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ بمَعنى "أي"، أو مخفَّفةٌ من الثقيلة، أصلهُ: بأنّه لا تَعبُدوا؛ أي: بأنَّ الشَّأنَ والحديثَ قولُنا لكم: ﴿لا تَعبُدوا﴾.

ومفعولُ ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ؛ أي: ﴿لَوْشَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسالَ الرُّسل ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾.

﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ معناه: فإذا أنتم بَشرٌ ولَستُم بملائكةٍ فإنّا لا نُؤمن بكم وبما جِئتُمْ به، وقولُهم: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس بإقْرارٍ بالإرْسال، وإنّما هو على كلامِ الرُّسُلِ، وفيه تهَكُّمٌ كما قال فرعَون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧].

رُوي: أنَّ أبا جهلٍ قال في مَلأ من قُرَيشٍ: قد الْتَبَسَ علَينا أَمرُ محمَّدٍ، فلو التَمستُم لنَا رَجُلًا عالِمًا بالشِّعر والكَهانة والسِّحر فكَلَّمهُ ثمَّ أتانَا ببيَانٍ عنْ أَمْرِهِ، فقال عُتبَةُ بنُ ربيعة: واللهِ لقد سَمعتُ الشعرَ والكهانَة والسحرَ وعلمتُ من ذلك علمًا وما يخفَى عَليَّ، فأتَاه فقال: أنتَ يا محمَّدُ خيْرٌ أَمْ هاشمٌ، أنت خيْرٌ أَمْ عبدُ المطَّلبِ، أنت خَيْرٌ أَمْ عبْدُ الله؟ فبِمَ تشتمُ آلهتنا وتضَلِّلُنا؟ فإن كنتَ تُريد الرِّياسَةَ عقَدْنا لك اللِّواء فكنتَ رئيسَنا، وإن تكُ بكَ البَاءةُ زوَّجنَاكَ عشرَ نسْوةٍ تختَارُهنَّ أَيَّ بناتِ قرَيْش شِئتَ، ....

قوله: (وإنّما هو على كلام الرسل) أي: مبنيّ على كلام الرسل، كأنّهم قالوا: بالذي أُرسلتم به على زُعمكم، أو بالذي تقولون: أُرسِلنا به.

قوله: (والكَهانة) "الكَهانة" بالفتح مصدر، وبالكسر عِلمُها.[١]

قوله: (وإن تكُ بكَ[٢] الباءة)[٣] أي: الاحتياج إلى النكاح. قال في **الصحاح**: «المَباءة: منزل القوم في كلّ موضع، والباءة[٤] لغة في المَباءة،[٥] ومنه سُمّي النكاح باءً وباءةً؛ لأنّ الرجل يتبوَّء مِن أهله، أي: يستمكِن منها، كما يَتبوّء مِن داره».[٦]

---

١ وفي **الصحاح** للجوهري، «كهن»: «كَهَنَ يَكْهُنُ كِهانةً، مثل: كَتَبَ يكتُب كِتابةً؛ إذا تكَهَّنَ. وإذا أردتَ أنّه صار كاهنًا قلتَ: كَهُنَ -بالضمّ- يَكْهُنُ كَهانةً بالفتح».

٢ ن: بل.

٣ ن: الباة.

٤ ن: والباة.

٥ ن: المباه.

٦ **الصحاح** للجوهري، «بوء».

وإن كان بك المالُ جمَعنا لك ما تَستَغنِي به، ورسولُ الله سَاكِتٌ، فلمَّا فرغَ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ﴾ إلى قوله: ﴿مِثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾» فأمسَك عُتبةُ على فيه وناشَدهُ بالرَّحم، ورجَع إلى أهْلِه ولم يخرُج إلى قُريشٍ، فلمَّا احتبَس عنهم قالوا: ما نَرى عتبةَ إلَّا قد صَبأ! فَانطلَقُوا إليْه وقالوا: يا عتبةُ، ما حبسَك عنَّا إلَّا أنك قد صبأتَ، فغضِب وأقسَم لا يُكلِّمُ مُحمَّدًا أَبدًا، ثمَّ قال: والله لقد كلَّمتُه فأجَابَنِي بشَيءٍ واللهِ ما هُو بشعرٍ ولا كَهَانةٍ ولا سحْرٍ، ولمَّا بلغَ صاعِقةَ عادٍ وثمُودَ أَمسَكتُ بفيهِ وناشَدتهُ بالرَّحم أن يكُفَّ، وقَد عَلِمتُم أنَّ محمَّدًا إذا قال شيئًا لم يَكْذِبْ، فخِفْتُ أَن يَنْزِل بكُم العذابُ.

قوله: (**وإن كان بكَ المال**) أي: طلبُ المال.

قوله: (**فأمسك عُتْبة على فيه**) أي: وضع يده[1] على فَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[2]

قوله: (**وناشدَه**) أي: أقسم عليه وقال: «نَشَدتُك بالرحِم»،[3] أي: سألتكَ به.

قوله: (**ما نُرى**)[4] أي: نَظُنُّ. وقوله:[5] (**قد[6] صَبَأ**) يقال: صَبَأَ الرجل، أي: خرج مِن دين إلى دين.[7]

قوله: (**أن يَكُفَّ**)[8] يجوز أن يكون مفعول[9] "ناشدتُ"؛[10] لأنّه بمعنى الطلب في الأصل.[11] كأنّه قال: طلبتُ[12] أن تَكُفَّ. ويجوز أن يكون في معنى "حَلَفْتُ عليه لِأَن يَكُفَّ"، فحُذف الجارّ.

---

[1] ن - يده.
[2] د: عليه السلام.
[3] ف: بالرجم.
[4] ن: ترى.
[5] ف: قوله.
[6] ف: وقد.
[7] **الصحاح** للجوهري، «صبأ».
[8] القصة في **مسند أبي يعلى الموصلي**، ٣٤٩/٣ (١٨١٨)؛ و**مصنّف ابن أبي شيبة**، ٣٣٠/٧ (٣٦٥٦٠)؛ و**دلائل النبوّة** للبيهقي، ٢٠٣/٢.
[9] ن: مفعولا.
[10] ن: ناشد.
[11] ن: الأحل.
[12] ن: طلب.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تعظَّمُوا فيهَا على أهْلها بما لا يَستحِقُّون به التَّعظُّم وهو القوَّةُ وعِظَمُ الأَجْرام، أو اسْتَعلَوْا في الأَرض واستَوْلَوا على أهلها بغير استحقاقٍ للولايةِ.

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانُوا ذَوي أجسَامٍ طوالٍ وخَلْقٍ عظيمٍ وبَلغ مِن قوَّتِهم أنَّ الرَّجل كان ينزعُ الصَّخرةَ من الجبَلِ فيقتلِعُها بيَدِه.

فإن قلتَ: القوَّةُ هي الشِّدَّة والصَّلابةُ في البِنيَةِ وهي نَقِيضةُ الضَّعفِ، وأمَّا القُدرَةُ فما لِأَجْلِه يَصحُّ الفعلُ من الفاعِل من تميُّزٍ بذاتٍ أو بصِحَّةِ بِنيَةٍ، وهي نقيضةُ العجز، واللهُ سبحانه لا يوصَفُ بالقوَّة إلَّا على معنى القدرةِ فكيف صح قولهُ: ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وإنَّما يصحُّ إذا أُريد بالقوَّة في المَوضِعيْن شَيءٌ واحِدٌ؟

قلتُ: القُدرة في الإنسان هي صحَّةُ البِنية، والاعتدالُ والقوَّة: الشِّدَّةُ والصَّلابةُ في البِنيَه، وحقيقتُها: زِيادة القُدْرة، فكَما صحَّ أَن يُقال: "اللهُ أقْدَرُ مِنهم"، جاز أن يُقال: "أقوَى مِنهُم" على معنى: أنَّه يَقدِرُ لذاتِه على ما لا يَقْدِرُون عليه بازدِياد قدرَتِهم.

﴿يَجْحَدُونَ﴾ كانوا يَعْرفُون أنَّها حقٌّ، ....

قوله: (**مِن تَمَيُّزٍ بالذات**) وهذا بناء على مذهبه؛ لأنّ الصفة عندهم عين الذات. وقوله: (**أو بصحّةِ بِنْيَةٍ**)[1] وتلك فينا.

قوله: (**شيءٌ واحد**) وليس كذلك؛ لأنّ القوّة فينا هي نقِيضة الضَّعْفِ، وفيه تعالى بمعنى القدرة.

[٣٣٦ظ] / قوله: (**والقوّةُ الشِّدّة**) أي: القُوّة في الإنسان.

قوله: (**بازدياد قُدَرِهم**) وهو القوّة.

قوله: (**أنّها حقٌّ**) أي: أنّ الآياتِ حقٌّ.

---

١ ف: بينه.

ولكنَّهم جحدُوها كما يجحَد المُودَعُ الوديعةَ، وهو معطوفٌ على ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: كانوا كفرةً فسَقةً.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

"الصَّرْصرُ": العاصفةُ التي تُصَرصِرُ؛ أي: تُصوِّتُ في هُبُوبِها.

وقيل: الباردةُ التي تُحرقُ بشِدَّة برْدِها، تكريرٌ لبناء الصَّرِّ، وهو البَرْدُ الذي يَصرُّ؛ أي: يجمعُ ويَقبِضُ.

﴿نَّحِسَاتٍ﴾ قرئ: بكسر الحاء وسكونها، ونَحِسَ نَحْسًا: نقيضُ سَعِدَ سَعْدًا وهو نَحِسٌ، وأمَّا "نحْسٌ" فإما مخفَّف نحِسٍ، أو صفةٌ على فَعْلٍ كشَكْسٍ، أو وصْفٌ بمصْدر.

وقرئ: "لتُذِيقَهم" على أنَّ الإذاقَة للرِّيحِ أو لِلأيَّام النَّحِساتِ.

وأضافَ العذابَ إلى الخِزْي -وهو الذلُّ والاستكانةُ- على أنَّه وصفٌ للعذاب؛

قوله: (كما يَجْحَدُ) يريد أنَّ الجُحود هو الإنكار مع المعرفة.

قوله: (وهو معطوف) أي: ﴿كَانُوا۟﴾ معطوف. وقوله: (كفَرةً) يجحدون، (فَسقَةً) أي: استكبروا.

قوله: (وأضاف "العذابَ" إلى ﴿ٱلْخِزْىِ﴾)[1] فهو مِن[2] قَبيل قوله: ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ حيث وصف العذابَ بـ﴿ٱلْهُونِ﴾.

قوله: (على أنّه وَصْف)... إلخ يريد: أنّ المَعنِيَّ مِن ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ هو وصف العذاب بالخِزْي، بمعنى الذلّ والهَوان على وجه المبالغة، ثمّ أضيفَ إلى ما أريدَ وصفه به، كما تقول: رجل عَدْل، على وصف الرجل بالعَدْل مبالغةً، ثـمّ تُضيفُه إلى ما هو صفته مِن حيث المعنى.

---

[1] ن + بمحذوف.

[2] ن: استكبروا.

كأنّه قال: عذابٌ خَزٍ، كما تقول: "فعلُ السَّوء" تريدُ: الفعلَ السَّيِّئَ، والدليلُ عليه قولُه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو من الإسناد المجازيِّ، ووصفُ العذاب بالخِزْي أَبلغُ مِن وَصْفهم به، ألا ترى إلى البَون بين قوليك: "هو شاعِرٌ" و: "له شِعرٌ شاعِرٌ".

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

ثمّ قال: (**كأنّه قال: عذابٌ خَزٍ**)،[١] والدليل على أنّ المراد وصف العذاب بالخِزْي قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾، ثمّ أشار إلى أنّك إذا قلت: عذابُ خِزْيٍ، أي: عذابٌ خِزْيٌ، أو قلتَ: عذابُ خَزٍ،[٢] أي: عذابٌ خَزٍ؛ فالجميع مِن الإسناد المجازي؛[٣] لأنّ الخَزِيَ بالحقيقة هو المُعذَّب، وكذا الخِزْيُ[٤] عند المبالغة هو المُعذَّب.

ثمّ أشار إلى أنّ هذا الإسناد المجازي أبلغ. وحاصل هذا: أنّ أصل هذا التركيب أن يوصَف العذاب بأنّه خَزٍ، فيُقالَ: "العذابُ الخَزِيُ" بلفظ الصفة المشبَّهة في "الخِزْي"،[٥] ثمّ عُدل عنه إلى "العذاب الخِزْي" بلفظ المصدر في "الخِزْي"؛ ليكون صفة بالمصدر، نحو: رجلٌ عَدْلٌ، ثمّ عُدِل[٦] عنه إلى الإضافة إلى ذلك المصدر على طريقة: رجلُ صِدقٍ. وعلى جميع التقادير يرجع المعنى إلى وصف العذاب بالخِزْي، وهو أبلغ مِن وصف الكافر بالخِزْيِ. وقوله: "خَزٍ" أصله "خَزِيٌّ"، أُعِلَّ[٧] إعلالَ "قاضٍ".

قوله: (وَصفِهم به) أي: وصفِ الكفّار بـ"الخِزْيِ".

قوله: (إلى البَوْنِ) أي: البُعْدِ.[٨]

---

١ في بعض مطبوعات **الكشّاف**: "خزي".

٢ ن: خزي.

٣ وفي هامش د ف: مِن قَبيل الإسناد إلى السبب؛ لأنّ الذليل هو الشخص بسبب العذاب، وتشبيهه بـ"شِعرٍ شاعر" مِن جهة أنّ كلًّا منهما مصدر، لا مِن جهة الإسناد إلى المصدر.

٤ ن: الجزي.

٥ ن: الحزء.

٦ ن - ثمّ عدل.

٧ ن: أعلل.

٨ ن: بالبعد.

قرئ ﴿ثَمُودُ﴾ بالرفع والنصب مُنوَّنًا وغيرَ مُنوَّنٍ، والرَّفعُ أفصحُ لوقُوعهِ بعد حَرْف الابتداء، وقرئ بضم الثاء.

﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: فدَلَلْنَاهُم على طَريقي الضَّلالة والرُّشْدِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد ١٠/٩٠].

﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: فاختاروا الدُّخولَ في الضَّلالة على الدُّخول في الرُّشْد.

فإن قلتَ: أليس معنى "هَدَيْتُه": حصَّلْتُ فيه الهُدَى، الدَّلِيلُ عليه قولُك: "هدَيتُه فاهتدَى" بمَعنى: تَحصيلِ البِغيَةِ وحُصُولِها؛ كما تقولُ: "رَدَعتُه فارْتَدَع"، فكَيْفَ ساغ استعمالُه في الدَّلالة المجرَّدةِ؟

قلتُ: لِلدَّلالة على أنَّه مكَّنهُم وأزاحَ عِلَلهم ولم يُبْقِ لهُم عُذرًا ولا علَّةً؛ فكَأنَّه حصَّلَ البِغيةَ فيهم بتحصِيل ما يُوجِبُها ويَقتَضِيها.

قوله: **(مُنوَّنًا وغيرَ مُنوَّنٍ)** أمّا رفعه بغير تنوين فمِن السبعة، وأمّا رفعه مُنوَّنًا[١] ونَصْبه منوَّنًا[٢] وغيرَ مُنوَّنٍ[٣] فمِن الشواذّ.

قوله: **(فإن قلتَ: أليسَ معنى "هَدَيْتُه"؟)**... إلخ فيما ذكره المصنّف نظرٌ؛ لأنّ الهداية إنّما تدلّ على المعالجة في تحصيل الهُدى[٤] فيه، وأمّا حصوله فيه فلا يدلّ عليه "هدَيتُه"، وإنّما يدلّ على ذلك قولك: اهتدى، وذلك مثل قولك: كسرتُه فانكسَر، فـ"كَسرتُه" يدلّ على المعالَجة، و"انكسَرَ" يدلّ على حصول الفعل، فإنّ المُطاوع هو الذي يدلّ على حصول أثر الفعل المتعدّي، فلذلك[٥] قيل:[٦] معنى المُطاوع أنّه هو الذي يدلّ على أنّ المفعول قَبِلَ الفعل ولم يمتنع.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٢١.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي إسحاق. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٢١.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج وقتادة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٢١.

٤ ن: الهدي.

٥ ن - فلذلك.

٦ ن: قول.

﴿صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾: داهيةُ العذاب، وقارعةُ العذابِ.

و﴿ٱلۡهُونِ﴾: الهَوان، وَصَف به العذابَ مبالغةً أو أَبْدَلَهُ منه، ولو لم يكُن في القرآنِ حجّةٌ على القدريّة الّذين هم مجُوسُ هذه الأمّة بشهادة نبيّهَا صلى الله عليه وسلم -وكفَى به شاهدًا- إلّا هذِه لكفى بهَا حجّةً.

﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾

قرئ: ﴿يُحۡشَرُ﴾ على البناء للمفعول، و: ﴿نَحۡشُرُ﴾ بالنُّون وضمّ الشين وكَسْرِها، و: "يَحْشرُ" على البناء للفاعل؛ أي: يَحشرُ الله عزَّ وجلَّ.

قوله: (حُجّةٌ[1] على القدريّة الذين هم "مجوس هذه الأُمّة") روى بعضهم أنّه قال عليه السلام: «القدريّة مجوس هذه الأمّة».[2] واعلم أنّ إطلاق القدريّة على المعتزلة أولى مِن إطلاقها على أهل السنّة والجماعة؛ بل إطلاقها على المعتزلة متعيّن؛ لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[3] سمّاهم مَجوسًا، / والمجوسُ يُثبتون [٣٣٧و] صانعَين: أحدهما: فاعل الخير، والثاني: فاعل الشرّ، والمعتزلةُ[4] يُثبِتون للعباد قدرة، ويقولون: أفعال العباد مخلوقُهم، وأمّا أهل السنّة والجماعة فيقولون: جميع الأشياء مخلوقة لله وبقدرته، فلا يناسب إطلاق القَدريّة عليهم تشبيهًا[5] بالمجوس، لكنّ المصنّف رحمه الله[6] يتعسّف في كثير مِن المواضع لترويج مَذهبه الزَّيِّف، وتحسين اعتزاله الرَّديّ، عفاه عن ذلك. هذا، مع أنّ الحديث لم يثبُت؛ بل هو مذكور في الموضوعات.[7]

---

[1] وفي هامش د ف: أي: في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾... الآية.

[2] سنن أبي داود، ٧/٧٧ (٤٦٩١)؛ المستدرك للحاكم، ١/١٥٩ (٢٨٦).

[3] د: عليه السلام.

[4] ف ن + أيضًا.

[5] ف: تشبيهًا؛ ن: تشبهًا.

[6] د - رحمه الله.

[7] قال السيوطي: «هذا أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح، وزعم أنّه موضوع. وقال الحافظ ابن حجَر فيما تعقّبه عليه: 'هذا الحديث حسّنه الترمذي وصحّحه الحاكم، ورجاله مِن رجال الصحيح، إلّا أنّ له عِلّتين...'»، فذُكر العلّتين وجوابهما. انظر: مرقاة الصعود للسيوطي، ٣/١١٩١.

﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾: الكفارُ من الأوَّلين والآخرين.

﴿يُوزَعُونَ﴾: يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم؛ أي: تُستوقَفُ سَوابقُهُم حَتَّى يَلحَق بهم تَوَالِيهم، وهي عبَارةٌ عن كثرة أهل النار، نَسألُ اللهَ أن يُجِيرنَا منها بِسعَةِ رحمتِه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾

فإن قلتَ: ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ ما هي؟

قلتُ: مزيدةٌ للتأكيد، ومعنى التأكِيدِ فيها: أن وقت مجيئهم النَّارَ لا محالةَ أن يكون وقتَ الشَّهادة عَليهم، ولا وجْهَ لأنْ يَخلُوَ منها، ومثلُه قولُه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس ١٠/٥١]؛ أي: لا بُدَّ لوقت وقُوعِه من أن يكون وقتَ إيمانهم به.

شهادَةُ الجُلود بالمُلامَسة الحرامِ وما أشبَهَ ذلك مما يُفضِي إليها من المحرَّماتِ.

فإن قلتَ: كيف تشهدُ عليهم أعضاؤهم وكيف تنطِقُ؟

قلتُ: الله عزَّ وجلَّ يُنطِقُها كما أَنطَقَ الشَّجرةَ بأن يَخلُقَ فيها كلامًا.

وقيل: المراد بالجُلُود: الجوارحُ.

وقيل: هي كنايةٌ عن الفُروج.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾

أراد بـ﴿كُلَّ شَيۡءٖ﴾: كُلَّ شيءٍ من الحيوانِ؛ كما أراد به في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢/٢٨٤]: كلَّ شيء من المقدُورات، ....

قوله: **(شهادةُ الجُلود)** مبتدأ. وقوله: **(بالملامَسة)** خبره.

قوله: **(وقيل: هي كناية)** عطفٌ على قوله: "شهادةُ الجُلود"... إلخ؛ لأنَّ ذلك إشارة إلى أنّ المراد بالجُلود[1] هو الحقيقة بالتصريح.

---

[1] ف: بالحلود.

والمعنى: أنَّ نُطْقَنَا ليس بعجَبٍ من قُدرة الله الَّذي قدَر على إنطاق كلِّ حيوان، وعلى خلقِكم وإنشائكم أوَّلَ مرَّةٍ، وعلى إعادتكم ورَجْعِكم إلى جزائِه، وإنَّما قالوا لهُم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لِمَا تعَاظَمَهم من شهادتها وكبُر عليهم من الافتِضاح على ألسِنةِ جوارِحهم.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

المعنى: إنكم كنتُم تَسْتَتِرُونَ بالحِيطانِ والحُجُبِ عند ارتكابِ الفواحش،

قوله: **(مِن شَهادتها)** "مِن" للابتداء. وقوله: **(مِن الافتضاح)** بيان "ما".

قوله: **(عند ارتكاب[1] الفواحش)** تحقيق المعنى في هذا الموضع أن يقول: معنى ﴿كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عند ارتكاب الفواحش، وما كان ذلك الاسْتِتار خوفًا مِن أنّ الله تعالى يعلم ذلك، فيُنطِق جوارحَكم ويأمرها بالشهادة عليكم فتَفتضِحون على رءوس الخلائق، ولكن ظننتم أنّ الله تعالى لا يعلم ذلك، فإذا لم يعلم ذلك لا يُنطِق الجوارحَ ولا يأمرها بالشهادة. فكأنّه قيل: ما كنتم تَظنُّون أن[2] يعلم الله تعالى ذلك، لكن ظننتم[3] أنّ الله تعالى لا يعلم ذلك، فتستَترون مِن الناس، وترتكبون الفواحش آمنين.

وإنّما حملناه على ذلك المعنى لأنّ خوف شهادتها وخوفَ عِلم الله بذلك متقاربان مِن حيث المعنى، متلازمان في الوجود؛[4] لأنّها إنّما تَنطق وتشهد إذا علِمَ الله تعالى ذلك، وكذا نقول: إذا عَلِمَ الله تعالى[5] ذلك منهم أنطقَها ليفضَحَهم[6] جزاءً على فعلهم.

قال الشيخ الإمام فخر الدين الجاربردي[7] رحمه الله:[8] يقول أضعَف عباد الله

---

[1] ن: ارتكان.
[2] ن + لم.
[3] ن: حلتم.
[4] ن: الموجود.
[5] ن - تعالى.
[6] وفي هامش د ف: فضَح يَفْضَحُ.
[7] د: الجابردي.
[8] د - رحمه الله.

وما كانَ استِتَارُكم ذلك خيفةَ أن تشهَد عليكم جوارِحُكم لأنكم كنتُمْ غيرَ عالمينَ بشهادتها عليكم، بل كنتُم جاحِدِين بالبَعث والجزاء أصْلًا، ولكنّكم إنما استَترتم لِظَنّكم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا﴾ كُنتم ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ وهو الخفِيّاتُ من أعمالكُم، وذلك الظنُّ هو الَّذي أهْلَككُم، وفي هذا تنبيهٌ على أنَّ مِن حقّ المؤمنِ أن لا يَذهبَ عنه ولا يَزِلَّ عن ذِهْنِه أنَّ عَليه من الله عَيْنًا كالِئةً ورَقِيبًا مُهَيْمِنًا حتى يكونَ في أوقاتِ خَلوَاتِه من ربِّهِ أهْيَبَ وأحْسَنَ احتِشَامًا وأوْفَر تَحفُّظًا وتصوُّنًا مِنه مع الملأ، ولا يَتبسَّطَ في سرِّه مُراقَبةً من التَّشبُّهِ بهؤلاء الظانِّين، وقرئ: "ولكنْ زعمتُم".

أحمد بن الحسن الجاربردي:[1] هذا المعنى سَنَحَ لنا، فإن كان صوابًا فمِن الله تعالى، وإن كان خطأ فنرجو[2] العفو؛ بل الثوابَ الذي للمجتهد المُخطئ.

قوله: (**خيفةَ أن يشهد**) يشير به إلى أنّ قوله تعالى: ﴿أَن يَشۡهَدَ﴾[3] مفعول له بحذف المضاف.

قوله: (**مِن ربّه أهيَبَ**)... إلخ "مِن ربّه" متعلِّق بقوله: "أهيَب" -كما في قولك: هابَ منه- صِلة له. وقوله: (**احْتشامًا**) أي: مِن ربّه، فحُذف، ولا يجوز أن يقال: إنّ قوله: "مِن ربّه" ممّا تنازع[4] فيه "أهيَب" و"احتشامًا"؛ لأنّ المصدر لا يتقدّمه[5] مَعموله، ولأنّ مَعمول التمييز لا يتقدّم على عامل التميز. وقوله: (**منه**) ممّا تنازع[6] فيه اسما[7] التفضيل،[8] وضميرُه يعود إلى "المؤمن". وقوله: (**مع الملأ**) في مقابَلة قوله: (**في أوقات خَلواتِه**)، فهو مِثل قولك: زيد قائمًا[9] أحسنُ منه قاعدًا، في تفضيل الشيء على نفسه باعتبارَين.

[٣٣٧ظ] قوله: (**مراقبةً**) / مفعول له مِن قوله: (**أهْيَبَ وأحْسنَ... وأوْفرَ**). والحاصل: أنّه يجب أن يكون المؤمِن في الخَلوة ومع الملأ -أي: بين الناس- خائفًا مُحتشِمًا،

---

١ د: الجابردي.
٢ ن: فنرجوا.
٣ ن: يشهدوا.
٤ ف ن: ينازع.
٥ ن: يقدّمه.
٦ ف: ينازع.
٧ ف: أسماء.
٨ ن: التفضّل.
٩ ن: فإنّما.

﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾

﴿وَذَٰلِكُمۡ﴾ رفعٌ بالابتداء و﴿ظَنُّكُمُ﴾ و﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ خبرَانِ، ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلًا من ﴿ذلكم﴾ و﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ الخبرَ.

﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾

﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ﴾ لَم ينفَعْهُم الصَّبْرُ ولم يَنفكُّوا به من الثَّواء في النَّار ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾: وإن يَسألُوا العُتْبى وهي الرُّجُوعُ لهم إلى ما يُحِبُّونَ جَزَعًا ممَّا هُم فيه، لم يُعتَبُوا: لم يُعْطَوا العُتْبى ولم يُجابُوا إليها، ونحوُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم ٢١/١٤].

لكن ينبغي أن يكون هذا المعنى في الخَلوة أشدَّ، للتحرُّز[1] مِن أن تشبّه بهؤلاء الكفّار الظانّين هذا الظنّ. والأَولى أن نقول: "مراقبةً" مفعول له مِن "يكون"، و"لا يتبَسَّطَ"، فإنّ كونه كذا وعدمَ تبسُّطه مُعلَّلان بالمراقبة.

قوله: **(وإنْ يسألوا العُتْبى)** قال في **الصحاح**: «أعتبَني فلان؛ إذا عاد إلى مَسرّتي راجعًا عن الإساءة، والاسم: العُتْبى، ويقال: استَعْتَبْتُ، أي: طَلبتُ[2] أن يُعْتِبَ، تقول: استعتَبْتُهُ فأعْتَبَني، أي: استرضَيتُه فأرْضاني».[3] وقال الواحدي في **الوسيط**: «إن يَسألوا أن يُرجَعَ بهم إلى ما يحبُّون لم يُرجَع؛ لأنّهم لا[4] يستحِقّون ذلك، يقال: أعتَبَني فلانٌ، أي: أرضاني بعد إسخاطه إيّاي، واستَعْتَبْتُه؛ طلبتُ منه أن يُعتِب، أي: يُرضي».[5]

قوله: **(جَزَعًا)** حال، أي: يَسألوا جَزِعين، أو مصدر؛ لأنّ سؤالهم إنّما هو بالجَزَع ممّا هم فيه وللجَزَع، ولا يكون ذلك لتوقّع الإجابة، فإنّهم آيِسون مِن ذلك، قاطِعون[6] بأنّ ذلك لا يكون.

---

١ ن: للتحرّز.

٢ ن: طلب.

٣ **الصحاح** للجوهري، «عتب».

٤ ن: ما.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣١/٤ (فصلت، ٢٤/٤١).

٦ ن: قانطون.

وقرئ: "وإن يُستعتَبوا فما هم من المعْتِبين"؛ أي: إن سُئِلُوا أن يُرضُوا ربَّهُم فما هم فاعِلون؛ أي: لا سبيلَ لهم إلى ذلك.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾: وقدَّرنا لهم، يَعني: لمُشركِي مكَّة، يُقال: "هذانِ ثَوبانِ قَيِّضَانِ": إذا كانا مُتكَافِئيْنِ، والمُقايَضَةُ: المُعَاوَضةُ.

﴿قُرَنَآءَ﴾: أَخدَانًا من الشَّياطين، جَمعُ قرينٍ كقوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٤٣/٣٦].

فإن قلتَ: كيف جاز أن يُقَيِّضَ لهم القُرناءَ من الشياطين وهو يَنْهاهُم عَن اتِّباعِ خُطُوَاتِهم؟

قلتُ: معناه: أنَّه خذَلَهمْ ومَنعَهُم التوفيقَ لتَصميمِهم على الكُفر، فلم يَبقَ لهُم قرناءُ سِوَى الشياطين، والدَّليلُ عليه: ﴿وَمَن يَعْشُ... نُقَيِّضْ﴾.

قوله: **(قَيِّضان)** قايَضْتُ الرجل بكذا مقايضةً؛ عاوَضتُه، ومنه بيع المقايَضة؛ وهو بيع عَرْضٍ بعَرْضٍ، وهما قَيِّضانِ، مثل: بيِّعان.[1]

قوله: **(أخدانًا)**[2] قال في **مجمل اللغة**: «الخِدْنُ: الصاحبُ، وخادَنْتُ الرجلَ مُخادَنةً».[3] وقال[4] في **الصحاح**: «الخِدْن والخَدِين: الصديق».[5]

قوله: **(والدليل عليه)** استدلَّ بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف ٤٣/٣٦] على أنَّ خِذلانه تعالى إيّاهم إنّما كان بسبب تصميمهم على الكفر. يقال: عشَوتُه؛ قصَدْتُه ليلًا، ثمّ صار كلُّ قاصد عاشِيًا،

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قيض»؛ و**المُغرب** للمطرّزي، «قيض».

٢ ن: أخذانًا.

٣ **مجمل اللغة** لابن فارس، «خدن».

٤ ن: قال.

٥ **الصحاح** للجوهري، «خدن». | وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: معناه: أنّه خَذَلهم) فيكون مِن قَبيل الإسناد إلى السبب، فإنّ الخِذلان سبب لأن يجعل الشيطان أو أنفسهم قرناء لهم.

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما تقدَّم من أعمَالهم وما هُم عَازِمُونَ عَلَيْها، أو: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أَمْر الدُّنيا واتِّباعِ الشَّهواتِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أَمْرِ العاقبةِ وأَنْ لا بعثَ ولا حسَابَ.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يَعنِي: كلمةَ العذابِ ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: في جُملةِ أمَمٍ، ومِثْلُ ﴿فِي﴾ هذه ما في قوله:

إن تـكُ عـن أَحْسَـن الصَّنيعَةِ مَأْ ... فُـوكًـا ففِـي آخـريـن قـد أُفِـكُـوا

يُريد: فَأنتَ في جُملة آخرين، أو: فأنتَ في عِدادِ آخرين لَسْتَ في ذلك بأَوْحَدَ.

فإن قلتَ: ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ ما محَلُّه؟

قلتُ: محَلُّه النَّصْب على الحال من الضَّمير في ﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: حقَّ عليهم القَولُ كائنِينَ في جُملة أمَمٍ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ تعليلٌ لاستحقاقهم العذابَ، والضَّميرُ لهُم ولِلأُمَم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ٢٦﴾

قُـرِئَ: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ بفتـح الغيـن وضمِّهـا، يُقـال: لَغـا يَلْغـو ولَغِـي يَلْغَـى،

وإذا[1] صَدَرْتَ عنه إلى غيره قلت: عَشَوْتُ عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف ٤٣/٣٦].[2]

قوله: (**ومِثل ﴿فِي﴾[3] هذه**)... إلخ "هذه" صفة "﴿فِي﴾". وقوله:[4] (**ما**) عبارة عن "في"، فكأنّه قال: مِثلُ ﴿فِي﴾ هذه "في" في قوله... وقوله: (**مأفوكًا**) أي: مصروفًا. أفَكَه يأفِكُهُ أفْكًا، أي: لفَتَه وصَرَفه.[5]

قوله: (**بفتح الغين**)[6] سبعة. وقوله: (**وضمّها**) شاذّ.[7]

---

١ ن: فإذا.

٢ **الصحاح** للجوهري، «عشا».

٣ ن - في.

٤ ن: قوله.

٥ **الصحاح** للجوهري، «أفك».

٦ ن: العين.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن بكر بن حبيب السهمي وعيسى وابن عُمير وأبي حَيوة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٢.

واللَّغوُ: السَّاقِطُ من الكلام الَّذي لا طائلَ تحتَه، قال:

مِـــن الـلَّـغَـا ورَفَــــثِ الـتـكَـلُّـم

والمعنى: لا تَسمعُوا لهُ إذا قُرِئ، وتشاغَلُوا عند قراءته برَفع الأصوات بالخُرافاتِ والهَذَيان والرَّمَلِ وما أشبَه ذلك، حتَّى تُخَلِّطُوا على القارئ وتُشَوِّشُوا عليه وتَغْلِبُوه على قراءته.

كانت قُرَيْشٌ يُوَصِّي بذلك بَعضُهم بعْضًا.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يجُوزُ أن يُرِيدَ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هؤلاء اللاغِينَ والآمِرين لهم باللَّغو خاصَّةً، وأن يذكُر الَّذِين كفرُوا عامَّةً ليَنْطَوُوا تحتَ ذكْرِهم.

وقد ذكرنا إضافةَ ﴿أَسْوَأَ﴾ بِمَا أَغْنَى عن إعادَتِهِ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يومَ بَدْرٍ، و﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ في الآخِرة.

قوله: (مِن اللَّغا[١] ورَفَثِ التكلّم) "اللَّغا":[٢] الصوت، مثل: الوَغَى. وقوله: (وتَشاغلوا) أمرٌ مِن التشاغُل.

قوله: (بالخُرافات) "الخُرافات": هي الموضوعة مِن حديث الليل.[٣] وقوله:[٤] (والرَّمَل)[٥] "الرَّمَل" كالرَّجَز، وأراجيز العرب: ما يقوله الفتيان في الحروب.[٦]

---

١ ن: اللغاء.

٢ ن: اللغاء.

٣ **الصحاح** للجوهري، «خرف».

٤ ن: قوله.

٥ ن: واللرمل. | في بعض مطبوعات **الكشاف**: "الزَّمَل" بالزاي. وفي **لسان العرب** لابن منظور، «زمل»: «والزَّمَل: الرَّجَز؛ قال:

لا يغلبُ النازعُ ما دامَ الزَّمَل
إذا أكبَّ صامِتًا فقد حمَل

قال ابن جنّي: 'هكذا رُوّيناه عن أبي عمرو: الزَّمَل، بالزاي المعجمة، ورواه غيره: الرَّمَل، بالراء أيضًا غيرِ معجمة، قال: ولكلّ واحد منهما صِحّة في طريق الاشتقاق، لأنَّ الزَّمَل الخِفّة والسرعة، وكذلك الرَّمَل بالراء أيضًا'».

٦ وفي هامش د ف: قوله: (بما أغنى) أي: ببحث أغنانا عن أن نُعيده.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الأَسْوأ، ويجبُ أن يكون التقدير: "أسوأَ جزاء الَّذي كانوا يَعْملون" حتى تستقيمَ هذه الإشارةُ.

و﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء، أو خبَرُ مُبتدأ مَحْذوفٍ.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾؟

قلتُ: معناه: أن النَّار في نفْسِها دارُ الخلد؛ كقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، والمعنى: أنَّ رسول الله أسْوةٌ حسنةٌ، وتقولُ: "لكَ في هذه الدَّار دارُ السُّرور"، وأنتَ تعني الدَّارَ بعينها.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾؛ أي: جزاءً بما كانوا يَلْغُون فيهَا، فذَكر الجحُودَ الذي هو سبَبُ اللَّغو.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾

﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ أي: الشَّيطَانَيْنِ اللَّذَيْن أَضَلَّانا ﴿مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ لأنَّ الشيطان على ضربين: جِنّيٌّ وإنسيٌّ، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام ١١٢/٦] وقال: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس ١١٤/٥-٦].

قوله: **(حتّى تستقيم هذه الإشارة)** لأنّه لمّا أخبر عن ذلك بالجزاء في قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ﴾ كان المشار إليه جزاء لا محالةَ، فيجب أن يكون التقدير: [٣٣٨و] أسوأَ جزاءِ الذي؛ ليكونَ[١] الإشارة إلى / ﴿أَسۡوَأَ﴾[٢] إشارةً إلى "الجزاء"، فإنّ اسم التفضيل[٣] إذا أُضيف إلى شيء يَكتسب منه ذلك المعنى.[٤]

---

[١] ن: ليلون.

[٢] ن: لسوء.

[٣] ف: التفضل.

[٤] وفي هامش د ف: قوله: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ ليكونا في الدرك الأسفل مِن النار، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «ليكونا أشدَّ عذابًا منّا». **معالم**. | **معالم التنزيل للبغوي، ١٧٢/٧ (فصلت، ٢٩/٤١).**

وقيل: هما إبليسُ وقابيلُ؛ لأنهما سَنَّا الكُفرَ والقَتلَ بغيْرِ حَقٍّ.

وقرئ: ﴿أَرِنَا﴾ بسُكون الراء لثقَلِ الكَسْرة؛ كما قالُوا في فخِذٍ: فخْذٌ، وقيل: معناهُ: أَعْطِنا اللَّذَينِ أَضلَّانَا. وحَكَوْا عن الخليل: إنَّك إذا قلْتَ: "أَرِنِي ثَوبكَ" بالكسرِ فالمَعنى: بَصِّرْنيهِ، وإذا قلتَه بالسُّكون فهُو استعطاءٌ معناه: أَعْطِني ثوبَك، ونظيرُه: اشتهارُ الإيتاء في معنى الإعطاءِ، وأصْلُه: الإحضَارُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ لتَراخِي الاستقامةِ عن الإقْرار في المَرْتبة وفَضْلِها عليه؛ لأن الاستقَامَة لها الشَّأنُ كلُّهُ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات ٤٩/١٥]، والمعنى: ثُمَّ ثَبَتُوا على الإقرار ومقتَضيَاتِه.

وعن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: استقامُوا فعْلًا كما استقامُوا قولًا.

وعنه: أنَّه تلاها ثمَّ قال: ما تقُولون فيها؟ قالُوا: لم يُذنِبُوا، قال: حمَلتُم الأمْرَ على أَشَدِّه، قالوا: فما تقُولُ؟ قال: لم يَرْجعُوا إلى عبَادة الأوْثانِ.

وعن عُمر رضي الله عنه: استقَامُوا على الطَّريقة لم يَرُوغُوا رَوَغانَ الثَّعالب.

وعن عثمانَ رضي الله عنه: أَخْلَصُوا العَمل.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أَدَّوا الفرائضَ.

قوله: (وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه)...[١] إلخ واعلم أنّ الذي رواه المصنّف عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه[٢] يدلّ على أنّ الإيمان المجرّد عن العمل ينفع صاحبه وإنْ صدر عنه ذنبٌ، وأنّه ممّن مدَحه الله تعالى.[٣]

---

١ د - رضي الله عنه. | لم أجِد مَن نسبه إلى الصدّيق غيره. وهو بغير نسبة في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٨٩/٢٣ (فصلت، ٣٠/٤١).

٢ ن - واعلم أنّ الذي رواه المصنّف عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ قال مجاهد: «لا تخافوا على ما تَقدُمون عليه مِن أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم مِن أهل وولد، فإنّا نخلُفكم في ذلك كُلّه». معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ١٧٣/٧ (فصلت، ٣٠/٤١).

وقال سُفيَانُ بنُ عبد الله الثَّقفيُّ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أَخْبِرني بأَمْرٍ أَعتصِم به، قال: «قُلْ رَبِّي اللهُ ثم استَقِمْ» قال: فقلتُ: ما أَخْوَفُ ما تخافُ عَليَّ؟ فأَخَذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسِه وَقال: «هذا».

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموتِ بالبُشْرى، وقيل: البُشْرَى في ثلاثَةِ مَواطِنَ: عند الموت، وفي القَبْر، وإذا قامُوا من قبُورهم.

﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ ﴿أَنْ﴾ بمَعنى: أيْ، أو مخفَّفةٌ من الثَّقيلة، وأصْلُه: بأنَّه لا تخافُوا، والهاءُ ضميرُ الشَّأنِ، وفي قراءةِ ابن مسعُود رضيَ الله عنه: "لا تخَافُوا"؛ أي: يَقُولُون: لا تخَافُوا.

والخوفُ: غَمٌّ يَلْحَقُ لتَوقُّعِ المكْرُوه، والحزْنُ: غَمٌّ يلحقُ لوقُوعهِ من فوَاتِ نافعٍ أو حصُولِ ضَارٍّ.

والمَعنى: إنَّ الله كتَب لكُم الأمْنَ من كُلِّ غمٍّ فلَنْ تَذُوقُوهُ أَبدًا.

وقيل: ﴿لا تخَافُوا﴾ ما تَقْدَمُونَ عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خَلَّفْتُم.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

كما أن الشَّياطين قُرناءُ العُصَاةِ وإخْوانُهم فكذلك الملائكةُ أولياءُ المتَّقين وأحِبَّاؤُهم في الدَّارَيْن.

﴿تَدَّعُونَ﴾: تتمنَّونَ.

و"النُّزُلُ": رزقُ النَّزِيل وهو الضَّيْفُ، وانتصَابُه على الحالِ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم دعَا إلى الإسْلام ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بَينه وبين رَبِّه، وجعَل الإسلامَ نِحْلَةً لهُ.

قوله: (نِحْلةً) أي: دِينًا ومِلّةً.

وعنه: أَنَّهُم أصحابُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن عائشةَ: ما كنَّا نَشُكُّ أَنَّ هذه الآيةَ نزلت في المُؤذِّنينَ.

وهي عامَّةٌ في كلِّ مَن جَمع بين هذه الثَّلاثِ: أن يكُون مُوَحِّدًا مُعْتقِدًا لِدِين الإِسْلام، عامِلًا بالخَيْر، داعيًا إليه، وما هم إلَّا طَبَقةُ العَالِمِين العامِلين من أهل العدل والتوحيد، الدُّعاةِ إلى دِين الله.

وقولُه: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ليْسَ الغرضُ أنَّه تَكَلَّمَ بهذا الكلامِ، ولكنْ جَعَلَ دينَ الإسلام مذهبَهُ ومُعْتقَدَه؛ كما تَقولُ: "هذا قولُ أبي حنيفة" تُريد مذهبه.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

يعني: أنَّ الحسَنةَ والسَّيِّئةَ مُتفَاوِتَتان في أنفُسهما، فخُذْ بالحَسنة الَّتي هي أَحْسنُ من أُختها إذا اعتَرضَتْك حَسنَتَانِ فادفَع بها السَّيِّئةَ الَّتي تَرِدُ عليْك من بعض أعدائِك.

ومثال ذلك: رجُلٌ أسَاء إليك إساءةً: فالحَسنةُ أن تَعفُوَ عنه، والتي هي أحسَنُ أن تُحسِن إليه مكان إساءتِه إليك، مثلَ أن يَذُمَّكَ فتمْدحَهُ، ويقتلَ وَلَدَك فتَفْتَدِيَ ولدَه من يدِ عَدُوِّه، فإنَّك إذا فعلتَ ذلك انقلَبَ عَدُوُّكَ المُشَاقُّ مثلَ الوليِّ الحميمِ مُصَافاةً لك.

ثمَّ قال: وما يُلقَّى هذه الخليقةَ أو السَّجيَّة التي هي مقابَلةُ الإسَاءةِ بالإحسان إلَّا أهلُ الصَّبرِ، وإلَّا رجُلٌ خيِّرٌ وُفِّق لحظٍّ عظيمٍ من الخيْر.

قوله: **(موحِّدًا)** الأوّل. وقوله: **(عاملًا)** الثاني. وقوله: **(داعيًا)** الثالث.

قوله: **(متفاوِتَتان)** أي: بعض الحَسنة أحسنُ مِن بعضها، وبعضُ السيِّئة أسوءُ مِن بعضها. فالحَسنة في نَفسها متفاوتة،[1] وكذا السيِّئة في نفسها متفاوتة.

قوله: **(مُصافاةً)**[2] تمييز **(مِثل)**.

---

[1] ن: متفاوتتة.

[2] ن: مضافاة.

فإن قلتَ: فهَلّا قيلَ: فادفَعْ بالَّتي هي أحسَنُ؟

قلتُ: هو على تقدير قائلٍ قال: فكيف أَصْنَعُ؟ فقِيل: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وقيل: ﴿لا﴾ مزيدةٌ، والمعنى: ولا تَستوي الحسنةُ والسيّئةُ.

فإن قلتَ: فكان القياسُ على هذا التفسيرِ أَنْ يقال: اِدْفَع بالتي هي حسَنةٌ؟

قلتُ: أجَل، ولكنْ وُضِعَ "التي هي أَحْسنُ" مَوضعَ الحسنة ليكُونَ أبلَغَ في الدَّفعِ بالحَسنةِ؛ لأنَّ مَن دفَعَ بالحُسْنَى هانَ عليه الدَّفْعُ بما دُونها.

وعَن ابن عبَّاس رضي الله عنه: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: الصَّبْرُ عند الغضَب، والحِلْمُ عند الجهْلِ، والعفوُ عند الإساءةِ.

وفُسِّر الحَظُّ بالثَّواب، وعن الحسن: واللهِ ما عَظُمَ حَظٌّ دون الجنَّة.

وقيل: نزلَتْ في أبي سفيان بن حَرْبٍ، وكان عَدُوًّا مُؤذيًا لرسُول الله فصَار وَليًّا مُصَافِيًا.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

"النَّزْغُ والنَّسغُ" بمَعنًى: وهو شِبهُ النَّخْسِ، والشيطانُ يَنْزَغُ الإنسان كأنَّه يَنْخَسُهُ ببَعْثِهِ على ما لا ينبغِي، وجُعل النَّزغُ نازغًا كما قيل: جَدَّ جِدُّهُ، أو أُريدَ: "وإمَّا ينزغنَّك نازغٌ" وصفًا للشيطانِ بالمصْدر، أو لتَسْويلِهِ.

قوله: **(فهلّا قيل: فادفع)** أي: لِمَ لَم تدخل الفاء المفيدة للسببيّة؟

قوله: **(عند الجهل)** أي: عند جَهْل صاحبك، أي: خصمِك وعدوّك.

قوله: **(حظٌّ[1] دون الجنّة)** أي: في مقابَلتها، وبالنظر إليها.

قوله: **(أو أُريدَ)** يعني: يجوز أن يكون النَّزْع بمعنى النازع،[2] وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بـ"النَّزْع" الذي هو بمعنى النازع[3] الشيطانَ أو تَسْويلَه.

---

[1] ن: خظ.

[2] ن: النازغ.

[3] ن - وعلى هذا يجوز أن يكون المراد بالنَّزْع الذي هو بمعنى النازع.

والمَعنى: وإنْ صَرفَك الشيطانُ عمَّا وُصِّيتَ بهِ من الدَّفعِ بالتي هي أحسَنُ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شَرِّه وامْضِ على شأنِك ولا تُطِعْهُ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الضَّميرُ في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ للَّيل والنَّهار والشمسِ والقمرِ؛ لأنَّ حُكمَ جماعةِ ما لا يَعْقل حُكمُ الأُنْثَى أو الإنَاثِ، يقال: الأقْلامُ بريْتُها وبريْتُهُنَّ، أو لمَّا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ كُنَّ في مَعْنى الإناثِ فقيل: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾.

فإن قلتَ: أينَ موضعُ السَّجدة؟

قلتُ: عند الشافعي رحمه الله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وهي روايةُ مَسْرُوقٍ عن عبْدِ الله لذِكْرِ لفظ السَّجَدةِ قبْلَهَا، وعند أبي حنيفةَ رحمه الله: ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾ لأنَّها تمامُ المَعنى وهي عن ابن عبَّاس وابن عمر وسعيد بن المُسيِّبِ رضي الله عنهم، لعَلَّ ناسًا مِنهم كانوا يسجُدُون للشَّمس والقمر -كالصَّابِئِينَ في عبَادتهم الكواكبَ- ويَزعمُون أنَّهم يَقْصِدُون بالسُّجود لهُما السُّجودَ لله، فنُهُوا عن هذه الواسطةِ وأُمِرُوا أن يقصِدوا بسُجُودهم وجْهَ الله خالِصًا إن كانُوا إيَّاه يعبُدون وكانوا مُوحِّدِينَ غيرَ مُشْرِكينَ.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: (**حكمُ الأنثى أو الإناث**) أي: فيجوز خَلقها وخَلقهُنَّ.[١]

قوله: (**أو لمَا قال**) عطفٌ على قوله: (**الضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾**)، يعني: يجوز أن يكون الضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ للشمس والقمر بالاعتبار المذكور، أو على قوله: (**لأنَّ**).

قوله: (**لعلّ ناسًا**) تفسير قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

---

[١] ن - قوله: (حُكمُ الأنثى أو الإناث) أي: فيجوز خَلقُها وخَلقُهنَّ.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ ولـم يَمْتَثِلُوا ما أُمِرُوا به وأَبَوا إلّا الواسِطةَ فدَعْهُـم وشـأنَهم فإنَّ الله عَزَّ سلطانُه لا يَعْدَمُ عَابدًا وسَاجِدًا بالإخلاصِ وله العبادُ المقرَّبُون الَّذينَ يُنَزِّهُونَهُ باللَّيل والنَّهار عن الأَنْداد.

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عبارةٌ عن الزُّلْفى والمَكانَةِ والكرامةِ.

وقرئ: "لا يِسْأَمُون" بكسر الياء.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

"الخشوعُ": التَّذلُّلُ والتقاصُر، فاستُعير لحال الأرض إذا كانت قَحِطَةً لا نباتَ فيها؛ كما وَصَفَها بالهمُودِ في قَوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الحج ٥/٢٢]، وهُو خلافُ وَصْفِهَا بالاهتزازِ والرُّبُوّ -وهو الانْتِفاخُ- إذا أَخصَبَتْ وتَزخرَفَتْ بالنَّباتِ كأنَّها بمَنزلة المُختالِ في زِيِّهِ، وهي قَبْلَ ذلكَ كالذَّلِيلِ الكاسِفِ البالِ

قوله: (فدَعْهم) يعني: أنّ الجزاء محذوف، وأنّ قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ علّة الجزاء.[١]

قوله: (والرُّبُوّ) أي: الارتفاع.

قوله: (الكاسِفِ البالِ) كَسفَتْ[٢] حالُ الرجل، أي: ساءَت، ورجلٌ كاسِفُ البالِ، أي: سيِّءُ الحال، وكاسفُ الوجه، أي: عابس. «أَكْسْفًا[٣] وإمْساكًا»، أي: أعَبُوسًا وبُخْلًا.[٤]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (استُعير لحال الأرض) يعني: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾... الآيةَ استعارة تمثيليّة؛ شُبّه الأرض باعتبار حالتَي خِصْبة وجَدْبة بالشخص باعتبار حالتَي اختياله باللباس وانكسارِه لعدمه، والجامع الارتفاع والانخفاض. ويحتمل أن يكون استعارة تبعيّة في ﴿خَٰشِعَةً﴾ وفي ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾؛ شُبّه تزيين الأرض بالنبات وعدمُ تزيينها لعدم النبات بتزيين الشخص واختياله باللباس وانكسارِه وتذلُّله بعَدم اللباس. ويحتمل أن يكون استعارة بالكناية؛ شُبّهت الأرض في تَزيينها بالنبات وعدمِ تزيينها بعدم النبات بشخص مُتزيّن مُختالٍ باللباس، ومنكسرٍ ذليل خاشع خاضع بعدمِ اللباس، والقرينةُ الخشوع والاهتزاز، اللَّذان هما مِن خواصّ الإنسان.

[٢] ن: لسفت.

[٣] ن: السفا.

[٤] **الصحاح** للجوهري، «كسف». وقوله: «أَكَسفًا وإمساكًا» مَثَل يُضرب لمَن يَجمع بَين عبوس الوَجْه وبُخل اليَد. انظر: **المستقصى** للزمخشري، ١/٢٩٥.

في الأَطْمارِ الرَّثَّةِ.

وقرئ: ﴿وَرَبأَتْ﴾؛ أي: ارتفعَتْ؛ لأنَّ النَّبتَ إذا هَمَّ أَنْ يَظهَر ارتفعَتْ له الأرضُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

يقال: ألحَدَ الحَافِرُ وَلحَدَ: إذا مال عنِ الاستقامة فحَفَر في شِقٍّ، فاستُعِيرت لِلانحِراف في تأويلِ آياتِ القرآن عن جهةِ الصحَّةِ والاستقامةِ.

وقرئ: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ و: ﴿يَلحَدُون﴾ على اللُّغتَيْنِ.

وقولُه: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وعيدٌ لهُم على التَّحرِيف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

فإن قلتَ: بِمَ اتَّصل قولُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾؟

قلتُ: هوَ بدَلٌ من قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، والذكرُ: القرآنُ؛

قوله: **(في الأطْمار) الطِّمْرُ**: الثوب الخَلَق، والجمع: الأطمار.[١] والرِّثَّة: السَّقَط مِن مَتاع البيت مِن الخُلْقان، والجمع رِثَثٌ، مثل: قِرْبة وقِرَب،[٢] والرَّثُّ: الشيء البالي.[٣] فقوله: **(في الأطمار[٤] الرَّثَّةِ)** أي: في الثياب البالية الرديّة.

قوله: **(قلتُ: هو بدَل)**... إلخ اختلفوا في خبر ﴿إِنَّ﴾؛ الجمهور على أنّه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾، وما بينهما اعتراض فيه ذكر المبتدأ. وقيل: خبره[٥] محذوف، وتقديره: إنّ الذين كفروا كفروا بالذِّكر، كفروا[٦] به لمّا جاءهم. وقيل: هَلَكوا. وقيل: خبره ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾؛ لأنّ تقديره: ما يقولون لك، أي: ما يقول لك قومك.[٧]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «طمر».
٢ ن - والجمع: رِثَثٌ، مثل: قِرْبة وقِرَب.
٣ **الصحاح** للجوهري، «رثث».
٤ ن: طمار.
٥ ن: خبر.
٦ ن: لفروا.
٧ ن: وقولك.

لأنّهم لكُفرهم به طعَنُوا فيهِ وحرَّفُوا تأوِيلَه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾؛ أَي: مَنيعٌ مَحمِيٌّ بِحماية اللهِ تعالى.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ مثَلٌ؛ كأنَّ الباطل لا يَتطرَّقُ إليْه ولا يجِدُ إليه سبيلًا مِن جهةٍ من الجهاتِ حتَّى يَصِلَ إليه ويَتعَلَّقَ به.

فإن قلتَ: أمَا طَعَنَ فيه الطَّاعِنُون وتأوَّلَه المُبطِلُون؟

قلتُ: ولكنَّ اللهَ قد تقَدَّم في حمايتهِ عن تعلُّقِ الباطِلِ به بأَنْ قيَّض قومًا عارضُوهُمْ بإبطال تأويلهم وإفسادِ أقاويلهم، فلَم يُخَلُّوا طعْنَ طاعنٍ إلَّا ممحُوقًا، ولا قولَ مُبطِلٍ إلَّا مُضْمحِلًّا، ونحوُه قولُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ١٥/٩].

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾؛ أَي: ما يَقُولُ لك كفَّارُ قومِك إلَّا مِثلَ ما قال للرُّسلِ كفَّارُ قومِهم من الكلماتِ المُؤذيَةِ والمطَاعِن في الكُتُبِ المُنْزَلةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ ورَحْمةٍ لأنبيائهِ ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾ لأعْدائهم.

ويجوز أن يكون: ما يقولُ لك اللهُ إلَّا مِثلَ ما قال للرُّسُلِ من قبْلِك، والمقُولُ هو قولُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ فمِن حقِّهِ أَنْ يَرْجُوَهُ أَهْلُ طاعَتِهِ ويَخافَهُ أهْلُ معْصِيتِه، والغرضُ: تَخْويف العُصاة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

وعلى ما ذَكر المصنِّف لا يحتاج إلى الخبر. وقوله: **(لأنّهم لكفرهم)** هذا بيان أنّه بدَل[١] منه، بدلُ الكلّ، أي: الذين كفروا هم الذين يلحدون.

قوله: **(فلم يُخَلُّوا)** أي: لم يُبْقُوا خاليًا. فهو مِن التَّخلية، لا مِن الإخلال.

---

[١] ن: يدل.

كانوا لِتَعنُّتِهم يقُولُونَ: هلَّا نزلَ القرآن بلُغةِ العَجَم؟ فقيل: لو كان كما يَقْترِحُون لم يَتْركُوا الاعتراض والتَّعنُّتَ وقالُوا: ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾، أي: بُيِّنَتْ ولُخِّصَتْ بلسانٍ نَفْقهُه ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ﴾ الهمزةُ هَمزةُ الإنكار، يَعني: لأَنكَرُوا وقالوا: أَقرآنٌ أعجميٌّ ورسُولٌ عَربيٌّ؟! أو: مُرسَلٌ إليهِ عَربيٌّ؟!

وقرئ: "أَعَجَمِيٌّ". و"الأعجميُّ": الَّذي لا يُفْصِحُ ولا يُفْهَمُ كلامُه من أيِّ جنسٍ كان، و"العجميُّ": منسُوبٌ إلى أمَّةِ العَجم.

وفي قراءة الحسَن: ﴿أَعْجميٌّ﴾ بغيْرِ همْزة الاستفهام عَلى الإخبار بأنَّ القرآنَ أعجميٌّ والمُرسَلَ -أو المرسَلَ إليه- عَربيٌّ.

والمَعنى: أنَّ آياتِ الله على أيِّ طريقةٍ جاءتهُم وَجَدُوا فيها مُتَعَنَّتًا؛ لأنَّ القوم غيرُ طالبينَ للحقِّ وإنما يَتَّبِعُون أهواءَهُم.

قوله: (والتَّعَنُّتَ) العَنَتُ:[١] المَشقَّة والشِّدَّة، وأعنته إعْناتًا؛ أوقعه في العَنَت، وفيما / يشُقّ تحمُّله، ومنه تعنَّتَه في السؤال؛ إذا سأله على جهة التلبيس، وتعنُّتُ الشاهدِ أن يقول القاضي: أين كان هذا؟ ومتى كان؟ وأيّ ثوب كان عليه حين تحمَّل الشهادة؟ وحقيقتُه طلبُ العنَت له.[٢] [٣٣٨ظ]

قوله: (وقُرئ: "أَعَجَمِيٌّ") شاذٌ.[٣]

قوله: (وفي قراءة الحسَن) مِن السبعة.[٤]

قوله: (على الإخْبار) وهذا الإخبار إنَّما يكون بطريق الطَّعْن والإنكار.

قوله: (وجدوا فيها) الضمير في "فيها" يعود إلى "الآيات"، أي: في أمرها وشأنها.

---

١ ن - العنت.

٢ المُغرب للمطرّزي، «عنت».

٣ بهمزة واحدة وفتح العين، قراءة شاذّة، مرويّة عن عمرو بن ميمون. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٢.

٤ القراءة بهمزة واحدة هو أحد الأوجُه الصحيحة المَروِيّة عن كلٍّ مِن قُنبل عن ابن كثير وهشام عن ابن عامر ورُويس عن يعقوب، ورُوي عنهم كذلك القراءة بهمزتين، وبذلك قرأ باقي العشرة، وهم في الهمزة الثانية على أصولهم مِن التحقيق والتسهيل والإبدال وإدخال ألِف بين الهمزتين وعدمه. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٦/١.

ويجوز في قراءة الحسن: هَلَّا فُصِّلَتْ آياتُه تَفْصِيلًا فجُعِل بعضُها بَيانًا لِلعَجم وبعضُها بَيانًا للعَربِ.

فإن قلتَ: كيفَ يَصِحُّ أَن يُرادَ بالعَربيّ المُرسَلُ إليْهم وهم أُمَّةُ العَربِ؟

قلتُ: هو على ما يَجِبُ أَن يقع في إنكار المُنكِرِ لَو رَأَى كتابًا عَجَميًّا كُتِبَ إلى قومٍ من العرَبِ، يقُول: أكتابٌ عجميٌّ ومكتوبٌ إليه عَربيٌّ؟! وذلك لأن مبنَى الإنكار على تَنافُر حالَتَي الكتابِ والمكتُوبِ إليهِ، لا عَلَى أنَّ المكتوب إليه وَاحدٌ أَوْ جماعةٌ فوَجب أَن يُجرَّد لِمَا سِيقَ له من الغَرَض ولا يُوصَلَ به ما يُختيَلُ غرَضًا آخَر.

ألَا تَراك تقُولُ وقد رأيتَ لبَاسًا طويلًا على امرأةٍ قَصيرةٍ: "اللِّباسُ طَويلٌ واللَّابسُ قصيرٌ"، ولو قلتَ: "واللَّابِسةُ قصيرةٌ" جئتَ بما هو لُكْنَةٌ وَفُضُولُ قَولٍ؛ لأن الكلام لم يقع في ذكُورةِ اللَّابسِ وأُنوثتِه إنَّما وَقع في غرَضٍ وَرَاءَهُما.

﴿هُوَ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿هُدَى وَشِفَآءٌ﴾؛ أي: إِرْشَادٌ إِلَى الحقِّ وشِفاءٌ لِمَا في الصدور من الظنِّ والشك.

قوله: **(ويجوز في قراءة الحسَن: هلّا فُصِّلت)**... إلخ، فيكون قوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ مِن غير همزة الاستفهام بيانًا لقوله: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَتُهُۥ﴾، فكأنّه قيل: والتفصيل أنْ يكون بعضُه أعجَميًّا وبعضه عربيًّا. وأمّا على القراءة بهمزة الاستفهام فلا يتأتّى هذا المعنى؛ لأنّ الهمزة فيه تدلّ على إنكار كونه أعجميًّا وعربيًّا بالمعنى المذكور، وإنّما قال: "يجوز"... إلخ لأنّه لا يتعيّن لذلك، لاحتمال أن يكون المعنى على ما ذُكر آنفًا.

قوله: **(فإن قلتَ: كيف يصحّ؟)** وجه السؤال: أنّه لمّا ذكر أنّه[١] يجوز أن يُراد بقوله: ﴿عَرَبِيٌّ﴾ المرسَلُ إليه، اتّجه أن يقال: المرسَل إليهم جماعة جَمَّةٌ، وقوله: ﴿عَرَبِيٌّ﴾ مفرد، فكيف يصحّ أن يُراد بهذا المفردِ الجمعُ؟

قوله: **(أي: القرآن)**... إلخ في تفسيره لفّ ونشر.

---

[١] ف + لا.

فإن قلتَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ منقَطِعٌ عن ذكر القرآنِ فما وجهُ اتِّصالِهِ به؟

قلتُ: لا يخلو: إمَّا أن يكون ﴿الذين لا يُؤمنُون﴾ في مَوضع الجرِّ معطوفًا على قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على معنى قولك: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ وهو للَّذين لا يُؤمنون في آذانِهم وَقرٌ، إلَّا أنَّ فيه عطفًا على عامِلَين وإن كانَ الأَخفشُ يُجيزُه.

وإمَّا أن يكون مرفوعًا على تقدير: "والذين لا يؤمنون هو في آذانِهم وقرٌ" على حَذفِ المُبتدأ، أَو: "في آذانِهم منه وَقرٌ".

قوله: (**قلتُ: لا يخلو**)[1] أجاب[2] عن هذا السؤال بأنّه متّصل بذكر **القرآن** بعَود الضمير، وبيّنه مِن وجهين.

قوله: (**إلّا أنّ فيه عطفًا**) استثناء منقطِع متعلِّق بقوله: (**في موضع الجرّ عطفًا**)،[3] وهذا الكلام كالردّ لهذا الوجه؛ لأنّ فيه عطفًا على عاملَين مختلفَين، فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾[4] عطف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾. وقوله: "هو" المقدَّر عطفٌ على "هو"[5] العائدِ إلى **القرآن**، ومثلُه غير جائز عند سيبَوَيه. والأصوب في تقرير العطف على عاملَين فيه أن يقال: ﴿ٱلَّذِينَ﴾[6] عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾،[7] وَ﴿وَقْرٌ﴾ عطفٌ على ﴿هُدًى﴾؛ بل هذا متعيّن في تقرير هذا العطف. وقوله: (**وإن كان الأخفش يُجيزه**) في معنى قولك: هذا الوجه ضعيف وإن كان الأخفش يُجيزه؛[8] لأنّ الدليل دلّ على ضَعفه، وقد منعه سيبويه. والمختار قوله، فإنّ القول ما قالت حَذامِ.[9]

---

١ ن: يخلوا.

٢ ن: إيجاب.

٣ في مطبوع **الكشّاف**: "معطوفًا".

٤ ف ن: الدين.

٥ ن: هذا.

٦ ف: الدين.

٧ ف: الدين.

٨ ن - في معنى قولك: هذا الوجه ضعيف وإن كان الأخفش يُجيزه.

٩ انظر: **شرح كتاب سيبويه للسيرافي**، ١/٣٣٨؛ و**ارتشاف الضرَب لأبي حيّان**، ٤/٢٠١٥.

وقرئ: "وهو عليهم عمٍ" و: "عَمِيَ" كقوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [هود ٢٨/١١].

﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ يعني: أنّهم لا يقبلُونه ولا يُرْعونه أسماعَهم، فمَثَلُهم في ذلك مَثَلُ مَن يُصَيَّحُ به من مسافةٍ شاطّةٍ لا يُسمَعُ من مثلِها الصَّوتُ فلا يُسمَعُ النِّداءُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فقال بعضهم: هو حقٌّ، وقال بَعضُهم: هو باطلٌ.

والكلمةُ السَّابقة: هي العِدَةُ بالقيامةِ، وأنَّ الخصُوماتِ تُفصَل في ذلك اليومِ، ولولا ذلك لقُضِي بينَهُم في الدُّنيا، قال اللهُ تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر ٤٦/٥٤]، ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل ٦١/١٦].

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: فنفسَه نفَع، ﴿فَعَلَيْهَا﴾: فنفسَه ضَرَّ.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيُعذِّبَ غيرَ المُسيءِ.

قوله: (وقُرِئ: "وَهُوَ عَلَيهِم عَمٍ"[١] و"عَمِيَ")[٢] "عَمٍ"، أي: مُشكِل، يقال: عَمِيَ عليه الأمر، أي: التَبَس. والقراءة المشهورة: ﴿عَمًى﴾ بفتح الميم مُنوَّنًا، أي: ذو عَمًى، والمعنى: عَمِيَتْ قلوبُهم عنه. وقوله:[٣] "عَمِيَ" فعل ماضٍ.[٤]

قوله: (شاطّة) أي: بعيدة.

قوله: (﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [النحل ٦١/١٦]) استشهادٌ آخر.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٣.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الضحّاك. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٣.

٣ ن: قوله.

٤ وفي هامش د ف: قوله: (فمَثَلُهم في ذلك) أي: في عدم القَبول والسماع. يعني: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ استعارة تمثيليّة، شُبّه حالهم في عدم قَبول القرآن والذهولِ عنه بحال مَن يُنادَى مِن مكان بعيد، كما أنّ ذاك الشخص لا يقبل ما ينادَى به لغفلته عنه كذلك الكفّار لا يقبلون القرآن، ولا يلتفتون إليه.

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨﴾

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: إذا سُئِل عنها قِيل: اللهُ يَعلم، أو: لا يَعلمُها إلّا الله.

وقرئ: "مِن ثَمَراتٍ من أكمامِهِنَّ".

و"الكِمُّ" بكسر الكافِ: وعاءُ الثَّمرةِ كَجُفِّ الطَّلْعَةِ؛ أَي: وما يحدُثُ شيءٌ من خُروجِ ثمَرةٍ ولا حَملِ حاملٍ ولا وَضْعِ واضِعٍ إلّا وهُو عالِمٌ بهِ، يَعلمُ عددَ أيَّامِ الحمل وساعاتهِ وأَحوالِهِ: من الخِداج والتمامِ، والذُّكورَةِ والأُنوثةِ، والحُسْنِ والقُبْحِ، وغيرِ ذلك.

﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾ أَضافهم إليه على زَعْمِهم، وبيانُه في قوله: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص ٦٢/٢٨ و٧٤] وفيهِ تهكُّمٌ وتَقْريعٌ.

قوله: (**كجُفِّ**[١] **الطَّلْعة**) جُفُّ الطَّلْعة: وعاؤه.[٢]

قوله: (**وما يحدُث**) "ما" للنفي.

قوله: (**مِن الخِداج**) خَدَجتِ الناقةُ تَخْدِج خِداجًا فهي خادِج، والولد خَديجٌ؛ إذا أَلْقَتْه قبل تمام الأيّام وإن كان تامَّ[٣] الخَلْق، وفي الحديث: / «**كُلّ صلاة لا يُقرأ** فيها بأُمّ الكتاب[٤] **فهي خِداج**»،[٥] أي: نقصان.[٦] ويقال: **أَتَمّت الحُبْلى فهي مُتِمّ؛ إذا** تمَّتْ أيّامُ حملها، وولَدتْ لِتمامٍ وتِمامٍ، ووُلِد المولود لِتَمامٍ وتِمامٍ.[٧] **ويظهر لك** ممّا ذكرنا أنّ في الكلام لفًّا ونشرًا، فقوله:[٨] (**الخِداج والتَّمام**) **متعلّق** بـ(**عدد أيّام الحَمل وساعاته**). وقوله: (**الذُّكورة**)...[٩] إلخ[١٠] متعلّق بقوله: (**أحوالَه**). [٣٣٩و]

---

١ ن: لحف.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «جفف».

٣ ن: تمام.

٤ ن: القرآن.

٥ صحيح مسلم، ٢٩٦/١ (٣٩٥)؛ سنن أبي داود، ١١٣/٢ (٨٢١).

٦ **الصحاح** للجوهري، «خدج».

٧ **الصحاح** للجوهري، «تمم».

٨ ن: وقوله.

٩ ن: المذكورة.

١٠ ن + متعلّق بقوله: (المذكورة)... إلخ.

﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾: أَعْلَمناكَ ﴿مَامِنَّامِن شَهِيدٍ﴾؛ أي: ما مِنَّا أحدٌ اليومَ -وقد أبْصَرنا وسمِعْنا- يشهَدُ بأنَّهم شركاؤُك، وما مِنَّا إلَّا مَن هو مُوحِّدٌ لك.

أَو: ما مِنَّا من أحدٍ يُشاهِدُهم؛ لأنهم ضلُّوا عَنهم وضَلَّتْ عنهم آلِهتُهم لا يُبْصِرُونهَا في ساعةِ التَّوبِيخِ.

وقيل: هو كلامُ الشركاء؛ أي: ﴿مَامِنَّامِن شَهِيدٍ﴾ يَشهَدُ بما أضَافُوا إلينَا مِنَ الشِّركة.

ومَعنى ضَلَالِهِمْ عنهُم على هذا التفسيرِ: أَنَّهُم لا يَنفعُونهم فكأنَّهُم ضَلُّوا عنهم.

﴿وَظَنُّواْ﴾: وأيقنُوا، و"المحيص": المَهرَبُ.

فإن قلتَ: ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ إخبارٌ بإيذانٍ كان منهم، فإذ قد آذَنُوا فلِم سُئِلوا؟

قلتُ: يجُوزُ أَن يُعَادَ عليهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ إعادةً للتَّوبيخ، وإعادتُه في القرآن على سبيلِ الحكايةِ دليلٌ على إعادةِ المَحكي.

ويجوز أن يكون المعنى: أنَّك علمتَ من قلُوبِنا وعَقائدِنا الآنَ أَنَّا لا نشهَد تلك الشهادةَ الباطِلة؛ لأنَّه إذا عَلِمه من نفُوسهم فكأنَّهُم أَعلمُوهُ.

ويجوزُ أن يكون إنشاءً للإيذانِ ولا يكونَ إخبارًا بإيذانٍ قد كان؛ كما تقول: أُعلِمَ الملكُ أنه كان من الأمر كيْتَ وكيتَ.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله: (**وقد أبْصرنا وسمِعنا**) جملة معترِضة.

قوله: (**وقيل: هو كلام الشركاء**) عطفٌ[١] على جملة قوله: (**أي: ما مِنّا**)... إلخ.

قوله: (**ويجوز أن يكون إنشاءً**) كان الجوابان الأوّلان مبنيَّين على تسليم أنّه إخبار، وهذا إشارة إلى منع كونه إخبارًا. وقوله: (**قد كان**) صفة (**إيذانٍ**)،[٢] و"كان" بمعنى "وقع".[٣]

---

[١] ن: وعطف.

[٢] ن: اديان.

[٣] وفي هامش د ف: قوله: (فكأنّهم أَعلَموا) ويحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر السبب وإرادة المُسبَّب، فإنّ الإعلام مستلزِم وسببٌ للعلم، ويحتمل أن يكون المجاز في الإسناد مِن قَبيل الإسناد إلى السبب.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾: من طلبِ السَّعة في المال والنِّعمة، وقرأ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: "من دعاءٍ بالخَيْر".

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: الضِّيقَةُ والفَقْرُ ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ بُولِغَ فيه من طَريقين: مِن طريق بناء فعُولٍ، ومن طريق التكرير.

و"القُنُوط": أَن يَظهَر عليه أَثَرُ اليأسِ فيَتضاءلَ وينكسرَ؛ أي: يقطعُ الرجاءَ مِن فَضل الله ورَوْحِه، وهذه صِفةُ الكافر بدليلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٧].

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠﴾

وإذا فرَّجنَا عنه بصحَّةٍ بعد مَرضٍ أو سَعةٍ بعدَ ضِيقٍ قال: ﴿هَٰذَا لِي﴾؛ أي: هذا حقِّي وصَل إليَّ لأنِّي استَوْجَبْته بما عندي من خَيْرٍ وفَضْلٍ وأَعمالِ برّ، أو: هذا لي لا يَزُولُ عنِّي، ونحوهُ قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف ٧/١٣١].

ونحوُ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الجاثية ٤٥/٣٢]، يريدُ: وما أظُنُّها تكُونُ فإن كانت -على طريق التوهُّم- ﴿إِنَّ لِي﴾ عند الله الحالةَ الحُسْنى من الكرامةِ والنِّعمة، قائِسًا أمرَ الآخِرة على أمر الدنيا.

وعن بعضهم: للكافر أُمنيتَانِ: يَقُول في الدُّنيا: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾، ويقُول في الآخرة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ ٧٨/٤٠].

وقيل: نزلَت في الوليد بن المُغيرة.

قولـه: **(مِـن طلـبِ السَّـعة)** أي: لا يَمَلُّ الكافر مِن طلبِ السَّعة في المال والنِّعمة، أي: جُلُّ همِّه مقصور على طلَب حُظوظ الدنيا.

قوله: **(ونحوُ قولِه تعالى)** مبتدأ، خبرُه قوله: (**﴿إِن نَّظُنُّ﴾** **[الجاثية ٤٥/٣٢]**).

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: فلنُخبِرَنَّهُم بحَقِيقةِ ما عَمِلوا من الأعمَال الموجِبة للعذاب، وَلنُبصِّرنَّهُم عكسَ ما اعتَقدُوا فيها أَنَّهم يَسْتَوجِبُون عليها كرامةً وقُربةً عِند الله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٣/٢٥]، وذلك أنّهم كانوا يُنفِقُون أموالَهم رئاءَ النَّاسِ وَطلبًا للافتخار والاستكبارِ لا غيرُ، وكانوا يحسَبُونَ أنَّ ما هُم عليه سبَبُ الغِنَى والصحَّةِ، وأَنَّهم مَحْقُوقُونَ بذلك.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ٥١﴾

هذا أيضًا ضربٌ آخَر من طغيانِ الإنسانِ: إذا أصَابهُ اللهُ بنعمةٍ أَبطَرَته النِّعمةُ وكأنّه لم يلقَ بُؤسًا قطُّ، فنسِيَ المُنعِمَ وأعرَض عن شُكره ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؛ أي: ذهبَ بنفسهِ وتكبَّر وتعظَّم، وإن مسَّهُ الضُّرُّ والفَقر: أَقْبلَ على دوام الدعاء وأخذَ في الابتهالِ والتضرُّع.

وقد استُعير العَرْضُ لكثرة الدعاء ودَوامِهِ وهو من صفة الأجْرام، ويُستعَار له الطُّولُ أيضًا كما استُعير الغِلَظُ لشدَّة العذابِ.

قوله: (**فلَنخْبِرَنَّهم**) مِن الإخبار. وقوله: (**ولَنُبَصِّرنَّهم**) هذا كالبيان لقوله: "فَلَنُخبِرَنَّهم". وقوله: (**فيها**) أي: فيما عمِلوا.[١] وقوله: (**أنّهم يستَوجِبون**)... إلخ مفعول (**اعتقَدوا**) إنْ[٢] كان "ما" مصدريّة، وإن كانت موصولةً فمفعول[٣] "اعتقَدوا" محذوف، وهو العائد إلى "ما". وقوله: (**أنّهم**)... إلخ بدَل منه، أو مِن "ما"، أو خبر مبتدأ محذوف،[٤] أي: هو أنّهم.

قوله: (**﴿وَقَدِمْنَا﴾ [الفرقان ٢٣/٢٥]**) استشهاد.

قوله: (**وكانوا يَحسِبون**)... إلخ ولذلك[٥] الحِسبان قالوا: ﴿هَٰذَا لِى﴾، وقالوا: ﴿لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف ١٣١/٧].

---

١ ن: غملوا.
٢ ن: وإن.
٣ ن: فمحذوف.
٤ ف: محدوف.
٥ ن: وكذلك.

وقرئ: ﴿ونِأَى بجانبهِ﴾ بإمالة الألف وكسرِ النون للإتباع، و: ﴿ناءَ﴾ على القلب كما قالوا: "رَاءَ" في "رَأى".

فإن قلتَ: حقِّقْ لي معنى قولِه تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أن يوضَع "جانبهُ" موضِعَ نفسِه كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٣٩/٥٦] أنَّ مكان الشيءِ وجهتَه يُنزَّلُ منزلةَ الشيء نفسِهِ، ومنه قولُه:

وَنـفَـيـتُ عـنـه مـقـامَ الـذِّئْـب

يريدُ: ونفيتُ عنه الذئبَ.

ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦]، ومنه قول الكتَّابِ: "حضرةُ فلانٍ" و: "مجلسُه"، و: "كتبتُ إلى جهتِه" و: "إلى جانبه العزيزِ" يريدونَ نفسَه وذاتَه،

قولـه: **(أنّ مكان)**... إلخ مفعول **(ذكَرْنا)** إنْ كانت "ما" مصدريّة، وبدلٌ[1] إن كانت موصولة، أو خبر على ما مرّ في الحاشية عن قريب، وعلى هذا[2] يكون كناية.[3]

قوله:

(ونَـفَـيْـتُ عـنـه مـقـامَ الـذئـب)

يُشير إلى قوله:

ومـاءٍ قـد وَرَدتُ لِـوَصـلِ أروَى عليه الطيرُ كـالـوَرَق الـلَّجِيـنِ
ذَعَـرْتُ بـه القَطا ونَـفَـيـتُ عنه مـقـامَ الـذئـبِ كـالرَّجـل الـلَّعيـنِ[4]

"اللَّجِين"[5] -بفتح اللام وكسر الجيم-: الخَبَطُ، وهو ما سقَط مِن الورق، واللُّجَين: الفِضّة، وهو ممّا جاء مُصغّرًا، كالثُّريّا والكُمَيت.[6]

---

١ ن: وبذل.
٢ وفي هامش د: أي: على هذا الوجه.
٣ ف - وعلى هذا يكون كناية.
٤ للشمّاخ بن ضرار في ديوانه، ص ٣٢١.
٥ ن: اللحلين.
٦ الصحاح للجوهري، «لجن».

فكأنَّه قال: ونأى بنفسِه؛ كقولهم في المتكبِّر: "ذهبَ بنفسه" و: "ذهبَتْ به الخيلاءُ كلَّ مذهبٍ" و: "عَصَفَتْ به الخُيلاءُ".

وأَنْ يُراد بجانبهِ: عِطفُه، ويكونَ عبارةً عن الانحِرافِ والازْوِرَار؛ كما قالوا: "ثَنى عِطفَه" و: "تولَّى برُكنِه".

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أنَّ ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبهِ ليس بأمرٍ صادر عن حجَّة قاطعةٍ حصَلْتُم منها على اليقين وثَلَجِ الصُّدُور، وإنَّما هو قَبْلَ النظرِ واتِّباعِ الدليل أمرٌ مُحتملٌ يجوز أَن يكون من عند اللهِ وأن لا يكون من عندهِ، وأنتم لم تَنظُروا ولم تَفحَصُوا، فما أنكرتُم أن يكونَ حقًّا وقد كفرتُم به، فأخبِرُوني مَن أضَلُّ منكم وأنتُم أبعَدتُم الشَّوطَ في مُشاقَّتهِ ومُناصَبتهِ ولعَلَّه حقٌّ فأهلكتُم أنفسَكم؟

وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ موضوعٌ موضِعَ "مِنكم" بيانًا لحالِهِمْ وصِفتهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: ما يَسَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله

قوله: (وثَلَجِ الصدور) ثَلَجَتْ نفسي -بالفتح- تَثلِجُ -بالكسر- ثُلوجًا؛ اطْمأنَّتْ، عن أبي عمرو، وثَلِجتْ نفسي -بالكسر- تَثْلَجُ[١] ثَلَجًا لغة فيه، عن الأصمعي.[٢]

---

[١] ن: ثلج.

[٢] الصحاح للجوهري، «ثلج». | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «يعني: وقائعَ الله في الأمم؛ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يومَ بدر». وقال مجاهد والحسن والسُّدّي: «﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ ما نفتح مِن القُرى على محمّد صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين؛ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فتح مكّة». وقال عطاء وابن زيد: «﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ يعني: أقطار السماء والأرض مِن الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار؛ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مِن لطيف الصَّنعة وبديع الحكمة». **معالم**. | **معالم التنزيل للبغوي**، ١٧٩/٧ (فصلت، ٥٣/٤١).

صلى الله عليه وسلم وللخلفاءِ مِن بعدِه ونُصّارِ دِينه في آفاق الدُّنيا وبلاد المشرقِ والمغرب عمومًا، وفي باحَةِ العَرب خصُوصًا، مِن الفتُوح التي لَم يتيسَّرَ أَمثالُها لأحَدٍ من خلفاء الأرض قبلَهُم، ومنَ الإظهارِ على الجبَابرة والأكاسِرة، وتغليبِ قليلهم على كثيرِهم، وتسليطِ ضِعافهِمْ على أقويائهم، وإجرائه على أَيْديهم أُمورًا خارجةً من المَعهُود خارقةً للعاداتِ، ونَشرِ دعوة الإِسْلام في أقطار المعمُورة، وبَسْطِ دولتهِ في أَقَاصيها، والاستقراءُ يُطْلِعك في التواريخ والكتُب المُدوَّنة في مَشاهد أهْلِه وأيَّامِهم على عجائب لا تَرى وقعةً من وقائعِهم إلَّا عَلَمًا من أعلامِ الله وآيةً من آياته يقوَى معَها اليَقينُ ويَزدادُ بها الإيمانُ، ويتبيَّن أنَّ دين الإسلام هو دينُ الحقِّ الذي لا يَحِيدُ عنهُ إلَّا مكابرٌ حِسَّهُ مُغالطٌ نَفْسَه، وما الثباتُ والاستقامةُ إلَّا صفةُ الحقِّ والصدق، كما أنَّ الاضطرابَ والتزلزُلَ صفةُ الفِريَةِ والزُّورِ، وأن للباطل ريحًا تخفِقُ ثم تسكنُ ودَولةً تَظهر ثم تَضمحِلُّ.

﴿بِرَبِّكَ﴾ في مَوضع الرفع على أنّه فاعلُ "كفَى"، و﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدَلٌ منه، تقديرُه: أَوَلم يَكْفِهم أنَّ ربَّك على كلِّ شيءٍ شهيدٌ.

ومَعناه: أنَّ هذا الموعُودَ من إظهار آياتِ الله في الآفاق وفي أَنفُسهم سيَرَونَه ويُشاهِدُونه فيَتبيَّنُون عند ذلك ....

قوله: **(وفي باحة العرب)** الباحة: الساحة، وباحة الدار: ساحتها.[1]

قوله: **(وتَغليبِ)** أي: مِن تغليب.

قوله: **(أمورًا خارجةً)** مفعول **(إجرائه)**.

قوله: **(لا ترى)** جملة مستأنَفة لبيان قوله: **(والاستقراءُ)**... إلخ.

قوله: **(تَخفِقُ)** الخَفَقان: حركة العَلَم.

قوله: **(ومعناه)** أي: معنى قوله: **﴿سَنُرِيهِمْ﴾** إلى قوله: **﴿شَهِيدٌ﴾**.

قوله: **(فيتبيَّنون)** هو معنى قوله: **﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾**.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «بوح».

أنَّ القرآن تنزيلُ عالمِ الغيبِ الذي هو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: مطَّلِعٌ مهَيْمِنٌ يستوي عنده غَيْبُه وشَهادتُه، فيكفيهم ذلك دليلًا على أنّه حقٌّ وأنَّه مِن عندِه، ولو لم يكنْ كذلك لَمَا قوِيَ هذه القوَّةَ، ولَمَا نُصِر حامِلُوه هذه النُّصرَةَ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾

وقرئ: "في مُرْيَة" بالضم وهي الشكُّ.

﴿مُّحِيطٌ﴾ عالمٌ بجُمَلِ الأشياء وتفَاصِيلها وظوَاهرِها وبواطِنهَا فلا تخفَى عليه خافيةٌ منهم، وهو مُجَازِيهِم على كُفرهِم ومِرْيَتِهِم في لقاءِ رَبِّهم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرَأَ سورةَ "حم السجدة" أعطاه الله بكُلِّ حرفٍ عشرَ حسناتٍ».

قوله: (غَيْبُه)[1] أي: غيبُ[2] كلّ شيء وشهادته. وقوله: (فيكفيهم) مُرتّب على قوله: (أنّ هذا الموعود)... إلخ.[3] وقوله: (ذلك) أي: رؤية هذا الموعود ومشاهدته. فقوله: "فيَكفيهم" هو معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾. وقوله: "ذلك" إشارة إلى معنى قوله: ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، فتأمّل، فإنّه لطيف.

[٣٣٩ظ] قوله: (ولو لم يكن كذلك) أي: مِن / عندِه.

تمّت السورة بحَمد الله تعالى[4] ومَنّه وكرمه.[5]

---

١ ن: عيبه.
٢ ن: عيب.
٣ ن + وقوله: (ذلك) أي: رؤية هذا الموعود... إلخ.
٤ ن: تعلى.
٥ ف - السورة بحمد الله تعالى ومنّه وكرمه؛ ن - ومنّه وكرمه.

سورة عسق

مكيةٌ، وتسمَّى: سورةَ الشورى، وهي ثلاثٌ وخمسون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾

قرأ ابنُ عباسٍ وابن مسعود رضي الله عنهما: "حم سق".

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: مِثلَ ذلك الوحيِ أو مثلَ ذلك الكتابِ يُوحِي إليك ﴿وَإِلَى﴾ الرُّسل ﴿مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ يَعني: أن ما تضمَّنته هذه السُّورةُ من المعاني قد أَوحى اللهُ إليك مثلَه في غيْرِهَا من السُّورِ، وأَوْحَاه من قبلِك إلى رُسُلِهِ، على مَعْنى: أَنَّ الله تعالى كرَّرَ هذه المعَانيَ في القرآن وفي جميع الكتُب السماويَّة لِمَا فيها من التَّنْبيه البَليغِ واللُّطف العظيم لعبادِهِ من الأوَّلينَ والآخِرين، ولم يقُل:

سورة حمٓ[1] عٓسٓقٓ[2]

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[3]

قوله: (أي:[4] مثلَ ذلك الوحْيِ)... إلخ يعني: يجوز أن يكون "الكاف" في ﴿كَذَٰلِكَ﴾[5] صفة مصدرٍ محذوف، أو صفة مفعولٍ به محذوفٍ، وذلك يختلف

---

[1] ف ن – حم.

[2] وهي سورة الشورى. انظر: **البرهان** للزركشي، ٢٦٩/١.

[3] ف ن – وبه نستعين.

[4] ن: أو.

[5] ن: لذلك.

"أوحَى إليك" ولكنْ على لفظِ المضارع ليَدُلَّ على أنَّ إيحاءَ مثلِهِ عادتُه.

وقرئ: ﴿يُوحَىٰ إليك﴾ على البناء للمفعُول.

فإن قلتَ: فما رافعُ اسمِ الله على هذه القراءةِ؟

قلتُ: ما دَلَّ عليه ﴿يُوحَىٰ﴾؛ كأنَّ قائلًا قال: مَن المُوحِي؟ فقيل: اللهُ؛ كقراءةِ السُّلميِّ: "وكذلك زُيِّن لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤُهم" [الأنعام ١٣٧/٦] على البناء للمفعول ورَفعِ "شُركاؤُهم" على معنَى: زيَّنَهُ لهُم شُركاؤُهم.

فإن قلتَ: فمَا رافعُه فيمَن قرَأ: "نُوحي" بالنون؟

قلتُ: يرتفع بالابتداء و﴿ٱلْغَفُورُ﴾ وما بعده أخبار، أو ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتانِ

باختلاف الإشارة في "ذلك"، فإن كان إشارةً إلى "الوحي" فمصدرٌ، أو إلى "الكتاب" فمفعول به.[1]

قوله: (**ليدلّ على أنّ إيحاء مِثْلِه**[2] **عادَتُه**)[3] ولأنّ الإيحاءَ[4] كان مستمِرًّا[5] عند[6] نزول هذه السورة وبعدها، فالفعل المضارع مناسب لهذا المعنى، لا الماضي.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾ قول الزمخشري: (ولم يقل: أوحَى إليك، ولكن على المضارع)... إلخ، غرض المصنّف رحمه الله أنّه إنّما عُدل عن الماضي إلى المضارع للدلالة على الاستمرار؛ لأنّ التعبير عن الماضي بالمضارع على خلاف مقتضى الظاهر فلا بدّ لِنُكتة، وهي هذا الذي قلنا مِن الاستمرار، فإنّه إذا عُبّر عن الشيء الواقع في الزمان الماضي بالمضارع دلّ على أنّ الواقع في الماضي ثابت موجود في الحال، فيلزم الاستمرار، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة ١٥/٢] استُفيد الاستمرار مِن الجملة الاسميّة، لا مِن المضارع، فإنّه على تقدير اسم الفاعل أيضًا يدلّ على الاستمرار، لكن غرضه أنّه إنّما أتى بصيغة المضارع ليدلّ على التجدّد، فالاستمرار يختلف بحسب المقامات، تارة يُستفاد مِن الجهة الاسميّة، وتارة مِن كونه على خلاف مقتضى الظاهر، وتارة مِن غيرهما بحسب المقامات، تأمّل في كلام الزمخشري في أوّل سورة البقرة، فإنّه يُفهم منه ما قلنا، فإنّه يريد الفرق بين الفعل والاسم.

[2] وفي هامش د ف: أي: الكتاب والوحي.

[3] ن: عادته مثله. | وفي هامش د ف: أي: الله.

[4] ن: الإيجاد.

[5] ف + عنده.

[6] ن: عنده.

والظَّرفُ خَبَرٌ.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قرئ: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء، و: ﴿يَنفطِرْنَ﴾ و: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

وروى يُونُس عن أبي عمرٍو قراءةً غَريبةً: "تَتَفطرنَ" بتاءَيْن مع النون، ونظيرُها حَرفٌ نادِرٌ رُوِيَ في "نَوادِرِ" ابن الأعرابيّ: "الإبلُ تَتَشَمَّمْنَ".

ومعناهُ: يكَدْنَ يَنْفطِرْنَ من عُلوِّ شأنِ الله وعظمتهِ، يدُلُّ عليه مجيئُه بعد ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقيل: من دُعَائِهم له وَلدًا؛ كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم ١٩/٩٠].

فإن قلتَ: لمَ قال: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾؟

قلتُ: لأنَّ أَعْظمَ الآياتِ وأدَلَّها على الجَلالِ والعظمةِ فَوقَ السَّماواتِ،

قوله: **(والظرف)** أي: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.[١]

قوله: **(قراءةً غريبةً)**[٢] لأنّ جمع المؤنّث الغائب إنّما يكون بالياء لا بالتاء، والوجه في مثل هذا تأكيدُ التأنيث كتأكيد الخطاب في قولك: أرأيتك.[٣] الشاذّ على وجوه؛ شاذّ عن القياس، وشاذّ عن الاستعمال مع موافقة القياس، وشاذّ عنهما، وهذا مِن قَبيله.

قوله: **(فوقَ السماوات)** خبر "أنّ"، أي: مستقِرَّةٌ فوق السماوات، ولهذا قال: "وهي[٤] العرش"... إلخ.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى في حم عسق: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: كلّ منها يَنفطر فوق التي يليها مِن قول المشركين: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة ٢/١١٦]. ونظيره في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ [مريم ١٩/٨٨-٩٠]. **معالم**. | **معالم التنزيل** للبغوي، ٧/١٨٤ (الشورى، ٤٢/٥).

[٢] ف: غريبةٌ؛ ن: عربية. | انظر: **مختصر شواذ القرآن** لابن خالويه، ص ١٣٤.

[٣] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء ١٧/٦٢].

[٤] ن: وهو.

وهي: العرشُ والكُرسِيُّ، وصُفوفُ الملائكة المُرتَجَّةُ بالتَّسبيحِ والتَّقدِيس حولَ العرش، وما لا يَعلَمُ كُنْهَه إلَّا الله تعالى من آثار ملكوته العُظمى، فلذلك قال: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾؛ أي: يَبْتدئُ الانفِطارُ من جهتِهِنَّ الفوقانيَّة، أو: لأنَّ كلمة الكُفر جاءَتْ من الذين تحتَ السَّماوات فكان القياسُ أن يقال: يَنفَطِرْنَ من تحتهنَّ من الجهة التي منها جاءت الكلمةُ، ولكنَّه بُولِغ في ذلك فجُعِلتْ مُؤثِّرةً في جهَة الفوق كأنه قيل: يَكَدْن يَنْفَطِرْن من الجهةِ التي فوقَهُنَّ دَع الجهةَ التي تحتَهُنَّ، وَنظيرُه في المبَالغة قولُه عزَّ وعَلا: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج ٢٢/١٩-٢٠] فجُعِل الحميمُ مُؤَثِّرًا في أَجزائهم الباطِنَةِ.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾: من فوق الأَرَضِينَ.

فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يَستغفِرُوا لمن في الأَرض وفيهِم الكفَّارُ أعداءُ الله، وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة ٢/١٦١] فكيف يكونُون لاعِنِين مُسْتَغفِرين لهم؟

قلتُ: قولُه: ﴿لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يدلُّ على جنسِ أهلِ الأرض، وهذهِ الجِنسِيَّةُ قائمةٌ في كلِّهِم وفي بعْضِهم، فيجوزُ أن يُراد به هذا وهذا.

وقد دَلَّ الدَّليلُ على أَنَّ الملائكةَ لا تَستغْفِرُ إلَّا لأوليَاء اللهِ وهُم المؤمِنون،

قوله: **(وهي العرش)**... إلخ "هي" عائد إلى **(أعظم الآيات)**، وإنّما أنّثها لأنّ "أعظم" بمعنى الآية، أو باعتبار الخبر، وهو "العرش والكُرسيّ والصفوف وما لا يَعلم"...

قوله: **(المُرْتجَّةِ)** ارتجَّ البحر وغيره؛ اضطرب.[1] وقوله: **(حولَ العرش)** متعلّق بـ"الصفوف" أو "المرتجَّة" أو "التسبيح" أو "التقديس".[2]

قوله: **(﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ مِن فوقِ الأرَضِين)** وعلى الوجهين المتقدّمَين كان الضمير لـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾.

قوله: **(وقد دلّ)** يعني: خُصّ العامُّ بهذا الدليل. وقوله: **(ألا ترى)** بيان الدليل.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «رجج».

٢ ن: والتقديس.

فما أرادَ اللهُ إلَّا إيَّاهُم، ألَا تَرَى إلى قولِهِ تعالى في سُورةِ المؤمنِ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر ٧/٤٠] وحكايتِهِ عنهم: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر ٧/٤٠] كيف وصَفُوا المستَغْفَرَ لهُم بما يُستَوجَبُ به الاستغفَارُ، فما تركوا لِلَّذين لـم يَتوبُوا من المُصَدِّقين طمعًا في استغفَارِهم، فكيف للكفَرةِ؟

ويَحتمِلُ أن يقصِدُوا بالاستغفارِ: طلبَ الحِلْم والغُفرانِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ إلى أن قالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر ٤١/٣٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد ٦/١٣] والمرادُ: الحِلمُ عَنهم، وأنْ لَا يُعَاجِلَهُم بالانتِقام فيكونَ عامًّا.

فإن قلتَ: قد فسَّرْتَ قولَه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بتَفْسيرَين، فما وَجْهُ طبَاقِ ما بَعدَهُ لهُما؟

قلتُ: أمَّا على أحَدِهما فكأنه قيل: تكادُ السَّماواتُ يَنفطِرنَ هَيْبةً من جلالِه واحْتِشَامًا من كبريائه، والملائكةُ الذين هُم مِلءُ السَّبْعِ الطِّباق وحَافُّونَ حوْلَ العرش صُفوفًا بعد صُفوف يُداوِمُونَ خُضُوعًا لعَظمتِه على عبَادتِه وتَسبِيحِهِ وتحميدِه، ويَسْتَغْفِرُونَ لمَن في الأرضِ خَوفًا عَلَيْهم من سَطْوَاتِهِ.

قوله: **(وحِكايته عنهم: ﴿فَٱغْفِرْ﴾ [غافر ٧/٤٠])** **أي: قائلًا: فاغْفِرْ، أو هو** متعلّق بالحكاية؛ لأنّه في معنى القول.

قوله: **(فما تركوا للذين[1] لم يتوبوا)** وهذا بناء على مذهبه. **وأمّا عند أهل** السنّة والجماعة فيستغفرون للمُصدِّقين وإن لم يتوبوا عن ذنوبهم.[2] **ومعنى قوله:** ﴿تَابُوا۟﴾ [غافر ٧/٤٠] أي: تابوا مِن الشِّرك.

قوله: **(في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾ [فاطر ٤١/٣٥]) أي**: المذكورَين أو الواقِعَين في قوله تعالى.

قوله: **(فيكون عامًّا)** بالنصب عطفٌ على **(يقصِدوا)**، وبالرفع على **(يحتمل)**.[3]

---

١ ن + أي.

٢ ن + ومعنى قوله: تابوا عن ذنوبهم.

٣ ن – قوله: (في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾ [فاطر ٤١/٣٥]) أي: المذكورين أو الواقعين في قوله تعالى. قوله: (فيكون عامًّا) بالنصب عطفٌ على (تقصِدوا)، وبالرفع على (يحتمل).

وأمَّا على الثَّاني فكأنَّه قيل: يكَدْنَ يَنْفَطِرْنَ من إقْدَامِ أهل الشِّرك على تلك الكلمة الشَّنعَاء، والملائكةُ يُوحِّدُون الله وينزِّهُونَه عمَّا لا يجوز عليه من الصِّفات التي يُضِيفُها إليه الجاهِلُون بهِ حامِدين له على ما أوْلاهم من ألطافِه التي عَلم أنَّهم عندَها يَسْتَعصِمُون مُختارِين غيرَ مُلْجَئِين، ويَستغفِرُون لمؤمني أهل الأَرض الذين تَبرَّؤُوا مِن تلك الكلمة ومن أَهْلها.

أو يطْلبُون إلى ربِّهم أن يَحْلُمَ عن أهل الأرض ولا يُعَاجِلَهُم بالعقاب مع وُجُودِ ذلك فيهم؛ لِمَا عَرفُوا في ذلك من المصَالح، وحرصًا على نجاةِ الخلْقِ، وطمعًا في توبَةِ الكفَّار والفُسَّاقِ منهُم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

قوله: **(يستعْصِمون)** الاستعصام بناء مبالغة يدلّ[١] على الامتناع البليغ والتحفّظِ الشديد، كأنّه في عصمةٍ، وهو يجتهد في الاستزادة.[٢] والمصنّف يشير بهذا الكلام إلى أنّ الله تعالى إنّما يَلطف[٣] بمَن يَعلم أنّ اللُّطف ينفع فيه، فلمّا علم أنّ اللُّطف ينفع في الملائكة منحهم اللُّطف، ولمّا علمَ أنّه لا ينفع في المشركين منعهم ذلك، وهذا مبنيّ على مذهبه.

قوله: **(مُختارِين)** يعني: أنّ غيرهم ممَّن لم يمنحهم اللُّطف لا يَحمدونه[٤] إلّا إذا ألجأهم إلى ذلك، والطاعة التي تكون بالإلجاء لا بالاختيار لا تكون مقبولة ولا مُعتدًّا بها، فلذلك لم يمنَحْهم اللُّطف. ويريد بيان وجه اختصاص الملائكة باللطف دون هؤلاء الكفّار، يعني: إذا لم ينفع فيهم اللطف[٥] لم يمنحهم لكونه عبثًا في حقّهم.

[٣٤٠و] / قوله: **(مع وجود ذلك فيهم)** أي: تلك الكلمة وأهلها.

قوله: **(في ذلك)** أي: في حِلْمِ[٦] الله تعالى عنهم، أو في طلبهم ذلك.[٧]

---

١ ف: تدلّ.

٢ ف: الاسترادة.

٣ ن: يلفظ.

٤ ن: يجدونه.

٥ ن – دون هؤلاء الكفّار، يعني: إذا لم ينفع فيهم اللُّطف.

٦ ف ن: حكم.

٧ وفي هامش د ف: قوله: (لا رقيبَ عليهم إلّا هو وحدَه) الحصر مستفاد مِن مجموع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: جعلوا له شركاء وأندادًا ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رَقيبٌ على أَحوالهم وأعمالِهم لا يَفُوتُه منها شيءٌ، وهو محَاسِبُهم عليهَا ومعَاقبُهم لا رقيبَ عليهم إلَّا هُو وَحْدَه ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد بموَكَّلٍ بهِم ولا مُفوَّضٍ إليك أمرُهُم ولا قسْرُهم على الإيمانِ؛ إنما أنتَ مُنْذِرٌ فحَسْب.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾

ومثلَ ذلك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، و"ذلك" إشارةٌ إلى مَعْنى الآية قبلَها: من أنَّ الله تعالى هو الرقيبُ عَليهم وما أنتَ برقيبٍ عليهم ولكن نَذيرٌ لهم؛ لأنَّ هذا المعنى كرَّرهُ اللهُ في كِتابه في مَواضعَ جَمَّةٍ، فالكاف مَفعولٌ بهِ لـ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ من المفعول به؛ أي: أَوْحَيناه إليك وهو قرآنٌ عربيٌّ بَيِّنٌ لا لَبسَ فيهِ عَليكَ لتَفهَم ما يقالُ لك ولا تتجاوَزَ حدَّ الإنذارِ.

ويجوز أن يكون "ذلك" إشارةً إلى مَصدرِ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾؛ أي: ومِثلَ ذلك الإيحَاءِ البَيِّن المُفْهِم أَوْحَينا إليكَ قُرآنًا عربيًا بلسَانِك.

﴿لِّتُنذِرَ﴾ يُقَالُ: "أَنذَرتُه كذَا" و: "أنذَرْتُه بكذا"، وقَد عُدِّيَ الأوَّلُ -أَعنِي: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾- إلى المفعول الأوَّل، والثاني وهو قوله: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ إلى المفعول الثاني.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: أَهلَ أمِّ القُرَى؛ كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ١٢/٨٢].

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِن العَرب.

قوله: (**ويجوز أن يكون "ذلك" إشارة إلى مصدر**) وعلى هذا الوجه يكون "الكاف" مصدرًا، و﴿قُرْءَانًا﴾ مفعول به.[1]

قوله: (**﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب**) قال في **الوسيط**: «﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ قُرى الأرض[2] كلُّها».[3]

---

[1] ن - يكون "الكاف" مصدرًا، و﴿قُرْءَانًا﴾ مفعول به. قوله: (﴿وَمَن﴾).

[2] ن: للأرض.

[3] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٤٣ (الشورى، ٤٢/٧).

وقرئ: "لِيُنذِرَ" بالياء والفِعلُ للقرآنَ.

﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾: يومُ القيامة؛ لأنَّ الخلائِق تُجمَعُ فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾ [التغابن ٩/٦٤].

وقيل: يُجْمَع بَين الأَرواحِ والأَجسادِ.

وقيل: يُجمَع بين كلِّ عاملٍ وعَملِه.

و﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ اعتراضٌ لا محَلَّ له.

قرئ: ﴿فَرِيقٌ﴾ و: "فَريقًا" بالرفع والنصب، فالرفعُ على: مِنهم فريقٌ ومِنهم فريقٌ، والضَّميرُ للمَجمُوعِينَ؛ لأنَّ المَعنى: يومَ جمْعِ الخلائِق، والنَّصبُ على الحالِ منهم؛ أي: مُتفرِّقين؛ كقولِه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم ١٤/٣٠].

فإن قلتَ: كيف يكُونون مجمُوعِين مُتفرِّقين في حَالةٍ واحدةٍ؟

قلتُ: هُم مَجمُوعُونَ في ذلك اليوم مَع افتِراقِهم في دارَي البُؤسِ والنَّعيم؛ كما يَجتمعُ النَّاسُ يومَ الجمعة مُتفرِّقِينَ في مَسْجدَيْنِ.

قوله: (**لأنّ الخلائق**) متعلّق بمحذوف، أي: سمّي "يوم الجَمع" لأنّ...

قوله: (**قُرئ: ﴿فَرِيقٌ﴾[1] ﴿وَفَرِيقٌ﴾**)[2] أي: كِلا اللفظين.

قوله: (**والضمير للمجموعَين**) أي: الضمير في "منهم" المحذوفِ عائدٌ إلى المجموعَين المحذوف مِن ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾؛ لأنّ المعنى: يومَ جَمع الخلائق، فالخلائق هم المجموعون.

قوله: (**والنصب على الحال**) أي: يومَ جَمعهم، فهو حال مِن مفعول ﴿ٱلۡجَمۡعِ﴾ المحذوفِ.

قوله: (**متفرّقين في حالة واحدة**) فإنّ التقدير: يومَ جمعهم متفرّقين، على ما عُلم مِن كلامه.

---

[1] وفي هامش د ف: أي: ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾.

[2] وفي هامش د ف: ﴿فِي ٱلسَّعِيرِ﴾. | قراءة الرفع هي القراءة المتواترة. وقراءة النصب شاذّة مرويّة عن زيد بن علي. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٣٢٤/٩ (الشورى، ٧/٤٢).

وإن أُرِيد بالجَمع: جَمعُهم في الموقفِ، فالتَّفرُّقُ على مَعنى مُشارَفتِهم لِلتَّفرُّق.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: مُؤمِنينَ كلُّهُم على القَسْر والإكراه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة ١٣/٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس ٩٩/١٠] والدَّليلُ على أنَّ المعنَى هو الإلجاء إلى الإيمان قولُه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٩٩/١٠]، وقولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ بإدخال همزةِ الإنكار على المُكرِه دُون فعلِهِ دليلٌ على أن الله وحده هو القادرُ على هذا الإكراهِ دُون غيْرِه، ....

قوله: (وإن أريدَ) هذا هو الجواب الثاني، يعني: يكونون مجتمعين مشرفين على التفرّق. والمعنى على هذا ظاهر.

قوله: (على القَسْرِ)[1] متعلّق بـ"جعل"، أي: لجعلهم مؤمنين قاسِرًا لهم على الإيمان. وهذا إشارة إلى مذهبه، وهو أنّ الله تعالى يريد مِن جميع[2] الخلائق أن يكونوا مؤمنين مخلِصين باختيارهم، لكن منهم مَن لا يؤمِن باختياره، ولو أراد أن يؤمنوا بالقَسر والإلجاء لَقَسَرهم على الإيمان، وألجأهم إلى ذلك، لكن لم يُرِدْ ذلك منهم؛ لأنّ الإيمان والعملَ الاختياري يوجب الثواب، لا القسري، فإرادته تعالى تابعة لحِكمته، لا لقُدرته وقَهره وعظمته، فلزمه أن لا يكون كفر الكافر بإرادته تعالى،[3] فيلزم وقوع خلاف إرادته تعالى.

وأمّا أهل السنّة والجماعة فبريئُون مِن هذا، ويقولون: جميع الكائنات بإرادته تعالى، ولو أراد مِن الكافر الإيمان على أيّ وجه أراد لكان كما أراد، لكن أراد مِن الكافر الكفرَ، ومِن المؤمِن الإيمانَ، ويُعاقب الكافرَ، ويُثيب[4] المؤمِنَ، يفعل الله ما يشاء ويَحكم. وما ذكر المصنّف واستدلّ به لا يدلّ شيء منه على مذهبه.

---

١ ن: العسر.
٢ ن: بجميع.
٣ ف - تعالى.
٤ ن: ويثيب.

والمعنى: ولو شاءَ ربُّكَ مشيئةَ قُدرةٍ لقَسَرهُم جميعًا على الإيمان، ولكنَّه شاءَ مَشيئةَ حكمةٍ فكلَّفَهُم وبَنى أمرَهم على ما يختَارُونَ؛ ليُدْخِلَ المؤمنينَ في رحمتِه -وهم المرادُون بـ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ألا ترى إلى وَضْعهم في مُقابلة الظَّالمين- ويترُكَ الظَّالمين بغَيْر وليٍّ ولا نَصيرٍ في عذابه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾

معنى الهمزةِ في ﴿أَمِ﴾ الإنكارُ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: هو الَّذِي يجبُ أَن يُتولَّى وحدَه ويُعتَقَدَ أنَّه المولَى والسَّيدُ، فالفاءُ في: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ جوابُ شرطٍ مقَدَّرٍ؛ كأنَّه قيل بَعد إنكارِ كلِّ وَليٍّ سواه: إنْ أرَادُوا وليًا بحقٍّ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ بالحقِّ لَا وليَّ سواه ﴿وَهُوَ يُحْيِ﴾؛ أي: ومن شأنِ هذا الوليِّ أنَّه يُحْيي الموتَى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهُوَ الحقيقُ بأن يُتَّخذَ وليًا دُون مَن لا يقْدِرُ على شيءٍ.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ حكايةُ قولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمُؤمنينَ؛ أي: ما خالَفكم فيه الكُفَّارُ من أهلِ الكِتابِ والمشركين ....

قوله: (ولكنَّه شاءَ[1] مشيئةَ حكمةٍ) يعني: إرادته تعالى تابعة لحكمته، وليست تابعةً لقدرته وقهره وعظمته.

قوله: (معنى "الهمزة" في ﴿أَم﴾) يريد: أنَّ ﴿أَم﴾ هذه منقطعة بمعنى "بل والهمزة"، فمعنى "الهمزة" التي في ضِمنها الإنكار.[2]

قوله: (حكايةُ قول رسول الله للمؤمنين) اللام في "للمؤمنين" متعلّق بالقول، فكأنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم[3] قال للمؤمنين هذا الكلام مخاطِبًا لهم، فحكى الله تعالى ذلك في القرآن المجيد.

---

١ ن: سائر.
٢ ن: للإنكار.
٣ د: عليه السلام.

فاختلَفتُم أَنتُم وهُم فيهِ مِن أمرٍ مِن أمُور الدِّين فحُكمُ ذلك المختَلَف فيهِ مُفوَّضٌ إلى اللهِ تعالى، وهو إثابةُ المُحِقِّين فيه من المؤمنينَ ومُعاقبةُ المُبطِلين.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الحاكمُ بينَكم هو ﴿ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في ردِّ كَيْد أعداءِ الدِّين ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ أرجِعُ في كفايةِ شرِّهم.

وقيل: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ وتنازَعْتُم من شيءٍ من الخصُومات فتحاكَمُوا فيهِ إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم ولا تُؤثِرُوا على حُكومتهِ حكومَةَ غيرِهِ؛ كقَوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء ٥٩/٤].

وقيل: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ مِن تأويلِ آيةٍ واشتَبَهَ عَليكم فارجِعُوا في بيانهِ إلى المُحكَمِ من كتابِ الله، والظاهِر من سُنَّةِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: ومَا وقَع بيْنكُم الخلافُ فيه من العُلوم التي لا تَتَّصل بتكليفِكم ولا طريقَ لكُم إلى عِلمه فقُولُوا: "اللهُ أَعلَمُ" كمَعرفةِ الرُّوح، قال الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء ٨٥/١٧].

فإن قلتَ: هل يجوزُ حَملُه على اختلافِ المجتَهِدين في أحكام الشريعةِ؟

قولـه: **(المحِقِّين فيه)** "فـي"[1] متعلِّق بـ"المحِقّ"،[2] والضمير عائد إلى "المختلَف فيه".

قولـه: **(وقيل: وما اختلفتم فيه)** وعلى هذا لا يكون حكايةَ كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛[3] بل يكون خطابًا مِن الله تعالى للناس.

قولـه: **(لا تتصل بتكليفكم)** أي: لا يتوقّف عليه شيء ممّا كُلِّفتم به. وإنّما قيّد بذلك لأنّ ما تعلّق به شيء مِن التكليفات لا بدّ أن يكون دليلٌ متينٌ قائمًا عليه مِن الكتاب أو / السنّة أو الإجماع أو القياس. [٣٤٠ظ]

قولـه: **(كمعرفة الروح)** وكأمرِ القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت ٤٧/٤١].

---

[1] ن - في.

[2] ن: بالمحقق.

[3] د: عليه السلام.

قلتُ: لا؛ لأنَّ الاجتِهادَ لا يجوزُ بحَضرةِ الرَّسول صلى الله عليه وسلم.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرئ بالرَّفع والجرّ، فالرفعُ على أنه أحَدُ أَخبارِ **﴿ذَٰلِكُمُ﴾**، أو خَبرُ مبتدأ محذوفٍ، والجرُّ على: فحكمُه إلى اللهِ فاطرِ السَّماوات، و**﴿ذَٰلِكُمُ﴾** إلى **﴿أُنِيبُ﴾** اعتراضٌ بين الصفة والموصوفِ.

﴿جَعَلَ لَكُم﴾: خلَقَ لكم **﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾**: مِن جنسكم مِن الناس **﴿أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾**؛ أي: وخَلقَ من الأنعام أَزْواجًا، ومعناهُ: وخلق للأنعامِ أيضًا من أنفُسِها أزواجًا.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يُكثِّرُكم؛ يُقالُ: ذرأَ اللهُ الخلقَ: بثَّهُم وكَثَّرهُم، والذَّرُّ والذَّرْوُ والذَّرءُ: أخَواتٌ.

قوله: (**قلتُ: لا؛ لأنَّ الاجتهاد**)... إلخ فيه بحثٌ؛ لأنّ المختار أنّه جائز، كما اجتهد أبو بكرٍ رضي الله عنه بحضوره، وقال: «لاها الله، إذًا لا نَعْمِد إلى أَسَد مِن أُسُد الله يقاتل عن الله فنعطِيَك سَلَبَه»،[1] وكما اجتهد سعد في شأن بني قريظة، فحكمَ بقتل رجالهم وسَبْيِ نسائهم وذراريهم.[2] ومنه قول معاذ: «أجتهد رأيي».[3] إلى غير ذلك، كاختيار الفداء والقتل في أُسارى بدر،[4] فإنّ كلًّا منهم قالوا في حضور الرسول ما[5] ظَهَرَ لهم، ولا شكّ أنّه كان بالاجتهاد.

قوله: (**قُرئ بالرفع والجرّ**) الرفع[6] مِن السبعة، والجرّ مِن الشاذّة.[7]

---

١ انظر: **صحيح البخاري**، ٩٢/٤ (٣١٤٢)؛ و**صحيح مسلم**، ١٣٧٠/٣ (١٧٥١).

٢ انظر: **صحيح البخاري**، ١١٢/٥ (٤١٢٢)؛ و**صحيح مسلم**، ١٣٨٨/٣ (١٧٦٨).

٣ انظر: **سنن أبي داود**، ٤٤٣/٥ (٣٥٩٢)؛ و**سنن الترمذي**، ٩/٣ (١٣٢٧).

٤ انظر: **مسند أحمد**، ٣٣٤/١ (٢٠٨)؛ و**صحيح مسلم**، ١٣٨٣/٣ (١٧٦٣).

٥ وفي هامش د ف: الذي.

٦ ن: والرفع.

٧ ن: الشاذ. | مرويّة عن زيد بن عليّ. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٣٢٥/٩ (الشورى، ١١/٤٢).

﴿فِيهِ﴾: في هذا التَّدبير وهو أنْ جعَل للناسِ والأنعامِ أزواجًا حتى كان بينَ ذكُورِهم وإناثهم التَّوالُدُ والتَّناسُلُ، والضميرُ في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يَرجِعُ إلى المخاطَبين والأنعامِ مُغلَّبًا فيه المخاطبُون العقلاءُ على الغُيَّبِ مما لا يَعقِل، وهي من الأَحكامِ ذاتِ العِلَّتَيْنِ.

فإن قلتَ: ما مَعْنى "يَذْرؤكم في هذا التَّدبير"، وهَلَّا قيل: يَذرَؤُكم به؟

قلتُ: جُعِلَ هذا التَّدبيرُ كالمَنبَعِ والمَعْدِنِ للبَثِّ والتَّكثير، ألا تَراك تقولُ: للحَيوان في خلقِ الأَزْواجِ تكثيرٌ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة ٢/١٧٩].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قالوا: "مِثْلُك لا يبخَل" فنَفَوا البُخلَ عن مثلهِ وهُم يُرِيدُون نفيَه عن ذاته، قصَدُوا المبَالغَة في ذلك فسَلكُوا به طريقَ الكِناية؛ لأنَّهم إذا نفَوهُ عمَّن يَسُدُّ مسدَّهُ وعمَّن هُو على أَخصِّ أَوْصَافِه فقد نَفَوْه عَنه، ونظيرُه قَولك للعَربيّ: "العَرب لا تُخفِرُ الذِّمَم" كان أبلغَ من قولك: "أنتَ لا تُخفِر".

ومنه قولُهم: "قَد أَيْفعتْ لداتُهُ وبلغَت أَترابُه" ....

قوله: **(ذاتِ العلّتين)** يعني: للإتيان بضمير المخاطَبين العُقلاء هنا عِلّة مركّبة مِن أمرين: **إحداهما:**[1] تغليب العقلاء على غيرهم. **والثانية:** تغليب المخاطَبين على الغَيَب.[2]

قوله: **(لا تُخْفِرُ) الخُفْرةُ: العهد، والإخْفار: إبطال العهد.**[3]

قوله: **(ومنه قولهم: "قد أيفعَتْ لِداتُه")**[4] ومنه بيت **الحماسة:**

أعاذِلُ ما عُمري وهل لي وقد[5] أتَتْ لِداتي[6] على خمس وستّين مِن عُمري[7]

---

١ ن: أحدهما.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (كالمَنْبَع) فإنّ كون الشيء مَنبعًا للشيء يدلّ على زيادة قوّة ذاك الشيء وكثرته.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خفر».

٤ ن: لذاته.

٥ ن: قد.

٦ ن: لذاتي.

٧ ن: لعمري. | انظر: **شرح الحماسة** للفارسي، ٣/٢٤. وهو في **الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ٦/٢٧٩، بلفظ:

أعاذِلُ ما عُذري عليّ وقد أتت... البيتَ

يُريدُون: إيفاعَه وبُلوغَه.

وفي حديث رُقيقَة بنتَ [أبي] صَيْفيّ في سُقيَا عبد المُطّلب: "ألَا وفيهم الطَّيِّب الطَّاهرُ لِذاتُه"، والقصدُ إلى طَهارتِهِ وطِيبِهِ، فإذا عُلِم أنه من باب الكِناية لم يقَع فرقٌ بين قوله: "ليس كالله شيءٌ" وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إلّا ما تُعطِيه الكنايَةُ من فائدتها، وكأنَّهما عبارتَان مُعتقِبَتَانِ على معنًى واحدٍ: وهو نفيُ المُماثَلةِ عن ذاتِهِ، ونحوُه قولُه عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤/٥] وأنَّ معناه: بل هُو جَوادٌ، من غيرِ تَصوُّرِ يَدٍ ولا بَسْطٍ لها؛ لأنَّها وقعَت عبَارةً عن الجُود لا يقصِدُونَ شيئًا آخَر، حتى إنَّهُم استعمَلُوهَا فيمَن لا يَد له، فكذلك استُعمِل هذا فيمَن له مِثلٌ ومَن لا مِثلَ له.

ولك أن تَزعُم أنَّ كلمة التَّشبيه كُرِّرت للتأكيد؛ كما كرَّرَها مَن قال:

والمعنى: يا عاذلةُ، أيّ شيء عُمري؟ وهل لي مِن عُمُرٍ[1] -أي: هل بقي لي عُمُر- وقد أتتْ لِداتي[2] على خمس وستّين؟

قوله: (**يريدون: إيفاعَه**) اليَفاع: ما ارتفع مِن الأرض، وأيفَعَ[3] الغلام: ارتَفَع، فهو يافِع، ولا يقال: مُوفِع،[4] وهو مِن النوادِر.[5]

قوله: (**وفي حديث**) أي: قولِ.

قوله: (**في سُقْيا عبد المطّلب**) سَقَّيْتُ فلانًا وأسقَيْتُه بمعنًى؛ إذا قلتَ له: سَقْيًا، وسَقاه الله الغيثَ وأسقاه، والاسم: السُّقيا.[6]

قوله: (**الطاهر لِذاتُه**) أراد به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم،[7] والقَصدُ إلى طهارته وطِيبه.

---

١ ن: عمري.

٢ ن: لذاتي.

٣ ن: وارتفع.

٤ ن: موقع.

٥ **الصحاح** للجوهري، «يفع».

٦ **الصحاح** للجوهري، «سقى». | وفي هامش د ف: قوله: (ولك أن تَزعُمَ أنّ كلمة التشبيه كُرِّرت)... إلخ على **الوجه الأوّل**: معنى "المِثل" ليس مرادًا؛ بل ذكر وأريدَ مَلْزومه ومَتبوعه. وعلى **الثاني**: مراد على طريق التكرير والتأكيد.

٧ د: عليه السلام.

وصَـالِـيَـاتٍ كـكَـمـا يُـؤَثْـفَـيْـنْ

ومَن قال:

فـأصبَـحَـتْ مِـثـلَ كعصفٍ مـأكُـولِ

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾

وقرئ: "ويُقَدِّر".

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ فإذا عَلِم أنَّ الغِنَى خيرٌ للعَبْد أغناهُ وإلَّا أفقَرَهُ.

قوله:

(وصـالـيـاتٍ كَـكَـمـا[1] يُـؤَثْـفَـيْـن)

أوّله:

لـم يبـقَ مِـن آيٍ بهـا يُحلَّيْـن   غـيرُ رمـادٍ وحُـطـامٍ[2] كِـنْـفَـيْـن[3]
وغيـرُ وَدٍّ جـاذِلٍ أوْ وَدَّيْـن   وصـالـيـاتٍ كَـكَـمـا[4] يُـؤَثْـفَـيْـن[5]

ثَفَيْتُ القِدْرَ إذا وضَعْتَها على الأثافيّ، وأثْفَيْتُها إذا جعلْتَ لها أثافيّ.[6]
وقولـه: "يُؤَثْفَيْـن" أراد: يُثْفَيْـن، فأخـرج على الأصل مثل قولـه:

فإنّـــه أهـــلٌ لأن يُؤَكْرَمَـــا[7]

قوله تعالى:[8] ﴿يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ﴾ هو مِن "جَبَى الخَراجَ".[9]

---

١ ن: لكما.
٢ ن: وخطام.
٣ ن: لنفين.
٤ ن: لكما
٥ ن: يؤثقين. | لخطام المجاشعي في لسان العرب لابن منظور، «رنب». وهو من شواهد سيبويه في الكتاب، ١/٣٢.
٦ ن: أتافي. | انظر: الصحاح للجوهري، «أثف»؛ «ثفي».
٧ بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «كرم»؛ ولسان العرب لابن منظور، «كرم». | وفي هامش د ف: قوله: (ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٢]) إنّما يجيء الوجهان -البدليّة والاستئناف- على تقدير رفعهما، أي: رفع ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾، و﴿أُمَّةٞ وَٰحِدَةٞ﴾، ووَرد برفعهما القراءة. | قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٢١.
٨ ن - تعالى.
٩ جَبَى الخراجَ والماءَ والحوضَ يَجْباهُ ويَجْبِيه: جَمَعَه. لسان العرب لابن منظور، «جبى».

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ دينَ نوحٍ ومحمدٍ ومَن بينهما من الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم، ثمَّ فَسَّرَ المَشْرُوعَ الَّذي اشترَكَ هؤلاءِ الأعلَامُ من رُسُلِه فيه بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ والمرادُ: إقامَةُ دينِ الإسْلام الَّذي هو تَوحِيدُ اللهِ وطاعتُه والإيمانُ برُسُلِه وكتُبِه وبيَوم الجزاءِ وسَائرِ ما يكون الرَّجُلُ بإقَامتِه مُسْلمًا، ولَم يُردِ الشرائعَ التي هي مَصَالحُ الأُمم على حَسَبِ أَحْوالِهَا فإنَّها مُختلِفةٌ متَفاوتةٌ؛ قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة ٥/٤٨].

ومحَل ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟﴾: إما نصبٌ بدَلٌ من مفعولِ ﴿شَرَعَ﴾ والمعطوفَيْنِ علَيهِ، وإما رَفعٌ على الاستئنافِ؛ كأنَّه قيل: وما ذلك المشروعُ؟ فقيل: هو إقامَةُ الدِّين، ونحوهُ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٩٢].

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: عظُم علَيْهم وشقَّ عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من إقامةِ دينِ الله والتَّوحيد.

﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾: يجتَلِبُ إليهِ ويجمَعُ -والضميرُ للدِّين- بالتوفِيق والتَّسْديد ﴿مَن يَشَآءُ﴾: مَن يَنفع فيهم توفِيقهُ ويُجْدِي عليهم لطفُه.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ يَعني: أهلَ الكتاب بعدَ أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ﴾ أن علِموا أنَّ الفُرقَة ضَلالٌ وفسَادٌ وأمرٌ مُتوعَّدٌ عليه على ألسِنَةِ الأنبياءِ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي عِدَةُ التَّأخِير إلى يوم القيامة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ حين افترَقوا لعِظَم ما اقترَفُوا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾

وهُم أهلُ الكتاب الذين كانوا في عَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ من كتابهِم لا يُؤمنُونَ به حَقَّ الإيمان.

وقيل: كان الناسُ أمةً واحِدةً مُؤمِنينَ بعد أن أَهْلَك اللهُ أهلَ الأرض أجمعينَ بالطُّوفانِ، فلمَّا مات الآباءُ اختلَف الأبناءُ فيما بَينهُم، وذلك حين بَعث الله إليهم النَّبيين مُبَشِّرين ومُنذِرينَ وجاءَهُم العِلم، وإنما اختلَفُوا للبَغْيِ بَينهُم.

وقيل: وما تفرَّق أهلُ الكتابِ إلَّا مِن بعْد ما جاءَهُم العلمُ بمَبْعثِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة ٩٨/٤] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم المشركُون أُورثُوا القرآنَ من بعد ما أُورثَ أَهْلُ الكتابِ التوراةَ وَالإنجيلَ.

وقرئ: "وُرِّثُوا" و: "وَرِثُوا".

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: فلأجْلِ ذلك التفرُّقِ ولِمَا حدَث بسَببِهِ من تشَعُّبِ الكُفر شُعَبًا ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتِّفاقِ والائتِلافِ على الملَّة الحَنيفيَّة القَديمَة ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدَّعوة إليهَا كما أمركَ اللهُ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المختلفةَ الباطلةَ.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾: بأيِّ كتَابٍ صحَّ أنَّ الله أَنْزلَهُ، يَعْني: الإيمانَ بجميعِ الكُتبِ المُنْزلةِ؛ لأن المُتفرِّقِينَ آمَنُوا ببَعضٍ وكفَرُوا ببَعْضٍ؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء ٤/١٥١].

﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكْم إذا تخَاصَمتُم فتحَاكمتُم إليَّ.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾؛ أي: لا خُصومةَ؛ لأن الحقَّ قد ظهرَ وصِرْتُم محجُوجِينَ به فلا حاجةَ إلى المُحاجَّةِ.

ومَعناه: لا إيرادَ حُجَّةٍ بيْنَنا؛ لأنَّ المُتَحاجَّيْن يُورِدُ هذا حُجَّتَه وهذا حُجَّتَه.

﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ يومَ القيامة فيَفصِلُ بيننا وينتَقِمُ لنا مِنكم، وهذه مُحاجَزةٌ ومُتَارَكةٌ بعد ظهُورِ الحقِ وقيامِ الحجَّة والإلزام.

فإن قلتَ: كيف حُوجِزُوا وقد فُعِل بهم بعد ذلكَ ما فُعِل من القَتْل وتخريبِ البُيوت وقطعِ النخيل والإجلاءِ؟

قلتُ: المرادُ مُحَاجَزَتُهُم في مَواقِف المُقاولة لا المُقاتلَةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾

﴿يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾: يخاصِمُون في دينِهِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا﴾ استجابَ له النَّاسُ ودخلُوا في الإسلام؛ ليَردُّوهُم إلى دين الجاهليَّةِ كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا﴾ [البقرة ١٠٩/٢] كان اليهودُ والنَّصارى يقولون للمؤمِنينَ: كِتابُنا قبلَ كِتَابكم ونَبيُّنا قبلَ نبيّكُم ونَحنُ خيرٌ منكُم وأَوْلَى بالحقِّ.

وقيل: من بعد ما اسْتجابَ الله لرسُوله ونصرهُ يومَ بدرٍ وأَظْهَرَ دِينَ الإسلام.

﴿دَاحِضَةٌ﴾: باطِلةٌ زَالَّةٌ.

قوله: **(لأنَّ المتحاجَّين)** إشارة إلى أنّ هذا كناية، فإنّ المتحاجَّين[١] -أي: المتخاصمَين- يُورِدان الحُجّةَ، فذكر إيراد الحجّة بحذف المضاف وأراد مَلزومه، وهو المُحاجّة والمخاصمة، فيكون كناية.

قوله: **(وهذه مُحاجَزة)** "هذه" إشارة إلى هذا الكلام، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ﴾... إلخ، وإنّما أنّثه باعتبار الخبر، أو لأنّه في معنى الجملة. قوله: "مُحاجَزة" فكأنّه قيل: تركنا المخاصمة والمنازعة، وفوَّضْنا أمرنا إلى الله تعالى، وهو يحكم بيننا يوم القيامة.

قوله: (**﴿دَاحِضَةٌ﴾**) دَحَضَتْ رِجْلُه تدحَض[٢] دَحْضًا؛ زَلِقَتْ.[٣]

---

[١] ن - إشارة إلى أنّ هذا كناية، فإنّ المتحاجَّين.

[٢] د - تدحَض؛ ن + يدخص.

[٣] **الصحاح** للجوهري، «دحض».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾

﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: جنسَ الكتابِ ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾: والعدْلَ والسَّوِية، ومعنى إنزالِ العدْلِ: أنه أنزَلَهُ في كتُبه المُنْزلةِ، وقيل: الَّذي يُوزَنُ به.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: مُلتبِسًا بالحقِّ مُقترِنًا به بَعِيدًا منَ الباطِل، أَو: بالغرضِ الصَّحيح كما اقتَضتهُ الحِكمةُ، أو: بالواجبِ من التَّحليل والتَّحريمِ وغير ذلك.

﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في تأويلِ البعْثِ فلذلك قيلَ: ﴿قَرِيبٞ﴾، أو: لعَلَّ مجيءَ السَّاعة قريبٌ.

فإن قلتَ: كيفَ تَوَفَّقَ ذكرُ اقترابِ السَّاعة مع إنزال الكِتابِ والميزانِ.

قلتُ: لأنَّ السَّاعةَ يومُ الحساب ووضعِ الموازين القِسط؛ فكأنَّه قيل: أمَركم اللهُ بالعَدلِ والسَّويَّة والعَملِ بالشَّرائع قبلَ أن يُفاجِئكم اليومُ الذي يُحاسِبُكم فيهِ ويَزنُ أعمَالكم ويُوفِي لمن أَوفى ويُطفِّفُ لمَن طَفَّفَ.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ١٨﴾

"المُمارَاة": المُلاجَّةُ؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يَمْري ما عِندَ صاحِبه.

﴿لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ﴾ من الحقِّ؛ لأن قيام الساعة غيرُ مستبعَدٍ من قُدرة اللهِ، ولِدلالةِ الكتابِ المعجِزِ على أنَّها آتيةٌ لَا رَيْبَ فيها، ولِشهادة العُقول على أنَّه لا بُدَّ من دارِ جَزاءٍ.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾

﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: بَرٌّ بليغُ البرِّ بهِمْ، قد تَوصَّلَ بِرُّه إلى جميعِهم، وتوصَّلَ مِن كلِّ واحدٍ منهم إلى حيْث لا يَبْلغُه وَهمُ أحَد من كُليَّاتِه وجُزئيَّاتِه.

قوله: (يَمْرِي) مَرَيْتُ[١] الناقةَ مَرْيًا؛ / إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتُدِرَّ،[٢] ومَرَيْتُ الفرسَ؛ إذا استَخْرجتَ ما عنده مِن جَرْيٍ بِسَوط وغيره.[٣] [٣٤١و]

---

١ ن: مرتب.

٢ ن: لتذر.

٣ الصحاح للجوهري، «مرا».

فإن قلتَ: فما معنَى قولهِ: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدَ توَصُّلِ برّه إلى جميعِهم؟

قلتُ: كلُّهم مَبْرورُون لا يخلُو أحَدٌ من برّهِ، إلَّا أنَّ البرَّ أصنافٌ وله أوْصَافٌ، والقِسمةُ بين العبادِ تتفاوتُ على حسَب تفاوتِ قضَايا الحِكمةِ والتَّدبير، فيَطِيرُ لبَعضِ العبَادِ صِنفٌ من البِرّ لم يَطِرْ مثلُه لآخَر، ويُصِيبُ هذا حَظٌّ لهُ وَصْفٌ ليس ذلك الوصْفُ لحَظِّ صاحبهِ، فمَنْ قسَم له مِنهم ما لَم يَقسِم للآخَرِ فقد رَزَقُه، وهو الَّذي أراد بقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ كما يَرزُقُ أحَدَ الأخوَين ولَدًا دُون الآخر، على أنَّه أصَابه بنعمَةٍ أُخرَى لم يَرْزقها صَاحبَ الولَدِ.

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾: البَاهرُ القُدْرةِ الغالبُ على كلِّ شيءٍ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيعُ الَّذي لا يُغلَبُ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأٓخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿حَرْثَ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ سَمَّى مَا يعمَلُه العاملُ ممَّا يَبغِي به الفائدةَ والزَّكاءَ حَرثًا على المَجاز.

وفرَّقَ بين عَملَي العامِلَين: بِأنَّ مَن عَمِل للآخرةِ وُفِّقَ في عَملِه وضُوعِفَتْ حسَناتُه، ومَن كان عملُه للدنيا أُعطي شيئًا منها لا ما يُرِيدُه ويَبْتغِيه، وهُو رزقهُ الَّذي قُسِم له وفُرِغَ مِنه، وما له نصيبٌ قَطُّ في الآخرة.

ولم يذكُرْ في مَعنى عَامل الآخرةِ: "وله في الدُّنيا نصيبٌ" على أَن رزقه المقسُومَ له واصِلٌ إليه لا محالةَ؛ للاستِهانة بذلك إلى جَنْبِ ما هو بصَددِه مِن زكَاء عَملِه وفَوزِه في المآبِ.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله: (على أنّ رِزْقَه) أي: مع أنّ.

معنى الهَمزة في ﴿أَمْ﴾: التَّقريرُ والتَّقريعُ.

و"شركاؤُهم": شيَاطينُهم الَّذين زيَّنُوا لهُم الشِّركَ وإنكارَ البعث والعَملَ للدُّنيا لأنَّهم لا يعلمُونَ غيرَها، وهو الدِّين الَّذي شَرَعَتْ لهم الشَّياطينُ، وتَعَالى اللهُ عن الإذْنِ فيه والأَمْرِ به.

وقيل: شركاؤُهُم: أَوْثانهُم، وإنَّما أُضِيفَتْ إلَيهم لأنَّهُم مُتَّخِذُوهَا شُركاءَ لله، فتَارةً تُضافُ إلَيْهِم لهذِهِ المُلابَسةِ، وتارةً إلى الله، ....

قوله: (**معنى "الهمزة" في ﴿أَمْ﴾**) قال بعضهم: هي المعادِلة لألف[١] الاستفهام، وفي[٢] الكلام مضمَر[٣] تقديره: أيقولون: ما شرع الله مِن الدين[٤] وصّى به نوحًا أم لهم شركاء؟[٥]

قوله: (**و"شركاءهم": شياطينهم**) وتسميتهم شركاء لأنّهم يشاركونهم في الكفر والعِصيان، ويعاونونهم على ذلك وهم شياطين الجِنّ والإنس.

قوله: (**وهو الدين**) الصواب أنّ "هو" عائد إلى (**الشرك والإنكار والعمل للدنيا**)، فإنّ المراد بـ"الشرع" هو التزيين، وبـ"الدين" هو[٦] الشِّرك... إلخ.

قوله: (**وإنّما أُضيفت إليهم**) أي: أُضيفت "الشركاء" ونُسبت إليهم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾.

قوله: (**فتارةً تُضاف إليهم**)[٧] كما في هذه الآية.

قوله: (**وتارةً إلى الله تعالى**) كما في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص ٦٢/٢٨].

---

١ ن: للألف.
٢ ف + هذا.
٣ ن: المضمر.
٤ ف + ما.
٥ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ قوله: (على المجاز) شبّه العمل الذي لأجل الآخرة بالحَرْث، والجامع أنّه ينشأ مِن كلّ منهما نفع وفائدة، والقرينة إضافة الحرث إلى الآخرة، أو كون كلّ منهما سبب للنفع والفائدة.
٦ ن: و.
٧ ن - في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾. قوله: (فتارةً تُضاف إليهم).

ولمَّا كانت سببًا لضَلالَتِهم وافتتانِهم جُعِلت شارعَةً لدين الكُفر؛ كما قال إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم ١٤/٣٦].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾؛ أي: القضاءُ السَّابقُ بتأجِيلِ الجزاء، أو: ولولا العِدَةُ بأنَّ الفصل يكون يوم القيامةِ.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين الكافِرين والمؤمنينَ، أو بين المشركين وشركائهم.

وقرأ مُسْلم بن جُنْدُبٍ: "وأَن الظالمين" بالفَتح عطفًا له على ﴿كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ يَعني: ولولا كلمةُ الفَصل وتقديرُ تَعْذيبِ الظَّالمين في الآخرة لقُضيَ بَينهم في الدُّنيا.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآخِرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائِفين خوفًا شديدًا أرَّقَ قُلوبَهم ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ من السَّيِّئاتِ ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾ يُريدُ: ووَبالُه واقعٌ بهِمْ ووَاصِلٌ إليهم لا بُدَّ لهُم مِنه أشفَقُوا أو لم يُشْفِقُوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ كأنَّ رَوضَةَ جَنَّةِ المؤمن أطيَبُ بقعَةٍ فيها وأَنْزهُها.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ منصوبٌ بالظَّرفِ لا بـ﴿يَشَآءُونَ﴾.

قوله: **(ولمّا كانت)** أي: الأصنام.

قوله: **(وتقديرُ تعذيب الظالمين)** أي: المضاف محذوف، وأصل الكلام: ولولا تقدير أنّ الظالمين لهم عذاب أليم،[1] فيئُول المعنى إلى قولك: لولا تقدير تعذيب الظالمين كما ذكر.

قوله: **(منصوب بالظرف)** أي: ثبَت لهم عند ربّهم ما[2] يشاءون.

---

[1] وفي هامش د: الجامع أنّ كلًّا منهما يفعل فِعْلًا يَنفع الغير، لكن الفعل مِن الله تعالى لا في مقابلة نِعمة، وفي الإنسان في مقابلة نعمة.

[2] ن: وما.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣﴾

قرئ: ﴿يُبَشِّرُ﴾ من بَشَّرهُ، و: "يُبْشِرُ" من أَبْشَرَهُ، و: ﴿يَبْشُر﴾ من بَشَرهُ، والأَصلُ: ذلك الثوابُ الَّذي يُبشِّر الله به عبادَه، فحُذِف الجارُّ كقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧] ثمَّ حُذِف الرَّاجِعُ إلى الموصول كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٤١/٢٥].

أو: ذلك التَّبشير الَّذي يُبَشِّرهُ اللهُ عبادَه.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ رُوي: أنَّه اجتمعَ المشرِكُونَ في مجمَعٍ لهُم فقال بَعْضُهم لبعْضٍ: أَترَوْنَ محمَّدًا يَسْأَلُ على ما يتعاطاه أجرًا؟ فنَزلت الآيةُ.

﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يجوز أَن يكون استثناءً مُتَّصِلًا؛ أي: لا أَسْأَلُكم أَجْرًا إلَّا هذا، وهو أن تَوَدُّوا أَهْلَ قَرابَتِي، ولم يكن هذا أَجْرًا في الحقيقة لأن قرابَته قرابتُهم فكانت صِلتُهم لازمةً لهم في المُروءة.

ويجوز أن يكون منقطِعًا؛ أي: لا أَسْأَلُكم أَجْرًا قطُّ ولكنِّي أَسْأَلُكم أَنْ تَوَدُّوا قَرابَتِي الَّذين هُم قرابَتُكم ولا تُؤْذُوهُم.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: إلَّا مَودَّةَ القُربَى، أو: إلَّا المودَّةَ لِلقُربى، وما مَعنى قولِهِ: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟

قلتُ: جُعلوا مكانًا للمودة ومَقرًّا لها؛ كقولك: "لي في آلِ فُلانٍ مودَّةٌ"،

قوله: (**فحُذف الجارّ**) فإذا حُذف الجارّ يصير هكذا: ذلك الذي يُبشّر الله إيّاه عبادَه.

قوله: (**أو ذلك التبشير**) وعلى هذا أيضًا يكون العائد محذوفًا، ولكن لا يُقدَّر الجارّ؛ لأنّ العائد في حكم المفعول المطلق، فيتعدّى الفعل إليه بنفسه.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (ويجوز أن يكون استثناءً متّصلًا) ما يجيء الاتّصال إلّا إذا كان مِن قَبيل:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفهم
بهنّ فلولٌ مِن قِراع الكتائبِ[(1)]

| [(1)] البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٤٤.

و: "لِي فيهم هَوًى وحُبٌّ شَديدٌ"، تُريد: أُحِبُّهُم وهُم مكانُ حُبِّي ومحَلُّه، وليْسَت ﴿فِي﴾ بِصِلةٍ للمَودَّة كاللَّام إذا قلتَ: "إلَّا المَودَّة للقُربى"، إنَّما هي متعلِّقةٌ بمَحذوفٍ تعلُّقَ الظَّرفِ به في قَولك: "المالُ في الكيْسِ"، وتقديرُهُ: إلَّا المودَّةَ ثابتةً في القُربى ومُتمَكِّنةً فيها.

و"القُربى": مصْدرٌ كالزُّلفَى والبُشرَى بمعنى: القَرابة، والمراد: في أهل القُربَى.

ورُوي أنَّها لمَّا نزلَت قيل: يا رسول الله، مَن قرَابتُك هؤلاء الَّذين وجَبتْ علينا مَودَّتُهُم؟ قال: «عليٌّ وفاطمةُ وابنَاهُما».

ويدلُّ عليه ما رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه: شَكَوْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَد النَّاسِ لي، فقال: «أمَا تَرْضَى أَن تكُونَ رابعَ أرْبعَةٍ: أوَّلُ مَن يدخلُ الجنَّة أنَا وأنتَ والحسَنُ والحسينُ، وأزوَاجُنا عن أَيمانِنا وشَمائلنا، وذُرِّيَّتُنا خلفَ أَزْوَاجِنا».

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «حُرِّمت الجنَّةُ على مَن ظَلم أهْلَ بَيْتِي وآذَانِي في عِتْرتي، ومَن اصطَنع صنيعةً إلى أحدٍ من ولدِ عبد المطَّلب ولم يُجازه عَليها فأنا أُجَازِيه عليها غدًا إذا لَقِيَني يوم القيَامةِ».

وروي: أَنَّ الأنصار قالوا: فعَلْنا وفعَلْنَا، كأنَّهم افتَخرُوا، فقال عبَّاسٌ أو ابنُ عبَّاسٍ: لنَا الفضلُ عليكم، فَبلغ ذلك رسُولَ الله، فأَتاهُم في مَجالِسهم فقال:

قوله: (**هؤلاء**) صفة، أو بدل.

قوله: (**وابناهما**) تثنية "ابن"، يريد الحسَن والحُسين رضي الله عنهما. فـ"الهمزة" همزة وصل سقطت في الدَّرْج.

قوله: (**وآذاني**)[١] يقال: آذاه[٢] يُؤذيه[٣] إيذاءً.

قوله: (**إذا لقيني**) بدل[٤] مِن قوله: (**غدا**)،[٥] وكذا (**يومَ القيامة**).

---

١ ن + عدا وكذا يوم.

٢ ن: آذاة.

٣ ن: يودية.

٤ ن: بذل.

٥ ن: كذا.

«يا مَعشرَ الأنصار، أَلم تكونُوا أَذِلَّةً فأعزَّكُمُ اللهُ بي؟» قالوا: بَلى يا رسُولَ الله، قال: «أَلَم تكونُوا ضُلَّالًا فهَداكم الله بي؟» قالوا: بَلى يا رسولَ الله، قال: «أفَلا تُجِيبُونَنِي؟» قالُوا: ما نقُولُ يا رسُولَ الله؟ قال: «ألا تقُولُونَ: أَلَم يُخرِجْكَ قومُك فآوَيْناك، أوَلَم يُكذِّبوك فصَدَّقناك، أوَلَم يَخْذُلوك فنصَرناك» قال: فما زَال يَقولُ حَتَّى جَثَوْا على الرُّكَبِ وقالوا: أَمْوالُنا وما في أيدِينا لله ولِرسُوله، فنزلت الآية.

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن مات على حُبِّ آل محمَّدٍ مات شهيدًا، أَلَا ومَن مات على حُبِّ آل محمَّدٍ ماتَ مَغفورًا لهُ، أَلَا ومَن مات على حُبِّ آلِ محمَّدٍ ماتَ تائبًا، أَلَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّدٍ مات مُؤمنًا مُستكمِلَ الإيمان، أَلا ومَن مات على حُبِّ آل محمَّدٍ بَشَّرهُ ملكُ الموت بالجنَّة ثم مُنْكرٌ ونكيرٌ، أَلَا ومَن مات على حبِّ آل محمد يُزَفُّ إلى الجنَّةِ كما تُزفُّ العروسُ إلى بيت زوْجِها، أَلا ومَن ماتَ على حُبِّ آل محمَّدٍ فُتِح له في قبره بابانِ إلى الجنَّةِ، أَلَا ومَن ماتَ على حُبِّ آلِ محمَّدٍ جَعَل الله قبرَه مزارَ ملائكةِ الرحمة، أَلَا ومَن مات على حبِّ آلِ محمدٍ مات على السُّنَّة والجماعة، أَلا ومَن ماتَ على بُغضِ آل محمد جاء يومَ القيامة مكتوبٌ بين عينَيْه: آيِسٌ من رحمة الله، ألا ومَن مات على بُغْضِ آل محمد مات كافرًا، أَلَا ومَن مات على بُغْضِ آل محمَّد لم يَشَمَّ رائحة الجنَّة».

وقيل: لم يكن بطنٌ من بُطونِ قُريْش إلَّا وبينَ رسولِ الله وبَينَهم قُرْبَى، فلمَّا كَذَّبوه وأَبَوا أن يُبايعُوه نزلَت.

والمعنى: إلَّا أن تَوَدُّونِي في القُربى؛ أي: في حقِّ القُربى ومِن أَجْلِها؛ كما تقول: الحبُّ في اللهِ والبُغضُ في الله، بمعنى: في حَقِّه ومِن أجله، يعني: إنَّكم قَوْمي وأحَقُّ مَن أجَابَني وأطَاعَني، فإذْ قد أَبَيْتُم ذلك فاحْفَظُوا حقَّ القُربى ولا تُؤذُوني ولا تُهَيِّجُوا عَليَّ.

وقيل: أتتِ الأنصارُ رسولَ الله بمالٍ جمعُوه وقالوا: "يا رسُولَ الله قد هدانا اللهُ بكَ ....

وأنت ابنُ أُختِنَا وتَعرُوك نَوائِبُ وحُقوقٌ وما لَك سَعةٌ، فاستَعِنْ بهذا على ما ينُوبُك" فَنزلَت، ورَدَّهُ.

وقيل: ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: التَّقرُّبُ إلى الله تعالى؛ أي: إلَّا أَن تُحِبُّوا اللهَ ورَسُوله في تَقرُّبِكم إليه بالطَّاعة والعملِ الصَّالح.

وقرئ: "إلا مودةً في القُرْبَى".

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ عن السُّدِّي: أَنَّها المَوَدَّةُ في آلِ رسول الله. نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ومَودَّتِه فيهم.

والظاهرُ العمُومُ في أيِّ حسَنةٍ كانَت، إلَّا أنَّها لمَّا ذُكِرَتْ عقيبَ ذِكْر المَودَّة في القُرْبَى دَلَّ ذلك على أنها تناوَلتِ المَودَّةَ تنَاولًا أَوَّليًا كأنَّ سائرَ الحَسناتِ لها تَوابعُ.

وقرئ "يَزِدْ"؛ أي: يَزِدِ اللهُ.

وزيادةُ حُسْنها مِن جهةِ الله: مُضاعَفتُها، كقَوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة ٢/٢٤٥].

وقرئ: "حُسْنَى" وهي مَصْدرٌ كالبُشْرى.

"الشَّكُور" في صفة الله مجازٌ للاعتِداد بالطَّاعةِ وتَوفيَةِ ثوابها والتَّفضُّلِ على المُثابِ.

قوله: (وأنتَ ابنُ أختِنا) لأنَّ آمِنة كانت مِن الأنصار.

قوله: (في تَقرُّبكم إليه) هذا كما يقال: حُبّ الله حُبّ طاعة الله.

قوله: (وقُرِئ: "يَزِدْ")[1] شاذّ.[2]

قوله: (وقُرِئ: "حُسْنَى") شاذّ.[3]

---

[1] ن: يردل.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وعبد الوارث عن أبي عمرو وأحمد بن جبير عن الكسائي. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٣٥؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٩/٣٣٥ (الشورى، ٤٢/٢٣).

[3] ن: شادن. | قراءة شاذّة، مرويّة عن عبد الوارث عن أبي عمرو. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٣٥؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٩/٣٣٥ (الشورى، ٤٢/٢٣). | وفي هامش د: قوله: ("الشّكور" في صفة الله تعالى مجاز)... إلخ "الشكور" في صفة الله تعالى استعارة، والجامع كون الله تعالى مُعينًا في تخليصهم عن عذاب النار، وصدورِ فِعْل منه تعالى نافعٍ لهم، وثنائهم ومحبّتهم والتفضّل عليهم، لكن هذا ←

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهَمزة التَّوبيخُ؛ كأنَّه قيل: أَيَتمالَكُونَ أن ينسُبُوا مثلَه إلى الافْتراء، ثمَّ إلى الافتراء على الله الَّذي هو أعظم الفِرَى وأفحَشُها.

﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: فإنْ يشَأِ اللهُ يجعَلْكَ من المختُوم على قلُوبهم حتَّى تفتَريَ عليه الكذِبَ، فإنَّه لا يَجترئ على افتراءِ الكذِب على اللهِ إلَّا مَن كانَ في مِثل حالهم، وهذا الأُسلوب مُؤدَّاهُ استِبعادُ الافتراء مِن مِثْلِه، وأنَّه في البُعد مثلُ الشِّرك بالله والدُّخولِ في جُملةِ المختُوم على قلُوبهم.

قوله: (**أيَتَمالَكون؟**) أي: أيستطيعون؟ يقال: فلان[١] ما تمالكَ أن قال[٢] ذلك وما تماسك، أي: لم يستطعْ[٣] أن يَحْبِسَ نفسَه، ومنه "هذا الحائط لا يتمالَك ولا يتماسَك".[٤]

قوله: (**وأنَّه في البُعْد**) عطفٌ على (**استبعاد**)،[٥] أي: وإنَّ الافتراء في البُعد، أي: في بُعد الوقوع منه مثل الشِّرك.

قوله: (**والدخول**) عطفٌ على (**الشِّرك**)، أي: الافتراء على الله في البعد منه مثلُ الدخول[٦] في جملة المَختوم على قلوبهم، يعني: كما أنَّ دخوله صلَّى الله عليه وسلَّم[٧] في جملة المختوم على قلوبهم بعيدٌ منه، فكذا الافتراء على الله تعالى[٨] بعيدٌ منه صلَّى الله عليه وسلَّم.[٩]

< كلّه ليس في مقابلة نعمة منهم؛ بل في مقابلة صدور فعل منهم يجب صدوره بالنسبة إليهم، الجامع أنّ كلًّا منهما يصدر منه فِعل ينفع الغير، وما به الامتياز أنّه في مقابلة نعمة في أحدهما، وفي الآخر لا. الوجه أنّ كلًّا منهما يفعل فِعْلًا ينفع الغير.

١ ن: فلا.

٢ ن: قا.

٣ ن: يستطيع.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «ملك».

٥ ن: لستبعاد.

٦ ن - **عطفٌ على الشرك، أي: الافتراء على الله في البُعد منه مثل الدخول**.

٧ د: **عليه السلام**.

٨ ن - **تعالى**.

٩ د: **عليه السلام**.

ومثالُ هذا: أن يُخَوَّنَ بعضُ الأُمناء فيقولَ: "لعَلَّ اللهَ خَذلنِي، لعَلَّ اللهَ أَعْمَى قَلْبِي" وَهُو لا يُرِيدُ إثباتَ الخِذلانِ وعَمى القلْبِ، وإنَّما يريد استبْعادَ أن يُخَوَّنَ مثلُه، والتَّنْبِيهَ على أنَّه رُكِب مِن تَخْوِينِه أَمرٌ عظيمٌ، ثمَّ قال: ومِن عادةِ اللهِ أن يمحُوَ البَاطِلَ ويُثبِتَ الحقَّ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: بوحيهِ، أو بقضائهِ؛ كقَوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء ١٨/٢١]، يعني: لو كان مُفْترِيًا كما تزعُمون لكشَفَ اللهُ افتِرَاءهُ ومَحَقَهُ وقذف بالحقِّ على باطِله فدمَغه.

ويجوز أن يكون عِدَةً لرسول الله بأنه يمحُو الباطلَ الَّذي هُم عليه من البَهْتِ والتَّكذِيب ويُثبِتُ الحقَّ الذي أَنتَ عليه بالقرآن وبقضائه الَّذي لا مَردَّ له من نُصرتك عليهم، إنَّ اللهَ عليمٌ بما في صَدرك وصُدورِهِمْ فيُجري الأمْرَ على حَسبِ ذلك.

وعن قتادة: ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: يُنسِكَ القرآنَ ويَقْطَعْ عنك الوحْيَ، يَعْني: لو افترى على الله الكذِبَ لفُعِل به ذلك.

وقيل: ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: يَرْبِطْ عَليه بالصَّبْر حتى لا يَشُقَّ عليك أَذاهُم.

فإن قلتَ: إن كان قوله: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ كلامًا مُبتَدأً غيرَ مَعْطوفٍ على ﴿يَخْتِمْ﴾ فما بالُ الواو ساقطةً في الخطِّ؟

قلتُ: كما سقطَتْ في قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء ١١/١٧] وقوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق ١٨/٩٦]، على أَنَّها مُثبَتةٌ في بعض المصاحِف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يُقال: "قبِلْتُ منه الشَّيءَ" و"قبِلْتُه عنه"، فمَعنى "قبلتُه مِنه": أَخذْتُه منه وجَعلتُه مَبْدأَ قبُولِي ومَنشأَهُ، ومَعنَى "قبلتُه عنه": عَزلتُه عنه وأَبنتُهُ عنه.

و"التَّوبةُ": أَن يَرْجع عن القَبِيح والإخلالِ بالواجب بالنَّدم علَيهما والعَزمِ

قوله: (**ثمّ قال: ومِن عادة الله**) يعني هذا كلام مبتدأ، وليس عطفًا على ﴿يَخْتِمْ﴾.

[٣٤١ظ] قوله: (**لأنّ المرجوع عنه**) متعلّق بقوله: / (يَرجع)، يعني: يشترط[١] أن يكون

---

[١] ن: يسيرط.

على أن لا يُعَاوِدَ؛ لأنَّ المرجُوع عنه قبيحٌ وإخلالٌ بالواجب.

وإن كان فيه لعبْدٍ حقٌّ لم يَكُنْ بُدٌّ مِن التَّفصِّي على طريقهِ، ورَوى جابرٌ: أنَّ أعرابيًّا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «اللّٰهمَّ إنّي أستغفِرك وأتُوبُ إليك» وكبَّر، فلمَّا فَرغ من صلاته قال له عليٌّ رضي الله عنه: يا هذا،

رجوعه لعموم كونه قبيحًا[١] وإخلالًا[٢] بالواجب، لا لِخصوصهما[٣] حتّى تصحّ[٤] التوبة وتعتبر.[٥] وهذا إشارة إلى مذهبه، وذلك أنّ[٦] الأكثرين قالوا: التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار[٧] على البعض صحيحة. وقال أبو هاشم: «إنّه[٨] لا يصحّ». حُجّة الأوّلين أنّ اليهودي[٩] إذا غَصَب جُبّةً ثمّ تاب عن اليهوديّة[١٠] أجمعوا على صِحّة تلك التوبة. حُجّة أبي[١١] هاشمٍ أنّه لو تاب عن ذلك القبيح لِمجرّد قُبحه وجَب أن يتوب عن كلّ القبائح، وإن تاب عنه لا لمُجرّد قُبحه؛ بل لغرَض آخر؛ لم تصحّ توبته، والجواب عنه: لِمَ لا يجوز أن يتوب عن ذلك القبيح لكونه ذلك القبيح؟ كما أنّ الإنسان قد يشتهي طعامًا لا لعموم كونه طعامًا؛ بل لكونه ذلك الطعام.[١٢]

ويجوز أن لا يكون هذا إشارة إلى ذلك المذهب؛ بل يكون إشارة إلى ما هو الحقّ، وهو أنّه يجب[١٣] أن يتوب عنه لكونه مخالفَة أمر الله، لا لأنّه يَضرُّه في دنياه بسبب تلف ماله به، أو ضرره في نفسه وجاهه وحِشمته إلى غير ذلك، فإنّ التوبة إذا كانت كذلك لا تكون مقبولة. وفيه لفّ ونشر.

قوله: (وإن كان فيه لِعبد) عطفٌ على محذوف، أي: هذا الذي ذكرنا إذا[١٤] لم يكن للعبد فيما يتوب عنه حقّ، وإن كان له فيه حقّ لم يكن بُدٌّ.

---

١ ن: ميحا.
٢ ن: احلالًا.
٣ ن: لخصوصها.
٤ ن: يصحّ.
٥ ن: وتعبير.
٦ ن - أنّ.
٧ ن: الإضرار.
٨ ن - إنّه.
٩ ن: اليهود.
١٠ وفي هامش ف: مع الإصرار على غصبِ تلك الجُبّة.
١١ ن: أبو.
١٢ معالم أصول الدين للرازي، ص ١٣٧.
١٣ ن: بحيث.
١٤ ن: إذ.

إن سُرعةَ اللِّسان بالاستغفار تَوبَةُ الكذَّابين، وتَوبَتُكَ تحتاج إلى التَّوبة، فقال: يا أميرَ المؤمنين! وما التَّوبة؟ قال: اسمٌ يقعُ على ستَّةِ مَعَانٍ: على الماضي من الذُّنُوب النَّدامَةُ، ولتَضْييع الفَرائض الإعادَةُ، ورَدُّ المظَالم، وإذابَةُ النَّفسِ في الطَّاعَةِ كما رَبَّيْتَها في المَعْصِيَة، وإذاقةُ النَّفس مَرارةَ الطَّاعة كما أَذقتَها حَلاوةَ المعصيَةِ، والبُكاءُ بدَلَ كلِّ ضحْكٍ ضَحِكتَهُ.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: عن الكبَائرِ إذا تِيبَ عنها، وعن الصَّغائر إذا اجتُنِبَتِ الكبَائرُ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء؛ أي: يَعلمه فيُثِيبُ على حَسناته ويُعاقِبُ على سيِّئاتِه.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: ويَستجيبُ لهُم، فحُذِف اللَّام -كما حُذِف في قوْلِه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين ٨٣/٣]- أي: يُثِيبُهم على طاعَتِهم ويزيدُهم على الثَّواب تفضُّلًا، أو إذا دعَوهُ استجابَ دُعاءَهم وأَعطاهم ما طَلَبُوا وزَادهُم على مَطْلُوبهم.

قوله: (**ويستجيبُ لهم**) فحُذف اللام، فأصل "استجاب" أن يُستعمل باللام، قال تعالى: ﴿ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران ١٧٢/٣].

قوله: (**أي: يُثيبهم**) يشير إلى أنّ الدعاء -الذي الاستجابة[1] هنا في مقابَلته-[2] بمعنى الطاعة، والاستجابة بمعنى الإثابة،[3] ومعنى ﴿يَزِيدُهُم﴾ على هذا: يزيدهم على ثوابهم. وقوله:[4] ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: تفضّلًا. وقوله: (**وإذا دَعَوه**)[5] عطفٌ على "يُثيبُهم"، يعني: يكون الدعاء المقدَّر هنا بمعناه المشهور، والاستجابة بمعنى استجابة الدعاء. وقوله: (**أعطاهم ما طلبوه**) بيان استجابة الدعاء،

---

[1] ن: للاستجابة.
[2] ن: مقابلة.
[3] ن: الإتابة.
[4] ن: قوله.
[5] ن: دعوهم.

وقيل: الاستجابةُ فِعْلُهم؛ أي: يَسْتَجِيبُون له بالطَّاعَةِ إذا دعَاهُم إلَيْها ﴿وَيَزِيدُهُم﴾ هو ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ على ثَوابِهم، وعن سعيد بن جُبَيْرٍ: هذا من فعْلِهم: يُجِيبُونَه إذا دعَاهُم.

وعن إبراهيم بن أَدْهَمَ أنَّه قِيل لهُ: ما لَنا نَدْعُو فلا نُجابُ؟ قال: لأنَّه دعَاكُم فلم تُجِيبُوه، ثمَّ قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس ١٠/٢٥] ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾

﴿لَبَغَوۡاْ﴾ من البَغْيِ وهو الظُّلم؛ أي: لبَغى هذا على ذَاك وذَاك على هذا؛ لِأنَّ الغِنَى مَبْطَرةٌ مَأْشَرةٌ وكفى بحال قارُونَ عبْرةً، ومِنه قولُه عليه السَّلام: «أَخْوَفُ ما أخَافُ على أُمَّتي زَهرةُ الدُّنيا وكَثْرتُها»، ولبَعض العَرَبِ:

ومعنى ﴿يَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: زادهم على ما طلبوه بالدعاء.[1]

قوله: (﴿وَيَزِيدُهُم﴾ هو) أي: الله تعالى.

قوله: (ثمّ قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ [يونس ١٠/٢٥]) أشار إبراهيم بن[2] أدهم رحمة الله عليه بقراءة: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ [يونس ١٠/٢٥] إلى أنّ الله دعا، وبقراءة: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾ إلى أنّه لم يُجِبْ إلّا البعض. وفيه إشارة أيضًا إلى أنّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل ﴿يَسۡتَجِيبُ﴾.

قوله: («زَهرةُ الدنيا»)[3] أي: غضارتها وحُسنها. وزهرة النبات: نَوْرُهُ.[4]

قوله: (ولبعض العرب:

---

١ ن – بالدعاء؛ ن + بيان استجابة الدعاء، ومعنى ﴿يَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾: زادهم على ما طلبوه بالدعاء.

٢ ن: ابن.

٣ بهذا اللفظ في **جامع البيان** للطبري، ٥١٠/٢٠ (الشورى، ٢٧/٤٢). وفي **صحيح البخاري**، ٩١/٨ (٦٤٢٧)؛ وصحيح مسلم، ٧٢٨/٢ (١٠٥٢)، عن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زهرة الدنيا»، قالوا: «وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟»، قال: «بركات الأرض».

٤ ن – قوله: («زَهرةُ الدنيا») أي: غضارتها وحُسنها. وزهرة النبات: نَوْرُهُ. | **الصحاح** للجوهري، «زهر».

وقـد جعَل الـوَسـميُّ يُنْبِتُ بَيْننا   وبَيْـنَ بنِي رُومـانَ نَبْعًا وشَـوْحَطَا

يعني: أنَّهم أَحيَوْا فحَدَّثُوا أَنفُسَهم بالبَغي والتَّفاتُن.

أو من البَغْي وهو البَذْخُ والكِبْرُ؛ أي: لَتَكبَّرُوا في الأَرض وفعَلُوا ما يَتْبَعُ الكِبْرَ من العُلوّ فيها والفسادِ.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الصُّفَّة تَمنَّوا سِعَة الرِّزق والغِنَى.

قال خبَّابُ بن الأَرَتِّ: فِينا نزلَت، وذلك أَنَّا نَظَرنا إلى أموال بني قُرَيْظَةَ والنَّضيرِ وبني قَيْنُقَاعَ فتَمنَّيْنَاها.

﴿بِقَدَرٍ﴾: بتقديرٍ، يقال: قَدَره قَدْرًا وقَدَرًا.

﴿خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾: يَعْرِفُ ما تَؤُولُ إلَيْه أَحوالُهم فيُقدِّرُ لهُم ما هو أَصْلحُ لَهُم وأَقربُ إلى جمع شَمْلِهم، فيُفْقِرُ ويُغْنِي، ويَمنعُ ويُعْطِي، ويقبِضُ ويَبسُط، كما تُوجِبُه الحكمةُ الرَّبانيَّة، ولو أَغناهُم جميعًا لبَغوا، ولَو أفقرَهُم لهَلكُوا.

فإن قلتَ: قد نرى الناسَ يَبْغي بعْضُهم على بعضٍ، ومنهم مَبْسُوطٌ لهُم،

وقـد جعـل الـوَسْـمِـيُّ)... البيـتَ[١]

"الوَسْمِيُّ" هو الربيع الأوّل؛ لأنّه يَسِمُ الأرضَ بالنبات. نُسِب إلى الوَسْم،[٢] والأرض مَوسومة.[٣] و"النَّبْع": شجر يؤخذ منه السِّهام. و"الشَّوْحَط": يؤخذ منه القِسِيّ. و"أحيَوا" أي: أخصَبوا، أحْيى[٤] القومُ؛ إذا حسُنت[٥] حال مواشيهم، فإن أردتَ أنفسَهم قيل:[٦] حَيُوا، وأحيى القومُ، أي: صاروا في الحَيا،[٧] [٣٤٢و] وهو / الخِصْب.[٨]

وقوله: **(والتَّفاتُنِ)** أي: التقاتُل.[٩]

---

١ بغير نسبة في **لسان العرب** لابن منظور، «شحط».

٢ ف: الأرض.

٣ **الصحاح** للجوهري، «وسم».

٤ ن: حتّى.

٥ ف: جَسُنت.

٦ ن: قلت.

٧ ن: إحياءِ.

٨ **الصحاح** للجوهري، «حيا».

٩ ن: التفاتل.

ومنهم مقبُوضٌ عنهم، فإن كان المبسُوطُ لهم يَبْغُونَ فلِمَ بسَطَ لهُم؟ وإن كان المقبُوضُ عنهُم يبغُونَ فقد يكُون البَغيُ بدُون البَسط فَلِمَ شَرَطَهُ؟

قلتُ: لا شُبْهَةَ في أنَّ البغيَ معَ الفَقْر أَقَلُّ ومعَ البَسْط أكثرُ وأغلبُ، وكلاهُما سبَبٌ ظاهرٌ للإقدام على البَغْي والإحجامِ عنه، فلو عمَّ البَسْطُ لغَلَبَ البغيُ حتى ينقلِبَ الأمرُ إلى عكسِ ما عليه الآنَ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

قرئ ﴿قَنَطُوا۟﴾ بفتح النون وكسرِها.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾؛ أي: برَكاتِ الغيْثِ ومَنافعَه وما يحصُلُ به من الخصِب، وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل لَهُ: اشتدَّ القحطُ وقنَط الناسُ، فقال: مُطِرُوا إذَنْ. أرادَ هذه الآيَة.

ويجوز أن يُريد رحْمتَه في كُلِّ شيءٍ؛ كأنَّه قال: يُنْزِل الرَّحمةَ التي هي الغَيثُ ويَنشرُ غيرَها من رحْمتِه الواسعة.

﴿ٱلْوَلِىُّ﴾: الذي يتَولَّى عبادَه بإحسَانِه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحمودُ على ذلك يحمدُه أهلُ طاعتهِ.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: (فلِمَ شَرطَه)[1] أي: لِمَ شَرَط البَسْطَ في البَغْي؟[2]

قوله: (وكِلاهما سبب)... إلخ فيه لفّ[3] ونشر.

قوله: (مُطِروا إذَنْ) "إذَن" جواب قولهم وجزاء؛ لأنَّ الاشتداد والقنوط يقتضيان نزول الرحمة.

---

[1] ن + أي: لم شرطه.
[2] ن: النفي.
[3] ن: كفّ.

﴿وَمَابَثَّ﴾ يجوز أن يكون مجرُورًا ومرفوعًا يُحْمَلُ على المضاف إليه أو المضافِ.

فإن قلتَ: لمَ جاز ﴿فِيهِمَامِن دَآبَّةٍ﴾ والدَّوابُ في الأرْضِ وَحْدها؟

قلتُ: يجوز أَن يُنسَبَ الشَّيءُ إلى جميع المذكور وإن كان مُلتَبِسًا ببَعضِه؛ كما يقال: "بنو تميم فيهم شاعِرٌ مُجيدٌ، أو شُجاعٌ بَطَلٌ"، وإنَّما هو في فَخِذٍ من أَفخاذِهم أو فصيلةٍ من فصائلهم، و: "بنو فُلان فعَلُوا كذا" وإنما فَعله نُوَيْسٌ منهم.

ومنه قولُه تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن ٢٢/٥٥] وإنما يَخرج من المِلْح.

ويجوز أن يكون للمَلائكة عليهم السلام مَشْيٌ معَ الطَّيرانِ، فيُوصَفُوا بالدَّبيب كما يُوصَف به الأناسيُّ.

ولا يَبْعُد أَن يَخلُقَ في السَّماوات حيَوانًا يَمشُون فيها مشيَ الأَناسيِّ على الأَرض، سُبْحان الَّذِي خلَقَ ما نَعلم وما لا نَعلم مِن أَصناف الخلق.

قوله: **(يُحمَل على المضاف إليه والمضاف)** كأنّه قيل: ومِن آياته[1] خلقُ ما بَثَّ،[2] أو مِن آياته ما بثَّ.

قوله: **(وحدها)** لا فيهما.

قوله: **(شاعرٌ مُجِيد)** جادَ الشيءُ يَجود جَودةً وجُودةً[3] فهو جيِّد، وأجدتُ الشيءَ فأنا مُجِيد، والتجويد[4] مثله، وقد قالوا: أجْوَدْتُ، كما قالوا: أطال وأطْوَل.[5]

قوله: **(في[6] فَخِذٍ)** الفَخِذُ في العشائر أقلّ مِن البَطْن. أوّلها: الشَّعْب ثمّ[7] القَبيلة ثمّ الفَصيلة[8] ثمّ العَمارة ثمّ البَطن ثمّ الفَخِذ.[9]

---

١ ن: الابانة.
٢ ن: بيت.
٣ ن – وجُودةً.
٤ ن: والتجريد.
٥ **الصحاح** للجوهري، «جود».
٦ ن – في.
٧ ن: من.
٨ ف ن: الفضيلة.
٩ **الصحاح** للجوهري، «فخذ».

"إذا" تدخلُ على المضارع كما تَدخلُ على الماضي؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل ١/٩٢]، ومنه: ﴿إِذَا يَشَآءُ﴾ وقال الشّاعر:

وإذا ما أَشاءُ أَبْعَثُ منها آخِرَ اللَّيل ناشِطًا مَذْعُورَا

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾

في مَصاحف أهل العراق: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ بإثباتِ الفاءِ على تضمينِ "ما" معنى الشرط، وفي مصاحِفِ أهل المدينة: ﴿بما كسبت﴾ بغيرِ فاءٍ على أنَّ "ما" مبتدأةٌ و﴿بما كسَبت﴾ خَبرُها من غير تضمين معنى الشرط.

والآيةُ مخصُوصةٌ بالمُجرِمِينَ، ولا يَمتنِعُ أَن يَستوفِيَ اللهُ بَعضَ عقاب المُجْرم ويَعفُوَ عن بعضٍ.

فأمَّا مَن لا جُرْم له كالأَنبياء والأطفالِ والمجانين فهؤلاء إذا أصابهُم شيءٌ من أَلَمٍ أَو غيره فللعِوَضِ المُوفَّى والمَصْلحةِ.

وعن النبي عليه السلام: «ما مِن اختِلاجِ عِرْقٍ، ولا خَدْشِ عُودٍ، ولا نكبَةِ حَجرٍ، إلَّا بذنبٍ، ولَمَا يَعفُو الله عنه أكثرُ».

قوله: (وقال الشاعر:

وإذا ما أشاءُ أبعثُ)... البيتَ[1]

"الناشط": الثَّورَ الوحشيّ يَخرج مِن أرض إلى أرض.[2] و"المذعور" مِن الذُّعر؛ وهو الخَوْف. وقوله: "منها"، أي: مِن الناقة أو المَطِيّة. و"مِن" للتجريد.[3] يعني: لو أريدُ أبعثُ ناقتي للسير حتّى تُسرع كأنّها ناشط مذعور، وإنّما قال: "مذعورًا" لأنّه إذا خُوِّف كان أسرعَ سيرًا.

قوله: (فللعِوَض المُوفَّى أو المصلحة)[4] يعني: يريد الله تعالى أن يُعطيَهم على[5] ذلك ثوابًا ويرى فيه مصلحةً.

---

١ لكعب بن زهير في ديوانه، ص ٢٩.
٢ ن - إلى أرض.
٣ ن: التجريد.
٤ في مطبوع الكشّاف: "والمصلحة".
٥ ف - على.

وعن بعضهم: مَن لم يَعلم أنَّ ما وَصَل إليه من الفِتَن والمصَائبِ باكتِسابه، وأَنَّ ما عَفا عَنه مولَاه أكثَرُ، كان قليلَ النَّظر في إحسان رَبّه إليه.

وعن آخَرَ: العبدُ مُلازمٌ للجِنايات في كلِّ أوَان، وجِناياتُه في طاعتِه أكثرُ من جناياته في معاصيهِ، لأنَّ جناية المعصِيَة من وجْهٍ وجنايَة الطَّاعةِ من وجوهٍ، واللهُ يُطهِّرُ عبْدَه من جناياته بأَنواعٍ من المَصائب ليُخفِّف عنه أَثقالَه في القيامة، ولولا عَفوُه ورَحْمتُه لهَلك في أوَّل خَطْوَةٍ.

وعن عليّ رضي الله عنه وقد رفعَه: «مَن عُفِي عنه في الدنيا عُفِي عنه في الآخِرة، ومَن عُوقب في الدُّنيا لم تُثَنَّ عليه العقُوبةُ في الآخرة».

وعنه رضي الله عنه: هذه أَرْجَى آية للمؤمِنِينَ في القرآن.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفَائتِين ما قُضِي عَليكم من المَصائب.

﴿مِن وَلِىٍّ﴾: من مُتَولٍّ بالرَّحمةِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿الجوارى﴾: السُّفُنُ، وقرئ: ﴿ٱلْجَوَارِ﴾.

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: كالجبال، قالَت الخنسَاء:

كــأنّــه عَــلَــمٌ فــي رأسِــه نــارُ

قوله: (وقد رفعه) أي: إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[1]

قوله:

(كــأنّــه عَــلَــمٌ[2] فــي[3] رأسِــه نــارُ)[4]

---

[1] د: عليه السلام.
[2] ن – علم.
[3] ن: على.
[4] ن: نارًا.

وقرئ: ﴿الرياحَ﴾ ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ بفتح اللام وكَسْرِها، من ظَلَّ يَظَلُّ ويَظِلُّ نحو: ضَلَّ يضَلُّ ويَضِلُّ.

﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابِتَ لا تجْرِي ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦ﴾: على ظَهر البحر.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلاءِ الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنَعمائه، وهما صفتا المُؤمنِ المُخلِص، فجعَلَهما كنَايةً عنه، وهو الَّذي وكَّلَ همَّتَه بالنَّظر في آيات الله فهو يَستَملي مِنها العبَرَ.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ٣٤ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ٣٥﴾

﴿يُوبِقْهُنَّ﴾: يُهْلِكهنَّ، والمعنى: أنَّه إن يَشأ يَبْتَلِي المُسَافِرين في البَحر بإحْدَى بَلِيَّتين: إمَّا أن يُسْكِن الرِّيحَ فَيَركِدَ الجَواريَ على مَتْنِ البَحْرِ ويمنعَهنَّ من الجَرْيِ، وإمَّا أن يُرْسلَ الرِّيحَ عاصِفةً فيُهلكَهُنَّ إغراقًا بسَبب ما كَسَبُوا من الذُّنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها.

فإن قلتَ: علامَ عُطف ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾؟

أوّله:

وإنَّ صَخْــرًا لتَأْتَــمُّ الهُــداة بــه[1]

أرادَت[2] أخاها، أي: معروف مشهور.

قوله: (فجعلهما كناية)[3] يريد: أنّه مِن الكناية المطلوبِ بها نفسُ الموصوف.

قوله:[4] (يَسْتَمْلِي)[5] هو مِن قولهم: استملَيتُه الكتاب، أي: سألتُه أن[6] يُملي عليّ.

قوله: (ويَعفو[7] عن كثير منها) "يعفوَ"[8] بالنصب عطفًا على "يُهْلِكَهُنَّ"[9] بمعنى الإشراك بينهما كما سيأتي لوجه الجزم الذي في القرآن. وبالرفع على الاستئناف

---

١ ديوان الخنساء، ص ٣٦٨، بلفظ:
أغَرّ أبلَج تأتَمُّ الهُداة بِه... البيتَ
٢ ن: وأرادت.
٣ ن: لناية.
٤ ن – قوله.
٥ ن: يشتمل.
٦ ن: أي.
٧ ن: ويعفوا.
٨ ن: يعفوا.
٩ ن: يهدكهن.

قلتُ: على ﴿يُسْكِنِ﴾ لأنَّ المعنى: إن يَشَأ يُسكِنِ الريح فيَرْكُدْنَ، **أو يُعْصِفْهَا** فيَغْرَقْنَ بعَصْفِها.

فإن قلتَ: فما مَعنى إدخال العَفو في حكم الإِيبَاق حَيْثُ جُزِمَ جَزمَهُ.

قلتُ: معناه: أَو إن يشأ يُهلِكْ ناسًا ويُنْجِ ناسًا على طريق العفو عنهم.

على ما سيجيء. واعلم أنّه لا وجهَ للنصب ههنا؛ بل الرفع متعيّن في "يعفو"[١] في لفظ **الكشّاف**، ولا وجهَ للعطف الذي ذكر في الحاشية.

قوله: (**أو يُعْصِفْها**)[٢] عصَفَت الريح: اشتدّت، فهي ريح عاصِف وعَصُوف. وفي لغة أسدٍ:[٣] أعصفَت الريح فهي مُعْصِف ومُعصِفة.[٤] هكذا ذُكر في كتب اللغة. والمصنّف ههنا استعمل "الإعصاف" بمعنى جعل الريح عاصِفًا، ولم نَرَ ذلك في شيء مِن كتب اللغة.[٥] ووجهه أنّه منقول مِن قولهم: عصَفَت الريح، بزيادة همزة التعدية، وهذه الهمزة غير ما في قولك: أعصفت الريح، فإنّها[٦] للصيرورة،[٧] وهذه للتعدية.

قوله: (**قلتُ: معناه: أو إنْ يشأ يُسْكِنِ**)[٨] يعني: ليس الجزم في ﴿يَعْفُ﴾ لإدْخاله في حكم الإيباق؛ بل هو عطفٌ على قوله: ﴿يُسْكِنِ﴾، أي: إنْ يشأ[٩] يعاقبهم بالإسكان أو الإعصاف، وإن يشأ يَعْفُ عن[١٠] كثير منهم. والتحقيق أنّه عطفٌ على جملة قوله: ﴿يُسْكِنِ﴾ إلى / قوله: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾، ولذلك عُطف **[٣٤٢ظ]** بالواو دون "أو"، بخلاف ما تقدَّمه، فكأنّه قيل -والله أعلم-: إن يشأ يعاقبهم؛ إمّا بإسكان الريح، أو إعصافها، وإنْ يشأ يعفُ[١١] عن كثير منهم.

---

١ ن: يعفوا.
٢ ن: بعصفها.
٣ ن: أشد.
٤ **الصحاح** للجوهري، «عصف».
٥ ن - والمصنّف ههنا استعمل "الإعصاف" بمعنى جعل الريح عاصفًا، ولم نرَ ذلك في شيء مِن كتب اللغة.
٦ ن: فيها.
٧ ن: فيها للضرورة.
٨ في مطبوع **الكشّاف**: "يهلك".
٩ ن: نشأ.
١٠ ن: على.
١١ د: يعفو.

فإن قلتَ: فمَن قرأ: "ويَعفو"؟

قلتُ: قد استأنفَ الكلامَ.

فإن قلتَ: فما وجُوه القراءاتِ الثلاثِ في ﴿ويَعْلَم﴾؟

قلتُ: أمَّا الجزمُ فعلى ظاهرِ العَطْف، وأمَّا الرَّفعُ فعلى الاستِئناف، وأمَّا النَّصبُ فللْعَطف على تعليلٍ محذوفٍ تَقْديرُه: ليَنتَقِمَ مِنهم ويَعلمَ الَّذين يُجادلُون، ونحوُهُ في العطف على التَّعليل المحذوف غيرُ عَزيزٍ في القرآن، منه قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم ٢١/١٩] وقولُه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية ٢٢/٤٥].

وأمَّا قولُ الزَّجَّاج: النَّصبُ على إضمار "أَنْ" لأنَّ قبلَها جزاءً، تقولُ: "ما تَصْنَعْ أَصْنعْ مِثلَه وأكرِمَك"، وإن شئتَ: "وأكرِمُكَ" على: وأَنا أُكرِمُك، وإن شِئتَ:

قوله: (**فإن قلتَ: فمَن قرأ: "وَيَعْفُو"**)[١] "مَن قرأ" شرطيّة، وجوابها محذوف، أي: فما وجهه؟ أو فما معناه؟ فحُذف ذلك لدلالة السؤال المتقدّم عليه.[٢]

قوله: (**تقول: ما تَصنَعْ أصنَعْ مِثلَه وأُكرِمَك**)... إلخ فإذا نصبتَ يكون النصب بتقدير "أنْ"، أي: وأن أُكرمَك، بمعنى: وإكرامُك، فكأنّه قال: وعليّ إكرامُك، فمعناه مثلُ معنى الرفع في القطع والاستئناف مع زيادة مبالغة في المعنى ههنا. وهذا معنًى حسَن، وإن ردَّه المصنِّف بما نقل عن سيبويه، ولكن لم يُرِد[٣] المصنِّف في ردّه سوى نقل كلام سيبويه، ولم يُورِدْ معنًى يقتضي ضعفه.

وحاصل معنى كلام الزجّاج: أنّه حُذف "أنْ"، وأُبْقي الفعل على النصب، كما في قول الشاعر:

ألا أيّـهـذا[٤] الـزاجـري أحـضُـر الـوَغـا[٥]

---

١ ن: ويعفوا.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ فاعل.

٣ ن: يرو.

٤ ن: انهذا.

٥ ن: الوعاء. | تمامه:
وأن أشهد اللذّاتِ هل أنت مُخلدي
لطرفة بن العبد في ديوانه، ص ٤٥.

"وأكرِمْك" جَزْمًا= ففيه نَظرٌ؛ لِمَا أَوْرَده سيبَويه في كِتابه قال: واعْلم أنَّ النَّصب بالفاء والواو في قوله: "إن تَأتِني آتِك وأُعْطِيَك" ضعِيفٌ، وهو نحوٌ مِن قَوله:

وألــحَــقَ بـالـحـجـاز فـأسْـتَـريـحـا

ومثله كثير قد ذكره المصنّف في هذا الكتاب مرارًا. وإنّما قال الزجّاج: "قبلها جزاء"[١] إشارة[٢] إلى أنّ تقدّم الشرط يقتضي ذلك، ألا ترى أنّ ما[٣] بعد الأمر والنهي إذا لم يُؤتَ بالفاء يكون مجزومًا بتقدير الشرط، وإذا أُتِيَ بالفاء يكون منصوبًا، فعُلِم أنّ في مواضع الشرط مَظِنّة النصب بتقدير "أن"، أو لأنّه بسبب الشرط خرج عن كونه إثباتًا مَحضًا فهو كالاستفهام.

وقوله: (ضعيف) في قول سيبويه: "هذا ضعيف" بحثٌ؛ لأنّ المراد بالضعيف في مثل هذا الموضع: قِلّةُ وروده في كلام الفُصحاء، ونحن نقول: وإذا[٤] ورد مثله في كلام الله تعالى فالوجه أن يُتمسَّك به، ويُجعلَ قويًّا، فإنّه المِعيار والمُهيمِن في جميع الكتب[٥] وعلى كلّ كلام.

هذا، ثمّ[٦] انظر إلى معنى البيت،[٧] فإنّك لو رفعتَ فيه "وألحَقَ" لم يكن فيه ذلك اللُّطف الذي هو في النصب؛ لأنّك إذا رفعتَ كان المعنى: سأترك مَنزلي

---

١ انظر: **معاني القرآن** للزجّاج، ٣٩٩/٤.

٢ ن: أشار.

٣ ف ن - ما.

٤ ف ن: إذا.

٥ وفي هامش د: ذُكِرَ في **مختصر الزاهر** لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي: «وفي "المُهَيمِن" خمسةُ أقوالٍ: قال ابنُ عبّاس: «"المُهَيمن": المُؤْتَمِن». الكِسائي: «الشهيد». أبو عبيد: «الرقيب». أبو مَعشر: «القبّانُ على الكتب». وقال أهل اللغة: لا أصل للقَبّان في كلام العرب، إنّما هو القَفّان. قال الأصمعي: «يقال: فلان قَفّانٌ على فلان؛ إذا كان يتحفّظ أمورَه». وقال ابن الأعرابي: «القفّان عند العرب: الأمينُ، وهو فارسيّ مُعرَّبٌ». وقال أبو عُبيدةَ: «القَفّانُ عند العرب: الذي يتتبّعُ أمرَ الرجل، ويتحفّظه ثمّ يُحاسِبُه عليه». وقال قوم: "المُهَيمِن" في قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٤٨/٥] أي: قائمًا على الكتب، وقيل: القائم على خَلْقِه. | **مختصر الزاهر** للزجّاجي، ص ٧٠.

٦ ن - ثمّ.

٧ وفي هامش د ف +

سـأتـركُ مـنـزلـي لِـبَـنـي تـمـيـمٍ
وألـحـقَ بـالـحِـجاز فـأسْـتَـريـحـا

| قال البغدادي: «نسبه العَيني وتبعه السيوطي في **أبيات المغني** إلى المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي. وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجده فيه». **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥٢٤/٨.

فهذا يجُوزُ، وليس بحدِّ الكلام ولا وجْهِه، إلَّا أنَّه في الجزاء صار أَقْوَى قليلًا لأنَّه ليس بواجبٍ أنَّه يَفْعَلُ إلَّا أن يكون من الأوَّل فعلٌ، فلمَّا ضارَع الَّذي لا يُوجِبُه -كالاستفهام ونحوِه- أجَازُوا فيه هذا على ضعْفِه.

ولا يجُوز أن تُحمَلَ القراءةُ المُستفيضَةُ على وجْهٍ ضعيفٍ ليس بحدِّ الكلام ولا وَجْهِه، ولو كانت من هذا الباب لَمَا أخْلَى سيبَويه منها كتابَهُ وقد ذَكَر نظائرَهَا من الآيات المُشكِلة.

وألحَقُ بالحِجاز، وأمّا إذا نَصَبتَ يكون النصب بتقدير "أن"، ويكون "أن" مع[1] ما بعده في تأويل المفرد، فيكون خبرَ مبتدأ محذوف، أو مبتدأً محذوفَ الخبر، أي: سأترك منزلي وشأني الإلحاقُ[2] بالحجاز، أو الإلحاقُ[3] بالحجاز شأني، فانظر ليَشهد لك الذوق بالتفاوت بين معنى الرفع والنصب، فلذلك مِن المعنى عدل مِن الرفع إلى النصب، واعتبر في الآية مثل هذا المعنى.

ثمّ إنّ[4] قوله: (**أقوى قليلًا**) يدلّ على أنّه قويّ، لكن لا في غاية القُوّة فيكون فصيحًا، وجميع آيِ **القرآن** وتراكيبه لا يلزم أن تكون أفصحَ[5] على الإطلاق؛ بل بعضه أفصحُ وبعضُه فصيح؛ ليكون واردًا على جميع طرق إيراد الكلام وفنونه. ثمّ اعلم أنّ / ردَّ كلامِ[6] سيبويه ههنا بأنّ مثلَ ذلك ورد في **القرآن** ضعيف؛ لأنّه لا يلزم مِن كلامه منعُ النصب في مثل هذا الموضع؛ بل حاصل كلامه أنّ وجه النصب ليس إضمارَ "أنْ" على الوجه الذي ذكره الزجّاج.[7] [٣٤٣و]

قوله: (**ونحوِه**) أي: النفي. وقوله: (**على ضَعفِه**) إلى[8] قوله: "**على ضَعفِه**"[9] كلام سيبويه، ثمّ قال المصنّف.

---

١ ف - مع.

٢ وفي هامش د ف: صوابه اللُحوقُ أو اللِّحاق. | لَحِقَهُ ولَحِقَ به لَحاقًا بالفتح، أي: أدركه، وألْحَقَهُ به غيره. وألْحَقَهُ أيضًا بمعنى لَحِقَهُ. ولَحِقَ لُحوقًا، أي: ضَمَرَ. **الصحاح** للجوهري، «لحق».

٣ ن: والإلحاق.

٤ ف - إنّ.

٥ ن: بأفصح.

٦ ف: الكلام.

٧ وفي هامش د ف: قوله: (فلمّا ضارعَ الذي لا يوجبه) أي: شابه الجزاءُ الكلامَ الذي لا يوجِب الفعلَ، أي: بهذا يخرج عن الإثبات المحض.

٨ د: أي.

٩ ف: ضعف.

فإن قلتَ: فكيف يصحُ المعنى على جَزْم "ويعلمْ"؟

قلتُ: كأنَّه قال: أَو إِنْ يَشَأ يَجْمعْ بينَ ثلاثَةِ أمُورٍ: هلاكِ قومٍ، ونجاةِ قوم، وتحذيرِ آخرينَ.

﴿مِن مَّحِيصٍ﴾: من محيدٍ عن عِقابه.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

"ما" الأُولى ضُمِّنت معنى الشرط فجاءتِ الفاء في جَوابهَا، بخلاف الثانية.

عن عليٍّ رضي الله عنه: اجتَمع لأبي بكر رضي الله عنه مالٌ فتصَدَّق بهِ كلِّهِ في سبيل الله والخَيْرِ، فلَامَهُ المُسلمُون وخطَّأهُ الكافِرُون، فنزلت.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وكذلك ما بَعْده.

ومَعْنى: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: الكبائرُ من هذا الجِنس، وقرئ: ﴿كبيرَ الإثم﴾.

وعن ابن عبَّاس: كَبيرُ الإِثْم هو الشِّركُ.

﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ أي: هُم الأخِصَّاءُ بالغُفرانِ في حال الغضَب، لا يَغُولُ الغضبُ أَحلامَهم كما يَغُولُ حُلومَ الناسِ، والمجيءُ بـ﴿هُمْ﴾، وإيقَاعُه مبتدأً، وإسنادُ ﴿يَغْفِرُونَ﴾ إليه، لهذه الفائدة، ومثلُه: ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى ٤٢/٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ نزلَتْ في الأَنصار: دعَاهم الله عزَّ وجلَّ للإيمانِ به

قوله: **(وتحذير آخرين)** وذلك لأنّ علمهم بذلك إنّما يكون بإعلام الله تعالى إيّاهم، وإعلام الله تعالى إيّاهم تحذير لهم.

وطاعتهِ فاستجَابُوا لـه بأَن آمَنُوا به وأطَاعُوه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: وأتَمُّوا الصَّلواتِ الخمسَ، وكانوا قبل الإسْلام وقبلَ مقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدِينَةَ: إذا كان بينهـم أمرٌ اجتمَعوا وتشَاوَرُوا، فأثنى اللهُ عليهم؛ أي: لا ينْفرِدُون برأيٍ حتى يجتمِعُوا عليه.

وعن الحسن: ما تشَاورَ قومٌ إلّا هُدُوا لِأَرْشدِ أمْرِهم.

و"الشورَى": مَصْدرٌ -كالفُتيا- بمعنى التَّشاوُر.

ومعنَى قَولِهِ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ذُو شُورى، وكذلك قولُهم: تَركَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرُ بن الخطَّاب الخلافةَ شُورَى.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾

هو أن يَقْتصِرُوا في الانتِصَار على ما جعَله الله تعالى لَهُم ولا يَعتَدُوا.

وعن النَّخعِيّ أنَّه كان إذا قرأها قال: كانوا يكرَهُون أن يُذلُّوا أنفسَهم فيَجتَرئَ عليهم الفُسَّاقُ.

فإن قلتَ: أَهُم محمُودُونَ على الانتصَار؟

قلتُ: نَعم؛ لأنَّ مَن أَخذ حقَّه غيرَ متعدٍّ حَدَّ اللهِ وما أَمَر به ....

قولـه: (**هو أن يَقتصر**)... إلخ ليس بين هذا وبين قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ منافاةٌ؛ لأنّ البغي[1] هو الذي يؤدّي إلى الفساد.

قولـه: (**وعن النخعي**) إشارة[2] إلى وجه آخر. وحاصل الوجه **الأوّل** أنّ مدحهم إنّما هو لاقتصارهم[3] وعدمِ اعتدائهم. وحاصل الوجه **الثاني** أنّ مدحهم لكراهتهم الإذلال والاجتراء.

قوله: (**غير مُعتَدٍ**)[4] هذا مبنيّ على الوجه **الأوّل**.

---

[1] ن: النعي.

[2] ن: أشار.

[3] ن: الاقتصارهم.

[4] في مطبوع **الكشّاف**: "متعدّ".

فلَم يُسرفْ في القتلِ إن كان وَليَّ دَمٍ، أو ردَّ عَلى سفيهٍ مُحاماةً على عرضه ورَدْعًا له، فهو مُطيعٌ، وكلُّ مُطيعٍ مَحمُودٌ.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾

كلتا الفَعْلَتيْنِ -الأُولَى وجزاؤُها- سيِّئةٌ لأنَّها تَسوءُ مَن تَنزِلُ به، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ﴾ [النساء ٧٨/٤] يُريد: ما يَسُوءهُم من المصَائب والبلايَا.

والمَعنى: أنه يَجبُ إذا قُوبلَتِ الإساءةُ أن تُقابَلَ بمِثْلها من غيرِ زِيادةٍ، فإذا قال: "أَخْزاكَ اللهُ" قال: "أخزاك اللهُ".

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ بينه وبينَ خَصْمه بالعَفْو والإغْضاء، كما قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت ٣٤/٤١].

﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ عِدَةٌ مُبهمةٌ لا يُقاسُ أَمْرُها في العِظَم.

وقَولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ....

قوله:[١] **(أو ردَّ على سفيه)** هذا مبنيٌّ على الوجه **الثاني**.[٢]

قوله: **(أو رَدْعًا)** عطفٌ على قوله: **(مُحاماةً)**، فالردع أيضًا محمود؛ لأنّه مِن قَبيل النهي عن المنكر.

قوله: **(لأنّها تسوء)** ساءَه نقيض سرَّه.

قوله: **(قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ [النساء ٧٨/٤])** ذكره للاستشهاد[٣] على أنّ السيّئة سمّيت سيّئة لأنّها تسوء مَن تنزل به.

قوله: **(كما قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ﴾)** ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي﴾ [فصلت ٣٤/٤١]. استشهاد على أنّه يحصل الإصلاح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء.

---

١ ن – قوله.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (كلتا الفَعْلَتَين)... إلخ.

٣ ن: الاستشهاد.

دَلَالَةٌ على أن الانتصارَ لا يَكادُ يُؤمَنُ فيه تَجاوُزُ السَّوِيَّة والاعْتِداءُ، خصُوصًا في حال الحَرَدِ والتِهَابِ الحميَّةِ، فربَّما كان المُجازِي من الظَّالمين وهُو لا يَشعُر.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ: مَن كان له على الله أَجْرٌ فَلْيَقُم»، قال: «فيقُوم خَلقٌ كثير، فيُقال لهُم: ما أَجْرُكم على الله؟ فيقولون: نحن الَّذين عَفونا عمَّن ظَلَمَنا، فيُقالُ لهُم: ادْخلُوا الجنَّةَ بإذنِ الله».

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٢﴾

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ من إضافةِ المصدر إلى المفعول، وتُفسِّرهُ قراءةُ مَن قرأَ: "بعد ما ظُلِمَ".

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى مَعنى "مَن" دُون لفظه ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ للمُعاقِب ولا للعَاتبِ والعائب.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يبتَدؤونَهم بالظُّلم ويَبغُون في الأَرض يتَكَبَّرُونَ فيها ويَعلُونَ ويُفْسِدُون.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظُّلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينْتَصِر وفوَّضَ أمرَه إلى الله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وحُذِفَ الراجعُ لأنه مفهومٌ كما حُذف من قولهم: "السَّمْن مَنَوانِ بدرهمٍ".

قوله: (دلالةٌ على أنّ الانتصار) وجه الدلالة أنّه في الحمل على العفو قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، فدلّ على أنّ ترك العفو قد يؤدّي إلى الظلم.

قوله: (في حال الحَرَدِ) الحَرْدُ[1] والحَرَدُ -بالتسكين والتحريك-: الغضَب.[2]

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي: للمعاقِب والعائب.[3]

---

١ ف: الحَرْدِ.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «حرد».

٣ ف: والغائب.

ويُحكَى أنَّ رجلًا سَبَّ رجلًا في مجلِسِ الحسن رحمه الله، فكانَ المسبُوبُ يكْظِمُ ويَعْرَقُ فيمسَحُ العَرَقَ، ثمَّ قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقَلَها واللهِ وفهِمهَا إذ ضَيَّعَها الجاهلون.

وقالوا: العَفوُ مَندُوبٌ إليه، ثمَّ قد ينعكسُ الأمرُ في بعضِ الأحوال فيرجعُ تركُ العفْو مندوبًا إليه، وذلك إذا احتِيجَ إلى كفِّ زيادة البَغْيِ وقطعِ مادَّةِ الأذَى.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما يدلُّ عليه، وهو: أنَّ زينَبَ أسمَعتْ عائشة رضي الله عنهما بحَضْرته، وكان ينهاهَا فلا تَنْتهي، فقال عليه السلام لعائشةَ: «دونكِ فانتَصِري».

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومن يَخذُلِ اللهُ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: فلَيس له من ناصرٍ يتولَّاهُ من بعد خذلانه.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مِن الأمور التي نُدِبَ إليها. وقيل: مِن الثابت الذي لا يُنسخ.

قوله: (عَقَلَها) أي: عمِل بها.

قوله: (أسْمَعَتْ) أي: شتَمَتْ. وقوله: («دونَكِ»)[١] أي: خُذي.

قوله تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يُساقون إليها. وأنّث العذاب حملًا على المعنى، يعني: النار.

---

[١] مسند أحمد، ١٦٨/٤١ (٢٤٦٢٠)؛ سنن ابن ماجه، ١٥٠/٣ (١٩٨١).

﴿خَٰشِعِينَ﴾: مُتَضَائِلين متقَاصِرين ممَّا يلحقُهم ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾.

وقد يُعَلَّقُ ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ بـ﴿يَنظُرُونَ﴾ ويُوقَفُ على ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾؛ أي: يَبتدِئُ نَظرهُم مِن تحريكٍ لأجفَانهِم ضَعِيفٍ خفيٍّ بمُسارَقةٍ؛ كما تَرى المَصْبُورَ ينظرُ إلى السَّيْفِ، وهكَذا نظَرُ النَّاظِرِ إلى المكارِه: لا يَقْدِرُ أن يَفتحَ أجفانَه علَيها ويَملأَ عَينيه منها كما يَفعَلُ في نظَره إلى المحَابِّ.

وقيل: يُحشَرُون عُمْيًا فلا ينظُرون إلَّا بقُلُوبهِم، وذاكَ نَظرٌ من طَرْفٍ خَفيٍّ، وفيه تَعسُّفٌ.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إمَّا أن يتعلَّقَ بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ ويكونَ قولُ المؤمنِينَ واقِعًا في الدُّنيا، وإمَّا أن يتعلَّق بـ﴿قَالَ﴾؛ أي: يقُولُونَ يومَ القيامة إذا رَأوهُم على تلك الصِّفة.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿مِنَ﴾ صلَةُ ﴿لَّا مَرَدَّ﴾؛ أي: لا يَرُدُّهُ اللهُ بَعد ما حَكَم به، أو ﴿مِنَ﴾ صلَةُ ﴿يَأْتِيَ﴾؛ أي: من قَبْلِ أن يأتيَ من الله يَومٌ لا يقدِرُ أَحدٌ على ردِّه.

و"النَّكيرُ": الإنكارُ؛ أي: ما لكُم من مَخْلَصٍ من العَذاب، ولا تَقْدِرُون أن تُنكِرُوا شَيئًا ممَّا اقْترفتُمُوه ودُوِّن في صحائف أَعمالِكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

أراد بالإنسان الجمْعَ لا الوَاحِدَ، لقولِه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ ولم يُردْ إلَّا المجرمين؛ لأنَّ إصابَةَ السَّيِّئةِ بما قدَّمتْ أيديهم إنَّما تَستقيمُ فيهم.

قوله: (﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ "مِن" صلةُ) الكسر في الصلة أَولى مِن الضمّ في الموضعين، يظهر بالتأمّل في قوله: (أو "مِن" صلةُ ﴿يَأْتِيَ﴾).

و"الرحمةُ": النِّعْمةُ من الصِّحَّة والغِنَى والأَمْنِ، و"السَّيِّئةُ": البلاءُ من المَرض والفَقرِ والمخاوِف.

و"الكَفُورُ": البَليغُ الكُفرانِ، ولم يَقُل: "فإنَّه كفورٌ" ليُسجِّلَ على أنَّ هذا الجنسَ مَوْسُومٌ بكفرانِ النِّعَم؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم ٣٤/١٤] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات ٦/١٠٠]، والمَعنى: أنَّه يذكُرُ البلاءَ وينسَى النِّعَمَ ويَغْمِطُها.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

لمَّا ذكر إذاقَةَ الإنسانِ الرَّحمةَ وإصَابتَه بضِدِّها أَتْبعَ ذلك أَنَّ له المُلْكَ، وأنَّه يَقْسِم النِّعمَةَ والبَلاءَ كيفَ أرادَ، ويَهَبُ لعبَادِه من الأولاد مَا تقتَضِيه مَشيئَتُه، فيَخُصُّ بَعضًا بالإناث، وبَعضًا بالذُّكُورِ، وبَعضًا بالصِّنْفَين جميعًا، ويُعْقِمُ آخَرينَ فلا يَهَبُ لهُم ولدًا قَطُّ.

فإن قلتَ: لِمَ قدَّم الإناثَ أوَّلًا على الذُّكور مَع تقدُّمهم عليهنَّ، ثمَّ رجَع فقَدَّمهم؟ ولِمَ عرَّفَ الذكورَ بَعْد ما نكَّرَ الإناثَ؟

قلتُ: لأنَّه ذكر البَلاءَ في آخِرِ الآية الأُولى ....

قوله: (ويَغْمِطُها)[١] غَمِطَ[٢] النِّعمةَ -بالكسر- يَغْمَطُها، يقال: غَمِطَ عيشَه وغَمَطَه، بالفتح أيضًا، يَغْمِطُ غَمْطًا، بالتسكين فيهما، أي: بَطِرَه وحقَّرَه، وغَمْطُ الناس: الاحتقار[٣] لهم، والازدراء بهم. وفي الحديث: «الكِبْر أنْ تَسْفَه[٤] وتَغْمِط الناس»،[٥] يعني: أن يرى الحقّ سَفَهًا وجَهْلًا، ويَحتقِر[٦] الناس.[٧]

---

١ ن: ويغمظها.
٢ ن: اعمط.
٣ ن: الإحقار.
٤ ن: اسفه.
٥ **صحيح مسلم**، ٩٣/١ (٩١)؛ **سنن أبي داود**، ١٩١/٦ (٤٠٩٢)، بلفظ: «الكِبر بَطَر الحق، وغَمْط الناس».
٦ ن: ويحفر.
٧ **الصحاح** للجوهري، «غمط».

وكُفرانَ الإنسان بنِسيَانه الرحمةَ السَّابقَةَ عندَه، ثمَّ عقَّبه بذِكر مُلْكِه ومَشِيئتِه وذكرِ قسمةِ الأَوْلادِ فقَدَّم الإناث؛ لأنَّ سيَاق الكلام أنّه فاعلُ ما يشَاؤه لا ما يشاؤهُ الإنسانُ، فكان ذكرُ الإناثِ اللَّاتي من جملةِ ما لا يَشاؤهُ الإنسانُ أَهمَّ، والأهمُّ واجبُ التَّقديم، وليَلِيَ الجنسُ الَّذِي كانت العربُ تَعُدُّه بلاءً ذكرَ البَلاء، وأَخَّر الذُّكورَ فلمَّا أَخَّرهم لِذلك تدارَك تأخيرَهُم -وهُم أَحِقَّاءُ بالتَّقديم- بتَعْريفهم؛ لأنَّ التَّعْريفَ تَنْويهٌ وتشهِيرٌ كأنَّه قال: ويهَبُ لمَن يشاء الفُرسَانَ الأَعلامَ المذكُورين الَّذين لا يخفَوْنَ عليكم، ثم أَعْطَى بعد ذلك كِلَا الجِنْسَين حقَّه من التَّقديم والتَّأخير، وعرَّف أَنَّ تَقْدِيمهنَّ لم يكُن لِتَقدُّمِهنَّ ولكِنْ لمُقْتَضٍ آخر فقال: ﴿ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩] ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة ٣٩/٧٥].

وقيل: نزلت في الأنبيَاء صلواتُ الله عليهم وسلامُه، حيث وَهَب لشُعيبٍ ولُوطٍ إناثًا، ولإبراهيم ذكُورًا، ولمحمَّدٍ ذكُورًا وإناثًا، وجَعل يحيَى وعيسى عقِيمَين.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ﴾ بمصَالح العبادِ ﴿قَدِيرٞ﴾ على تكوين ما يُصْلِحُهم.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: وما صَحَّ لأحَدٍ من البَشر ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ على ثلاثةِ أوجُهٍ:

إما على طريق الوحي، ....

قوله: **(لأنَّ سياق الكلام)**... إلخ نظيرُه في التقديم قوله: ﴿ٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة ٣٨/٥]، لمّا كان سياق هذه الآية لبيان العذاب قدّم[١] قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على ﴿يَغۡفِرُ﴾.

---

[١] ن – قدّم.

وهو الإِلْهامُ والقَذْفُ في القلبِ أو المنَامُ، كما أَوْحى إلى أُمِّ مُوسى وإلى إبراهيم في ذَبْحِ وَلَدِه.

وعن مجاهدٍ: أوْحَى اللهُ الزَّبُورَ إلى داود عليه السلام في صَدْرِه. قال عَبِيدُ بنُ الأَبْرص:

وأوحى إليَّ اللهُ أنْ قد تَأمَّرُوا بإبْلِ أَبِي أَوْفَى فَقُمْتُ على رِجْلي

أي: أَلْهَمنِي وقذَفَ في قلْبِي.

وإِمَّا على أن يُسمِعَه كلامَه الَّذي يَخلُقُه في بعض الأَجْرام من غيْرِ أن يُبْصِر السَّامعُ مَن يُكلِّمُه لأنَّه في ذَاتِه غيرُ مَرئيٍّ، وقوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ ....

قوله: (وهو الإلهام)... إلخ فيه لفّ ونشر. وفسّر الوحي ههنا بوجهين: [٣٤٣ظ] الأوّل: / الإلهام، كـ"إلى أمّ موسى".[١] والثاني: المنام، كـ"إلى إبراهيم"[٢] في ذبح ولده.[٣]

قوله:[٤] (تأمّروا) أي: أخذوها وصاروا أميرًا لها وغَصَبوها،[٥] فقُمتُ في مَدَدهم لأرُدَّها عليهم. "تأمّروا"، أي: استوَلَوا على إبِلهم، فقُمْتُ على رِجْلي لأَنصُرهم.

قوله: (في ذاته غيرُ مرئيّ) بناء على مذهبه. وأمّا عند أهل السنّة والجماعة فالله تعالى يصحّ أن يكون مرئيًّا، ثمّ إنّ الكلام مِن وراء حجاب لا يقتضي أن يكون غيرَ مرئيّ لذاته. وكذا قوله: (يَخلُقُه في بعض الأجرام) مبنيّ أيضًا على مذهبه، وهو أنّه تعالى متكلِّم بكلامٍ يَخلُقُه في بعض الأجرام، فالله تعالى يُسمّى متكلّمًا بسبب كلام قائم بغيره، فهم جوّزوا اشتقاق[٦] اسم الفاعل لشيء والفعلُ قائم بغيره.[٧] وأمّا أهل السنّة والجماعة فلا يُجوِّزون ذلك.

---

١ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص ٢٨/٧].

٢ ف: إبرهيم.

٣ قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات ٣٧/١٠٢].

٤ ن وهامش د ف + في البيت.

٥ ن: وغضَبُوها.

٦ ف: اشقاق.

٧ ن - فهم جَوّزوا اشتقاق اسم الفاعل لشيء والفعلُ قائم بغيره.

مَثَلٌ؛ أي: كما يُكلِّمُ الملِكُ المُحتجِبُ بعْضَ خواصِّه وهو مِن وَراء الحجاب، فيَسْمَعُ صَوْتَه ولا يَرى شخصَهُ. وذلك كما كلَّم موسَى ويُكلِّم الملائكةَ.

وإمَّا على أن يُرْسلَ إليه رسُولًا من الملائكة فيُوحِيَ المَلَكُ إليه؛ كما كلَّم الأنبياءَ غيرَ موسى.

وقيل: ﴿وَحْيًا﴾ كمَا أوْحَى إلى الرُّسلِ بواسطةِ الملائكة ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾؛ أي: نَبيًّا كما كلَّم أُمَمَ الأنبياء على ألسِنتهم.

و﴿وَحْيًا﴾ و"أَنْ يُرسلَ": مَصْدرانِ واقِعانِ مَوقعَ الحال؛ لأنَّ "أَن يُرسلَ" في مَعنى: إرسالًا.

و﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾: ظرفٌ وَاقعٌ موقع الحال أيضًا؛ ....

قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كما كلّم موسى، يريد أنّ كلامَه يُسْمَع مِن حيث لا يُرى كما يُرى سائر المتكلّمين، ليس أنّ[1] ثَمّ حِجابًا يَفْصِل موضِعًا مِن موضع، فيدلّ ذلك على تحديد المَحجوب، فهو بمنزلة ما يُسمع مِن وراء حجاب حيث لم يُرَ[2] المتكلِّم».[3]

قوله: **(مَثَلٌ)** حاصله ما نقلناه[4] في الجانب الآخر مِن **الوسيط**.

قوله: **(وإمّا على أن يُرسِل إليه رسولًا)** قال المرزوقي: «والتقدير: أو أن يُرسل رسولًا، حتّى يكون 'أنْ' مع الفعل في تقدير[5] مصدرٍ مَنْسوقٍ على قوله: ﴿وَحْيًا﴾؛ إذ[6] قد امتنع أن يُحمل على أن يُكلِّم».[7]

قوله: **(بواسطة الملائكة)** ومعنى قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ على هذا التفسير كما هو على التفسير الأوّل. وعلى هذا ﴿وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ بالنسبة إلى الأنبياء، و﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ بالنسبة إلى أُممهم.

---

١ ن - أنّ.
٢ ن: يزل.
٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٦١/٤ (الشورى، ٥١/٤٢).
٤ ن: يلياه.
٥ ن: تقديره.
٦ ن: إن.
٧ **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقي، ٤٩٣/٢.

كقوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران ١٩١/٣] والتقديرُ: وما صَحَّ أن يكَلِّمَ أَحدًا إلَّا مُوحيًا أو مُسْمِعًا مِن وراء حجابٍ أو مُرْسِلًا.

ويجوز أن يكون: ﴿وَحْيًا﴾ مَوضوعًا مَوضعَ: كلامًا؛ لأنَّ الوحي كلامٌ خَفيٌّ في سرعةٍ؛ كما تقول: "لا أُكَلِّمُه إلَّا جهرًا، وإلَّا خُفَاتًا" لأنَّ الجهْرَ والخُفاتَ ضَرْبانِ من الكلام، وكذلك: "إرسالًا" جُعِل الكلامُ على لسان الرَّسُول بمنْزلةِ الكلام بغيْرِ واسِطةٍ، تقُولُ: "قلتُ لفُلانٍ كذا"، وإنَّما قاله وكيلُكَ أو رسُولُكَ، وقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ معناه: أو إسْماعًا من وراء حجاب.

ومَن جَعل ﴿وَحْيًا﴾ في مَعْنى: أَنْ يُوحِيَ، وعَطَف ﴿يُرْسِلَ﴾ عليه على مَعْنَى: "وما كان لبشر أن يكلِّمَه الله إلَّا بأَنْ يُوحِيَ أو بأنْ يُرسِلَ" فعليه أَنْ يُقدِّر قولَه: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ تقدِيرًا يُطَابِقُهما عليه؛ نَحوُ: أو أَن يُسمِعَ من وراء حجاب.

وقرئ: ﴿أويرسلُ رسولًا فيوحىْ﴾ بالرَّفع ....

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾**) ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران ١٩١/٣].

قوله: (**مَوضِعَ كلامًا**) فيكون مفعولًا مطلقًا.

قوله: (**إلّا جَهْرًا وإلّا خُفاتًا**) فـ"جَهرًا" و"خُفاتًا" مصدران.

قوله: (**وكذلك إرسالًا**) أي: يكون إرسالًا موضوعًا[١] موضع كلامًا أيضًا، ثمّ قرّر ذلك بقوله: (**جُعل الكلام**)... إلخ.

قوله: (**معناه: أو إسْماعًا**) فعلى هذا يكون قوله: ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ موضوعًا[٢] موضِع "كلامًا"[٣] أيضًا.

قوله: (**ومَن جعل**)... إلخ فعلى هذا يكون ﴿وَحْيًا﴾... إلخ مفعولًا به بواسطة الحرف،[٤] كما في قولك: ضربتُه بالسَّوط.

---

١ ف: موضوع.
٢ ف: موضوع.
٣ ف: كلام.
٤ ف: الحرب.

على: أو هو يُرْسِلُ، أو بمعنى: مُرْسِلًا، عطفًا على ﴿وَحْيًا﴾ في مَعنى: مُوحيًا.

ورُوي أنَّ اليهُود قالت للنَّبيِّ عليه السَّلام: ألَا تُكلِّمُ الله وتَنْظُرُ إلَيْه إن كنتَ نبيًّا كما كلَّمُه مُوسَى ونظرَ إليه؟ فإنَّا لن نُؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال: "لم يَنظُر مُوسى إلى الله" فنزلَتْ.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: «مَن زعم أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه فقد أعْظم على الله الفِرْيةَ» ثمَّ قالَت: «أوَلم تسمَعُوا ربَّكُم يقُول...»، فتلَت هذه الآيَةَ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفاتِ المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يُجْرِي أفعَالَه على مُوجَب الحِكمة، فيُكلِّم تارةً بواسطةٍ وأُخْرَى بغيْرِ واسطةٍ: إمَّا إلْهَامًا وإمَّا خِطابًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يُريد: ما أُوحِيَ إليه؛ لأنَّ الخَلق يَحيَوْن به في دِينهم كما يَحيَى الجسَدُ بالرُّوح.

قوله: **(على أو هو يُرسل)** فيكون كابتداء كلام.

قوله: **(أو بمعنى مرسِلًا)** نحو: جاء زيد يَعدو أو يتكلّم، أي: عاديًا متكلِّمًا، فإنّ الفعل المضارع إذا وقع حالًا يُجعل في معنى اسم الفاعل.

قوله: **(فَتلَت)**[1] مِن التلاوة، أي: فقرأت عائشةُ هذه الآيةَ للاستشهاد على ما ذكرت.[2]

قوله: **(فيُكلِّمُ تارة بواسطة)**[3] فلا يمكن أن يكون كلامه كما يتكلّم الناسُ بعضهم مع بعضٍ؛ بل لا يكون كلامه إلّا على أحد هذه الوجوه المذكورة في الآية، كما / تقتضي[4] حكمتُه. [٣٤٤و]

---

١ ن: قلت.

٢ حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري، ١٤٠/٦ (٤٨٥٥)؛ وصحيح مسلم، ١٥٩/١ (١٧٧).

٣ ن: فتكلّم تارة بوسطة.

٤ ف: يقتضي.

فإن قلتَ: قد عُلم أنَّ رسول الله عليه السلام ما كان يَدْرِي ما القرآنُ قبْلَ نزُولِه عليه، فما مَعنى قوله: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ والأنبياءُ لا يجُوز عليهم إذا عقَلُوا وتمكَّنُوا من النَّظر والاستدلالِ أن يُخطِئَهم الإيمانُ بالله وتَوْحيدُه، ويجبُ أن يكونوا معصُومينَ من ارتكابِ الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفيرٌ قبلَ المَبْعثِ وبَعده، فكيف لا يُعصَمونَ من الكفر؟

قلتُ: الإيمانُ اسمٌ يتناوَلُ أشيَاء: بعضُها الطَّريقُ إليه العقلُ، وبَعضُها الطريقُ إليه السَّمعُ، فعُنِي به ما الطَّريقُ إليه السَّمعُ دُون العَقل، وذاك ما كان له فيه عِلمٌ حتَّى كَسَبه بالوَحْيِ.

ألا تَرى أنَّه قد فُسِّرَ الإيمانُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة ١٤٣/٢] بالصَّلاة لأنَّها بعضُ ما يتناوله الإيمانُ.

﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: مَن له لُطْفٌ، ومَن لا لُطْفَ له فلا هِدايةَ تُجْدِي عليه.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدَلٌ، وقرئ: "لتُهدَى"؛ أي: يهديك الله، وقرئ: "لتَدْعُو".

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «من قَرأ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ كان ممَّن تُصَلِّي عليه الملائكةُ ويَستغفِرُونَ له ويَسْتَرحِمُونَ له».

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ "الكاف" صفةُ مصدر محذوف، و"ذلك" إشارة إلى الوحي المتقدّم المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾... إلخ، أي: وكذلك أوحينا إلى سائر الأنبياء كما أوحينا إليك بأن أرسلْنا إليك جبرئيل عليه السلام.[١]

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٢]

---

١ ف ن - عليه السلام.

٢ ف - السورة بحمد الله تعالى.

سورة الزخرف

مكية، وقال مقاتل: إلّا قولَه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٥].
وهي تسعٌ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞﴾

أَقسَمَ بالكتاب المُبينِ وهو القرآنُ، وجَعَلَ قولَه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ جَوابًا للقَسم، وهو من الأَيمان الحسَنة البَدِيعة؛ لتنَاسُب القَسم والمُقسَم عليهِ وكونهِما مِن وادٍ واحِدٍ، ونظيرُه قول أبي تمَّام:

سورة الزُّخرُف

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (**أقسَم بالكتاب المبين**) أقسَم أنَه جعله[2] **قرآنًا عربيًا**، وليس بمفتَرَى[3] كما زَعَمه بعضهم، وهذا هو المراد بكونه جوابًا، لا كونُه عربيًا؛ لأنّ كونه[4] عربيًا غير مشكوك فيه.

قوله: (**جوابًا للقسَم**) فكأنّه قيل: لا شيءَ أعظمَ عندي منه ولا أعزَّ حتّى أُقسِمَ به، ولمّا كان هذا أعزَّ الأشياء وأعظمَه عندي أقسمتُ به ليكون قَسمِي[5] في غاية الوَكادة.

---

١ ف ن – وبه نستعين.
٢ ن: خلقه.
٣ ن: بمفترا.
٤ ن: لونه.
٥ ن: قسامي.

وثَـــنـــايـــاكِ إنَّـــهـــا إغْـــريـــضُ

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: البَيِّن للَّذِي أُنزِلَ عليهم لأنه بِلُغتِهم وأسَالِيبِهم.

وقيل: الواضحُ للمُتَدبِّرين.

وقيل: ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الذي أبَانَ طُرقَ الهُدَى من طرُق الضَّلالةِ، وأَبانَ ما تَحْتاجُ إليه الأُمَّةُ في أبواب الدِّيانة.

﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ بمَعنى: "صَيَّرناهُ" مُعَدًّى إلى مفعولين، أو بمَعنى: "خَلقْناه" مُعدًّى إلى واحدٍ؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦].

و﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ، و"لعَلَّ" مُستعَارٌ لمَعنى الإرادة؛ لِتَلاحُظِ مَعْناهَا

قوله: (إغريضُ)[١] الإغريض:[٢] الطَّلْعُ. وقيل: البَرَدُ. وقيل: كُلُّ[٣] أبيض طَرِيّ.[٤]

قوله: (﴿ٱلْمُبِينِ﴾ البيّن)... إلخ أشار إلى أنَّ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يجوز أن يكون مِن أبانَ بمعنى ظهَرَ أو أظْهَر، وذَكر لكلٍّ معنَيَين.[٥]

قوله: (مُعَدًّى) حال مِن الضمير المستتر في قوله: (بمعنى: صيَّرناه)؛ وذلك لأنّ قوله: (﴿جَعَلْنَٰهُ﴾) في تركيبه مبتدأ، "بمعنى: صيَّرناه"[٦] خبره، ففيه ضمير مستَتِر يرجع إلى المبتدأ. وقوله: (إلى مفعولَين) فقوله: ﴿قُرْءَٰنًا﴾ على هذا هو المفعول الثاني.

قوله: (لتلاحظ)[٧] يريد أنّ الاستعارة في "لعلّ" بتبعيّة[٨] الاستعارة في متعلَّق

---

[١] تمامه:

وثَـــنـــايـــاكِ إنّـــهـــا إغْـــريـــضُ
ولَآلٍ تُـــومٌ وبَـــرقٌ وَمِيـــضُ

ديوان أبي تمّام، ٨٦/٢.

[٢] ن: (اعريص) الاعريص.

[٣] د: وكلّ.

[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «غرض»؛ و**مجمل اللغة** لابن فارس، «غرض».

[٥] ن: معنين.

[٦] ف - وذلك لأنّ قوله: (﴿جَعَلْنَٰهُ﴾) في تركيبه مبتدأ، "بمعنى: صيَّرناه".

[٧] وفي هامش د ف: أي: لتَناسُب معنى الإرادة ومعنى الترجّي، أي: بينهما مناسبة يحتمل أن يكون هنا استعارة مصطلحة، والجامع بين الإرادة والترجّي كون كلٍّ منهما متعلّقًا بأمرٍ مطلوب، ويحتمل أن يكونَ المراد الاستعارة اللغويّة، فيكون مِن المجاز المرسل؛ مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ التوقّع مستلزم للإرادة.

[٨] ن: بتبعه.

ومَعْنى التَّرجِّي؛ أي: خَلقْناه عربيًّا غيرَ عجميٍّ إرادةَ أن تَعْقِلَه العَربُ، ولئلَّا يقُولُوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت ٤١/٤٤].

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

وقرئ: ﴿إمّ الكتابِ﴾ بالكسر.

وهي اللَّوحُ؛ كقَوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج ٨٥/٢١-٢٢] سُمِّي بأُمِّ الكتابِ لأنَّه الأَصْلُ الَّذي أُثبِتَتْ فيه الكتبُ منه تُنقلُ وتُستَنسَخُ.

"عليٌّ": رفيعُ الشَّأنِ في الكتُبِ لكونه مُعْجِزًا مِن بَيْنها.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكْمةٍ بالِغَةٍ؛ أي: مَنْزلتُه عندنا منْزلَةُ كتَابٍ هُما صِفتاه، وهو مُثبَتٌ في أمِّ الكتابِ هكذا.

معناها، وهو الترجّي. وإنّما جَعل الترجّي مُلاحَظًا معنى "لعلّ"، ولم يَجعله معناها[1] لأنّها حرف، وهذا اسم.[2]

واعلم أنّ هذه الحاشية فاسدة لا تعلُّق لها بكلام المصنّف، ولا يدلّ عليها؛ بل الصواب أن نقول: الضمير مِن قوله: **(معناها)** عائد إلى "الإرادة"، وتقريره أن نقول: شُبّه حال العربي المتمكّن مِن أن يَعْقِل المعنى -وهو على تقدير أن يكون عربيًّا- وغيرِ المتمكّن -وهو إذا لم يكن القرآن عربيًّا، ثمّ جُعل القرآن عربيًّا ليَعقِلَه- بحال مَن يُرتجى منه أن يَعقِل المعنى، ثمّ استُعير لجانب المشبَّه "لعلّ"، فقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[3]

قوله: **(بالكسر)** أي: بكسر الهمزة.[4]

قوله: **(هكذا)**[5] إشارة إلى قوله: **(منزِلَتُهُ منزِلةُ كتابٍ هما صِفتاه)**.[6]

---

١ ن - وهو الترجّي، وإنّما جَعل الترجّي مُلاحَظًا معنى "لعلّ"، ولم يجعله معناها.

٢ ن: الاسم.

٣ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ بدل مِن الجارّ والمجرور، أو حال مِن ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ أو مِن ﴿أُمِّ﴾.

٤ قرأ بها حمزة والكسائي. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٤٨.

٥ ن - تعقلون. قوله: (بالكسر) أي: بكسر الهمزة. قوله: (هكذا).

٦ ن: صعناه.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝﴾

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ بمعنى: "أفنُنحّي عنكم الذِّكْرَ ونَذُودُه عَنكم" على سبيلِ المجازِ، من قَولهم: "ضَرَبَ الغرائبَ عن الحَوْضِ"، ومنه قولُ الحَجّاجِ: "ولأضربنَّكم ضَرْبَ غَرائبِ الإبل". وقال طَرَفَةُ:

اضْـــرِبَ عنكَ الـهـمُـومَ طارِقَـها ضَـربَـكَ بـالـسَّـيْـفِ قَـوْنَـسَ الـفـرسِ

والفاءُ للعَطف على محذوفٍ تقديرُه: "أنُهمِلُكم فنَضْرِبُ عنكم الذِّكرَ" إنْكارًا لأَنْ يكون الأمرُ على خلافِ ما قدَّم من إنْزالهِ الكتابَ، وخَلْقِه قرآنًا عربيًّا ليَعقِلُوه ويعمَلوا بمَواجبهِ.

و﴿صَفْحًا﴾ على وجهين:

إمَّا مصْدرٌ من "صَفح عنه": إذا أعرَض، منتصِبٌ على أنَّه مَفعولٌ له على معنى: أفنَعْزِلُ عنكم إنزالَ القرآن وإلزامَ الحجَّة به إعراضًا عنكم.

قوله: (ضرَب الغرائبَ عن الحوضِ) أي: نحَاها وذادَها.[1]

قوله: (وقال طرَفة:

اضـربَ عنـك الهمـومَ طارِقَهـا)... البيـتَ[2]

أي: اضْرِبَنْ، حذفَ النون الخفيفة وأبقى الفتحة قبلها لتدلّ عليها. والطروق: المجيء ليلًا، والطارق: الذي يجيء ليلًا. فقوله: "طارِقَها" بدل مِن "الهموم" بدل البعض. والقَونَس: عَظْم ناتِئ بين أُذنَي الفرَس. والقَونَس: هو مَنْبِت شعر الناصية.[3]

[٣٤٤ظ] قوله: (إنكارًا) متعلّق بمحذوف، أي: أنكرَ إنكارًا، أو قالَه إنكارًا. / و"اللام" في (لِأنْ) متعلّق بـ"إنكارًا"، يريد أنّ معنى ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾... إلخ: إنكارُ[4] أن لا يكون القرآن مُنزَلًا على الوجه المذكور في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾... إلخ [النساء ٤/١٠٥].

قوله: (بمَواجِبه) المَواجِبُ: جمع المُوجَب بضمّ الميم وفتح الجيم.

---

[1] ن: ودادها.

[2] ديوان طرفة بن العبد، ص ١٦٤.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «قنس»؛ وتاج العروس للزبيدي، «قنس».

[4] ن: وإنكار.

وإمَّا بمَعنى الجانب من قولهم: "نظرَ إليه بصَفْحِ وجْهه، وَصُفْحِ وجْهِه" على معنى: أَفننَحِّيهِ عنكُم جانبًا، فيَنتَصِبُ على الظَّرف كما تقول: "ضَعْهُ جانِبًا"، و: "امشِ جانِبًا"، وتعضُده قراءةُ من قرأ: "صُفْحًا" بالضَّمِّ.

وفي هذه القراءةِ وجهٌ آخَرُ: وهو أن يكون تخفيفَ صُفُحٍ جمعِ صَفُوحٍ وينتصبَ على الحال؛ أي: صافِحِينَ مُعرِضِين.

﴿أَن كُنتُمْ﴾: لِأَنْ كنتم، وقرئَ: ﴿إِنْ كُنْتُم﴾ و: "إِذْ كُنْتُم".

فإن قلتَ: كيف استقام معنى "إِنْ" الشرطيةِ وقد كانوا مُسْرفين على البَتِّ؟

قلتُ: هو من الشرط الذي ذكرتُ أنَّه يَصدُر عن المُدِلِّ بصحَّة الأمر المتحقِّق لثبُوتهِ؛ كما يقول الأجيرُ: "إِنْ كنتُ عملتُ لك فوَفِّني حقِّي" وهو عالمٌ بذلك، ولكنَّهُ يُخيِّلُ في كلامه أَنَّ تَفْرِيطَكَ في الخرُوج عن الحقِّ فِعْلُ مَن له شكٌّ في الاستحقاق مَع وضوحه استجهَالًا لهُ.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

قوله: (**تقول: ضَعْه جانبًا، وامشِ جانبًا**) كما قالوا: كُنْ وسَطًا وامشِ جانبًا. قال الحَماسي:

إذا همَّ ألقى بينَ عَينيه عزمَه ونكَّبَ عن ذكر العواقِب جانبًا[1]

قوله: "نكَّبَ" أي: تنكّب في جانب.

قوله: (**قراءةُ مَن قرأَ: "صُفْحًا"**)[2] أي: جانبًا.

قوله: (**عن المُدِلّ**) **يُقال: هو يُدِلّ بفلان، أي: يَثِقُ[3] به.**[4]

قوله: (**استِجهالًا**) متعلّق بقوله: (**يُخَيِّل**)، وكان حقّه أن يقول: **استِجهالًا لك**،

---

[1] لسعد بن ناشب المازني في **الشعر والشعراء** لابن قتيبة، ٢/٦٨٥؛ و**تخليص الشواهد** لابن هشام، ص ١٦٣.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الشميط بن عمير السدوسي وحسان بن عبد الرحمن الضبعي. انظر: **شواذ القراءات للكرماني**، ص ٤٢٤.

[3] ن: يتق.

[4] **الصحاح للجوهري**، «دلل».

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم﴾ حكايةُ حالٍ ماضيَةٍ مستمرَّة؛ أي: كانوا على ذلك، وهذه تسْليةٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قوْمِه.

الضَّميرُ في ﴿أَشَدَّ مِنۡهُم﴾ للقَوْم المُسرفين؛ لأنَّه صَرفَ الخطابَ عَنهم إلى رسُول الله يُخبرُه عنهم.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: سَلَف في القرآن في غير مَوضعٍ منه ذكرُ قصَّتِهم وحالِهم العجيبةِ الَّتي حَقُّها أن تسيرَ مَسيرَ المَثَلِ، وهذا وعْدٌ لرسُول الله ووعيدٌ لهُم.

ولكن عدَل إلى الغائب، كأنّه قال: استِجهالًا للمخاطَب، وإنّما فعل كذلك صَونًا عن مثل هذا الخطاب.[1]

قوله: (لأنّه صَرَف) اللام في قوله: "لأنّه" متعلّق بقوله: (للقوم)، يريد أنّ الحالَ حالُ خطاب، لقوله تعالى: ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾، فكأنّ الوجه أن يقول: فأهْلكنا أشدَّ منكم بطشًا؛ لولا التفات، لكن التفتَ تعالى، فصرفَ الكلامَ عنهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[2] فصاروا في حكم الغائب، فلذا قيل: ﴿أَشَدَّ مِنۡهُم﴾.

قوله: (في غير موضعٍ منه)[3] أي: بل في مواضِعَ كثيرةٍ، وهو بدل مِن قوله: (في[4] القرآن) بدلَ البعض مِن الكلّ.

قوله: (وهذا وَعْدٌ) أي: قوله تعالى: ﴿مَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وعدٌ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم[5] بأن يُهلك عدوَّه، وهم المسرفون، ووعيدٌ للمسرفين بالإهلاك.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (مستَمِرّةٌ) أي: وَقْتًا بعد وقت، وحالًا بعد حالٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة ١٥/٢]، فإنّه قيل: للاستمرار، أي: وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حالٍ، وهذا يُستفاد مِن التعبير عن الماضي بالمضارع، فإنّه إذا عُبّر عن الشيء الواقع في الزمان الماضي بصيغة الحاضر دلّ على أنّ ذلك الشيء الواقع في الزمان الماضي موجود ثابت في الحال، فيلزم الاستمرار.

[2] د: عليه السلام.

[3] وفي هامش د ف: أي: مِن القرآن.

[4] ن: من.

[5] د: عليه السلام.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾

فإن قلتَ: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما سُرِد من الأوصاف عقيبَه، إن كان من قولهم فما تَصْنَعُ بقوله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، وإن كان من قولِ الله فما وَجْهُه؟

قلتُ: هو من قول الله لا مِن قولهم، ومَعنى قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الَّذي من صفته كيت وكيْتَ: لَيَنسُبُنَّ خَلْقَها إلى الَّذي هذه أوصافه وليُسْنِدُنَّه إليه.

﴿بِقَدَرٍ﴾: بمقدارٍ يَسْلَم مَعه البلادُ والعِبادُ ولم يكن طُوفانًا.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾

قوله: (**فإن قلتَ: قوله:** ﴿لَيَقُولُنَّ﴾) لا شُبهةَ أنّ قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ ليس مِن قولهم، لكنّ المصنّف تساهل في العبارة؛ إذ مِن المعلوم أنّ المراد المَقول، أعني: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾... إلخ.

قوله: (**فما وجهه؟**) أي: فما وجه هذا القول؟ أي: مُستَبعَدٌ؛ لأنّه لا يصحّ أن يكون ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ مِن قول الله تعالى بعد أن قيل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾، وأيضًا فلا[1] شبهةَ أنّ الواو المحذوفة مِن قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ لالتقاء الساكنين عائدٌ[2] إلى ما عاد إليه الضمير مِن قوله: ﴿سَأَلْتَهُم﴾، وهم مشركو قريش، فكيف يستقيم أن يكون ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾... إلخ مِن قول الله تعالى؟ قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ سألتَ قومَك».[3]

---

١ ن: ولا.

٢ ن: عائدًا.

٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٦٥ (الزخرف، ٤٣/٩).

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكايةُ حالٍ ماضيَةٍ مستمرَّة؛ أي: كانوا على ذلك، وهذه تسْليةٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قوْمِه.

الضَّميرُ في ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ للقَوْم المُسرفين؛ لأنَّه صَرفَ الخطابَ عَنهم إلى رسُول الله يُخبرُه عنهم.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: سَلَف في القرآن في غير مَوضعٍ منه ذكرُ قصَّتِهم وحالِهم العجيبةِ الَّتي حَقُّها أن تسيرَ مَسيرَ المَثَلِ، وهذا وعْدٌ لرسُول الله ووعيدٌ لهُم.

ولكن عدَل إلى الغائب، كأنّه قال: استِجهالًا للمخاطَب، وإنّما فعل كذلك صَونًا عن مثل هذا الخطاب.[١]

قوله: **(لأنّه صَرَف)** اللام في قوله: "لأنّه" متعلّق بقوله: **(للقوم)**، يريد أنّ الحالَ حالُ خطاب، لقوله تعالى: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، فكأنّ الوجه أن يقول: فأهْلكنا أشدَّ منكم بطشًا؛ لولا التفات، لكن التفتَ تعالى، فصرفَ الكلامَ عنهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[٢] فصاروا في حكم الغائب، فلذا قيل: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾.

قوله: **(في غير موضعٍ منه)**[٣] أي: بل في مواضِعَ كثيرةٍ، وهو بدل مِن قوله: **(في[٤] القرآن)** بدلَ البعض مِن الكلّ.

قوله: **(وهذا وَعْدٌ)** أي: قوله تعالى: ﴿مَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وعدٌ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٥] بأن يُهلك عدوَّه، وهم المسرفون، ووعيدٌ للمسرفين بالإهلاك.

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (مستَمِرَّةٌ) أي: وَقْتًا بعد وقت، وحالًا بعد حالٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة ١٥/٢]، فإنّه قيل: للاستمرار، أي: وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حالٍ، وهذا يُستفاد مِن التعبير عن الماضي بالمضارع، فإنّه إذا عُبّر عن الشيء الواقع في الزمان الماضي بصيغة الحاضر دلّ على أنّ ذلك الشيء الواقع في الزمان الماضي موجود ثابت في الحال، فيلزم الاستمرار.

[٢] د: عليه السلام.

[٣] وفي هامش د ف: أي: مِن القرآن.

[٤] ن: من.

[٥] د: عليه السلام.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١﴾

فإن قلتَ: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ وما سُرِد من الأوصاف عقيبَه، إن كان من قولهم فما تَصْنَعُ بقوله: ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾، وإن كان من قولِ اللهِ فما وَجْهُه؟

قلتُ: هو من قول الله لا مِن قولهم، ومَعنى قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الَّذي من صفته كيت وكيْتَ: لَيَنسُبُنَّ خَلْقَها إلى الَّذي هذه أوصافه وليُسْنِدُنَّه إليه.

﴿بِقَدَرٖ﴾: بمقدارٍ يَسْلَم مَعه البلادُ والعِبادُ ولم يكن طُوفانًا.

﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾

قوله: (**فإن قلتَ: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾**) لا شُبهةَ أنّ قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ ليس مِن قولهم، لكنّ المصنّف تساهل في العبارة؛ إذ مِن المعلوم أنّ المراد المَقول، أعني: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾... إلخ.

قوله: (**فما وجهه؟**) أي: فما وجه هذا القول؟ أي: مُستَبعَدٌ؛ لأنّه لا يصحّ أن يكون ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ مِن قول الله تعالى بعد أن قيل: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾، وأيضًا فلا[1] شبهةَ أنّ الواو المحذوفة مِن قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ لالتقاء الساكنين عائدٌ[2] إلى ما عاد إليه الضمير مِن قوله: ﴿سَأَلۡتَهُم﴾، وهم مشركو قريش، فكيف يستقيم أن يكون ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾... إلخ مِن قول الله تعالى؟ قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ سألتَ قومَك».[3]

---

١ ن: ولا.
٢ ن: عائدًا.
٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٦٥ (الزخرف، ٩/٤٣).

و﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾، أي: تركبُونه.

فإن قلتَ: يقال: ركبُوا الأنعامَ، وركِبُوا في الفُلك، وقد ذكر الجِنسين فكيف قال: تركبُونَه؟

قلتُ: غُلِّب المتعدِّي بغير واسطةٍ لقُوَّته على المتعدِّي بواسطة فقيل: تركبُونه.

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: على ظهُور ما تَركبُون وهو الفُلك والأَنْعام، ومَعنى ذكرِ نِعْمة اللهِ عليهم: أن يَذكرُوها في قلُوبهم مُعْترِفين بها مستَعْظِمين لها، ثمَّ يَحْمدُوا عليها بأَلْسِنَتهم، وهو ما يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّه كان إذا وَضعَ رِجْلَه في الرِّكاب قال: «بسم الله» فإذا استوى على الدَّابَّة قال: «الحمدُ لله على كلِّ حالٍ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾» وكبَّر ثَلاثًا وهَلَّلَ ثلاثًا.

وقالوا: إذا رَكب في السفينة قال: ﴿فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود ٤١/١١].

وعن الحُسيْن بن عليّ رضي الله عنهما: أنَّه رأى رَجُلًا رَكِبَ دابَّة فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾، فقال: أَبِهذا أُمِرْتُم؟ فقال: وبمَ أُمِرْنا؟ قال: أَن تَذكُروا نعْمةَ رَبِّكم. ....

قوله: (**فكيف قال: تَركَبونَه؟**)[1] اعلم أنّه لم يقل: "تَركَبونه"، لكن جعل المصنّف العائدَ المحذوف في حكم الباقي، فلذلك قال: "قيل: تَركَبونَه"،[2] ثمّ قال: غُلِّبَ مع أنّه يحتمل أن يكون الأصل "تركبون فيه"، ثمّ حُذف الجارّ فبقي "تركبونه"، ثمّ حُذف المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ﴾ [البقرة ٤٨/٢]، أي: لا تجزي فيه نفسٌ، لكن لمّا كان مثلُ ذلك قليلًا لِلُزوم كثرة الحَمل حمله على[3] التغليب.

قوله: (**وقالوا: إذا رَكِبَ في السفينة**) أي: إذا رَكِبَ راكبٌ في السفينة.

---

١ ن: ترلبونه.

٢ ن – لكن جعل المصنّف العائد المحذوف في حكم الباقي، فلذلك قال: "قيل: تَركَبونه".

٣ ن – على.

كانَ قد أَغفَلَ التحميد فنَبَّهَهُ عليه، وهذا من حُسْن مُراعاتِهِمْ لآداب الله ومحافظتِهم على دقيقها وجليلها.

جعَلَنا الله من المقتدِين بهم والسَّائرين بسِيرتهم، فمَا أحسَنَ بالعاقل النَّظَرَ في لطائف الصِّناعات، فكَيْف بالنَّظر في لطائفِ الدِّيانةِ؟

﴿مُقْرِنِينَ﴾: مُطِيقِين، يقال: أَقْرَنَ الشَّيءَ: إذا أطَاقه، قال ابن هَرْمَةَ:

وأَقْرَنــتُ مــا حَمَّلْتِنــي ولقَلَّمَــا يُطاقُ احتِمالُ الصَّدِّ يا دعدُ والهَجْرِ

وحقيقةُ أَقْرنَه: وجَدَهُ قَرِينتَهُ وما يُقرَنُ بهِ؛ لأنَّ الصَّعْب لا يكون قرينةً للضَّعيف، ألا ترى إلى قولهم في الضَّعيفِ: "لا يُقرَنُ به الصَّعْبَةُ".

وقرئ: "مُقرِّنين" والمعنى واحدٌ.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل بذلك قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؟

قلتُ: كَمْ من راكبِ دابَّةٍ عثرَتْ به أو شَمسَتْ أو تقَحَّمَتْ أو طَاحَ ....

قوله: (**كأنْ**[١] **قد أغْفَلَ**) أي: كان الرجل تركَ التحميد[٢] فنبَّهه الحسين رضي الله عنه عليه.

قوله: (**فكيف بالنظر**)[٣] أي: كيف ظنُّك بالنظر؟[٤]

قوله: (**قال ابنُ / هَرْمةَ: وأقرنتُ**)... البيتَ.[٥] يقول: قَلّما[٦] يُطاق احتمالُ الصدود والهِجْران معًا، وقد أطقتُ ذلك. و"دَعْد" اسم امرأة. [٣٤٥و]

قوله: (**أو تقحَّمَتْ**)[٧] يقال: قَحَّم الفرسُ فارِسَه؛[٨] رماه على وجهه.[٩] وقوله: (**طاحَ**) أي: سقَط.

---

١ في مطبوع **الكشّاف**: "كان".

٢ ن: التمجيد.

٣ د: بالنظر.

٤ د ف: بالنظر.

٥ لم أجده في ديوان إبراهيم بن هرمة. ونسبه إليه كذلك أبو حيّان في **البحر المحيط**، ٣٦٢/٩ (الزخرف، ١٣/٤٣)؛ والسمين الحلبي في **الدرّ المصون**، ٥٧٧/٩ (الزخرف، ١٣/٤٣).

٦ ن: فلمّا.

٧ ن: تفحت.

٨ ف + صاحبَه.

٩ **الصحاح** للجوهري، «قحم».

من ظَهْرِها فهَلَك، وكَم من رَاكِبِينَ في سَفينةٍ انكسَرتْ بهم فغَرِقُوا، فلمَّا كان الركوبُ مُباشرةَ أمْرٍ مُخْطِرٍ واتِّصالًا بسَببٍ من أسباب التَّلف كان مِن حقِّ الراكب وقد اتَّصل بسبَبٍ من أسباب التَّلَف أن لا يَنْسَى عند اتِّصاله به يَومَهُ، وأنَّه هالِكٌ لا محالةَ فمُنقلِبٌ إلى الله غيرَ مُنفلِتٍ مِن قضائه، ولا يدَعَ ذكْرَ ذلك بقلْبِه ولسَانه حتى يكون مُستعِدًّا للقاءِ الله بإصلَاحِهِ من نفسِه والحذَرِ من أن يكون رُكوبُه ذلك من أسبابِ مَوْتِه في علم الله وهو غافلٌ عَنه، ويَسْتعِيذَ بالله من مقامِ مَن يقولُ لِقُرنائه: "تعَالَوا نتَنزَّهُ على الخَيْلِ"، أو: "في بعض الزَّوارقِ" فيَركبُون حاملينَ مع أنفُسهم أوانِيَ الخَمْرِ والمَعازِفَ، فلا يزَالُون يُسقَون حتى تميلَ طُلاهُم وهُم على ظهُور الدَّوابِّ أو في بُطون السُّفنِ وهي تَجْري بهم لا يذكُرون إلَّا الشَّيطانَ ولا يَمتَثِلون إلَّا أوَامِره.

وقد بلَغني أَنَّ بعض السَّلاطِين رَكِبَ وهو يَشْرَبُ من بلَدٍ إلى بلَدٍ بينهما مسيرةُ شَهرٍ، فلم يَصْحُ إلَّا بعدما اطمأنت به الدَّارُ، ولَم يَشْعُرْ بمسيرِه ولا أَحسَّ به.

فكَم بين فعل أُولئك الرَّاكِبِينَ وبين ما أمرَ اللهُ به في هذه الآية.

وقيل: يذكُرونَ عند الرُّكُوب ركوبَ الجنازة.

قوله: **(أن لا يَنْسى)** أي: الراكب. وقوله: **(يومَه)** مفعول "يَنْسى". والمراد بـ"يومِه" يوم هلاكه، أي: مِن حقِّه أن لا ينسى يَوْمَه، ولا يَنْسى أنَّه هالك.

قوله: **(ولا يَدَعَ)** عطفٌ على قوله: "لا يَنْسى".

قوله: **(والمعازِفَ)** أي: المَلاهي.

قوله: **(طُلاهُم)** أي: أعناقهم.

قوله: **(وقيل: يذكرون)** عطفٌ على قوله: **(كمْ مِن راكب)** في أوّل الجواب، وهذا جواب آخَر.[1]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (إنْ أجزأتْ حَمْدَةٌ)...[(1)] البيتَ ذُكر مِن كلِّ بيت نصف.[(2)] | [(1)] في مطبوع **الكشّاف**: إن أجزأت حُرَّةٌ... [(2)] تمام **الأوّل**:
إنْ أجزَأتْ حُرَّةٌ يومًا فلا عَجَبٌ
قد تُجزِئُ الحُرَّة المِذكارُ أحيانا ←

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ متَّصِلٌ بقَوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ [الزخرف ٩/٤٣]؛ أي: ولئِن سألتَهُم عن خالق السَّماوات والأرض ليَعْترفُنَّ به وقَد جَعلوا له مَع ذلك الاعتِرافِ من عباده جُزءًا فوصَفُوه بصفات المخلوقِين.

ومعنى: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾: أن قالُوا: الملائكةُ بناتُ الله، فجَعلوهم جُزءًا له وبَعضًا مِنه كما يكون الوَلدُ بَضْعَةً من والدِه وجُزءًا له.

ومن بِدَع التفاسير: تفسيرُ الجُزءِ بالإناث، وادِّعَاءُ أَنَّ الجُزْءَ في لُغَةِ العَرب اسمٌ للإناث، وما هو إِلَّا كذِبٌ على العَرب ووَضْعٌ مستحدَثٌ منحُولٌ، ولَم يُقْنِعهُمْ ذلك حتى اشتَقُّوا مِنه: أَجزأتِ المَرأةُ، ثمَّ صَنعُوا بيْتًا وبيتًا:

إنْ أَجْـزأتْ حُـرَّةٌ يومًا فلا عَجَبٌ زُوِّجتُـها من بنات الأَوْسِ مُجزئةٌ

وقرئ: ﴿جُزُؤا﴾ بضمَّتيْن.

﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: لجَحُودٌ للنِّعمة ظاهرٌ جحُودُه؛ لأنَّ نِسبَة الولَد إليه كُفرٌ والكُفرُ أصلُ الكُفرانِ كلِّه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾: بل أَتَّخَذ، والهمزةُ للإنكار تجهيلًا لهُم وتعجيبًا مِن شأنِهم حيث لـم يَرْضَوا بأَنْ جَعلوا لله من عباده جُزْءًا حتى جَعلوا ذلك الجُزءَ شرَّ الجُزأيْنِ:

قوله: (بل أَتَّخَذَ) بإثباتِ[١] الهمزة؛ لأنَها للاستفهام.

قوله: (حيث لم يَرضَوا) يشير بهذا الكلام إلى أنّ "أمْ" هنا بمعنى "بل والهمزة"، ومعنى "بل" فيه ترك الأوّل والأخذُ فيما هو أهمّ.

٭ وهو بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «جزأ»، ونقل عن ثعلب قوله: «ولا أدري البيت هو قديم أم مصنوع». وتمام الثاني:
زُوِّجتُهـا مِـن بنـات الأوس مُجزِئـةً
للعَوسـجِ اللَّـدنِ فـي أبياتهـا زَجَـلُ

وهو بغير نسبة كذلك في لسان العرب لابن منظور، «جزأ».

[١] ن: بإتبات.

وهو الإناث دون الذكُور، على أنّهم أنفرُ خلقِ الله عن الإناثِ وأمقَتُهم لهُنَّ، ولقَد بلَغ بهم المقتُ إلى أنْ وَأَدُوهنَّ؛ كأنَّه قِيلَ: هَبُوا أنَّ إضافةَ اتّخاذ الولدِ إليه جائزةٌ فرضًا وتَمثيلًا، أَما تستحيُونَ من الشَّطَطِ في القِسمة، ومِن ادِّعَائكم أنَّه آثركُم على نفسِه بخَيرِ الجُزأينِ وأَعلاهُما، وترَك له شرَّهما وأدْناهما.

وتنكيرُ ﴿بَنَاتٍ﴾ وتعريف "البنين"، وتقديمُهنَّ في الذِّكر عليهم لِمَا ذَكَرْتُ في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى ٤٩/٤٢].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾

﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾: بالجنسِ الَّذي جعلَهُ له مثَلًا؛ أي: شِبهًا؛ لأنَّه إذا جَعل الملائكةَ جُزءًا لله وبَعضًا مِنه فقد جعَله من جنْسِه ومُماثِلًا له؛ لأنَّ الولد لا يكون إلَّا من جنْسِ الوالِد، يعني: أنَّهم نَسَبُوا إليه هذا الجنسَ، ومن حالِهم أنَّ أحَدهم إذا قِيل له: "قد وُلِدَتْ لك بنتٌ" اغتمَّ واربَدَّ وجهُهُ غَيظًا وتَأسُّفًا وهو مَمْلوءٌ مِن الكَرْبِ.

قوله: (مِن الشَّطَط) أي: تجاوُزِ الحدّ.

قوله: (لِما ذكرتُ في قوله تعالى) يعني: لمّا كان هذا الكلام لإنكار نسبة الولد إليه تعالى قدّمَ ما الإنكارُ[1] فيه أشدّ، وهو كون الولَد بِنتًا، فإنّ شِدّة الإنكار تقتضي شِدّة الاعتناء[2] بشأن ما هو أشدّ إنكارًا، وشِدّة الاعتناء[3] بالشيء تقتضي تقديمَه. ثمّ[4] لمّا أخّر ذِكرَ البنين أتى بما هو كالجَبرِ لذلك، وهو تعريفه.

قوله: (وارْبَدَّ)[5] أي: تغيَّرَ.

قوله: (مِن الكَرْب) الكُرْبةُ -بالضمّ-: الغمّ الذي يأخذ بالنَّفس، وكذلك الكَرْبُ على وزن الضَّرْب.[6]

---

[1] ن: للإنكار.
[2] ف: الاغتناء.
[3] ف: الاغتناء.
[4] ن - ثمّ.
[5] ن: وأريد.
[6] **الصحاح** للجوهري، «كرب».

وعن بعضِ العرب: أَنَّ امرأَتَه وضعَتْ أُنثى فهَجر البيتَ الَّذي فيه المرأةُ، فقالَتْ:

مـا لِأَبِي حَمزةَ لا يَأْتِينا ... يَظَلُّ في البيت الَّذي يَلِينَا

غَضْبانَ أَن لا نَلِد البَنِينَا ... ليس لنَا من أمرِنا ما شِينَا

وإنَّما نأخذُ ما أُعْطِينَا

والظُّلولُ بمعنى الصَّيرُورة كما تُستَعمل أكثَرُ الأفعال الناقصة بمَعناها.

وقرئ: "مُسْوَدٌّ" و"مسوادٌّ" على أَنَّ في ﴿ظَلَّ﴾ ضميرَ المُبَشَّر، و"وجهُهُ مُسْوَدٌّ" جملةٌ واقعةٌ موقعَ الخبَر.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٨﴾

ثمَّ قال: أَوَيُجْعَلُ للرَّحمنِ مِن الولد مَن هذه الصفةُ المذمومَةُ صفتُه، وهو أنَّه ﴿يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ أي: يترَبَّى في الزِّينةِ والنِّعمة، وهو إذا احتاجَ إلى مُجاثاةِ الخصُوم ومُجارَاة الرِّجال كان غيرَ مُبينٍ: ليس عندَه بيانٌ ولا يأتي ببُرهانٍ يَحتجُّ به مَن يُخاصِمُه، وذلك لضعْف عقول النساء ونقصَانهنَّ عن فِطْرة الرِّجال، يقال: قَلَّما تكلَّمت امرأةٌ فأرَادَتْ أن تتكلَّم بحُجَّتِها إلَّا تكلَّمت بالحجَّةِ عليها.

وفيه: أنَّه جَعل النَّشء في الزِّينةِ والنُّعُومةِ من المعايبِ والمَذامِّ، وأنَّه من صفة رَبَّاتِ الحِجالِ، فعَلى الرَّجل أن يجتنِب ذلك ويَأنفَ مِنه، ويَرْبأَ بنَفْسِه عنه، ويعيشَ كما قال عمر رضي الله عنه: ....

قوله: (بمعناها) أي: بمعنى "الصيرورة".

قوله: (وقُرئ: "مُسْوَدٌّ") أي: بالرفع.[1]

قوله: (والنُّعومة)[2] أي: التنعّم.[3]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٤.

[2] ن: والتعومة.

[3] ن: التنعم.

اخشَوشِنُوا واخشَوْشِبُوا وتمَعْدَدُوا.

وإن أراد أن يُزيِّنَ نفسَه زَيَّنها من باطنٍ بلباسِ التَّقوى.

وقرئ: "يُنْشَأُ" و: ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ و: "يُنَاشَأُ"، ونظيرُ المنَاشَاةِ بمعنَى الإنشَاءِ: المعَالاةُ بمَعنَى الإعلاءِ.

قد جمَعوا في كَفْرةٍ ثلاثَ كَفَراتٍ، وذلك أنَّهم نسَبُوا إلى الله الوَلَدَ، ونسَبُوا إليه أخسَّ النَّوعين، وجعَلوهُ من الملائكة الذين هم أكرمُ عبادِ الله على الله فاستخفُّوا بهم واحتَقرُوهم.

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾

وقرئ: ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ و: "عبيدُ الرحمن" و: ﴿عندَ الرحمن﴾، وهو مَثَلٌ لزُلْفاهُم واختِصَاصِهِمْ.

قوله: («اخْشَوشِنوا واخْشَوشِبوا[1] وتمَعْدَدُوا»)[2] ظَليمٌ خَشِبٌ، أي: خَشِنٌ، واخشَوشَبَ: صارَ خَشِبًا، قال أبو عُبيد: «فيه قولان، يقال: هو مِن الغِلَظِ، ويقال: تشبَّهوا بعيش مَعدّ بن[3] عدنان أبي العرب، وكانوا أهلَ قَشَفٍ وغِلَظٍ، يقول: كونوا[4] مثلَهم، ودعُوا التنعّم وزِيَّ الأعاجم».[5]

قوله: (وجعلوه) أي: جعلوا أخسَّ النوعين.

---

[1] ن: واحسوشنوا.

[2] ن: وتمعدذوا. | وفي هامش د: قال أبو محمّد عبد الله بن مُسلِم بن قُتيبة في حديث عمر رضي الله عنه: «أنّه لمّا قَدِمَ إلى الشام تَفَحَّلَ له أمراء الشام، يريد: أنّهم اخْشَوْشَنوا في الزِّيّ واللباس والمطعم، وأصله مِن الفَحْلِ؛ لأنّ التصنُّع في الزِّيّ والقيام على النفْس عندهم إنّما هو للإناث أو مَن تأنَّث. وقال عمر: 'اخْشَوشِنوا واخْشَوشِبوا وتَمَعْدَدوا'، يقول: دَعوا عنكم التنعُّم وزِيَّ العجم، وعليكم بِمَعَدّ وما كانوا عليه في زِيِّهم ومَعاشِهم، وكانوا أصحابَ غِلَظ وخُشونة. وقوله: "اخْشَوْشِبوا"، أي: تيبَّسوا، وأصله مِن الخَشَب لِيُبسِه». | **غريب الحديث** لابن قتيبة، ١/٦٠٨.

[3] ن: ابن.

[4] ن: لونوا.

[5] **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٣/٣٢٧.

و: ﴿إِنَثًا﴾ و: "أُنُثًا": جمعُ الجَمع، ومعنَى "جعَلُوا": سَمَّوا وقالوا: إِنَّهم إناثٌ.

وقرئ: ﴿أَشَهِدُواْ﴾ و: ﴿أَأُشهِدُوا﴾ بهَمْزتَيْنِ مفتُوحةٍ ومضمُومةٍ، و: ﴿آأُشْهِدُوا﴾ بألِفٍ بينهما.

وهذا تهكُّمٌ بهم، يَعني: أَنَّهم يقولون ذلك من غيرِ أن يَستنِد قولُهم إلى عِلمٍ، فإِنَّ الله لم يَضطَرَّهم إلى عِلْمِ ذلك، ولا تَطرَّقُوا إليه باستدلالٍ، ولا أحاطُوا به عن خَبرٍ يوجبُ العِلْم، فلم يَبْق إلَّا أن يُشاهِدوا خَلْقَهم فأخبرُوا عن المشاهدة.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ التي شَهِدُوا بها على الملائكة من أُنوثَتِهم ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾، وهذا وعيدٌ.

وقرئ: "سيُكْتَبُ" و: "سنَكْتُبُ" بالياء والنُّون.

و: "شهادتَهم" و: "شهَاداتُهم"، و: "يُساءَلُون" على يُفاعَلُون.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ هُما كفْرَتانِ أيضًا ....

قوله: (و"إِنَاثًا") أي: وقُرِئ: "إِنَاثًا".[١]

قوله: (لم يَضطرَّهم إلى علم ذلك) أي: لم يَعلموا ذلك عِلمًا ضروريًا.[٢]

قوله: ("سَيُكْتَبُ") سبعة.[٣] وقوله: (و"سَنكْتُبُ")[٤] شاذ.[٥] وقوله: (بالياء) سبعة.[٦] وقوله: (والنون) شاذ.

---

[١] وهي القراءة الصحيحة المتواترة. وأمّا قراءة "أُنُثًا" فقراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٥.

[٢] وفي هامش د ف: أي: ما علموا ذلك بالعِلم الضروري، ولا بالعلم الاستدلالي، فتعيّن أن يكون بالمشاهدة، وانتفاء المشاهدة مَعلوم بالضرورة، فيكون استهزاء بهم.

[٣] هذا سهو مِن المؤلّف، فقراءة عامّة السبعة بل العشرة بالتاء. وأمّا الياء فقراءة شاذّة، مرويّة عن الزهري. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٥؛ **والبحر المحيط** لأبي حيّان، ٣٦٥/٩ (الزخرف، ١٩/٤٣).

[٤] ن: وستكتب.

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة وأبي البرهسم وزيد بن عليّ وأبي حَيوة وعُميرة عن حفص. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٥.

[٦] قد بيّنت ما فيه قريبًا.

مَضمُومَتانِ إلى الكَفَراتِ الثلاثِ، وهما: عبَادتُهم الملائكَةَ من دُون الله، وزعْمُهم أنَّ عبادتَهم بمشيئةِ الله كما يقولُ إخْوانُهُم المُجْبِرةُ.

فإن قلتَ: ما أنكَرْتَ على مَن يقُول: قالوا ذلك على وجه الاستهزاءِ، ولو قالُوهُ جَادِّين لَكانُوا مُؤمنينَ؟

قلتُ: لا دليلَ على أنَّهم قالُوه مُستهزِئين، وادِّعاءُ ما لا دليلَ عليه باطلٌ،

قوله: **(كما يقول إخوانهم[1] المُجبِرة)** يريد أن[2] يَذُمَّ أهلَ السُّنّة في قولهم: كُفرُ الكافر بمشيئة الله تعالى، وهذا هو المذهب الحقُّ، والقول الصِّدق، وإنّما ذمّ الله تعالى الكفَرة؛ لأنّهم كانوا يقولون هذا القولَ عِنادًا واستهزاءً.

قوله: **(فإن قلتَ: ما أنكرتَ؟)** "ما"[3] استفهاميّة بمعنى الإنكار، فكأنّه قال: أيّ إنكارٍ أنكرتَ؟ حاصل السؤال: أنّ المصنّف ذكر أنّ الكافرين كانوا يقولون: لو شاء الله تعالى[4] أن لا نَعبُد الملائكة لَما عَبَدناهم، يريدون أنّ عِبادتهم الملائكة بمشيئة الله تعالى، فأنكر الله تعالى ذلك القول عليهم، فثبَت[5] أنّ هذا القول وهو أنّ كُفر الكافر بمشيئة الله تعالى قول باطل، ويريد بذلك إبطالَ مذهبِ أهل السُّنّة والجماعة في قولهم: كفر الكافر بمشيئة الله تعالى.

ثمّ أشار إلى سؤال يَرِد عليه، وهو أنّ ما ذكرتَ إنّما يصحّ أنْ لو كان الكفّار قالوا ذلك بطريق الجِدّ، ونحنُ نَمْنع ذلك؛ بل إنّما قالوه / استهزاءً[6] وعِنادًا، [٣٤٥ظ]
وأيّ[7] دليل على أنّهم قالوه جِدًّا ولم يقولوا استهزاءً؟ وبأيّ وجه تُنكِرُ قولَ مَن قال: إنّهم قالوه استهزاء؟ فأجاب المصنّف عن ذلك بقوله: **(لا دليلَ)** يعني: ظاهر اللفظ أنّهم قالوه جِدًّا، وليس فيه دليل على أنّهم قالوه استهزاءً، وصَرْفُ[8] اللفظ عن الظاهر مِن غير دليل لا يجوز.

---

١ ن: إخواتهم.

٢ ن: أت.

٣ ن: وما.

٤ د ف - تعالى.

٥ ف: فتبث؛ ن: فتبت.

٦ ن: استمزاء.

٧ ن: أي.

٨ ن: وصدق.

على أنَّ الله تعالى قد حَكى عنهم على سبيل الذَّمِّ والشهادة بالكُفْر أنَّهم جَعلوا له مِن عبادِه جُزءًا، وأنَّه اتَّخذَ بناتٍ وأصْفاهُم بالبَنينَ، وأنَّهم جعَلُوا الملائكةَ المُكرَّمِينَ إناثًا، وأنَّهم عبَدُوهم وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ فلو كانوا ناطِقينَ بها على طريق الهُزْءِ لكان النُّطْقُ بالمحكيَّاتِ قَبل هذا المَحكيِّ الَّذِي هو إيمانٌ عندَه لوجَدُوا في النُّطق به مَدحًا لهُم من قِبَلِ أنَّها كلماتُ كفرٍ نطَقُوا بها على طريقِ الهُزءِ، فبقِيَ أن يكُونوا جادِّينَ وتَشْترِكُ كُلُّها في أنَّها كلماتُ كفْرٍ.

فإن قالوا: "نَجْعلُ هذا الأَخِيرَ وَحْدَه مقُولًا على وجهِ الهُزء دون ما قَبْله" فمَا بهم إلَّا تَغوِيجُ كتاب الله الَّذي لا يأتيهِ الباطلُ من بَين يَدَيْه ولا من خلفه لتَسوية مذهَبِهم الباطِل.

ثمّ قال: (**على أنّ الله تعالى**)، وهذا متعلّق بقوله، فكأنّه قال: لا دليلَ على أنّهم[1] قالُوه[2] استهزاءً، على أنّ -أي: مع أنّ- الدليل دلّ على أنّهم قالوه جِدًّا، وهو أنّ الكلام المتقدِّمَ المحكيَّ عنهم جِدّ، فوجَب أن يكون هذا كذلك؛[3] لئلّا يتفكّك التركيب[4] ويختلَّ.[5]

قوله: (**أنّهم جعلوا**) مفعول (**حكى**)، وقوله: (**أنّه اتّخَذ**) عطفٌ على قوله: (**مِن عباده جُزْأً**)، فكأنّه قال: جعلوا له أنّه اتّخَذ بنات، أي: أثبتوا لهم هذه الصفة. وقوله: (**وأنّهم**) عطفٌ على "**أنّهم**"، فتأمّل.

قوله: (**إيمانٌ عنده**) أي: عندَ هذا القائل، وهو مَن يقول: قالوا ذلك مستهزئين.[6]

قوله: (**مَدحًا لهم**) أي: سببَ مَدحٍ، وإنّما قدَّرنا هذا المضاف ليستقيم المعنى؛ وذلك لأنّ تَكلُّمَهم بذلك لا يكون مدحًا لهم؛ بل غايته أنّه سببُ مَدْح.

قوله: (**فبَقي أن يكونوا**) أي: فإذا بطل أن يكونوا مستهزئين بَقي أن يكونوا جادِّين.

---

[1] ن: أتهم.
[2] ن: قالوا.
[3] ن: لذلك.
[4] ن: الترتيب.
[5] ن: وليحتل.
[6] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما يقولون.

ولو كانت هذه كلمةَ حَقٍّ نَطَقُوا بها هُزءًا لم يكُن لقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ مَعْنًى؛ لأنَّ مَن قال: "لا إلهَ إلَّا اللهُ" على طريق الهُزء، كان الواجبُ أن يُنكَرَ عليه استِهزاؤهُ ولا يُكذَّبَ؛ لأنّه لا يجُوزُ تكذيبُ النَّاطِق بالحقِّ جَادًّا كان أو هَازِئًا.

فإن قلتَ: ما قولُك فيمَن يُفسِّر ﴿مَا لَهُم﴾ بقَولهم: إنَّ الملائكة بَناتُ اللهِ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ في ذلك القَول، لا فِي تعلِيق عبادتهِم بمشِيئة اللهِ؟

قلتُ: تمحُّلُ مُبْطِلٍ وتحريفُ مُكابِرٍ.

قوله:[1] **(لا يجوز تكذيبُ الناطق)** يَنتقض هذا بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون ١/٦٣] بعد الحكاية عنهم أنّهم قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون ١/٦٣].

قوله: **(فإن قلتَ: ما قولك فيمَن يُفسِّر: ما لَهم)**... إلخ "ما لَهم"... إلخ حكايةُ تفسيرهم، أي: ما لَهم مِن عِلم بقولهم: إنّ الملائكة بناتُ الله. فقوله: **(بقولهم)** معنى قوله: ﴿بِذَٰلِكَ﴾.

قوله: **(قلتُ: تَمحّلُ مُبطلٍ)** يريد المصنّف ردَّ[2] هذا التفسير، فرَدَّه بدعوى مِن غير دليل؛ بل الوجه هذا التفسير؛ لأنّ المقصودَ مِن هذا الكلام بيان ذلك الكفر الغليظ المشتمل على الكَفَرات الثلاث. وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ﴾ كالجملة المعترِضة. فقوله: ﴿مَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ متعلّق بالمذكورات قبله. ولمّا لم[3] يكن للمصنّف وجهُ رَدٍّ لهذا التفسير التجأ إلى التشنيع والطَّعْن كما هو دأبُه. ثمّ إنّ استشهاده بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ﴾... إلخ [الأنعام ١٤٨/٦] لا يفيده؛ لأنّه لو سلِم له أنّ الردّ في تلك الآية راجع إلى ذلك القول لا يلزم أن يكون في هذه الآية كذلك، ثمّ إنّ قولَه تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾... إلخ يدلّ على ما قلنا لو تأمّلت.

---

[1] د + قوله.
[2] ن: زهد.
[3] ف - لم.

ونحوُه قولُه تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام ١٤٨/٦].

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾

الضَّميرُ في ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ للقرآنِ أو الرَّسُول.

والمَعنى: أنَّهم أَلْصَقُوا عبادةَ غيرِ الله بمشيئةِ الله، قولًا قالُوه غيرَ مُستنِدٍ إلى علم، ثم قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ قبلَ هذا الكتاب ....

قوله: **(ونحوُه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ﴾... إلخ [الأنعام ١٤٨/٦])** أورد المصنّف هذه الآية لبيان أنّ الله تعالى نسَب إليهم الكذب في غير هذه الآية لِمثل هذا المعنى. وتمام الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام ١٤٨/٦].

قوله: **(والمعنى)**... إلخ أقول: بل المعنى: أم آتيناهم كتابًا يدلّ على أنّ الملائكة بنات الله تعالى[1] وأنّهم معبودون بالحقّ، لكنّ المصنّف صَرَفه عن وجهه لترويج مذهبه الباطل. وقال في **الوسيط**: «هل أعطيناهم كتابًا مِن قَبل **القرآن** بأن يَعبُدوا / غيرَ الله، فهم يأخذون بما فيه؟».[2] [٣٤٦و]

وقوله: **(قولًا)** منصوب بـ**(ألْصَقوا)**[3] على أنّه مفعول مطلق؛ لأنّ المراد بالإلصاق هو القول. وقوله: **(ثمّ قال)** عطفٌ على قوله: **(والمعنى أنّهم)** مِن حيث المعنى، فكأنّ المصنّف قال: معنى الآية: إنّ الله تعالى قال: ألصَق الكفّار عبادة غيرِ الله بمشيئة الله[4] مِن غير علم، ثمّ قال تعالى لتقرير أنّ قولهم مِن غير علم: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾، فربَط المصنّف قوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مع قوله: ﴿مَا لَهُم﴾ بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ﴾. وأمّا أهل السُّنّة والجماعة فيربطونه بقوله تعالى: ﴿جَعَلُواْ﴾، فتأمّل.

---

١ ف ن – تعالى.

٢ التفسير الوسيط للواحدي، ٦٩/٤ (الزخرف، ٢١/٤٣).

٣ ف: بألْصِقوا.

٤ ن – الله.

نَسَبْنَا فيه الكُفْرَ والقَبائحَ إلينا فحصَل لهُم عِلمٌ بذلك من جهةِ الوَحي فاستمسَكُوا بذلك الكتابِ واحتجُوا به، بل لا حُجَّةَ لهم يَستمسِكُون بها إلَّا قولُهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: على دِينٍ.

وقرئ: "إِمَّةٍ" بالكسر، وكلتاهما مِن الأَمِّ وهو القَصْدُ، فالأُمَّة: الطَّرِيقةُ الَّتي تُؤَمُّ؛ أي: تُقْصَدُ؛ كالرُّحْلَةِ للمَرْحُول إليه، والإِمَّة: الحالةُ التي يكُون عليها الآمُّ وهو القَاصِدُ.

وقيل: على نِعمَةٍ وحالةٍ حَسنَةٍ.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ خَبران، أو الظَّرفُ صلةٌ لِـ﴿مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مُتْرَفُوهَا﴾: الذين أَتْرَفَتْهُم النِّعمةُ؛ أي: أَبْطَرتْهُم، فلا يُحِبُّون إلَّا الشَّهَواتِ والملاهِيَ، ويَعافُون مَشَاقَّ الدِّين وتكاليفَهُ.

قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما قالوا: الملائكة بنات الله. أخبر تعالى أنّهم لم يقولوا ذلك عن علم، وأنّهم كذّبوا في ذلك، ولم يتعرّض تعالى لقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾، قال صاحب النَّظمِ:[١] لأنّ هذا القول حقّ وإن كان مِن الكفّار».[٢]

وإن جعلت قوله:[٣] ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ردًّا لقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ كان المعنى أنّهم قالوا: إنّ الله قرّرَنا على عبادتها، فلا يُعاقبُنا؛ لأنّه رضيَ بذلك منها، وهذا كذِب منهم؛ لأنّه تعالى وإن أراد كفرَ[٤] الكافر لا يرضاه، وتقريره الكافر على الكفر لا يكون رضًا منه.

---

[١] يعني: أبا عليّ الحسن بن يحيى الجرجاني، صاحبَ **نظم القرآن**. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢/١٥٥؛ و**تاريخ جرجان** للسهمي، ص ١٨٧.

[٢] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤/٦٨ (الزخرف، ٤٣/٢٠).

[٣] ف: قولهم.

[٤] ن: ليفية.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قرئ: ﴿قل﴾ و﴿قَٰلَ﴾، و: ﴿جِئْتُكُم﴾ و: ﴿جِئناكم﴾.

يَعني: أَتتَّبِعُون آباءكُم ولو جِئتُكُم بِدينٍ أَهْدَى من دِين آبائكم، قالوا: إنَّا ثابِتُونَ على دين آبائنا لا ننفكُّ عنه وإن جئتَنا بما هُو أَهْدَى وأَهْدَى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

قرئ: ﴿بَرَآءٌ﴾ بفتح الباء وضمِّها، و: "بَرِيء"، فـ"بَرِيء" و"بُراءٌ" نحوُ "كريمٍ وكُرامٍ" و﴿بَرَآءٌ﴾: مَصْدرٌ كـ"ظَماء"، ولِذلك استوَى فيه الواحِدُ والاثنانِ والجماعةُ والمذكَّر والمؤنَّثُ، يقال: نحْنُ البَراءُ مِنك والخَلاءُ مِنك.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فيه غيرُ وَجْهٍ:

أن يكون منصُوبًا على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ؛ كأنَّه قال: لكنَّ الَّذِي فَطرني فإنَّه سيَهْدِيني.

وأَن يكون مجرُورًا بدلًا من المجرُور بـ"مِن"؛ كأنَّه قال: إنَّني بَراءٌ مما تَعبُدون إلَّا مِن الَّذي فطَرنِي.

فإن قلتَ: كيف تجعَلُه بدلًا وليس من جِنسِ ما يعبُدون من وجهين:

أحدُهما: أنَّ ذاتَ الله تعالى مخالِفةٌ لجميع الذَّواتِ، فكانت مخالِفةً لذَواتِ ما يعبُدون.

قوله: **(ولو جئتُكم بدِين)** الواو للحال.

قوله: **(كريمٍ وكُرام)** الكُرام -بالضمّ- مثل الكريم.

قوله: **(فيه غير وجه)** أي: غيرُ وجهٍ واحد؛ بل فيه وجوه كثيرة، وهي ثلاثة أوجه.

قوله: **(أن يكون منصوبًا)** الوجه **الأوّل**.

قوله: **(وأن يكون مجرورًا)** الوجه **الثاني**.

والثاني: أنَّ الله تعالى غيرُ معبُودٍ بينهُم والأوثانُ معبُودةٌ؟

قلتُ: قالوا: كانُوا يعبُدون الله مَع أوثانِهم.

وأَنْ تَكُونَ ﴿إِلَّا﴾ صفةً بمعنى "غيرٍ" على أنَّ "ما" في "ما تعبدون" موصُوفةٌ، تقديرُه: إنَّني بَراءٌ مِن آلهةٍ تَعبُدُونَها غيرِ الَّذي فَطَرَنِي، فهو نظيرُ قَولِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢١/٢٢].

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ على التَّسويفِ.

قلتُ: قال مرَّةً: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء ٢٦/٧٨] ومرَّةً: ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ فاجْمَعْ بينَهما وقَدِّرْ، كأنَّه قال: "فهو يَهْدِينِ وسَيَهْدِينِ" فيدُلَّانِ على استمْرارِ الهداية في الحال والاستقبال.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَجَعَلَهَا﴾: وجَعَل إبراهيمُ عليه السلامُ كلمةَ التَّوحيدَ التي تكلَّمَ بها -وهي قولُه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾- ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: في ذُرِّيَّتِه، فلا يَزالُ فيهم مَن يُوَحِّدُ الله ويدعُو إلى تَوحيده لعَلَّ مَن أشرك منهم يَرْجِعُ بدُعاءِ مَن وحَّدَ منهم، ونحوُه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة ٢/١٣٢].

قوله: **(قلتُ: كانوا يَعبُدون)** جواب عن الوجه الثاني. وبه استُغني عن الجواب عن الوجه الأوّل؛ لأنّ الاشتراك في هذه الصفة كافٍ في جعله بدلًا، وأنا أقول: إذا ظهر أنّهم كانوا يَعبُدون الله تعالى معها فلو قيل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى﴾ استثناء متّصل لكان وجهًا.

قوله: **(وأن تكون**[١] **﴿إِلَّا﴾ صفةً)** الوجه **الثالث**.

قوله: **(﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعلَ إبراهيم صلوات الله عليه)**... إلخ يريد بجَعْلِ إبراهيم الكلمةَ باقيةً أنّه وصّى بها، وإليه أشار المصنّف بقوله: **(ونحوُه ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا﴾ [البقرة ٢/١٣٢])**.

---

١ ن: يكون.

وقيل: وجعَلَها اللهُ.

وقرئ: "كِلْمةً" على التخفيف، و: "في عَقْبِه" كذلك، و: "في عاقِبِهِ"؛ أي: فيمَن عَقَبَهُ؛ أي: خَلَفَهُ.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعني: أهْلَ مكة -وهم مِن عَقِبِ إبراهيم- بالمَدِّ في العُمر والنِّعمة، فاغترُّوا بالمُهْلة وشُغِلُوا بالتَّنعُّم واتِّباعِ الشَّهواتِ وطاعةِ الشَّيطان عن كلمةِ التَّوحيدِ.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو القرآنُ ﴿وَرَسُولٞ﴾ مبينُ الرِّسالةِ وَاضِحُهَا بما مَعه من الآيات البيِّنة، فكَذَّبُوا به وسَمَّوه سَاحِرًا وما جاء به سِحْرًا، ولم يُوجَد منهم ما رجَاه إبراهيم.

وقرئ: "بل متَّعْنا".

فإن قلتَ: فما وجْهُ قراءةِ مَن قَرأ: "مَتَّعتَ" بفتح التاء.

قلتُ: كأنَّ اللهَ تعالى اعتَرض على ذاته في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ فقال: بل متَّعتَهم بما مَتَّعتَهم به من طُول العُمر والسَّعةِ في الرِّزقِ حَتَّى شغَلهُم ذلك عن كلمة التَّوحِيد، وأَرَاد بذلك الإطْنابَ في تعْيِيرِهم؛ لأنَّه إذا مَتَّعَهُم بزيادة النِّعم وجَب عليهم أن يَجْعَلوا ذلك سَبَبًا في زيادة الشكر والثَّباتِ على التَّوحيد والإيمانِ لا أن يُشرِكُوا به ويجعَلوا له أَنْدادًا، فمثالُه:

قوله: **(ولم يوجد منهم ما رجاه[1] إبراهيم)** دلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، وأشار المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ ﴿بَلۡ﴾ متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

---

[1] ن: رجاء.

أن يَشكُوَ الرَّجُل إِسَاءةَ مَن أَحْسَنَ إليه ثمَّ يُقْبِلَ على نفْسِه فيقولَ: أنتَ السَّببُ في ذلك بمعروفكِ وإحسانكِ، وغرضُهُ بهذا الكلامِ توبيخُ المُسيء، لا تقبيحُ فِعله.

فإن قلتَ: قد جعَل مجيءَ الحقِّ والرَّسولِ غايةَ التَّمتِيع ثُمَّ أرْدَفه قولَه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ﴾ فما طريقةُ هذا النظم ومُؤدَّاهُ؟

قلتُ: المراد بالتَّمتيع ما هو سبَبٌ له، وهو اشتغالُهمْ بالاستمتاعِ عن التَّوحيد ومُقتَضَياتِه، فقال عزَّ وجلَّ: بل اشتَغلُوا عن التَّوحيد حَتَّى جاءَهُم الحقُّ ورسُولٌ مبينٌ، فخُيِّل بهذه الغاية أنهم تَنبَّهُوا عندَها عن غَفْلتِهم لاقتضائِها التَّنبُّهَ، ثُمَّ ابتدَأ قصَّتَهُم عند مجيءِ الحقِّ فقال: وَلمَّا جاءهُم جاؤُوا بما هُو شَرٌّ من غَفلتِهم التي كانوا علَيها، وهو أَنْ ضَمُّوا إلى شرْكِهم مُعَانَدَةَ الحقِّ، ومكابرةَ الرَّسُول ومُعَاداتَه، والاستخفَافَ بكتاب الله وشرائعهِ، والإِصْرارَ على أفعال الكفَرة، والاحْتِكامَ على حِكمة الله في تَخيُّر محمَّدٍ من أهل زمانِه بقَولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ وهيَ الغَايةُ في تَشْويه صُورة أَمْرهم.

قرئ: "على رَجْلٍ" بسُكون الجيم.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: من إحدى القَرْيتين؛ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن ٢٢/٥٥]؛ أي: من أحَدِهما، والقَريتَانِ: مكَّةُ والطَّائف.

وقيل: من رَجُلَي القريتَيْنِ، وهما: الوليدُ بن المُغيرة المخزوميُّ وحبيبُ بن عمرِو بن عُمَيْرٍ الثَّقفيُّ، عن ابن عباس.

قوله: **(فقال عزّ وعلا: بل اشتغلوا)** أي: فيئُول المعنى إلى هذا، وهو أنّه عزّ وعلا قال.

قوله: **(لاقتضائها)** أي: لاقتضاء هذه الغاية، وهو مَجيء الحقّ والرسول.

قوله: **(وهي الغاية)**... إلخ أي: هذه الأمور المذكورة مِن المعانَدة والمكابَرة والمعاداة والاستخفاف والإصرار[1] والاحتكام.[2]

---

[1] ن: والإضرار.

[2] وفي هامش د ف: قوله: "والاحتكام" الاحتكام مثل الحُكم. زَوْزني.

وعن مجاهد: عُتْبَةُ بن رَبيعة وكِنانةُ بن عَبْد يَا لِيْلَ.

وعن قتادة: الوليدُ بن المُغيرة وعُروةُ بن مسعُود الثَّقفيُّ، وكان الوليد يقولُ: لو كان حَقًّا ما يقولُ مُحمَّدٌ لَنُزِّلَ هذا القرآنُ عَليَّ أو على أبي مسعود الثَّقفيِّ. وأبُو مَسعُودٍ: كُنيةُ عُرْوةَ بن مسعود.

ما زالُوا يُنكِرُون أن يَبعث الله بشرًا رسُولًا، فلمَّا عَلِمُوا بتكرير الله الحُجَجَ أَنَّ الرُّسُلَ لم يكُونوا إلَّا رِجَالًا من أهل القُرَى جاؤُوا بالإنكار من وجْهٍ آخَر، وهُو تَحكُّمُهُم أَن يكُون أحَدَ هذين، وقَولُهم: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ ذِكْرٌ لهُ على وَجْه الاستِهانة به وأرَادُوا بعِظَم الرَّجُلِ: رياستَهُ وتَقدُّمه في الدُّنيا، وعَزَبَ عن عُقُولِهِمْ إنَّ العظِيمَ مَن كان عند الله عظيمًا.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ هذه الهمزةُ للإنكار المُستقِلِّ بالتَّجهيلِ والتَّعجيبِ من اعترَاضِهم وتحكُّمِهمْ، وأن يكونوا هم المُدَبِّرين لأمر النُّبُوَّةِ والتَّخيُّرِ لهَا مَن يَصْلُحُ لهَا ويقُومُ بها، والمُتَولِّينَ لِقسْمةِ رحمةِ الله الَّتي لا يَتولَّاها إلَّا هُو بباهِرِ قدْرتهِ وبالِغ حكمتِه.

ثم ضرَب لهُم مثَلًا فأعْلَمَ أنَّهُم عاجِزُون عن تَدبيرِ خُوَيْصَةِ أمْرِهم وما يُصلِحُهم في دنياهم، وأنَّ الله عزَّ وعلا هو الَّذي قَسَم بينَهُم مَعِيشَتَهُم وقدَّرها ودَبَّر أَحْوَالَهُم تدبيرَ العالِمِ بها، فلم يُسَوِّ بَيْنَهم ولكنْ فاوَتَ بينهم في أسبَابِ العَيْش، وغايرَ بينَ منَازلهم فجَعل منهم أقْوِياءَ وضُعَفاءَ، وأَغنياءَ ومحَاويجَ،

قوله: **(تحكّمُهم أن يكون)** أي: الرسول.

قوله: **(وأن يكونوا)** هو كالبيان لـ"تحكُّمهم".

قوله: **(ومَحاويجَ)** قال المطرّزي في **المُغرب**: «المَحاويج: المحتاجون، عامّي».[1]

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «حوج».

ومَواليَ وخَدَمًا؛ ليُصرِّفَ بعضُهم بَعْضًا في حَوائجِهم، ويستخدمُوهُم في مِهَنِهِمْ، ويَتَسخَّرُوهُم في أَشغالهم، حتَّى يتعَايَشُوا ويَترافدُوا، ويَصِلُوا إلى مَنافِعهم، ويحصُلوا على مَرافقِهم، ولو وَكَلَهُم إلى أنفُسِهم وَوَلَّاهُم تدبيرَ أَمْرِهم لضَاعُوا وهلكُوا.

فإذا كانوا في تدبيرِ أَمر المعيشة الدَّنيَّةِ في الحياة الدُّنيا على هذه الصِّفة، فما ظنُّكَ بهم في تدبير أَمْرِ الدِّين الذي هو رحمةُ الله الكُبرى ورَأفتُه العُظْمى، وهو الطَّريقُ إلى حيازَةِ حُظُوظِ الآخِرة والسُّلَّمُ إلى حُلولِ دار السَّلام؟

ثمَّ قال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ يريد: وهذه الرَّحمةُ -وهي دينُ الله وما يَتْبعُه من الفَوْز في المآب- ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ يجمعُ هؤلاء من حُطام الدُّنيا.

فإن قلتَ: "معِيشتُهم": ما يَعِيشُون به من المنافع، ومنهُم مَن يعيشُ بالحلال ومِنْهم مَن يعيشُ بالحرامِ، فإذَنْ قد قَسَم الله الحرامَ كما قَسَم الحلالَ.

قلتُ: اللهُ تعالى قَسَم لكلِّ عبْدٍ مَعيشتَهُ، وهي مَطاعِمُه ومَشاربُه وما يُصْلِحُه من المنَافع، وأَذِنَ له في تَناوُلها ولكنْ شرَطَ عليه وكَلَّفَهُ أن يَسلكَ في تناوُلها الطُّرقَ التي شرَعَها، فإذا سَلكَها فقد تَناوَل قِسْمَتَه من المعيشة حَلالًا وسمَّاهَا رزقَ الله، وإذا لم يَسْلُكْها تناوَلَها حَرامًا وليس لهُ أن يُسمِّيَها رزقَ الله، فاللهُ تعالى قاسِمُ المعَايِشِ والمنافعِ ولكنَّ العبادَ هُم الَّذين يُكسِبُونها صِفةَ الحُرمة بسُوء تنَاوُلهم، وهو عُدولُهم فيه عمَّا شرَعه اللهُ إلى ما لم يَشْرعْه.

قوله: (**في مِهَنِهم**) المَهْنُ والمَهْنَة: الخِدمة، والجمع: المِهَن، نحو: بَدْرةٍ وبِدَر.[١]

[٣٤٦ظ] قولـه: (**ويترافَـدوا**) الإرفـاد: الإعطـاء والإعانـة. / والمُرافَـدة:[٢] المعاوَنـة. والتَرافُد: التعاون.[٣]

قوله: (**على مَرافِقهم**) المِرفَقُ مِن الأمر: ما ارتفَقتَ به وانتفَعتَ به.[٤]

قوله: (**إلى حِيازة**) الحَوْزُ والحِيازة: الجمع.

قوله: (**يُكسِبونها صفةَ الحُرْمة**)، يقال: كَسَبتُ المال، وكَسَبتُ زيدًا المال.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مهن».

٢ ن: المرافدة؛ ف: والمترافدة.

٣ **الصحاح** للجوهري، «رفد».

٤ **الصحاح** للجوهري، «رفق».

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدَلُ اشتمالٍ من قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾، ويجوز أن يكونا بمَنْزلة اللَّامين في قولك: "وهبْتُ له ثوبًا لقميصِه".

وقرئ: ﴿سَقْفًا﴾ بفتح السِّين وسُكُون القاف، وبَضمِّها وسُكونِ القاف، وبضمِّهِمَا: جمْعَ سَقْفٍ؛ كرَهْنٍ ورُهْنٍ ورُهُنٍ، وعن الفرَّاء: جمعُ سَقيفةٍ.

و: "سَقَفًا" بفتحَتيْنِ، كأنَّه لُغةٌ في سَقْفٍ، و: "سُقُوفًا".

هذا الذي ذكره[1] المصنّف إنّما يتأتّى فيما عرَض له الحُرمة بفِعل العبد، كالثَّمرة المغصوبة[2] أو المسروقة، والخبز المسروق أو المغصوب، ولحم الشاة المَوقوذة، إلى غير ذلك ممّا يُشبهها. وأمّا ما يكون حُرمتُه بما لا مَدخَل لفعل العبد فيه كالمَيتة والدَّم ولحم الخنزير فلا يتأتّى هذا الكلام فيه، وهو وارد عليه مُبطِل لمَذهبه.

قوله: **(لقميصه)** أي: لأجل قميصه.

قوله: **(وقُرئ: "سَقْفًا" بفتح السين)** شاذّ.[3] وقوله: **(وبضمّها)** شاذّ.[4] وقوله: **(وبضمّهما)** شاذّ.[5]

قوله: **(جمع سَقيفة)** كصَحيفة وصُحُف. وقوله: **(و"سَقَفًا")** شاذّ.[6]

---

١ ف: ذلره.

٢ ن: المعضوبة.

٣ هذا سهو مِن المؤلِّف، فالقراءة بفتح السين مع إسكان القاف قراءة صحيحة متواترة، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٩/٢.

٤ ف ن - وقوله: (وبضمّها) شاذّ. | قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد وأبي رجاء. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٧.

٥ وهذا أيضًا سهو مِن المؤلِّف، فالقراءة بضمّ السين والقاف قراءة صحيحة متواترة، قرأ بها جمهور القرّاء، وهم نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٩/٢.

٦ قراءة شاذّة، غير منسوبة. انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٣٧١/٩ (الزخرف، ٣٣/٤٣)؛ **والدرّ المصون** للسمين الحلبي، ٥٨٥/٩ (الزخرف، ٣٣/٤٣).

﴿وَمَعَارِجَ﴾ "ومَعاريجَ"، والمعَارِجُ: جَمْعُ مِعْرَجٍ، أو اسْمُ جَمْعٍ لِمِعْرَاجٍ، وهي المَصاعِدُ إلى العَلاليّ.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾؛ أي: على المعَارج، يَظهرون السُّطوحَ: يَعْلُونهَا ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف ٩٧/١٨].

"وسُرَرًا" بفَتح الرَّاء لاستِثقالِ الضَّمتين مَع حَرْفَيِ التَّضعيف.

﴿لَمَّا متاعُ الحياة﴾ اللَّام هي الفارقةُ بين "إِنْ" المخفَّفةِ والنَّافيَةِ. وقرئ بكسر اللَّام،

قوله: (و﴿مَعَارِجَ﴾) أي: وقُرئ: ﴿مَعَارِجَ﴾ سبعة. وقوله: (و"مَعَارِيجَ") شاذّ.[١]

قوله: (جمع مِعْرَج) قال الأخفش: «إنْ شِئتَ[٢] جعلتَ الواحدَ مِعْرَجًا أو مَعْرَجًا كمِرْقاة ومَرْقاة».[٣]

قوله: (﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ [الكهف ٩٧/١٨]) استشهاد،[٤] وقوله: (﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف ٩٧/١٨]) أي: يَعلوه.

قوله: (و"سُرَرًا") أي: وقُرئ: "سُرَرًا".[٥]

قوله: (وقُرئ بكسر اللام)[٦] وجه هذه القراءة الشاذّة مُشكِل؛ لأنّه إذا خُفِّفَ المكسورة يَلزم اللام المفتوحة معها. قال الشيخ في **الكواشي**:

> قُرِئ بكسر[٧] اللام مُخفّفًا، فـ"إن" مخفّفة مِن الثقيلة، و"اللام" جارّة، و"ما" بمعنى "الذي"، والعائد[٨] عليها مِن صلتها محذوف، تقديره: للذي هو متاع الحياة[٩] الدنيا، كأنّه قال: "وإنْ كلَّ ذلك لِما يُتمتَّعُ به في الدنيا". ابن جِنّي: ينبغي أن يكون "كُلَّ" على هذه القراءة منصوبًا؛ لأنّ "إن" متى خُفِّف وبَطل عملُها لَزِمتْها "اللام" للفَرق بينها وبين النافية،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه وطلحة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٧.

٢ ن: سبب.

٣ **الصحاح** للجوهري، «عرج»؛ **لسان العرب** لابن منظور، «عرج».

٤ ف: استشهاده.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٧.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي رجاء. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٧.

٧ ف: يكسر.

٨ ن: العائد.

٩ ن - الحياة.

أي: لِلَّذي هو مَتاعُ الحَياة؛ كقَوله: "مَثَلًا ما بعوضةٌ"؛ أي: ما هو بعوضةٌ، و: ﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديد بمَعْنى: إلَّا، و"إنْ" نافيةٌ.

وقرئ: "إلَّا"، وقرئ: "وما كلُّ ذلك إلَّا".

لمَّا قال: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فقَلَّل أمْرَ الدُّنيا وصغَّرَها أرْدَفَهُ ما يُقرِّرُ قلَّةَ الدُّنيا عنده من قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: ولولَا كَراهةُ أن يجْتمِعُوا على الكُفْر ويُطْبِقُوا عليه ﴿لَّجَعَلْنَا﴾ -لِحقَارة زَهرَة الدُّنيا عِندنا- للكفَّار سُقوفًا ومصَاعدَ و﴿أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾ كلُّها من فضَّةٍ، ﴿و﴾جَعلْنا لهُم ﴿زُخْرُفًا﴾؛ أي: زِينَةً من كلِّ شيءٍ، والزُّخرف: الذَّهبُ والزِّينةُ.

ويجوز أن يكون الأصْلُ: سُقُفًا مِن فضَّةٍ وزُخرفٍ، يَعْني: بَعْضُهَا من فضَّةٍ وبعضُها من ذهَبٍ، فنُصِبَ عَطفًا على محَلِّ ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ وفي معناه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو وَزَنَتِ الدُّنيا عندَ اللهِ جَناحَ بعُوضةٍ ما سَقَى الكافرَ مِنهَا شَرْبةَ مَاءٍ».

فإن قلتَ: فحين لم يُوَسِّعْ على الكافرينَ للفِتْنةِ الَّتي كان يُؤدِّي إلَيها التَّوسعَةُ علَيْهم من إطْباقِ النَّاس على الكُفر لحُبِّهم الدُّنيا وتَهالُكِهم عليها، فهَلَّا وَسَّع على المُسلِمين لِيُطْبِق الناسُ على الإسلام؟

قلتُ: التَّوسِعَةُ عَليْهم مَفسَدةٌ أيضًا؛ لِمَا تُؤدِّي إليه من الدُّخول في الإسلام

وإذا لم يُجأْ بـ"اللام" نصب "كُلَّ" على لغة مَن يُعْمِل "إن" مخفّفة قياسًا للفرق بينهما.[1]

وقوله:[2] **(أي: لِلذي[3] هو متاعُ)** فيكون صَدْرُ الصِّلة محذوفًا.

قوله: **(كقوله: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾** [البقرة ٢/٢٦]) أي: ما هو بعوضة.

قوله: **(مِن قوله)** بيان **(ما يُقرِّر)**.

قوله: **(وفي معناه)** أي: في معنى هذا الكلام.

---

[1] **تفسير الكواشي**، ٤٨٦و. وانظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٢٥٥.

[2] ن: قوله.

[3] ن: الذي.

لأَجلِ الدُّنيا، والدُّخولُ في الدِّينِ لأجل الدُّنيا من دِينِ المنافِقين، فكانت الحِكمةُ فيما دَبَّرَ حيث جَعل في الفَرِيقين أَغنياءَ وفُقراءَ وغلَّبَ الفقرَ على الغِنَى.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾

قرئ ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ بضمِّ الشين وفتحِها، والفَرقُ بينهما: أنَّه إذا حصَلَتِ الآفَةُ في بَصرِه قِيل: عَشِي، وإذا نَظَرَ نظَرَ العُشْي ولا آفةَ به قيل: عَشَا.

ونَظيرُه: "عَرِجَ" لمَن بهِ الآفةُ، و"عرَجَ" لمَن مشَى مِشيَةَ العُرْجَانِ من غير عَرَجٍ. قال الحُطَيْئةُ:

مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوءِ نارِهِ

أي: تنظرُ إلَيها نَظَر العُشْيِ لِمَا يُضعِفُ بَصرَكَ من عِظَم الوُقُودِ واتِّساعِ الضَّوء، وهُو بيِّنٌ في قول حاتم:

أَعْشُو إذا ما جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوارِيَ جارَتيَ الخِدْرُ

قوله: **(ونظيرُه: عَرِجَ)**... إلخ عَرَج، أي: أصابه شيء في رِجْله فخمَع[١] ومشى مِشية العُرجان، وليس بخِلْقة، فإذا[٢] كان ذلك خِلْقة قلتَ: عَرِجَ -بالكسر- فهو أعْرَج.[٣]

قوله:

(متى تأْتِهِ تَعْشُو[٤] إلى ضوءِ نارِهِ)

تمامه:

تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[٥]

قوله: **(وهو بيّن في قول حاتم: أَعْشُو)**...[٦] البيتَ،[٧] يريد أنّه لا ينظُر إليها إلّا نظر العُشْيِ إذا كانت جاريةٌ بارزةً، يصف نزاهته. وقوله: "بيِّن" وذلك لقوله: "حتّى".

---

١ ن: فجمع. | خَمَعَت الضَّبُعُ تَخمَعُ خَمْعًا وخُموعًا وخُماعًا؛ عَرِجَت، وكذلك كلُّ ذي عَرَجٍ. **لسان العرب** لابن منظور، «خمع».

٢ ن: وإذا.

٣ **الصحاح** للجوهري، «عرج».

٤ ن: تعشوا.

٥ ن: موقده. | **ديوان الحطيئة**، ص ١٦١.

٦ ن: أعشوا.

٧ **ديوان حاتم الطائي**، ص ٣١٣.

وقرئ: "يعشُو" على أنْ "مَن" مَوْصُولةٌ غير مُضمَّنةٍ معنى الشرط، وحقُّ هذا القارِئ أن يَرفع "نقيِّضُ".

ومعنى القراءةِ بالفتح: ومَن يَعْمَ ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهو القرآنُ؛ كقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة ١٨/٢]، وأمَّا القراءةُ بالضم فمعناها: ومَن يتعَامَ عن ذكره؛ أي: يَعْرِفُ أنَّه الحقُّ وهو يتجَاهَلُ ويتغَابَى كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل ١٤/٢٧].

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾: نخْذُلْه ونُخَلِّ بينَه وبينَ الشَّياطين؛ كقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت ٢٥/٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم ٨٣/١٩].

وقرئ: ﴿يُقَيِّضْ﴾؛ أي: يُقيِّضْ له الرَّحمنُ، و: "يُقَيَّضْ له شيْطانٌ".

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٧﴾

فإن قلتَ: لِمَ جُمع ضميرُ "مَن" وضميرُ الشَّيطان في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾؟

قلتُ: لأنَّ "مَن" مُبْهَمٌ في جِنس العَاشي، وقد قُيِّضَ له شيطانٌ مُبْهمٌ في جِنسه، فلمَّا جاز أَن يتنَاوَلَا لإِبْهامِهما غيْرَ واحدَيْنِ جاز أَن يرجع الضميرُ إليهما مجمُوعًا.

قوله: (وقُرئ: "يَعْشُو")[١] وأمَّا ما قُرئ في الشاذّ: "يَعْشُو" بالواو فجزمُ ﴿نُقَيِّضْ﴾ عليه على لغة مَن يَجزم المرفوع تخفيفًا،[٢] ويرفع المجزوم والمنصوب مِن الفعل إشباعًا، ونظرًا[٣] إلى الأصل.

قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي: نُتيحُ. وقيل: نسَبِّبُ. وقيل: / نُيَسِّرُ. [٣٤٧و]
قال في صحاح[٤] اللغة: «قَيَّضَ الله فلانًا لفلان، أي: جاءه به وأتاحه[٥] له».[٦] وقال في مجمل اللغة: «قيَّض الله الشيءَ: أتاحه».[٧]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٧.
٢ ن: تحقيقًا.
٣ ن: ونظر.
٤ ن: **الصحاح**.
٥ ن: وأباحه.
٦ **الصحاح** للجوهري، «قيض».
٧ ن: أباحه. | **مجمل اللغة** لابن فارس، «قيض».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾، أي: العاشِي، وقرئ: ﴿جاءانا﴾ على أنَّ الفعلَ له ولِشيْطَانِهِ.

﴿قَالَ﴾ لشيطانه: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يُريد: المشرق والمغرِب، فغُلِّب كما قيل: العُمَرَانِ والقَمَرانِ.

فإن قلتَ: فما "بُعدُ المشرقيْنِ"؟

قلتُ: تباعُدُهما، والأصْلُ: بُعدُ المَشرق من المغرب والمغربِ من المشرقِ، فلمَّا غَلَّبَ وجَمَعَ المُفترِقَيْنِ بالتَّثنيةِ أضافَ البُعْد إليهما.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٩﴾

﴿أَنَّكُمْ﴾ في محلِ الرفع على الفاعِليَّة، يَعني: ولَن ينفَعَكم كونُكُم مُشْتركِينَ في العذاب كما يَنفَعُ الواقِعِينَ في الأَمْر الصَّعْبِ اشتراكُهم فيه لتعَاوُنهم في تحمُّلِ أَعْبائهِ وتَقسُّمهمْ لِشدَّتهِ وعَنَائه، وذلك أنَّ كلَّ واحِدٍ مِنكم به مِن العذاب ما لا تَبلُغُه طاقَتُهُ.

قوله: (**وقُرئ: ﴿جَآءَنَا﴾**) كلاهما مِن السبعة.[1]

قوله: (**والأصل: بُعدُ[2] المَشرِق**)... إلخ أصله: بُعْدُ المَشرق مِن المَغرب، والمَغربِ مِن المَشرق، ثمَ حُذف الجارَ والمجرور للعلم به، بَقِي: بُعْدُ المَشرق والمَغربِ، ثمَ غُلِّب وثُنِّي فصار بُعد المَشرِقين، والمراد بالبُعد الأوَّل فوق الأرض، وبالثاني تحته في مَرأى النظر، فيكون البُعدانِ[3] كأعظم دائرة يُفرض على الفَلك.

قوله: (**وتَقسُّمِهم لِشدّته وعَنائه**) كأنّه قال: يتقسّمون شِدَّتَه وعَناءَه.

قوله: (**وذلك أنَ كلَّ واحد**) أي: عدم النفع لأنَّ...

---

[1] قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم بألف بعد همزة على التثنية، وقرأ باقي العشرة بغير ألف على التوحيد. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٩.

[2] ن: بين.

[3] ن: بعدان.

ولك أن تجعَل الفِعل للتَّمنِّي في قوله: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾ على مَعنى: ولَنْ ينفعَكم اليوْمَ ما أنتُم فيهِ من تَمنِّي مبَاعَدةِ القَرِين، وقولُه: ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ تعليلٌ؛ أي: لَنْ يَنفعَكم تَمنِّيكُم لأنَّ حَقَّكم أن تَشترِكُوا أنتُم وقُرناؤكم في العذاب كما كنتُم مُشترِكِينَ في سبَبِهِ وهو الكفرُ.

وتُقوِّيهِ قراءةُ مَن قرأ: "إِنَّكم" بالكَسْر.

وقيل: إذا رأى المَمْنوُّ بشدَّةٍ مَن مُنِيَ بمِثْلِها رَوَّحه ذلك ونفَّسَ بَعضَ كَرْبه، وهو التَّأسِّي الَّذي ذَكَرتْهُ الخَنْساءُ:

أُعَـــزِّي الـنَّـفـسَ عـنـه بـالـتَّـأسِّـي

قوله: (بالكسر) شاذٌ.[1]

قوله: (وقيل: إذا رأى)... إلخ ذكر في تفسير: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾... إلخ ثلاثةَ أوجه: **الأوّل**: قوله: (**يعني: ولن ينفعكم كونُكم**)... إلخ. **الثاني**: قوله: (**ولك أن تجعل**)... إلخ. **الثالث**: قوله: (**وقيل: إذا رأى**). وقوله: (**المَمنوُّ**) أي: المُبتلَى، مِن قولهم: مُنيَ بكذا، أي: ابتُليَ به.

قوله:

(أُعـــزِّي الـنـفـسَ عـنـه بـالـتـأسِّـي)

أوّله:

ولـــولا كـثْـرةُ الـبـاكـيـن حَـولـي   عـلى إخـوانـهـم لَـقـتـلـتُ[2] نفسي
ولا[3] يبكـــون مثـــلَ أخـــي ولكن[4]   أُعـــزّي...[5]

---

[1] قراءة شاذّة، ذكرها مجاهد لابن عامر. انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٥٨٦؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٨.

[2] وفي هامش د ف: قطَعتُ. "نسخة".

[3] وفي هامش د: ما. "نسخة".

[4] ن: لكن.

[5] وفي هامش د ف: أُسَلِّي. "نسخة".
يُذكّرني طلوعُ الشمس صَخرًا   وأذكـــرُه لـكُـلِّ مغيـبِ شـمـسِ
ولـــولا كـثـــرة... البيتين
ديوان الخنساء، ص ٣٢٦.

فهؤلاء لا يُؤسِّيهم اشتراكهُم ولا يُرَوِّحُهم؛ لِعظَم ما هُم فيهِ.

فإن قلتَ: ما مَعنى قولِه: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾؟

قلتُ: معناه: إذ صحَّ ظُلْمُكُم وتبيَّن، ولم يبقَ لكم ولا لِأحدٍ شُبهَةٌ في أنكم كنتُم ظالمينَ، وذلك يومُ القيامةِ، و﴿إِذ﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، ونظيرُه:

إذا ما انتَسَبْنَا لم تَلِدْني لئيمةٌ

أي: تبيَّن أنّي ولَدُ كريمَةٍ.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجِدُّ ويجتهِدُ ويَكُدُّ رُوحَه في دعاء قَوْمه وهُم لا يزيدُون على دعائه إلّا تصميمًا على الكُفر وتمادِيًا في الغيِّ، فأنكر عليه بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ﴾ إنكارَ تعجيبٍ من أن يكون هو الَّذي يَقْدِر على هدايتِهم، وأرادَ أنَّه لا يقْدِرُ على ذلك منهم إلّا هو وحْدَهُ على سبيل الإلجاءِ والقَسْر كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر ٣٥/٢٢].

قوله: (**لا يُؤَسِّيهم**) أسَّيتُه تأسيةً،[١] أي: عزَّيتُه وحملته على الصبر، والتأسّي مطاوِعه؛[٢] فمعناه التصبُّر الحاصل لذلك.

قوله:

(إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ)

آخره:

ولم تجدي مِن أن تُقِرّي به بُدًّا[٣]

قوله: (**يُجِدُّ**)[٤] الجِدُّ: الاجتهاد في[٥] الأمور، تقول منه: جَدَّ يَجُدُّ ويَجِدُّ، وأجَدَّ في الأمر مثلُه. الأصمعي: «إنّ فلانًا لَجادٌّ مُجِدّ؛ باللغتين».[٦]

---

١ ن: ناسيه.

٢ ن: مطاوعة.

٣ ن: بدًا. | لزائد بن صعصعة الفَقعسي. انظر: **شرح أبيات المغني** للبغدادي، ١/١٢٥.

٤ ن: تجدّ.

٥ ن: من.

٦ **الصحاح** للجوهري، «جدد».

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ۝٤٢﴾

"ما" في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ﴾ بمنزلة لام القسَم في أنَّها إذا دخَلتْ دخلَتْ معَها النُّونُ المؤكِّدةُ، والمَعنى: فإنْ قَبضْناك قَبل أن نَنصُرك عليهم ونَشفِيَ صُدورَ المؤمنين منهم ﴿فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ أَشَدَّ الانتقام في الآخرة كقَوله: ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [غافر ٤٠/٧٧] وإن أَرَدْنا أن نُنْجِزَ في حيَاتك ما وعَدناهم من العذاب النازِلِ بهم -وهو يومُ بَدْرٍ- فهُم تَحتَ مَلَكتِنا وقُدْرَتِنا لا يَفُوتُونَنا، وَصَفَهم بشدَّة الشَّكِيمة في الكُفر والضَّلال ثمَّ أَتْبعَهُ شدَّةَ الوعيدِ بعذاب الدُّنيا والآخرة.

وقرئ: ﴿نُرِيَنْكَ﴾ بالنُّون الخفيفةِ.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٣﴾

وقرئ: "بالذي أَوْحَى إليك" على البناءِ للفاعِلِ، وهو الله عزَّ وجلَّ.

والمعنى: وسواءٌ عجَّلنَا لك الظَّفَرَ والغلبَة أو أَخَّرناه إلى اليوم الآخِر فكنْ مُتمسِّكًا بما أَوْحَينا إليك وبالعَمل به، فإنَّه الصراطُ المستقيمُ الذي لا يَحيدُ عنه

قوله: ("ما" في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ﴾ بمنزلة)... إلخ يشير إلى ما قيل: إنّ شرط نون التوكيد أن تدخل في فعل يكون بمعنى الطلب أو ما يشبه به، وإنّما دخلتْ في القسم وإنْ لم يلزم فيه معنى الطلب إمّا لأنّه في الغالب إنّما يُقْسَم على ما هو مطلوب المتكلّم، وحُمِل باقي الباب عليه، وإمّا[1] لأنّه فعل اشتمل على ما يقتضي توكيدَه مِن القسَم واللام، وهذا هو الوجه في جواز توكيد الفعل بهذه النون في قولهم: "فإمّا ترَينّ"؛ لأنّه فعل مستقبَل اشتمل[2] على ما يقتضي توكيده، وهو "ما" المزيدة على حرف الشرط.

قوله: (وصفَهم) يعني: في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ﴾... إلخ، فقوله: "وصفَهم" ابتداءُ كلام.

قوله: (لا يَحيدُ) أي: لا يَميل.

[1] ن: إمّا.

[2] ن: استعمل.

إلَّا ضالٌّ شقيٌّ، وزِدْ كلَّ يومٍ صلابةً في المُحاماة على دِين الله، ولا يُخْرِجْكَ الضَّجَرُ بأمْرِهم إلى شَيءٍ من اللِّينِ والرَّخاوة في أمْرك، ولكنْ كما يفعَلُ الثَّابتُ الذي لا يُنَشِّطُه تعجيلُ ظفَرٍ ولا يُثَبِّطُهُ تأخيرُه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ الذي أُوحِي إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾: لشَرَفٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، ﴿و﴾ لـ﴿سوف تسألون﴾ عنه يومَ القيامة، وعن قيامِكم بحقِّهِ، وعن تعظيمكُم له وشُكرِكُم على أنْ رُزِقتُموهُ وخُصِصْتُم به من بين العالَمين.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

ليس المُراد بسؤال الرُّسُل حقيقةَ السُّؤال لإحالتِه، ولكنَّه مجَازٌ عن النَّظرِ في أَدْيانهم والفَحْصِ عن مِلَلِهِمْ: هل جاءت عبادةُ الأوثان قطُّ في ملَّةٍ من مِلَل الأنبياء؟

قوله: (وزِدْ) استفاد هذا المعنى مِن السين في ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾.

قوله: (الثابت الذي لا يُنَشِّطُه) إثبات لفظة "لا" كما هو في بعض النسخ حسَن؛ لأنّه مطابق للَفظ التنزيل حيث قيل: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾، فقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾... إلخ إشارة[1] إلى تأخير الظَّفَر، وقوله: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ إلى تعجيله، فيكون المعنى: سواء أخّرْنا الظَّفَر أو عجَّلناه[2] فلا ينبغي أن يَعرِض لك النشاط ولا التثبّط. وأمّا المعنى على تقدير حذف "لا" كما هو في بعض النُّسخ فظاهر.

قوله: (لإحالته) أي: لإحالة السؤال، يعني: أنّ سؤالهم محال؛ لأنّهم لم يكونوا في زمانه، فكيف يسألهم؟ فلا يكون المراد حقيقة السؤال؛ بل السؤال عنهم مجاز عن النظر في أديانهم، / والفحصِ عن مِلَلهم، فكأنّه أُمِر بهذا النظر والفحص، والنبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[3] إنّما نظر في القرآن، وأغناه ذلك [٣٤٧ظ]

---

[1] ن: أشار.

[2] ن: مجلناه.

[3] د: عليه السلام.

وكفَاهُ نَظرًا وفحْصًا: نظرُه في كتاب الله المُعجز المُصَدِّق لِمَا بيْن يديه، وإخبارُ اللهِ فيه بأنَّهم يَعبُدون من دُون الله ما لم يُنزِّل به سُلطانًا، وهذهِ الآية في نفْسِها كافيةٌ لا حاجةَ إلى غيرها.

والسُّؤالُ الواقعُ مجازًا عن النَّظر -حيث لا يصحُّ السُّؤال على الحقيقة- كثيرٌ، منه مُسَاءَلةُ الشُّعراء الدِّيارَ والرُّسُومَ والأطْلالَ، وقولُ مَن قال: "سَلِ الأرضَ: مَن شَقَّ أنْهارَكِ وغرَسَ أشجَارَكِ وجَنَى ثِمارَكِ؟ فإنَّها إن لم تُجِبْكَ حِوارًا أجَابتكَ اعتبارًا".

وقيل: إنَّ النَّبي عليه السَّلام جُمِعَ له الأنبياء ليلةَ الإسْراء في بيتِ المَقدِسِ فأمَّهُم، وقيل له: سَلْهُم، فلَم يُشكِّك ولم يَسألْ.

عن ذلك النظر والفحص، فكان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[١] مأمورًا بالنظر في **القرآن**، وعبّر عنه بالسؤال المذكور، فهو مَجاز في المرتبة الثانية.[٢]

قوله: **(وإخبار الله)** بالرفع عطفٌ على **(نَظرُه)**، وبالجرّ[٣] على **(كتابٍ)**، فيه بحث.[٤]

قوله: **(حيث)** ظرف[٥] لقوله: **(الواقع)**.

قوله: **(وقيل: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)**[٦] هذا عطفٌ على قوله: **(ليس المراد)**.

قوله: **(وقيل له: سَلْهم)**... إلخ أي: قال له جبريل عليه السلام:[٧] سَلْ يا محمّد مَن أرسلنا. فقال صلّى الله عليه وسلّم:[٨] **"لا أسأل قد اكتفيتُ"**. وإنّما لم يسأل

---

١ د: عليه السلام.

٢ وفي هامش د ف: قوله: (مجاز عن النظر)... إلخ يمكن أن يكون المجاز مجازًا مُرسلًا؛ لأنّ السؤال عمّن يصحّ السؤال يستلزم نظر السائل في مقدّمات جوابه أنّها صحيحة أم لا مادّةً وصورةً، وهل هي مستلزِمة للمطلوب أم لا؟ فذُكرَ الملزوم وأُريدَ اللازم. ويمكن أن يكون استعارة تمثيليّة، كأنّه شبّه حال مَن ينظر في أحوال آثار الماضين، ويتطلّب استحضار الأحوال الماضية ومعرفتها مِن بقايا آثارهم؛ بحال مَن يسأل عمّن يصحّ السؤال ويتطلّب معرفة تلك الأحوال، واللفظ الذي يُستعمل في ذلك السؤال قد استُعمل في ذلك النظر والتطلّب، فاعلم.

٣ ن: بالجرّ.

٤ د - فيه بحث ["صح" في هامش ف].

٥ وفي هامش د: فيه بحث.

٦ د: عليه السلام.

٧ ف ن - عليه السلام.

٨ د: عليه السلام.

وقيل: معناه: سَلْ أُمَمَ مَن أرسَلنا، وهُم أهْلُ الكتابَيْنِ: التَّوراةِ والإنجيلِ.

وعن الفرَّاء: هم إنما يُخبِرُونَه عن كُتب الرُّسل، فإذا سَألهم فكأنَّه سَأل الأنبياء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ما أجابُوه بهِ عِند قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه قولُه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهو مُطالبتُهم إيَّاهُ بإحضار البيِّنةِ على دعْواهُ وإبْرازِ الآيَة.

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾؛ أي: يَسْخَرُون منها ويَهزؤُون بها ويُسَمُّونهَا سحرًا، و﴿إذا﴾ لِلمفاجأةِ.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يُجابَ "لمَّا" بـ﴿إذَا﴾ المُفاجأة؟

قلتُ: لأن فعلَ المفاجأة مَعها مقدَّرٌ وهو عامِلُ النَّصْبِ في مَحلِّها؛ كأنَّه قيل: فلمَّا جاءهُم بآياتِنا فاجَؤُوا وقتَ ضحكهم.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلتَ: إذا جاءَتْهم آيةٌ واحدةٌ من جُمْلة التِّسع فما أُختُها الَّتي فُضِّلتْ علَيها في الكِبَر من بقيَّة الآياتِ؟

لأنّه صلّى الله عليه وسلّم[١] علمَ أنّه ليس المراد بالأمر الطلبَ الجازمَ؛ بل المراد التقرير لمشركي مكّة وغيرهم بأنّه لم يأتِ رسولٌ ولا[٢] كتابٌ بعبادة غير الله.

قوله: **(وهو عامل النصب في مَحلّها)** فيكون ﴿لَمَّا﴾ منصوبًا على الظرف، و﴿إذَا﴾ لأنّه مفعول به.[٣]

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] ن - لا.

[٣] وفي هامش د ف: قوله: (وهذه صفة كلّ واحدة) أي: هذه الصفة، وهي الأكبريّة صفة كلّ... | وفي هامش د ف: قوله: (إذا قَرَوتَهُم) قَرَوتُ البلاد قَرْوًا، وقَرَيتُها، واقتَرَيتُها، واستقرَيتُها؛ إذا تتَبَّعتَها تخرج مِن أرض إلى أرض. **صحاح**. | **الصحاح** للجوهري، «قرو».

قلتُ: أُختُها الَّتي هي آيةٌ مثلُها، وهذه صِفةُ كلِّ واحدةٍ منها، فكان المعنى على أنَّها أكبرُ من بقيَّةِ الآياتِ على سَبيل التَّفْصيل والاستِقرَاءِ واحدةً بعدَ واحدةٍ؛ كما تقولُ: "هو أفضَلُ رجُلٍ رَأيتُه" تريدُ تَفضيلَه على أمَّةِ الرِّجال الَّذِين رأيتَهُم إذا قَروتَهُم رجُلًا رجُلًا.

فإن قلتَ: فهو كلام مُتناقضٌ؛ لأنَّ معناه: ما مِن آيةٍ من التِّسع إلَّا وَهي أكبَرُ من كلِّ واحدةٍ منها، فتكُون كلُّ واحدةٍ منْهَا فاضِلةً ومَفضُولةً في حالَةٍ واحدة؟

قلتُ: الغَرضُ بهذا الكلام أنَّهُنَّ مَوصُوفاتٌ بالكِبرِ لا يكَدْنَ يتفَاوتْنَ فيه، وكذلك العادةُ في الأشياءِ التي تَتلاقَى في الفَضل وتَتَفَاوتُ مَنازلُها فيه التفاوُتَ اليَسيرَ أن تختلِفَ آراءُ النَّاسِ في تفضيلها، فيُفضِّلَ بعضُهم هذا وبعضُهم ذاك، فعلى ذلك بَنى الناسُ كلامَهم فقَالُوا: "رَأيتُ رجَالًا بعضُهم أفضَلُ من بعضٍ" وربَّما اختلفت آراءُ الرَّجل الواحدِ فيها فتارَةً يفَضِّل هذا وتارَةً يُفضِّلُ ذاك، ومنه بيتُ "الحماسة":

مَن تلْقَ منهم تَقُلْ لاقَيتُ سَيِّدَهُم مِثلَ النُّجُومِ الَّتي يَسْرِي بها السَّارِي

ولقد فاضلتِ الأَنمارِيَّةُ بين الكمَلَةِ من بَنِيهَا ثم قالَتْ لمَّا أَبصَرَتْ مراتبَهم مُتدانيةً قليلةَ التفاوُتِ: ثَكِلْتُهم إنْ كُنتُ أَعلَمُ أَيُّهُم أَفضلُ، هُم كالحَلْقَةِ المُفرَغة لا يُدرَى أيْنَ طَرَفاها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إرادَة أَن يَرجعُوا عن الكُفر إلى الإيمان.

فإن قلتَ: لو أرَاد رُجوعَهم لكانَ؟

قوله: **(وكذلك العادة)**... إلخ "العادة" مبتدأ، و"كذلك" خبره. وقوله: **(أن تختلف)** بيان "كذلك".

قوله: **(الأنماريّةُ)** هي فاطمةُ بنتُ الخُرْشُب، تصِف أبناءها حين سُئلت عنهم: «أيّهم أفضل؟»، فقالت: «عُمارةُ، لا بل فلان،[1] لا بل فلان»، ثمّ قالت: «ثكِلْتُهُم إنْ»...

[1] ن: ولا.

قلتُ: إرادَتُه فعلَ غيره ليس إلَّا أَنْ يأمرَه به ويَطْلُبَ منه إيجادَه، فإن كان ذلك على سبيل القسْر وُجِدَ، وإلَّا دَارَ بين أن يُوجَد وبين أَن لا يُوجَد على حسَب اختيار المكلَّف، وإنَّما لم يكن الرُّجُوعُ لأنَّ الإرَادةَ لم تكُن قسرًا ولم يختَارُوه.

والمراد بالعذاب: السِّنُونَ والطُّوفانُ والجَرادُ وغيرُ ذلك.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قرئ: ﴿يا آيُّهُ السَّاحرُ﴾ بضمِّ الهاء، وقد سَبق وجهُه.

فإن قلتَ: كيف سَمَّوه بالسَّاحِرِ مَع قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾؟

قلتُ: قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ وَعْدٌ منويٌّ إخْلافُه، وعَهْدٌ معْزومٌ على نَكْثِه، مُعَلَّقٌ بشرطِ أن يدعوَ لَهُم ويَنكشِفَ عنهم العَذابُ، ألا تَرى إلى قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ فما كانت تسميَتُهم إيَّاهُ بالسَّاحِر بمُنافيةٍ لقَولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

وقيل: كانوا يقولون للعالِم الماهِر: ساحرٌ؛ لاستعظامِهم عِلمَ السِّحر.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بعَهْده عندك مِن أَنَّ دعوتك مُستجابةٌ، أو بعهده عِندك وهو النُّبوَّة، أو بما عهِدَ عِندك فوَفَيْتَ به وهو الإيمانُ والطَّاعَةُ، أو بما عهِد عِندك من كشف العذابِ عمَّن اهتدَى.

قوله: **(وقد سبق وجهُه)** أي: في سورة النور،[١] ووجهه أنّها[٢] لمّا كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف ولمّا حُذفت الألف لالتقاء الساكنين أُتْبِعَت حركتها حركةَ ما قبلها.

قوله: **(مع قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾)** أي: مع قولهم: إنّا نختار الهُدى على الضلالة ونَتَبِعُك.

---

[١] النور، ٣١/٢٤.
[٢] ن: لأنّها.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ جعَلهم محلًّا لِندائهِ ومَوْقعًا له، والمَعنى: أنَّه أمَر بالنِّداء في مَجامِعِهم وأمَاكِنِهم مَن نادَى فيها بذلك، فأُسنِد النِّداء إليه كقولك: قطعَ الأميرُ اللِّصَّ، إذا أمَر بقطْعِه.

ويجوز أن يكُون عندَه عُظماءُ القِبْطِ فيَرْفَعَ صَوته بذلك فيما بَيْنَهم ثمَّ يُنشَرَ عنه في جمُوع القِبْطِ، فكأنَّه نُودي بهِ بينهم.

فقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يَعني: أنهارَ النِّيل، ومُعظمُها أَرْبَعةٌ: نهرُ المَلكِ، ونهرُ طولُونَ، ونهرُ دِمْياطَ، ونَهْر تِنِّيسَ. قيل: كانت تجري تحْتَ قصْره، وقيل: تحت سريرِهِ لارتفاعه.

وقيل: بين يديَّ في جِنانِي وبَساتِيني.

ويجوز أن تكون الواو عاطفةً للأنهار على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ و﴿تَجْرِي﴾ نصْبٌ على الحالِ منها.

وأَن تكون الواوُ للحال، واسمُ الإشارة مُبتدأً، و﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ صفةً لاسْم الإشارة، و﴿تَجْرِي﴾ خبرًا لِلمُبتدأ.

وليت شِعْري كيف ارتقَتْ إلى دعوى الرُّبوبيَّةِ هِمَّةُ مَن تعظَّمَ بملك مصْرَ، وعجَّب الناسَ من مدَى عظمته، وأمَر فَنُودِي بها في أَسْواق مصرَ وأَزِقَّتها لئلَّا تخفَى تلك الأُبَّهةُ والجَلالةُ على صغيرٍ ولا كبيرٍ، وحتَّى يتَربَّعَ في صُدور الدَّهماء مِقدارُ عزَّتِه وملكُوته.

وعن الرَّشيد: أنه لمَّا قَرأَها قال: لَأُوَلِّيَنَّها أخَسَّ عبيدِي، فولَّاها الخَصيبَ وكان علَى وضوئه.

قوله: (**طُولُون**) اسم رجل.

قوله: (**حتَّى يتربَّع**) أي: يتمكَّن. وقوله: (**في صدور**) أي: في قلوب.

قوله: (**الخَصيبَ**) أي: خادمه.

وعن عبد الله بن طاهرٍ: أنَّه وُلِّيَهَا فخرجَ إليها، فلمَّا شَارَفَها ووَقع عليها بصَرهُ قال: أَهي القَريةُ التي افتخَر بها فرعونُ حتى قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؟ واللهِ لَهِيَ أقلُّ عِندي من أن أدخُلَها، فثَنى عِنانَه.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ هذه متَّصلةٌ، لأنَّ المعنى: "أفَلا تُبْصِرُون أم تُبصِرُون" إلَّا أنَّه وَضَع قَوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مَوضِعَ: "تُبْصِرُون" لأنَّهم إذا قالُوا لَهُ: أنْتَ خيرٌ، فَهُمْ عنده بُصَراءُ، وهذا من إِنْزالِ السَّبب مَنزلةَ المسبَّب.

ويجوز أن تكون منقطِعةً على: "بَلْ أَنا خيرٌ" والهَمزةُ للتقرير، وذلك أنَّه قدَّم تعديدَ أسبَاب الفضلِ والتَّقدُّمِ عليهم: من مُلكِ مصْرَ، وجَرْيِ الأنهارِ تحتَه، ونَادى بذلك، ومَلأ بهِ مسَامِعَهُم، ثمَّ قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ كأنَّه يَقُول: أَثبَتَ عندكم واستقرَّ أنِّي أنَا خيرٌ وهذه حَالِي ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾؛ أي: ضعِيفٌ حقيرٌ.

وقرئ: "أمَا أنا خيرٌ".

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلامَ لِمَا به مِن الرُّتَّة، يُرِيد: أنَّه ليس مَعه من العُدَد وآلات الملك والسِّياسة ما يَعتضِد به، وهو في نفسِه مُخِلٌّ بما يُنعَتُ به الرِّجال من اللَّسَنِ والفصَاحةِ، وكانت الأنبياءُ كلُّهم أَبْيِناءَ بُلغاءَ.

قوله: (**إلَّا أنَّه وضع**) "إلَّا" بمعنى "لكنَّ"، وهي متعلِّقة بقوله: (**لأنَّ المعنى**).

قوله: (**مِن إنْزال السبب منزلة المُسبَّب**) لأنَّ قولهم: "أنت خير" سبب للحكم عليهم بأنَّهم يبصرون، فيكون مجازًا.[1]

قوله: (**عليهم**) متعلِّق بقوله: (**تعديدَ**).[2] وقوله: (**مِن مُلك مِصرَ**) بيان (**أسباب**).

قوله: (**أبْيِناء**) جمع بَيِّن، وهو ذو[3] البيان.

---

[1] وفي هامش د ف: مِن قَبيل ذكر السبب وإرادة المسبَّب.

[2] ن: تعديه.

[3] ن: د.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾

وأرَادَ بإلقاءِ الأَسْوِرة عليه: إلقاءَ مقاليدِ المُلك إليه؛ لأنَّهم كانوا إذا أرَادُوا تَسْويدَ الرَّجل سَوَّرُوه بسوارٍ وطوَّقُوه بطَوقٍ من ذهبٍ.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: إمَّا مُقْترِنين بهِ من قولك: "قَرنْتُه بهِ فاقتَرن بهِ"، وإمَّا من: "اقتَرنُوا" بمَعنى: "تقَارَنُوا"، لمَّا وصَف نفسَهُ بالمُلك والعِزَّة، ووَازَنَ بَينَه وبَينَ مُوسَى صلوات الله عليه، وَوصَفَه بالضَّعْف وقِلَّة الأَعضادِ، اعترَضَ فقال: هَلَّا إن كان صادِقًا مَلَّكه رَبُّه وسوَّدَهُ وسَوَّرَه وجَعل الملائكة أعضَادَه وأنصَاره.

وقرئ: "أَسَاوِرُ" ....

قوله: (**مقاليدِ المُلك**) أي: أسبابِه، وهو جمع مِقْلاد؛ وهو المِفتاح.[١]

قوله: (**سوَّروه[٢] بسِوار**) وكان يقال للملك: المُسوَّر.

قوله: (**وقُرئ: "أَسَاوِرُ"**)... إلخ اعلم أنّ القرّاء السبعة قرءوا: ﴿أُلْقِىَ﴾ مضمومَ الهمزة مكسورَ القافِ مفتوحَ الياء، و﴿أَسْوِرَةٌ﴾، و﴿أَسَاوِرَةٌ﴾.[٣] وأمّا باقي القراءات فشاذّة.[٤] قال أبو عليّ في **الحُجّة**:

> كلّهم قرأ: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾ إلّا عاصمًا في رواية حَفص، فإنّه قرأ: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾،[٥] قال أبو زيد: «قالوا: رجل إسْوار[٦] مِن قوم أساوِرة، وقالوا: هو إسْوار المرأة، وسِوار المرأة،[٧] وأسْوِرةٌ لِجَماعتها، قال: وهما قُلْبانِ يكونان في يديها». فرواية[٨] حَفص: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ هو جمع "سِوار" جَمَعَه على "أسْوِرة"، مثل: سِقاء وأسْقِية،[٩] وإزار وآزِرة، وخِوان وأخْوِنة. ومَن قرأ: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾[١٠]

---

١ انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «قلد».

٢ ن: سوّره.

٣ قرأ يعقوب وحفص عن عاصم: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بإسكان السين مِن غير ألف، وقرأ باقي العشرة: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾ بفتح السين وألِف بعدها. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٦٩/٢.

٤ أمّا "أَسَاوِرُ" فمرويّة عن الأعمش، وأمّا "أَسَاوِيرُ" فمرويّة عن ابن وثّاب. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢٨.

٥ ن: سورة.

٦ ن: أساور.

٧ ن - وسِوار المرأة.

٨ ن: فزواته.

٩ ف: وأسقِيُه.

١٠ ن: أساور.

جمع أَسْوِرَةٍ، و: "أَسَاوِيرُ" جمع إِسْوارٍ وهو السِّوار، و: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾ على تَعْوِيض التَّاء من ياء "أَسَاوِيرَ".

وقرئ: "أَلْقَى علَيه أَسْوِرةً"، و: "أَسَاوِرَ"، على البناء للفاعل وهو الله عزَّ وجلَّ.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٤﴾

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: فاستَفزَّهُم، وحقيقتُه: حَملَهم على أَن يَخِفُّوا له ولِمَا أَرَاد منهم، ....

جعله جمع[1] "إِسْوار" الذي ذكره أبو زيد، وقال في الجمع: "أَساوِرة"، فأُلحق الهاء في الجمع، على / أنّ الهاء عِوض عن الياء التي كان ينبغي أن تلحق في جمع "إِسْوار" على حدِّ إِعْصار وأعاصير، فإن شئتَ قلتَ: "أَساوِرة"، وإن شئت قلتَ: أساوير، ويجوز في ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ أن يكون جمع "أَسْورة"، مثل: أَسْقِية وأَساقٍ، ولحق علامة التأنيث كما لحق في قَشعم وقَشاعِمة،[2] وأمّا "أساورة" في جمع "إِسْوار"، فالهاء فيه على حدّ ما يلحق المؤنَّثات، نحو: طَيالِسة وزَنادِقة، وقد لَحِقَتْ هذه الهاء المُعرّبة، نحو: قَشعَم وقَشاعِمة. و"الإِسْوار" مُعرَّب، وهو الفارس.[3] [٣٤٨و]

هذا كلام أبي عليّ الفارسي،[4] وأنا أقول: إذا كان المراد بـ"الأَساوِرة" الفرسان فالمراد بقوله: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ أن يكونوا ملتبسينَ بالذهب، بأن يكون مِنْطَقَتُهم وتاجُهم وأسلحتُهم مُذهَّبةً، أي: مصنوعة مِن الذهب، أو منقوشة به.

وقوله: (وهو السِّوار) يريد أنّ المراد به القُلْبُ، لا أنّه[5] فارسي مُعرّب، وهو الفارس. وقوله:[6] ("أَسَاوِر" جمع "أَسْوِرَة") وهو جمع سِوار.

قوله: (ولِما أَراد) عطفٌ على قوله: (له)، وهو مثل قولهم: أعجبني زيد وكرمُه.

---

١ ن: جمعه على.
٢ القَشْعَمُ مِن النسور والرجال: المُسِنّ. **الصحاح** للجوهري، «قشعم».
٣ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ١٥٢/٦.
٤ ف – الفارسي.
٥ ن: لأنّه.
٦ ن: قوله.

وكذلك: "استَفزَّ" مِن قولِهم للخفيفِ: فَزٌّ.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾

﴿ءَاسَفُونَا﴾ مَنقُولٌ من أَسِفَ أسفًا: إذا اشتَدَّ غَضبُه، ومنه الحديثُ في مَوت الفجأة: "رَحمةٌ للمُؤمِن وأَخذةُ أسَفٍ للكافرِ".

ومعناه: أنهم أَفْرَطُوا في المعاصي وعَدَوا طَوْرَهُم فاستَوجَبُوا أن نُعَجِّلَ لهم عذابَنا وانتقامَنا، وأنْ لا نَحلُمَ عنهم.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾

وقرئ: ﴿سَلَفًا﴾: جمع سالِفٍ كخدَم وخادمٍ، و: ﴿سُلُفًا﴾ بضمتين: جمع سَليفٍ؛ أي: فريقٍ قد سَلَفَ، و: "سُلَفًا": جمع سُلْفةٍ؛ أي: ثُلَّةٍ قد سَلَفَتْ.

قوله: (وكذلك استفزَّ) أي: كما جاء "استخَفَّ" مِن "الخفيف"[١] جاء "اسْتَفَزَّ" مِن "الفَزِّ".

قوله: («أسَفٍ للكافر»)[٢] الأسَفُ بفتح السين: الغضب، وبالكسر: الغَضبان، وقد رُوي الحديث بهما. والمعنى أنّ موت الفجأة مِن آثار غَضَبِ الله، فإنّه أخذَه بَغتةً، ولم يترُكْه ليستعدّ لِمَعاده بالتوبة.[٣]

قوله: (وقُرئ: ﴿سَلَفًا﴾) سبعة.[٤] وقوله: (و﴿سُلُفًا﴾) سبعة.[٥]

قوله: (قد سَلَفَ) صفة (فريق). وقوله:[٦] (و"سُلَفًا") شاذّ.[٧]

---

١ ن - وكرمُه. قوله: (وكذلك استفزَّ) أي: كما جاء "استخفَّ" مِن "الخفيف".

٢ بنحوه في مسند أحمد، ٤١/٤٩١ (٢٥٠٤٢).

٣ ن: باكتوبة. | انظر: شرح مشكاة المصابيح للطيبي، ٤/١٣٦٩.

٤ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٩.

٥ قرأ بها حمزة والكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٩.

٦ ن: قوله.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ ومجاهد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٢٨. | وفي هامش د ف: قوله: (أي: ثُلّةٍ) الثُّلّةُ -بالضمّ-: الجماعة من الناس. صحاح. | الصحاح للجوهري، «ثلل».

ومَعناه: فجَعلناهم قدوةً للآخِرين من الكفَّار، يقتَدُون بهم في استحقاقِ مثلِ عقابهم ونزُولهِ بهم؛ لإتْيانهم بمِثل أفعالهم، وحَديثًا عجيبَ الشَّأن سَائرًا مَسيرَ المثَلِ يُحَدَّثون به ويُقال لهم: مَثَلُكم مَثَلُ قوم فرعون.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾

لمَّا قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قُريشٍ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٩٨/٢١] امتَعضُوا من ذلك امتعاضًا شديدًا، فقال عبد الله بن الزِّبعرَى: يا محمَّدُ، أخاصَّةٌ لنا ولآلهتنَا أَمْ لجميع الأُمم؟ فقال عليه السَّلام: «هو لكم ولآلهتكُم ولجميع الأمم» فقال: خَصَمتُكَ وربِّ الكعبة، ألسْتَ تزعُم أنَّ عيسى ابنَ مريم نبيٌّ وتُثْنِي عليه خيرًا وعلى أُمِّه، وقد علمتَ أنَّ النصارى يَعبُدُونهما، وعُزَيرٌ يُعبَدُ، والملائكةُ يُعبَدُون، فإن كان هؤلاء في النَّار فقد رَضينا أن نكون نحن وآلهتُنا مَعهُم، ففَرحُوا وضحِكوا وسَكتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء ١٠١/٢١] ونزَلت هذه الآية.

والمعنى: ﴿وَلَمَّا﴾ ضَربَ عبد الله بنُ الزِّبَعري عيسى ابن مريمَ ﴿مَثَلًا﴾ وجادَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعبادَةِ النَّصارى إيَّاهُ ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قُرَيشٌ ﴿مِنْهُ﴾: من هذا المثَلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾: تَرتفعُ لهُم جَلَبةٌ وضَجيجٌ فَرحًا وجَذَلًا وضَحِكًا بِما سمعُوا مِنه من إسكاتِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم بجَدَلهِ كما يَرتفع لَغَطُ القَوم وَلجَبُهم إذا تَعيَّوا بحجَّةٍ ثم فُتِحَت عليهم.

قولـه: **(قـدوةً)** قـول المصنّـف: "قـدوةً" تفسير ﴿سَلَفًا﴾. وقولـه: **(حديثًا)** تفسير ﴿مَثَلًا﴾.

قوله: **(امْتعَضوا)** أي: غضِبوا.

قوله: **(خَصَمْتُكَ)** أي: غَلَبْتُكَ في الخصومة.[١]

---

[١] وفي هامش د ف: قوله: (وضَحِكًا) مصدر، الضِحْك والضَّحِك.

وأمّا مَن قَرأ: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بالضَّمِّ فمِن الصُّدُود؛ أي: من أجْلِ هذا المَثل يَصُدُّونَ عن الحقِّ ويُعرِضُون عنه.

وقيل: من الصَّديد وهو الجَلَبَةُ، وأنّهما لُغتان نحو: "يَعكِفُ ويعكُفُ" ونظائرَ لهما.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ يعنُونَ: إنَّ آلهتَنا عِندك ليسَتْ بخيرٍ من عيسى، فإذا كان عِيسَى من حصَبِ النَّار كان أَمْرُ آلهتنا هيّنًا.

﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾؛ أي: ما ضَربُوا هذا المثلَ ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: إلّا لأَجْلِ الجَدلِ والغلَبة في القَول، لا لطَلب المَيْز بين الحقِّ والباطِل.

﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾: لُدٌّ شِدَادُ الخصُومة دَأبهُم اللَّجاجُ؛ كقوله: ﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [مريم ١٩/٩٧]، وذَلك أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ما أُرِيدَ به إلّا الأصنامُ، وكذلك قولُهُ عليه السَّلام: «هُو لكُم ولآلِهتِكُم ولجميع الأُمَم» إنّما قصَد به الأصنامَ، ومُحالٌ أن يَقصِدَ الأنبياءَ والملائكةَ، إلّا أنَّ ابنَ الزِّبَعرَى بخِبّه وخِداعِه وخُبْثِ دِخْلَتِه لمّا رأى كلام الله ورسُوله محتمِلًا لفظُه وجهَ العُموم -مع علمِه بأنَّ المراد به أصنامُهم لا غيرُ- وجَد للحيلةِ مَساغًا فصَرف مَعناه إلى الشُّمول والإحَاطة بكلِّ مَعْبُودٍ غيرِ الله على طريقَة المحكِ والجِدال وحُبِّ المُغالبة والمُكابرة، وتَوقّح في ذلك، فتَوقَّر رسُولُ الله حتى أجابَ عنه ربُّه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١] فدَلَّ به على أنَّ الآيةَ خاصّةٌ في الأَصنام، على أنَّ ظاهر قوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] لغير العقلاء.

قولـه: **(دِخْلَتِهِ)** قـال فـي **الصحاح**: «داخِلة الرجـل: باطـنُ أمره، وكذلـك الدُّخْلة بالضمّ، يقال: هو عالم بدُخْلَتِه».[1]

قوله: **(المَحْكِ)**[2] أي: اللَّجاج.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «دخل».

٢ ن: المحل.

وقيل: لمَّا سَمِعُوا قولَه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران ٥٩/٣] قالوا: نحن أَهْدى من النَّصارى لأنَّهم عبَدُوا آدميًّا ونَحنُ نعبدُ الملائكة، فنزلَت.

وقولُه: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ على هذا القول: تفضيلٌ لآلِهَتِهم على عيسى؛ لأنَّ المراد بهم الملائكةُ، و﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ معناه: وما قالوا هذا القولَ -يَعْني: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾- إلَّا للجدَل.

وقرئ: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ بإثباتِ همزة الاستفهام وبإِسقاطِها لِدلَالة ﴿أَمْ﴾ العَديلةِ عَليها.

وفي حَرْف ابن مَسْعُود رضي الله عنه: "خَيرٌ أَم هذا".

ويجوز أن يكون ﴿جَدَلًا﴾ حالًا؛ أي: جَدِلِين.

قوله: (فنزلتْ) يعني: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾...[١] إلخ.[٢]

قوله: (بإثبات[٣] همزة الاستفهام) فيه همزتان بعدهما ألفٌ. وقوله: (وبإسقاطها)[٤] قال أبو عليّ رحمه الله[٥] في **الحُجّة**:

ولعلّه حذف الهمزة لاجتماع المِثلين ودِلالة ﴿أَمْ﴾[٦] عليها، كما حَذَفها عِمْران[٧] في قوله:

فأصبحتُ فيهم آمنًا لا كَمَعْشَرٍ أَتوني فقالوا مِن ربيعةَ أمْ مُضَرْ

وهذا أكثر ما يجيء في الشِّعر، وقد قيل في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء ٢٢/٢٦]: إنّ المراد به الاستفهام، وممّا يكون همزة الاستفهام فيه محذوفة قولُ الكُمَيت:

---

١ ن - مثلًا.

٢ وفي هامش ف: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ المراد بـ"المَثَل" هنا المَثل اللغوي، أي: لمّا ضَرب ابنُ الزِّبَعْرَى عيسى شبيهًا للأصنام في حكمهم، وهو كونه حصَب جهنّم، ارتفع لهم جلَبة وصياح مِن جهة الفرح والسرور بسبب إسكات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تأمّل.

٣ ن: بإثبات.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن نافع. انظر: **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ١٦٣/٦.

٥ د - رحمه الله.

٦ ن - أمْ.

٧ عمران بن حطّان. انظر: **المخصّص** لابن سيده، ٢٢٢/٥.

وقيل: لمَّا نزَلتْ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ٣/٥٩] قالُوا: ما يُريدُ مُحمَّدٌ بهذا إلَّا أَن نَعبُدَهُ، وأَنَّه يَستأهلُ أن يُعبَد وإن كان بَشرًا كما عَبدت النصارى المسيحَ وهو بَشرٌ، ومَعنى ﴿يَصِدُّونَ﴾: يَضِجُّونَ ويَضجَرُونَ، والضمير في ﴿أَمْ هُوَ﴾ لمحمَّدٍ عليه السلام، وغَرضُهم بالموازنة بينه وبينَ آلِهتِهِمْ: السُّخريَّةُ والاستهزاءُ.

ويجُوز أن يقولوا لمَّا أُنكِرَ عليهم قولُهم: "المَلائكةُ بناتُ الله" وعَبدُوهم: ما قُلنا بِدْعًا مِن القَول ولا فَعَلْنَا نُكْرًا من الفِعل، فإنَّ النَّصارَى جَعلوا المسيحَ ابنَ الله وعَبدُوهُ، ونحن أَشَفُّ منهُم قولًا وفِعْلًا فإنَّا نسَبْنا إليه الملائكةَ وهم نسبُوا إليه الأَناسيَّ، فقيل لَهُم: مذهبُ النَّصارَى شِرْكٌ بالله ومَذهبُكُم شِركٌ مِثلُه، وما تَنصُّلُكم ممَّا أَنتُم عليه بما أَورَدْتمُوه إلَّا قياسُ باطلٍ بباطلٍ، وما عيسَى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ كسائر العبيد ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ حيث جَعلناه آيةً: بأنْ خَلَقْناه من غير سبَبٍ كما خلقنا آدم، وشَرَّفناه بالنُّبوة، وصَيَّرناه عِبْرَةً عجيبةً كالمَثل السَّائر لبَنِي إِسْرائيل.

ولا لَعِبٌ[1] مِنِّي وذو الشيبِ يَلعبُ[2]

معناه: أَوَ ذو الشيبِ؟ على جهة التقرير أنّ ذلك لا ينبغي.[3]

قوله: (ومعنى ﴿يَصِدُّونَ﴾) أي: على هذا الوجه.

قوله: (والضمير في ﴿أَمْ هُوَ﴾) أي: على هذا الوجه.

قوله: (وعبدوهم) حال مِن "هم" في (قولهم)، أي: لمّا أُنكِرَ عليهم قولهم في حال عبادتهم الملائكة. ويجوز أن يكون عطفًا على "قولهم"، لأنّ عطفه على الاسم جعلَه في تأويل المصدر، أي: لمَا أُنكِر عليهم / قولهم وعبادتهم.[4] [٣٤٨ظ]

قوله: (وما تَنصُّلكم) التنصُّلُ: الخروج مِن الذَّنب بالاعتذار.

قوله: (أَشَفُّ)[5] أي: أفضل.

---

١ ن: كعب.

٢ صدره:

طربتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطربُ

ديوان الكميت، ص ٥١٢.

٣ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١٦٣/٦.

٤ ن: عبادتهم.

٥ ف: أشَفَّ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ لقُدْرَتِنا على عَجائب الأُمور وبدَائعِ الفِطَر ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: لوَلَّدْنَا مِنكم يا رجالُ ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلُفونكم في الأرض كما تَخلُفُكم أوْلَادُكُم؛ كما وَلَّدنا عيسى من أُنثى من غيرِ فحْلٍ؛ لتَعرفوا تَميُّزَنَا بالقُدرة الباهِرة، ولتَعلموا أنَّ الملائكة أجسامٌ لا تتولَّد إلَّا مِن أجسام، وذاتُ القديم مُتَعاليةٌ عن ذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ عيسى عليه السلام ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: شَرَطٌ مِن أَشراطها تُعلَمُ به، فسُمِّي الشَّرَطُ علْمًا لحصُول العِلْم به.

وقرأ ابن عبَّاس: "لعَلَمٌ"، وهُو العَلامةُ.

وقرئ: "لَلْعَلَمُ"، وقرأ أُبيٌّ: "لَذِكْرٌ" على تسمِيةِ ما يُذكَرُ به ذِكْرًا كما سُمِّي ما يُعلَم به عِلْمًا.

وفي الحديثِ: أنَّ عيسى عليه السَّلام يَنْزِل على ثَنيَّةٍ بالأَرض المُقدَّسة: يقال لها أَفِيق، وعَلَيْه مُمَصَّرتانِ وشَعرُ رَأسِه دَهِينٌ، وبيَدِه حَرْبةٌ وبها يقتُلُ الدَّجالَ، فيأتي بيْتَ المَقْدس والنَّاسُ في صَلاة الصُّبحِ والإمامُ يَؤُمُّ بهم، فيتأخَّر الإمَامُ

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنّ عيسى عليه السلام) أي: نزوله مِن أشراط الساعة.

قوله: (أي: شَرَطٌ) الشَّرَطُ -بالتحريك-: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها.[1]

قوله: (على[2] ثَنِيَّةٍ) أي: طريقٍ في[3] الجبل.

قوله: (مُمَصَّرتان)[4] أي: حُلَّتان.[5]

---

١ الصحاح للجوهري، «شرط».

٢ ن - على.

٣ ن - في.

٤ ن: مصرتان.

٥ المِصْر: الطين الأحمر. وثوبٌ مُمَصَّر: مصبوغ بالطين الأحمر، أو بحُمرة خفيفة. وفي التهذيب: ثوبٌ مُمَصَّر: مَصبوغ بالعِشْرِق؛ وهو نبات أحمر طيِّبُ الرائحة تستعمله العرائِس. لسان العرب لابن منظور، «مصر».

فيُقدِّمُه عيسَى ويُصَلِّي خلفَه على شَريعةِ محمَّد عليه السَّلام، ثمَّ يَقتُل الخنازيرَ ويَكسرُ الصَّليبَ ويخرِّبَ البِيَع والكنائسَ، ويقتُلُ النَّصارى إلَّا مَن آمَنَ به.

وعن الحسنِ: أنَّ الضَّمير للقرآنِ، وأنَّ القرآن به تُعلَمُ السَّاعة لأنَّ فيه الإعْلامَ بها.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ مِن المِرْية وهي الشَّكُّ ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾: واتَّبعوا هُدايَ وشَرْعي، أو رسُولي.

وقيل: هذا أمرٌ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يقولَه.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: هذا الَّذي أَدْعُوكم إلَيه، أو: هذا القرآنُ، إن جُعِل الضَّميرُ في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ لِلقُرآن.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٢﴾

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: قد أبَانَتْ عَدَاوتُه لكُم إذ أَخرَجَ أبَاكُم مِن الجنَّةِ ونَزَع عنه لباسَ النُّور.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦٤﴾

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ، أو: بآيات الإنجيل والشرائع البيِّناتِ الوَاضِحاتِ.

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ يَعْنِي: الإِنْجيلَ والشَّرائعَ.

قوله: **(وقيل: هذا أمرٌ)** هذا عطفٌ على الوجهين المتقدِّمَين، فيكون في المعنى هذا مِن قول الرسول بأمر الله تعالى.

قوله: **(قد[١] أبانتْ[٢] عداوتُه)** بانَ الشيءُ بَيانًا: اتَّضح، فهو بيِّن، والجمع: أبْيِناءُ، مثل:[٣] هَيِّن وأهْيِناء، وكذلك أبانَ الشيء فهو مُبين.[٤]

---

[١] ن – قد.

[٢] في بعض مطبوعات **الكشّاف**: بانت.

[٣] ن: ومثل.

[٤] **الصحاح** للجوهري، «بين».

فإن قلتَ: هلَّا بيَّن لهُم كُلَّ الَّذي يختلفُون فيه ولكنْ بَعضَهُ؟

قلتُ: كانوا يختلِفُون في الدِّياناتِ وما يتَعلَّق بالتَّكليف، وفيما سِوَى ذلك ممَّا لـم يُتعَبَّدُوا بمعْرفتِه والسُّؤالِ عنه، وإنما بُعث ليُبيِّن لهُم ما اختلفُوا فيه ممَّا يَعْنِيهم من أَمْرِ دينِهم.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ۝٦٥﴾

﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: الفِرَقُ المُتحزِّبة بَعد عيسى، وقيل: اليهُود والنَّصارى.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وَعِيدٌ للأَحزاب.

فإن قلتَ: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ إلى مَن يَرْجعُ الضَّميرُ فيه؟

قلتُ: إلى الَّذين خاطَبهم عيسَى في قَوله: ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ وهُم قَومُه المبعُوثُ إليهم.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٦٦﴾

﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ والمعنى: هل ينظُرون إلَّا إِتْيانَ السَّاعة.

فإن قلتَ: أمَا أدَّى قولُه: ﴿بَغۡتَةٗ﴾ مُؤَدَّى قولهم: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ فيُستَغنَى عنه؟

قلتُ: لا؛ لِأنَّ مَعنى قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: وهم غافِلُون لاشتِغالِهم بأمُورِ دُنياهم؛ كقَوله: ﴿تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس ٣٦/٤٩]، ويجوز أن تَأتيهُم بَغتةً وهُم فَطِنُون.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾

﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ منصُوبٌ بـ﴿عَدُوٌّ﴾؛ ....

قوله: (الفِرَقُ) اليَعْقوبيّة، والنَّسطوريّة، والمَلْكائيّة، والمَرْقوسيّة.[١]

---

١ ف: والمرقوشيّة.

أي: ينقَطع في ذلك اليَوم كلُّ خُلَّةٍ بين المُتخالِّين في غير ذاتِ الله وتَنقلِبُ عداوةً ومَقْتًا إلَّا خُلَّةَ المتصَادِقين في الله، فإنَّها الخلَّةُ الباقيةُ المُزدَادَةُ قوَّةً إذا رأَوا ثوَابَ التحابِّ في اللهِ والتَّباغُضِ في الله.

وقيل: ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾: إلَّا المُجتنِبينَ أخِلَّاءَ السَّوءِ.

وقيل: نزلَتْ في أُبيِّ بن خلَفٍ وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيطٍ.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩﴾

﴿يا عبادى﴾ حكايةٌ لِمَا يُنَادَى بهِ المُتَّقُون المُتَحَابُّونَ في الله يومئذٍ، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ منصوبُ المحَلِّ صفةٌ لـ﴿عبادى﴾ لأنَّه منادًى مضافٌ؛ أي: الَّذين صَدَّقُوا ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾: مُخلِصينَ وجُوهَهم لنا جَاعلينَ أنفسَهُم سَالمةً لِطَاعَتِنا.

وقيل: إذا بَعث الله النَاسَ فزِعَ كلُّ أحَدٍ، فيُنادِي منادٍ: يا عبادِي، فيَرجُوهَا النَّاسُ كلُّهُم ثمَّ يتبَعُها الَّذين آمَنوا، فييأَسُ النَّاسُ منها غيرَ المُسلمين.

وقرئ: ﴿يَٰعِبَادِ﴾.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾

قوله: (المُتخالِّين) التخالُّ: التَحابُّ، ومنه: «وجبت محبّتي للمتحابّين فِيَّ».[1]

قوله: (المتصادِقين) الصَّداقة والمُصادَقة: المُخالّة.[2] ويُقال: تصادقا، أي: تحابّا، والمتصادِقان: المتحابّان.[3]

---

[1] موطّأ مالك، ٩٥٣/٢ (١٦)؛ المستدرك للحاكم، ١٨٦/٤ (٧٣١٤).

[2] الصحاح للجوهري، «صدق».

[3] وفي هامش د ف: قوله: (فيَرجوها) الضمير في "يَرجوها" وفي "يَتْبعُها" للمناداة بقرينة "ينادي". | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿بِصِحَافٍ﴾ جمع صَحْفة، وهي القَصعة الواسعة. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٢١/٧ (الزخرف، ٧١/٤٣). | وفي هامش د ف: قوله: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ مِن قَبيل الإسناد إلى السبب، فإنّ اللذّة التي هي إدراك المُلائم تحصل للنفس بسبب العين.(١) | (١) ف + والألم إدراك المنافي.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُسَرُّون سُرُورًا يَظهر حَبَارهُ -أي: أثَرهُ- على وُجُوهكم؛ كقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين ٨٣/٢٤].

وقال الزجَّاجُ: تُكرَمُون إكْرامًا يُبالَغُ فيه، والحَبْرةُ: المُبالغةُ فيما وُصِف بجميلٍ.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

"الكُوبُ": الكُوزُ لا عُروَة له.

﴿فِيهَا﴾ الضميرُ للجنَّة. وقرئ ﴿تَشْتَهِى﴾ و: ﴿تَشْتَهِيهِ﴾.

وهذا حَصْرٌ لأنواعِ النِّعم؛ لأنَّها: إما مُشتَهاةٌ في القُلُوب، وإمَّا مُستلذَّة في العيُون.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى الجنَّة المذكورة، وهي مُبتدأ و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ خبرٌ، و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفةُ ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾.

أو ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ صفةٌ للمبتدأ الذي هو اسمُ الإشارة و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ خبرُ المبتدأ، أو الَّتي أُورِثتُموها صِفةٌ، و﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الخبَرُ، والباء تتعلَّقُ بمحذوفٍ كما في الظُّروفِ التي تَقع أخبارًا، وفي الوَجه الأوَّلِ تتعلَّق بـ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

وشبِّهَت في بقائها على أَهْلها بالميراثِ الباقي على الوَرثة، وقرئ: "وُرِّثْتُموها".

﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ "مِن" للتَّبعِيض؛ أي: لا تأكلُونَ إلَّا بعْضَها وأَعْقابُها باقيةٌ في شجَرِها، فَهي مُزيَّنَةٌ بالثِّمارِ أبدًا مُوقَرةٌ بها لا تُرَى شجرةٌ عُرْيانةٌ من ثمَرها كما في الدُّنيا.

قوله: (**مُوقَرةٌ**) أوقَرَت النخلةُ إذا كثُر حَملُها، يُقال: نَخْلٌ[١] مُوقِرة ومُوقِر[٢] ومُوقَرة، وحُكي مُوقَر، وهو على غير قِياس؛ لأنَّ الفعل ليس للنخلة، وإنَّما قيل:

---

[١] في الصحاح: "نخلة".

[٢] ن - أوقَرَت النخلةُ إذا كثُر حَملُها، يُقال: نَخْلٌ مُوقِرة ومُوقِر.

وعنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا يَنزِعُ رجُلٌ في الجنَّةِ من ثمَرِها إلَّا نبَتَ مكانَها مِثلَاها».

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧٦﴾

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يُخفَّفُ ولا يُنقَصُ، من قَولهم: فَتَرتْ عنه الحُمَّى: إذا سكنتْ عنه قليلًا ونَقَص حَرُّهَا.

و"المُبْلِسُ": البائسُ السَّاكِتُ سكُوتَ يأسٍ من فَرجٍ.

وعن الضحاك: يُجعَل المُجْرم في تابُوتٍ من نارٍ ثم يُردَم عليه فيَبقى فيه خالِدًا لا يَرى ولا يُرَى.

"هم" فصْلٌ عِند البصريين عِمادٌ عند الكوفِيين، وقرئ: "وهم فيها"؛ أي: في النَّارِ.

﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧﴾

وقرأ عليٌّ وابن مسعُود رضي الله عنهما: "يا مالِ" بحذف الكاف للتَّرخيم؛ كقولِ القائلِ:

والـحَـقُّ يـا مـالِ غَـيـرُ مـا تَـصِـفُ

مُوقِر -بكسر القاف- على قياس قولك: امرأة حامل؛ لأنّ حمل الشجرة مشبّه بحمل النساء. وأمّا مُوقَر -بالفتح- فشاذّ.[١]

قوله: (**والمُبْلِس: البائس**) في تفسير "المُبلِس: البائس"، الصواب في "البائس" أن يكون بالباء المنقوطة بواحدة مِن تحت قبل الألف وبعدها الهمزة.[٢] قال في **الصحاح**: «الإبلاس: الانكسار والحُزن،[٣] يقال: أبلسَ فلان إذا سكَتَ غمًّا».[٤]

قوله: (**يُرْدَمُ**) رَدَمْتُ[٥] الثُّلْمة: سَدَدْتُها.[٦]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «وقر».
٢ ن: والهمزة.
٣ ن: والجزن.
٤ **الصحاح** للجوهري، «بلس».
٥ ن: ردت.
٦ **الصحاح** للجوهري، «ردم».

وقيل لابن عبَّاس: إنَّ ابن مسعود قَرأ: "ونَادَوا يا مالِ" فقال: ما أَشغَلَ أهلَ النَّار عن الترخيم!

وعن بعضهم: حَسَّن التَّرخيم أنَّهم يَقتطِعُونَ بعضَ الاسم لضَعْفِهم وعِظَم ما هُم فيه.

وقرأ أبُو السَّرَّارِ الغَنَويُّ: "يا مالُ" بالرفع كما يقال: يا حارُ.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾ مِن قضى عليه: إذا أمَاته ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص ١٥/٢٨] والمعنى: سَلْ ربَّك أن يقْضِيَ علينا.

فإن قلتَ: كيف قالَ: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ﴾ بعدما وصَفهم بالإبْلاس؟

قلتُ: تلك أَزْمِنةٌ مُتَطاوِلةٌ وأَحْقابٌ مُمتدَّةٌ، فتَختلِفُ بهم الأَحْوالُ فيَسكتُون أَوْقاتًا لغَلبةِ اليأس عَليهم وعلْمِهم أنَّه لا فرَج، ويُغوِّثُون أوْقاتًا لشِدَّة ما بهِم.

﴿مَّٰكِثُونَ﴾: لابثونَ، وفيهِ استهزاءٌ، والمراد: خالدُون.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّما يُجيبُهم بعد ألفِ سنةٍ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: «يُلْقَى على أهلِ النَّارِ الجُوعُ حَتَّى يَعْدِلَ ما هم فيه من العذاب، فيقولون: أُدْعُوا مالِكًا، فيَدْعُون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾».

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ كلامُ الله عزَّ وجلَّ، بدليلِ قراءةِ مَن قرأَ: "لقَد جئتُكُم"، ويجبُ أن يكون في ﴿قال﴾ ضميرُ الله، لمَّا سَألوا مالكًا أن يسألَ الله القضاءَ عليهم أجابهم الله بذلك.

﴿كَٰرِهُونَ﴾: لا تقبَلُونه وتَنْفِرُونَ عنه وتَشمئِزُّون؛ لأنَّ معَ الباطِل الدَّعَةَ ومَع الحقِّ التَّعَب.

قوله: (﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ [القصص ١٥/٢٨]) استشهاد.

قوله: (ويُغَوِّثونَ) أي: يقولون: واغوثاه.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩﴾

﴿أَمْ﴾ أبرَمَ مُشرِكُو مكَّةَ ﴿أَمْرًا﴾ من كيدهم ومكرهم برسول الله ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدَنا كما أبْرَموا كيدَهُم؛ كقوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور ٤٢/٥٢]، وكانوا يتَنادَوْن فيتناجَوْن في أمر رسُول الله.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾

فإن قلتَ: ما المرادُ بالسِّرِّ والنَّجْوَى؟

قلتُ: "السِّرُّ": ما حدَّث به الرجلُ نفسَه أو غيرَه في مكانٍ خالٍ، و"النَّجوى": ما تكلَّموا به فيما بَينهُم.

﴿بَلَىٰ﴾ نسمعُهما ونَطَّلعُ عليهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يريد الحَفَظة عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

وعن يحيَى بن معاذٍ الرازيِّ: مَن سَتَر من النَّاس ذنُوبه وأَبْداها لِلَّذي لا يَخفَى عليه شيءٌ في السَّماوات فقد جَعلَه أهْوَنَ النَّاظرين إليه، وهو من علاماتِ النِّفاق.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ وصَحَّ ذلك وثبَت ببُرهانٍ صحيحٍ تُوردُونه وحجَّةٍ واضِحة تُدْلُون بها ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ مَن يُعظِّم ذلك الوَلدَ وأَسبَقُكم إلى طاعتهِ والانقيادِ له، كما يُعظِّم الرجلُ ولَد الملِك لتعظيم أبيه، وهذا كلامٌ واردٌ على سَبيل الفَرْض والتمثيل لغَرضٍ وهو المبالغةُ في نفي الوَلد والإطنابُ فيه، وأَن لا يَترُكَ الناطق بهِ شُبْهةً إلَّا مُضْمَحلَّةً، مع التَّرْجمةِ عن نفْسه بثبَاتِ القدم في بابِ التَّوحيد،

قوله: (**يتَنادَونَ**) يقال: تنادى القوم: تجالَسوا. وهو مِن النَّدِيِّ،[1] لا مِن النِّداء.

قوله: (**وأن لا يترك**) عطفٌ على قوله: (**المبالغة**)، أي: وهو بيان أنَّ المتكلِّم بهذا الكلام لم يُبقِ شبهة مِن الشُّبَه التي تُذكر على إثبات الولَد إلّا جعله مُضْمَحِلّةً.

[1] النَّدِيّ -على فَعِيل-: مَجلِس القوم ومُتحدَّثهم. **الصحاح** للجوهري، «ندا».

وذلك أنَّه علَّقَ العِبَادَة بكَيْنُونة الولَد، وهي مُحالٌ في نفْسِها فكان المُعَلَّقُ بها مُحالًا مثْلَها، فهو في صُورَة إثبات الكَيْنُونة والعبَادة وفي مَعْنى نَفْيِهما على أَبلغِ الوجُوه وأقْواهَا.

ونظيرُه أن يقولَ العَدليُّ للمُجْبِر: "إنْ كان الله خالقًا لِلكُفر في القلوب ومُعذِّبا عليه عَذابًا سَرْمدًا فأَنا أَوَّلُ مَن يَقُول: هو شيطانٌ وليس بإلهٍ"، فمَعنى هذا الكلام وما وُضِع له أُسْلُوبُه ونَظْمُه نَفْيُ أن يكون اللهُ خالِقًا للكُفر، وتنزيهُه عن ذلك وتقديسُه ولكنْ على طريق المُبالغةِ فيه من الوَجْه الَّذي ذكَرْنا، مع الدَّلالةِ على سِماجَة المَذْهب وضَلالةِ الذَّاهب إليه، والشهادةِ القاطعةِ بإحالتِه والإفْصاحِ عن نفسِه بالبَراءة مِنه، وغايةِ النِّفارِ والاشْمئزاز مِن ارتكابه.

قوله: **(مَن يقول: هو شيطان)** انظر إلى هذا الرجل كيف حمله تعصُّبُه البارد على التفَوُّه بالعظيمة، أمَا تأمَّل[1] في أنّ[2] مِثل هذه المسألة التي عليها الجماعة العظيمة مِن العلماء النحارير إنْ لمْ يتيَقَّن أو لم يَغلبْ على الظنّ صِحَّتُها فلا أقلَّ مِن الإمكان، فكيف يتفوَّه بمثل هذه العظيمة؟ وهذا القول يُضاهي قولَ مَن قال مِن الكفرة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال ٣٢/٨].

فهلّا قال المصنّف عفا الله عنه: إن كان الله عزّ وجلّ خالقًا للكفر في القلوب ومُعذِّبًا[3] عليه فهو الحاكم، له المُلك، وله الحُكم، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وإذا تأمَّلْتَ ظهر لك أنّ المثال الذي ذكره غير مطابق للآية، وإنّما يكون
[٣٤٩و] مطابِقًا / أن لو[4] كان في الآية: فأنا لا أعبُده، أو لا ألتفِتُ إليه، أو لا أعبد اللهَ، أو لا[5] أُعظِّمُه مَثلًا. ولمّا قال: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، أي: أوّل مَن يُعظِّم ذلك الولد، وأسبِقُ إلى طاعته؛ كان المناسب لمثاله أن يقول المعتزلي لأهل السُّنّة والجماعة:

---

[1] ن: نأمل.
[2] ن: أنّ في.
[3] ن: معدبًا.
[4] ن – لو.
[5] ن: ولا.

ونحوُ هذه الطريقةِ قولُ سعيد بن جُبيرٍ للحَجَّاج -حين قال له: أَمَ واللهِ لَأُبدِّلَنَّكَ بالدُّنيا نارًا تلظَّى-: لو عرفتُ أن ذلك إليك ما عبَدْتُ إلهًا غيرَك.

وقَد تَمحَّل الناسُ بما أَخْرجوه به من هذا الأُسلوب الشَّريف المَليء بالنُّكتِ والفَوائد، المُستقلِّ بإثباتِ التَّوحيد على أَبْلغ وجُوهِه، فقيل: إن كان للرَّحمن ولدٌ في زُعْمِكم فأنا أوَّلُ العابدين المُوَحِّدين لله المكذِّبين قولَكم بإِضافة الولَدِ إليه.

وقيل: إنْ كان لِلرَّحمن وَلدٌ في زُعْمِكُم فأَنا أَوَّل الآنِفين من أَن يكُون له وَلدٌ، من عَبِد يَعْبَدُ: إذا اشتدَّ أَنَفُه، فهو عَبِدٌ وعابِدٌ.

إن كان الله خالِقًا للكفر في القلوب ومُعذِّبًا عليه فأنا أوّل مَن لا يعترض على ذلك، ويقول: هو المتصرّف في ملكه ومَلكوتِه، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد. ولكنّ المصنّف عفا الله عنه خَفِي عليه ذلك لظُلمةِ تعصُّبه. اللّهمّ تجاوَزْ عن هَفَواته، وارفع درجاته، فإنّه كثيرًا ما نفعنا بكلماته، فاجعلْ برحمتك ذلك سببًا للتجاوز عن سيّئاته.

قوله: (**ونحو[1] هذه الطريقة قول سعيد بن جُبَير**) واعلم أنّ قول سعيد بن جُبَير رضي الله عنه[2] موافق لطريقة الآية، لا لطريقة[3] المِثال الذي ذكرها المصنّف، فلم يتأمّل في قول سعيد بن جبير.

قوله: (**فقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾**) فكأنّه قيل: إن زَعمتم أنّ لله ولدًا فأنا لا أزعم ذلك؛ بل أعبُد اللهَ تعالى موحِّدًا، يعني: إن تقولوا كذا فهو سبب لِأن أقولَ كذا.

قوله: (**وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾**)[4] فكأنّه قيل: إن استحسنتم انتسابَ الولد إلى الرحمن فأنا أستنكِف مِن ذلك وأستقْبِحه.

---

[1] ن: ويجوز.

[2] د - رضي الله عنه.

[3] ن: الطريقة.

[4] ن - فكأنّه قيل: إن زَعمتم أنّ لله ولدًا فأنا لا أزعم ذلك؛ بل أعبُد اللهَ تعالى موحِّدًا، يعني: إن تقولوا كذا فهو سبب لِأن أقولَ كذا. قوله: (وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾).

وقرأ بعضُهم: "العَبِدِينَ".

وقيل: هي ﴿إن﴾ النافيةُ؛ أي: ما كان للرَّحمن وَلدٌ فأنا أوَّلُ مَن قال بذلك وعبَد ووَحَّدَ.

ورُوي: أنَّ النَّضرَ بنَ عبدِ الدَّارِ بن قُصيٍّ قال: "إنَّ الملائكة بناتُ الله" فنَزلت، فقال النَّضْرُ: "ألا ترون أنَّه قد صَدَّقني"، فقال له الوليدُ بن المُغيرةِ: ما صَدَّقك، ولكن قال: ما كان للرَّحمنِ ولدٌ فأَنا أوَّلُ المُوحِّدين من أَهْل مكَّةَ أنْ لا ولَدَ له.

وقرئ: ﴿وُلْدٌ﴾ بضم الواو.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

ثُمَّ نَزَّه ذاتَه موصُوفةً بربوبيَّة السماوات والأرضِ والعرش عن اتِّخاذ الولَد ليَدُلَّ على أنَّه من صفة الأجسام، ولو كان جسمًا لم يَقْدِر على خلقِ هذا العالَمِ وتَدبيرِ أمْره.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطِلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ وهذا دليل على أنَّ ما يَقولُونه من باب الجهل والخَوض واللَّعِب، وإعلامٌ لرسُول الله أنَّهم مِن المطبُوع على قلُوبهم الَّذين لا يَرجعُون البَتَّةَ وإنْ ركِبَ في دَعْوتهم كلَّ صعْبٍ وذَلُولٍ، وخِذلانٌ لهم وتخليةٌ كقَوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت ٤١/٤٠] وإيعادٌ بالشَّقاء في العَاقبة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

ضُمِّن اسْمُه تعالى معنى وَصْفٍ فلذلك علِّق به الظَّرفُ في قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ كما تقول: "هو حاتمٌ في طَيِّئٍ حاتمٌ في تَغلِبَ" على تضمين معنى الجواد الذي شُهِرَ به؛ كأنَّك قلتَ: "هو جَوادٌ في طَيِّئٍ جوادٌ في تغلِبَ".

وقرئ: "وهو الَّذي في السماء اللهُ وفي الأرض اللهُ"، ومِثْلُه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٣/٦] كأنَّه ضُمِّن معنى المَعبُود أو المالكِ أو نَحْوِ ذلك، والرَّاجعُ إلى الموصُول محذوفٌ لطُول الكلام؛ كقَولهم: "ما أَنا بالَّذي قائلٌ لك شيئًا"، وزادَهُ طُولًا أنَّ المعطوف داخِلٌ في حيِّز الصِّلة.

ويحتمِل أن يكون ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ صلةَ ﴿ٱلَّذِى﴾ و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبرَ مُبتدأ مَحذُوفٍ على أنَّ الجُملةَ بيانٌ للصِّلةِ، وأن كونَه في السماء على سبيل الإلهيَّة والرُّبُوبيَّةِ لا على مَعْنى الاستقرار، وفيه نفيُ الآلِهة التي كانت تُعبَدُ في الأرض.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ بضمِّ التاء وفتحها، و﴿يُرْجَعون﴾ بياءٍ مضمومة.

وقرئ: "تحشرون" بالتَّاءِ.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ آلِهتُهم ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن﴾ دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زعمُوا أَنَّهم شُفعاؤُهم عندَ الله ولكن ﴿مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو توحيدُ الله وهو يَعْلم ما يَشهَدُ به عن بَصيرة وإيقانٍ وإخلاصٍ: هو الَّذِي يَملك الشَّفاعَة، وهو استثناءٌ مُنقطعٌ.

ويجوز أن يكون متَّصلًا لأنَّ في جُملة ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: الملائكَةَ.

قوله: **(والراجع إلى الموصول محذوف)** والتقدير: وهو الذي هو في السماء إلهٌ. وقوله:[١] **(بالذي قائلٌ)** أي: هو قائل.[٢]

---

١ ن: قوله.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شَهِدوا به بألسنتهم، ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن عبادته، ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ معناه المتاركة؛ لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص ٥٥/٢٨]. **معالم.** | **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٢٤/٧ (الزخرف، ٨٦/٤٣-٨٩).

وقرئ: "تَدْعُون" بالتاء و: "تَدَّعون" بالتاء وتشديد الدال.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ قرئ بالحركاتِ الثلاثِ، وذُكِر في النَّصْب عن الأخفش أنَّه حَمله على: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ وقيلَه، وعنه: وقال قيلَه.

وعَطَفه الزَّجاجُ على محلِّ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ كما تقول: "عجبْتُ من ضَرْبِ زيدٍ وعمْروًا"، وحمَل الجرَّ على لفظ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، والرَّفعَ على الابتداء والخَبرُ ما بَعده.

وجُوِّز عَطفه على ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ على تقدير حذف المضاف، مَعناه: وعِنده علمُ السَّاعة وعِلمُ قِيلِه.

والَّذي قالُوه ليس بقَوِيّ في المَعنى معَ وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف علَيه بما لا يَحْسُنُ اعتراضًا ومَع تنَافُر النَّظم.

وأقوَى من ذلك وأوْجَهُ: أن يكون الجرُّ والنَّصبُ على إضمار حَرْف القَسم وحذفِهِ، والرَّفعُ على قولهم: "أيمُنُ الله" و"أَمانَةُ الله" و"يَمينُ الله" و"لعَمرُكَ"،

قوله: **(وقال: قِيلَهُ)** أي: هو منصوب بفعل محذوف، والتقدير: وقال: قيلَه.

قوله: **(على محلّ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾)** مِن قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

قوله: **(الجرّ والنصب على إضمار)**... إلخ وتقريره: أنّ الواو فيه للعطف على الجملة المتقدّمة، وجرّه بإضمار حرف القسم، كما في قولك: اللهِ لأفعلنّ، والنصب بحذف حرف القَسَم، وإيصالِ الفعل، كقولك: اللهَ لأفعلنّ. اعلم أنّهم يقولون: المحذوف هو المتروك أصلًا، لا يكون في القائم مقامه أثر، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢]، فلو أبقى[١] أثر المحذوف لانجرّ ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾، والمضمَر عكس ذلك، نحو: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء ١٧١/٤] بإضمار "افعلوا".

---

١ ن: بقي.

ويكونُ قولُه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ جوابَ القسَم؛ كأنّه قيل: وأُقسِمُ بقِيلِه يا ربِّ، أو: وقِيلُه يا ربِّ قسَمي إنَّ هؤلاء قومٌ لا يُؤمنون.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ وأَعْرِض عن دَعْوتهم يَائسًا عن إيمانهم ووَدِّعهم وتارِكْهُم ﴿وَقُلۡ﴾ لهُم: ﴿سَلَٰمٞ﴾؛ أي تسَلُّمٌ مِنكم ومُتارَكَةٌ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ وعيدٌ من الله لهم وتَسْليةٌ لرَسُوله.

والضَّمير في ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ لرسُول الله، وإِقسامُ الله بـ﴿قِيله﴾ رَفْعٌ مِنه وتعْظِيمٌ لدُعائه والتِجائه إليه.

عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سُورةَ الزُّخرف كان ممَّن يُقال لـه يَـوم القيامـةِ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾، ادْخُلُوا الجَنَّـةَ بغَيْـرِ حسَـابٍ».

قوله: (كأنّه قيل: وأُقسِم) إتيانه بالواو أكَّد[١] أنّ الواو فيه للعطف لا للقسَم. وعبّر عن الإضمار والحذف بأمر واحدٍ لتقاربهما، أعني: في قوله: (وأُقسِم بقِيله)، وإلّا فتقدير الحذف: وأُقسم قِيلَه. والمعنى: أنّ هؤلاء قوم ليس مِن هِمَمهم[٢] الإيمان والتصديق بالحقّ لتركهم النظرَ وركونِهم إلى المعاصي.

تمّت السورة بحمد الله تعالى[٣] ومنّهِ.[٤]

---

١ ن: وأكّد.

٢ ن: هممهم.

٣ د - تعالى.

٤ ف ن - ومنّهِ.

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf
(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsi

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Dokuzuncu Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI